من إصدارات جمعية الآل والأصحاب.. مملكة البحرين

شُـبُهـات طالَ حَولها الجَـدل

القسم الأول

إعداد قسم الدراسات والبحوث بجمعية الآل والأصحاب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧].

ويقول عز من قائل: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم:٢٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات:٦].

لعل مسألة إثارة الشبهات والظنون من أقدم الوسائل التي لجأ إليها أعداء الأنبياء

والرسل ومن سار على نهجهم وفي ركابهم من الأتباع، وستظل هذه المعركة قائمة بين أصحاب الحق والباطل، ولعلها لن ترفع إلى قيام الساعة. وكم هي تلك الأخبار التي تلقوها دون تدبر وتمحيص وعلى ضوئها رموا الآخرين بالتهم، جازمين بارتكابهم لها، وما كان قبولهم لها إلا أنها وافقت هوى في نفوسهم، فضربوا بعرض الحائط أوامر وتعاليم الكتاب والسنة، كقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]. وقول الرسول ﷺ: {بئس مطية الرجل زعموا}(١). وقوله ﷺ: {إيّاكم والظّنّ؛ فإنّ الظّنّ أكذب الحديث}(٢).

فأول المفاسد المترتبة على عدم التثبت هو سوء الظن، فالعقائد الفاسدة المبنية على سوء الظن، ثم الظلم الذي حرمه الله وجعله بين عباده محرماً وكفى به إثماً مبيناً.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (ليس لك أن تعتقد في غيرك سوءًا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل).

ويقول: (اعلم أن سوء الظن حرام، مثل سوء القول.. فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال، وهو بعين مشاهدة أو بينة عادلة)(٣).

وفي الحديث: {أن الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظن به ظن السوء}(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٧٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٩)، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

(٣) فيض القدير (٣/ ١٥٧).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٧٠٦). انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (٣٤٢٠).

وقال ابن قدامة المقدسيّ رحمه الله: (فليس لك أن تظنّ بالمسلم شرّاً، إلّا إذا انكشف أمر لا يحتمل التّأويل، فإن أخبرك بذلك عدل، فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذوراً، لأنّك لو كذّبته كنت قد أسأت الظّنّ بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظّنّ بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرّق التّهمة حينئذ بسبب ذلك)[1].

الشبهات:

قال ابن فارس رحمه الله: (الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال: شِبْه وشَبَه والشبَهُ من الجواهر الذي يشبه الذهب، والمشبهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا)[2].

وقال ابن منظور: (الشبه: الالتباس، وأمور مُشْتَبِهةٌ: مشكلة يشبه بعضها بعضاً)[3].

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: «وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق، فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين، ودليلهم سمت الهدى، وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال، ودليلهم العمى»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الشُّبه التي يضل بها بعض الناس وهي ما يشتبه فيها الحق والباطل)[5].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، لإبن قدامة المقدسي.

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٤٣).

(٣) لسان العرب (١٣/ ٥٠٤).

(٤) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع) (١/ ٨٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٦٧/ ١٨١)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) الشيخ هادي النجفي (٥/ ٢٧١).

(٥) التدمرية (ص:١٠٦).

وقال أيضاً: (لا يشتبه على الناس الباطل المحض بل لا بد أن يشاب بشيء من الحق)[١].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ: (الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها فإن الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان)[٢].

ومن أعظم الوسائل التي انتهجها أصحاب إثارة الشبهات والظنون في تلبيس الأمور على العوام، اللجوء إلى المتشابه من المسائل، فإن لم يجدوا في هذا ما يغني، عمدوا إلى تحريف آيات الكتاب وما صح من روايات فحملوها على محامل بعيدة هي أبعد ما تكون عن مقصود الشارع الحكيم، وصرفوها عن ظاهرها كي توافق أهواءهم ورغباتهم، وإن أعياهم ذلك كله عمدوا إلى وضع الأحاديث بما تهواه أنفسهم انتصاراً لباطلهم.

وهذا الأخير من أعظم الوسائل التي لجأ إليه هؤلاء، خصوصاً وأن الكثير من رواياتهم الموضوعة هذه قد تسربت إلى كتب المسلمين. ولا شك أن هناك آلاف الروايات حوتها مصادر المسلمين في شتى العلوم، كلها موضوعة على لسان رسول الله ﷺ ومنسوبة إليه وإلى صحابته رضوان الله عنهم وإلى الأئمة رحمهم الله.

ووضع الحديث عادة قديمة، وقد اختلفت أسباب هؤلاء الوضاعين بين زنادقة أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ووضعوا الأحاديث استخفافاً بالدين وتلبيساً على المسلمين، وبين أصحاب أهواء وعصبيات ومذاهب، يضعون ما ينتصرون به لمذاهبهم، وبين من وضع ذلك ترغيباً في فضائل الأعمال وترهيباً من النار.. إلى غير ذلك من أسباب ذكرها واتفق عليها كل من تكلم في هذا الباب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧).

(٢) مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب (٤/ ٩٣).

وكان لانتشار هذه الروايات في كتب الفقه والتفسير والتاريخ والسير والمغازي وغيرها أثراً سيئاً في نشوء عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، أدت بدورها إلى ظهور فرق ومذاهب باطلة جل بنيانها على هذه الموضوعات، ولم يكن يتورع أصحابها في أن يصيروا كل ما هوته قلوبهم وأنفسهم حديثاً.

وكان المسلمون الأوائل لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتن بينهم، فكان أن سألوا عن الرجل، فإن كان من أهل السُنة أخذوا حديثه، وإن كان من أهل البدعة فلا يؤخذ حديثه.

فصار الإسناد المتصل إلى الرسول ﷺ أو الأئمة رحمهم الله هو السبيل إلى معرفة الشرايع والأحكام، فتشددوا في معرفة حال كل من وقع في إسناد حديث حتى قيل لهم: أتريدون أن تزوجوه؟

وكان ابن سيرين رحمه الله يقول: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم»(١).

وكان من هدي الرعيل الأول أن يأتوا بالإسناد قبل الحديث.

قال الزهري رحمه الله: «لا يصلح أن يرقى السطح إلا بدرجة»(٢).

قال الأوزاعي رحمه الله: «ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد»(٣).

وقال شعبة رحمه الله: «وإنما يعلم صحة الحديث من الإسناد»(٤).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن سلاح فبم شيء

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٤).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ١٦).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٥٧)، طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٣١٤).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٥٧).

يقاتل»[(١)].

وقال ابن المبارك ﷺ: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[(٢)]، وقال أيضًا: «مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم»[(٣)].

وقال الشافعي ﷺ: «مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري»[(٤)].

وغيرها من أقوال بينوا فيها أهمية الإسناد.

فكان أن ظهر علم الرجال، الذي يبحث في أحوال رجال الأسانيد المنتهية إلى الرسول ﷺ أو الصحابة ﷺ أو الأئمة رحمهم الله لمعرفة صحة نسبة هذا الحديث أو ذاك إليهم من حيث خلو إسنادها من وضاعين إلى غيرها من علل وشذوذ.

وقد أورد الإمامية أيضاً من طرقهم حث الأئمة رحمهم الله على التثبت في نقل الأخبار بعد أن هالهم حجم الكذب عليهم.

فعن الصادق ﷺ قال: «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس»[(٥)].

وقال ﷺ: «إن الناس قد أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا

---

(١) شرف أصحاب الحديث (٤٢)، جامع التحصيل (٥٩).

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٥).

(٣) شرف أصحاب الحديث (٤٢).

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى (٢١١).

(٥) أعيان الشيعة لمحسن الأمين (٣/ ٥٦٤)، بحار الأنوار، للمجلسي (٢/ ٢١٧) و(٢٥/ ٢٦٣).

ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا وكل يحب أن يدعى رأساً»[1].

وقال: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق الكتاب والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد دسَّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا محمد، فإنا إذا حدثنا قلنا: قال الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: (وافيت العراق فوجدت جماعة من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله متوافرين، فسمعت منهم، وأخذت كتبهم، وعرضتها من بعد على أبي الحسن، فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أصحاب أبي عبد الله، وقال: إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله، لعن الله أبا الخطاب وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون من هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن)[3].

---

(١) بحار الأنوار، للمجلسي (٢/ ٢٤٦)، جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي (١/ ٢٢٦)، فرائد الأصول، للأنصاري (١/ ٣٢٦)، تاريخ آل زرارة، لأبي غالب الزراري (٥١)، اختيار معرفة الرجال، للطوسي (١/ ٣٤٧)، إكليل المنهج في تحقيق المطلب، للكرباسي (٥٠)، معجم رجال الحديث، للخوئي (٨/ ٢٣٢)، أعيان الشيعة، لمحسن الأمين (٧/ ٤٨)، موسوعة المصطفى والعترة (ع)، لحسين الشاكري (٨/ ٤٢٩).

(٢) مستدرك الوسائل، للميرزا للنوري (١٠/ ٤٨هـ)، بحار الأنوار، للمجلسي (٢/ ٢٥٠) (٦٩/ ٢١١هـ) (٨٤/ ١٠١هـ) (٩٦/ ٢٦٢هـ)، جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي (١/ ٢٦٢)، رسائل في دراية الحديث، للبابلي (٢/ ٢٣٧، ٢٥٣)، أصول الحديث، لعبد الهادي الفضلي (١٤٧)، اختيار معرفة الرجال، للطوسي (٢/ ٤٨٩)، معجم رجال الحديث، للخوئي (١٩/ ٣٠٠)، قاموس الرجال، للتستري (١٠/ ١٨٨) (١١/ ١٨١).

(٣) رجال الكشي (١٩٥)، بحار الأنوار، للمجلسي (٢/ ٢٥٠)، خاتمة المستدرك للميرزا النوري (٤/ ١٧٧) (هـ)، اختيار معرفة الرجال للطوسي (٢/ ٤٩٠)، معجم رجال الحديث للخوئي (١٨/ ٢٧٦) (٢٠/ ٢٠٨).

وعنه أيضاً قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه، فيأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم»(١).

وقد اتفق المسلمون على حرمة نقل الحديث إذا كان موضوعاً لكونها إعانة على الإثم وإشاعة للفاحشة وإضلالاً للمسلمين، وأن من أراد أن يروي حديثاً ضعيفاً أو مشكوكاً في صحته بغير إسناد، يقول: روي، أو بلغنا، أو ورد، أو جاء، أو نقل، ونحوه من صيغ التمريض، ولا يذكره بصيغة الجزم، كقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولو أتى بالإسناد مع المتن لم يجب عليه بيان الحال، لأنه قد أتى به عند أهل الاعتبار(٢).

ولا شك أن قولهم: (إن الإتيان بالخبر مع الإسناد يغني عن بيان الحال) صحيح على نحو ما، فإن كثيراً من كتب المسلمين مليئة بالروايات الموضوعة بأسانيدها، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن علماءنا الأوائل رحمهم الله كانوا يمرون بمراحل في التأليف، بدءاً بالجمع والذكر لكل ما سمعوه في المقام، وانتهاءً بتحقيق الروايات لتمييز الغث من السمين، وقد يقتصر أكثرهم على الأول، أي: الجمع والذكر لكل ما

(١) تحف العقول، لابن شعبة الحراني (٣١٠هـ)، بحار الأنوار، للمجلسي (٢/ ٢٥٠) (٤٦/ ٣٣٢هـ) (٦٤/ ٢٠٢هـ)، رسائل في دراية الحديث، للبابلي (٢/ ٢٥٣، ٥٢٨هـ)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع)، لهادي النجفي (٨/ ١٦٣)، أصول الحديث، لعبد الهادي الفضلي (١٤٣)، اختيار معرفة الرجال، للطوسي (٢/ ٤٩١)، معجم رجال الحديث، للخوئي (١٩/ ٣٠٠)، قاموس الرجال، للتستري (١٠/ ١٨٩).

(٢) مقباس الهداية (١/ ٤١٧)، دراسات في علم الدراية، لعلي أكبر غفاري (٧٧)، رسائل في دراية الحديث، لأبي الفضل حافظيان البابلي (١/ ٢١٠)، الرعاية في علم الدراية، للشهيد الثاني (١٦٥).

سمعوه، معتقدين براءة ذمتهم ما داموا قد ذكروا الإسناد الذي يمكن من خلاله معرفة صدق الخبر من كذبه، وذلك لاستحالة تحقيق كل خبر في حينه، لاعتبارات عدة؛ كأن يكون للحديث المذكور طرق أخرى ينجبر به، أو أن ضعف بعض الرواة لم يثبت عنده، وغيرها، وأضف إلى ذلك عدم اشتراطهم لذكر الحديث أن يكون صحيحاً، كما صرحوا بذلك في مقدمة مصنفاتهم، مع هذا فلم يجز العلماء رواية أمثال هذه الموضوعات دون بيان وضعها، وعدوا من فعل ذلك مذنباً عليه التوبة.

وأخطر ما يستغله هؤلاء هو جهل الكثير من العوام بالفرق بين مجرد الإيعاز وبين التخريج.

فالإيعاز هو مجرد ذكر المصدر الذي وردت فيه الرواية، وقد تكون هذه الرواية موضوعة وقد بين المصنف وضعها، ولكن أصحاب الشبهات لا يبيّنون هذه الحقيقة عند نقلهم للرواية. وربما ذكرها المصنف للرد عليها، فيستغل هؤلاء ورودها في الكتاب، فيلبسون الأمر على العوام بأن هذه المسألة من المسلمات، حيث أوردها المخالفون في مصنفاتهم.

وأكثر الشبهات من هذين الصنفين.

والأمر الآخر هو التخريج، وهو دراسة سند الرواية ومتنها لبيان صحتها من ضعفها. وهذا علة ترديد الكثير من العلماء مقولة: المطالبة بصحة النقل، وأن مجرد العزو إلى فلان أو علان لا تقوم به حجّة باتّفاق أهل العلم.

وفي هذا يقول ابن خلدون ﷺ: (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل، من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً).

ونحن في هذا المصنف إن شاء الله تعالى سوف نتطرق إلى أكثر الشبهات التي طال حولها الجدل وبنيت عليها عقائد فاسدة في حق خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ونبين ردود العلماء[١] عليها وفساد الاستدلال بها.

ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) جل الردود منقولة وبتصرف يسير جداً من موقع فيصل نور (www.fnoor.com).

عدالة الصحابة

من أعظم الشبهات التي يرددها الطاعنون في الصحابة رضي الله عنهم ويشنعون على من يعتقد بها، مسألة عدالة الصحابة.

معنى العدالة:

قال الجوهري: (العدالة لغة: العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدِلته ومعدَلته، وفلان من أهل المَعدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضاً: وهو جمع عدل وقد عُدل الرجل بالضم عدالة.. إلى أن قال: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومته فاستقام)(١).

وجاء في المصباح المنير: (وعدلت الشاهد نسبته إلى العدالة ووصفته بها)(٢).

وجاء في القاموس: (العدل ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعَدولة والمعدِلة والمعدَلة)(٣).

فمن هذه التعاريف اللغوية يتبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم يظهر منه ريبة، وهو الذي يرضى الناس عنه ويقبلون شهادته ويقتنعون به.

---

(١) جاء في الصحاح للجوهري (ص:٤١٥- ٤١٦):

(٢) المصباح المنير (٢/ ٣٩٧).

(٣) القاموس (٤/ ١٣).

العدالة اصطلاحاً: تنوعت عبارات العلماء في تعريف العدالة في الاصطلاح:

فعرف الخطيب البغدادي في الكفاية العدالة بقوله: (العدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهي عنه، وتجنب الفواحش المسقطة وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقاً حتى يكون مع ذلك متوقياً لما يقول كثير من الناس أنه لا يعلم أنه كبير)[١].

ويعرف ابن الحاجب العدالة بقوله كما في مختصر المنتهى: (محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، وليس معها بدعة، وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر، وبعض الصغائر وبعض المباح)[٢].

وذهب ابن همام الذين في تعريف العدالة كما في كتابه التحرير إلى أنها: (ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، والشرط: أدناه ترك الكبائر، والإصرار على صغيرة، وما يخل بالمروءة)[٣].

ويعرف القرافي العدالة كما في كتابه شرح تنقيح الفصول أنها: (اجتناب الكبائر وبعض الصغائر والإصرار عليها، والمباحات القادحة في المروءة)[٤].

وعرفها الغزالي كما في المستصفى: (والعدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً،

---

(١) الكفاية (ص:١٠٣).

(٢) مختصر المنتهى (٢/ ٦٣).

(٣) التحرير (٣/ ٤٤).

(٤) شرح تنقيح الفصول (ص:٣٦١).

حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه، فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفاً وازعاً عن كذب، ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي، ولا يكفي أيضاً اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به كسرقة بصلة وتطفيف في حبة قصداً، وبالجملة كل ما يدل على ركاكة دينه إلى حد يستجرئ على الكذب بالأغراض الدنيوية، كيف وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة نحو الأكل في الطريق والبول في الشارع وصحبة الأراذل وإفراط المزاح وضبط ذلك فيما جاوز محل الإجماع أن يرد إلى اجتهاد الحاكم فما دل عنده على جرأته على الكذب رد الشهادة به وما لا فلا)(١).

وعرفها الحافظ ابن حجر في نزهة النظر: (المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة)(٢).

وعرفها أيضاً في الفتح بقوله: (والعدل والرضا عند الجمهور من يكون مسلماً مكلفاً حراً غير مرتكب كبيرة ولا مصر على صغيرة)(٣).

هذه تعريفات أهل العلم للعدالة في الشرع، وهي وإن تنوعت عباراتهم إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، ولا يتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي، وأن يبعد عما يخل بالمروءة، وأيضاً: لا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق.

والمراد بالفسق: ارتكاب كبيرة من كبائر الذنوب والإصرار على صغيرة من

---

(١) المستصفى (١/ ١٥٧).

(٢) نزهة النظر (ص:٢٩).

(٣) الفتح (٥/ ٢٥١- ٢٥٢).

الصغائر؛ لأن الإصرار على فعل الصغائر يصيرها من الكبائر.

والمروءة التي يعبر عنها أهل العلم: هي الآداب النفسية التي تحمل صاحبها على الوقوف عند مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

وما يخل بالمروءة يعود إلى سببين:

الأول: ارتكاب الصغائر من الذنوب التي تدل على الخسة كسرقة شيء حقير كبصلة أو تطفيف في حبة قصداً.

الثاني: فعل بعض الأشياء المباحة التي ينتج عنها ذهاب كرامة الإنسان أو هيبته وتورث الاحتقار، وذلك مثل كثرة المزاح المذموم.

ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله ﷺ، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة، وما صدر من بعضهم مما هو خلاف ذلك كالوقوع في معصية فلا تراه مصراً عليها، بل تراه منيباً إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، وذلك لا يقدح في عدالتهم، لأننا لا ندعي لهم العصمة من الزلل.

عقيدة المسلم في الصحابة رضي الله عنهم:

تعديل الله تعالى ورسوله ﷺ للصحابة رضي الله عنهم.

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على تعديل الصحابة الكرام، مما لا يبقى معها لمرتاب شك في تحقق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل إلى المصطفى ﷺ لا يكون حجة إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، وذلك عن طريق النظر في تراجمهم وأحوالهم إلا الصحابي، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[1].

---

(١) مفهوم عدالة الصحابة، لأبي عبد الله الذهبي.

ولبيان هذه المسألة نقول أولاً وقبل كل شيء: لابد لنا من بيان أن الأصل عندنا هو ثناء الله عز وجل ورسوله ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم.

فالقرآن الكريم مليء بعشرات النصوص الدالة على إيمان وفضل هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:١٤٣]. ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن معنى كلمة (وسطاً) عدولاً خياراً، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة. وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص، وقيل: إنه وارد في الصحابة دون غيرهم[1]. فالآية ناطقة بعدالة الصحابة رضي الله عنهم قبل غيرهم ممن جاء بعدهم من هذه الأمة.

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران:١١٠]. ووجه الاستدلال: أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول هم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير

(١) الكفاية للخطيب (ص:٦٤).

أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك، كما أنه يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً أي عدولاً وهم غير ذلك(١).

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾ [الأنفال: ٧٤-٧٥]. ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان، وأكده بقوله:(حقا). ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مراتب العدالة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ووجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه، بل إن الله تعالى لا يرضى إلا عن رضي؛ لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

يقول الطبرسي وهو من كبار علماء الإمامية في تفسيره لهذه الآيات: (وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين، فمنها: مفارقة العشائر والأقربين، ومنها: مباينة المألوف من الدين، ومنها: نصرة الإسلام وقلة العدد وكثرة العدو، ومنها: السبق إلى الإيمان والدعاء إليه)(٢).

---

(١) الموافقات للشاطبي (٤/ ٤٠- ٤١).

(٢) مجمع البيان للطبرسي (٥/ ٩٨).

ويقول الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: (المراد بالسابقين هم الذين أسسوا أساس الدين ورفعوا قواعده قبل أن يشيد بنيانه ويهتز راياته، صنف منهم بالإيمان واللحوق بالنبي ﷺ والصبر على الفتنة والتعذيب، والخروج من ديارهم وأموالهم بالهجرة إلى الحبشة والمدينة، وصنف بالإيمان ونصرة الرسول وإيوائه وإيواء من هاجر إليهم من المؤمنين والدفاع عن الدين قبل وقوع الوقائع)(١).

ولا شك أن الله ﷻ لا يرضى لعباده اتباع من خالف نهجه ثم يعدهم الجنات والفوز العظيم لولا أنهم تمسكوا بهدية ونالوا رضاه. فبمجموعهم ارتفع عنهم الخطأ والضلالة فكانوا القدوة وأصبحوا بذلك أولى، وأول من شملهم قول النبي ﷺ: {لا تجتمع أمتي على ضلالة أو خطأ}.

وفي رواية: {إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم}.

وفي رواية: {إن الله لا يجمع أمتي – أو قال: أمة محمد – على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار}.

وقال: {عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، ولم يجمع الله ﷻ أمتي إلا على هدى}.

وقال: {لا يجمع الله ﷻ أمر أمتي على ضلالة أبداً}.

وقال: {لن تجتمع أمتي على ضلالة أبداً}.

وقال: {إن الله تعالى قد أجار أمتي أن تجتمع على الضلالة وغيرها}(٢).

---

(١) تفسير الميزان (٩/ ٣٧٣).

(٢) انظر هذه الروايات في دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للمنتظري (٢/ ٦٦).

وفي هذا قال أمير المؤمنين علي ﷺ: «وما كان الله ليجعلهم أي المهاجرين والأنصار – وفي لفظ: ليجمعهم– على ضلالة ولا يضربهم بالعمى»(١).

ويقول ﷺ للخوارج وقد خطئوه وضللوه: «فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت فلم تضللون عامة أمة محمد ﷺ بضلالي»(٢).

وعن الصادق ﷺ وقد سأله سائل: «إن للإيمان درجات ومنازل، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم، قلت: صفه لي رحمك الله حتى أفهمه، قال: إن الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان، ثم فضلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه، لا ينقصه فيها من حقه ولا يتقدم مسبوق سابقاً ولا مفضول فاضلاً، تفاضل لذلك أوائل هذه الأمة وأواخرها، ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق إذا للحق آخر هذه الأمة أولها، نعم ولتقدموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه ولكن بدرجات الإيمان قدم الله السابقين وبالإبطاء عن الإيمان أخر الله المقصرين؛ لأنا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاة وصوماً وحجاً وزكاة وجهاداً وإنفاقاً، ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣/ ٨٩، ١٠/ ٢٨٥)، أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/ ٤٧١)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/ ٣٨٠، ٣٣/ ٧٨)، مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة للميرجهاني (٤/ ٢٧)، كتاب الأربعين للقمي (١٦٤)، الغدير للأميني (٩/ ١٥٧، ١٠/ ٢٩٨)، نهج السعادة للمحمودي (٤/ ٩٣).

(٢) نهج البلاغة (٢/ ٧)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٣/ ٣٧٣)، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد (٣٠، ٤٢٧، ٤٣٨)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٨/ ١١٢)، جواهر التاريخ لعلي الكوراني (١/ ٣٦١)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري (٦/ ٣٦٤).

لكان الآخرون بكثرة العمل مقدمين على الأولين، ولكن أبى الله ﷻ أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها، ويقدم فيها من أخر الله أو يؤخر فيها من قدم الله.

قلت (أي الراوي): أخبرني عما ندب الله ﷻ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان.

فقال: قول الله ﷻ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الحديد:٢١]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾ [الواقعة:١٠-١١]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠] فبدأ بالمهاجرين الأولين على درجة سبقهم، ثم ثنى بالأنصار ثم ثلث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كل قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده، ثم ذكر ما فضل الله ﷻ به أولياءه بعضهم على بعض، فقال ﷻ: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة:٢٥٣] - إلى آخر الآية - وقال: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ [الإسراء:٥٥] وقال: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾ [الإسراء:٢١]، وقال: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران:١٦٣] وقال: ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود:٣]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة:٢٠]، وقال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥﴾ [النساء:٩٥]، ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ [النساء:٩٦]، وقال: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد:١٠]، وقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١]،

وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة:١٢٠] وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٠] وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة:٧-٨] فهذا ذكر درجات الإيمان ومنازله عند الله عز وجل»(1).

وكذلك لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم المدنية إلا وتحدثت عن جهادهم في سبيل الله عز وجل، اقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾ [التوبة:٢٠-٢٢].

وقوله: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)﴾ [التوبة:٨٨-٨٩].

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾ [الحديد:١٠].

---

(١) الكافي للكليني (٢/ ٤١- ٤٢)، شرح أصول الكافي للمازندراني (١٢١- ١٢٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣٠٨- ٣٠٩، ٦٦/ ٨- ٩)، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين للشيرازي (٢/ ٨٨ في الهامش)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي (١/ ٥٠٣)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٢/ ٢٥٥، ٥/ ٢٠٥، ٢٤٦).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤].

وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال:١١].

وهذه الآية نزلت في غزوة بدر، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما سأله أن يدعه يضرب عنقه، قال: {وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم، فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم}[1].

وقيل: (الأمر في قوله: «اعملوا» للتكريم. وأن المراد أن كل عمل البدري لا

(١) مجمع البيان للطبرسي (٩/ ٢٧٠)، الإرشاد (٣٤)، إعلام الورى (٦٦)، بحار الأنوار للمجلسي (٢١/ ٩٤، ١٢١، ١٢٥، ٣١/ ٢٥٣)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٥/ ٣٠١)، تفسير فرات (٢/ ٤٢١)، منتهى المطلب للحلي (٢/ ٩٣٩)، دراسات في ولاية الفقيه لمنتظري (٢/ ٧٤١)، نظام الحكم في الإسلام لمنتظري (٤٣٨)، كتاب سليم بن قيس بتحقيق الأنصاري (٢٤٦، الحاشية)، الإيضاح للفضل بن شاذان (٥٠٧)، شرح الأخبار للمغربي (٢/ ٣٠١)، الإفصاح للمفيد (٤٩)، الأربعين للشيرازي (٣١٤)، مواقف الشيعة للميانجي (٢/ ٢٥٥)، نهج السعادة للمحمودي (٥/ ٢٢٠)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٤/ ١٠٠، ١٣/ ٢٨٥، ١٧/ ٢٦٧، ٢٠/ ١١)، تفسير الميزان (١٩/ ٢٣٦)، الأمثل لمكارم الشيرازي (١٨/ ٢٣٦)، أعيان الشيعة (١/ ١١٣، ١١٦)، الإستغاثة للكوفي (٢/ ١٠)، شرح إحقاق الحق للمرعشي (١٨/ ٥٧)، العقائد الإسلامية، مركز المصطفى (٣/ ٢٤٩، ٢٥١).

يؤاخذ به لهذا الوعد الصادق). وقيل: (المعنى إن أعمالهم السيئة تقع مغفورة، فكأنها لم تقع)[١].

وقال النووي رحمه الله: (قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة، وإلا فإن توجب على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا. ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد. وأقامه عمر على قدامة بن مظعون، وضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسطحاً الحد، وكان بدرياً)[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: (والله أعلم، إن هذا الخطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم. ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة. فلو كانت حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد وهذا محال)[٣].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة:٢١٤].

---

(١) معرفة الخصال المكفرة لابن حجر العسقلاني (ص:٣١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: (١٦/ ٥٦، ٥٧).

(٣) الفوائد لابن القيم (ص:١٩).

قال الطبرسي: (قيل: نزلت في المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومسَّهم الضر)[١].

وفيهم يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فجاء بفرقان من الله منزل ... مبينة آياته لذوي العقل
فآمن أقوام كرام وأيقنوا ... وأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم ... فزادهم الرحمن خبلاً على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله ... وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف قواطع ... وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل [٢]

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد:١٠]. والحسنى: الجنة. قال ذلك مجاهد وقتادة[٣]. واستدل ابن حزم من هذه الآية بالقطع بأن الصحابة جميعاً من أهل الجنة لقوله عز وجل: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد:١٠][٤].

وقد وصف الله تعالى أصحاب نبيه ﷺ بالصدق والتقوى، ووعدهم بالفلاح في مواطن كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة:١١٩].

---

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي (٢/ ٦٨).

(٢) ديوان أمير المؤمنين (١٠٧)، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (١/ ٧٥، ٢/ ٣٣١)، بحار الأنوار للمجلسي (١٩/ ٣٢١، ٤١/ ٩٤).

(٣) تفسير ابن جرير (٢٧/ ١٢٨).

(٤) الفصل (٤/ ١٤٨، ١٤٩).

ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم[(١)].

ولا تخفى منزلة من أمرنا بالاقتداء بهم، وهذا الأمر باقٍ إلى يوم القيامة، ولا يحتج هنا بأن هذا إنما كان في حال الصلاح قبل الردة كما يدعي من في قلبه مرض، فإن ذلك مقياس البشر، لا مقياس علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية في السماء والأرض وما أخفت النفوس.

وقال آخر: (وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عز وجل عليه من جهاد عدوه، وبذل أنفسهم في سبيله، ونصرة رسوله، وإعزاز دينه حيث يقول: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣])[(٢)].

ويقول المفيد وهو من كبار علماء الإمامية: (قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩]، وقد ثبت أن المنادى به غير المنادى إليه، وأن المأمور بالاتباع غير المدعو إلى اتباعه. فدل ذلك على أن المأمورين باتباع الصادقين ليسوا هم الأمة بأجمعها، وإنما هم طوائف منها، وأن المأمور باتباعه غير المأمور بالاتباع، ولا بد من تمييز الفريقين بالنص، وإلا وقع الالتباس وكان فيه تكليف ما لا يطاق)[(٣)].

ويقول عبد الله الشبر: (ليس المراد بالصادقين في الجملة، إذ ما من أحد إلا هو صادق في الجملة حتى الكافر والله سبحانه لا يأمر بالكون معه بل المراد بهم الصادقون في أيمانهم وعهودهم وقصودهم وأقوالهم وأخبارهم وأعمالهم وشرائعهم في جميع

(١) انظر – مثلاً – مجمع البيان للطبرسي (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر: كتاب الغيبة للنعماني (٦٤).

(٣) المسائل العكبرية للشيخ المفيد (٤٧).

أحوالهم وأزمانهم)[١].

وإذا تركنا كل التأويلات في تفسير الآية، وكذلك الروايات، وفسرنا القرآن بالقرآن، نجد أن الآية تنطبق بوضوح على قوله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:٨]. إذن فهؤلاء هم المعنيون بالآية.

ولعل ما يدل على ذلك، الأدعية التي وردت على لسان أئمة أهل البيت، كقول الصادق عليه السلام: (ربنا إنك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك، وأمرتنا أن نكون مع الصادقين، فقلت: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، وقلت: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩]، فسمعنا وأطعنا ربنا فثبت أقدامنا وتوفنا مسلمين مصدقين لأوليائك، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)[٢].

وكذلك ما يذكر عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان إذا تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩] يقول دعاء طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية[٣].

---

(١) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة لعبد الله شبر (ص: ١١٤).

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي (٣/ ١٤٧)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (٧/ ٤٠٢)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي (٨/ ٣٠)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (١/ ٣١٩، ٢/ ٢٨١)، تفسير كنز الدقائق للمشهدي (٢/ ٢٩)، غاية المرام لهاشم البحراني (١/ ٣٤٣)، كشف المهم في طريق خبر غدير خم لهاشم البحراني (٢١٥).

(٣) انظر: المراجعات لشرف الدين (٦٩)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١/ ٤٠)، أمان الأمة من الاختلاف للطف الله الصافي (١٨٦)، مكاتيب الرسول للأحمدي الميانجي (١/ ٥٧٣)، مجموعة الرسائل للطف الله الصافي (٢/ ٧٤)، نهج الحق وكشف الصدق للحلي (٢٢٧هـ)، نفحات الأزهار لعلي الميلاني (٢/ ٦٠).

وفيهم يقول عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

ففي هذه الآية مع غيرها من الدلائل دليل على أن الله يغيظ بالصحابة رضوان الله عليهم من ينتقص من حقهم ومنزلتهم التي أنزلهم الله.

قال الإمام مالك رحمه الله: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ [الفتح:٢٩]. ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ [الفتح:٢٩] أي فراخه، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح:٢٩] أي: شده ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ [الفتح:٢٩] أي: شب وطال، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح:٢٩] أي: فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه، فهو معهم كالشطء مع الزراع ليغيظ بهم الكفار»(١).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: (وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور)(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان،

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٤).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٠٤).

وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. قال: ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر:٨] إلى قوله: ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر:٨] فهؤلاء المهاجرون. وهذه منزلة قد مضت ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩] إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]. قال: هؤلاء الأنصار. وهذه منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر:١٠] إلى قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠] قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. يقول: أن تستغفروا لهم»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قال: «أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم»(٢).

وقال أبو نعيم رحمه الله: (فمن أسوأ حالاً ممن خالف الله ورسوله وآب بالعصيان لهما والمخالفة عليهما. ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بأن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم ويخفض لهم الجناح، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وقال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء:٢١٥].

فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم. لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين)(٣).

---

(١) الصارم المسلول (٥٧٤)، والأثر رواه الحاكم (٢/ ٣٤٨٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في كتاب التفسير- حديث [٣٠٢٢] صحيح مسلم (٤/ ٢٣١٧).

(٣) الإمامة: (ص:٣٧٥- ٣٧٦) لأبي نعيم تحقيق د. علي فقهي، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، ط١، عام ١٣٠٧ هـ.

وعن مجاهد عن ابن عباس قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون»[1].

وعلى صلة بالآية السابقة، روى الإمامية عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٦] الآية، قال: (نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٦] يعني يعرفون رسول الله ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦] لأن الله عز وجل قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد وصفة أصحابه ومهاجرته، وهو قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح:٢٩]، وهذه صفة رسول الله في التوراة وصفة أصحابه، فلما بعثه الله عز وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾ [البقرة:٨٩])[2].

نعود إلى ما كنا فيه من ذكر فضائل الصحابة من القرآن، يقول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتح: ١٨-٢٠].

---

(١) الصارم المسلوم (٥٧٤) وانظر: منهاج السنة (٢/ ١٤) والأثر رواه أحمد في الفضائل رقم (١٨٧، ١٧٤١) وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسب الحديث لابن بطة منهاج السنة (٢/ ٢٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٦٩/ ٩٢)، التفسير الصافي للفيض الكاشاني (٥/ ٤٥، ٦/ ٥٠٩)، تفسير نور الثقلين للحويزي (١/ ٩٩، ١٣٨، ٧٠٨، ٢/ ٨٤، ٥/ ٧٧)، تفسير كنز الدقائق للميرزا محمد المشهدي (١/ ٣٦٩)، تفسير الميزان للطباطبائي (١/ ٣٣٤).

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية، ووجه دلالة الآية على تعديلهم أن الله تعالى أخبر برضاه عنهم وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة، ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على طاعة الله.

يقول الطبرسي: (يعني بيعة الحديبية، وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية ورضا الله سبحانه عنهم، وإرادته تعظيمهم وإثابتهم، وهذا إخبار منه سبحانه أنه رضي عن المؤمنين إذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة)(١).

وكان عدد الصحابة رضوان الله عليهم يوم بيعة الرضوان ألفاً ومائتين، وقيل: وأربعمائة، وقيل: وخمسائة، وقيل: وثمانمائة(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أخبرنا الله عز وجل أنه رضي عنهم -عن أصحاب الشجرة- فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أحد أنه سخط عليهم بعد؟»(٣).

فالآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم، تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله. وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم، ومن هنا رضي عنهم. (ومن رضي عنه تعالى لا

---

(١) مجمع البيان للطبرسي (٥/ ١٧٦).

(٢) مجمع البيان للطبرسي (٥/ ١٦٧)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٠/ ٣٤٦، ٣٦٥، ٢٤/ ٩٣، ٣٦/ ٥٥، ١٢١)، روضة الكافي للكليني (٣٢٢)، تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني (٢/ ٥٩٥)، البرهان (٤/ ١٩٦)، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٢/ ٢٢)، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة (١٦٠)، صحيح البخاري: كتاب المغازي - باب عزوة الحديبية- حديث [٤١٥٤].

(٣) الإرشاد (١٣)، روضة الواعظين للنيسابوري (٧٥)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٨/ ٢٤٣، ٤٠/ ٥١)، تفسير فرات (٢/ ٤٢١)، كشف الغمة للإربلي (١/ ٨١)، كشف اليقين للحلي (٣٣).

يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام. فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام)(١).

ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله ﷺ: {لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها}(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: (والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا -ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً- فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح؛ فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له. فلو علم أنه يتعقب ذلك بما سخط الرب لم يكن من أهل ذلك)(٣).

وقال ابن حزم رحمه الله: (فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة)(٤).

وقال فيهم: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

قالوا فيه أقوالاً: أحدها أن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها

---

(١) الصواعق المحرقة: (ص:٣١٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة.. حديث [٢٤٩٦]. صحيح مسلم (٤/ ١٩٤٣).

(٣) الصارم المسلول: (٥٧٢، ٥٧٣). طبعة دار الكتب العلمية. تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد).

(٤) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٤٨).

الحق في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر:٦٩] وقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١] وقيل: الأشهاد أربعة: الملائكة والأنبياء وأمة محمد ﷺ والجوارح، والثاني أن المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين، ويكون الرسول شهيداً مؤدياً إليكم. والثالث: إنهم يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين لهم بأن قد بلغوا، وجاز ذلك لإعلام النبي ﷺ إياهم بذلك ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: شاهداً عليكم بما يكون من أعمالكم، وقيل: حجة عليكم، وقيل: شهيداً لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران:١١٠] قيل: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة، وقيل: هو خطاب للصحابة، ولكنه يعم سائر الأمة(١).

وعلى أي حال، لا يسعنا هنا حصر جميع الآيات الدالة على فضائل الصحابة خشية خروجنا عما التزمنا به من الإيجاز، لذا فإننا نختم هذا بإيراد التالي، ففيما أوردناه آنفاً غنىً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

يقول الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:٨-١٠].

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي (١/ ٤١٨)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٤٤٢، ٢٣/ ٣٣٤)، التبيان للطوسي (٢/ (٧)، مجلة تراثنا لمؤسسة آل البيت (١١/ ٢٨).

وآيات الثناء في الصحابة رضي الله عنهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: {لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي}[(١)].

وقال فيهم كما يروي الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام: «أنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها ما دام فيكم من قد رآني»[(٢)].

وهذه الآيات كثيرة لا يمكن حصرها.

ولا بأس أن ننقل بعض الروايات من طرق الإمامية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

روى الإمامية أن نفراً من أهل العراق وفدوا على الإمام زين العابدين رحمه الله، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: «ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:٨]؟ قالوا: لا. قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر:٩] قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

(١) الغدير للأميني (١٠/ ٢٧٠)، العقائد الإسلامية مركز المصطفى (٣/ ٢٥٥).

(٢) سيأتي تخريج هذه الرواية.

﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم»[1].

ولم يزل وهو يرى نفسه من الفريق الثالث يدعو الله لهم بالمغفرة، يقول في أحد أدعيته: «اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له، حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠] خير جزائك الذين قصدوا سمتهم، وتحروا وجهتهم في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام لهم يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم»[2].

---

(١) كشف الغمة للإربلي (٢/ ٢٩١)، الفصول المهمة لابن الصباغ (٢/ ٨٦٤)، الصوارم المهرقة لنور الله التستري (٢٤٩)، الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية (٢٩٣)، الإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي مهران (٣/ ٣٩).

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة – الإمام زين العابدين (ع) (٣٩)، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع) للسدي علي خان المدني الشيرازي (٢/ ٨١)، الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية (٢٩٣)، رسائل ومقالات لجعفر السبحاني (٤٧، ٤٢٧)، مجلة تراثنا لمؤسسة آل البيت (٤٧/ ٤٨).

ولا عجب في أن ينتهج الإمام السجاد عليه السلام نهج جده أمير المؤمنين عليه السلام في بيان فضائلهم لأهل العراق.

فعن الباقر عليه السلام قال: «صلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى. ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربهم سجداً وقياماً، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم، ويسألونه فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع ذلك وهم جميع مشفقون منه خائفون»(١).

وعن زين العابدين عليه السلام قال: «صلى أمير المؤمنين الفجر ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح، وأقبل على الناس بوجهه، فقال: والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربهم سجداً وقياماً، يخالفون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر»(٢).

---

(١) الكافي للكليني (٢/ ٢٣٦)، شرح أصول الكافي للمازندراني (٩/ ١٦٦)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١/ ٦٥)، الإرشاد للمفيد (١/ ٢٣٧)، الأمالي للطوسي (١٠٢)، حلية الأبرار لهاشم البحراني (٢/ ١٨٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣٠٦، ٦٤/ ٣٠٢، ٦٦/ ٣٠٣)، وقال في بيانه: جميع، أي، مجتمعون على الحق لم يتفرقوا كتفرقكم. جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١/ ٤٠٨)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (٦/ ١٧٤)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي (٦/ ٥، ٨٥)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٥/ ١٤١)، منتقى الجمان لحسن صاحب المعالم (٢/ ٣٤٤)، أعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي (١١١)، جامع السعادات لمحمد مهدي النراقي (١/ ٢٠٩).

(٢) الكافي للكليني (٢/ ٢٣٦)، شرح أصول الكافي للمازندراني (٩/ ١٦٦، ١٦٦)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١/ ٦٥، ٨٧)، الإرشاد للمفيد (١/ ٢٣٧)، الأمالي للطوسي (١٠٢)، حلية الأبرار للبحراني (٢/ ١٨٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣٠٦، ٦٤/ ٣٠٢، ٦٦/ ٣٠٣)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١/ ٤٠٨)، مستدرك سفينة البحار للشاهرودي (٦/ ١٧٤)، موسوعة أحاديث أهل البيت

وكان عليه السلام يقول لمعاوية: «أما بعد: فإن لله عباداً آمنوا بالتنزيل، وعرفوا التأويل، وفقهوا في الدين، وبيّن الله فضلهم في القرآن الكريم، وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فكنتم فيمن دخل هذا الدين إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وفاز المهاجرون والأنصار بفضلهم، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولى به فيجور ويظلم»[(١)].

وقال عليه السلام مادحاً لهم ومعاتباً أصحابه بعد أن تخاذلوا عنه: «أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه. وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها. وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً. بعض هلك وبعض نجا. لا يبشرون بالأحياء، ولا يعزون عن الموتى. مره العيون من البكاء. خمص البطون من الصيام. ذبل الشفاه من الدعاء. صفر الألوان من السهر. على وجوههم غبرة الخاشعين. أولئك إخواني الذاهبون. فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم»[(٢)].

(ع) لهادي النجفي (٥، ٨٥)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٥/ ١٤١)، منتقى الجمان للشيخ حسن صاحب المعالم (٢/ ٣٤٤)، أعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي (١١١)، جامع السعادات للنراقي (١/ ٢٠٩)، النظرات حول الإعداد الروحي لحسن معن (٨٧).

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/ ٤٢٩، ٣٣/ ٧٤ الحاشية)، مصباح البلاغة للميرجهاني (٤/ ٢٥)، نهج السعادة للمحمودي (٤/ ٢١٨ الحاشية).

(٢) نهج البلاغة (١/ ٢٣٤)، الاختصاص للمفيد (١٥٦)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٣/ ٣٦٢، ٤٠/ ١١٢، ٦٦/ ٣٠٨)، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع) للشيرازي (٢/ ١٠٨)، فهارس رياض السالكين للمظفر، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد (٤١٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣/ ٢١٠، ٢٩١)، جواهر التاريخ لعلي الكوراني (١/ ٣٤١)، سنن الإمام علي (ع) لجنة الحديث معهد باقر العلوم (ع، ١٨٦)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب

وقال رضي الله عنه: «لقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا. ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبرا على مضض الألم وجداً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين. يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا. ومرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه. ومتبوئاً أوطانه. ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود. ولا أخضر للإيمان عود. وأيم الله لتحتلبنها دماً ولتتبعنها ندماً»(١).

وقال رضي الله عنه: «فما سمعت بأحد ولا رأيته هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لنبيه في طاعة ربه ولا أصبر على اللاواء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي ﷺ من هؤلاء النفر الذين سميت لك، وفي المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم»(٢).

ولم يكن رضي الله عنه يفرق بين أصحاب محمد ﷺ، كما يفعل من يدعي موالاته والسير على نهجه. فعن أبي عمرو الكندي قال: «كنا ذات يوم عند علي عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك، قال: عن أي أصحابي؟ قالوا: عن أصحاب

والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري (٦/ ٢٢٩، ٧/ ١٨٨)، نفس الرحمن في فضائل سلمان للنوري الطبرسي (١٦٩).

(١) نهج البلاغة (١/ ١٠٤)، مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة للميرجهاني (٢/ ٢٦٧)، الغارات لإبراهيم الثقفي (٢/ ٣٧٣ الحاشية)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/ ٥٤٩)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي (٢/ ١٦٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣٣/ ١١٢)، مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة للميرجهاني (٤/ ٣٢)، نهج السعادة للمحمودي (٤/ ١٨٠)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري (٦/ ٢٥).

محمد ﷺ. قال: كل أصحاب محمد أصحابي»(١).

وقال فيهم الإمام الصادق عليه السلام: «كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً.. ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم ير فيهم قدري ولا مرجيء ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار، ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير»(٢).

ومن وصايا الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا تدع اليقين بالشك والمكشوف بالخفي، ولا تحكم ما لم تره بما تروى، قد عظَّم الله أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك المؤمنين فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد زور وبهتان في أصحاب رسول الله ﷺ. قال الله عز وجل: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥] وما دمت تجد إلى تحسين القول والفعل غيبتك وحضرتك سبيلاً فلا تتخذ غيره. قال الله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، واعلم أن الله تعالى اختار لنبيه أصحابه طائفة أكرمهم بأجل الكرامة وحلاهم بحلية التأييد والنصر والاستقامة لصحبته على المحبوب والمكروه، وأنطق لسان نبيه محمد ﷺ بفضائلهم ومناقبهم وكراماتهم واعتقد محبتهم واذكر فضلهم، واحذر مجالسة أهل البدع فإنها تنبت في القلب كفراً وضلالاً مبيناً وإن اشتبه عليك فضيلة بعضهم فكلهم إلى عالم الغيب وقل: اللهم إني محب لمن أحببته ورسولك ومبغض لمن أبغضته أنت ورسولك»(٣).

---

(١) الغارات للثقفي (١/ ١٧٧)، نفس الرحمن في فضائل سلمان للنوري الطبرسي (٢١٠).

(٢) الخصال للصدوق (٦٤٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣٠٥)، حدائق الأنس (٢٠٠) مستدرك سفينة البحار للشاهرودي (٦/ ١٧٣)، خاتمة المستدرك للنوري الطبرسي (٢/ ٢١٢).

(٣) مصباح الشريعة (٦٧)، خاتمة المستدرك للنوري الطبرسي (١/ ٢٠٩ الهامش)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٣/ ٥٨٢)، ميزان الحكمة: (٣/ ٢٣٣٠).

وعن الباقر رحمه الله قال: «أن أصحاب النبي ﷺ سألوه: هل يخاف عليهم النفاق؟ فقال: كلا... ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا، ثم يستغفروا الله فيغفر الله لهم»[(١)].

وإذا قارنت هذه الروايات بقوله سبحانه عن المهاجرين والأنصار: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠] علمت أن الله عز وجل لما وعدهم بالجنات والخلود فيها دل ذلك على أنهم يموتون على الإيمان والهدى، ولا ينافي هذا وقوع المعاصي منهم فهم غير معصومين، ووعد الله حقٌّ لا خلف فيه، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان. ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان)[(٢)].

ومن أقوال الإمام الصادق رحمه الله: (كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يضع حصاة في فمه، فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها، وإن كثيراً من الصحابة كانوا يتنفسون تنفس الغرقى، ويتكلمون شبه المرضى)[(٣)].

لذا صلح أمرهم، كما قال علي رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: (إن صلاح أول هذه

---

(١) الكافي للكليني (٢/ ٤٢٤)، تحف العقول لابن شعبة الحراني (٣٨)، شرح أصول الكافي للمازندراني (١٠/ ١٤٨)، بحار الأنوار للمجلسي (٦/ ٤٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٦٧/ ٥٧)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي (٩/ ١٨٢)، ميزان الحكمة للريشهري (٢/ ١١٧٣)، تفسير العياشي (١/ ١٠٩).

(٢) (الصارم المسلول: ٥٧٢).

(٣) مصباح الشريعة (٢٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٦٨/ ٢٨٤، ٧١/ ٢٨٤)، مستدرك الوسائل للحر العاملي (٩/ ٢١)، جامع السعادات للنراقي (٢/ ٢٦٧).

الأمة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشح والأمل)[١].

وكان من عظمة هذا الجيل المثالي، أن نهى رسول الله ﷺ من يأتي من بعده أن يذكرهم بسوء أو ينتقصهم، وكأنَّ الله عزّ وجلّ أطلعه على الغيب ليرى ما سيؤول إليه الأمر، فقال: {إذا ذكر أصحابي فأمسكوا}[٢].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: {من سب نبياً قتل، ومن سب أصحابي جلد}. وفي رواية عنه أيضاً عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ: {من سب نبياً قتل، ومن سب صاحب نبي جلد}[٣].

وعن الصادق، عن آبائه، عن علي رضي الله عنه قال: «أوصيكم بأصحاب نبيكم، لا تسبوهم وهم الذين لم يحدثوا بعده ولم يؤووا محدثاً، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم». وفي رواية: «الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً، فإن رسول

(١) أمالي الصدوق (١٨٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٦٧/ ١٧٣، ٣١١، ٧٠/ ١٧٣، ٣١١، ٧٣/ ١٦٤، ٣٠٠)، الخصال للصدوق (٧٩)، روضة الواعظين للنيسابوري (٤٣٣)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٢/ ٤٣٨، ١٦/ ١٦، ٢/ ٦٥١، ١١/ ٣١٥)، الزهد للكوفي، مقدمة التحقيق (٣)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١٤/ ٤١، ١٤١)، موسوعة أحاديث الشيعة لهادي النجفي (١/ ٤٤٣، ٥/ ٢٩٧، ١٢/ ٣٣٢)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٣/ ٣).

(٢) نور الثقلين (٤/ ٤٠٧)، بحار الأنوار للمجلسي (٥٥/ ٢٧٦، ٥٨/ ٢٧٦)، خلاصة عقبات الأنوار لحامد النقوي (٣/ ١٨٢)، نفحات الأزهار للميلاني (٣/ ١٧٠).

(٣) صحيفة الرضا (ع)، مؤسسة الإمام المهدي (ع) (٢٩٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٧٦/ ٢٢٢ الهامش)، قاموس الرجال للتستري (٩/ ٥١٢)، معارج اليقين في أصول الدين للسبزواري (٤٥٦، ٤٥٦)، جواهر الكلام للجواهري (٤١/ ٤٣٧)، در المنضود للگلپايگاني (٢/ ٢٥٧)، فقه الصادق (ع) لمحمد صادق الروحاني (٢٥/ ٤٧٦ الهامش)، مسند زيد بن علي (٤٦٤، ٤٩٥)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٨/ ٢١٣)، مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي (١٨/ ١٧٢)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (٢٥/ ٤٩٥، ٢٦/ ٧٣)، حياة الإمام الرضا (ع) لباقر شريف القرشي (١/ ٢٤٨).

الله ﷺ أوصى بهم»[(١)].

ولا يسعف من أراد حمل أمثال هذه الأقوال على من لم يحدث بعده، فإن علياً رضي الله عنه وهو راوي الحديث لم ير ذلك في أهل الشام الذين رأوا الخروج عليه، حيث قال فيهم كما ورد في كتب الإمامية عن جعفر، عن أبيه: أن علياً عليه السلام كان يقول لأهل حربه: «إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنا على حق، ورأوا أنهم على حق»[(٢)].

وعن جعفر رحمه الله أيضاً، عن أبيه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنه كان يقول: هم إخواننا بغوا علينا»[(٣)].

وعن مروان بن الحكم قال: «لما هزمنا علي بالبصرة، رد على الناس أموالهم، من أقام بينة أعطاه، ومن لم يقم بينة أحلفه، قال: فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، أقسم الفئ بيننا والسبي، قال: فلما أكثروا عليه، قال: أيكم يأخذ أم المؤمنين في سهمه، فكفوا»[(٤)].

---

(١) أمالي الطوسي (٣٣٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣٠٦)، مستدرك سفينة البحار للشاهرودي (٦/ ١٧٤)، من لا يحضره الفقيه للصدوق (٤/ ١٩١)، تهذيب الأحكام للطوسي (٩/ ١٧٧)، مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة للميرجهاني (٣/ ٤١)، كتاب سليم بن قيس (٤٤٦)، مقاتل الطالبيين للأصفهاني (٢٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦/ ١٢٠)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٥/ ٧٩)، أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/ ٥٣٣).

(٢) قرب الإسناد للحميري القمي (٩٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/ ٣٢٤)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١٣/ ٩٣).

(٣) قرب الاسناد للحميري القمي (٩٤)، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للمنتظري (٢/ ٨٠٦)، نظام الحكم في الإسلام للمنتظري (٤٠٩)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١٥/ ٨٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/ ٣٢٤)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١٣/ ٩٣).

(٤) السرائر لابن إدريس الحلي (٢/ ١٨)، تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي (٩/ ٤٢٥)، مختلف الشيعة للعلامة الحلي (٤/ ٤٥٣)، جواهر الكلام للجواهري (٢١/ ٣٣٦)، قرب الإسناد للحميري القمي (١٣٢)، علل الشرائع للصدوق (٢/ ٦٠٣)، تهذيب الأحكام للطوسي (٦/ ١٥٥)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١٥/ ٧٨)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٣/ ٤٤١)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١٣/ ١٠٢).

وقـال ﷺ : «إن ربنـا واحـد، ونبينـا واحـد، ودعوتنـا في الإسـلام واحـدة، لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق لرسوله ﷺ ولا يستزيدونا، الأمر واحدٌ إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»(١).

وكيف لا يكون بريء من دم عثمان وهو كما ذكر المسعودي وهو من مؤرخي الشيعة أنه لما بلغه أنهم يريدون قتله - أي عثمان - بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم... فصدُّوهم عن الدار، واشتبك القوم، وجُرح الحسن، وشُجَّ قنبر،.. ولما بلغه مقتل عثمان دخل عليّ الدار، وهو كالواله الحزين، وقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب. ولَطَم الحسن وضرب صدر الحسين(٢).

بل وقد حضر هو بنفسه مراراً وطرد الناس عنه(٣). وانعزل عنه بعد أن دافع عنه طويلاً بيده ولسانه. بعد أن قال عثمان: «أعزم عليكم لما رجعتم فدفعتم أسلحتكم، ولزمتم بيوتكم».

وكان يقول ﷺ : «والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً»(٤).

---

(١) نهج البلاغة (١١٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٣/ ٣٠٧)، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد (٤٠٩)، شرح نهج البلاغةن لابن أبي الحديد (١٧/ ١٤١)، الانتصار للعاملي (٩/ ١٤٢).

(٢) مروج الذهب للمسعودي (١/ ٤٤١)، الغدير للأميني (٩/ ٢٣٧)، رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ للطيف القزويني (١٠٧).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٠/ ٢٥٦).

(٤) نهج البلاغة (٢/ ٢٣٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٣١/ ٢٦٨ الهامش، ٤٧٣)، الغدير للأميني (٨/ ٣٨١، ٩/ ٦٩)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٣/ ٢٩٦) وقال في شرحه: (ويحتمل أنه يريد: لقد دفعت عنه حتى كدت أن ألقي نفسي في الهلكة، وأن يقتلني الناس الذين ثاروا به، فخفت الإثم في تغريري بنفسي وتوريطها في تلك الورطة العظيمة. ويحتمل أنه يريد: لقد جاهدت الناس دونه ودفعتهم عنه، حتى خشيت أن أكون آثماً بما نلت منهم من الضرب بالسوط، والدفع باليد، والإعانة بالقول. أي

وكان أثناء الحصار يبعث إليه بالماء مع ابنه الحسن رضي الله عنهم أجمعين[(١)].

ثم أن هذا المسلك هو قول الخوارج في علي حيث حملوا روايات المدح فيه على حاله قبل كفره بزعمهم. فتدبر.

وكان أهل البيت رضي الله عنهم يوصون بالتمسك بهدي الصحابة رضي الله عنهم اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي حث من سيأتي بعدهم بالتمسك بكتاب الله عز وجل وسنته صلى الله عليه وآله وسلم وهديهم رضي الله عنهم، ويؤكد أن ظهور هذا الدين إنما بمن بقي منهم رضي الله عنهم.

فعن الصادق رحمه الله قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل به لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها أخذ اهتدى، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة)[(٢)].

وعن الكاظم عن آبائه رحمهم الله: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا قبض أصحابي دنا من

فعلت من ذلك أكثر مما يحب). أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/ ٤٤٣)، جواهر التاريخ للكوراني (١/ ١٩١)، حياة أمير المؤمنين (ع) عن لسانه لمحمد محمديان (٣/ ٣٥١، ٣٥٩)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري (٣/ ٢٦١، ٢٦٤)، موسوعة شهادة المعصومين (ع) للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع، ١/ ٣٢٣).

(١) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري الشيعي (١٦٨)، مدينة المعاجز لهاشم البحراني (٣/ ٢٣٥)، الدر النظيم لابن حاتم العاملي (٥٠٣)، موسوعة كلمات الإمام الحسن (ع) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع، ٥١).

(٢) معاني الأخبار للصدوق (٥٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٢/ ٢٢٠، ٢٢/ ٣٠٧)، الاحتجاج للطبرسي (٢/ ٢٥٩).

أمتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها ما دام فيكم من قد رآني)[1].

وكذلك كان شأن أئمة آل البيت ﭫ، فقد كانوا يحثون غيرهم على العمل بسيرتهم. فهذا الحسن ﭬ اشترط في صلحه مع معاوية أن يعمل بسيرة الشيخين حيث قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين - وفي رواية – الصالحين).

وعن علي بن أبي حمزة قال: (دخلت على أبي عبد الله ﵇ فقال له أبو بصير: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال:.. كان أصحاب محمد ﷺ يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل)[2].

وروايات حث الأئمة رحمهم الله على اتباع هدي الصحابة ﭫ كثيرة.

وكان ﷺ يقول: {لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر}[3].

وعن أنس ﭬ قال: {كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام

---

(١) نوادر الراوندي (٢٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣٠٩)، خلاصة عقبات الأنوار (١/ ٨٠، ٣/ ١٦٨)، دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف (٧٨)، إحقاق الحق للتستري (٢٦٧)، نفحات الأزهار للميلاني (١/ ٨٠، ٣/ ١٥٧، ١٢/ ٦٨).

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي (٦/ ٢١٥)، الكافي للكليني (٢/ ٦١٧)، شرح أصول الكافي للمازندراني (١١/ ٥٣)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١٥/ ٥٢)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي، / ٤/ ٢٧٣، ٩/ ١١٣)، التفسير الصافي (١/ ٧٠).

(٣) مكارم الأخلاق للطبرسي (٢١)، بحار الأنوار للمجلسي (١٦/ ٢٣٦)، سنن النبي للطباطبائي (١٢٨)، موسوعة أحاديث أهل البيت (١/ ١٣٨)، الأمثل لمكارم الشيرازي (١٨/ ٥٣٧).

سأل عنه، فإن كان غائباً دعا لـه، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده}[(١)].

وكـان يقـول ﷺ: {لا عـيش إلا عـيش الآخـرة، اللهـم ارحـم الأنـصار والمهاجرة}.[(٢)]

وكان يقول ﷺ فيهم: {المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة}[(٣)].

ولم يقتصر بيانه ﷺ لفضائلهم في حياته -كما يزعم البعض- من أن ذلك إنما هو في حال صلاحهم، بل بين فضلهم في حال وفاته، وذلك باستغفاره لما قد يبدر منهم من ذنوب، فعن الباقر رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: {إن مقامي بين أظهركم خيرٌ لكم، وإن مفارقتي إياكم خيرٌ لكم، أما مقامي فلقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]، أما مفارقتي لأن أعمالكم تعرض علي كل اثنين وخميس، فما كان حسناً حمدت الله تعالى عليه، وما كان سيئاً استغفرت لكم}[(٤)].

---

(١) مكارم الأخلاق (١٧)، بحار الأنوار للمجلسي (١٦/ ٢٣٣)، دراسات في ولاية الفقيه (٢/ ٧٩٢)، منية المريد للشهيد الثاني (١٩٥، الحاشية)، سنن النبي للطباطبائي (١٢٢)، موسوعة أحاديث أهل البيت (١/ ١٣٩)، ميزان الحكمة للريشهري (١/ ٥٠، ٤/ ٣٢٢٤)، تفسير الميزان (٦/ ٣١٤).

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (١/ ١٨٥)، بحار الأنوار للمجلسي (١٩/ ١٢٤، ٢٠/ ٢١٨، ٢٣٨، ٢٢/ ٣٥٤)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٤/ ٢٤٤)، القمي (٢/ ١٥٣)، الخرائج والجرائح للراوندي (٣/ ١٠٤٨)، خلاصة عقبات الأنوار (٣/ ٥٢)، مستدرك سفينة البحار للشاهرودي (٥/ ٤٤٧، ٦/ ١٧٩)، تفسير تفسير الصافي للكاشاني (٤/ ١٧١، ٦/ ٢١)، تفسير الميزان (١٥/ ٦)، الصحيح من سيرة النبي لجعفر مرتضى (٤/ ٢١٩، ٩/ ١٠٨، ١١٤، ١١٧).

(٣) الأمالي للطوسي (٢٦٨)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣١١)، النصائح الكافية لمحمد بن عقيل (١٤٠)، جواهر التاريخ لعلي الكوراني (٢/ ١٦، ٩٦).

(٤) البصائر للصفار (٤٦٤)، تفسير العياشي (٢/ ٥٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٣/ ٣٣٨)، أمالي الطوسي (٤٠٨)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٢/ ١٥٣)، تفسير البرهان (٢/ ٧٩)، تفسير الصافي

وفي رواية عن الصادق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، فأما حياتي فإن الله هداكم بي من الضلالة، وأنقذكم من شفا حفرة من النار، وأما مماتي فإن أعمالكم تعرض علي، فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم}(١).

وجعل ثبات المؤمنين على الصراط بسبب شدة حبهم لأصحابه ﷺ، فعن الباقر، عن آبائه رحمهم الله، قال: قال رسول الله ﷺ: {أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي}(٢).

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه أجمع ما كانوا فقال: {يا أصحاب محمد لقد رأيت الليلة منازلكم في الجنة وقرب منازلكم من منزلي}(٣).

وقد كان الأصحاب من مهاجرين وأنصار وكذا أهل البيت ﷺ أجمعين يختصمون لا في حب رسول الله ﷺ لهم فحسب، فإن ذلك من المسلمات، ولكن في أيهم أولى بذلك الحب، وأيهم أحب إليه، فعن كعب بن عجرة، أن المهاجرين والأنصار وبني هاشم اختصموا في رسول الله ﷺ أينا أولى به وأحب إليه؟ فقال

(٢/ ٣٠٠)، تفسير القمي (١/ ٢٧٦)، معاني الأخبار للصدوق (١١٣)، وسائل الشيعة (آل البيت) (١٦/ ١١١)، وسائل الشيعة (الإسلامية) (١١/ ٣٨٩)، ينابيع المعاجز للبحراني (١٠٦)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١٣/ ٣٠٣).

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٥٥٠، ٢٧/ ٢٩٩، ١٠٨/ ٣٩٨)، درر الأخبار لخسروشاهي (١٩٦).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٢٧/ ١٣٣)، الغدير للأميني (٢/ ٣١٢)، شرح إحقاق الحق للمرعشي (٢٤/ ٤٢١٧، الحاشية (٢٦/ ٢٢٣) (٣٣/ ١١٩).

(٣) شرح إحقاق الحق للتستري (٦/ ١٨٧، ٢٢٣/ ٢٠٥)، المسترشد للطبري الشيعي (٣٥٣، الحاشية)، أهمية الحديث عند الشيعة للعراقي (١٦٨).

رسول الله ﷺ: {أما أنتم يا معشر الأنصار فإنما أنا أخوكم، فقالوا: الله أكبر! ذهبنا به ورب الكعبة، وأما أنتم يا معشر المهاجرين فإنما أنا منكم، فقالوا: الله أكبر! ذهبنا به ورب الكعبة، وأما أنتم يا بني هاشم فأنتم مني وإلي، فقمنا وكلنا راضٍ مغتبط برسول الله ﷺ}[١].

وعلى ذكر الأنصار، روى الإمامية عن الصادق رحمه الله أنه قال: (ما سلت السيوف ولا أقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جهر بأذان ولا أنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ حتى أسلم أبناء القيلة: الأوس والخزرج)[٢].

وقال رسول الله ﷺ: {اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار. يا معشر الأنصار! أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم، وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله؟ قالوا: بلى رضينا، قال النبي ﷺ حينئذٍ: الأنصار كرشي وعيبتي، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم اغفر للأنصار}[٣].

وزاد الطبرسي رحمه الله بعد قوله: (لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار)[٤].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣١٢)، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب (٣/ ١١٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣١٢)، نفسير نور الثقلين (٥/ ٨٠)، تفسير مجمع البيان للطبرسي (٩/ ٢١٧)، تفسير الميزان (١٨/ ٣١٧).

(٣) الإرشاد (٧٥)، إعلام الورى (١٢٦)، بحار الأنوار للمجلسي (٢١/ ١٥٩، ١٧٢)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (١٠/ ٧٠)، أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/ ٢٨١)، كشف الغمة للإربلي (١/ ٢٢٤)، الاحتجاج للطبرسي (١/ ٩٠، ٢١١)، شجرة طوبى للحائري/ ٢/ ٣١١)، تفسير كنز الدقائق للمشهداني (٢/ ٢٠٨، الحاشية)

(٤) مجمع البيان للطبرسي (٥/ ١٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٢١/ ١٦٢، ٢٢/ ١٣٧)، التفسير الكاشف (٧/ ٢٩٠)، تفسير الميزان للطباطبائي (٩/ ٢٣٣)، الأعلام من الصحابة والتابعين للحاج حسين الشاكري (١١/ ٢٥).

قال الصادق ﷺ: «جاءت فخذ من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فرد ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، لنا إليك حاجة. فقال: هاتوا حاجتكم، قالوا: إنها عظيمة، فقال: هاتوها ما هي؟ قالوا: أن تضمن لنا على ربك الجنة. قال: فنكس رسول الله ﷺ رأسه ثم نكت في الأرض ثم رفع رأسه، فقال: أفعل ذلك بكم على أن لا تسألوا أحداً شيئاً، قال: فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لإنسان: ناولنيه، فراراً من المسألة، فينزل فيأخذه، ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه، فلا يقول: ناولنيه حتى يقوم فيشرب»(١).

وقال لامرأة أنصارية وهبت نفسها له ﷺ: «رحمك الله ورحمكم يا معشر الأنصار، نصرني رجالكم، ورغبت في نساؤكم»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه، فقالوا: يا رسول الله، هذه الأنصار في المسجد تبكي رجالها ونساؤها عليك، فقال: وما يبكيهم؟ قالوا: يخافون أن تموت، فقال: أعطوني أيديكم، فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال فيما قاله: أوصيكم بهذا الحي من

---

(١) الكافي للكليني (٤/ ٢١)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ١٢٩)، أمالي الطوسي (٦٧٥)، منتهى المطلب للحلي (١/ ٥٤٤)، من لا يحضره الفقيه للصدوق (٢/ ٧١)، وسائل الشيعة (آل البيت) (٩/ ٤٤٠)، وسائل الشيعة (الإسلامية) (٦/ ٣٠٧)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (٨/ ٤٥٠)، موسوعة أحاديث أهل البيت (٨/ ٣٤٠).

(٢) تفسير القمي (٢/ ١٦٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ١٩٦، ٢١١)، الكافي للكليني (٤/ ٧٩)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٤/ ٢٩٢، ٢٩٣)، تفسير الصافي (٤/ ١٩٦)، مسالك الأفهام للشهيد الثاني (٧/ ٧٠)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (٢٠/ ١٣٠)، التفسير الصافي (٤/ ١٩٦، ٦/ ٥٦)، تفسير الميزان (١٦/ ٣٤٢).

الأنصار، فقد عرفتم بلاءهم عند الله عز وجل وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسعوا في الديار، ويشاطروا الثمار، ويؤثروا وبهم الخصاصة؟ فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار، وليتجاوز عن مسيئهم، وكان آخر مجلس جلسه حتى لقى الله عز وجل»(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: {ألا وإن الأنصار ترسي، فاعفوا عن مسيئهم وأعينوا محسنهم}(٢).

وعن الكاظم عليه السلام قال: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة دعا الأنصار، وقال: يا معشر الأنصار، قد حان الفراق، وقد دعيت وأنا مجيب الداعي، وقد جاورتم فأحسنتم الجوار، ونصرتم فأحسنتم النصرة، وواسيتم في الأموال، ووسعتم في المسلمين، وبذلتم لله مهج النفوس، والله يجزيكم بما فعلتم الجزاء الأوفى»(٣).

وقال علي رضي الله عنه في مدحهم: «هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بأيديهم السياط وألسنتهم السلاط»(٤).

وعنه رضي الله عنه قال: «أما بعد.. أيها الناس! فوالله لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلا قبيلتين صغير مولدهما وما هما بأقدم العرب ميلاداً ولا بأكثرهم عدداً، فلما آووا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ونصروا الله ودينه رمتهم

---

(١) أمالي المفيد (٢٨)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٤٧٥، ٢٨/ ١٧٧)، غاية المرام للبحراني (٢/ ٣٦٦).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣١٢، ٢٣/ ١٤٦)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (١٠/ ٧٠).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٤٧٦)، موسوعة شهداء المعصومين (١/ ٦٧)، غاية المرام للبحراني (٢/ ١١٩، ٣٤٩)، مجمع النورين (٣٥٠).

(٤) نهج البلاغة (٤/ ١٠٦)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣١٢)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢٠/ ١٨٤).

العرب عن قوس واحدة وتحالفت عليهم اليهود وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة فتجردوا لنصرة دين الله وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزن والسهل وأقاموا قناة الدين، وتصبروا تحت أحلاس الجلاد حتى دانت لرسول الله ﷺ العرب ورأى فيهم قرة العين قبل أن يقبضه الله إليه»(١).

وأي شيء أعظم من أن يقيهم ﷺ بقرة عينه وهم أهل بيته ، حيث قال أمير المؤمنين : «وكان رسول الله ﷺ إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة»(٢).

وليس بعزيز على الله بعد كل هذا أن يجعلهم أئمة ويجعلهم وارثين وأن يستخلفهم في الأرض، كما قال في محكم كتابه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

فالله عز وجل وعد في هذه الآيات المؤمنين بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن العظيم من الأعداء، ولا بد من وقوع ما وعد به ضرورةً، لامتناع الخلف في وعده تعالى،

---

(١) الغارات للثقفي (٢/ ٤٧٩ الهامش)، الأمالي للطوسي (١٧٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٤/ ٥٦)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/ ٨٩)، تفسير مجمع البيان للطبرسي (٧/ ٢٦٦)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري (٧/ ١٢٣).

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع، ٣/ ٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٣/ ١١٥)، سنن النبي ص للطباطبائي (١٣٩)، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد (١٠٦، ٣٩٨)، ميزان الحكمة لمحمد الريشهري (٤/ ٣٢٣٠)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٤/ ٤٧)، حياة أمير المؤمنين (ع) عن لسانه لمحمد محمديان (١/ ١١٤)، معجم المحاسن والمساوئ لأبي طالب التجليل التبريزي (١٩٥).

ووقع ذلك في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا حاضرين وقت نزول هذه الآيات، كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

ومن هذه البشارات ما كان يوم حفر الخندق، عندما اعترضت المسلمين صخرة فاستعصت عليهم، فأتى النبي ﷺ وأخذ المعول وضرب به ضربة فلمعت منها برقة كأنها مصباح في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، فكبر المسلمون، ثم ضرب ضربة أخرى، فلمعت برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقال ﷺ عن الأولى: {أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الضربة الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم، فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا، فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر}. فقال المنافقون: ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويعلمكم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق -أي: الخوف- ولا تستطيعون أن تبرزوا؟ فنزل القرآن: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢](١).

ومنها: قوله ﷺ: {إنكم ستفتحون مصر، فإذا فتحتموها فاستوصوا بالقبط خيراً، كان لهم رحم وذمة. يعني: أن أم إبراهيم منهم، أي: مارية القبطية}(٢).

وفي رواية: {الله الله في القبط، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة

---

(١) انظر: مجمع البيان للطبرسي (٢/ ٢٧٠)، بحار الأنوار للمجلسي (١٧/ ١٦٩- ١٧١)، نفس الرحمن في فضائل سلمان للنوري الطبرسي (١٤٨)، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (٩/ ١٤٠).

(٢) مناقب آل أبي طالب (١/ ١٠٩)، بحار الأنوار للمجلسي (١٨/ ١٣١)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (٨/ ٣٩١).

وأعواناً في سبيل الله}[١].

ومن البشارات التي تدل على عدالة الصحابة وإيمانهم، قوله ﷺ: {إن ابني هذا -يعني: الحسن بن علي رضي الله عنهما- سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين}، وكان كما قال ﷺ)[٢].

ومنها: قوله ﷺ: {يقتل بهذه الحَرة خيار أمتي بعد أصحابي}.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (قتل يوم الحرة سبع مائة رجل من حملة القرآن، فيهم ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ)[٣].

وسرد كل ما ورد في الباب يطول. وفيما ذكرناه كفاية لمعرفة أن الأصل هو ثناء الله عز وجل ورسوله صلى الله عيله وآله وسلم وأئمة آل البيت على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فخلاصة أقوال العلماء في كل ما ورد يتلخص في:

أولاً: إن الله عز وجل زكى ظاهرهم وباطنهم؛ فمن تزكية ظواهرهم وصفهم بأعظم الأخلاق الحميدة، ومنها: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر:٨]، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر:٩].

أما بواطنهم فأمر اختص به الله عز وجل، وهو وحده العليم بذات الصدور. فقد

---

(١) أمالي الطوسي (٤٠٤)، بحار الأنوار للمجلسي (١٨/ ١٤٤، ٩٧/ ٦٥)، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي (١٣/ ٢٢٥)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (١٠/ ٥٦٤).

(٢) إعلام الورى للطبرسي (١/ ١٢) مناقب آل أبي طالب (٣/ ١٨٥)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٣/ ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣١٧)، شرح إحقاق الحق (٢٦/ ٣٥٦) لوامع الحقائق للآشتياني (١/ ١٠٤).

(٣) إعلام الورى للطبرسي (١/ ٩٦)، بحار الأنوار للمجلسي (١٨/ ١٢٥)، إثبات الهداة (١/ ٣٦٥)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (٢/ ٢٥٤)، معالم المدرستين (٣/ ١٨٨).

أخبرنا ﷻ بصدق بواطنهم وصلاح نياتهم؛ فقال على سبيل المثال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:١٨]، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:٩]، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]. فقد تاب عليهم ﷻ؛ لما علم صدق نياتهم وصدق توبتهم.

ثانياً: بسبب توفيق الله ﷻ لهم لأعظم خلال الخير ظاهراً وباطناً أخبرنا أنه رضي عنهم وتاب عليهم، ووعدهم الحسنى.

ثالثاً: وبسبب كل ما سبق أمرنا بالاستغفار لهم، وأمر النبيُ ﷺ بإكرامهم، وحفظ حقوقهم، ومحبتهم. ونُهينا عن سبهم وبغضهم. بل جعل حبهم من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق.

رابعاً: ومن الطبيعي بعد ذلك كله أن يكونوا خير القرون، وأماناً لهذه الأمة. ومن ثم يكون اقتداء الأمة بهم واجباً، بل هو الطريق الوحيد إلى الجنة: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي}(١).

يقول الإمام مالك في الذين يقدحون في الصحابة: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين)(٢).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧) وأصحاب السنن والدارمي. والحديث صححه جماعة من المحدثين. - انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحديث (٣٨) (ص:٣٨٧)، دار الفرقان ط. الأولى (١٤١١هـ) وانظر الإرواء (٢٥٤٤) (٨/١٠٧) للتوسع. انظر اعتقاد أهل السنة في الصحابة ﷺ لمحمد عبد الله الوهيبي.

(٢) الصارم المسلول (ص:٥٥٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الطعن فيهم طعن في الدين)[١].

وكما قال أبو زرعة الرازي رحمه الله: (إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة)[٢].

فنخلص من كل هذا ومن المزيد الذي سيأتي أن مفهوم عدالة الصحابي لا تقتضي العصمة للأفراد، إنما العصمة في إجماعهم لقول النبي ﷺ كما مر أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة. فعصمتهم في مجموعهم، أما كأفراد فهم غير معصومين.

(١) منهاج السنة (١/ ١٨).

(٢) الكفاية (ص:٤٩).

حَدِيثُ الحَوضِ

من الشبهات التي يثيرها ويرددها كثيراً الطاعنون في الصحابة رضي الله عنهم حديث الحوض:

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {ليرِدنّ عليّ ناسٌ من أصحابي الحوض، حتى عرفْتُهُمُ اخْتُلِجوا دوني فأقول: أُصيحابي، فيقول: لا تَدْري ما أحدثوا بعدك}[(١)].

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: {إني فرطكم على الحوض، من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني، ثم يُحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهَدُ على أبي سعيد الخدري لسمعتُهُ وهو يزيد فيها: فأقول: إنهم مني. فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي}[(٢)].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: {إنّي على الحوض حتى انظر مَنْ يَرِد عليّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ دوني، فأقول: يا ربّ! منّي ومن أُمتي؟ فيُقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما بَرِحوا يرجعون على أعقابهم. فكان ابن أبي مُليكة

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٨٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٨٥).

يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفتن عن ديننا}[١].

وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه: {وليُرفَعَنّ رِجال منكم}[٢]. وفي أخرى: {يرد عليّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي، فيُجلون عن الحوض}[٣] وفي ثالثة: {فإذا زُمرةٌ حتى إذا عرفتهم}[٤].

وفي رواية ابن المُسَيّب عن أصحاب النبي ﷺ: {يَرِد على الحوض رجال من أصحابي فيُحلؤون عنه}[٥]. وغيرها من الألفاظ.

فقال أصحاب الشبهات: إن المتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ، إلا القليل الذي عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث وهم المنافقون؛ لأن النص يقول: فأقول: أصحابي، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمناً.

ردود العلماء على هذه الشبهة:

ولكن قبل بيان ردود العلماء على هذه الشبهة لا بد من بيان موجز عن مفهوم ومعنى الصحبة.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٩٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٩٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٧٦).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٨٥).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٥٨٧).

(٥) رواه البخاري برقم (٦٥٨٦).

تعريف الصحابي:

الصاحب في اللغة: اسم فاعل من صحب يصحب فهو صاحب، ويقال في الجمع: أصحاب وأصاحيب وصحب وصحبة وصُحبان - بالضم - وصَحابة - بالفتح - وصِحابة - بالكسر -[(١)].

وعرفاً: هو من طالت صحبته وكثرت ملازمته على سبيل الاتباع[(٢)].

واصطلاحاً كما عند جمهور المحدثين: هو من لقي النبي ﷺ يقظة، مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، ومات على الإيمان[(٣)].

شرح التعريف:

قولنا: «من لقي النبي ﷺ» هو جنس في التعريف، ويدخل فيه:

من طالت مجالسته، مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وغيرهم ممن لازم النبي ﷺ، رضي الله عنهم.

أو قصرت، مثل: الوافدين عليه ﷺ، كضمام بن ثعلبة، وغيرهم ممن لم يمكث مع النبي ﷺ إلا قليلاً[(٤)].

---

(١) لسان العرب (٧/ ٢٨٦).

(٢) جامع الأصول لابن الأثير (١/ ٧٤).

(٣) انظر: فتح المغيث (٤/ ٧٤) وما بعدها، والباعث الحثيث (ص:١٦٩و١٧٢) هامش رقم (١)، ودفاع عن السنة (ص:١٠٨)، والإصابة (١/ ٦) وغيرها من الكتب، ومن مجموع ما ذكره هؤلاء العلماء وغيرهم صغت هذا التعريف.

(٤) انظر: الاستيعاب (٢/ ٧٥١) وأسد الغابة (٣/ ٥٧). ومالك بن الحويرث - انظر: الإصابة (٥/ ٧١٩-٧٢٠). وعثمان بن أبي العاص - انظر: أسد الغابة (٣/ ٥٧٩) والإصابة (٤/ ٤٥١- ٤٥٢). ووائل بن حجر - انظر: الاستيعاب (٤/ ١٥٦٢- ١٥٦٣) وأسد الغابة (٥/ ٤٣٥).

أو رآه ولم يجالسه، مثل: بعض الأعراب الذين شهدوا مع النبي ﷺ حجة الوداع، فإنهم رأوه ولم يجالسوه، كأبي الطفيل عامر بن واثلة(١).

ويدخل فيه: من روى عنه حديثاً، مثل: مهران مولى رسول الله ﷺ(٢).

ومن روى حديثين، مثل: عبد الله بن حنظلة الغسيل(٣).

أو أكثر، مثل: أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم من مكثري الرواية عن رسول الله ﷺ.

أو لم يرو شيئاً أصلاً، مثل: عبد الرحمن بن الحنبل(٤).

ويدخل فيه من غزا مع النبي ﷺ غزوة، مثل: خبيب بن عدي(٥).

أو غزوتين، مثل: مليل بن وبرة الأنصاري(٦).

---

(١) انظر: الإصابة (٣/ ٦٠٥)، والاستيعاب (٤/ ١٦٩٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٤٥).

وأبي جحيفة وهب بن عبد الله – انظر: الإصابة (٦/ ٦٢٦).

(٢) انظر: الإصابة (٦/ ٢٣٢)، وأسد الغابة (٥/ ٢٨١). وحسان بن ثابت – انظر: الإصابة (٢/ ٦٢- ٦٤)، وأسد الغابة (٢/ ٥- ٧).

وسهل بن حنيف – انظر: الإصابة (٣/ ١٩٨) وأسد الغابة (٢/ ٤٧٠).

(٣) انظر: الإصابة (٤/ ٦٥- ٦٧)، وأسد الغابة (٣/ ٢١٨).

وحمزة بن عبد المطلب – انظر: الإصابة (٢/ ١٢١- ١٢٣)، والاستيعاب (١/ ٣٦٩- ٣٧٥).

وشرحبيل بن حسنة – انظر: الإصابة (٣/ ٣٢٨- ٣٢٩).

(٤) انظر: أسد الغابة (٣/ ٤٣٩)، والاستيعاب (٢/ ٨٢٨).

وثمامة بن عدي – انظر: الإصابة (١/ ٤١٠) والاستيعاب (١/ ٢١٣).

وزياد بن حنظلة التميمي – انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٣١).

(٥) انظر: الإصابة (٢/ ٢٦٢- ٢٦٤) وأسد الغابة (٢/ ١٢٠- ١٢٢).

وأنس بن النضر – انظر: الإصابة (١/ ١٣٢- ١٣٣)، وأسد الغابة (١/ ١٥٥- ١٥٦).

(٦) الإصابة (٦/ ٣٨٢)، والاستيعاب (٤/ ١٤٨٤).

أو أكثر، مثل: البراء بن عازب، وسعد بن مالك – وأبي سعيد الخدري – وغيرهما من مشاهير الصحابة ﷺ[١].

أو لم يغز مع النبي ﷺ أصلاً، مثل: حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ.

ويدخل فيه الذكور والإناث. أما البالغون منهم فباتفاق أهل الحديث.

أما غير البالغين، فيدخل فيهم المميزين، مثل: سبطي رسول الله ﷺ: سيدنا الحسن، وأخيه الحسين، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم.

وغير المميزين، مثل: محمد بن أبي بكر الصديق[٢]، ومحمد بن ثابت[٣]، فقد حنكه النبي ﷺ بريقه وسماه محمداً، وغيرهم ممن حنكه النبي ﷺ، ودعا له ولم يكن مميزاً.

ويخرج من الصحبة بقولنا من لقي: من آمن به ولم يره كأصحمة النجاشي وزيد بن وهب وأبي مسلم الخولاني وغيرهم[٤].

وإنما آثرنا التعبير بقولنا: «من لقي النبي ﷺ» على قولنا: «من رأى النبي ﷺ» ليدخل في الصحابة مثل عبد الله بن أم مكتوم، فهو ممن ثبت لقاؤه بالنبي ﷺ وإن لم يره، لأنه كان ضريراً.

وقولنا: «يقظة» فصل خرج به من لقي النبي ﷺ في منامه، فإنه ليس بصحابي، كما جزم به البلقيني، والحافظ ابن حجر في فتح الباري، والسخاوي في فتح المغيث[٥].

وعبد الله بن عمرو بن حرام – انظر: الإصابة (٤/ ١٨٩– ١٩٠)، وعتبة بن فرقد السلمي – انظر: الإصابة (٤/ ٤٣٩– ٤٤٠)، وأسد الغابة (٣/ ٥٦٧).

(١) انظر: الإصابة (١/ ٢٧٨– ٢٧٩)، وأسد الغابة (١/ ٢٠٥– ٢٠٦).

(٢) انظر: الإصابة (٦/ ٢٤٥– ٢٤٦) وأسد الغابة (٥/ ١٠٢– ١٠٣).

(٣) أسد الغابة (٥/ ٨٣).

(٤) انظر: محاضرات في علوم الحديث (ص:٣٧– ٤٠).

(٥) محاسن الاصطلاح (ص:٤٢٣)، والحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٧)، والسخاوي في فتح المغيث (٤/ ٨١).

وقولنا: «مؤمناً به» فصل يخرج به من لقيه كافراً به، فإنه لا يعد من الصحابة سواء أكان من المشركين أم من المجوس أم من أهل الكتاب – اليهود والنصارى – وسواء بقي على كفره مثل أبي جهل وأبي لهب وغيرهما من الكفرة والمشركين، أم آمن بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى كرسول قيصر[١].

كما يدخل بهذا الفصل من لقيه مؤمناً به ثم ارتد، وعاد إلى إيمانه في حياة النبي ﷺ ولقيه مرة أخرى. وهذا يدخل في مفهوم الصحبة باللقاء الثاني بلا خلاف بين العلماء، وذلك مثل: عبد الله بن سعد بن أبي السرح[٢].

ويدخل فيه أيضاً: من لقيه مؤمناً به ثم ارتد، وعاد إلى إيمانه في حياة النبي ﷺ، ولم يلقه مرة أخرى، أو عاد بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كما قال ذلك ابن حجر[٣]، مثل: قرّة بن هبيرة[٤]، والأشعث بن قيس[٥]، وعطارد بن حاجب التميمي[٦].

كما يدخل فيه أيضاً: من آمن بالنبي ﷺ ثم ارتد واستمر على ردته حتى الموت، مثل: عبيد الله بن جحش، الذي هاجر إلى الحبشة وهناك تنصر ومات على نصرانيته، وربيعة بن أمية الجمحي، فإنه ارتد في خلافة عمر حيث فرّ إلى بلاد الروم، فلحق بهم وتنصر، وابن خطل الذي ارتد وقتل على ردته يوم فتح مكة، غير أن هذا سيخرج فيما

(١) فتح المغيث (٤/ ٨٢).
(٢) الإصابة (٤/ ١٠٩– ١١١).
(٣) في نزهة النظر (ص:١٠٩).
(٤) الإصابة (٥/ ٤٣٧– ٤٤٠).
(٥) الإصابة (١/ ٨٧ –٩٠).
(٦) الإصابة (٤/ ٥٠٧– ٥٠٩).

بعد من مفهوم الصحابة بالقيد الأخير[١].

وقولنا: «بعد بعثته» فصل آخر خرج به من لقيه مؤمناً به قبل بعثته ﷺ، مثل: زيد بن عمرو بن نفيل، وجرجيس بن عبد القيس المعروف ببحيرا الراهب، فقد عرفه وهو ذاهب إلى الشام وآمن به قبل بعثته. فإن هؤلاء لا يدخلون في مفهوم الصحابة، لأن النبي ﷺ، لم يكن مبعوثاً حين آمنوا به وصدقوه[٢].

وعلى هذا: فما مثّل به البعض هنا بورقة بن نوفل غير صحيح، لأنه قد لقي النبي ﷺ، وآمن به بعد أن بعث ﷺ، وجاءه الوحي، ولهذا فقد جزم ابن الصلاح بثبوت صحبته[٣].

وقولنا: «حال حياته» فصل آخر خرج به من لقيه يقظة مؤمناً به بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى[٤]، مثل: أبي ذؤيب الهذلي الشاعر، فقد رآه وهو مسجى، قبل أن يدفن ﷺ[٥].

وقولنا: «ومات على الإيمان» هو فصل آخر خرج به من لقيه مؤمناً به، ثم ارتد واستمر على ردته، حتى الموت، وقد تقدمت أمثلته.

هذا بالنسبة لتعريف الصحابي عند جمهور المحدثين.

أما تعريف الصحابي عند جمهور الفقهاء والأصوليين فهو: من لقي النبي ﷺ يقظة مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، وطالت صحبته وكثر لقائه به، على سبيل التبع له، والأخذ عنه، وإن لم يرو عنه شيئاً، ومات على الإيمان.

---

(١) الإصابة (١/ ٧)، ومحاضرات في علوم الحديث (ص:٣٩).

(٢) الزرقاني على المواهب (٧/ ٢٧) ومحاضرات في علوم الحديث (ص:٣٩).

(٣) الزرقاني على المواهب (٧/ ٢٧).

(٤) فتح الباري (٧/ ٧)، والإصابة (١/ ٧- ٨)، وفتح المغيث (٤/ ٨٠).

(٥) انظر: الإصابة (٢/ ٣٦٤).

شرح التعريف:

قولهم: «من لقي النبي.. إلخ» تقدم شرح ذلك وبيان ما فيه، في تعريف الصحابي عند جمهور المحدثين.

وقولهم: «طالت صحبته» أي: أن يكون الصحابي قد جالس النبي ﷺ ولقيه كثيراً.

وقد اختلف العلماء في المدة التي يقال فيها: طالت صحبته، فمنهم من حددها بسنة فأكثر، وعليه ابن المسيب، كما نقله عنه الشوكاني، وابن الهمام والآلوسي وغيرهم[1].

ومنهم من حددها بستة أشهر فأكثر، كما نقله عن بعض العلماء صاحب التيسير والشوكاني والآلوسي وغيرهم[2].

وقد رد الشوكاني رحمه الله على هذين القولين بما ذكره حيث قال: (ولا وجه لهذين القولين، لاستلزامهما خروج جماعة من الصحابة الذين رووا عنه ولم يبقوا لديه إلا دون ذلك، وأيضاً لا يدل عليهما دليل من لغة ولا شرع)[3].

ومنهم من رأى أنها لا تحدد بمقدار، وإنما هي تطول بحيث يطلق عليها اسم الصحبة عرفاً.

وهذا هو القول الراجح والأصح عندهم، وإليه ذهب الجمهور من الفقهاء.

---

(١) إرشاد الفحول، للشوكاني (ص:٧٠)، التحرير، لابن الهمام (٣/ ٦٦)، الآلوسي في أجوبته العراقية (ص:٩).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) إرشاد الفحول، للشوكاني، (ص:٧٠).

وقولهم: «على سبيل التبع له والأخذ عنه» هذا قيد إنما جيء به في الحقيقة لبيان الواقع، لأن من طالت صحبته للنبي ﷺ عرفاً لا يكون إلا على سبيل المتابعة له والأخذ عنه، ولا يصح أن يكون قيداً له مفهوم، إذ لا نعلم أن هناك من أصحاب رسول الله ﷺ من طالت صحبته للنبي ﷺ ولم يكن متابعاً له، آخذاً عنه.

وقولهم: «وإن لم يرو عنه شيئاً» اختلف جمهور أهل الفقه والأصول في ذلك، فمنهم من يشترط لثبوت الصحبة ثبوت الرواية عن الرسول ﷺ، مثل الشوكاني والسيوطي وغيرهما[1].

ومنهم من ذهب إلى أنه لا يشترط لثبوت الصحبة ثبوت الرواية عن الرسول ﷺ، مثل القاضي أبي يعلى الفراء والآمدي والسبكي في جمع الجوامع وغيرهم[2].

والقول الراجح هو القول الثاني؛ لأن القول باشتراط الرواية لتحقق مفهوم الصحبة يؤدي إلى خروج كثير من الصحابة الذين لم تحفظ لهم رواية عن رسول الله ﷺ، مع اتفاق العلماء الذين ترجموا للصحابة على عدهم فيهم. وقد تقدمت الأمثلة على ذلك في تعريف الصحابي عند جمهور المحدثين.

ومن خلال ما ذكرت نستطيع أن نقول الآن بأن التعريف الراجح للصحابي هو ما ذهب إليه جمهور المحدثين، وذلك لسلامة أدلتهم وخلوها من الانتقاد. والله أعلم.

طريق إثبات الصحبة للرسول ﷺ:

نقول وبالله التوفيق: هناك طريقتان لإثبات الصحبة:

الطريقة الأولى: إثبات الصحبة بالنص - أي بالخبر - وتحته أنواع:

---

(١) إرشاد الفحول (ص:٧٠)، تدريب الراوي (٢/ ١١٢).

(٢) العدة، للقاضي أبي يعلى الفراء، (ص٣/ ٩٨٩)، الإحكام، للآمدي، (١/ ٢٧٥)، جمع الجوامع، للسبكي، (٢/ ١٧٩).

١ - **القرآن الكريم**: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]. فهذا النص يثبت صحبة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث استقر الإجماع بأن المعني بالصاحب في هذه الآية هو أبو بكر رضي الله عنه[١].

٢ - **الخبر المتواتر**: وذلك كما في ثبوت صحبة العشرة المبشرين بالجنة، فقد تواترت الأخبار بثبوت صحبتهم لرسول الله ﷺ[٢].

٣ - **الخبر المشهور**، كما في صحبة عكاشة بن محصن وأبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وغيرهم الكثير ممن لا يرتاب مسلم في إثبات الصحبة لهم[٣].

٤ - **الخبر الآحاد**: ويدخل تحته أربع طرق:-

أ - رواية أحد عن النبي ﷺ بطريق الرؤية أو السماع، مع معاصرته للنبي ﷺ، كأن يقول أحد التابعين: أخبرني فلان أنه سمع النبي ﷺ يقول، أو رأيت النبي ﷺ يفعل كذا، كقول الزهري فيما رواه البخاري في فتح مكة من صحيحه[٤].

ب - إخبار الصحابي عن نفسه أنه صحابي، وقد افترق العلماء في هذا الطريق إلى أربع مذاهب:

المذهب الأول: أنه يقبل قوله مطلقاً من غير شرط، وجرى على ذلك ابن عبد البر

---

(١) تفسير الرازي (١٦/ ٦٥).

(٢) راجع الحديث في سنن الترمذي (٣/ ٣١١- ٣١٢).

(٣) راجع دراسات تاريخية في رجال الحديث (ص:٣٩).

(٤) راجع صحيح البخاري كتاب المغازي (٣/ ٦٤). ومن الذين قالوا بهذه الطريقة ابن كثير في الباعث الحثيث (ص:١٩٠)، والسخاوي في فتح المغيث (٣/ ٩٧).

كما نقله السخاوي[١].

المذهب الثاني: أنه يقبل قوله بشرطين:-

الأول: أن يكون ذلك بعد ثبوت عدالته.

الثاني: أن يكون بعد ثبوت معاصرته للنبي ﷺ.

وممن جرى على ذلك وجزم به: جمهور علماء الأصول والحديث[٢].

والعلة في صحة قبول إخباره عن نفسه أنه صحابي، أنه لو أخبر عن النبي ﷺ قبلنا روايته، فلأن نقبل خبره عن نفسه أنه صحابي من باب أولى[٣].

والمعاصرة التي اشترطوها في إثبات الصحبة هي: المعاصرة الممكنة شرعاً، وإنما تكون المعاصرة للنبي ﷺ ممكنة شرعاً إذا ادعى الصحبة في حدود مائة وعشر سنين من هجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر[٤]، وذلك لما صح عن النبي ﷺ أنه قال في آخر حياته لأصحابه: {أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد - يقصد من أصحابه -}[٥].

ومن هنا يتبين أن من ادعى الصحبة وكانت المعاصرة غير ممكنة، فإنه لا يقبل

---

(١) فتح المغيث (٣/ ٩٩).

(٢) راجع: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٢/ ٤٧٩)، والمختصر في أصول الفقه لابن اللحام (ص٨٩) وجمع الجوامع للسبكي (٢/ ١٦٧)، وشرح الألفية للعراقي (٣/ ١١)، وابن حجر في الإصابة (١/ ٨)، والسخاوي في فتح المغيث (٣/ ٩٧)، وغيرهم الكثير.

(٣) راجع شرح الكوكب المنير لابن النجار (٢/ ٤٧٩).

(٤) انظر: الإصابة (١/ ٨).

(٥) رواه البخاري (١/ ٣٣- ٣٤)، ومسلم برقم (١٩٦٥).

قوله ويعتبر في ذلك من الكذابين(١).

المذهب الثالث: عدم قبول إنه صحابي، وجرى على هذا القول ابن القطان كما نقل عنه ذلك الشوكاني (٢)، وبه قال أبو عبد الله الصيرمي من الحنفية، كما ذكره ابن النجار(٣). وأيضاً ممن يرى ذلك الإمام البلقيني (٤)، وغيرهم.

وعللوا ذلك: أنه متهم بأنه يدعي رتبة عالية يثبتها لنفسه، وهي منصب الصحابة، والإنسان مجبول على طلبها قصداً للشرف(٥).

المذهب الرابع: قالوا بالتفصيل في ذلك، فمن ادعى الصحبة القصيرة قبل منه، لأنها مما يتعذر إثباتها بالنقل، إذ ربما لا يحضره حاله اجتماعه بالنبي ﷺ، أو رؤيته له أحد، ومن ادعى الصحبة الطويلة وكثرة التردد في السفر والحضر، فلا يقبل منه ذلك؛ لأن مثل ذلك يشاهد وينقل ويشتهر، فلا تثبت صحبته بقوله، كما قال بذلك السخاوي(٦).

ج - قول أحد الصحابة بصحبة آخر:

وهو إما أن يكون بالتصريح، كأن يقول الصحابي: إن فلاناً صحابي، أو من الأصحاب، أو ممن صحب النبي ﷺ.

---

(١) راجع الأمثلة على من ادعى أنه صحابي وظهر كذبه: الإصابة (١/ ٩)، ومحاضرات في علوم الحديث (١/ ١٣٨ - ١٣٩)، ودراسات تاريخية (ص:٤٦).

(٢) إرشاد الفحول (ص:٧١).

(٣) شرح الكوكب المنير (٢/ ٤٧٩).

(٤) محاسن الاصطلاح (ص:٤٢٧).

(٥) راجع: البلبل (ص:٦٢)، وشرح مختصر الروضة (٢/ ١٣)، وتيسير التحرير (٣/ ٦٧)، وغيرهم الكثير.

(٦) فتح المغيث (٣/ ٩٨ - ٩٩).

وإما أن يكون بطريق اللزوم، كأن يقول: كنت أنا وفلان عند النبي، أو سمع معي هذا الحديث فلان من النبي، أو دخلت أنا وفلان على النبي ﷺ. غير أن هذا الطريق الأخير إنما يثبت فيه الصحبة إذا عرف إسلام المذكور في تلك الحالة، كما قال السخاوي(١). ومثلوا ذلك بصحبة حممة بن أبي حممة الدوسي الذي مات بأصبهان، فشهد له أبو موسى الأشعري(٢).

ويعلل لقبول قول الصحابي في آخر أنه صحابي: بأن الصحابي عدل فإن صح لنا أن نقبل قوله حين يخبر عن النبي ﷺ، فلأن نقبل قوله حين يخبر أن فلاناً صحابي من باب أولى.

د - إخبار أحد التابعين الموثقين عند أهل الحديث بأن فلاناً صحابي:

اختلف العلماء من المحدثين والأصوليين في ذلك، فذهب جماعة منهم إلى قبول قوله، ومنهم الإمام السخاوي، والحافظ ابن حجر، وغيرهم(٣).

وذهب جماعة آخرون إلى أنه لا يقبل قوله، ولا يثبت به صحبة من أخبر عنه، وممن ذهب إلى ذلك بعض شراح اللمع على ما ذكره الإمام السخاوي(٤).

وكانت حجتهم في هذا النفي أن التزكية إذا صدرت من مزك واحد غير مقبولة، بل لابد فيها من اثنين، لأن التزكية تلحق بالشهادة، فكما أن الشهادة لا تصح ولا تتحقق إلا بمتعدد اثنين فأكثر، فكذلك التزكية لا تقبل إلا من اثنين فأكثر، ولأن

---

(١) فتح المغيث (٣/ ٩٦).

(٢) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم (١/ ٧١)، والإصابة (١/ ٣٥٥)، وأسد الغابة (٢/ ٥٨- ٥٩).

(٣) فتح المغيث، للسخاوي، (٣/ ٩٦)، الإصابة للحافظ ابن حجر (١/ ٨).

(٤) فتح المغيث (٣/ ٩٩).

اشتراط التعدد في المزكي أولى وأحوط من الإفراد، إذ فيه زيادة ثقة[(١)].

والقول الراجح إن شاء الله: هو في ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من قبول تزكية التابعي الواحد: أن فلاناً صحابي. وقد أجابوا عما ذكره النافون بما يلي:

١ - إن التزكية تتنزل منزلة الحكم، فلا يشترط فيها العدد، بخلاف الشهادة فإنها تكون عند الحكم فلا بد فيها من العدد، فلا يصح إلحاق التزكية بالشهادة[(٢)].

٢ - إن التزكية إن كانت صادرة عن اجتهاد المزكي فهي بمنزلة الحكم، وحينئذ لا يشترط التعدد في المزكي، لأنه بمنزلة الحكم.

٣ - أن المزكي يكتفى فيه بواحد، لأنه بمثابة الخبر، وكما يصح قبول خبر الواحد، فكذلك يقبل قول المزكي، لأنه بمنزلته[(٣)].

٤ - أن اعتبار الواحد في الجرح والتعديل أصل متفق عليه، واعتبار ضم قول غيره إليه يستدعي دليلاً والأصل عدمه[(٤)].

٥ - ينبغي القول بعدم اشتراط التعدد في المزكي، لأن اشتراط التعدد قد يؤدي إلى تضييع بعض الأحكام، فكان عدم التعدد أولى وأحوط[(٥)].

الطريق الثاني: إثبات الصحبة بعلامة من العلامات:

العلامة الأولى: أن يكون من يدّعي الصحبة قد تولى في عهد النبي ﷺ غزوة من غزواته، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لم يؤمّر على غزوة من غزواته إلا من كان

---

(١) راجع تيسير التحرير (٣/ ٥٨).

(٢) نزهة النظر (ص:١٣٤).

(٣) شرح الألفية للعراقي (١/ ٢٩٥).

(٤) الإحكام للآمدي (١/ ٢٧١).

(٥) تيسير التحرير (٣/ ٥٨).

من أصحابه[١].

العلامة الثانية: أن يكون المدعي صحبته ممن أمّره أحد الخلفاء الراشدين على إحدى المغازي في حروب الردة والفتوح[٢].

العلامة الثالثة: أن يكون المدعي صحبته قد ثبت أن له ابناً حنكه النبي ﷺ، أو مسح على رأسه، أو دعا له، فإنه كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له، كما أخرجه الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف على ما ذكره الحافظ ابن حجر[٣].

العلامة الرابعة: أن يكون من يدعي صحبته ممن كان بمكة أو الطائف سنة عشر من الهجرة، إذ من المعلوم عند المحدثين أن كل من كان بمكة أو الطائف سنة عشر قد أسلم وحج مع النبي ﷺ حجة الوداع، فيكون من الصحابة[٤]، وفي هذه العلامة نظر؛ لأنه وإن سلّم بإسلامهم جميعاً، فإنه لا يسلّم بأن جميعهم حجوا معه ﷺ.

العلامة الخامسة: أن يكون من يدعي صحبته من الأوس أو الخزرج الذين كانوا بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ، فقد ثبت أنهم دخلوا في الإسلام جميعاً، ولم يثبت عن أحد منهم أنه ارتد عن الإسلام[٥][٦].

إذا عرفت هذا فيكون الكلام في حديث الحوض.

لا شك في صحة روايات الحوض، فقد رواها عشرات الصحابة رضي الله عنهم، وللعلماء في تأويل هذه الروايات أقوال ليس منها أنهم أصحاب النبي ﷺ، منها:

---

(١) انظر: محاضرات في علوم الحديث (١/ ١٤٠)، والمختصر في علم رجال الأثر (ص:٢٧).

(٢) الإصابة (١/ ٩).

(٣) وانظر صحيح مسلم (١/ ٢٣٧).

(٤) الإصابة (١/ ٩)، ومحاضرات في علوم الحديث (١/ ١٣٩).

(٥) الإصابة (١/ ٨)، ومحاضرات في علوم الحديث (١/ ١٣٩).

(٦) مفهوم عدالة الصحابة، لأبي عبد الله الذهبي.

أنه كيف يجوز أن يرضى الله ﷻ عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم وهذا هو شر الكافرين.

وقالوا: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة العرب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين، ويدل قوله: (أصيحابي) على قلة عددهم(١).

وليس كل من ورد الحوض.

وجاء في رواية أخرى بلفظ (رهط) فعن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: {يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا

---

(١) ولفظ "أصيحابي" مذكور في كتب الإمامية: انظر مثلاً: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للمنتظري (١/ ٤٧)، مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني (١/ ١٦٤)، عوالي اللآلي لابن أبي جمهور الأحسائي (١/ ٥٩)، الصوارم المهرقة لنور الله التستري (ص١٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٨/ ٢٧)، (٢٨/ ٢٢)، ب(٢٩/ ٥٦٦)، الغدير للأميني (٣/ ٤٠٨)، أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري (٢/ ٢٨)، أضواء على الصحيحين لمحمد صادق النجمي (٤٣٣، ٤٣٦)، معالم المدرستين لمرتضى العسكري (١/ ٩٩)، العدد القوية لعلي بن يوسف الحلي (ص١٩٨)، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (١٠/ ٩٦)، النصائح الكافية لمحمد بن عقيل (١٦٤)، تقوية الإيمان لمحمد بن عقيل (٦١)، تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي (٣٩٥)، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي (١٨/ ٣٧)، آيات الغدير إعداد: مركز المصطفى (ص:٢٦)، الانتصار للعاملي (٨/ ٢٢٠)، الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ إعداد مركز الرسالة (٧٠)، العترة والصحابة في السنة لمحمد حياة الأنصاري (٢/ ٧)، المنتخب من الصحاح الستة لمحمد حياة الأنصاري (٧٦)، تنزيه الشيعة الإثني عشرية عن الشبهات الواهية لأبي طالب التجليل التبريزي (١/ ٢١٩)، (٢/ ٥٨٧)، رسائل ومقالات لجعفر السبحاني (٢٠٦)، كذبوا على الشيعة لمحمد الرضي الرضوي (١٥٩)، مجلة تراثنا - مؤسسة آل البيت - (٥٠/ ١١٩)، وركبت السفينة لمروان خليفات (٦٠٠)، فلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي (٦٤)، الانحرافات الكبرى لسعيد أيوب (٤٠٧).

رب أصحابي. فيقول: أنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى}[1]، والرهط كما هو معلوم ما دون العشرة من الرجال.

ومنها: إنا لا نسلم أن المراد بالأصحاب ما هو المعلوم في عرفنا، فالصحبة اسم جنس ليس له حد في الشرع ولا في اللغة، والعرف فيها مختلف، والنبي ﷺ لم يقيد الصحبة بقيد ولا قدّرها بقدْرٍ بل علّق الحكم بمطلقها ولا مطلق لها إلا الرؤية. بل المراد بهم مطلق المؤمنين به ﷺ المتبعين له، وهذا كما يقال لمقلدي أبي حنيفة: أصحاب أبي حنيفة، ولمقلدي الشافعي: أصحاب الشافعي، وهكذا وإن لم يكن هناك رؤية واجتماع، وكذا يقول الرجل للماضين الموافقين له في المذهب: أصحابنا، مع أنه بينه وبينهم عدة من السنين، ومعرفته ﷺ لهم مع عدم رؤيتهم في الدنيا بسبب أمارات تلوح عليهم... ولو سلمنا أن المراد بهم ما هو المعلوم في العرف، فهم الذين ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق، وقوله: أصحابي أصحابي، لظن أنهم لم يرتدوا كما يُؤْذِن به ما قيل في جوابه: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

فإن قلت: إن (رجالاً) في الحديث كما يحتمل أن يراد منه من ذكرت من مرتدي الأعراب، يحتمل أن يراد ما زعمه الطاعنون في الصحابة؟ أجيب: إن ما ورد في حقهم من الآيات والآحاديث وأقوال الأئمة مانع من إرادة ما زعمه هؤلاء.

وإذا ثبت هذا فاعلم أن العلماء قد اختلفوا في أولئك المذادين عن حوض النبي ﷺ -كما في الأحاديث- بعد اتفاقهم أن الصحابة رضي الله عنهم غير مرادين بذلك.

قال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: {هل تدري ما أحدثوا بعدك}: (هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال: أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيما

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٨٥).

التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي: لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم).

وما من شكٍّ أن المنافقين ليسوا بحالٍ من أقسام الصحابة ولكن الرسول ﷺ ذكرهم وذكر المرتدين في بعض روايات الحديث «بأصيحابي» أو بـ «من صاحبني» لأنهم صحبوه ورأوه في الدنيا وذلك تصغيراً لهم وتحقيراً لا تعظيماً ولا يقول ذلك لأصحابه من المهاجرين والأنصار الذين كانت لهم رواياته في حقهم بصيغة الإجلال والتقدير والتعظيم والتكريم. وذلك أن المنافقين كانوا يظهرون الإسلام للنبي ﷺ كما قال الله جل وعلا: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾.

وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ كان يعرف المنافقين، فنقول: نعم كان يعرف بعضهم ولم يكن يعرفهم كلهم، ولذلك قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ فبين أن النبي ﷺ لا يعلم جميع المنافقين، وكان يظن أن أولئك من أصحابه وليسوا كذلك بل هم من المنافقين.

وهناك جواب ثالث وهو أن المعنى كل من صحب النبي ﷺ ولو لم يتابعه، وإن كان النبي يعلم ذلك كعبد الله بن أبي ابن سلول وهو كما هو معلوم رأس المنافقين وهو الذي قال: لإن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وهو الذي قال: ما مثلنا ومثل محمد وأصحابه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك. فهذا سماه النبي ﷺ من أصحابه، فيكون هذا هو المقصود، ولذلك إن تعريف الصحابة بأنه كل من لقي النبي مؤمناً به ومات على ذلك تعريف متأخر.

وأما كلام العرب كل من صحب الرجل فهو من أصحابه مسلماً أو غير مسلم متبع له أو غير متبع هذا أمر آخر. ولذلك لما قال عبد الله بن أبي ابن سلول كلمته الخبيثة: «ليخرجن الأعز منها الأذل» قام عمر إلى النبي ﷺ لما بلغته هذه الكلمة قال: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: {لا يا عمر، لا يقول الناس: إن محمدا يقتل أصحابه}(١)، فسماه من أصحابه صلوات الله وسلامه عليه وهو رأس المنافقين، فهو غير داخل فالذين نحن نسميهم صحابة رضي الله عنهم.

ثم قال النووي رحمه الله: (والثاني: أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ، وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء، لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك).

يقول الفضل الطبرسي (وهو من أكابر علماء الشيعة) في تفسيره (مجمع البيان) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [آل عمران:١٠٦]: (اختلف فيمن عنوا به على أقوال) فذكر أربعة أقوال وذكر في آخرها أنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة ثم استدل على ذلك من حديث «الارتداد» فقال: (ورابعها أنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة عن علي عليه السلام ومثله عن قتادة أنهم الذين كفروا بالارتداد، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: {والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن: أصحابي أصحابي أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعد، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى} ذكره الثعلبي في تفسيره فقال أبو أمامة الباهلي: هم الخوارج ويروي عن النبي أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..)(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥١٨)، ومسلم برقم (٢٥٨٤).

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسي (٢/ ٣٦٠)، تفسير نور الثقلين للحويزي (١/ ٣٨٢).

ثم قال النووي رحمه الله: (والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله عز وجل فيدخلهم الجنة بغير عذاب)[1].

ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر - رحمهما الله تعالى -.

قلت: ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقول: (أصحابي) أو (أصيحابي -بالتصغير-)، وفي بعضها يقول: {سيؤخذ أناس من دوني فأقول: يا ربي مني ومن أمتي} وفي بعضها يقول: {ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني}، وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة.

وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب.

كما روى عن طائفة من الصحابة منهم عمر وابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات:22]: قالوا: «أشباههم يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر»[2]، وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بين أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: {إنهم ارتدوا على أدبارهم}، أو الإحداث في الدين كما في قوله: {إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك}، فمقتضى ذلك هو أن يُذاد عن الحوض كل مرتد

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (3/ 136-137).

(2) انظر: تفسير ابن كثير (4/ 7).

عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أو من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة.

وهذا هو ظاهر قول بعض أهل العلم.

قال ابن عبد البر رحمه الله: (وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، والله أعلم. وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف الفرق، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع؛ كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر)(١).

وقال القرطبي رحمه الله في التذكرة: (قال علماؤنا -رحمة الله عليهم أجمعين- فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون)(٢).

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به أعداؤهم، فالذود عن الحوض إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ على ما روى الطبري في تاريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه

---

(١) التمهيد (٢٠/ ٢٦٢).

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣٤٨).

قال: (قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم)(١).

ومع هذا تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

يقول سعد القمي: (وارتد قوم فرجعوا عن الإسلام، ودعت بنو حنيفة إلى نبوة مسيلمة، وقد كان ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ فبعث أبو بكر إليهم الخيول عليها خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فقاتلهم وقُتل من قُتل ورجع من رجع منهم إلى أبي بكر فسمّوا أهل الردة)(٢).

وقال علي رضي الله عنه: «فمشيت عند ذلك -أي عندما ارتد من ارتد من العرب- إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسّر وسدد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً»(٣).

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم، وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعدائه

(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٢٤٥).

(٢) المقالات والفرق لسعد القمي (ص:٤).

(٣) الغارت لأبي إسحاق إبراهيم الثقفي الكوفي الأصبهاني (١/ ٣٠٧)، منار الهدى لعلي البحراني (ص:٣٧٣)، ناسخ التواريخ للميرزا تقي (٣/ ٥٣٢).

بعد موت رسول الله ﷺ، حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدعة، الأمر الذي يظهر به كذبهم في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي ﷺ. بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته، وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته.

ولا يشكل على هذا قول النبي ﷺ: {ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني}(١) فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ، فهؤلاء في علم النبي ﷺ من أصحابه، لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته ولذا يقال له: {إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك}، وفي بعض الروايات: {إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى}(٢) فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ. وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين، وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم.

وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح (الصحبة) إذا ما أطلق. فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: (من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام).

وأما قول النبي ﷺ: {فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم}(٣) والاحتجاج به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فلا حجة له فيه، لأن الضمير في قوله: (منهم)

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٨٧).

إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إليه إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: {بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلَـمّ فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم}.

فليس في الحديث للصحابة ذكر، وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل.

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث عند قوله: {فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم}: (يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه... والمعنى لا يرده منهم إلا القليل، لأن الهَمَل في الإبل قليل بالنسبة لغيره)[١].

وأما القول أن في الحديث أنه عرفهم ليس بالضرورة أنه عرفهم بأعيانهم بل بمميزات خاصة كما يوضحها الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {ترد عليَّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله، قالوا: يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء. وليُصدَّن عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي فيجبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟}[٢].

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٥).

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٤٧).

فهذا الحديث يفيد أن أهل الأهواء والنفاق يحشرون بالغرة والتحجيل، وقوله: (منكم) الميم ميم الجمع وهذا يعني أنهم يحشرون جميعاً بنفس سيما المؤمنين كما في حديث الصراط في قوله ﷺ: {... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها}[1]. فدل على أنهم يحشرون مع المؤمنين.

وأخيراً: لو قال أحد النواصب وهم الذين يبغضون آل البيت رضي الله عنهم وقال: إن هؤلاء الذين ارتدوا وهؤلاء الذين يذادون عن الحوض هم علي والحسن والحسين كيف تردون عليهم؟؟!

الرد عليهم بأن نقول لهم: ليسوا من هؤلاء بل هؤلاء جاءت فيهم فضائل.

فنقول: أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة جاءت فيهم فضائل، فما الذي يخرج علياً ويدخل أبا بكر وعمر!!

فالقصد إذاً أن حديث الحوض لا يشمل أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢).

رَزِيّةُ الخَمِيس

من الشبهات التي يثيرها ويرددها كثيراً الطاعنون في الصحابة رضي الله عنهم حديث رزية الخميس:

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: {لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف. قال رسول الله ﷺ: قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم}(١).

وفي رواية مسلم أن القائل إن رسول الله ﷺ: قد غلبه الوجع... إلخ هو عمر رضي الله عنه (٢).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أَهَجَر، اسْتَفْهِمُوه، فذهبوا يردون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصاهم بثلاث، قال:

---

(١) رواه البخاري (٤٤٣٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٦٣٧).

أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها}[(١)].

فقالوا:

- أن اختلاف الصحابة هذا هو الذي منع رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب، وبالتالي حرم الأمة من العصمة من الضلالة، واستدل على ذلك بقول ابن عباس رضي الله عنهما: {إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب}.
- أن الرسول ﷺ أراد أن ينص على خلافة علي رضي الله عنه.
- أن عمر هو الذي عارض رسول الله ﷺ وقال: (إنه يهجر)، ثم قال: (عندكم القرآن)، (حسبنا كتاب الله). وأن تعليل أهل السنة بأن عمر قال ذلك شفقة على رسول الله ﷺ لا يقبله بسطاء العقول فضلاً عن العلماء.
- أن الأكثرية الساحقة من الصحابة كانت على قول عمر ذلك، ولذلك رأى رسول الله ﷺ عدم جدوى كتابة الكتاب، لأنه علم بأنهم لن يمتثلوه بعد موته.
- أن الصحابة في هذه الحادثة تعدوا حدود رفع الأصوات إلى رميه ﷺ بالهجر والهذيان.

ردود العلماء على هذه الشبهة:

القول بأن الصحابة اختلفوا ومنهم من عصى أمر رسول الله ﷺ فغضب وأخرجهم من البيت... فيقال: أما اختلافهم فثابت، وقد كان سببه اختلاف في فهم قول الرسول ﷺ، ومراده لا عصيانه.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٣١)، ومسلم برقم (١٦٣٧).

قال القرطبي ﵀ في سبب اختلافهم: (وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول)(١).

ثم ذكر أن النبي ﷺ لم يعنفهم ولا ذمهم بل قال للجميع: {دعوني فالذي أنا فيه خير}. وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول ﷺ: {لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة}(٢) فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ فما عنف أحد الفريقين(٣).

وقد نبه المازري ﵀ على وجه اختلافهم هذا فقال: (إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب، مع صريح أمره لهم بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة، دلت على أن الأمر ليس على التحتم، بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم، وصمم عمر على الامتناع، لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم، وعزمه ﷺ كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد، وفيه حجة لمن قال بالاجتهاد في الشرعيات)(٤).

فتبين أن اختلافهم ناشئ عن اجتهاد في فهم كلام النبي ﷺ ومراده، وإذا كان علماء الأمة من بعدهم قد اختلفوا في فهم النصوص اختلافاً كبيراً في مسائل كثيرة إلى

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٤/ ٥٥٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٩٤٦)، ومسلم برقم (١٧٧٠).

(٣) المفهم (٤/ ٥٥٩).

(٤) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٣٤)، كما نقله النووي في شرحه لصحيح مسلم (١١/ ٩٢)، وبينهما اختلاف يسير، والذي يظهر أن في نقل ابن حجر تصرفاً واختصاراً.

أقوال متعددة ولم يُذَموا بذلك لما تضافرت به النصوص من رفع الحرج عنهم، بل أجرهم على الاجتهاد على كل حال، فكيف يذم أصحاب النبي ﷺ باختلافهم في مسألة جزئية مجتهدين، بعد أن عذرهم رسول الله ﷺ ولم يعنف أحداً منهم بل أخذ بقول الطائفة المانعة من كتابة الكتاب، ورجع إلى قولها فيه.

وأما استدلالهم بقول ابن عباس: {ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب}، فلا حجة له فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معناه: (يقتضي أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه، ولله الحمد)[١].

ويوضح هذا أن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج وغيرهم. وقد نص على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] والحافظ ابن حجر[٣].

وأيضاً فقول ابن عباس هذا قاله اجتهاداً منه، وهو معارض بقول عمر واجتهاده، وقد كان عمر أفقه من ابن عباس قطعاً. قاله ابن حجر[٤]. بل هو معارض بقول عمر، وطائفة من الصحابة معه، كما جاء في الحديث: {فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك}[٥].

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٥. ٩).
(٢) منهاج السنة (٦/ ٣١).
(٣) فتح الباري (١/ ٢٠٩).
(٤) انظر: فتح الباري (٨/ ١٣٤).
(٥) سبق تخريجه.

ويعضد هذا القول موافقة النبي ﷺ له بعد ذلك وتركه كتابة الكتاب، فإنه ﷺ لو أراد أن يكتب الكتاب ما استطاع أحد أن يمنعه، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك أياماً باتفاق المسلمين فلم يكتب شيئاً.

وينبغي على المسلم أن يحمل كلام الصحابة على أحسن المحامل إن كان الكلام أو الفعل يحتمل ذلك، لاسيما أن الله تبارك وتعالى قد زكاهم، بل قد أقرهم النبي ﷺ على ذلك وما كان النبي ليقر الباطل.

وأما القول بأن النبي ﷺ أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة علي رضي الله عنه فمردود من وجوه. فالإمامية يقولون: إن النبي ﷺ قد نص على خلافة علي، ونصَّبه وصياً من بعده بأمر الله له قبل حادثة الكتاب. وقد نقل إجماعهم على هذه العقيدة شيخهم المفيد في مقالاته حيث قال: (واتفقت الإمامية على أن رسول الله ﷺ استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، ونص عليه بالإمامة بعد وفاته، وأن من دفع ذلك دفع فرضاً من الدين)[1].

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب)[2].

فإذا كان النبي ﷺ قد أراد من ذلك الكتاب النَّصَ على خلافة علي في ذلك

(١) أوائل المقالات (ص:٤٤).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٥).

الوقت المتأخر من حياته، دل هذا على عدم نصه عليها قبل ذلك، إذ لا معنى للنص عليها مرتين، وإذا ثبت باتفاق المسلمين أن النبي ﷺ مات ولم يكتب ذلك الكتاب، بطلت دعوى الوصية من أصلها.

وإذا تقرر هذا: فليعلم أن العلماء اختلفوا في مراد النبي ﷺ من ذلك الكتاب، فذهب بعضهم إلى أن النبي ﷺ أراد أن يكتب كتاباً ينص فيه على الأحكام ليرتفع الاختلاف. نقله النووي وابن حجر عن بعض أهل العلم(١).

وقيل: إن مراده ﷺ من الكتاب: بيان ما يرجعون إليه عند وقوع الفتن، وقد ذكر هذا القرطبي ضمن الاحتمالات المرادة من الكتاب(٢).

وقيل: إن المراد بيان كيفية تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم، وتجهيز جيش أسامة. وبهذا قال الدهلوي(٣). مستدلاً على ذلك بما كان النبي ﷺ أوصى به في حديث ابن عباس المتقدم.

والذي عليه أكثر العلماء المحققين: أن النبي ﷺ أراد أن ينص على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ثم ترك ذلك اعتماداً على ما علمه من تقدير الله تعالى.

وقد حكى هذا القول سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله(٤) وإليه ذهب القرطبي(٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية(٦)، والسويدي(٧).

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١١/ ٩٠)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠٩).
(٢) المفهم (٤/ ٥٥٨).
(٣) مختصر التحفة الإثني عشرية (ص:٢٥١).
(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١١/ ٩٠).
(٥) المفهم (٤/ ٥٥٨).
(٦) منهاج السنة (٦/ ٢٣- ٢٤- ٣١٦).
(٧) الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد (٢/ ٤٨).

وذكر القاضي عياض: أن الكتاب كان في أمر الخلافة وتعيينها من غير أن يشير إلى أبي بكر[(١)].

وقد استدل من قال بهذا القول بما جاء في الصحيحين من حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: {ادعي لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه، فقد جاء مبيناً كما في الصحيحين عن عائشة ﵂)[(٣)]، ثم ساق الحديث.

فهذه أقوال أهل العلم المعتد بأقوالهم، ليس فيها قول واحد يؤيد ما ذهب إليه من حمل هذه الروايات على أنها من المطاعن في الصحابة.

وأما القول بأن عمر ﵁ قد اتهم رسول الله ﷺ بأنه لا يعي ما يقول، وقال: (إنه يهجر) ولم يمتثل قوله، وقال: (عندكم كتاب الله)، (حسبنا كتاب الله).

فجوابه: أن هذه اللفظة (أهجر) لا تثبت عن عمر ﵁ أصلاً وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة في الصحيحين وإنما الثابت فيها {فقالوا: ما شأنه أهجر}، هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد. ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر.

قال ابن حجر ﵀: (ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات، التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٨٩٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٨٧)، وروى البخاري – مع اختلاف في اللفظ– برقم (٧٢١٧).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٢٣).

الوجع، قد يشتغل به عن تحرير ما يريد)[١].

وقال الدهلوي ﷺ: (من أين يثبت أن قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع في أكثر الروايات «قالوا» بصيغة الجمع)[٢].

وقد ذهب إلى هذا السويدي وذكر أنه قد صرح بذلك جمع من متأخري المحدثين ومنهم ابن حجر[٣].

وهذا الذي صرح به العلماء هنا هو ظاهر قول النووي حيث يقول في معرض شرحه للحديث: (... وهو المراد بقولهم هجر، وبقول عمر: غلب عليه الوجع)، فقد فرّق بين القولين فتأمله..

ثم أن هذه اللفظة لا مطعن فيها على عمر لو ثبتت عنه، كما أنه لا مطعن فيها على من ثبتت عنه من الصحابة. **وذلك من عدة وجوه:**

الوجه الأول: أن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أهجر؟) وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ: (هجر، ويهجر) وتمسك به الطاعنون فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون وشراح الحديث: منهم القاضي عياض[٤]، والقرطبي[٥]، والنووي[٦]، وابن حجر[٧].

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٣٣).

(٢) مختصر التحفة الإثني عشرية (ص:٢٥٠).

(٣) الصارم الحديد (الجزء الثاني) (ص:١٦).

(٤) الشفا (٢/ ٨٨٦).

(٥) المفهم (٤/ ٥٥٩).

(٦) شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٣).

(٧) فتح الباري (٨/ ١٣٣).

فقد نصوا على أن الاستفهام هنا جاء على سبيل الإنكار على من قال: (لا تكتبوا).

قال القرطبي رحمه الله بعد أن ذكر الأدلة على عصمة النبي ﷺ من الخطأ في التبليغ في كل أحواله، وتَقَرُّرِ ذلك عند الصحابة: (وعلى هذا يستحيل أن يكون قولهم: «أهجر»، لشك عرض لهم في صحة قوله، زمن مرضه، وإنما كان ذلك من بعضهم على وجه الإنكار على من توقف في إحضار الكتف والدواة، وتلكأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف أتظن أنه قال: هذياناً، فدع التوقف وقرب الكتف، فإنه إنما يقول الحق لا الهجر، وهذا أحسن ما يحمل عليه).(١)

وهذا يدل على اتفاق الصحابة على استحالة الهجر على الرسول ﷺ، حيث إن قائليها أوردوها على سبيل الإنكار الملزم، الذي لا يشك فيه المخالف، وبه تبطل دعوى هذا الطاعن من أصلها.

الوجه الثاني: أنه على فرض صحة رواية (هجر) من غير استفهام، فلا مطعن فيها على قائلها، لأن الهجر في اللغة يأتي على قسمين: قسم لا نزاع في عروضه للأنبياء، وهو عدم تبيين الكلام لبحّة الصوت، وغلبة اليبس بالحرارة على اللسان، كما في الحميات الحارة، وقسم آخر: وهو جريان الكلام غير المنتظم، أو المخالف للمقصود على اللسان لعارض بسبب الحميات المحرقة في الأكثر.

وهذا القسم محل اختلاف بين العلماء في عروضه للأنبياء، فلعل القائل هنا أراد القسم الأول، وهو أنا لم نفهم كلامه بسبب ضعف ناطقته، ويدل على هذا قوله بعد ذلك: «استفهموه» (٢).

---

(١) المفهم (٤/ ٥٥٩).

(٢) مختصر التحفة الإثني عشرية (ص:٢٥٠).

الوجه الثالث: أنه يحتمل أن تكون هذه اللفظة صدرت عن قائلها عن دَهَشٍ وحَيْرةٍ أصابته في ذلك المقام العظيم، والمصاب الجسيم، كما قد أصاب عمر وغيره عند موت النبي ﷺ، قاله القرطبي[١].

قلت: وعلى هذا فقائلها معذور أياً كان معناها، فإن الرجل يعذر بإغلاق الفكر والعقل، إما لشدة فرح أو حزن، كما في قصة الرجل الذي فقد دابته ثم وجدها بعد يأس فقال: {اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح}[٢].

الوجه الرابع: أن هذه اللفظة صدرت بحضور رسول الله ﷺ وكبار أصحابه، فلم ينكروا على قائلها، ولم يؤثموه، فدل على أنه معذور على كل حال.

وأما الادعاء من معارضة عمر لرسول الله ﷺ بقوله: {عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله} وأنه لم يمتثل أمر الرسول ﷺ فيما أراد من كتابة الكتاب:

فالرد عليه:

أنه ليس في قول عمر هذا أي اعتراض على رسول الله ﷺ وعدم امتثال أمره كما توهم هذا الطاعن، وبيان هذا من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنه ظهر لعمر رضي الله عنه ومن كان على رأيه من الصحابة، أن أمر الرسول ﷺ بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، وقد نبه على هذا القاضي عياض، والقرطبي، والنووي، وابن حجر.[٣]

ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر رضي الله عنه وذلك بترك الرسول ﷺ كتابة

(١) المفهم (٤/ ٥٦٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - (كتاب التوبة، باب الحض على التوبة..)، (٤/ ٢١٠٤)، (٢٧٤٧).

(٣) الشفا (٢/ ٨٨٧)، والمفهم (٢/ ٥٥٩)، وشرح صحيح مسلم (١١/ ٩١)، وفتح الباري (١/ ٢٠٩).

الكتاب، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف. ولهذا عد هذا من موافقات عمر رضي الله عنه [(١)].

الوجه الثاني: أن قول عمر رضي الله عنه: (حسبنا كتاب الله) رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم [(٢)]، وهذا ظاهر من قوله: (عندكم كتاب الله) فإن المخاطب جمع وهم المخالفون لعمر رضي الله عنه في رأيه.

الوجه الثالث: أن عمر رضي الله عنه كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب -بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب- وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها أقوال.

فقيل: شفقته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: {إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غلبه الوجع} فكره أن يتكلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يشق ويثقل عليه [(٣)] مع استحضاره قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقيل: إنه خشي تطرق المنافقين، ومن في قلبه مرض، لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل نص على ذلك القاضي عياض وغيره من أهل العلم [(٤)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠٩).

(٢) نص عليه النووي في شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٣).

(٣) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٨٨)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١١/ ٩٠)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠٩).

(٤) الشفا (٢/ ٨٨٩)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٩٢).

ولا يبعد أن يكون عمر رضي الله عنه لاحظ هذه الأمور كلها، أوكان لاجتهاده وجوه أخرى لم يطلع عليها العلماء، كما خفيت قبل ذلك على من كان خالفه من الصحابة، ووافقه عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بتركه كتابة الكتاب، ولهذا عد العلماء هذه الحادثة من دلائل فقهه ودقة نظره.

قال النووي رحمه الله: (وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله، ودقيق نظره)(١).

ومما يدلل على فقه وعلم عمر ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر}(٢) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص، منها مايبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره. قالوا: ما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين}(٣).

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {بينما أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى أني لأرى الرَّيَّ يخرج من أظافري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب فقالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم}(٤).

وهذا علي بن أبي طالب يمدح عمر بن الخطاب ويشهد بعدالته واستقامته كما في نهج البلاغة حيث يقول في جزء من خطبته: (ووليهم والٍ فأقام واستقام حتى ضرب

---

(١) شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٣٩٨).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٠).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٠٠٦). ورواه مسلم برقم (٢٣٩١).

الدين بجرانه)، ويقول ابن أبي الحديد شارح النهج: (...هذا الوالي هو عمر بن الخطاب)[1].

الوجه الرابع: أن عمر رضي الله عنه كان مجتهداً في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي صلى الله عليه وسلم: {إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر}[2]، فكيف وقد كان اجتهاد عمر بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤثمه، ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك كتابة الكتاب.

وأما قوله: إن الأكثرية الساحقة كانت على قول عمر، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم جدوى كتابة الكتاب، لأنه علم بأنهم لن يمتثلوه بعد موته.

فجوابه: (أن هذا الكلام مع ما فيه من الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، والطعن على الصحابة بمجرد التخرص والظنون الكاذبة، فهو دليل على جهل صاحبه. وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بالتبليغ سواء استجاب الناس أم لم يستجيبوا، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى:٤٨]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النحل:٨٢] فلو كان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة الكتاب، ما كان ليتركه لعدم استجابة أصحابه، كما أنه لم يترك الدعوة في بداية عهدها لمعارضة قومه وشدة أذيتهم له، بل بلَّغ ما أُمر به، وما ثناه ذلك عن دعوته، حتى هلك من هلك عن بينة، وحيا من حيي عن بينة.

فظهر بهذا أن كتابة الكتاب لم تكن واجبة عليه، وإلا ما تركها، وقد نص على ذلك

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٤/ ٥١٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٣٥٢)، ومسلم برقم (١٧١٦).

العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر -رحمهما الله-[(١)].

وحينئذ يكون توجيه إرادته له أولاً، ثم تركه له بعد ذلك ما ذكره النووي حيث قال: (كان النبي ﷺ همّ بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة، أو أوحي إليه ذلك، ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول)[(٢)].

ومن الردود: أن معنى قول عمر: (حسبنا كتاب الله) هل معنى هذا أننا لا نريد السنة؟

الجواب: لا. فإن معنى قول عمر: (حسبنا كتاب الله) أي: ما جاء في كتاب الله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ يكفي كمل الدين، دعوا رسول الله ﷺ يرتاح، اجتهد عمر في هذه.. أصاب أو أخطأ هذا موضوع آخر، لكن هل نقول: إن عمر كتم الدين رضي الله عنه وأرضاه!! عندما قال: (حسبنا كتاب الله)، هل كان الذي سيبلغه النبي ﷺ أمراً لازماً واجباً لابد منه، واحذروا قبل أن تقولوا: نعم، لأننا إذا قلنا: نعم هو أمر لازم واجب لابد منه والنبي لم يبلغه معناه أن النبي ﷺ لم يتم الرسالة ولم يكملها وكتم بعضها، والله جل وعلا يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ قبل هذه الحادثة بثلاثة أشهر في حجة الوداع قال الله هذا الكلام سبحانه وتعالى وأنزله على نبيه قرآناً يتلى.

بل إن النبي ﷺ قال: {ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله والجنة إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله ويقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه}[(٣)] إذاً النبي بلغ

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٣١٥- ٣١٦)، وفتح الباري (١/ ٢٠٩).

(٢) شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٠).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم (١٣٢٢١).

الرسالة.

بقي أمر وهو: ما هو هذا الأمر الذي أراد النبي ﷺ أن يبلغه؟

جاء في مسند أحمد أن علياً رضي الله عنه كان حاضراً في هذه الحادثة فلما قال رسول الله ﷺ {ائتوني بكتاب. قال علي: يا رسول الله إني أحفظ، قل أحفظ، فقال: أوصيكم بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم}[1] إذاً بلّغ ما كان يريد صلوات الله وسلامه عليه.

ولنا أن نسأل: هل كان علي حاضراً رضي الله عنه في هذه الحادثة؟

قطعاً نعم عند الجميع هو حاضر، إذاً لماذا لم يكتب؟ لماذا لم يذهب ويأت بالدواة والقلم ويكتب؟ وهل كان علي مع الذين منعوا أو مع الذين لم يمنعوا؟!

هذا الموقف من النبي ﷺ لما قال: (قوموا عني) أمرهم أن يقوموا عنه صلوات الله وسلامه عليه.. لماذا قال: قوموا عني؟.. لأنه صار صياح ونزاع ولغط، هذا يقول: قرب. وهذا يقول: لا تقرب وما ينبغي عند نبي تنازع، ولذلك أمرهم بالخروج صلوات الله وسلامه عليه.

نعم هناك من قال يستفهم: أهجر؟؟ يعني: أهذا الذي يقوله النبي ﷺ هجراً أو لا؟

ولكن نقول: من يقول: إن الذي قال هذا عمر؟

لماذ لا يكون قاله علي! ونحن أيضاً نقول: علي لم يقل هذا، إذاً من الذي قال: أهجر؟ لعله أحد الذين كانوا حديثي عهد بإسلام وحضروا النبي ﷺ وقالوا مثل هذه الكلمة.. ولكن لم يثبت أبداً أن أبا بكر قال هذه الكلمة أو عمر أو عثمان أو علي

(١) مسند أحمد برقم (٦٩٣).

أو الزبير أو طلحة أو أحد من كبار أصحاب النبي ﷺ.

النبي ﷺ معلوم أنه لما أصابه الوجع قبيل موته لما حضر النبي ﷺ الوفاة كما قال ابن عباس إذ كان الأمر على النبي ﷺ شديداً.. ولذلك ابن مسعود لما حضر النبي ﷺ وهو على فراش الموت وجده يعرق عرقاً شديداً يتصبب العرق من جبينه، فقال: {يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً قال: إني أوعك كرجلين منكم، قال: أذلك لأن لك الأجر مرتين؟ قال: نعم}(١).

فشفقة عمر على النبي ﷺ هي التي دفعته أن يقول: {حسبنا كتاب الله.. حسبنا كتاب الله} يعني دعوا النبي يرتاح ﷺ.

ومن الردود أن الرسول ﷺ أراد أن يكتب لهم كتاباً يعصمهم من (الضلالة)! هكذا بإطلاق، ومعلوم أن للضلالة معانٍ مختلفة، والصحيح أن النبي ﷺ بقوله: {لن تضلوا بعده} فإنه يخصه بأمر محدد كأن ينص على تعيين خليفة أو كتابة كتاب في الأحكام ليرتفع النزاع في الأمة وإلا فبالله كيف يترك النبي ﷺ أن يكتب أمراً يعصم الأمة به من الضلالة؟! فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن الأمر ليس للوجوب فتركه.

ومنها: أنه يجب أن يعتقد كل مسلم (أن النبي ﷺ معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه) فإذا عرفنا ذلك تبين لدينا أنه لو أمر بتبليغ شيء حال مرضه وصحته فإنه يبلغه لا محالة فـ (لو كان مراده ﷺ أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره، لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٤٧)، ومسلم برقم (٢٥٧١).

[المائدة:٦٧] كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه) فدل ذلك على أن ما أراد النبي ﷺ كتابته يحمل على الندب لا على الوجوب، وقد عاش صلوات الله وسلامه عليه أربعة أيام بعد ذلك ولم يأمرهم بإعادة الكتابة، وقوله في الرواية: (وأوصاهم بثلاث) يدل على أن الذي أراد أن يكتبه لم يكن أمراً محتّماً؛ لأنه لو كان مما أمر بتبليغه لم يكن يتركه لوقوع الاختلاف، ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلغه لهم لفظاً كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك.

ومنها: أنه لم يظهر على النبي ﷺ أي غضب على صحابته أو أمر بطردهم، ولم يرد هذا المعنى في أيٍ من روايات الحديث السبع التي ذكرها البخاري في صحيحه، ولكنه لشدة إحساسه بالمرض طلب منهم الكف عن الجدال فيما بينهم، ويظهر هذا واضحاً في الرواية التي أوصاهم فيها بثلاثة أمور وذلك بعد جدالهم فلا دليل على أنه غضب منهم أو طردهم، ولو فرضنا جدلاً أنه غضب منهم فليس في هذا قدح بهم؛ لأنهم ليسوا معصومين من الوقوع بذلك والرسول ﷺ يغضب ويرضى بل لعل غضبه على أصحابه يكون خيراً لهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: {اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة}(١).

وروى الطبراني في الكبير وأحمد في المسند قوله ﷺ في جزء من الحديث: {أيما رجل من أمتي سببته سُبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة}(٢).

ومنها: أن بكاء ابن عباس رضي الله عنهما حتى بل دمعه الحصى وتسميته ذلك رزيّة فليس

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٣٦١)، ومسلم برقم (٢٦٠١).

(٢) مسند أحمد (٢٣٧٥٧)، معجم الطبراني الكبير (٦/ ٢٥٩) (٦١٥٦). ورواه أبو داود برقم (٤٦٥٩).

فيه حجة على الصحابة. فابن عباس كان يقول ذلك عندما يروي الحديث وليس عندما حدثت الحادثة، والروايات كلها تدل على ذلك، ويحتمل أنه تذكر وفاة النبي ﷺ فزاد في حزنه بالإضافة إلى أن عدم كتابة الكتاب كان هذا رزية في حق من شك في خلافة أبي بكر، فلو كتب الكتاب لزال الشك وكذلك سمى تلك الحادثة رزية لأن ابن عباس كان ممن وافق على ترشيح أبي بكر.

ومنها: أن قول البعض: لو كان تعليل أهل السنة صحيحاً، فلم يكن ليخفى على رسول الله حسن نية عمر، ولشكره رسول الله على ذلك وقربه بدلاً من أن يغضب عليه ويقول: اخرجوا عني.

فالرد أن سكوت النبي ﷺ على قول عمر ثم توقفه عن الكتابة يدل على موافقته له، ثم أن القول: (بدلاً من أن يغضب عليه ويقول: اخرجوا عني) عجيب فالهاء في (عليه) عائدة على عمر والواو في (اخرجوا) واو الجمع فكيف تستقيم الجملة هكذا؟

فالأصل أن يقال: (أن يغضب عليه ويقول: اخرج عني) ولو قال ذلك فلعلها كانت شبهة صحيحة.

وهذا أعظم دليل على أن النبي ﷺ سكت عن قول عمر ولم يعترض عليه، ولكن لما كثر اللغط والاختلاف قال: (دعوني) وليس فيها ما يفيد الطرد والإخراج خاصةً إذا ما عرفنا أنه أوصاهم بعدها بثلاثة وصايا.

ومن الردود على القول: (وفي هذه الحادثة تعدوا حدود رفع الأصوات والجهر بالقول إلى رميه ﷺ بالهجر والهذيان والعياذ بالله «!!» ثم أكثروا اللغط والاختلاف وصارت معركة كلامية بحضرته، وأكاد أعتقد بأن الأكثرية الساحقة كانت على قول عمر ولذلك رأى رسول الله ﷺ عدم الجدوى من كتابة الكتاب؛ لأنه علم بأنهم لم

يحترموه «!!» ولم يمتثلوا لأمر الله فيه في عدم رفع أصواتهم بحضرته، وإذا كانوا لأمر الله عاصين فلن يكونوا لأمر رسوله طائعين «!»، واقتضت حكمة الرسول بأن لا يكتب لهم ذلك الكتاب لأنه طعن فيه في حياته، فكيف يعمل بها فيه بعد وفاته، وسيقول الطاعنون: بأنه هجر من القول، ولربما سيشككون في بعض الأحكام التي عقدها رسول الله في مرض وفاته «!»، إذا اعتقادهم بهجره ثابت، أستغفر الله «!» وأتوب إليه من هذا القول في حضرة الرسول الأكرم «!!»، كيف لي أن أقنع نفسي وضميري الحر «!» بأن عمر بن الخطاب كان عفوياً في حين أن أصحابه ومن حضروا محضره بكوا لما حصل حتى بل دمعهم الحصى وسموها رزية المسلمين، ولهذا فقد خلصت إلى أن أرفض كل التعليلات التي قدمت لتوجيه ذلك، ولقد حاولت أن أنكر هذه الحادثة وأكذبها لأستريح من مأساتها «!» ولكن كتب الصحاح نقلتها وأثبتتها وصححتها ولم تحسن تبريرها)!

فالرد أنه كيف يدعي أن رسول الله ﷺ رأى عدم الجدوى من كتابة الكتاب واقتضت حكمته ذلك (هكذا!!) بحجة أن الصحابة (لن) يحترموه و(لن) يمتثلوا أمره بالإضافة إلى طعنهم به!! ولو فرضنا أن هذا حق فكيف يتوقف النبي ﷺ عن كتابة ما أمر ببلاغه وهو الرسول المبلغ عن رب العالمين؟ وليس هو مخيرٌ في ذلك والله يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة:٦٧] ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم:٣-٤] فلا بد للنبي ﷺ من التبليغ سواءٌ بالكتابة أو بالقول كما أمرهم بإخراج المشركين من جزيرة العرب وغيره، وادعاء صاحبنا هذا هو طعن بالنبي ﷺ إذ كيف يتوقف عن التبليغ لمجرد الطعن به؟!

ومن قرأ كتاب الله يعلم مدى جهل قائل هذا القول بحقيقة الرسالة؛ لأن الرسل جميعاً تعرضوا من أقوامهم لشتى أنواع التعذيب الجسدية والنفسية فلم تثنيهم هذه العذابات عن المضي قدماً بتبليغ رسالة الله، ونبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء قد تعرض لأنواع من الإغراءات ثم التهديدات والتعذيب ليثنيه المشركون عن تبليغ رسالة السماء، فقاموا بالاعتداء عليه وعلى أصحابه وتعذيبهم وحاصروه وقومه بشعاب مكة ورموه بألقاب السخرية والاستهزاء كالساحر والمجنون، فلم تقف هذه الضغوط في طريقه ليبلغ دين الله كاملاً غير منقوص وجاهد في سبيل الله مع أصحابه حتى مكن الله له في الأرض وجعل دينه يعلو على كل الأديان، وبذلك استحق أن يكون خير رسل الله أجمعين.

ثم يأتي من يقول على نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه أنه توقف عن تبليغ أمر الله عاصماً للأمة من الضلالة! لماذا؟ لمجرد عدم احترامه وإطاعة أمره أو الطعن به يتراجع عن تبليغ ما أمر ببيانه! فحاشا نبينا ﷺ ذلك، فلا بد من أن يبلغ الرسالة وأن يظهر الحق وإن حاربه أهل الأرض جميعاً وليظهر أهل الحق من أهل الباطل ويعرف أولياءه من أعدائه، فمن اتبع أمر الله ورسوله نجا ومن خالف فقد هلك، ولذلك أنزل الله الرسل مبشرين للناس ومنذرين، ومن هنا نعلم أن الذي أراد النبي ﷺ كتابته ليس وحياً بل على سبيل الاختيار ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ثم يدعي هذا الطاعن على الصحابة بأنهم لم يحترموا النبي ﷺ ولم يمتثلوا لأمره وطعنوا به!!؟

فيبدو أن الكلام عند هذا الطاعن لا يشترى بالمال فلا غضاضة إذاً من تسويد الصفحات بالمجازفات والافتراءات، فمرة يقول: إن ابن عباس بكى وبل دمعه الحصى. ومرة يقول: إن الصحابة بكوا حتى بل دمعهم الحصى. وفي نفس الوقت

يخططون لمنع النبي ﷺ من الكتابة وأكثرهم كانوا على رأي عمر.

وأخيراً أقول: إذا كان الرسول ﷺ يريد من كتابة الكتاب أن ينص على أحد بالخلافة لأوحى بها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه للقرائن الظاهرة في ذلك منها:

ما أخرجه البخاري عن القاسم بن محمد قال: {قالت عائشة رضي الله عنها: وارأساه، فقال رسول الله ﷺ: ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون}(١).

وفي رواية مسلم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: {ادع لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}(٢).

وأخرج البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: {أتت امرأة للنبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت. قال ﷺ: إن لم تجديني فأتِ أبا بكر}(٣).

وأخرج البخاري ومسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: {بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٢١٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٣٨٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٢٢٠)، صحيح مسلم برقم (٢٣٨٦).

استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بِعَطَنْ}[1].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: {أيكم رأى رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، قال: فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني فساءه ذلك فقال: خلافة نبوة، ثم يأتي الله الملك من يشاء}[2].

وقد قدّمه النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي بالناس حتى وفاته، فقد أخرج البخاري عن أبي موسى قال: {مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت عائشة: إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فعادت، فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف. فأتاه الرسول، فصلى بالناس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم}[3].

وروى عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري وكان تَبِع النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه وصحبه {أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برُؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر، فتوفي من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٦٤)، صحيح مسلم برقم (٢٣٩٢).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٦٣٤)، والترمذي برقم (٢٢٨٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٧٨)، صحيح مسلم برقم (٤١٨).

يومه}[1] فتقديمه ﷺ لأبي بكر لإمامة المسلمين في الصلاة إشارة إلى إمامته على المسلمين، وهذا الذي قد كان، فقول أهل السنة أن النبي ﷺ إذا كان يريد من وراء كتابة الكتاب هو أن يوصي لأحد بالإمامة لكان أوصى لأبي بكر، والأدلة التي يحتجون بها أقوى احتجاجاً وأوضح بياناً، ولا تخالف معقولاً، ولا ينكرها من عقلها بخلاف شبهات المبطلين.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٨٠)، صحيح مسلم برقم (٤١٩).

سَرِيةُ أسامَةَ بن زَيد رضي الله عنه

تقول الشبهة: (أن النبي ﷺ جهز جيشاً لغزو الروم قبل وفاته بيومين، وأمّر على هذه السرية: أسامة بن زيد بن حارثة، وعمره ثمانية عشر عاماً، وقد عبأ ﷺ في هذه السرية وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر وعمر، وأبي عبيدة، وغيرهم من كبار الصحابة المشهورين، فطعن قوم منهم في تأمير أسامة، وقالوا: كيف يؤمر علينا شاباً لا نبات بعارضيه، وقد طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقد قالوا في ذلك وأكثروا النقد، حتى غضب ﷺ غضباً شديداً مما سمع من طعنهم وانتقادهم، فخرج معصّب الرأس محموماً، يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، من شدة ما به من لغوب، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنه كان خليقاً بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بها).

وقالوا: (وإذا أردنا أن نتمعن في هذه القضية، فإننا سنجد عمر من أبرز عناصرها، إذ أنه هو الذي جاء بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى الخليفة أبي بكر وطلب منه أن يعزل أسامة ويبدله بغيره. فقال أبو بكر: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، أتأمرني أن أعزله وقد ولاه رسول الله ﷺ).

ردود العلماء على هذه الشبهة:

- منها أن دعوى معارضة الصحابة للرسول ﷺ في تأمير أسامة معارضة صريحة أنه من أظهر الكذب الذي ترده الأخبار الصحيحة.

والثابت في هذه الحادثة أن الرسول ﷺ في مرضه الذي توفي فيه أمر أصحابه بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، والإغارة على أهل مؤتة، حيث قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة الذين كانوا أمراء الرسول ﷺ على غزوة مؤتة المعروفة، فلما تجهز الصحابة لما أمرهم به رسول الله ﷺ جعل الرسول ﷺ أسامة بن زيد أميراً عليهم، وقال له: سر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل وأغر صباحاً على أُبْنى[١] وحرّق عليهم، وأسرع المسير تسبق الخبر، إن أظفرك الله بهم، فأقل اللبث فيهم، فتكلم في تأمير أسامة قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي، فرد عليه عمر وأخبر النبي ﷺ[٢] فخطب وقال: {إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان من أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده}[٣].

فظاهر أن من تكلم في إمارة أسامة كانوا أفراداً من الصحابة وليس كل الصحابة، وكانوا بذلك مجتهدين في ما قالوا؛ لأنهم خشوا أن يضعف عن الإمارة لصغر سنه، ومع هذا فقد أنكر عليهم عمر وأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فأخبرهم إنه جدير بالإمارة فما يعرف أن أحداً منهم تكلم فيه بعد ذلك.

فأي لوم على الصحابة رضي الله عنهم بقول أفراد منهم أنكره عليهم بعضهم، ثم نهاهم رسول الله ﷺ فانتهوا.

ومنها دعوى أنهم رضي الله عنهم تباطئوا في الخروج مع أسامة حتى مات رسول الله ﷺ فلم يحصل شيء من ذلك بل إن الصحابة بادروا بالاستعداد للقتال، وأعدوا العدة

(١) أُبْنَى: بوزن حُبْلى موضع بالشام من جهة البلقاء، معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٧٩).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ١٨٤)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ١٥٢).

(٣) من قوله: «إن تطعنوا..." رواه البخاري برقم (٤٤٦٩)، ومسلم برقم (٢٤٢٦).

لذلك، فقد نقل ابن هشام والطبري بسنده عن ابن إسحاق قال: (بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطئ تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون)(١).

وفي الطبقات لابن سعد: (وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار، إلا انتدب في تلك الغزوة)(٢).

فكان الصحابة قد تهيئوا للخروج مع أسامة، وخرج بهم وعسكر بالجرف استعداداً للانطلاق، لكن الذي حصل بعد ذلك أن النبي ﷺ اشتد عليه المرض فجاءه أسامة وقال: (يا رسول الله قد أصبحت ضعيفاً وأرجو أن يكون الله قد عافاك فأذن لي فأمكث حتى يشفيك الله، فإني إن خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي نفسي منك قرحة، وأكره أن أسأل عنك الناس، فسكت عنه رسول الله)(٣).

فكان أسامة هو الذي طلب من النبي ﷺ التأخر في الخروج حتى يطمئن على رسول ﷺ فأذن له الرسول ﷺ ولو أراد أسامة الخروج ما تأخر عنه أحد ممن كان تحت إمرته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولا امتنع أحد من أصحاب أسامة من الخروج معه لو خرج، بل كان أسامة هو الذي توقف في الخروج لما خاف أن يموت النبي ﷺ فقال: كيف أذهب وأنت هكذا، أسأل عنك الركبان؟ فأذن له النبي ﷺ في المقام، ولو عزم على أسامة في الذهاب لأطاعه، ولو ذهب أسامة لم يتخلف عنه أحد ممن كان معه، وقد ذهب جميعهم معه بعد موت النبي ﷺ ولم يتخلف عنه أحد بغير

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ١٤٩٩)، تاريخ الطبري (٣/ ١٨٤).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩٠).

(٣) نقلة شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٥/ ٤٨٨).

إذنه)[١].

ثم إن أسامة بقي معسكراً في الجرف ينتظر شفاء رسول الله ﷺ حتى إذا كان يوم الإثنين أصبح رسول الله ﷺ مفيقاً فدخل عليه أسامة، فقال له الرسول ﷺ: (اغد على بركة الله، فودعه أسامة وخرج إلى معسكره، فأمر الناس بالرحيل، فبينما هو يريد الركوب إذ رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول: إن رسول الله ﷺ يموت. فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت فتوفي عليه الصلاة والسلام)[٢].

فهذا هو حقيقة ما حصل، ولم يكن تأخر خروج أسامة إلا بطلب منه أذن له فيه النبي ﷺ، على أنه لم يكن بين أمر النبي ﷺ أصحابه بالتهيؤ للغزو، ووفاته إلا ستة عشر يوماً، فقد كان ندبه أصحابه لذلك يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، وعين أسامة أميراً على الجيش في اليوم الثاني.

فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله ﷺ المرض فما زال مريضاً حتى توفاه الله يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول[٣].

ومعلوم أن هذه المدة ليست طويلة في تجهيز جيش في مثل ذلك الوقت على أن الصحابة كانوا قد استعدوا وتهيئوا للخروج قبل هذه المدة بكثير لولا استئذان أسامة رسول الله ﷺ في تأخير الخروج، فقد ثبت أن أسامة قد خرج بالجيش وعسكر في الجرف يوم الخميس أي بعد ثلاثة أيام من أمر النبي ﷺ بالتهيؤ للقتال[٤].

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٣١٨- ٣١٩).

(٢) الطقبات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٨٩- ١٩١).

(٤) انظر: المصدر السابق.

وبهذا تبطل دعوى القول في تثاقل الصحابة عن الخروج بل إن هذا يدل على سرعة امتثالهم رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ وذلك بتجهيزهم جيشاً كهذا قيل: إن قوامه ثلاثة آلاف مقاتل(١) بكل ما يحتاج إليه من مؤونة وعتاد في خلال ثلاثة أيام على ما هم فيه من فاقة وفقر وحاجة ف رضي الله عنهم جميعاً، وجزاهم على جهادهم، وحسن بلائهم في الإسلام، خير ما جازى به المحسنين.

ومنها القول بأنه كان في جيش أسامة أبو بكر وعمر، بتعيين رسول الله ﷺ لهما ثم تثاقلا عن الخروج معه.

فجوابه: أنه لم يثبت أن الرسول ﷺ أمر أبا بكر وعمر أن يلتحقا بجيش أسامة، بل ولا أمر غيرهما بذلك، إذ لم يكن من عادته إذا أراد أن يجهز سرية أو غزوة أن يعين من يخرج فيها بأسمائهم، وإنما كان يندب أصحابه لذلك ندباً عاماً، ثم إذا اجتمع عنده من يقوم بهم الغرض عين لهم أميراً منهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن النبي ﷺ لم تكن من عادته في سراياه، بل ولا في مغازيه، أن يعين كل من يخرج معه في الغزو بأسمائهم ولكن يندب الناس ندباً عاماً مطلقاً، فتارة يعلمون منه أنه لم يأمر كل أحد بالخروج معه ولكن ندبهم إلى ذلك، كما في غزوة الغابة، وتارة يأمر الناس بصفة كما أمر في غزوة بدر أن يخرج من حضر ظهره فلم يخرج معه كثير من المسلمين، وكما أمر في غزوة السويق بعد أحد أن لا يخرج معه إلا من شهد أحداً، وتارة يستنفرهم نفيراً عاماً، ولا يأذن لأحد في التخلف كما في غزوة تبوك... ولما أمّر أسامة بن زيد بعد مقتل أبيه، فأرسله إلى ناحية العدو الذين قتلوا أباه لما رآه في ذلك من المصلحة، ندب الناس معه فانتدب معه من رغب

---

(١) انظر: كتاب المغازي للواقدي (٣/ ١١٢٢)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٥٢).

في الغزو، وروي أن عمر كان ممن انتدب معه لا أن النبي ﷺ عين عمر ولا غير عمر)[١].

فالنبي ﷺ لم يعين أحداً باسمه، للالتحاق بجيش أسامة، وإنما دعا أصحابه إلى ذلك فالتحق بالجيش كبار المهاجرين والأنصار.

وكان من بين هؤلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما نص على ذلك المؤرخون[٢]، وثبت أنه فيمن خرج في معسكر أسامة بالجرف، ثم عاد للمدينة مع أسامة، لما بلغه احتضار رسول الله ﷺ، كما تقدم بذلك النقل عن ابن سعد.

ثم إن عمر رضي الله عنه بقي مكتتباً في جيش أسامة فلما استخلف أبو بكر وأمر بمسير الجيش استأذن أبو بكر أسامة أن يأذن لعمر بالبقاء معه لحاجته إليه.

قال الواقدي: (ومشى أبو بكر رضي الله عنه إلى أسامة في بيته، وكلمه أن يترك عمر، ففعل أسامة وجعل يقول له: أذنت ونفسك طيبة؟ فقال أسامة: نعم)[٣].

ويذكر الطبري أن أبا بكر قال لأسامة لما شيعه في خروجه بالجيش: (إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل فأذن له)[٤].

كما نص على هذا غير واحد من المؤرخين والمحققين.[٥]

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٢٧٧- ٢٧٩).

(٢) انظر: المغازي للواقدي (٣/ ١١١٨)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩٠)، تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٦)، البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٤٩٧).

(٣) المغازي للواقدي (٣/ ١١٢١- ١١٢٢).

(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٦).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩١)، البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٠٩)، منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٤٤٨)، (٦/ ٣١٩).

فثبت بهذا أن التحاق عمر بجيش أسامة كان برغبته واختياره، وأن خروجه منه كان بطلب الخليفة، وإذن الأمير، فأي لوم على عمر ﵁ في ذلك.

وأما أبو بكر فالذي عليه أكثر المؤرخين: أنه لم يكن في جيش أسامة أصلاً، فإنهم سموا من التحق بجيش أسامة من كبار الصحابة، ولم يذكروا فيهم أبا بكر.

قال الواقدي ضمن حديثه عن غزوة أسامة: (فلم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل..)(١).

وقال الطبري ﵀: (ضرب رسول الله ﷺ قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب، وأمر عليهم أسامة بن زيد).(٢)

وقال الذهبي ﵀ ضمن ترجمة أسامة: (استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار).(٣)

فلم يذكر هؤلاء المؤرخون أبا بكر في جيش أسامة، وذكروا بعض كبار الصحابة كعمر، وأبي عبيدة، وسعد وغيرهم، ولو كان أبو بكر في الجيش لكان ذكره أولى وأشهر.

وإنما عدّ أبا بكر في جيش أسامة ابن سعد قال: (فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة..)(٤).

---

(١) المغازي (٣/ ١١١٨).

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٧).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩٠).

وإلى هذا ذهب ابن حجر رحمه الله في الفتح(١).

وقال ابن كثير رحمه الله في سياق الموضوع: (وكان بينهم: عمر بن الخطاب، ويقال: أبو بكر فاستثناه رسول الله ﷺ للصلاة)(٢).

وقد جزم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة ونقل اتفاق أهل العلم عليه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأبو بكر رضي الله عنه لم يكن في جيش أسامة باتفاق أهل العلم، لكن روي أن عمر كان فيهم، وكان عمر خارجاً مع أسامة، لكن طلب منه أبو بكر أن يأذن له في المقام عنده لحاجته إليه، فأذن له)(٣).

وقال رحمه الله في موضع آخر: (وأما قولهم: إنه أمّر أسامة على الجيش الذي فيهم: أبو بكر، وعمر، فمن الكذب الذي يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث، فإن أبا بكر لم يكن في ذلك الجيش، بل كان ﷺ يستخلفه في الصلاة من حين مرضه إلى أن مات. وأسامة قد روى أنه عقد له الراية قبل مرضه، ثم لما مرض أمر أبا بكر أن يصلي بالناس فصلى بهم إلى أن مات النبي ﷺ، فلو قُدر أنه أُمر بالخروج مع أسامة قبل المرض، لكان أمره بالصلاة تلك المدة، مع إذنه لأسامة أن يسافر في مرضه، موجباً لنسخ إمرة أسامة عنه، فكيف إذا لم يُؤمر عليه أسامة بحال).(٤)

وبهذا يظهر أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة. وهو قول عامة المؤرخين إلا من شذ منهم، بل نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اتفاق أهل العلم والحديث على هذا،

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ١٥٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٠٨).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣١٩).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ٢٧٦- ٢٧٧).

لاشتغال أبي بكر رضي الله عنه بالصلاة بالناس في مرض النبي ﷺ.

على أن من قال بالقول الآخر، لم يقل: إن أبا بكر بقي في جيش أسامة بعد أمر الرسول ﷺ له بالصلاة، فهذا لم يقل به أحد من أهل العلم، لما هو معلوم عندهم بالتواتر من اشتغال أبي بكر بإمامة الناس في مرض النبي ﷺ حتى مات، في حين أن الجيش كان معسكراً بالجرف، استعداداً للخروج.

ولهذا ذكر ابن كثير رحمه الله أن من قال بدخول أبي بكر في جيش أسامة، ذكر أنه مستثني بأمر النبي ﷺ له بالصلاة. والروايات كثيرة التي تبين أن أبا بكر كان يصلي بالمسلمين يوم وفاة النبي ﷺ وأنه ﷺ كشف عن سترة الحجرة فرآهم صفوفاً خلف أبي بكر، فكيف يكون في جيش أسامة إذاً؟!

- **وأما قوله**: إن عمر كان من أبرز عناصر المعارضة، وهو الذي جاء بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، وطلب منه أن يعزل أسامة ويبدله بغيره.

فجوابه: أنه لم تكن هناك معارضة أصلاً حتى يكون لها عناصر بارزة أو غير بارزة، وإنما هذه أوهام وأكاذيب من الذين يحاولون عن طريقها التلبيس على ضعاف العقول بقصد الطعن في أصحاب النبي ﷺ والنيل منهم. والعبرة في هذا بصحة النقل، ولا نقل صحيح في هذا.

- **وأما قوله**: إن عمر طلب من أبي بكر عزل أسامة فليس هذا رأي عمر وحده، بل رأى بعض الصحابة، وسبب هذا أنه لما مات النبي ﷺ ارتدت كثير من قبائل العرب، ونجم النفاق، وتربص الأعداء بالمسلمين من كل ناحية، وقد كان في جيش أسامة جل الصحابة وخيارهم، فخشى كبار الصحابة على المدينة بعد خروج الجيش منها أن يحيط بها الأعداء، وفيها خليفة رسول الله ﷺ، وأمهات المؤمنين، والنساء،

والذراري، فأشاروا على أبي بكر أن يؤجل بعث أسامة حتى يستقر الحال، ويفرغ من قتال المرتدين، فلما أبى عليهم ذلك أشار عليه بعضهم أن يولي الجيش من هو أسن من أسامة، وأعرف بالحرب منه حرصاً منهم على سلامة الجيش في ذلك الوقت العصيب الذي يمرون به.

وبهذا جاءت الروايات:

فقد روى الطبري من حديث عروة عن أبيه قال: (لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه، قال: ليتم بعث أسامة، وقد ارتدت العرب، إما عامة، وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقدهم نبيهم صلى الله عليه وسلم وقلتهم وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب -على ما ترى- قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذنه)[1].

وفي روايه للواقدي: (فلما بلغ العرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد عن الإسلام، قال أبو بكر رضي الله عنه لأسامة -رحمة الله عليه-: أنفذ على وجهك الذي وجهك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأخذ الناس بالخروج وعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بريدة باللواء حتى انتهى إلى معسكرهم الأول فشق على كبار المهاجرين الأولين، ودخل على أبي بكر، عمرُ، وعثمان، وسعدُ بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيدُ بن زيد، فقالوا: يا خليفة رسول الله! إن العرب قد انتقضت عليك من كل

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥)، وأورد هذه الرواية ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨).

جانب وإنك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً، اجعلهم عُدة لأهل الردة ترمي بهم في نحورهم؟ وأخرى لا نأمن على أهل المدينة أن يغار عليها، وفيها الذراري والنساء، فلو استأنيت لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجرانه وتعود الردة إلى ما خرجوا منه، أو يفنيهم السيف، ثم تبعث أسامة حينئذ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا؟ فلما استوعب أبو بكر ﷺ منهم كلامهم قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا قد سمعت مقالتنا، فقال: والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث، ولا بدأت بأولى منه، ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفذوا جيش أسامة)[1].

وفي رواية للطبري: أن هذا هو رأي أسامة نفسه، وهو الذي بعث عمر إلى أبي بكر بهذا، وعلى هذا الرأي الأنصار أيضاً، وأنهم قالوا لعمر فإن أبى ذلك فليول الجيش أقدم سناً من أسامة، وها هو ذا نص الرواية من رواية الحسن البصري قال: (ضرب رسول الله ﷺ قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فلم يجاوز آخرهم الخندق، حتى قبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدَّهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل رسول الله، وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون، وقالت الأنصار: فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة، فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة، فقال أبو بكر: لو خطفتني الكلاب والذئاب، لم أرد قضاءً قضى به رسول الله ﷺ. قال: فإن الأنصار أمروني أن

---

(١) المغازي للواقدي (٣/ ١١٢١).

أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة، فوثب أبو بكر -وكان جالساً- فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب؟ استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه؟ فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا، ثكلتكم أمهاتكم؟ ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله؟)(١).

فظاهر من هذا أن الذي حمل الصحابة على ما قالوا إنما هو النصح لدين الله، وشفقتهم على المسلمين، وأن القول بتأجيل خروج جيش أسامة، هو قول عامة الصحابة، بما فيهم أسامة، وذلك لشدة الظروف التي كانوا يمرون بها، نظراً لموت رسول الله ﷺ وما تبع ذلك من كثرة الارتداد، وشيوع النفاق، وتربص الأعداء، وطمعهم في المسلمين، في حين أن الجيش سيقطع مسافات بعيدة يخترق من خلالها كثيراً من أحياء العرب الذين لا يؤمن جانبهم، ويخشى من غدرهم وردتهم، مما حمل الأنصار أن يطلبوا من عمر -كما في رواية الطبري- أن يطلب من خليفة رسول الله ﷺ إذا ما عزم على مسيرة الجيش أن يولي إمرته من هو أسن من أسامة، فإنه كان شاباً عمره ثماني عشرة سنة(٢)، وهذا لا مطعن فيه على أسامة، وإنما للسن أثره في الحكمة وسياسة الأمور، خصوصاً في تلك المرحلة الحرجة.

ومع هذا فقد صمم الصديق رضي الله عنه على تسيير الجيش بقيادة أسامة امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، وثقة بنصر الله، فسار الجيش إلى ما أمر به رسول الله ﷺ، وأغار على أهل تلك البلاد، فقتل أسامة قاتل أبيه وغنموا منهم ورجع الجيش سالماً إلى المدينة.(٣)

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٥٠٠).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩١).

والصحابة على كل حال مجتهدون في شأن جيش أسامة سواء من رأى منهم تسيير الجيش، أو لم ير ذلك، أو رأى عزل أسامة، أو لم ير ذلك، فما أرادوا من ذلك إلا الخير، والنصح لدين الله والمسلمين، وهم أبعد ما يكونون على كل ما يرميهم به هؤلاء من التهم الباطلة الجائرة.

وختاماً لم يصح في قصة سرية أسامة حديث النبي ﷺ أنه قال: (لعن الله من تخلف عن جيش أسامة) فهذا كذب على النبي ﷺ.

صُلح الحُدَيبِية

قالوا في مجمل القصة: أن رسول الله ﷺ خرج في السنة السادسة للهجرة يريد العمرة مع ألف وأربعمائة من أصحابه فأمرهم أن يضعوا سيوفهم في القرب، وأحرم هو وأصحابه بذي الحليفة وقلدوا الهدي ليُعلِم قريش أنه إنما جاء زائراً معتمراً وليس محارباً، ولكن قريشاً بكبريائها خافت أن يسمع بأن محمداً دخل عنوة إلى مكة وكسر شوكتها، فبعثوا اليه بوفد يرأسه سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري وطلبوا منه أن يرجع في هذه المرة من حيث أتى على أن يتركوا له مكة في العام القادم ثلاثة أيام، وقد اشترطوا عليه شروطاً قاسية قبلها رسول الله لاقتضاء المصلحة التي أوحى إليه ربه ﷻ، ولكن بعض الصحابة لم يعجبهم هذا التصرف من النبي وعارضوه في ذلك معارضة شديدة، وجاءه عمر بن الخطاب فقال: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قال عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال رسول الله ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قال عمر: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، ثم أتى عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، ثم سأله نفس الأسئلة التي سألها رسول الله، وأجابه أبو بكر بنفس الأجوبة قائلاً له: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه. ولما فرغ رسول الله من كتاب الصلح قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يمتثل لأمره منهم أحد دخل خباءه ثم خرج فلم يكلم أحداً منهم بشيء حتى نحر

بدنة بيده، ودعا حالقه فحلق رأسه، فلما رأى أصحابه ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً.

هذا مجمل قصة الصلح في الحديبية وهي من الأحداث المتفق عليها عند الشيعة والسنة، وقد ذكرها المؤرخون وأصحاب السير كالطبري وابن الأثير وابن سعد وغيرهم كالبخاري ومسلم[1].

وقالوا: لا يمكن لنا أن نقرأ مثل هذا ولا نتأثر ولا أعجب من تصرف هؤلاء الصحابة تجاه نبيهم، وهل يقبل عاقل قول القائلين بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يمتثلون أوامر رسول الله ﷺ وينفذونها، فهذه الحادثة تكذبهم وتقطع عليهم ما يرومون، هل يتصور عاقل بأن هذا التصرف في مواجهة النبي هو أمر هين، أو مقبول، أو معذور وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

من ردود العلماء على هذه الشبهة:

أن ما ذكر من مراجعة عمر للنبي ﷺ في أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، كل هذا صحيح ثابت في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث التي نقلت أخبار صلح الحديبية[2].

وعلى هذين الأمرين مدار الطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، ولا مطعن في

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٢٧٣٤)، صحيح مسلم برقم (١٧٨٥)، تاريخ الأمم والملوك (٢/ ١٢٢)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٠٥).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري: (كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد..) (٥/ ٣٢٩)، (٢٧٣١-٢٧٣٢)، و(كتاب الجزية) (٦/ ٢٨١)، (٣١٨٢)، وصحيح مسلم: (كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية) (٣/ ١٤١١)، (١٧٨٥)، ومسند أحمد (٣/ ٤٨٦).

شيء من هذا على أصحاب رسول الله ﷺ لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية.

وبيان ذلك: أن الرسول ﷺ كان قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتحقق هذا العام، فلما وقع أمر الصلح وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ(١) فجعل عمر رضي الله عنه - على ما عرف به من القوة في الحق والشدة فيه- يسأل رسول الله ﷺ ويراجعه في الأمر، ولم تكن أسئلته التي سألها رسول الله ﷺ لشك في صدق الرسول ﷺ، أو اعتراض عليه، لكن كان مستفصلاً عما كان متقرراً لديه، من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله ﷺ على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة، لما يرى في ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين.

قال النووي رحمه الله: (قال العلماء: لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصر الدين وإذلال المبطلين)(٢).

ونقل هذا أيضاً ابن حجر رحمه الله عن بعض شراح الحديث(٣).

فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهداً حمله على هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأي، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٣٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ١٧٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٤١).

(٣) فتح الباري (٥/ ٣٤٦).

[آل عمران:١٥٩]، وقد كان كثيراً ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج للعدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذٍ فأبى عليه السعدان (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذراري المشركين، فقال أبو بكر: إنا لم نجيء لقتال، وإنما جئنا معتمرين فأجابه إلى ما قال[1]، في حوادث كثيرة يطول ذكرها.

فقد كان عمر رضي الله عنه يطمع أن يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه في مناجزة قريش وقتالهم، ولهذا راجعه في ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلم من حسن نيته وصدقه.

أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات:

قال ابن حجر رحمه الله: (قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوّغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم)[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٠) عند تفسير قوله تعالى: (وشاورهم في الأمر).

(٢) فتح الباري (٥/ ٣٤٧).

وجاء في بعض الروايات أن الرسول ﷺ لما رأى عدم امتثالهم، دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: (يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح)(١).

فأشارت عليه كما جاء في رواية البخاري: {أن اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا}(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: (ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله... ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الامتناع، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب شربوا)(٣).

وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبي ﷺ، فإنهم كانوا على قدر كبير من تعظيم الإحرام والحرص على إكمال النسك، فلما أمرهم النبي ﷺ بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذي حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكأنهم رضي الله عنهم آثروا التأسي به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم في الحج مع النبي ﷺ لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٣٤٧).

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٧٣٤).

(٣) فتح الباري (٥/ ٣٤٧).

ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا تقطر من المني، فلما علم بذلك الرسول ﷺ وكان لم يتحلل، قال لهم: {أيها الناس أحلوا فلولا الهدي الذي معي فعلت كما فعلتم. قال جابر رضي الله عنه راوي الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا}[١].

وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الخير والرغبة في التأسي برسول الله ﷺ التأسي الكامل. فرضي الله عنهم أجمعين.

وبهذا تظهر الوجهة الصحيحة لمواقف الصحابة الجليلة في هذه الغزوة المباركة، التي ازدادوا بها رفعة عند الله، وسبقاً في دينه، ومحبة في قلوب المؤمنين.

فإن أبى الطاعن قبول ذلك استكباراً وعناداً، وظلماً وطغياناً وأصر على الكذب والتدليس، فإني أورد هنا عدة أوجه فيها إلزامه وفضيحته، ودحض شبهته بحول الله وقوته وهي:

الوجه الأول: ما بدر من الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية كان بحضور رسول الله ﷺ، وقد كان الوحي ينزل عليه، فهل ذمهم الله بذلك؟ فإن الله لا يقر على باطل. أو أنكر عليهم رسوله ﷺ؟ فإنه لا تأخذه في الله لومة لائم. فإذا لم يحصل شيء من ذلك ولم ينقل عن أحد من الصحابة الذين شهدوا الواقعة أنهم سعوا في الإنكار على من يدعي هذا الطاعن أنه مخالف ومنازع، ثم تتابعت الأمة بعد ذلك جيلاً بعد جيل على عدم الإنكار بل الترضي على أولئك الأخيار، أفاد كل ذلك حقيقة حتمية، وضرورة شرعية عند كل متدين بهذا الدين داخل في عقد المسلمين ألا وهي: براءة الصحابة وطهارتهم من كل ما يرميهم به الطاعنون والزنادقة من العظائم، وأن الطعن فيهم بعد

---

(١) ملخصاً من حديث جابر بن عبد الله الذي رواه البخاري برقم (٧٣٦٧)، ومسلم برقم (١٢١٦).

هذا رد على رب العالمين، ومشاقة لرسوله الكريم، واتباع لغير سبيل المؤمنين.

الوجه الثاني: أن الله عز وجل قال في سورة الفتح التي أنزلها على رسوله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية في طريقه إلى المدينة[(١)]:﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفتح:١٨-١٩].

وكان عدد أهل الحديبية الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة رجلٍ، كما ذكر جابر رضي الله عنه – قال: {كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة}[(٢)].

وفي صحيح مسلم أن أم بشر سمعت النبي ﷺ يقول: {لا يدخل النار –إن شاء الله– من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها}[(٣)].

فثبت بصريح الكتاب والسنة أن الله رضي عنهم، وأنزل السكينة في قلوبهم، وشهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، والنجاة من النار، فالطعن فيهم بعد هذا تكذيب صريح لما دلت عليه النصوص، ورد على الله ورسوله، ولهذا لم يتوقف العلماء في تكفير من كفّر، أو فسق عامة الصحابة لمناقضته لصريح الكتاب والسنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفصيل حكم سب الصحابة: (... وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه مكذب لما نصه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٢).

(٢) رواه مسلم برقم (١٨٥٦).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٤٩٦).

القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين)[١].

الوجه الثالث: يتعلق بما جاء في سياق بعض الروايات الصحيحة وفيها فقال الرسول ﷺ لأصحابه: {قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات}[٢].

الوجه الرابع: ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: {كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ: امحه، فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي ﷺ بيده}[٣]. وفي بعض الرويات أن علياً رضي الله عنه قال: {والله لا أمحاه أبداً}[٤].

فما ثبت عن علي رضي الله عنه هنا نظير ما ثبت عن عمر رضي الله عنه في مراجعته رسول الله ﷺ في أمر الصلح، فإذا لم يكن في هذا مطعن على علي رضي الله عنه وهو الحق، لم يكن فيما ثبت عن عمر رضي الله عنه، فإن قيل: إنما منعه من محو كلمة (رسول الله) محبته لرسول الله ﷺ وتعظيمه، قلنا: وإنما حمل عمر على ما فعل نصرته لرسول الله ﷺ وإعزاز دينه.

الوجه الخامس: أن الباعث لما صدر من الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية هو شدة حرصهم على الخير ورغبتهم في الأجر، يشهد لهذا أن الذي أرادوا كان أشد عليهم في الدنيا مما أريد منهم، فعمر رضي الله عنه كان يريد القتال ومناجزة الكفار، وما أراده الرسول

---

(١) الصارم المسلوك على شاتم الرسول ﷺ (ص:٥٨٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري برقم (٢٦٩٨)، ومسلم برقم (١٧٨٣).

(٤) رواه البخاري برقم (٣١٨٤).

ﷺ من أمر الصلح كان أهون عليه وأسلم، وكذلك الصحابة لما تأخروا في بداية الأمر عن النحر والحلق إنما أرادوا إكمال النسك، وما أمرهم به الرسول ﷺ من التحلل في مكانهم كان أيسر عليهم وأسهل، وإن كنا لا نشك أن ما أراده الرسول ﷺ وأمرهم به هو أكمل لهم وأفضل في الدنيا والآخرة، لكن المقصود هنا هو حسن نياتهم، وصدق رغباتهم فيما عند الله والدار الآخرة، وهذا بخلاف من أراد الدنيا، كمثل حال المنافقين الذين يتثاقلون عن الجهاد، وأعمال البر ويتلمسون الاعذار في التأخر عنها، كما هو معلوم من قصصهم في القرآن، ولذا أثنى الله على أهل الحديبية وأعطاهم من الخير والفضل بما علمه عنهم من صدق الرغبة فيما عنده وطلب رضوانه فقال: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح:١٨].

قال ابن كثير رحمه الله: (أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة)(١).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣١).

آيات وأحاديث حملت على أنها في ذم الصحابة

رد عام على الآيات التي حُملت على أنها وردت في ذم الصحابة ﭫ:

فأقول مستعيناً بالله:

الوجه الأول: أن كل ما يستدل به الطاعنون من آيات في الطعن على الصحابة لا يخلو من ثلاثة أقسام:

إما أن تكون آيات نزلت في الكفار والمنافقين، ينزلونها على الصحابة بجهل وظلم، لا حجة لهم فيها بوجه عند أهل العلم.

وإما أن تكون آيات عامة نزلت في حث الأمة على الخير، وأمرها به، أو تحذيرها من الشر ونهيها عنه، والخطاب فيها للصحابة ولمن بعدهم من الأمة، وهي مصدرة في الغالب: بـ(يا أيها الذين آمنوا) وذلك كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾ [الأنفال:٢٧].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المائدة:٨٧].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال:٢٤].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحجرات:١٢].

والأمثلة على هذا كثيرة جداً في القرآن، وليس فيها أي طعن على الصحابة.

وقد خاطب الله تعالى بمثل هذا رسوله ﷺ كما في قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة:٦٧].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر:٦٥].

وقوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة:١٤٥].

وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وقوله: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر:٦-٧].

وغيرها من الآيات في معناها، فكما أن هذه الآيات بما تضمنته من الأوامر والنواهي من الله لرسوله، ليس فيها أي مطعن عليه، فكذلك ما ثبت من ذلك في حق الصحابة ليس فيه أي مطعن عليهم.

وأما القسم الثالث من الآيات فآيات تضمنت نوع عتاب من الله لبعض الصحابة، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد:١٦].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ ﴾ [التوبة:٣٨].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١].

فهذه الآيات وما في معناها ليس فيها كذلك مطعن على الصحابة، وإنما عاتب الله بها أفراداً منهم، بل ربما كان العتاب لفرد واحد منهم، كما في الآية الأخيرة، فإنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ومن الخطأ تعميم ذلك على الصحابة كلهم، كما

هو صنيع هؤلاء، وأيضاً فإن الله تعالى خاطبهم فيها بوصف الإيمان الدال على تزكية الله لهم وثنائه عليهم، ولهذا أُطلق على هذه الآيات وأمثالها على أنها عتاب من الله للمؤمنين، كما في أثر ابن مسعود المتقدم: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحديد:١٦] إلا أربع سنين»(١).

وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم»(٢).

والعتاب عرفه أهل اللغة بأنه: (مخاطبة الإدْلاَل وكلام المُدِلِّين أَخِلاَّءَهم طالبين حسن مراجعتهم)(٣).

ولهذا عاتب الله رسوله وخليله صلى الله عليه وسلم في أكثر من آية كما في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ ﴾ [عبس:١-٢].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعدها يكرم ابن أم مكتوم ويقول له إذا رآه: {مرحباً بمن عاتبني فيه ربي}(٤).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ [التحريم:١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ [الأحزاب:٣٧].

إلى غير ذلك من الأمثلة في هذا الباب.

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٠٢٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٣).

(٣) لسان العرب (١/ ٥٧٦).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٣٢)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٣).

والمقصود هنا: هو التأكيد على أن كل ما ثبت في حق الصحابة من عتاب الله تعالى لهم، لا يوجب انتقاصهم به، إذا ما ثبت جنس ذلك في حق الرسول ﷺ وهو بالمكانة المعروفة من ربه.

فثبت بهذا أنه لا حجة لهؤلاء فيما استدلوا بـه مـن آيات للطعـن في الـصحابة عنـد النظر والتدقيق، والبحث والتحقيق.

الوجه الثاني: أنا لو سلمنا جدلاً أن في تلـك الآيـات ذمـاً لـبعض الـصحابة، فمـن أين له الحكم على بعضهم أنهم هم المعنيون بها دون البعض الآخـر، ممـن يعتقـد هـؤلاء عدالتهم من الصحابة، وعلى رأسهم علي رضي الله عنه، فإن هذا التعيين يحتاج إلى دليـل، وإلا فلغيره أن يدعي ما يشاء، وينزل تلك الآيات على من شاء من الصحابة، كـما لـو احـتج الخوارج بتلك الآيات على تكفير علي رضي الله عنه أو النواصب على تفسيقه، فلن يجد هـؤلاء حجة يدفعون بها عن علي رضي الله عنه إلا بقول أهل السنة واعتقاد عدالة الصحابة جميعاً.

الوجه الثالث: أن الله تعالى أثنى في كتابه على الصحابة أبلغ الثناء، وزكاهم أعظم تزكية، وأخبر أنه رضي الله عنهم ورضوا عنه، ووصفهم بالإيمان والتقوى، ووعدهم بالحسنى، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وقوله: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨].

وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد:١٠].

فقد تضمنت هذه الآيات ثناء الله ﷻ العظيم على الصحابة ووصفه لهم بتلك الصفات الفاضلة الدالة على علو شأنهم في الدين، وسمو مكانتهم فيه، وإخباره بما أعد لهم في الآخرة من الأجر والثواب والمغفرة والرضوان، والخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار، مما يدل دلالة واضحة على بطلان ما ادعاه المبطلون من أن بعض الآيات جاءت بذمهم وتنقصهم، وذلك أنه كتاب محكم لا يناقض بعضه بعضاً كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

ولو افترض وجود بعض الآيات تدل بظاهرها على ما ادعى هؤلاء الطاعنون، فالواجب حملها على هذه الآيات الصريحة القاطعة بعدالة الصحابة جميعاً، فكيف والنصوص كلها من الكتاب والسنة بعدالتهم متواترة، وبإيمانهم قاطعة.

الوجه الرابع: أن الله تعالى أثنى على المستغفرين لهم السائلين الله تعالى أن لا يجعل في قلوبهم غلاً عليهم، فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠].

فكيف يتصور بعد هذا أن يذمهم الله تعالى في آيات أخرى بما يوجب تنقصهم وبغضهم، فإن هذا من أبعد ما يكون عند أصحاب العقول، أن يتضمن مثل ذلك

كتاب الله المحكم المنزه عن الاختلاف والاضطراب.

الوجه الخامس: أن الله تعالى جعل أصحاب نبيه يغاظ بهم الكفار فقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فمن المحال بعد ذلك أن يجعل للكفار حجة عليهم بذمهم في كتابه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

وبهذا يظهر زيف هؤلاء في أن القرآن قد جاء بذم الصحابة.

فلله الحمد والمنة.

ومن الشبهات حول الصحابة ﷺ القول بأن مصنفات المسلمين نقلت منها أشياء كثيرة، حتى صنَّف الكلبي كتاباً (في مثالب الصحابة) ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت:

والجواب أن يقال: وقبل التفصيل في الجواب عما ذكر من المطاعن نقول: إن ما نقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان: أحدهما: ما هو كذب: إما كذب كله، وإما محرَّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يُخرجه إلى الذم والطعن. وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذّابون المعروفون بالكذب، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأمثالهما من الكذّابين. ولهذا كثيراً ما يستشهد الطاعنون بما صنّفه هشام الكلبي في ذلك، وهو من أكذب الناس، وهو يروي عن أبيه وعن أبي مخنف، وكلاهما متروك كذّاب.

النوع الثاني: ما هو صدق. وأكثر هذه الأمور هم فيها معذورون تخرجها عن أن تكون ذنوباً، وتجعلها من موارد الاجتهاد، التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر. وعامة المنقول الثابت عن الصحابة ﷺ من هذا الباب، وما قُدِّر من هذه الأمور ذنبا محققا فإن ذلك لا يقدح فيما عُلم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من

أهل الجنة، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة.

منها: التوبة الماحية. وقد ثبت عن أئمة الإمامية أنهم تابوا من الذنوب المعروفة عنهم.

ومنها: الحسنات الماحية للذنوب؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات. وقد قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

ومنها: المصائب المكفِّرة.

ومنها: دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة نبيهم، فما من سبب يسقط به الذنب والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك، فهم أحق بكل مدح، ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة.

وغيرها من أسباب المغفرة وتكفير الذنوب.

آية الانقلاب:

من هذه الشبهات ما يسمى (آية الانقلاب) وهو قول الله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤].

حيث زعموا أن هذه الآية الكريمة صريحة وجلية في أن الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرة ولا يثبت منهم إلا القليل كما دلت على ذلك الآية في تعبير الله عنهم، أي: عن الثابتين الذين لا ينقلبون بالشاكرين، فالشاكرون لا يكونون إلا قلة قليلة كما دل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣] وكما دلت عليه أيضاً الأحاديث النبوية الشريفة التي فسرت هذا الانقلاب بزعمهم.

وقد رد العلماء على هذه الشبهة بما يلي:

أولاً: يجب على المفسر لكتاب الله أن يلم بأصول التفسير كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والخاص والعام وغيره ليكون تفسيره حسب أصول التفسير.

يقول الزركشي: (التفسير في الاصطلاح: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها)[1].

وأما الناقل لتفسير آية من الكتاب فيجب أن يرجع إلى أقوال أهل العلم بالتفسير وإلا لما كان لتفسيره أي مصداقية، ومن لم يلتزم بتفسيره من الناحيتين فلا هو من أهل العلم بالتفسير ولا هو اعتمد على علماء التفسير، ومن كانت هذه حاله فلا بد أن يأتي تفسيره سوفسطائياً!؟ وهذا هو شأن أهل الأهواء.

ثانياً: بالنسبة لسبب نزول الآية فقد ذكر المفسرون أنها بسبب انهزام المسلمين يوم أحد حين صاح الشيطان: قد قتل محمد. فقال بعض المنافقين: قد قتل محمد فأعطوهم بأيديكم فإنما هم إخوانكم وقال بعض الصحابة: إن كان محمد قد قتل ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** ﴾ [آل عمران:١٤٤][2].

وقد اعترف أحد كبار علماء الإمامية الاثني عشرية بأن هذا هو سبب نزول الآية.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٥٨)، تفسير القرطبي (٤/ ٢٢١)، الدر المنثور (٢/ ٣٣٥).

وعلى ذلك فمعنى الآية (هو معاتبة الله لأصحاب محمد على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد إن محمداً قتل) (فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به، فكل نفس ذائقة الموت، وما بعث محمد ﷺ ليخلد لا هو ولا هم بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد فإن الموت لا بد منه، سواء مات رسول الله ﷺ أو بقي) فقوله ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، أي: كيف ترتدون وتتركون دينه إذا مات أو قتل مع علمكم أن الرسل تخلو ويتمسك أتباعهم بدينهم وإن فقدوا بموت أو قتل) وقوله: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [آل عمران:١٤٤] أي: بإدباره عن القتال أو بارتداده عن الإسلام ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ ﴾ [آل عمران:١٤٤] من الضرر وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾ [آل عمران:١٤٤] أي: الذين صبروا وقاتلوا واستشهدوا لأنهم بذلك شكروا نعمة الله عليهم بالإسلام.

ثالثاً: هذه الآية تعتبر أعظم دليل على عظمة أبي بكر وشجاعته وثباته وذلك عندما صدع بهذه الآية يوم وفاة النبي ﷺ. وثبوته في ذلك الموطن، وثبوته في أمر الردة، وذلك أن رسول الله لما قبض وشاع موته هاج المنافقون وتكلموا وهموا بالاجتماع والمكاشفة أوقع الله تعالى في نفس عمر رضي الله عنه أن النبي لم يقبض فقام بخطبته المشهورة المخوفة للمنافقين برجوع النبي عليه الصلاة والسلام ففتَّ ذلك في أعضاد المنافقين وتفرقت كلمتهم، ثم جاء أبو بكر بعد أن نظر إلى النبي عليه الصلاة والسلام فسمع كلام عمر فقال له: اسكت، فاستمر في كلامه فتشهد أبو بكر فأصغى الناس إليه فقال: أما بعد فإنه من كان يعبد الله تعالى فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾ [آل عمران:١٤٤]

وتلا الآية كلها فبكى الناس ولم يبق أحد إلا قرأ الآية كأن الناس ما سمعوها قبل ذلك اليوم، قالت عائشة رضي الله عنها في البخاري: {فنفع الله بخطبة عمر ثم بخطبة أبي بكر...}[1] فهذا من المواطن التي ظهر فيها شكر أبي بكر وشكر الناس بسببه.

رابعاً: من هنا نعلم أن القول بأن (هذه الآية صريحة وجلية «هكذا!» في أن الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرةً) لا يدل إلا على عظيم الجهل بأصول التفسير وبأقوال المفسرين، وإلا فليخط لنا هذا الطاعن تفسيراً واحداً أو ليأتنا بعالم واحد يفسر هذه الآية كما فسرها، وإذا فسرت الآية حسب عقليته لأصبح المعنى أن الله سبحانه وتعالى يبشر صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم (بكل وضوح) أنهم سينقلبون في المستقبل القريب!!؟ فهو يجزم بحدوث انقلاب أكثر الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم لما يتوفاه الله بعد، وليس هذا فقط بل ويؤكد أنهم سينقلبون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً!!! ومن جزم بأن أكثر الصحابة سينقلبون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً فلابد أن يوضح من هم الصحابة المنقلبون ومن هم الصحابة الثابتون وإلا اختلط الأمر على الأمة فلم يُعْرَفِ الصحابي من المنقلب على عقبه. ولا يُعتقد أبداً أن القرآن يبهم هذه القضية الخطيرة ليتلقفها السفهاء ويتلاعبوا بها فيضعوا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على رقعة الشطرنج فيلفظوا من أرادوا ويبقوا من شاءوا، ولا أظن أن الطاعن يستطيع أن يقول بأن الصحابة الثابتين هم ثلاثة أو السبعة كما يظن البعض، لأنه سوف يصطدم بالنصوص التي تثبت أن أبا بكر وعمر لم ينقلبوا كما أثبتُّ قبل قليل بالإضافة إلى الصحابة سعد بن أبي وقاص الذي اندقت سية قوسه وطلحة بن عبيد الله الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد: {أوجب طلحة}[2] وقتادة بن النعمان حين أصيبت عينه

---

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٣٦٧٠).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٦٩٢).

فردَّها له النبي ﷺ فعادت كأحسن مما كانت وذلك كله في غزوة أحد.

وقد أثبت ذلك الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن)(١).

بالإضافة إلى أن عدم تحديد الصحابة من المنقلبين سيفتح المجال للطعن بالقرآن الكريم؛ لأنه في عدة مواضع يمدح الصحابة ويشهد لهم بالإيمان وصلاح الظواهر والبواطن، وفي مواضع أخرى يذم الصحابة ويبشر بارتدادهم عن الدين وهذا هو عين ما يسعى إليه الطاعنون، والحق الذي يجب أن يعرفه كل مسلم هو أن الصحابة إنما هم بشر يخطئون وتقع منهم الزلات والهنات، ولكنهم أهل عدل وصدق شهد لهم القرآن الكريم في غير ما موضع كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

فهذه بشارة الله سبحانه لأصحاب النبي ﷺ لا أن يبشرهم بالارتداد والانقلاب عن الدين كما يدعي هذا الطاعن.

وكقول النبي ﷺ: {لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه}(٢) فالصحابة كلهم عدول بالنص المنقول والمنطق المعقول.

خامساً: يجب على المفسر لآية أن يربطها بالآيات التي قبلها والتي بعدها؛ لأن تمام التفسير ووضوحه مرتبط بذلك، والآية التي استشهد بها هذا الطاعن هي من ضمن غزوة أحد والأخطاء التي وقعت فيها والسورة بصدد عتاب الله للمؤمنين لما حدث

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن (٢/ ٤٠٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤٠).

لهم في هذه الغزوة، وذلك أن الله أنكر عليهم أنهم بمجرد الايمان سيدخلهم الجنة دون الجهاد والابتلاء والتمحيص فقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران:١٤٢-١٤٣] ثم ذكر بعدها مباشرة قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران:١٤٤] استمرار بعتابهم على ما كان منهم في تلك الغزوة، ثم ذكرهم بالآيات التي بعدها أن هناك من الأنبياء من قاتل معه الصالحون فما وهنوا وما ضعفوا وما ذلوا كما حدث من بعضكم، وفي الآية التي بعدها أثبت الله لصحابة نبيه ﷺ الإيمان وحذرهم من طاعة الكافرين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران:١٤٩] وبعد عتابهم ذكر الله بعد آيات أنه عفا عمن تولى يوم القتال بسبب بعض ذنبه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران:١٥٥] ثم يذكر الله سبحانه أن المؤمنين قد استجابوا للرسول ﷺ من بعد ما أصابهم القرح في غزوة أحد لملاحقة أبي سفيان إلى حمراء الأسد فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤] ولا شك أن هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات وهذا المديح هم الصحابة المنقلبون بنعمة من الله وفضل، فكيف يدعي هؤلاء أن الله يبشر صحابة نبيه ﷺ بالارتداد والانقلاب بناء على تحريف للكلم عن مواضعه؟!

ثم يقول الطاعنون: (ولا يمكن تفسير الآية الكريمة بطليحة وسجاح والأسود العنسي، وذلك حفاظاً على كرامة الصحابة، فهؤلاء قد انقلبوا وارتدوا عن الإسلام وادعوا النبوة في حياته ﷺ وقد حاربهم رسول الله وانتصر عليهم)!!؟

سبحان الله! ما هذه المجازفة التي ما أريد بها وجه الله؟! الرسول ﷺ يقاتل المرتدين وينتصر عليهم كيف ومتى؟!

لقد ظهر مسيلمة والأسود العنسي عند قرب وفاة النبي ﷺ، والعنسي فقط هلك قبل وفاة النبي ﷺ، وأما طليحة وسجاح فقد ارتدا بعد وفاته ﷺ وذلك باتفاق أهل النقل وقد قاتل خالد بن الوليد طليحة في معركة (البزاخة) وهزمه ففر إلى الشام ولكنه ما لبث أن عاد إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى وحسن إسلامه، ثم ظهرت المرأة المتنبئة سجاح بنت الحارث وكان على رأس من اتبعها مالك بن نويرة وقد خالفها جمع من بني تميم فدار بينهم قتال، ثم سارت سجاح بجيشها إلى اليمامة بعد هزيمتها من أوس بن خزيمة والتقت مسيلمة فتزوجها وعادت إلى مقرها الأول العراق، وأما مسيلمة الكذاب فقد هزمه خالد بن الوليد ومعاونيه عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة في معركة اليمامة الشهيرة أو عقرباء شر هزيمة، ولكن هؤلاء الطاعنون يجهلون التاريخ والسيرة فيدعون بأن النبي ﷺ هو الذي هزم المرتدين! وكل ذلك حتى يظهر أن المرتدين بعد النبي ﷺ هم الصحابة وليس هؤلاء.

آية الجهاد:

ومن هذه الشبهات ما يسمى بـ (آية الجهاد) وهو قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا

نَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩].

قالوا: هاتان الآيتان صريحتان أيضاً في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا والدعة، رغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، وباستبدالهم بغيرهم من المؤمنين الصادقين.

وقد رد على هذه الشبهة من وجوه:

منها اتفاق المفسرين بأن هذه الآية نزلت في الحض على غزوة تبوك، وذلك بعد فتح مكة وبعد رجوعه ﷺ من الطائف وحنين وقد أمروا بالنفير بالصيف حيث فرقت النخل وطابت الثمار، وكان من عادة النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورّى بغيرها حتى كانت هذه الغزوة في حر شديد وسفر بعيد وعقبات كثيرة وعدو غفير فشق عليهم الخروج فأنزل الله هذه الآيات تحضهم على الجهاد وترهبهم من التثاقل عنه[1].

وقد أقر بذلك الطبرسي في تفسيره مجمع البيان[2].

وعلى ذلك فمعنى الآية (حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله ﷺ على غزو الروم، وذلك في غزوة رسول الله ﷺ تبوك) ولا شك (أن هذا التثاقل لم يصدر من الكل، إذ من البعيد أن يطبقوا جميعاً على التباطؤ والتثاقل وإنما هو باب نسبة ما يقع من البعض إلى الكل، وهو كثير شائع) بالإضافة إلى أن الذين تثاقلوا عن الجهاد لا رغبة عن الجهاد ولكن لما رأوه من طيب الثمار وبعد المشقة في هذه الغزوة لذلك نزلت هذه الآيات تعاتبهم وتحضهم على الجهاد، ومعلوم أن الصحابة بشر

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٤٨)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٦).

(٢) مجمع البيان (٢/ ٦٤).

يعتريهم ما يعتري أي إنسان من الكسل وغيره ولذلك نزل القرآن في كثير من المواطن يعلم الصحابة ويوجههم ويحضهم ويرهبهم ليجعل منهم خير أمة أخرجت للناس.

وهذا الأمر معلوم لمن تدبر القرآن فنزلت الآيات التي تبدأ بـ(يا أيها الذين آمنوا) تسع وثمانون مرة وهي كلها للتعليم والتوجيه مثل:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾ [البقرة:١٧٨].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ [البقرة:٢٥٤].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ [البقرة:٢٧٨].

و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً ﴾ [آل عمران:١١٨].

و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [آل عمران:١٤٩].

و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة:١].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء:٤٣].

و﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ [النور:٢١].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال:٢٤].

و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ ﴾ [النور:٢٧]. إلخ.

لذلك يقول ابن مسعود ﷺ: «إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأرعها سمعك فإنه إما خيرٌ تؤمر به أو شر تنهى عنه»[(١)] فالسياق القرآني جاء لتعليم الصحابة الخير أو نهيهم عن الشر، ولكن من اعتقد العصمة في البشر جعلهم يعتقدون أن أي خطأ أو تقصير يصدر من الصحابة يعتبر قدحاً بهم.

أما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة:٣٩]. فهذا فيه توعد من الله تعالى لمن ترك الجهاد وقال ابن عباس ﷺ: «استنفر رسول الله ﷺ حياً من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم» ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد خرجوا مع نبيهم ﷺ إلى غزوة تبوك ولم يمسهم من عذاب الله شيء، ونبشر من قصد الطعن في الشيخين ﷺ من خلال هذه الآية أنهما غير مشمولين، فأما أبو بكر فقد جاء بجميع ماله إلى النبي ﷺ ليجهز الجيش ولم يبق لأهله إلا الله ورسوله[(٢)]، بالإضافة إلى أن الله سبحانه أثبت له الصحبة لنبيه ﷺ فذكر بالآية التي تلي الآية التي نحن بصددها مباشرة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠].

لذلك قال الحسين بن الفضل: «من قال: إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نص القرآن».

وقال الشعبي: «عاتب الله ﷻ أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر الصديق ﷺ»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٨٠).

(٢) انظر: سنن أبي داود (١٦٧٨)، جامع الترمذي (٣٦٧٥).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٤٩).

وأما عمر فقد جاء بنصف ماله للنبي ﷺ وجاء عثمان بألف دينار فنثرها في حجر النبي ﷺ وجهز جيش العسرة فقال النبي ﷺ: {ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين}[(١)].

وأما عبد الرحمن بن عوف فقد صلى النبي ﷺ خلفه في غزوة تبوك[(٢)] ثم جاء البكاؤون وهم السبعة الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢].

وتخلف عن الغزوة نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وهم الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزوة، وتخلف أيضاً أبو خيثمة وأبو ذر ثم لحقا بالجيش الذي كان تعداده ثلاثون ألفاً، ثم تاب الله تعالى بعد ذلك عن الثلاثة المتخلفين عن الغزوة فقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة:١١٧].

فهذا ثناء مبارك من الله ﷻ للنبي ﷺ وصحابته من المهاجرين والأنصار وأنه تعالى قد غفر لهم بعدما خرجوا لقتال الكافرين في غزوة تبوك: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ [التوبة:١١٧] فيميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم وقواهم وتاب عليهم ولذلك يقول ابن عباس: «من تاب الله عليه لم يعذبه أبداً».

وقال الجصاص في هذه الآية: (فيه مدح لأصحاب النبي ﷺ الذين غزوا معه

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٧٠١).

(٢) انظر: صحيح مسلم برقم (٢٧٤).

من المهاجرين والأنصار، وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم؛ لأن الله تعالى لا يخبر بأنه قد تاب عليهم إلا وقد رضي عنهم ورضي أفعالهم، وهذا نص في الرد على الطاعنين عليهم والناسبين لهم إلى غير ما نسبهم إليه من الطهارة ووصفهم به من صحة الضمائر وصلاح السرائر رضي الله عنهم)[1].

ثم أقول: أليست غزوة تبوك هذه كانت آخر غزوات النبي ﷺ مع صحابته رضوان الله عليهم جميعاً، وكانوا قد أبلوا أعظم البلاء في جميع الغزوات الأخرى التي غزوها مع النبي ﷺ مثل بدر وأحد والخندق ثم فتح مكة ثم غزوة حنين ومؤتة فكان النصر والفتح حليفهم، ثم إنهم بعد وفاة النبي ﷺ أكملوا طريق الجهاد فحفظوا الدين من المرتدين وفتح الله على أيديهم بلاد فارس والعراق والشام ومصر.

فكيف يقال بعد هذا أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهنا االطبرسي يقول في تفسيره لهذه الآية: (ثم عاتب سبحانه المؤمنين في التثاقل عن الجهاد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾[التوبة:٣٨] أي دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم: ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣٨] أي اخرجوا إلى مجاهدة المشركين وهو هاهنا غزوة تبوك... عن الحسن ومجاهد ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[التوبة:٣٨] أي تثاقلتم وملتم إلى الأرض التي أنتم عليها، قال الجبائي: هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتثاقلوا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص بدليل ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾[التوبة:٣٨] هذا استفهام

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٧١).

يراد به الإنكار، ومعناه آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة في الآخرة الباقية في النعيم الدائم... إلخ)[١].

والطبرسي هنا لم يتخذ من هذه الآية أي طعن في الصحابة، ولكنه فسرها كتفسير أهل السنة بأنها عتاب وحض للمؤمنين لجهاد الكافرين في غزوة تبوك وذلك لأنها كانت في وقت شدة على المسلمين.

ويقول الكاشاني وهو من كبار علماء الإمامية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨] تباطأتم مخلدين إلى أرضكم والإقامة بدياركم، في الجوامع كان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف، استنفروا في وقت قحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق ذلك عليهم)[٢].

ثم يروي القمي وهو من كبار مفسري الإمامية رواية في سبب المعركة ثم يقول: (فأمر رسول الله ﷺ أصحابه «!» بالتهيؤ إلى تبوك وهي من بلاد البلقاء وبعث إلى القبائل حوله وإلى مكة وإلى من أسلم من خزاعة ومزينة وجهينة وحثهم على الجهاد وأمر رسول الله بعسكره فضرب في ثنية الوداع، وأمر أهل الجدة أن يعينوا من لا قوة به ومن كان عنده شيء أخرجه وحملوا وقووّا وحثوا على ذلك، ثم خطب خطبة ورغب الناس في الجهاد...) ثم قال: (وقدمت القبائل من العرب ممن استنفروهم وقعد عنه قوم من المنافقين «!» وغيرهم)[٣].

---

(١) مجمع البيان (٥/ ٥٥).

(٢) التفسير الصافي للكاشاني (٢/ ٣٤٢).

(٣) تفسير القمي (١/ ٢٩٠-٢٩١).

فهل القارئ يستشف من كلام الكاشاني هذا ما يفيد الطعن بالصحابة أو أنهم ركنوا إلى الدنيا وتركوا الجهاد؟! بل العكس فإن كلام الكاشاني يؤكد صحة تفاسير أهل السنة بالإضافة إلى أن القارئ النبيه يلحظ بأن الكاشاني (الإثنا عشري) يؤكد أيضاً على صحة عدم تقسيم الصحابة إلى ثلاثة أقسام من ضمنها المنافقين، فإنه ذكر أن النبي ﷺ أمر (أصحابه) بالتهيؤ للجهاد وأصحاب عامّة أي تفيد جميع الصحابة، بينما ذكر أنه قعد عنه قوم من المنافقين، فلو كان المنافقون من جملة الصحابة كما يدعون لقال: إن قوماً من (الصحابة المنافقين) قعدوا عن الجهاد.

وحتى نستطيع أن نكتشف ضعف هذا الاستدلال وطريقة التفسير لكتاب الله عز وجل دون معرفة أصول التفسير أو الرجوع إلى علماء التفسير، نأخذ مثالاً نفسر من خلاله بعض الآيات على نفس النمط الذي يفسر به هؤلاء الطاعنون الآيات القرآنية فنأتي بالمثال التالي:

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب:١]. فلو أردنا تفسيرها حسب صنيع هذا الطاعن! فسيكون المعنى: أن الله سبحانه قد هدد نبيه وأمره بأن يتقيه بعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وهذا دليل على أن النبي ﷺ لم يتق الله سبحانه في دعوته وقام بطاعة المنافقين والكفار...!!

أليس هكذا يفسر الطاعنون نصوص الكتاب ويحملونها ما لا تحتمل؟

ومثال آخر كقوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة:٦٧] وحسب منهج هؤلاء فسيكون التفسير (أن الله سبحانه هدد النبي

ﷺ وأمره بتبليغ الرسالة وأنه إن لم يبلغ ما أنزل اليه فإنه سيكون كمن لم يبلغ الرسالة، وهذا دليل على أن الرسول ﷺ مقصر ومتهاون في تبليغ ما أنزل إليه ربه وكان لا بد من توبيخ الله سبحانه له)!؟ أليس هكذا يفسر هؤلاء نصوص الكتاب العظيم ويحمِّلونها ما لا تحتمل؟

ثم قالوا: (وقد جاء هذا التهديد باستبدالهم في العديد من الآيات مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد في مرات عديدة، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨]).

فالرد على هذا أن هذه الآية جزء من الآية التي نزلت في الحض على الإنفاق في سبيل الله، فالآية بكاملها هي في قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨] وذكر المفسرون أن الله تعالى يقول للمؤمنين: ها أنتم أيها الناس تدعون للإنفاق في سبيل الله وإخراج ما فرض عليكم فمنكم من يبخل بالإنفاق مما فرض عليه كالزكاة وغيرها، وأن من يبخل إنما يبخل عن نفسه وينقص نفسه من الأجر، وأن الله تعالى هو الغني وأن كل ما سواه فقير، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨] أي إن تتولوا عن طاعة الله واتباع شرعه فسوف يستبدل بكم قوماً غيركم ولكنهم أطوع لله منكم ولا يبخلوا بالإنفاق في سبيل الله فهذا هو تفسير الآية عند المفسرين، فكيف يدعي هؤلاء أن هذه الآية دليل على أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد مرات عديدة!؟ والآية ليس فيها ذكر للجهاد أصلاً! فمن أين إذاً جاء هؤلاء بهذا التفسير؟

يقول أبو علي الطبرسي –وهو من علماء الإمامية– في تفسيره لهذه الآية: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد:٣٨] يعني ما فرض عليهم في أموالهم أي إنما تؤمرون بإخراج ذلك وإنفاقه في طاعة الله ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾ [محمد:٣٨] بما فرض عليه من الزكاة ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [محمد:٣٨] لأنه يحرمها مثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة عظيمة...) ثم يقول: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [محمد:٣٨] عما عندكم من الأموال ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [محمد:٣٨] إلى ما عند الله من الخير والرحمة أي لا يأمركم بالإنفاق لحاجته ولكن لتنتفعوا به في الآخرة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ [محمد:٣٨] أي تعرضوا عن طاعته وعن أمر رسوله ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [محمد:٣٨] أمثل وأطوع لله منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد:٣٨] بل يكونوا خيراً منكم وأطوع لله..)[1].

ويقول محمد مغنية –وهو من علماء الإمامية– يقول في تفسيره: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [محمد:٣٨] إشارة إلى الأغنياء ﴿تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد:٣٨] قال سبحانه: ﴿تُدۡعَوۡنَ﴾ ولم يقل: نأمركم، وكأنه يروض من نفوس الأغنياء، ويبعثهم على البذل عن طيب نفس، وأوضح من هذه الآية في ذلك الاستقراض الحسن ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [محمد:٣٨] لأن البذل وقاية من النار وغضب الجبار، وفي الحديث: حصنوا أموالكم بالزكاة ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [محمد:٣٨] إن ملكت أيها الإنسان الكون بأرضه وسمائه، فأنت مفتقر إلى عنايته وتدبيره ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ [محمد:٣٨] تبخلوا بالمال وبذله في سبيل الله ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [محمد:٣٨] يسبحون بحمده وبأمره

---

(١) مجمع البيان (٩/ ١٨٠).

يعملون)[١].

فهذا هو تفسير الطبرسي ومغنية لهذه الآية، وهما موافقان لتفسير أهل السنة أيضاً فمن أين جاء هؤلاء بهذا التفسير؟!

وقالوا: (وكقوله تعالى أيضاً: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فالرد والجواب على شبهتهم أن يقال بأن هذه الآية أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وأنهم هم القوم الذين يحبهم الله ويحبونه، فقد روى جمع من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر وأصحابه ذكر ذلك الحسن والضحاك وقتادة وابن جريج، وذكر الطبري في تفسيره أن علي بن أبي طالب قال: «نزلت في أبي بكر وأصحابه!!»[٢].

وقال بعض المفسرين: نزلت في الأنصار. وقال بعضهم: في أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري.

وعلى كل حال الآية عامة في كل هؤلاء، ولا شك أن أولهم دخولاً في الآية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة.

ويؤكد على ذلك الطبرسي -وهو من كبار علماء الإمامية- في تفسيره عند ذكر الآية: (.. واختلف فيمن وصف بهذه الأوصاف منهم فقيل: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة عن الحسن وقتادة والضحاك، وقيل: هم الأنصار عن السدي. وقيل: هم أهل اليمن عن مجاهد.... وقيل: أنهم أهل فارس..... وقيل: هم أمير

---

(١) التفسير المبين لمحمد مغنية (ص: ٦٧٧-٦٧٨).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٤١٤).

المؤمنين علي عليه السلام وأصحابه)(١).

والدليل على أن الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة هم أول الداخلين في عموم هذه الآية، أن الله يقول فيها: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] ولا شك أن الله يحب صحابة نبيه ﷺ الذين آووه ونصروه وجاهدوا معه فاستحقوا رضى الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وقوله: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨].

ولا شك أن المهاجرين والأنصار والذين بايعوه تحت الشجرة هم الصحابة الكرام وأسبقهم الخلفاء الأربعة، رضي الله عنهم موجب للمحبة أيضاً.

أما قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤] دليل واضح وصفة لازمة لأصحاب النبي ﷺ وأولهم أبو بكر وعمر بدليل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح:٢٩] ولا يختلف اثنان بأن الذين مع محمد ﷺ وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم الأمثل فالأمثل، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: {أرحم أمتي بأمتي أبو بكر}(٢).

وأما قوله: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة:٥٤] فمعلوم أن

---

(١) مجمع البيان (٣/ ٣٥٨).

(٢) رواه النسائي في الكبرى برقم (٨٢٤٢)، والترمذي برقم (٣٧٩٠)، وابن ماجه برقم (١٥٤).

الصحابة كانوا من أوائل المجاهدين في سبيل الله، والآيات التي تؤكد ذلك تملأ القرآن لمن تدبره، وما صح من أحاديث النبي ﷺ أشهر من أن تُذكر فهذه صفة دائمة لهم، فلا يعقل لمن استخدم عقله أن يَعْتَقِدَ مُعتَقَداً أن الصحابة ارتدوا بدليل الآية، لأن الصحابة في زمن خلافة أبي بكر قاتلوا (المرتدين) وانتصروا عليهم فلا يعقل أن ينتصر المرتدون على المؤمنين، فإن كان العكس فقد ظهر الحق والحمد لله رب العالمين، ولا شك أن هذا الجهاد دليل أيضاً على صحة خلافة أبي بكر؛ لأنهم قاتلوا المرتدين تحت راية أبي بكر رضي الله عنه وصدقهم الله وعده فهزموهم بإذن الله، فلله الحمد والمنة.

وزعموا أن من المثالب على الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٧] وزعموا أن في هذه الآيات يخاطب الله الصحابة ويحذرهم من الفرقة والاختلاف من بعد ما جاءتهم البينات ويتوعدهم بالعذاب العظيم ويقسمهم الله إلى قسمين: قسم يبعث يوم القيامة وجوههم مبيضة وهم الشاكرون الذين استحقوا رحمة الله، وقسم يبعث وجوههم مسودة وهم الذين ارتدوا بعد الأيمان وقد توعدهم الله سبحانه بالعذاب العظيم).

فالرد على ذلك أن المفسرين قالوا في تفسير هذه الآية: ولتكن منكم أيها المؤمنون جماعة يدعون الناس إلى الخير والإسلام وشرائعه (ومن) في (منكم) للتبعيض؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٥] قال جمهور المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال

بعضهم: هم المبتدعة من هذه الأمة. وقال أبو أمامة: هم الحرورية-أي الخوارج-(١).

وأما قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] فقد اختلف أهل التفسير في تعيينهم فقال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، وقال الحسن البصري: هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، فعن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] إلى آخر الآية، قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً حتى عد سبعاً ما حدثتكموه(٢).

وعن قتادة: هم المرتدون، وقيل عنه أيضاً: هم أهل البدع فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله ﷺ: {إني فرطكم على الحوض حتى انظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال لي: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم}(٣) وقال أبي بن كعب: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية وفطرهم على الإسلام فكانوا أمة واحدة مسلمين.

وقال القرطبي رحمه الله: (والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فمن بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه مسودي الوجوه، وأشدهم طرداً وإبعاداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٨٦)، تفسير القرطبي (٤/ ١٦٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٩٣)، ومسلم برقم (٢٢٩٣).

كالخوارج على اختلاف فرقها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون..)[(١)].

وقال ابن جرير الطبري ﷺ: (وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه هو ايمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢])[(٢)].

فهذه هي أقوال المفسرين المستندة إلى الأدلة والبراهين لهذه الآية، فهل ترى رعاك الله أحداً منهم قال: هم صحابة رسول الله ﷺ؟! بل هم أبعد الناس عن هذا البهتان.

يقول الطبرسي الإمامي في مجمع البيان عند تفسير هذه الآية: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:١٠٥] في الدين وهم اليهود والنصارى ﴿وَاخْتَلَفُوا ﴾ [آل عمران:١٠٥] قيل: معناه تفرقوا أيضاً... ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] وإنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثواباً لهم على الإيمان والطاعة، وتسود فيه الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٠٦] أي يقال لهم: أكفرتم بعد ايمانكم. واختلف فيمن عنوا به على أقوال: أحدها: أنهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنفاق...عن الحسن، وثانيها: أنهم جميع الكفار لإعراضهم عما وجب عليهم الإقرار به من التوحيد حيث أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فيقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق عن أبي بن كعب، وثالثها: أنهم أهل الكتاب كفروا بالنبي

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٦٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٩٥).

ﷺ بعد إيمانهم بـه...عـن عكرمـة، واختـاره الزجـاج والجبـائي، ورابعهـا: أنهـم أهـل البـدع والأهـواء مـن هـذه الأمـة عـن عـلي عليه السلام ومثلـه عـن قتـادة أنهـم الـذين كفـروا بالارتداد، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: {والذي نفسي بيده ليردن على الحوض...} الحديث ذكره الثعلبي في تفسيره، فقال أبو أمامة الباهلي: هـم الخـوارج، ويـروى عـن النبي أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)(١).

فها هو تفسير الطبرسي الإمامي لهذه الآية، ولم يذكر أبداً أن الآية تعني الصحابة بحال مع أنه ذكر أربعة أقوال لتفسيرها، أما حديث ما يسمى بالحوض فقد سبق بيانه ومناقشته آنفاً بأن المراد بهم غير الصحابة رضي الله عنهم.

أما بالنسبة لتفسير الصافي للفيض الكاشاني الإمامي فقد ذكر في تفسير هذه الآية قولـه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:١٠٥] كـاليهود والنـصارى اختلفـوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة من بعد مـا جـاءتهم البينـات الآيـات والحجـج المبينـة للحق الموجبة للاتفـاق عليـه... ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] كنايـات عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخـوف فيـه... ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٠٦] عـلى إرادة القـول أي فيقـال لهـم: أكفـرتم والهمـزة للتـوبيخ والتعجب من الهم في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام هم أهل البـدع والأهـواء والآراء الباطلة من هذه الأمة، وعن النبي ﷺ: {والذي نفسي بيده لـيردن عـلي الحـوض...} الحديث)(٢).

وهذا التفسير كسابقه، ولا يوجد أي تصريح بـأن المقـصودين بالآيـة هـم صـحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) مجمع البيان (٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٢) التفسير الصافي (١/ ٣٦٨).

آيـــة الخشـــوع

ومن الشبهات الاستدلال بما يسمى بـ(آية الخشوع):

فقـالوا: (قـال تعـالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)﴾ [الحديد:١٦]. وفي الدر المنثور لجلال الدين السيوطي قال: (لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه (فعوقبوا) فنزلت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وفي رواية أخرى عن النبي ﷺ {أن الله استبطأ قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن فأنزل الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾}، وإذا كان هؤلاء الصحابة وهم خيرة الناس على ما يقوله أهل السنة والجماعة، لم تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق طيلة سبعة عشرة عاماً حتى استبطأهم الله وعاتبهم وحذرهم من قسوة القلوب التي تجرهم للفسوق، فلا لوم على المتأخرين من سراة قريش الذين أسلموا في السنة السابعة للهجرة بعد فتح مكة).

فالرد بالنسبة للرواية الأولى المنقولة عن الدر المنثور لجلال الدين السيوطي فهي رواية عن الأعمش ولم ترفع للنبي ﷺ إطلاقاً فقد قال السيوطي: (أخرج ابن المبارك وعبد الرزاق وابن المنذر عن الأعمش قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه (فعوتبوا) فنزلت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية)[1]، فالرواية موقوفة

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٥٨).

على الأعمش وهو معروف بالتدليس بالإضافة لتفرده بها، وعلى العموم الرواية ليست من قول الرسول ﷺ كما ادعى هؤلاء فضلاً عن تحريفهم لها، فبينما الرواية تقول: (فعوتبوا) حرفوها لتستقيم مع كذبهم إلى (فعوقبوا) فتنبه!

وأما الرواية الأخرى فقد قال السيوطي: (أخرج ابن مردويه عن أنس لا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: استبطأ الله قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن، فأنزل الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية)(١)، وهذه الرواية التي أخرجها ابن مردويه عن أنس لا نجدها في جميع كتب التفسير المعتمدة إضافةً لمخالفتها للرواية الصحيحة عن ابن مسعود فقد أخرج مسلم في صحيحه أن ابن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين»(٢) بالإضافة إلى أن ابن مسعود أقدم إسلاماً والأعلم بنزول القرآن، فرواية ابن مردويه شاذة ومنكرة، فهي شاذة؛ لأنها خالفت رواية ابن مسعود الأوثق سنداً، ومنكرة لتفرد ابن مردويه في إخراجها فلا متابع له ولا شاهد.

والملاحظ هنا أن السيوطي عند تفسيره لهذه الآية أورد عشرين رواية ومن ضمنها رواية ابن مسعود الصحيحة فَلَمْ يعجب هؤلاء إلا هاتان الروايتان ظناً منهم أن فيها ما يثلب الصحابة، فاستدلالهم بالسيوطي ليس حجة لهم بل عليهم؛ لأن السيوطي معروف لدى علماء الحديث بإيراده الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فليس مجرد الاستدلال يدل على الصحة.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٥٧).

(٢) سبق تخريجه.

ولو فرضنا أن الروايتين صحيحتان فيكون قول الله لهم مجرد عتاب وحث لهم على زيادة الخشوع وديمومة الخوف من الله؛ لأن الصحابة بلا شك ليسوا معصومين من الأعراض البشرية كالنسيان والغفلة، والقرآن نزل لتربية الصحابة على قيادة الدنيا ولحضهم على الخير ولنهيهم عن كل ما فيه شر لهم وضرر فعن ابن مسعود ﷺ قال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فأرعها سمعك، فإنه إما خيرٌ تؤمر به أو شر تنهى عنه»(١).

والآية التي نحن بصددها نزلت لتنبيه الصحابة وحضهم على الخشوع وتنبيههم إلى أن اليهود والنصارى قد طال عليهم الأمد فأصيبوا بقسوة في قلوبهم، فأصبح الكثير منهم فاسقون وذلك ليحذر المؤمنون من هذا الطريق فيجتنبوه، وهذا بلا شك في عداد تربية الصحابة وإلا إن كان لا يجوز مجرد عتابهم فإذاً هم في عداد الملائكة وليسوا في عداد البشر!

وحتى النبي ﷺ نزل القرآن يعاتبه كما في قصة ابن أم مكتوم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ [عبس:١] فإذا كان عتاب الله للصحابة ذماً فماذا بالله سيقال عن عتاب الله للنبي ﷺ ؟!

وقد نزل القرآن لتوجيه النبي ﷺ فقال الله له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأحزاب:١] وقوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس:٩٤].

فماذا سيقال عن نبي الرحمة؟! هل سيقال: إن النبي ﷺ لم يتق الله ويشك فيما أنزل الله إليه؟

(١) سبق تخريجه.

وقد مرّ معنا أن علياً رضي الله عنه قد مدح الصحابة وهو بصدد تعليم شيعته وتوبيخهم وحثهم على اتخاذ الصحابة قدوةً وذلك حينما قال: «لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم...الخ»(١) بالإضافة إلى قول جعفر الصادق حينما وصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:»....كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير»(٢).

وعن الحسن العسكري -وهو أحد الأئمة عند الشيعة- في تفسير قوله في حق من يبغض الصحابة: «.. إن رجلاً ممن يبغض آل محمد (وأصحابه) الخيرين وواحداً منهم «!!» لعذبه الله عذاباً لو قسم على مثل عدد خلق الله تعالى لأهلكهم أجمعين»(٣).

وأما الطعن في الصحابة بزعم أنهم لم تخشع قلوب السابقين منهم فكيف بمن أتى بعدهم...! فهذه دعوى باطلة وفرية ظاهرة، يردها ما ثبت في سيرة الصحابة رضي الله عنهم من أخبار تدل على تحقيقهم أعلى مقامات الخشوع، وشدة خوفهم من الله وكثرة بكائهم من خشيته مما لا ينكره إلا مكابر أو جاهل.

فمن ذلك ما رواه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه قال: {خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين..}(٤). وفي رواية مسلم {خنين}.

---

(١) نهج البلاغة (ص:١٨٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٢٦/ ٣٣١).

(٤) صحيح البخاري رقم (٤٦٢١)، صحيح مسلم رقم (٢٣٥٩).

والحنين هو: الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الصدر، والخنين: من الأنف[(١)]، والمقصود شدة بكائهم من موعظة رسول الله ﷺ.

وفي رواية أخرى لمسلم: {فأكثر الناس البكاء، حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ}[(٢)].

وقد ثبت البكاء لبعض الصحابة، بل كان بعضهم معروفاً به مما يدل على شدة خوفهم من الله وخشيتهم له، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس: {... فقلت: يا رسول الله! إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه}[(٣)].

وفي رواية: {إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء}[(٤)].

وفي الحلية لأبي نعيم عن عبد الله بن عيسى قال: «كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء»[(٥)].

وعن هشام بن الحسن قال: «كان عمر يمر بالآية في ورده تخنقه فيبكي حتى يسقط»[(٦)].

وعن عثمان رضي الله عنه أنه جاء إلى بيت النبي ﷺ فأخبرته عائشة رضي الله عنها أنهم لم يطعموا طعاماً منذ أربعة أيام، قالت عائشة رضي الله عنها: فبكى عثمان ثم قال: «مقتاً للدنيا،

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٨١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٣٥٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٢٩٨)، صحيح مسلم برقم (٤١٨) واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٧٩) واللفظ له.

(٥) حلية الأولياء (١/ ٥١).

(٦) حلية الأولياء (١/ ٥١).

ثم أحضر لهم طعاماً كثيراً وصرة دراهم»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه أتي بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى فقيل له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ قال: «هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أخرنا لها لما هو خير منها»[(٢)].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يذكر النبي صلى الله عليه وسلم قط إلا بكى[(٣)].

وأخبارهم في ذلك تطول، وإنما ذكرت هنا أمثلة للرد على هذا الافتراء في حق الصحابة، والزعم بعدم خشوعهم وخشيتهم، وبيان براءتهم من الطعنة والقدح بهذه الأمثلة الدالة على قوة إيمانهم وشدة خوفهم من الله تعالى، وحسبهم قبل ذلك وبعد تزكية الله ورسوله لهم، وما ثبت في الكتاب والسنة من فضائلهم ومناقبهم التي اختصهم الله بها على من بعدهم من الأمة ف رضي الله عنهم، بل قد أثنى الله عليهم في التوراة والإنجيل قبل أن تطأ أرجلهم الثرى.

شبهة التبعيض في قول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح:٢٩]:

ومن الشبهات أن (منهم) في قول الله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) أورده ابن قدامة المقدسي في الرقة والبكاء (ص: ١٨٨).

(٢) أورده أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٠).

(٣) رواه الدارمي في سننه برقم (٨٦).

﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩] تدل على التبعيض وأوحت أن البعض من هؤلاء لا تشملهم مغفرة الله ورضوانه، ودلت أيضاً على أن البعض من الصحابة انتفت منهم صفة الإيمان والعمل الصالح، فهذه الآيات المادحة والقادحة في آن واحد فهي بينما تمدح نخبة من الصحابة تقدح في آخرين).

نقول رداً على هذا الزعم: إن هذه الآية الكريمة تضمنت أبلغ الثناء والمدح من الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ ووصفه لهم بتلك الصفات العظيمة، الدالة على علو قدرهم في الدين، ورسوخ قدمهم في الإيمان والعمل الصالح.

وأما ما ادعاه الطاعنون أن (منهم) في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ للتبعيض وأنها تدل على انتفاء الإيمان والعمل الصالح عن بعضهم، فهذا من فرط جهلهم، وجرأتهم على الله، وكذبهم عليه بما لا تحتمله الآية ولا يستند لقول أحد من أهل العلم في تفسيرها.

والذي عليه المفسرون وأهل العلم أن (من) في الآية لبيان الجنس فيكون المعنى: (وعد الله الذين آمنوا من هذا الجنس) وهم الصحابة.

قال القرطبي رحمه الله: (وليست من في قوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ مبعضة لقوم من الصحابة دون قوم، ولكنها عامة مجنسة مثل قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠] لا يقصد للتبعيض، لكنه يذهب إلى الجنس، أي: فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها الزنى والربا وشرب الخمر والكذب فأدخل (من) يفيد بها الجنس وكذا (منهم) أي: من هذا الجنس، يعني: جنس الصحابة، ويقال: أنفق نفقتك من الدراهم أي: اجعل نفقتك هذا الجنس)[1].

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٦).

وكذا قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (من هذه لبيان الجنس)(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة: (فإن قيل: لم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ ولم يقل: وعدهم كلهم؟ قيل: كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يقل: وعدكم و(من) تكون لبيان الجنس، فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠] فإنه لا يقتضي أن يكون من الأوثان ما ليس برجس. وإذا قلت: ثوب من حرير فهو كقولك: ثوب حرير، وكذلك قولك: باب من حديد كقولك: باب حديد، وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه، وإن كان الذي يتصوره كلياً فإن الجنس الكلي هو: ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وإن لم يكن مشتركاً فيه في الوجود، فإذا كانت (من) لبيان الجنس كان التقدير: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة:٩] من هذا الجنس وإن كان الجنس كلهم مؤمنين مصلحين)(٢).

فتبين بهذا بطلان ما ادعاه المبطون من أن (من) في الآية تبعيضية واستدلالهم بها على انتفاء الإيمان والعمل الصالح عن بعض الصحابة، لمخالفة ذلك لما ذكره العلماء هنا، بل مخالفته لعموم نصوص الكتاب والسنة، القاطعة بعدالة الصحابة وتزكيتهم، والشهادة لهم بالإيمان والتقوى، والسبق في ذلك، وما أخبر الله عنهم من رضاه عنهم، ورضاهم عنه، ووعده لهم بأعلى الدرجات في الجنة، ومخالفته كذلك لما هو معلوم بالاضطرار للمسلمين، وما انعقد عليه إجماعهم من حسن الثناء عليهم، والاعتراف

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٧).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٣٨-٣٩).

لهم بالفضل والسبق في الدين، وأن الأمة بعدهم لا يبلغوا مراتبهم، ولا يدانوهم في الفضل، مما يجعل الطعن فيهم طعن في الأمة، والقدح فيهم قدح في الكتاب والسنة.

شبهة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة: ١١]:

ومن الشبهات أن أكثر الصحابة انفضوا عن رسول الله ﷺ إلى العير التي جاءت من الشام وتركوه وحده في خطبة الجمعة وتوجهوا إلى اللهو واشتغلوا بالتجارة، وذلك دليل على عدم الديانة.

والجواب: أن هذه القصة إنما وقعت في بدء زمن الهجرة[١]، ولم يكونوا إذ ذاك واقفين على الآداب الشرعية كما ينبغي، وكان للناس مزيد رغبة في الغلة، وظنوا أن لو ذهبت الإبل يزيد الغلاء ويعم البلاء، ولم يخرجوا جميعهم بل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر كانوا قائمين عنده ﷺ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة[٢]، ولذا لم يشنع عليهم[٣] ولم يتوعدهم سبحانه بعذاب ولم يعاتبهم الرسول ﷺ أيضاً، ولما بين الله لهم الحكم ما تخلف منهم أحد، وحالهم بعد نزول الآية خير شاهد.

فرار الكثير من الصحابة يوم أحد ويوم حنين:

ومنها: أن كثيراً من الصحابة فر من الزحف في غزوتي أحد وحنين، والفرار من الزحف من أكبر الكبائر.

والجواب: أن الفرار يوم أحد كان قبل النهي، ولئن قلنا: كان بعده فهو معفو

---

(١) وعندما كانت خطبة الجمعة بعد الصلاة لا قبلها كما في تفسير سورة الجمعة للحافظ ابن كثير عن أبي داود في مراسيله.

(٢) في حديث جابر بن عبد الله أن الذين ثبتوا مع النبي اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر.

(٣) أي: على اللذين خرجوا عند وصول القافلة التجارية إلى المدينة، وكان الذي جاء بالقافلة دحية بن خليفة.

عنه، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران:١٥٥] فالله قد عذرهم وعفا عنهم، وهو الذي زكاهم وأثنى عليهم فهل لأحد أن يعترض على الله؟! وأما الفرار يوم حنين فقد أخبر تعالى أنه كان ابتلاء لهم وتربية لهم حتى لا يعتمدوا على كثرتهم، بل الاعتماد يكون على الله وحده، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة:٢٥-٢٦]. ولا يخفى أن في هذه المعركة كان منهم قريبو عهد بإيمان.

شبهة القول: إن الصحابة سبوا بعضهم وقتلوا بعضهم:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات:٩-١٠].

فأثبت لهم الإيمان والأخوة مع أنهم قاتلوا بعضهم بعضاً، وإذا كانت هذه الآية يدخل فيها المؤمنون فالأولى دخول الصحابة فيها، وأهل السنة يقولون: إن أهل الجنة ليس من شرط دخولها سلامتهم عن الخطأ والزلل، بل ولا حتى الكبائر، فيجوز أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه فيتوب الله عليه، كيف وقد شهد الله لهم بالجنة، ولو لم نعلم أن أولئك المعينين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يعلم

أنهم يدخلون الجنة، فليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلك، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين!!؟ فكان كلامنا في ذلك كلاماً فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام، ولهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال، والآية التي استدلوا بها قد شهد الله لهم فيها بالإيمان ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾، ومعلوم أن المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه، فكيف يسوغ لمسلم أن يتجرأ على قوم قد شهد علام الغيوب لهم بالإيمان؟!

شبهة أن الصحابة آذوا علياً وحاربوه:

ومنها: أن الصحابة قد آذوا علياً وحاربوه، وقد قال ﷺ: {من آذى علياً فقد آذاني}.

اعلم أن أعظم ما تداولت الألسن من الاختلاف الواقع بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما وقع في زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فنشأ منه وقعتان عظيمتان: وقعة الجمل، ووقعة صفين. وسبب ذلك مقتل عثمان رضي الله عنه، ولو أنكر ذلك من أنكر، وإنكار ذلك مكابرة لا يلقى لها بال، لأن الخبر متواتر في جميع مراتبه.

وتلخيص الأول أنه لما قتل عثمان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً توجع المسلمون، فسار طلحة والزبير وعائشة - وكان قد لقيها الخبر وهي مقبلة من عمرتها - نحو البصرة، فلما علم علي رضي الله عنه بمخرجهم اعترضهم من المدينة لئلا يحدث ما يشق عصا الإسلام، ففاتوه، وأرسل ابنه الحسن وعماراً يستنفران أهل المدينة وأهل الكوفة، ولما قدموا البصرة استعانوا بأهلها وبيت مالها، حتى إذا جاءهم الإمام رضي الله عنه حاول الصلح واجتماع الكلمة وسعى الساعون بذلك، فثار قتلة عثمان وكان ما كان، وانتصر علي رضي الله عنه، وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى صلاة العصر لعشر خلون من

جمادى الآخرة.

ولما ظهر علي رضي الله عنه جاء إلى أم المؤمنين رضي الله عنها فقال: «غفر الله لك». قالت: (ولك. وما أردت إلا الإصلاح). ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار في البصرة على سنيه بنت الحارث أم طلحة الطلحات، وزارها بعد ثلاث ورحبت به وبايعته وجلس عندها فقال رجل: يا أمير المؤمنين! إن بالباب رجلين ينالان من عائشة. فأمر القعقاع بن عمر أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما ففعل.

ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وأذن لمن نجا من الجيش أن يرجع إلا أن يحب المقام، وأرسل معها أربعين امرأة وسير معها أخاها محمداً.

ولما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي رضي الله عنه فوقف على الباب في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت: «يا بني لا يغتب بعضكم بعضاً، إنه ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه لمن الأخيار». فقال علي رضي الله عنه: «صدقت، والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة»[(١)] وسار معها مودعاً أميالاً.

وكانت رضي الله تعالى عنها بعد ذلك إذا ذكرت ما وقع تبكي حتى تبل خمارها.

ففي هذه المعاملة من أمير المؤمنين رضي الله عنه دليل على خلاف ما يزعمه مبغضوها من كفرها - وحاشاها رضي الله عنها - وفي ندمها وبكائها على ما كان دليل على أنها لم تذهب إلى ربها إلا وهي نقية من غبار المعركة، على أن في كلامها ما يدل على أنها كانت حسنة

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٦١).

النية في ذلك. وقال غير واحد: إنها اجتهدت ولكنها أخطأت في الاجتهاد ولا إثم على المجتهد المخطئ بل له أجر على اجتهاده[1] وكونها رضي الله تعالى عنها من أهل الاجتهاد مما لا ريب فيه.

وأما طلحة والزبير رضي الله عنهما فلم يموتا إلا على بيعة الإمام رضي الله عنه.

وأما طلحة فقد روى الحكم عن ثور بن مجزأة أنه قال: «مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمق فقال لي: من أنت؟ قلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقال: أبسط يدك أبايعك، فبسطت يدي فبايعني وقال: هذه بيعة علي، وفاضت نفسه. فأتيت علياً رضي الله عنه فأخبرته فقال: الله أكبر صدق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أبى الله سبحانه أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه».

وأما الزبير رضي الله عنه فقد ناداه علي رضي الله عنه وخلا به وذكره قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: {لتقاتلن علياً وأنت له ظالم، فقال: لقد ذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر، لا جرم لا أقاتلك أبداً}[2]، فخرج من العسكرين نادماً وقتل بوادي السباع مظلوماً قتله عمرو بن جرموز.

وقد ثبت عند الفريقين أنه جاء بسيفه واستاذن على علي رضي الله عنه فلم ياذن له، فقال: أنا قاتل الزبير، فقال: أبقتل ابن صفية تفتخر؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: {بشر قاتل ابن صفية بالنار}[3].

---

(١) إنها أجتهدت وأصابت، لأنها أرادت الإصلاح والتعاون مع أمير المؤمنين علي على إقامة حدود الله في القتلة المجرمين. والدماء التي سفكت في وقعة الجمل كانت جريمة أخرى من جرائم قتلة عثمان لا يلحق منها شيء بعلي ولا بعائشة ومن معها، ولو توفقوا إلى إقامة الحدود على قتلة عثمان، لتغيرت الحوادث بعد ذلك، ولما وجدت الخوارج وغيرهم، ولما قتل علي رضي الله عنه. ولكن لله في كل شيء حكمه قد يطلعنا عليها وقد تخفى عنا.

(٢) انظر: مستدرك الحاكم (٣/ ٤١٣)، الاستيعاب لابن عبد البر (٨/ ٥١٥)، تاريخ الطبري (٣/ ٣٧).

(٣) رواه أحمد برقم (٦٨١).

وأما عدم قتله فلقيام الشبهة على ما قيل، ونظيره ما أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي عن الحسن أن أناساً من الصحابة ﷺ ذهبوا يتطرقون، فقتل واحد منهم رجلاً قد فر وهو يقول: إني مسلم، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ولم يقتل القاتل[١].

وكذا قتل أسامة ﷺ فيما أخرجه السدي رجلاً يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلامه رسول الله ﷺ جداً ولم يقبل عذره وقال له: {كيف أنت ولا إله إلا الله؟}[٢]، ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء:٩٤] الآية.

وأجاب آخرون بأن العلماء اختلفوا في أنه هل يجب على الحاكم القصاص إذا لم يطلبه الولي أم لا؟

ولعل أمير المؤمنين ﷺ ممن لا يرى وجوب القصاص بدون طلب ولم يقع. وروى أيضاً أن الأمير ﷺ قال لما جاءه عمر بن طلحة بعد موت أبيه: «مرحباً بابن أخي، إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر:٤٧][٣] وهذا ونحوه يدل على أنهما رضي الله تعالى عنهما لم يذهبا إلا طاهرين متطهرين.

وأما تلخيص الواقعة الثانية فقد ذكر المؤرخون أن معاوية ﷺ كان قد استنصر ابنا عثمان ﷺ ووكلاه في طلب حقهما من قتلة أبيهما، فلما بلغه فراغ علي ﷺ من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٧٨). والقصة وردت أيضاً في: صحيح البخاري برقم (٤٢٦٩)، صحيح مسلم برقم (٩٦).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١١٣).

وقعة الجمل ومسيره إلى الشام خرج عن دمشق[1] حتى ورد صفين في نصف المحرم فسبق إلى سهولة المنزل وقرب من الفرات، فلما ورد الأمير رضي الله عنه دعاهم إلى البيعة فلم يفعلوا، وطلبوا منه قتلة عثمان – وكانوا قد انحازوا إلى عسكره، ولهم عشائر وقبائل ومع هذا لم يمتازوا بأعيانهم – فمال رضي الله عنه إلى التأخير حتى يمتازوا ويتحقق القاتل من غيره، فأبى معاوية إلا تسليم من يزعمونه قاتلاً. وكثر القيل والقال حتى اتهم بنو أمية علياً رضي الله عنه بأنه الذي دلس على قتلة عثمان رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه قد تصرف بسلاح عثمان.

وكان الأمير رضي الله عنه يبرأ من القتلة ويقول: «يا معاوية، لو نظرت بعين عقلك دون عين هواك لرأيتني أبرأ الناس من قتلة عثمان». وتصرفه رضي الله عنه بسلاحه لأنه كان من الأشياء الراجعة إلى بيت المال، وحكمه إذ ذاك كحكم المدافع في زماننا في أن حق التصرف في ذلك للإمام.

ثم إنه قد وقع الحرب بينهم مراراً، وبقي رضي الله عنه بصفين ثلاثة أشهر، وقيل: سبعة، وقيل: تسعة، وجرى ما تشيب منه الرءوس وتهون معه حرب البسوس، وليلة الهرير أمرها شهير، وآل الأمر إلى التحكيم، وحدث من ذلك ما أوجب ترك القتال مع معاوية والاشتغال بأمر الخوارج، وذلك تقدير العزيز العليم.

وأهل السنة إلا من شذ يقولون: إن علياً رضي الله عنه في كل ذلك على الحق لم يفترق عنه

---

(١) لما انتهى علي من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الإثنين ١٢ من رجب، وأرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية في دمشق يدعوه إلى طاعته، فجمع معاوية رءوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب علي. فقالوا: لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان، أو يسلمهم إلينا. فرجع جرير إلى علي بذلك. فاستخلف علي على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر وخرج منها فعسكر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق. وبلغ معاوية أن علياً تجهز وخرج بنفسه لقتاله فخرج هو أيضاً قاصداً صفين.

قيد شبر، وعن مقاتليه في الوقعتين مخطئون باغون وليسوا بكافرين خلافاً لغيرهم، ولا فاسقين خلافاً للعمرية أصحاب عمر بن عبيد من المعتزلة.

وأما أن الحق مع علي عليه السلام فغني عن البيان، وأما كون المقاتل باغياً فلأن الخروج على الإمام الحق بغي، وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: {ويح عمار تقتله الفئة الباغية}(١) وقد قتله عسكر معاوية.

وقوله حين أخبر بذلك: «قتله من أخرجه» مما لا يلتفت إليه، وإلا لصح أن يقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتل حمزة وأضرابه ممن قاتل معه صلى الله عليه وآله وسلم، وكذا قول من قال: المراد من الفئة الباغية الفئة الطالبة أي لدم عثمان، فلا يدل الخبر على البغي بالمعنى المذموم، وقد أخبر الباري أن هذا سيحصل وستبغي إحدى الطائفتين على الأخرى ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [الحجرات:٩]. مع شهادته للطائفتين بالإيمان.

وأما كونه ليس بكافر فلما في نهج البلاغة أن علياً عليه السلام خطب يوماً فقال: «أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج والشبهة»(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات:٩] فسمى الله تعالى الطائفتين المقتتلين (مؤمنين) وأمر بالإصلاح بينهما.

وأجاب البعض عن الآية بأنها في قتال المؤمنين بعضهم مع بعض دون القتال مع الإمام والبغي عليه، والخطاب فيها للأئمة أمروا أن يصلحوا بين طائفتين من المؤمنين

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٧).

(٢) نهج البلاغة (ص: ٢٣٦).

اقتتلوا فيما بينهم، وأن يقاتلوا إذا بلغت إحداهما حتى تفيء.

ولا يخفى ما في هذا الجواب من الوهن وعدم نفعه للمجيب أصلاً، لأن الأمر الثاني يستدعي أن يكون القتال مع الإمام ضرورة فافهم.

ومما يدل على أن المحارب غير كافر صلح الحسن رضي الله عنه مع معاوية، وهو مما لا مجال لإنكاره. وقد روى المرتضى وصاحب (الفصول المهمة) من الإمامية أنه لما أبرم الصلح بينه رضي الله عنه وبين معاوية خطب فقال: «إن معاوية نازعني حقاً لي دونه، فنظرت الصلاح للأمة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني، ورأيت أن حقن دماء المسلمين خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم»[1] انتهى.

وفي هذا دلالة ظاهرة على إسلام الفريق الصالح، وأن المصالحة لم تقع إلا اختياراً، ولو كان المصالح كافراً لما جاز ذلك ولما صح أن يقال: «فنظرت الصلاح للأمة وقطع الفتنة» فقد قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال:٣٩].

وبعد هذا كله قد ثبت عند الجميع أن معاوية رضي الله عنه ندم على ما كان منه في المقاتلة والبغي على الأمير رضي الله عنه واتفق أن بكى عليه رضي الله عنه.

فقد أخرج ابن الجوزي عن أبي صالح قال: (قال معاوية لضرار: صف لي علياً. فقال: أو تعفيني. قال: بل تصفه. فقال: أو تعفيني. قال: لا أعفيك. قال: أما ولابد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل

---

(١) الفصول المهمة (ص١٦٤).

وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه. يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما خشن. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه). إلى أن قال: (لا تطمع القوى في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فاشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه يقول: يا دنيا يا دنيا إلي تعرضت أم بي تشوقت؟ هيهات هيهات، غري غيري قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطوك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال: فذرفت دموع معاوية، فما يملكها وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء. ثم قال معاوية: رحم الله تعالى أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ فقال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها)[1].

وما يذكره المؤرخون من أن معاوية رضي الله عنه كان يقع في أمير المؤمنين رضي الله عنه بعد وفاته ويظهر ما يظهر في حقه ويتكلم بما يتكلم في شأنه مما لا ينبغي أن يعول عليه أو يلتفت إليه، لأن كثيراً من المؤرخين ينقلون الغث والسمين دون تمحيص، ولا يميزون بين الصحيح والموضوع والضعيف، وأكثرهم حاطب ليل لا يدري ما يجمع، فالاعتماد على ذلك في مثل هذا المقام الخطير والطريق الوعر والمهمة القفرة الذي تضل فيه القطا، وتقصر دونه الخطا مما لا يليق بشأن عاقل فضلاً عن فاضل.

وما جاء من ذلك في بعض روايات صحيحة وكتب معتبرة رجيحة فينبغي أيضاً التوقف عن قبوله والعمل بموجبه، لأن له معارضات مسلمة في الصحة والثبوت.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٤٢، ٤٤٥).

على أن من سلم من داء التعصب بما يندفع بـه الطعـن عـن أولئـك الـسادة الماثـل، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ونختم الرد على هذه الـشبهة بـذكر بعـض مرويـات الـصحابة في آل البيـت ﷺ أجمعين:

عن زيد بن أرقم قال: {قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماءٍ يدعى خما بين مكـة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بـشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تـاركٌ فـيكم ثقلـين أولهـما كتـاب الله فيـه الهـدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحـث عـلى كتـاب الله ورغـب فيـه ثـم قـال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.. أذكركم الله في أهل بيتـي.. أذكـركم الله في أهـل بيتي. فقال له حصينٌ: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه مـن أهـل بيتـه؟ قـال: نـساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قـال: هـم آل عـلي وآل عقيلٍ وآل جعفرٍ وآل عباسٍ قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم}**(١)**.

عن البراء بن عازبٍ قال: {رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺ وهـو يقـول: اللهم إني أحبه فأحبه}**(٢)**.

عن المسور بن مخرمة أن رسـول الله ﷺ قـال: {فاطمـة بـضعةٌ منـي فمـن أغـضبها أغضبني}**(٣)**. وفي رواية: {إنما فاطمة بضعةٌ مني يؤذيني ما آذاها}**(٤)**.

عن أبي بكرة قال: قال النبي ﷺ: {إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يـصلح بـه بـين

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٤٩)، ومسلم برقم (٢٤٢١).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧١٤).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٤٤٩).

فئتين عظيمتين من المسلمين}[1].

عن بريدة قال: {كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما}[2].

عن ابن أبي نعمٍ قال: {كنت شاهدًا لابن عمر وسأله رجلٌ عن دم البعوض فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول: هما ريحانتاي من الدنيا}[3].

عن أبي سعيدٍ الخدري وحذيفة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: {الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة}[4]. وفي رواية عن ابن عمر: {وأبوهما خيرٌ منهما}[5].

عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {المهدي من عترتي من ولد فاطمة}[6].

عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {والذي نفسي بيده لا

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٠٤).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٣٠٤٥)، وأبو داد برقم (١١٠٩)، والنسائي برقم (١٥٨٥)، والترمذي (٣٧٧٤)، وابن ماجه برقم (٣٦٠٠).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧٥٣).

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٧٦٨)، وابن ماجه برقم (١١٨).

(٥) رواه ابن ماجه برقم (١١٨).

(٦) رواه أبو داود برقم (٤٢٨٤).

يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار}[١]. رواه الحاكم، وصححه الألباني.

عن سهل بن سعدٍ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: {لأعطين هذه الراية رجلًا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالبٍ؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم}[٢].

عن عامر بن سعد بن أبي وقاصٍ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: {أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. قال سعيدٌ فأحببت أن أشافه بها سعدًا فلقيت سعدًا فحدثته بما حدثني عامرٌ فقال: أنا سمعته فقلت: آنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلا فاستكتا}[٣].

تنافس الصحابة على الدنيا:

ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: {إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: كما أمرنا الله تعالى. فقال رسول الله ﷺ: كلا بل تتنافسون ثم تتدابرون ثم

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ١٦٢) (٤٧١٧). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٤٨٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٠١)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٤٠٤).

تتباغضون ثم تنطلقون إلى مساكن المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض}[١]
ويزعم الطاعنون بأن هذا صريح في وقوع التنافس والتدابر والتباغض فيما بين الصحابة، فجعلوه مطعناً في الصحابة ﭫ.

والجواب: أن الخطاب وإن كان للصحابة لكن باعتبار وقوع ذلك فيما بينهم، وهو لا يستدعي أن يكون منهم، ويدل على ذلك أن الصحابة إما مهاجرون أو أنصار، والحديث صريح في أن أولئك الفرقة ليسوا مهاجرين، والواقع ينفي كونهم من الأنصار لأنهم ما حملوا المهاجرين على التحارب، فتعين أنهم من التابعين، وقد وقع ذلك منهم، فإنهم حملوا المهاجرين على التحارب بينهم كمالك الأشتر وأضرابه، ولا كلام لنا فيهم[٢].

وزعموا أيضاً أن حديث النبي ﷺ: {إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها}[٣]. فادعى الطاعنون أن الصحابة ﭫ قد تنافسوا على الدنيا حتى سلت سيوفهم وتحاربوا وكفر بعضهم بعضاً، وقد كان بعض هؤلاء الصحابة المشهورين يكنز الذهب والفضة بزعمهم.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٢).

(٢) انظر البيان الوافي عن الأشتر في تعليقات (العواصم من القواصم) (ص:١٠٩)، ثم في (ص:١١٦ – ١١٩)، و(ص:١٢٢)، وتقدم في هامش (ص:٢٥٩) أنه هو أحد اثنين زورا الكتاب على لسان عثمان إلى والي مصر. وفي تاريخ الطبري (٥/ ١٩٤) اعتراف الأشتر بانه أحد قتلة عثمان، وذلك عند ما سخط على علي ﭬ لأنه ولي عبد الله بن عباس البصرة فقال الأشتر: (ففيم قتلنا الشيخ إذن؟) أما أضراب الأشتر ممن شاركه في قتل عثمان فتجد البيان عنهم في (العواصم من القواصم).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٢٩٦).

وقالوا: قد ذكر المسعودي في مروج الذهب والطبري وغيرهم أن ثروة الزبير وحده بلغت خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وضياعاً كثيرة في البصرة وفي الكوفة وفي مصر وغيرها. كما بلغت غلّة طلحة من العراق وحده كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك. وكان لعبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة، وبلغ ربع ثمن ماله الذي قسم على زوجاته بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً. وترك عثمان بن عفان يوم مات مائة وخمسين ألف دينار عدا المواشي والأراضي والضياع مما لا يحصى، وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس حتى مجلت أيدي الناس، ما عدا الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار. وقالوا: هذه بعض الأمثلة البسيطة، وفي التاريخ شواهد كثيرة لا نريد الدخول في بحثها الآن ونكتفي بهذا القدر للدلالة على صدق الحديث وأنه قد زينت الدنيا في أعينهم وراق لهم بهرجها).

فالرد على هذا الزعم أن الحديث يخبر أنّ هذه الأمة سوف تمتلك خزائن الأرض، وأنه سوف يقع التنافس في الدنيا، وهذه من معجزات النبي ﷺ فإنه قد وقع ما أخبر به ولكن الحديث لا ينطبق على هؤلاء الصحابة، لأن الصحابة لم يمتلكوا خزائن الأرض بعد، بالإضافة إلى أن القتال الذي وقع بينهم لم يكن من أجل التنافس على حطام الدنيا ولكن الفتنة التي وقعت بسبب مقتل عثمان هي التي أدت لذلك مع أنهم لم يكونوا يريدون القتال، وعلى العموم فكل من الفريقين مأجور على اجتهاده.

ومن الردود أن هؤلاء الطاعنون يحشدون من الأدلة التي يظنون بجهلهم أنها تسيء للصحابة وما علموا أنهم باستدلالهم بها يتناقضون مع أنفسهم تمام التناقض، فبينما هم يدَّعون في المبحث السابق أن أكثر الصحابة قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى يستشهدون هنا بهذا الحديث الذي يفيد صراحة أن النبي ﷺ لا يخشى على أصحابه

من الارتداد ولكنه يخاف عليهم أن يتنافسوا فيها فكيف يوفِّقون بين هذا التخبط الذي يمتنع الجمع بينه، بالإضافة إلى أنه باستشهادهم بهذا الحديث يطعنون في علي بن أبي طالب وأصحابه؛ لأن الحديث جاء بصيغة الجمع، أي: أن التنافس على الدنيا يشمل الطرفين، وقد زعموا أن الصحابة ﷺ قد تنافسوا على الدنيا حتى سُلّت سيوفهم وتحاربوا وكفر بعضهم بعضاً، ومن المُسلَّم أن القتال الذي وقع بين جيش طلحة والزبير كان مع جيش علي بن أبي طالب كان بسبب مقتل عثمان ﷺ لا من أجل حطام الدنيا كما يزعم المفترون.

ومنها قولهم: (كان بعض هؤلاء الصحابة المشهورين «هكذا» يكنز الذهب والفضة).

فنقول: أين دعواكم على هذا الادعاء ومن أي المصادر المعتمدة جئتم بهذا الزعم؟!

لاشك أن غنى هؤلاء الصحابة ليس فيه ما يدعو إلى الذم أو التجريح فسيرة هؤلاء الصحابة الكرام تثبت أنهم من خيار الصحابة، فعثمان بن عفان ثالث الخلفاء ومن أقرب الناس إلى النبي ﷺ ومن أجودهم وأكرمهم، فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: {جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم}[١] وقد قال النبي ﷺ: {من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان}[٢] وكل ذلك من ماله طاعة لله ورسوله.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري معلقاً في باب مناقب عثمان بن عفان.

وأما طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان من المجاهدين في سبيل الله، ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد حتى شلّت يده، وعن الزبير قال: {كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم درعان فنهض إلى الصخرة فلم يستطع فأقعد تحته طلحة فصعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى استوى على الصخرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أوجب طلحة}(١)، وكان رضي الله عنه يخشى أن يبيت وقد جمع مالاً، فعن طلحة بن يحيى قال: «حدثتني سعدى بنت عوف المرّية قالت: دخلت على طلحة يوماً وهو خاثر فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله ونعم حَليلةُ المسلم أنت ولكن مالٌ عندي قد غَمَّني. فقلت: ما يغمك؟ عليك بقومك. قال: يا غلام ادع لي قومي، فقسمه فيهم. فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعة مئة ألف}(٢).

وعن الحسن البصري أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له بسبع مئة ألف فبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح وفرّقه.

وأما الزبير بن العوام فقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان حواري النبي صلى الله عليه وسلم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن لكل نبي حوارياً وإن حواريَّ الزبير بن العوام}(٣).

ومن فرط حبه للمال وحرصه على أن يكنز سواري كسرى من الذهب والفضة! فقد وصى ابنه عبد الله بن الزبير على سداد دينه وهو على شفا الموت، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير قال: «لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه. فقال: يا بُنيَّ إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم وإني لا أراني إلا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٨٤٦).

سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لَدَيْني أفترى يبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ فقال: يا بني بعْ ما لنا فاقض ديني وأوصي بالثلثُ، وثلثه لبنيه يعني بني عبد الله بن الزبير يقول: ثلث الثلث فإن فَضَل من مالنا فضلٌ بعد قضاء الدين فثلثه لولدك. قال هشامٌ: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير، حبيب وعبّاد، وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بنيّ إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله ما دريتُ ما أراد حتى قلتُ: يا أبت من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعتُ في كربةٍ من دينه إلا قلتُ: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه، فقُتل الزبير رضي الله عنه ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، منها الغابة وإحدى عشرة داراً بالمدينة، وداربن بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر..»[(١)].

وهذا عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل الذي بشره النبي ﷺ بالجنة وله فضيلة صلاة النبي ﷺ خلفه بالإضافة إلى إحسانه إلى أزواج النبي ﷺ بعد وفاته، فعن عائشة أن الرسول ﷺ كان يقول: {إن أمركنّ لِما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون} ثم تقول عائشة: {فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة تريد عبد الرحمن بن عوف وقد كان وصل أزواج النبي ﷺ بمال بيعت بأربعين ألفاً}[(٢)].

وعن أبي سلمة: «أن عبد الرحمن بن عوف أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف».

فهذا هو عبد الرحمن بن عوف الذي يدعي الطاعنون أنه ممن يكنز الذهب والفضة!؟

---

(١) رواه البخاري برقم (٣١٢٩).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٧٤٩).

وأما الصحابي زيد بن ثابت فهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد..»[(١)].

وأخرج البخاري في صحيحه عن البراء قال لي رسول الله ﷺ: {ادع لي زيداً وقل له: يجيء بالكتف والدواة. قال: فقال: اكتب ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ ﴾ [النساء:٩٥]}[(٢)]. وهو أحد الذين انتدبهم أبو بكر الصديق لجمع القرآن في عهده وقال عنه النبي ﷺ: {أفرض أمتي زيد بن ثابت}[(٣)].

فهؤلاء هم الصحابة الذي لم يجد هؤلاء الطاعنون إلا أن يشفوا غليلهم في الطعن بهم وهم الذين شهد لهم النبي ﷺ بالصدق والعدالة والرضا والجنة!

وأما الاستشهاد برجلٍ ليس من أهل السنة كالمسعودي فهو مجروح عندهم، فقد ترجم له ابن حجر في (لسان الميزان) بقوله: (وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً)[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتابه مروج الذهب: (وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى)[(٥)].

فاحتجاج هؤلاء بالمسعودي ليس حجة علينا، وللتدليل على أن المسعودي ليس من أهل السنة فقد ذكره إمام الشيعة الاثني عشرية القمي في كتابه (الكنى والألقاب) وقال عنه: (شيخ المؤرخين وعمادهم أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٨١٠)، ومسلم برقم (٢٤٦٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٩٠).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٧٢) (٧٩٦٢).

(٤) لسان الميزان (٤/ ٢٢٤).

(٥) منهاج السنة (٤/ ٨٤).

الهذلي...ذكره العلامة في القسم الأول من وقال: له كتاب في الإمامة وغيرها، ومنها كتاب إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب وهو صاحب مروج الذهب... قال العلامة المجلسي في مقدمة البحار: والمسعودي عده النجاشي في فهرسته من رواة الشيعة)[١].

ومع أن المسعودي قال في مروج الذهب ما نصه: (وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا به في فعله)[٢] إضافةً إلى أن ما ادعوه على الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف أنه قسم ثمن ماله البالغ أربعاً وثمانين ألفاً على زوجاته وعزوهم لكتابه المروج لم نجده في المصدر المذكور؟!

شبهة القول أن الصحابة شهدوا على أنفسهم بتغيير سنة النبي ﷺ:

ومنها قول الطاعنين: إن الصحابة شهدوا على أنفسهم بتغيير سنة النبي ﷺ). ثم أوردوا أثراً عن أبي سعيد الخدري قال: {كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بحثاً قطعه، أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف، قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل أن يصلي، فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد

---

(١) بحار الأنوار (١/ ٣٦).

(٢) مروج الذهب (٢/ ٣٣٢).

الصلاة فجعلتها قبل الصلاة}[١].

وزعموا أيضاً أن الأمويين وأغلبهم من صحابة النبي ﷺ بزعمهم، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان (كاتب الوحي) كما يسمونه كان يحمل الناس ويجبرهم على سب علي بن أبي طالب ولعنه من فوق المنابر، كما ذكر ذلك المؤرخون بزعمهم، وقد أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل علي بن أبي طالب مثل ذلك، وأمر معاوية عماله في كل الأمصار باتخاذ ذلك اللعن سنة يقولها الخطباء على المنابر..). هكذا زعم المبطلون!

فالرد على هذا أن استدلال الطاعنين بأثر أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على ما زعموا من تغيير الصحابة للسنة من أعجب العجب، فليس فيه ما يدل على زعمهم، بل فيه دلالة على قيام الصحابة بأمر السنة وإنكارهم على من خالفها، وهذا يتمثل في إنكار الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على مروان في تقديمه الخطبة على صلاة العيد.

ولعلهم ظنوا أن مروان بن الحكم من الصحابة، بل هو الظاهر من كلامهم.

والصحيح أن مروان لا تثبت له صحبة، فقد توفي النبي ﷺ وهو صغير ابن ثمان سنين، وقد كان في الطائف مع أبيه، بعد نفي النبي ﷺ له[٢].

قال ابن الأثير رحمه الله: (لم ير النبي ﷺ لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل لما نفي النبي ﷺ أباه الحكم)[٣].

---

(١) رواه البخاري برقم (٩٥٦).

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر المطبوع مع الإصابة (١٠/ ٧٠)، والإصابة لابن حجر (٩/ ٣١٨).

(٣) أسد الغابة (٥/ ١٣٩).

وعده الذهبي رحمه الله في السير من كبار التابعين(١).

وقال ابن حجر رحمه الله: (لم أر من جزم بصحبته)(٢).

وعلى هذا فلا يُحمّل الصحابة فعل مروان، فكيف وقد أنكره من حضره من الصحابة وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

على أن تقديم مروان للخطبة على صلاة العيد، وإن كان خطأً إلا أن العلماء ذكروا أنه إنما فعله مجتهداً.

نقل عن ابن المنير أنه قال: (حمل أبو سعيد فعل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك على التعيين، وحمله مروان على الأولوية، واعتذر عن ترك الأولى بما ذكره من تغير حال الناس، فرأى أن المحافظة على أصل السنة وهو سماع الخطبة- أولى من المحافظة على هيئة فيها ليست من شرطها).(٣)

وأما قول الطاعنين: إن الأمويين وأغلبهم من الصحابة، وعلى رأسهم معاوية كان يحمل الناس ويجبرهم على سب علي ولعنه من فوق المنابر، فكلامهم هذا يتضمن أمرين:

الأول: قولهم: إن الأمويين أغلبهم من الصحابة، فإن كانوا يعنون من تولى الخلافة من بني أمية في عهد الدولة الأموية -وهو الظاهر- فمن من خلفاء بني أمية من الصحابة غير معاوية حتى يقال: إن أغلبهم من الصحابة؟؟ وهذا باستثناء عثمان رضي الله عنه فإن خلافته كانت في عهد الخلفاء الراشدين كما هو معلوم، وأنا لا أعلم هل هذا

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٦).

(٢) الإصابة (٩/ ٣١٨).

(٣) فتح الباري (٢/ ٤٥٠).

من تلبيس الطاعنين على العوام وأهل الجهل، أم أنه الجهل المفرط؟!

الثاني: قولهم: إن معاوية كان يحمل الناس على سب علي ولعنه فوق المنابر، وهذه دعوى تحتاج إلى صحة النقل. والمطاعنون لم يوثقوا كلامهم هذا، وإنما اكتفوا بقولهم: (كما ذكر ذلك المؤرخون) ولم يحيلوا على أي مصدر لذلك، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين.

ومعاوية رضي الله عنه منزه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، فقد كان كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وثبت في سنن الترمذي بسند صحيح من حديث عبد الرحمن بن عميرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية: {اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به}(٢).

وكان محمود السيرة في الأمة، أثنى عليه بعض الصحابة، وشهدوا له بالدين والعلم، والعدل والحلم، وسائر خصال الخير.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولاّه الشام: «لا تذكروا معاوية إلا بخير» (٣).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال بعد رجوعه من صفين: «أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل» (٤).

---

(١) روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ثلاث أعطنيهن، قال: نعم... وفيه: (معاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم). صحيح مسلم برقم (٢٥٠١). قال ابن عساكر: (وأصح ما روى في فضل معاوية حديث أبي جمرة عن ابن عباس أنه كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم). نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٨٤٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٦١٥) وقال: (رجاله كلهم ثقات رجال مسلم فكان حقه أن يصحح).

(٣) أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٢٥).

(٤) المصدر نفسه (٨/ ١٣٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود[١] من معاوية. فقيل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر رحمه الله خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه» [٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية»[٣].

وفي صحيح البخاري أنه قيل لابن عباس: «هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة قال: إنه فقيه» [٤].

وعن قتادة رحمه الله قال: «لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم: هذا المهدي» [٥].

وعن مجاهد رحمه الله أنه قال: «لو رأيتم معاوية لقلتم: هذا المهدي» [٦].

وعن الزهري رحمه الله قال: «عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً» [٧].

وعن الأعمش أنه ذكر عنده عمر بن عبد العزيز وعدله فقال: «فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: يا أبا محمد يعني في حلمه؟ قال: لا والله، ألا بل في عدله» [٨].

وسئل المعافى: معاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: «كان معاوية أفضل

---

(١) من السيادة وسمى السيد سيداً لأنه يسود سواد الناس، لسان العرب (٣/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٤٣)، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٣٧).

(٣) أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٣٧).

(٤) رواه البخاري برقم (٣٧٦٥).

(٥) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٣٨).

(٦) المصدر نفسه. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٣٧).

(٧) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٤٤)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٨) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٣٧).

من ستمائة مثل عمر بن عبد العزيز»[١].

والآثار عن السلف في ذلك كثيرة، وإنما سقت هنا بعضها.

كما أثنى على معاوية رضي الله عنه العلماء المحققون في السير والتاريخ، ونقاد الرجال.

يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله: (ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين -رضي الله تعالى عنهم-)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمة)[٣].

وقال رحمه الله: (فلم يكن من ملوك المسلمين خير من معاوية، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمان معاوية)[٤].

وقال ابن كثير رحمه الله في ترجمة معاوية رضي الله عنه: (وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين... فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو)[٥].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك

---

(١) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٤٤)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٣٥).

(٣) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (ص:٣٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٨).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).

المسلمين)[١].

وقال الذهبي في ترجمته رحمه الله: (أمير المؤمنين ملك الإسلام)[٢].

وقال رحمه الله: (ومعاوية من خيار الملوك، الذين غلب عدلهم على ظلمهم).[٣]

وإذا ثبت هذا في حق معاوية رضي الله عنه فإنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن يحمل الناس على لعن علي رضي الله عنه على المنابر وهو من هو في الفضل، وهذا يعني أن أولئك السلف وأهل العلم من بعدهم الذين أثنوا عليه ذلك الثناء البالغ، قد مالؤوه على الظلم والبغي واتفقوا على الضلال، وهذا مما نزهت الأمة عنه بنص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: {إن أمتي لاتجتمع على ضلالة}[٤].

ومن علم سيرة معاوية رضي الله عنه في الملك، وما اشتهر به من الحلم والصفح، وحسن السياسة للرعية، ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه.

فقد بلغ معاوية رضي الله عنه في الحلم مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال قال عبد الملك بن مروان وقد ذكر عنده معاوية: «ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه» [٥].

وقال قبيصة بن جابر: «ما رأيت أحداً أعظم حلماً، ولا أكثر سؤدداً، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية» [٦].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص:٧٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٠).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ١٥٩).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة من حديث أنس - رضي الله عنه - (ص:٤١) رقم (٨٢- ٨٣- ٨٤)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٨)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة المطبوع مع السنة (ص:٤١- ٤٢)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٣١٩- ٣٢٠) رقم (١٣٣١).

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٨).

(٦) المصدر نفسه.

ونقل ابن كثير ﷺ: (أن رجلاً أسمع معاوية كلاماً سيئاً شديداً، فقيل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لأستحيي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي)(١).

وقال رجل لمعاوية: (ما رأيت أنذل منك، فقال معاوية: بلى من واجه الرجال بمثل هذا)(٢).

فهل يعقل بعد هذا أن يسع حلم معاوية ﷺ سفهاء الناس وعامتهم المجاهرين له بالسب والشتائم، وهو أمير المؤمنين، ثم يأمر بعد ذلك بلعن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب على المنابر، ويأمر ولاته بذلك في سائر الأمصار والبلدان. الحكم في هذا لكل صاحب عقل وفهم؟؟

وأما ما استدل به هؤلاء الطاعنون على تلك الفرية بما عزوه إلى صحيح مسلم فليس فيه ما يدل على زعمهم، وهم بهذا إنما يشيرون إلى حديث عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: {أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم..}(٣) الحديث.

قال النووي ﷺ: (قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب. كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً، أو خوفاً، أو غير ذلك، فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعد قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم، وعجز عن

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٤).

الإنكار، أو أنكر عليهم، فسأله هذا السؤال. قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده، وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا، وأنه أخطأ)[١].

وقال القرطبي ﷺ معلقاً على وصف ضرار الصُّدَائي لعلي ﷺ وثنائه عليه بحضور معاوية، وبكاء معاوية من ذلك، وتصديقه لضرار فيما قال[٢]: (وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل علي ﷺ ومنزلته، وعظيم حقه، ومكانته، وعند ذلك يبعد على معاوية أن يصرح بلعنه وسبّه، لما كان معاوية موصوفاً به من العقل والدين، والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح، وأصح ما فيها قوله لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية سكت وأذعن، وعرف الحق لمستحقه)[٣].

والذي يظهر لي في هذا والله أعلم: أن معاوية إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل علي ﷺ فإن معاوية ﷺ كان رجلاً فطناً ذكياً، يحب مطارحة الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد في علي ﷺ فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المثير.

وهذا مثل قوله ﷺ لابن عباس: «أنت على ملة علي؟ فقال له ابن عباس ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ» [٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٧٥).

(٢) تقدم تخريج هذا الخبر ونقل طرف منه.

(٣) المفهم للقرطبي (٦/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٥٥)، والصغرى (ص:١٤٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٤).

فظاهر أن قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادعاه الطاعنون من الأمر بالسب فحاشا معاوية رضي الله عنه أن يصدر منه مثل ذلك والمانع من هذا عدة أمور:

الأول: أن معاوية نفسه ما كان يسب علياً رضي الله عنه كما تقدم حتى يأمر غيره بسبه، بل كان معظماً له، معترفاً له بالفضل والسبق إلى الإسلام، كما دلت على ذلك أقواله الثابتة عنه.

قال ابن كثير رحمه الله: (وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني..)[1]. الخبر.

ونقل ابن كثير أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: (لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم)[2].

فهل يسوغ في عقل ودين أن يسب معاوية علياً بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا!!.

الثاني: أنه لا يعرف بنقل صحيح أن معاوية رضي الله عنه تعرض لعلي رضي الله عنه بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته، فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

الثالث: أن معاوية رضي الله عنه كان رجلاً ذكياً، مشهوراً بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي -حاشاه ذلك- أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٢).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ١٣٣).

وهو من هو في الفضل والورع، مع عدم دخوله في الفتنة أصلاً!! فهذا لا يفعله أقل الناس عقلاً وتدبيراً، فكيف بمعاوية.

الرابع: أن معاوية رضي الله عنه انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له واجتمعت عليه الكلمة والقلوب ودانت له الأمصار بالملك، فأي نفع له في سب علي؟ بل الحكمة وحسن السياسه تقتضي عدم ذلك، لما فيه من تهدئه النفوس، وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية رضي الله عنه الذي شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

الخامس: أنه كان بين معاوية رضي الله عنه بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي من الأُلفة والتقارب، ما هو مشهور في كتب السير والتاريخ. ومن ذلك أن الحسن والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمائتي ألف، وقال لهما: (ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال له الحسين: ولم تعط أحداً أفضل منا)[1].

ودخل مرة الحسن على معاوية فقال له: (مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر له بثلاثمائة ألف)[2].

وهذا مما يقطع بكذب ما ادعاه هؤلاء الطاعنون في حق معاوية، من حمله الناس على سب علي، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة، والاحتفاء والتكريم.

وبهذا يظهر الحق في هذه المسألة، وتتجلى الحقيقة.

فلله الحمد على نعمه وتوفيقه[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٩).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ١٤٠).

(٣) الدولة الأموية، للدكتور علي محمد الصلابي.

شبهة أن الصحابة غيروا في الصلاة:

ومن الشبهات قولهم بأن الصحابة غيروا في الصلاة يقول أحدهم: (قال أنس بن مالك: ما عرفت شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ قبل الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها.

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت. وحتى لا يتوهم أحد أن التابعين هم الذين غيروا ما غيروا بعد تلك الفتن والحروب).

وزعم الطاعن قائلاً: (أود ان أذكر بأن أول من غير سنة الرسول في الصلاة هو خليفة المسلمين عثمان بن عفان وكذلك أم المؤمنين عائشة، فقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما: {أن رسول الله ﷺ صلى بمنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته ثم أن عثمان صلى بعد أربعاً}. كما أخرج مسلم في صحيحه قال الزهري: قلت لعروة: {ما بال عائشة تتم الصلاة في السفر؟ قال أنها تأولت كما تأول عثمان}).

فالرد أن هذا الطاعن خلط بين حديثين وجعلهما حديثاً واحداً، فالحديث الأول رواه مهدي عن غيلان عن أنس قال: {ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ قيل: الصلاة، قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها}(١).

والحديث الثاني عن عثمان بن أبي روّاد أخي عبد العزيز قال: سمعت الزهري يقول: {دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت}(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٢٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٣٠).

أما بالنسبة لحديث أنس بن مالك الأول فإنه قصد من قوله: (أليس صنعتم ما صنعتم فيها) أنهم يؤخرونها حتى يخرج وقتها، وقد كان هذا في زمن الحجاج وليس زمن الصحابة كما زعم الطاعن، والذي خاطب أنس في هذا الحديث يقال له: أبو رافع، ذكره أحمد بن حنبل في روايته لهذا الحديث عن عثمان بن سعد عن أنس فذكر نحوه فقال أبو رافع: {يا أبا حمزة ولا الصلاة؟ فقال له أنس: قد علمتم ما صنع الحجاج في الصلاة}[1].

وروى ابن سعد في الطبقات سبب قول أنس هذا القول، فأخرج في ترجمة أنس من طريق عبد الرحمن بن العريان الحارثي سمعت ثابتاً البناني قال: (كنا مع أنس بن مالك فأخّر الحجاج الصلاة، فقام أنس يريد أن يكلمه فنهاه إخوانه شفقةً عليه منه، فخرج فركب دابته فقال في مسيره ذلك: والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله. فقال رجل: فالصلاة يا أبا حمزة؟ فقال: قد جعلتم الظهر عند المغرب، أفتلك كانت صلاة النبي ﷺ؟ وأخرجه ابن أبي عمر في مسنده من طريق حماد بن ثابت مختصراً).

أما حديث أنس الآخر الذي رواه الزهري فكان في إمارة الحجاج على العراق أيضاً، وقد قدم أنس دمشق لكي يشكوا الحجاج للخليفة وهو إذ ذاك الوليد بن عبد الملك، أما المراد بقول أنس: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت» أي بتأخيرها عن وقتها، فقد صح أن الحجاج وأميره الوليد وغيرهما كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها لما رواه عبد الرزاق عن أبي جريج عن عطاء قال: «أخَّر الوليد الجمعة حتى أمسى، فجئت وصليت الظهر قبل أن أجلس ثم صليت العصر وأنا جالس إيماء وهو يخطب».

---

(١) مسند أحمد برقم (١٣١٩١).

وما رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة من طريق أبي بكر بن عتبة قال: «صليت إلى جنب أبي جحيفة فمسّى الحجاج بالصلاة فقام أبو جحيفة فصلى، ومن طريق ابن عمر أنه كان يصلي مع الحجاج فلما أخّر الصلاة ترك أن يشهدها معه».

وأما إطلاق أنس فلا يفهم منه أن هذا موجوداً في جميع بلاد الإسلام بل هو محمول على ما شاهده من أمراء الشام والبصرة خاصة، وإلا فإنه قدم المدينة فقال: «ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف»(١)، والسبب فيه أنه قدم المدينة وعمر بن عبد العزيز أميرها حينئذ.

أما قوله عن عثمان وعائشة في أنهما غيّرا في الصلاة فأقول: الصلاة المقصودة هنا هي في باب السفر هل تقصر أم تتم، وهذا الأمر فيه خلاف بين أهل العلم لمن له أدنى إلمام بالفقه، وقد روي الخلاف بين الصحابة أيضاً في ذلك، فروي عن عثمان وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم الإتمام في السفر، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين بل قد روي عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يتم في السفر ويقصر، وسأل ابن عباس رجلٌ فقال: {كنت أتم الصلاة في السفر فلم يأمره بالإعادة} وقد جاءت السنة الدالة على أن القصر رخصة في السفر وليس عزيمة لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ﴾ [النساء:١٠١]، فقد أخرج مسلمٌ في صحيحه عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: {ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك. فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته}(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٢٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٦٨٦).

واحتج الشافعي على عدم الوجوب بأن المسافر إذا دخل في صلاة المقيم صلّى أربعاً بالاتفاق، ولو كان فرضه القصر لم يأتم مسافر بمقيم، وأما إذا احتج هذا الطاعن بقول ابن مسعود بالحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن زيد قال: {صلّى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنىً أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاسترجع ثم قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبّلتان}[1].

فأما قول ابن مسعود: «فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبِّلتان»(من) هنا للبدلية مثل قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ [التوبة:٣٨] وهذا يدل على أنه كان يرى الإتمام جائزاً وإلا لما كان له حظ من الأربع ولا من غيرها فإنها تكون فاسدة كلها، وإنما استرجع ابن مسعود لما وقع عنده من مخالفة الأولى ويؤيده ما روى أبو داود: {أن ابن مسعود صلى أربعاً فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً. فقال: الخلاف شر}[2] وفي رواية البيهقي: {إني لأكره الخلاف}[3] ولأحمد من حديث أبي ذر مثل الأول.

وهذا يدل على أنه لم يكن يعتقد أن القصر واجب كما قال الحنفية ووافقهم القاضي إسماعيل من المالكية وهي رواية عن مالك وعن أحمد.

قال ابن قدامة: (المشهور عن أحمد أنه على الاختيار والقصر عنده أفضل وهو قول جمهور الأصحاب والتابعين).

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٠٨٤)، صحيح مسلم برقم (٦٩٥).

(٢) سنن أبي داود (١٩٦٠).

(٣) سنن البيهقي الكبرى برقم (٥٢٢٠).

وأما إذا استدل أيضاً بحديث عائشة رضي الله عنها حينما قالت: {الصلاة أول ما فرضت ركعتين...}[1] الحديث، وقول عائشة: (فرضت) أي قدرت وأدل دليل على تعيين تأويل حديث عائشة هذا كونها كانت تتم في السفر.

ومن هنا نعلم أن القصر في السفر هو رخصة من الله، والإنسان مخير بين الأخذ به أو تركه كسائر الرخص، ونعلم أيضاً ضحالة تفكير هذا الطاعن الذي زعم أن الصحابة غيّروا في الصلاة، فليت شعري كأن الصحابة غيروا صلاة الصبح فصلّوها أربعاً! أو قصروا صلاة المغرب فجعلوها ركعة!!؟

ونأتي الآن إلى تأويل عثمان وعائشة رضي الله عنهما فقد ذكر بعض أهل العلم (أنهما كانا يريان أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قصر لأنه أخذ بالأيسر على ذلك لأمته فأخذا على أنفسهما بالشدة).

وعن الزهري قال: «أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى من أجل الأعراب، لأنهم كثروا عامئذٍ فصلى بالناس أربعاً ليعلمهم أن الصلاة أربع»[2].

وقال ابن حجر رحمه الله في الفتح: (أن سبب إتمام عثمان أنه كان يرى القصر مختصاً بمن كان شاخصاً سائراً، وأما من أقام في مكان في أثناء سفره فله حكم المقيم فيتم) ثم قال ابن حجر: (ولا مانع أن يكون هذا أصل سبب الإتمام، وليس بمعارض للوجه الذي اخترته بل يقويه من حيث أن حالة الإقامة في أثناء السفر أقرب إلى قياس الإقامة المطلقة عليها بخلاف السائر، وهذا ما أدى إليه اجتهاد عثمان)[3].

وأما عائشة رضي الله عنها فقد جاء عنها سبب الإتمام صريحاً، وهو فيما أخرجه البيهقي

---

(١) رواه البخاري برقم (١٠٩٠)، ومسلم برقم (٦٨٥).

(٢) رواه أبو داود (١٩٦٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٥٧١).

من طريق هشام بن عروة عن أبيه: «أنها كانت تصلي في السفر أربعاً فقيل لها: لو صليت ركعتين. فقالت: يا ابن أختي إنه لا يشق عليّ»[١] إسناده صحيح، وهو دالٌ على أنها تأولت أن القصر رخصة، وأن الإتمام لمن لا يشق عليه أفضل.

شبهة أن الصحابة يشهدون على أنفسهم بعدم امتثال أمر النبي ﷺ:

ومن الشبهات قولهم أن الصحابة يشهدون على أنفسهم.

يقول أحدهم: (روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: {إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض. قال أنس: فلم نصبر}. وعن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: {طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده}[٢]. وإذا كان هذا الصحابي من السابقين الأولين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، ورضي عنهم وعلم ما في قلوبهم فأثابهم فتحاً قريباً، يشهد على نفسه وعلى أصحابه بأنهم أحدثوا بعد النبي، وهذه الشهادة هي مصداق ما أخبر به ﷺ وتنبأ به من أنّ أصحابه سيحدثون بعده ويرتدون على أدبارهم فهل يمكن لعاقل بعد هذا أن يصدق بعدالة الصحابة كلهم أجمعين «أكتعين أبصعين» على ما يقول به أهل السنة والجماعة، والذي يقول هذا القول فإنه يخالف العقل والنقل «!!!» ولا يبقي للباحث أي مقاييس فكرية يعتمدها للوصول إلى الحقيقة).

فالرد على هذا أولاً لم نجد هذه الرواية التي ذكرها بهذا السياق بل وجدنا الرواية هذه، عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك أن {أناساً من الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ، حين أفاء الله على رسوله ﷺ من أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالاً من

---

(١) سنن البيهقي الكبرى برقم (٥٢١٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٤١٧٠).

قريش المائَةَ من الإِبلِ، فقالوا: يغفرُ الله لرسولِ الله ﷺ، يعطي قريشاً ويدعنا، وسيوفنا تقطرُ من دمائهم. قال أنس: فحُدِّثَ رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأَرسلَ إلى الأنصار فجمعهم في قُبَّة من أدم، ولم يدع معهم أحداً غيرهم، فلمَّا اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: ما كان حديث بلغني عنكم. قال لهم فُقهاؤُهم: أمَّا ذَوُو آرائِنَا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأمَّا أُناسٌ مِنَّا حديثةٌ أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشاً، ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دماءهم. فقال رسول الله ﷺ: إني أعطي رجالاً حديثٌ عهدهم بكُفرٍ، أما تَرْضَوْنَ أنْ يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ﷺ، فوالله ما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون بهِ. قالوا: بلى يا رسول الله قدْ رضينا، فقال لهمْ: إنكم ستَرَوْن بعدى أثرةً شديدةً فاصبروا حتى تلْقَوا الله تعالى ورسوله على الحوض. قال أنس: فلم نصبر}(١).

ثانياً: هذا الحديث كما هو ظاهر من فضائل الأنصار ويظهر حب رسول الله ﷺ للأنصار وكيف لا وهو قائل: {الأنصار لا يُحِبُّهم إلا مُؤْمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله}(٢).

ويقول: {آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار}(٣).

وفي هذا الحديث يقول: {أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ﷺ} فهل يقول ذلك إلا لخير الناس.

وقول أنس: (فلم نصبر) لا يعدو أن يكون رأيه هو فلا يقبل أن يجعل حجة على جميع الصحابة ولعله أخطأ في قوله، لذلك لم يلتفت لهذه الزيادة أيٌّ من شراح الحديث.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣١٤٧).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٨٣)، ومسلم برقم (٧٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧٨٤)، ومسلم برقم (٧٤).

لا يجوز شرعاً وعقلاً أن يحمل قول واحد من الصحابة لا يفهم منه القدح أصلاً لترد به آيات محكمة وكثيرة في مدح الصحابة عموماً ومدح الأنصار خاصة.

وقول الرسول ﷺ في الحديث: {... فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض} فلا يفهم منه أنهم إن لم يصبروا فلن يلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض؟! و(حتى) بمنزلة (إلى) في انتهاء الغاية مكانية كانت أو زمانية ولم يستخدم أداة الشرط فيقول: (إن) صبرتم ستلقوني على الحوض حتى يجعل هذا الطاعن قول أنس دليلاً على إحداثهم وانقلابهم على فرض التسليم بصحة وجهة نظر أنس، هذا إذا ما أضفنا إلى أن الحديث في الأصل مدح للأنصار، وقول النبي ﷺ هو الحجة وليس قول أنس.

ولعل أنس ذكر ذلك بسبب موقف قومه من الخلافة ومحاولة منازعتهم للمهاجرين في بداية الأمر، ولعل الذي يؤكد ذلك ما رواه أنس عن أسيد بن حضير أن رجلاً من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: {ألا تستعملني كما استعملت فلاناً؟ فقال: إنكم ستلقون بعدي أثرة. فاصبروا حتى تلقوني على الحوض}(١) خصوصاً إذا عرفنا أن (الأثرة) هي: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا.

وأما بالنسبة لقول الصحابي البراء بن عازب: «إنك لا تدري ما أحدثنا بعده» فهو يشير إلى ما وقع لهم من الحروب وغيرها، فخاف غائلة ذلك، وذلك من كمال فضله.

ومن المعلوم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أحد المشاركين في هذه الحروب، فلا بد أن يشمله الخطاب على حد فهم هذا الطاعن، فيكون ممن أحدث بعد النبي ﷺ، ولكن الحق الذي يجب أن يقال: إن هذين الحديثين لا يمكن أن يردّا مجموع الأدلة

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٩٢)، ومسلم برقم (١٨٤٥).

القرآنية والحديثية في مدح الصحابة والرضا عنهم من الله سبحانه ورسوله ﷺ، ووقوعهم في الأخطاء لا ينفي فضلهم وطهارتهم الظاهرة والباطنة، فالاحتجاج بمثل هذه الأقوال على الطعن في عموم الصحابة مثله كمثل من يصد صاروخاً بترس؟!

شبهة أن اختلاف الصحابة هو الذي حرم الأمة العصمة وأدى إلى تفرقها وتمزقها:

ومن هذه الشبهات قولهم أن اختلاف الصحابة هو الذي حرم الأمة العصمة وأدى إلى تفرقها وتمزقها حيث قالوا: (والمشكل الأساسي في كل ذلك هو الصحابة، فهم الذين اختلفوا في أن يكتب لهم رسول الله ﷺ ذلك الكتاب، الذي يعصمهم من الضلالة إلى قيام الساعة، واختلافهم هذا هو الذي حرم الأمة الإسلامية من هذه الفضيلة، ورماها في الضلالة، حتى انقسمت وتفرقت وتنازعت وفشلت وذهبت ريحها، وهم الذين اختلفوا في الخلافة، فتوزعوا بين حزب حاكم، وحزب معارض، وسبب ذلك تخلف الأمة، وانقسامها إلى: شيعة علي، وشيعة معاوية، وهم الذين اختلفوا في تفسير كتاب الله، وأحاديث رسوله ﷺ فكانت المذاهب والفرق والملل والنحل، ونشأت من ذلك المدارس الكلامية والفكرية المختلفة، وبرزت فلسفات متنوعة أملتها دوافع سياسية محضة، تتصل بطموحات الهيمنة على السلطة والحكم. فالمسلمون لم ينقسموا ولم يختلفوا في شيء لولا الصحابة، وكل خلاف نشأ وينشأ إنما يعود إلى اختلافهم في الصحابة).

قلنا: قوله: فهم الذين اختلفوا في أن يكتب لهم رسول الله ﷺ ذلك الكتاب، الذي يعصمهم من الضلالة إلى قيام الساعة، وأن هذا الاختلاف هو الذي حرم الأمة من هذه الفضيلة، يشير بذلك إلى ما رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: {لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال

عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا، وكثر اللغط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع}(١).

وقد ذكرنا الرد على هذه الشبهة في هذا الكتاب.

أما الزعم أن اختلافهم هذا هو الذي حرم الأمة الإسلامية من العصمة ورماها في الضلالة والتفرق إلى قيام الساعة، فالجواب على هذا أن يقال: إن هذا القول باطل، وهو يعني أن الرسول ﷺ قد ترك تبليغ أمته ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف لأمر ربه في قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة:٦٧].

وإذا كان الرسول ﷺ مبرأً من ذلك ومنزهاً بتزكية ربه له في قوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨] فوصفه بالحرص على أمته، أي: على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي لهم، ذكره ابن كثير في تفسيره(٢).

وإذا كان هذا الأمر معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لايشك فيه من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، أن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أُمر به، وكان أحرص ما يكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحيته، وأخباره الدالة على ذلك، علمنا علماً يقينياً لا يشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر هذا الطاعن من الوصف لهذا الكتاب من أن به عصمة الأمة من الضلال في دينها، ورفع

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٤)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠٤).

الفرقة والاختلاف فيها بينها، إلى أن تقوم الساعة، لما ساغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله ﷺ كتابته إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه عنده(١).

وقد ثبت من سيرته أنه لربما راجعوه أحياناً في بعض المسائل مجتهدين، فما كان يترك أمر ربه لقولهم، كمراجعة بعضهم له في فسخ الحج إلى عمرة في حق من لم يسق الهدي، وذلك في حجة الوداع، وكذلك مراجعة بعضهم له يوم الحديبية، وفي تأمير أسامة(٢) رضي الله عنه، فهل يتصور بعد هذا أن يترك أمر ربه فيما هو أعظم من هذا لخلافهم، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت لتنازعهم عنده لمصلحة رآها فما الذي يمنعه من أنه يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام فقد كانت وفاته -عليه الصلاة والسلام- يوم الإثنين على ما جاء مصرحاً به في رواية أنس في الصحيحين(٣) وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق.

فإن أبى الطاعن إلا جدالاً، وقال: خشي أن لا يقبلوه منه، ويعارضوه فيه، كما تنازعوا عنده أول مرة، قلنا: لا يضره ذلك وإنما عليه البلاغ كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء:٨٠].

فإذا ثبت هذا باتفاق المسلمين، أن رسول الله ﷺ لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه، ولا على ما يصفه هذا الطاعن من المبالغة لاستحالة ذلك على الرسول ﷺ.

---

(١) ذكر هذا الوجه من الردّ الدهلوي. انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية (ص:٢٥١).

(٢) انظر: الأحاديث في ذلك من صحيح البخاري برقم (١٧٨٥)، (٤٨٤٤)، (٤٤٦٨، ٤٤٦٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري برقم (٤٤٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٤١٩).

ولِمَا دل عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك في حجة الوداع: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

وكما أخبر الرسول ﷺ بذلك في قوله: {إني تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك}(١).

فإذا تقرر بطلان ما يدعي هذا الطاعن من أن الأمة وقعت في الضلالة، وحرمت العصمة بسبب عدم كتابة الرسول ﷺ لهم ذلك الكتاب لاختلاف الصحابة عنده: فليعلم بعد هذا أن الذي أراده الرسول ﷺ من كتابة ذلك الكتاب هو أن يكتب لهم كتاباً يبين فيه فيمن تكون الخلافة من بعده كما ذكر ذلك العلماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك ﷺ ما أمره الله به، لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لابد أن يقع).(٢)

وقال في موضع آخر: (وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه، فقد جاء مبيناً كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: {ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}(٣)... [إلى أن قال بعد ذكر

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧١٨٢)، ضمن حديث العرباض بن سارية في موعظة النبي ﷺ، وكذا ابن ماجه في سننه برقم (١٣)، وقد صحح الحديث الألباني بمجموع طرقه في ظلال الجنة. انظر: ظلال الجنة مع كتاب السنة لابن أبي عاصم (ص:٢٦).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٣١٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣٨٧).

روايات الحديث]: والنبي ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: {ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر})(١).

وأما قوله ﷺ في الحديث: (لن تضلوا بعدي) فيقول الدهلوي رحمه الله في توجيهه: (فإن قيل: لو لم يكن ما يكتب أمراً دينياً فلم قال: {لن تضلوا بعدي؟} قلنا: للضلال معان، والمراد به ههنا عدم الخطأ في تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه، وتجهيز جيش أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين)(٢).

وأما قوله: (وهم الذين اختلفوا في الخلافة فتوزعوا بين حزب حاكم وحزب معارض، وسبب ذلك تخلف الأمة وانقسامها إلى شيعة علي وشيعة معاوية..).

فالجواب على هذا: أن الخلاف بين الصحابة - رضي الله عنهم - في عهد علي رضي الله عنه لم يكن في الخلافة، فإن الذين اختلفوا مع علي رضي الله عنه هم: طلحة، والزبير، وعائشة، ومعاوية رضي الله عنهم، ولم يكن هؤلاء ينازعونه في الخلافة بل لم يَدَّعِ أحد لا من هؤلاء ولا من غيرهم، أنه أولى بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه من علي؛ لأنه أفضل من بقي، وقد كانوا يقرون له بالفضل، وإنما أصل الخلاف بين هؤلاء الصحابة المذكورين وعلي هو في المطالبة بدم عثمان وقتل قتلته، فقد كانوا يرون تعجيل ذلك والمبادرة بالاقتصاص منهم، وقد كان علي رضي الله عنه لا ينازعهم في أن عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً، وعلى وجوب الاقتصاص من قتلته، وإنما كان يرى تأجيل ذلك حتى تهدأ الأوضاع ويستتب له الأمر، لأن قتلة عثمان كثير، وقد تفرقوا في الأمصار كما كانت طائفة كبيرة منهم في

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٣، ٢٥).

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية (ص:٢٥١).

المدينة بين الصحابة.

ومع هذا كله فإن اختلافهم رضي الله عنهم لم يصل بهم إلى الطعن في الدين، واتهام بعض لبعض، وإنما كان كل فريق يرى لمخالفه مكانته في الفضل والصحبة ويرى أنه مجتهد في رأيه، وإن كان يخطئه فيه.

فههنا ثلاث مسائل مقررة عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة، يندفع بها ما يثيره هؤلاء المغرضون من شبه، حول الفتنة التي حصلت في زمن الصحابة رضي الله عنهم في خلافة علي وهي:

المسألة الأولى: أن الخلاف الذي حصل بينهم لم يكن حول الخلافة، ولم ينازع علياً رضي الله عنه أحد من مخالفيه فيها، ولم يَدَّعِ أحد منهم على الإطلاق أنه أولى بالخلافة من علي.

المسألة الثانية: أن الخلاف بينهم إنما هو في تعجيل قتل قتلة عثمان أو تأخيره، مع اتفاقهم على وجوب تنفيذ ذلك.

المسألة الثالثة: أنهم مع اختلافهم لم يتهم بعضهم بعضاً في الدين، وإنما يرى كل فريق منهم أن مخالفه مجتهد متأول، يعترف له بالفضل في الإسلام، والصحبة لرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه مسائل عظيمة دلت عليها الأخبار الصحيحة، وفيها توضيح لحقيقة الخلاف بين الصحابة وتبرئة لساحتهم من كل ما يرميهم به الطاعنون والزنادقة، وهي أصل كبير في الرد على هؤلاء ينبغي لطالب العلم أن يتعلمها بأدلتها، وإليك أيها القارئ بسط الأدلة على تقريرها:

المسألة الأولى: أن الخلاف الذي حصل بينهم لم يكن في الخلافة، ولم ينازع علياً أحد من مخالفيه فيها، ولم يدع أحد منهم أنه أولى بها من علي رضي الله عنه.

ومن أقوى الأدلة، وأكبر الشواهد على هذا: اجتماع الصحابة رضي الله عنهم على مبايعته بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بما فيهم طلحة والزبير رضي الله عنهما، وقد دلت على ذلك الروايات الصحيحة المنقولة عنهم في ذلك.

منها ما رواه الطبري في تاريخه بسنده إلى محمد بن الحنفية، قال: (كنت مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً، خيرٌ من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خَفِيّاً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين. قال سالم بن الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يُشْغَب عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس)[1].

وعن أبي بشير العابدي قال: (كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً، فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك...)[2] إلى آخر الرواية، وفيها تمام البيعة لعلي رضي الله عنه.

والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه[3] وهي دالة على مبايعة الصحابة رضي الله عنهم لعلي رضي الله عنه واتفاقهم على بيعته بما فيهم طلحة والزبير، كما جاء

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٧).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٧- ٤٢٨).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٧- ٤٢٩)، وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أمحزون في كتابه القيم: (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢٠/ ٥٩- ٧٥).

مصرحاً به في الرواية السابقة.

وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه.

فقد روى الطبري عن عوف بن أبي جميلة قال: (أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط علي يده فبايعه)[١].

وعن عبد خير الخَيْوانيّ أنه قام إلى أبي موسى فقال: (يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان -يعني طلحة والزبير- ممن بايع علياً قال: نعم.)[٢].

كما نص على بطلان ما يُدَّعَى من أنهما بايعا مكرهين، الإمام المحقق ابن العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي، قال ﷺ: (فإن قيل: بايعا مكرهين - أي طلحة والزبير - قلنا: حاشا لله أن يكرها لهما ولمن بايعهما، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحداً أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعاً، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام.

وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم[٣]، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ولم يكن كذلك.

فإن قيل: فقد قال طلحة: (بايعت واللُّجّ علي قَفَيّ) قلنا: اخترع هذا الحديث من

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٤).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٨٦).

(٣) إشارة إلى ما جاء في بعض الروايات: أن أول من بايع علياً طلحة - رضي الله عنه - وكان بيده اليمنى شلل، لما وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال رجل في القوم: أول يد بايعت أمير المؤمنين شلاء لا يتم هذا الأمر. انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٧).

أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفى)، كما يجعل في (الهوى) (هوي)، وتلك لغة هذيل لا قريش[1]، فكانت كذبة لم تدبر.

وأما قولهم: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يداً شُلّت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه)[2].

وكذلك معاوية رضي الله عنه فقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع علي رضي الله عنه كان في قتل قتلة عثمان رضي الله عنه ولم ينازعه في الخلافة بل كان يقر له بذلك.

فعن أبي مسلم الخولاني أنه جاء وأناس معه إلى معاوية وقالوا: (أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن عمه والطالب بدمه فأتوه، فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه)[3][4].

ويروي ابن كثير من طرق ابن ديزيل بسنده إلى أبي الدرداء وأبي أمامة رضي الله عنهما (أنهما دخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ، وأحق بهذا الأمر منك، فقال:

---

(١) قيل هي: لغة طيّ. ذكره ابن الأثير في النهاية (٤/ ٩٤) وكذلك: اللُّجّ ليس من لغة قريش بل من لغة طيّ، قال ابن الأثير: (هو بالضّم: السيف بلغة طيّ) النهاية (٤/ ٢٣٤)، وقيل: هو السيف أيضاً بلغة هذيل وطوائف من اليمن. انظر لسان العرب (٢/ ٣٥٤).

(٢) العواصم من القواصم (ص:١٤٨- ١٤٩).

(٣) سبب ذلك أن علياً - رضي الله عنه - طلب من معاوية أن يدخل في البيعة ويحاكمهم إليه فأبى معاوية - رضي الله عنهما - جميعاً. انظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥)، وتحقيق مواقف الصحابة في الفتنة لمحمد أمحزون (٢/ ١٤٧).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١٦/ ٣٥٦)، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠)، وقال محققو الكتاب: رجاله ثقات.

أقاتله على دم عثمان، وإنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام)[١].

والروايات في هذا كثيرة مشهورة بين العلماء[٢] وهي دالة على عدم منازعة معاوية لعلي رضي الله عنهما في الخلافة، ولهذا نص المحققون من أهل العلم على هذه المسألة وقرروها.

يقول إمام الحرمين الجويني: (إن معاوية وإن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أنه مصيب وكان مخطئاً)[٣].

ويقول ابن حجر الهيتمي: (ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم، لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي)[٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومعاوية لم يدَّعِ الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل علياً، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه... وكل فرقة من المتشيعين[٥] مقرة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفأ لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه فإن فضل علي وسابقيته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٦٨- ٢٧٠)، وقد جمع هذه الروايات الدكتور محمد أمحزون في كتابه: (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة) (٢/ ١٤٦- ١٥٠).

(٣) لمعة الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة (ص:١١٥).

(٤) الصواعق المحرقة (ص:٢١٦).

(٥) أي من المتشيعين لعثمان أو علي رضي الله عنهما، وقد كان المطالبون بدم عثمان رضي الله عنه قد انضموا إلى معاوية ومع هذا ما كانوا يفضلونه على علي رضي الله عنهم.

عندهم ظاهرة معروفة)[١].

فثبت بهذا أنه لم ينازع علياً رضي الله عنه أحدٌ في الخلافة لا من الذين خالفوه ولا من غيرهم، وبهذا يبطل ما ادعى هذا الطاعن من أن الصحابة تنازعوا في الخلافة، وترتب على ذلك تفرق الأمة وانقسامها.

المسألة الثانية: أن الخلاف بين علي ومخالفيه رضي الله عنهم إنما هو في تقديم الاقتصاص من قتلة عثمان أو تأخيره مع اتفاقهم على وجوب تنفيذه.

وهذه المسألة مقررة أيضاً عند أهل العلم من أهل السنة بما ثبت في ذلك من الأخبار، والآثار الدالة على أن علياً رضي الله عنه لا ينازع مخالفيه في وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان يرى تأجيل ذلك حتى يستتب له الأمر. وذلك أن قتلة عثمان رضي الله عنه كانوا قد تمكنوا من المدينة، ثم قام في أمرهم من الأعراب وبعض أصحاب الأغراض الخبيثة ما أصبح به قتلهم في أول عهد علي رضي الله عنه متعذراً.

يشهد لهذا ما ذكره الطبري حيث يقول: (واجتمع إلى علي بعدما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة، فقالوا: يا علي! إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم، فقال لهم: يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم! هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله).[٢]

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢- ٧٣).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٧).

ويقول ابن كثير رحمه الله: (ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم وطلبوا منه إقامة الحدود، والأخذ بدم عثمان، فاعتذر إليهم: بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا)(١).

فكان هذا هو عذر علي رضي الله عنه في بداية الأمر، أما بعد ذلك فإن الأمور أصبحت أكثر تعقيداً، وأشدّ اشتباهاً، خصوصاً بعدما اقتتل الصحابة رضي الله عنهم في معركة الجمل بغير اختيار منهم، وإنما بسبب المكيدة التي دبرها قتلة عثمان للوقيعة بينهم، كما تقدم بيان ذلك، فلم يكن أمر الاقتصاص مقدوراً عليه بعد هذه الأحداث لا لعلي، ولا لغيره من مخالفيه، وذلك لتفرق الأمة وانشغالها بما هو أولى منه من تسكين الفتنة ورأب الصدع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لم يكن علي مع تفرق الناس عليه متمكناً من قتل قتلة عثمان، إلا بفتنة تزيد الأمر شرّاً وبلاءً. ودفع أفسد الفاسدين بالتزام أدناهما أولى من العكس، لأنهم كانوا عسكراً، وكان لهم قبائل تغضب لهم، والمباشر منهم للقتل -وإن كان قليلاً- فكان ردؤهم أهل الشوكة، ولولا ذلك لم يتمكنوا، ولما سار طلحة والزبير إلى البصرة ليقتلوا قتلة عثمان، قام بسبب ذلك حرب قتل فيها خلق.

ومما يبين ذلك أن معاوية قد أجمع الناس عليه بعد موت علي، وصار أميراً على جميع المسلمين، ومع هذا فلم يقتل قتلة عثمان الذين كانوا قد بقوا)(٢).

وعلى كل حال فأياً كان عذر علي رضي الله عنه فالمقصود هنا أنه لا يخالف بقية الصحابة المطالبين بدم عثمان رضي الله عنه في وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه على ما تقدم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٩).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٠٧- ٤٠٨).

تصريحه بذلك في إجابته لطلحة والزبير لما طالباه بقتل قتلة عثمان حيث قال: «يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم»، ثم أقسم بعد ذلك وهو الصادق البار: أنه لا يرى إلا ما يرون في هذا الأمر، وهذا مما يدل على إجماع الصحابة رضي الله عنهم على هذه المسألة، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: أن الصحابة رضي الله عنهم الذين اختلفوا في الفتنة لم يتهم بعضهم بعضاً في الدين، وإنما كان يرى كل فريق منهم أن مخالفه وإن كان مخطئاً، فهو مجتهد متأول، يعترف له بالفضل في الإسلام وحسن الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه مسألة مقررة عند أهل العلم أيضاً بما ثبت من ثناء الصحابة بعضهم على بعض رضي الله عنهم أجمعين، فمن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه بعد معركة الجمل أنه كان يتفقد القتلى فرأى طلحة بن عبيد الله مقتولاً فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: (رحمة الله عليك أبا محمد يعزّ عليّ أن أراك مجدولاً[1] تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري[2][3].

ولما جاءه (ابن جرموز) قاتل الزبير ومعه سيفه لعله يجد عنده حظوة فاستأذن عليه فقال علي رضي الله عنه: «لا تأذنوا له وبشروه بالنار»، وفي رواية أن علياً قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {بشر قاتل ابن صفية بالنار}[4].

وقال لما رأى سيف الزبير: «طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم»[5].

---

(١) أي: مرمياً ملقيً على الأرض قتيلاً: النهاية لابن الاثير (١/ ٢٤٨).

(٢) أي: همومي وأحزاني، النهاية لابن الأثير (٣/ ١٨٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٥٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ذكر هذه الروايات ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠).

وبعد انتهاء معركة الجمل ذهب علي إلى عائشة رضي الله عنها فقال: (كيف أنت يا أُمّه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لكِ، قالت: ولك)(١).

وذكر الطبري أن علياً رضي الله عنه بلغه أن رجلين شتما عائشة رضي الله عنها فبعث القعقاع بن عمرو فأتى بهما، فقال: اضرب أعناقهما، ثم قال: لأنهكنهما عقوبة، فضربهما مائة مائة وأخرجهما من ثيابهما(٢).

وروى الطبري من طريق محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم في تجهيز علي لعائشة رضي الله عنها لما أرادت أن ترتحل من البصرة قالا: (جهز على عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب، أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد فبلِّغها. فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها، وقالت: يا بَنيّ تعتب بعضنا على بعض استبطاءً واستزادة فلا يعتدّن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة)(٣).

ومما ثبت من ذلك عن عمار رضي الله عنه وكان في جيش علي يوم الجمل ما رواه الطبري من رواية مالك بن دينار قال:(حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه(٤) بالرمح

---

(١) أورده الطبري في تاريخه (٣/ ٥٥).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٥٨).

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٦١).

(٤) الحيز والحوز هو السوق اللين، ومنه حاز الأبل يحوزها سارها في رفق. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٤٣).

فقال: أتريد أن تقتلني؟ قال: لا انصرف)[(١)].

وروى الطبري أيضاً عن عامر بن حفص قال: (أقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح فقال: أتقتلني يا أبا اليقظان! قال: لا يا أبا عبد الله)[(٢)].

وهذا كله فيما دار بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في معركة الجمل، أما في موقعة صفين التي دارت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

فقد ثبت عن علي رضي الله عنه على ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن إسحاق بن راهويه بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال: (سمع علي يوم الجمل أو يوم صفين رجلاً يغلو في القول فقال: لا تقولوا إلا خيراً، إنما هم قوم زعموا إنا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم).[(٣)]

وعن محمد بن نصر بسنده عن مكحول: (أن أصحاب علي سألوه عمن قُتِل من أصحاب معاوية ماهم؟ قال: هم مؤمنون)[(٤)].

وعن عبد الواحد بن أبي عون قال: (مر علي - وهو متوكئ على الأشتر - على قتلى صفين، فإذا حابس اليماني مقتول: فقال الأشتر: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا حابس اليماني معهم يا أمير المؤمنين عليه علامة معاوية، أما والله لقد عهدته مؤمناً، قال علي: والآن هو مؤمن)[(٥)].

وأما معاوية رضي الله عنه فقد تقدم ثناؤه على علي رضي الله عنه واعترافه بفضله كما جاء في

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥١٢).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥١٢).

(٣) منهاج السنة (٥/ ٢٤٤- ٢٤٥).

(٤) منهاج السنة (٥/ ٢٤٥).

(٥) المصدر نفسه (٥/ ٢٤٥).

حواره مع أبي مسلم الخولاني لما قال له: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: (لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني..)[1] إلخ كلامه.

وقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء أن ضرارة بن ضمرة الصُّدَائي دخل على معاوية فقال له: صف لي علياً، فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين، قال: لا أعفيك، قال: (أما إذ لابد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فضلاً، ويحكم عدلاً..)، وذكر كلاماً طويلاً في وصف علمه وشجاعته وزهده إلى أن قال: (فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن ﷺ)[2].

فهذه بعض الآثار المنقولة عن الصحابة ﷺ مما وقع بينهم الخلاف، في ثناء بعضهم على بعض وتعظيم بعضهم لبعض وتحابهم في الله، رغم ما حصل بينهم من اختلاف وحروب نشأت عن اجتهاد كل منهم فيما يرى أنه فيه مصلحة الأمة، وإقامة دين الله وشرعه، ومع هذا فقد كان كل منهم ينصف صاحبه، ولا يحمله خلافه له في الاجتهاد على الطعن عليه في الدين، والاعتداء والظلم، بل كان يشهد كل منهم لأخيه بما هو عليه من الفضل والسبق إلى الإسلام. وهذا لعمر الله هو الفضل، فإن الإنصاف عند الخصومة عزيز، وهو في الناس قليل، إلا لمن علت درجاتهم في الإيمان، وزكى الله نفوسهم وطهرها من الشهوات، أمثال أصحاب رسول الله ﷺ الذين اصطفاهم الله بعلمه لصحبة نبيه، فنسأل الله أن يرزقنا محبتهم جميعاً، وحسن الأدب معهم، وأن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) حلية الأولياء (١/ ٨٤- ٨٥).

﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠].

وأما قول الطاعن في حق الصحابة: (وهم الذين اختلفوا في تفسير كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ، فكانت المذاهب والفرق، والملل والنحل، ونشأت من ذلك المدارس الكلامية والفكرية المختلفة وبرزت فلسفات متنوعة....

إلى أن قال: فالمسلمون لم ينقسموا، ولم يختلفوا في شيء لولا الصحابة، وكل خلاف نشأ وينشأ إنما يعود إلى اختلافهم في الصحابة).

فجوابه: أن هذا من أكبر التلبيس والتمويه، والطعن على أصحاب النبي ﷺ بما هم منه برآء، فما ينقل عن الصحابة من اختلاف في التفسير، وفي فهم بعض الأحاديث، لم يترتب عليه ما ذكر من نشأة الفرق والمدارس الكلامية والفلسفات المتنوعة. وذلك أن الاختلاف ينقسم إلى قسمين: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد[1]، وغالب ما ينقل عن الصحابة في تفسير بعض الآيات، من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال: (الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد).[2]

ثم ذكر رحمه الله أن اختلاف التنوع يرجع إلى أمرين:

الأول: أن يعبر كل واحد من السلف بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على المعنى

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص:١٠).

في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى مثال ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم فيقول بعضهم: بأنه هو القرآن أو اتباع القرآن، ويقول آخر: هو الإسلام، أو دين الإسلام، ويقول آخر: هو السنة والجماعة، ويقول آخر: طريق العبودية، أو طريق الخوف والرجاء والحب، أو امتثال المأمور واجتناب المحظور، أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الأسماء والعبارات التي تتفق في المعنى.

الثاني: أن يذكر كل واحد من السلف الاسم العام ببعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى لفظ (الخبز) فأُري رغيفاً وقيل له: هذا فالإشارة إلى نوع هذا، لا إلى هذا الرغيف وحده[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب)[2].

ومن هنا يظهر أن هذا النوع من الاختلاف -وهو الغالب على ما ينقل عن الصحابة من اختلاف في التفسير- لا أثر له في الاختلاف في استنباط الأحكام من الآيات، وتنازع الأمة من بعدهم في ذلك، فضلاً أن يكون سبباً لنشأة الفرق والنحل، والمدارس الفلسفية والكلامية كما يدعي الطاعن.

أما اختلاف الصحابة الراجع إلى القسم الثاني وهو اختلاف التضاد فما يثبت عنهم من ذلك سواء في التفسير، أو في الأحكام، فقليل وهو ليس في الأصول العامة المشهورة في الدين، وإنما في بعض المسائل الدقيقة التي هي محل اجتهاد ونظر.

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص:١٠- ١٢)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨١- ٣٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر أن عامة ما ينقل عن الصحابة والسلف من الخلاف في التفسير من باب اختلاف التنوع: (ومع هذا فلابد من اختلاف مخفف بينهم، كما يوجد مثل ذلك في الأحكام، ونحن نعلم أن عامة ما يضطر إليه عموم الناس من اختلاف، معلوم بل متواتر عند العامة أو الخاصة، كما في عدد الصلوات ومقادير ركوعها ومواقيتها، وفرائض الزكاة ونصبها، وتعيين شهر رمضان، والطواف، والوقوف، ورمي الجمار، والمواقيت وغير ذلك. ثم اختلاف الصحابة في الجد والإخوة، وفي المشركة، ونحو ذلك لا يوجب ريباً في جمهور مسائل الفرائض..)[1].

وهذا النوع من الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم لم يكن سبباً في تفرقة الأمة، ونشأة البدع كما زعم هذا الطاعن، ذلك أنه لم يكن في الأصول العامة لهذا الدين، التي حصل الخلاف فيها بين أهل السنة وأهل البدع، وإنما كان في مسائل جزئية ودقيقة، الاجتهاد فيها سائغ والخطأ فيها مغفور، لأنه ناشئ عن اجتهاد من غير تعمد للمخالفة، وقد ثبت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أن أفراداً منهم أخطئوا في بعض المسائل مجتهدين، كما في قصة عدي بن حاتم رضي الله عنه لما اتخذ عقالين أحدهما أسود، والآخر أبيض، فجعل ينظر إليهما ظناً[2] منه أن هذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧]، واختلف الصحابة إلى فريقين في فهم قصد النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: {لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة}[3]، فصلى فريق منهم في الطريق، وفريق آخر لم يصل إلا في بني قريظة. كما حصل لبعضهم رضي الله عنهم بعض المخالفات

---

(١) مقدمة التفسير (ص:١٧).

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري برقم (١٩١٦)، صحيح مسلم برقم (١٠٩٠).

(٣) سبق تخريجه.

متأولين، كما في قصة حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه [(١)]، وقصة خالد رضي الله عنه مع بني جذيمة[(٢)] في حوادث كثيرة يطول ذكرها، ومع هذا لم يؤثمهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أغير الأمة على دين الله، لأن أخطاءهم نشأت عن اجتهاد أو تأويل، قد رفع الحرج فيه عن الأمة.

ولهذا لم يكن اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في مسائل الاجتهاد سبباً في تفرقهم، وتنازعهم، وتحزبهم.

قال الإمام قوام السنة رحمه الله: (إنا وجدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اختلفوا في أحكام الدين، فلم يفترقوا، ولم يصيروا شيعاً، لأنهم لم يفارقوا الدين، ونظروا فيما أذن لهم)[(٣)].

فإذا كان التنازع منتفياً في حقهم، بل الثابت عنهم هو التآلف والاتفاق، والمحبة والتواد، كما وصفهم ربهم بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

فكيف لهذا الطاعن أن يدعي: أن اختلافهم في الاجتهاد سبب في تنازع الأمة وتفرقها.

بل إن الأمة استفادت بسبب اختلاف الصحابة في الاجتهاد، مع عدم التفرق والتمزق، من الدروس والعبر، ما كان سبباً في اجتماع الأمة لا تفرقها، ووحدتها لا تمزقها، لكن إنما حصل هذا لأهل المتابعة لطريقهم الذين اهتدوا بهديهم، واقتفوا أثرهم في ذلك، فلم يتفرقوا لاختلاف الآراء في الاجتهاد، ألا وهم أهل السنة، الذين

---

(١) انظر: الحديث في هذا في صحيح البخاري برقم (٩٣٩)، صحيح مسلم برقم (٢٤٩٤).

(٢) انظر: الحديث في هذا في صحيح البخاري برقم (٤٣٣٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٧- ٢٢٨).

هم أهل الاجتماع والائتلاف، وفارقهم وخالفهم في هذا سائر أهل البدع، الذين هم أهل التفرق والاختلاف.

ولذا لما رأى خيار السلف من بعد الصحابة هذه الثمار الطيبة المباركة لاجتهادات الصحابة، وأثرها في الأمة، وما حصل بسببها من الرحمة للأمة والتوسعة في الاجتهاد والترجيح بين أقوالهم، ما كرهوا اختلاف الصحابة بل أظهروا الفرح والرضا به.

قال عمر بن عبد العزيز ؒ: (ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا)(١).

وفي رواية أخرى عنه: «ما يسرني أن لي باختلافهم حمر النعم» (٢).

وقال القاسم بن محمد ؒ: «لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم، إلا رأى أنه في سعة ورأى خيراً منه قد عمله» (٣).

وقال أيضاً: لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز: «ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كان قولاً واحداً، كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ بقوله رجل منهم كان في سعة» (٤).

قال الشاطبي ؒ: (وبمثل ذلك قال جماعة من العلماء)(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: (ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم

---

(١) نقله شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ٨٠)، والشاطبي في الموافقات (٤/ ١٢٥).

(٢) ذكره الشاطبي في الموافقات (٤/ ١٢٥).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ١٢٥).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ١٢٥).

(٥) المصدر نفسه (٤/ ١٢٥).

حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا كان الأمر في سعة)(١).

فأقوال هؤلاء الأئمة تدل دلالة ظاهرة على أن اختلاف الصحابة ﭫ في الاجتهاد، لم يفض إلى مفسدة في الدين، ولم يكن سبباً في تفرق المسلمين، ونشأة الفرق المبتدعة في الإسلام، على ما ادعى هذا الطاعن، إذ لو أدى اختلافهم إلى هذا أو أقل منه بكثير، فكيف يفرح بخلافهم ولا يحزن له هؤلاء الأئمة الكبار، وهم أهل الغيرة على الدين والنصح للمسلمين.

وإذا ثبت هذا فاعلم أيها القارئ أن هذه الفرق المبتدعة على كثرتها واختلاف مشاربها لا ترجع بحمد الله في أصل نشأتها لأحد من الصحابة، ولا تستند في بدعها لقول واحد منهم وإن كان بعض هذه الفرق تدعي الانتساب لبعضهم.

وفي الحقيقة إن عامة هذه الفرق المبتدعة، إنما أحدثها أول من أحدثها، إما كفار أصليون أو منافقون ظاهرو النفاق في الأمة.

فالخوارج يرجعون في أصل عقيدتهم ونسبهم إلى ذي الخويصرة الذي اعترض على النبي ﷺ في قسم الغنائم يوم حنين فقال: {يا رسول الله اعدل، قال رسول الله ﷺ: ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟ قد خبت وخسرت، فقال عمر بن الخطاب ﭬ: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه من صيامهم، يقرأون القرآن لا

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٨٠).

يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرّمية}[(١)].

وأما القدرية: فأول من أظهر مقالتهم وتكلم في القدر رجل نصراني يسمى: (سوسن) روى الآجري واللالكائي عن الأوزاعي قال: (أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد)[(٢)].

وأما الجهمية: فمنسوبة للجهم بن صفوان، أول من أشهر القول بتعطيل الصفات، والجهم أخذ مقالته عن الجعد بن درهم، وأخذها الجعد عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر، الذي سحر النبي ﷺ ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير -رحمهما الله-[(٣)].

وأما الفلاسفة: فأخذوا الفلسفة عن فلاسفة اليونان، بل عن شرهم وهو أرسطو.

قال ابن القيم رحمه الله: (الفلاسفة لا تختص بأمة من الأمم، بل هم موجودون في سائر الأمم، وإن كان المعروف عند الناس، الذي اعتنوا بحكاية مقالاتهم: هم فلاسفة اليونان)[(٤)].

ويقول في التعريف بمصطلح الفلسفة: (وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري في: (كتاب استتابة المرتدين، باب ترك قتل الخوارج للتألف) فتح الباري (١٢/ ٣٩٠). ومسلم: (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم) (٢/ ٧٤٤).

(٢) الشريعة للآجري (ص:٢٤٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٧٥٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٦٤).

(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٠).

زعمه، وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو، وهم المشاءون خاصة، وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها وقررها، وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها، المتأخرون من المتكلمين، وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة، ومقالتهم واحدة من مقالات القوم حتى قيل: إنه ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته)[١].

وأما الباطنية: فبذرة يهودية بذرها عبد الله بن ميمون القداح اليهودي.

يقول محمد بن مالك بن أبي الفضائل عن الباطنية: (وأصل هذه الدعوة الملعونة، التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر والشقوة، ظهور عبد الله بن ميمون القداح في الكوفة، وما كان له من الأخبار المعروفة... وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين من التاريخ للهجرة النبوية، فنصب للمسلمين الحبائل، وبغي لهم في الغوائل، ولبس الحق بالباطل: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾ [فاطر:١٠] وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً، ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً... وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية، ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها: سلمية)[٢].

وهكذا الحال مع بقية الفرق الضالة.

فهذه أصول الفرق المبتدعة في الإسلام، وأول من دعا لها وبثها في الأمة من أولئك الكفرة، والزنادقة الحاقدين على هذا الدين.

فانظر أيها المسلم كيف أن هذا الطاعن يبرئ هؤلاء الكفرة والملحدين مما أحدثوه

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٥٢٤).

(٢) كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل (ص:٣١- ٣٣).

من البدع العظيمة، وما نتج عنها من شر عظيم، وتفريق لوحدة المسلمين، ويلصق هذه التهم بصحابة رسول الله ﷺ زاعماً أن هذه الفرق إنما نشأت بسبب اختلافهم، وأنها ترجع إليهم.

شبهة أن الصحابة كانوا يجتهدون مقابل النصوص:

ومن هذه الشبهات القول أن الصحابة كانوا يجتهدون مقابل النصوص، وأن أول من فتح هذا الباب عمر رضي الله عنه. حيث قال أحدهم: (استنتجت من خلال البحث أن مصيبة الأمة الإسلامية انجرت عليها من الاجتهاد الذي دأب عليه الصحابة مقابل النصوص الصريحة، فاخترقت بذلك حدود الله، ومحقت السنة النبوية، وأصبح العلماء والأئمة بعد الصحابة يقيسون على اجتهادات الصحابة، ويرفضون بعض الأحيان النص النبوي، إذا تعارض مع ما فعله الصحابة...

ومن أول الصحابة الذين فتحوا هذا الباب على مصراعيه هو الخليفة الثاني، الذي استعمل رأيه مقابل النصوص القرآنية بعد وفاة الرسول ﷺ، فعطل سهم المؤلفة قلوبهم، الذين فرض الله لهم سهماً من الزكاة، وقال: لا حاجة لنا فيكم).

قلت: لا يخفى ما في هذا القول من الكذب والتلبيس، وقلب الحقائق، وعظيم الجرأة على إنكار ما هو معلوم بالضرورة من الدين والتأريخ والواقع، وذلك في رميه للصحابة برفض النصوص، وترك السنة، ومعارضتها بأقوالهم وآرائهم.

مع أن المعلوم من حال الصحابة المقطوع به عند المسلمين، أنه ما عرفت الأمة مثلهم في شدة الحرص على النصوص، وحسن المتابعة لها، وقوة العزيمة في الأخذ بها، والقيام بها أيّما قيام، وتطبيقها في كافة الظروف والأحوال، حتى أصبحوا بذلك مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال، على مر السنين والقرون، في القوامة بأمر الدين. حتى إن عوام المسلمين إذا ما رأوا من رجل صدق التدين، وحسن الاستقامة، قالوا في

وصفه على سبيل التمدح: (كأنه تربّى على الصحابة، أو كأنه يعيش بين الصحابة) وما ذلك إلا لما اشتهر في الأمة واستفاض من عدالة هؤلاء الصحابة، ورسوخ قدمهم في الدين، وقوة تمسكهم به.

ومرجع هذا كله إلى ما تضافرت عليه نصوص الشرع، مما يطرق أسماع المسلمين في كل وقت وحين، من وصف الله ورسوله للصحابة بأحسن الصفات، والثناء عليهم بأجمل الثناء، والشهادة لهم بالإيمان والتقوى، وأن الله قد رضي عنهم ورضوا عنه، وأعدلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وأن رسوله قد مات وهو راض عنهم، مبشرهم بالخير من ربهم.

ولذا فإن طعن هذا الطاعن في الصحابة بما يقدح في دينهم، وعدم تمسكهم بالشرع، لا أرى أنه يحتاج إلى تكلف رد، لرسوخ الاعتقاد في الأمة بعدالتهم، واستفاضة النصوص بعلو شأنهم في الدين ومكانتهم.

وإنما أشير هنا على وجه الخصوص، إلى كذب ما ادعاه هذا الطاعن من توسع عمر رضي الله عنه في الاجتهاد والعمل برأيه مقابل النصوص، لخشية التلبيس في هذا الأمر على من لا علم عنده من العامة وأهل الجهل.

وبيان كذبه وفساد ما ادعاه في ذلك يكون من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن هذه دعوى مجردة عن الحجة والدليل، لا قيمة لها عند أهل النظر والتحقيق، إذ الطاعن لم يقدم عليها دليلاً واحداً، يدل على ثبوت ما ادعاه.

الوجه الثاني: أن الطعن في عمر بهذا قدح في النبي ﷺ الذي أوصى الأمة باتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين، وقد كان عمر منهم، وذلك في قوله كما في حديث العرباض بن سارية {... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ}[١].

وكذلك أمره بالاقتداء بأبي بكر وعمر كما في حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: {اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر}[٢].

فاذا كان عمر على ما يدعي هذا الطاعن من العمل بالرأي، واطراح السنة، وأنه أول من غير وبدل، لزم من هذا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم غاشاً لأمته غير ناصح لها بأمره باتباع سنة عمر والاقتداء به، ولا يمكن للخصم أن يدعي أن ذلك التغيير من عمر حصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن معلوماً له عند النطق بتلك الأحاديث وذلك: لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشرع من عند نفسه، وإنما هو مبلغ عن ربه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤]، فلو كان حال عمر خفي على النبي صلى الله عليه وسلم، أفكان يخفى على رب العالمين!! فلما جاء الأمر بالاقتداء بعمر ممن لا ينطق عن الهوى، علمنا أن عمر كان على الحق والهدى.

الوجه الثالث: أن عمر رضي الله عنه شهد له الصحابة الذين لا يخافون في الله لومة لائم، أنه كان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أبو بكر في خلافته، فقد روى ابن أبي شيبة في خبر مقتل عمر وفيه أن الصحابة اجتمعوا إلى عمر بعد طعنه فقالوا له: «جزاك الله خيراً قد كنت تعمل فينا بكتاب الله، وتتبع سنة صاحبيك لا تعدل عنها إلى غيرها، جزاك الله أحسن الجزاء..» [٣].

ولهذا كان علي بن أبي طالب يغبطه على ما كان عليه من الخير، وتمنى لو لقي الله بمثل عمله كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: {وضع عمر

(١) رواه أحمد برقم (١٧١٨٢)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٣٢٩٣)، والترمذي برقم (٣٦٦٢).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٠).

على سريره فتكنّفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يَرُعْني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقي الله بمثل عمله منك، وأيم الله إنْ كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر}[(١)].

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما إن لم يجد للمسألة حكماً في الكتاب أو السنة أفتى بقول أبي بكر وعمر، على ما روى الدارمي بسنده عن عبد الله بن أبي زيد قال: «كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر، فإن لم يكن قال فيه برأيه» [(٢)].

ففي هذه النقول عن الصحابة المتضمنة حسن الثناء على عمر، ورسوخ قدمه في الدين، وعظم شأنه في العلم والعمل بالسنة، أكبر دليل على دحض دعوى هذا الطاعن الجائرة، كما أن في موقف علي من عمر على وجه الخصوص إلزاماً لهذا الطاعن بقول من يعتقد إمامته ويدعي عصمته. فإذا كان عمر على ما يعتقد فيه هذا الطاعن من القول بالرأي، وترك السنة، فلِمَ يتمنى علي رضي الله عنه أن يلقى الله بمثل عمله ولِمَ يفتي ابن عباس وهو الإمام الجليل من أئمة أهل البيت بقوله أم أن علياً وابن عباس كانا ضالين في هذا!!

الوجه الرابع: أن الثابت من سيرة عمر رضي الله عنه وأقواله المأثورة عنه، يدل على بطلان دعوى هذا الطاعن، فقد كان رضي الله عنه من أشد الناس تمسكاً بالنصوص، والوقوف عندها، وأقواله في ذلك مشهورة:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٥)، ومسلم برقم (٢٣٨٩).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٧١).

فمن ذلك ما أخرجه الدارمي والآجري وغيرهما بسند صحيح عنه أنه قال: «سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فجادلوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله» (١).

وقد أورد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه أعلام الموقعين فصلاً خاصاً في المنقول عن عمر رضي الله عنه في التحذير من الرأي.

ومما جاء فيه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعيتهم أن يعوها، وتفلتت منهم أن يرووها، فاستبقوها بالرأي».

وعنه أنه قال: «اتقوا الرأي في دينكم».

وقال أيضاً: «السنة ما سنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة» (٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة)(٣).

فكيف يظن بمن هذا قوله أن يعارض النصوص برأيه واجتهاده، فإن هذا من أبعد المحال عند التأمل والاعتبار.

الوجه الخامس: إن قول هذا الطاعن: إن عمر عطل سهم المؤلفة قلوبهم جهل بالشرع ومقاصده، وتطاول على عمر رضي الله عنه بما لا علم لهذا الطاعن به، وذلك أن سهم المؤلفة قلوبهم فرض في الشرع تألفاً لبعض الناس من سادات الناس وكبرائهم على الإسلام وللحاجة إليهم، فلما قوي الإسلام وكثر أتباعه اجتمع رأي الصحابة رضي الله عنهم

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٦٢)، والآجرى في الشريعة (ص:٥٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٥٠)، وذكر المحقق أن إسناده صحيح، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢٣).

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٥٤- ٥٥).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٥٥).

على عدم إعطاء المؤلفة قلوبهم شيئاً، لعدم الحاجة إليهم، ولزوال السبب الذي كانوا يعطون من أجله.

قال القرطبي رحمه الله: (قال بعض علماء الحنفية: لما أعز الله الإسلام وأهله، وقطع دابر الكافرين -لعنهم الله-، اجتمعت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه على سقوط سهمهم)[١].

وقال ابن قدامة رحمه الله: (لم ينقل عن عمر، ولا عثمان، ولا علي، أنهم أعطوهم شيئاً)[٢].

وهذا يدل على اتفاق الصحابة على عدم إعطاء المؤلفة قلوبهم في ذلك العهد، وأن هذا هو الذي عليه الخلفاء الثلاثة عمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم لكن القطع بسقوط سهم المؤلفة قلوبهم ونسبته للصحابة -كما نص على ذلك بعض علماء الحنفية ونقلوا إجماعهم عليه- محل نظر. فالمشهور عن الصحابة هو عدم إعطاء أهل التأليف شيئاً، كما نقل ذلك عنهم ابن قدامة، وهذا لا يلزم منه أنهم كانوا يرون سقوط سهم المؤلفة قلوبهم بالكلية، بل يحتمل أنهم رأوا منع أولئك المعاصرين لهم، لعز الإسلام، وعدم الحاجة إليهم من غير قطع بسقوط سهمهم في كل عصر عند الحاجة إليهم.

يشهد لهذا أن العلماء من بعد الصحابة اختلفوا في سقوط سهم المؤلفة قلوبهم على قولين: فمنهم من يرى سقوط سهمهم، ومنهم من يرى أن سهمهم باق، وأن عطاءهم بحسب الحاجة إليهم، فإن احتيج إليهم أُعطوا، وإلا لم يعطوا، وهذا بناءً على ما فهموه من فعل الصحابة، الذي كان محتملاً لكل واحد من هذين القولين.

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ١٦٨).

(٢) المغني (٩/ ٣١٦).

يقول القرطبي رحمه الله ناقلاً الخلاف بين العلماء في المسألة: (واختلف العلماء في بقائهم «أي: المؤلفة قلوبهم» قال عمر، والحسن، والشعبي وغيرهم: انقطع هذا الصنف بعز الإسلام وظهوره، وهذا مشهور من مذهب مالك وأصحاب الرأي... وقال جماعة من العلماء: هم باقون لأن الإمام ربما احتاج أن يستأنف على الإسلام، وإنما قطعهم عمر لما رأي من إعزاز الدين. قال يونس: سألت الزهري عنهم فقال: لا أعلم نسخاً في ذلك. قال أبو جعفر النحاس: فعلى هذا الحكم فيهم ثابت، فإن كان أحد يحتاج إلى تألفه، ويخاف أن تلحق المسلمين منه آفة، أو يرجى أن يحسن إسلامه بعد، دُفِعَ إليه. قال القاضي عبد الوهاب: إن احتيج إليهم في بعض الأوقات أُعطوا من الصدقة. وقال القاضي ابن العربي: الذي عندي أنه إن قوي الإسلام زالوا، وإن احتيج إليهم أعطوا سهمهم كما كان رسول الله ﷺ يعطيهم فإنّ في الصحيح: {بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ} (١)(٢).

ومن خلال هذا العرض لأقوال الصحابة والعلماء في المسألة يتبين لنا أمران:

الأول: أن القول بمنع المؤلفة قلوبهم عطاياهم لما قوي الإسلام لم يكن قول عمر وحده، وإنما هو قول عامة الصحابة، وهو الذي درج عليه عمل الخليفتين الراشدين من بعد عمر: عثمان وعلي، كما نقل ذلك العلماء عنهم، فلِمَ التشنيع على عمر في قول شاركه فيه عامة الصحابة، وكان على العمل به الخليفتان الراشدان من بعده (عثمان وعلي) رضي الله عنهما !! وإذا كانت الشيعة تعتقد في علي رضي الله عنه أنه الإمام المعصوم من الخطأ، المنزه عن السهو، والغفلة، والزلل، فما بال هذا الطاعن يطعن في عمر في أمر قد حكم به الإمام المعصوم عنده، طيلة مدة خلافته، وسنه للأمة من بعده؟!

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٥).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ١٦٨).

الثاني: أن منع المؤلفة قلوبهم من عطاياهم، في حال عز الإسلام وعدم الحاجة إليهم لا يقتضي سقوط سهمهم بالكلية عند المانع لهم في تلك الحال، وبالتالي فنسبة القول بسقوط سهم المؤلفة قلوبهم بالكلية لعمر ولغيره من الصحابة بمنعهم أهل التأليف عطاياهم في ذلك العهد، تبقى محل نظر، حتى يرد النص الصحيح منهم بالتصريح بالحكم المذكور. وهذا مما تندفع به هذه المطاعن على عمر، في دعواه أنه عطل سهم المؤلفة قلوبهم، مع ثبوته في كتاب الله تعالى.

الوجه السادس: أن ما يثبت عن عمر رضي الله عنه من القول بالرأي، ثبت عن علي مثله، أو أكثر منه في مسائل هي أعظم من المسائل التي تكلم فيها عمر، فالقدح في عمر بهذا قدح في علي من باب أولى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والجواب أن القول بالرأي لم يختص به عمر رضي الله عنه بل علي كان من أقواله بالرأي، وكذلك أبو بكر، وعثمان، وزيد، وابن مسعود، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون بالرأي، وكان رأي علي في دماء أهل القبلة ونحوه من الأمور العظائم.

كما في سنن أبي داود وغيره عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قلت لعلي: {أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيته؟ قال: ما عهد النبي صلى الله عليه وسلم إليّ شيئاً ولكنه رأي رأيته}[1]، وهذا أمر ثابت، ولهذا لم يرو علي رضي الله عنه في قتال الجمل وصفين شيئاً، كما رواه في قتال الخوارج، بل روى الأحاديث الصحيحة هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج المارقين، وأما قتال الجمل وصفين فلم يرو أحد منهم فيه نصاً، إلا القاعدون الذين لم يشاركوا في الفتنة فإنهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة.

---

(١) أخرجه ابو داود برقم (٤٦٦٦).

ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً، فلا لوم على من قال به، وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذماً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين، ولم يحصل بقتلهم مصحلة للمسلمين، لا في دينهم، ولا في دنياهم، بل نقص الخير عما كان، وزاد الشر على ما كان.

فإذا كان مثل هذا الرأي لا يعاب به، فرأي عمر وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب، مع أن علياً شاركهم في هذا الرأي وامتاز برأيه في الدماء...

وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي المسائل التي تركت من قول علي وابن مسعود فبلغت شيئاً كثيراً، وكثير منها قد جاءت السنة بخلافه كالمتوفى عنها الحامل، فإن مذهب علي رضي الله عنه أنها تعتد أبعد الأجلين، وبذلك أفتى أبو السنابل بن بعكك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاءته سبيعة الأسلمية وذكرت ذلك له قال: {كذب أبو السنابل بل حللت فانكحي من شئت}[1] وكا زوجها قد توفي عنها بمكة في حجة الوداع.

فإن كان القول بالرأي ذنباً فذنب غير عمر -كعلي وغيره- أعظم، فإن ذنب من استحل دماء المسلمين برأي، هو ذنب أعظم من ذنب من حكم في قضية جزئية برأيه، وإن كان منه ما هو صواب، ومنه ما هو خطأ فعمر رضي الله عنه أسعد بالصواب من غيره، فإن الصواب في رأيه أكثر منه في رأي غيره، والخطأ في رأي غيره أكثر منه في رأيه، وإن كان الرأي كله صواباً فالصواب الذي مصلحته أعظم، هو خير وأفضل من الصواب الذي مصلحته دون ذلك، وآراء عمر رضي الله عنه كانت مصالحها أعظم للمسلمين.

فعلى كل تقدير: عمر فوق القائلين بالرأي من الصحابة فيما يحمد، وهو أخف منهم فيما يذم، ومما يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {قد

(١) أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ برقم (٣٩٩١)، ومسلم برقم (١٤٨٤).

كان في الأمم قبلكم محدَّثُون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر}[1].

فثبت بهذه الأوجه بطلان دعوى هذا الطاعن، وبراءة الفاروق رضي الله عنه مما رماه به.

(١) منهاج السنة (٦/ ١١١- ١١٤).

شبهات حول الصديق رضي الله عنه

نشرع الآن في ذكر الشبهات التي أثيرت حول الشيخين رضي الله عنهما، ونبدأ بالصديق رضي الله عنه. ولكن قبل ذلك لا بأس من أن نعرج قليلاً إلى ذكر فضائلهما من كتب الإمامية.

فنقول: إن إقرار أهل البيت بفضائل الصديق والفاروق رضي الله عنهما لا يكاد يغادر حتى أدق المسائل؛ مما لها دلالة لا تخفى على المنصف المتجرد من الأهواء في إظهار العلاقة الحميمة التي تربط بعضهم ببعض، فمنها مثلاً: أولاً: أن علياً لم يفته أن يُسمي أحد أبنائه بأبي بكر(١)...

---

(١) الإرشاد (١٦٧، ٢٤٨)، مناقب آل أبي طالب (٤/ ١٠٧، ١١٢)، مقاتل الطالبيين (٩١)، أمالي الصدوق (١٣١)، أعلام الورى (٢٠٣، ٢٥٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٢/ ٧٤، ٩٠، ٩٢، ٤٥/ ٣٦، ٦٣، ٤٤/ ٣١٣)، الاختصاص للمفيد (٨٢)، معجم الخوئي (٢١/ ٦٦، ٢٢/ ٧٠)، الأنوار النعمانية (٣/ ٢٦٣)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٩/ ٢٤٢)، رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ للقزريني (١٧٢، ١٧٧)، الفصول المهمة لابن الصباغ (١/ ٦٤٥، ٢/ ٤٨٨)، الأنوار العلوية لجعفر النقدي (٤٣٤، ٤٤٨)، أنصار الحسين لمهدي شمس الدين (١٣٦)، معالم المدرستين للعسكري (٣/ ١٢٧)، مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع) للكوفي (٢/ ٤٨)، تاريخ الأئمة للبغدادي (١٧)، شرح الأخبار للقاضي النعمان (٣/ ١٧٨، الحاشية)، تاج المواليد للطبرسي (١٩)، المستجاد من الإرشاد للحلي (١٣٩)، العوالم لعبد الله البحراني (٢٨٠) لواعج الأشجان لمحسن الأمين (١٧٧)، مستدرك سفينة البحار للشاهرودي (٧/ ٣٨٦)، رجال الطوسي (١٠٦)، رجال ابن داود (٢١٥)، نقد الرجال للتفرشي (٥/ ١٢٧)، جامع الرواة (٢/ ٣٧٠)، طرائف المقال للبروجردي (٢/ ٧٣)، مستدركات علم الرجال للشاهرودي (٨/ ٣٤٣)، المفيد من معجم رجال الحديث للجواهري (٣٦٥، ٦٨٦)، قاموس الرجال للتستري (١١/ ٢٣٦)، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٣)، أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/ ٣٢٧، ٦٠٨، ٢/ ٣٠٢)، الدر النظيم للعاملي (٤٣٠)، كشف الغمة للأربلي (٢/ ٦٧)، موسوعة شهداء المعصومين (١/ ٢٦٧، ٢/ ٢٥٢، ٢٧١)، أبصار العين في أنصار الحسين للسماوي (٧٠)، شرح إحقاق الحق (٣٢/ ٦٧٥، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٤، ٣٣/ ٦٧٦)، مجلة تراثنا (٢/ ١٤٩).

وآخر بعمر[1]، وثالثاً بعثمان[2].

---

(١) الإرشاد (١٦٧)، مناقب آل أبي طالب (٤/ ١١٢)، مقاتل الطالبيين (٨٩)، معاني الأخبار للصدوق (٣٥٦)، الكافي للكليني (١/ ٢٨٦، ٣٠٩، ٤١١، ٤٤٢)، إعلام الورى (٢٠٣)، بحار الأنوار للمجلسي (١/ ١٧٢، ١٥/ ٢٣، ١٦/ ٢٩١، ١٩/ ٧٥، ٢٤/ ٢١٣، ٢٥/ ٢١٤، ٢٥٣، ٢٦/ ٢٦٢، ٢٧/ ٢٩٧، ٣٠٥، ٣٦/ ٣٨٨، ٣٧/ ١٠٢، ٣٨/ ٣٣٢، ٤٢/ ٧٤، ٧٥، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٤٣/ ١٥٩، ٤٥/ ٣٨، ٦٢، ٤٦/ ١٨١، ٤٨/ ١٦، ٦٠/ ٢٠٠، ٦١/ ١٥٨)، إثبات الهداة (٣/ ١٥٦)، علل الشرايع للصدوق (١٨٣)، البصائر (٥٠، ٢٨٦)، أمالي الطوسي (٥٤، ٤٢٦، ٤٣٩، ٤٦٧، ٤٧٥، ٥٠٧، ٥٥٦)، الاختصاص للمفيد (١٢٨)، كمال الدين (٣٢٨)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (١/ ٦٥، ٧٦)، الإمامة والتبصرة (١٧١)، غيبة الطوسي (١٨٧)، غيبة النعماني (١٠٢)، معجم الخوئي (١٣/ ٤٥، ٢١/ ٧٠)، معالم المدرستين للعسكري (٣/ ١٢٧)، مستدرك الوسائل للحر العاملي (٥/ ٧٠)، الاحتجاج للطبرسي (٢/ ٢٧٧، الحاشية)، عمدة الطالب (٧٢، الحاشية، ١٨٤، ٣٦١)، سر السلسلة العلوية (٧، ٥٢، الحاشية، ٩٥)، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة (٤٨٤)، الفوائد الرجالية لبحر العلوم (١/ ٤٣٠، الحاشية، ٣/ ٩٩، الحاشية)، مستدركات علم الرجال (٦/ ١٠١، ١١٢)، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق للشيستري (١/ ١٢٢، ٢/ ٣٠٧، ٤١٤، ٥٣٥، ٣/ ١٣٣، ١٥٤، ٤٣٥)، تهذيب المقال للأبطحي (٢/ ١٥٧)، الذريعة لآقا بزرك الطهراني (٦/ ١٩١، ١٩/ ٥٣، ٢٠/ ٢)، المجدي في أنساب الطالبيين لعلي العلوي (٧، ١١، ٣١، ٤٧، ٥٨، ١٠٢، ١٤٠، ١٦١، ١٧٠، ٢٤٥، ٢٥١)، تاريخ الكوفة للبراقي (٩٦، ٤٧٨)، أعيان الشيعة (٢/ ٤٥٣، ٤٧٣، ٣/ ٥٨، ٤/ ١٧٨، ٥/ ٢٣٦، ٦/ ١٦٣، ٢٣٧، ٧/ ٣٤، ٨/ ٣١٠، ٣٨٠)، الأنوار العلوية للنقدي (٤٤٤)، موسوعة المصطفي والعترة للشاكري (٨/ ٨٤)، موسوعة شهداء المعصومين (١/ ٢٦٩)، أبصار العين (٩٠)، شرح إحقاق الحق (٣/ ٤٦٦، الحاشية، ٣/ ٤٦٧، الحاشية)، مجلة تراثنا (٨٥/ ١٣٧).

(٢) الإرشاد (١٦٧)، مناقب آل أبي طالب (٢/ ١٠٩، ٤/ ١١٢)، مقاتل الطالبيين (٨٩)، إعلام الورى (٢٠٣، ٢٤٣، ٢٥٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٢/ ٧٤، ٨٩، ٩١، ٤٣/ ٢٩١، ٤٤/ ٣١٣، ٣٩١، ٤٥/ ٣٧، ٦٣، ٦٧)، الأنوار النعمانية (٣/ ٢٦٣)، وانظر أيضاً: أمالي الصدوق (١٣١)، معجم الخوئي (١١/ ١١٦)، أعيان الشيعة (١/ ٣٢٦)، مناقب الإمام للكوفي (٢/ ٤٩)، الاختصاص للمفيد (٨٢)، تاج المواليد للطبرسي (١٩)، المستجاد للحلي (١٣٩)، العوالم للبحراني (٢٨٠)، أنصار الحسين لشمس الدين (١٣٠)، معالم المدرستين (٣/ ١٢٨)، المجدي في أنساب الطالبيين (١٥)، كتاب الفتوح للكوفي (٥/ ١١٣)، كشف الغمة للأربلي (٢/ ٦٧)، العدد القوية للحلي (٢٤٢)، الفصول المهمة لابن الصباغ

وهؤلاء الثلاثة ولدوا في عهد الخلفاء الثلاثة كما لا يخفى.

وكذلك كان شأن ابنه الحسن عليه السلام حيث سمى أحد أبنائه بأبي بكر[(١)]، وآخر، بل واثنين آخرين بعمر[(٢)].

وستقف أخي القارئ الكريم بعد قليل على علة تسميته أسماء أبنائه بعمر مراراً.

ولم يخالفهم في ذلك الحسين عليه السلام، فقد سمَّى أحد أبنائه بأبي بكر[(٣)]، وآخر بعمر[(٤)].

(١/ ٦٤٣)، موسوعة الإمام علي للريشهري (١/ ١١٦)، موسوعة شهداء المعصومين (١/ ٢٦٨، ٢/ ١٧٧، ٢٥٣)، شرح إحقاق الحق (٣٢/ ٦٧٤، ٦٧٦، ٦٨١)، مجلة تراثنا (٢/ ١٥٠).

(١) مقاتل الطالبيين (٩٢)، مناقب آل أبي طالب (٤/ ١١٢)، إعلام الورى (٢١٢، ٢٤٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٤/ ١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ٤٥/ ٣٦، ٦٣، ٦٧)، معجم الخوئي (٢١/ ٦٦)، الإرشاد (٢٤٠)، الأنوار النعمانية (٣/ ٢٦٣) لواعج الأشجان لمحسن الأمين (١٧٦)، أنصار الحسين (١٣١)، أعيان الشيعة (١/ ٦١٠، ٢/ ٢٩٣)، الفصول المهمة (٢/ ٨٤٥)، شرح إحقاق الحق (٣٣/ ٦٨٧)، مجلة تراثنا (٢/ ١٥٠)، معالم المدرستين (٣/ ١٤٤)، مستدركات علم رجال الحديث (٨/ ٣٤٣)، المفيد من معجم رجال الحديث (٦٨٦)، قاموس الرجال (١١/ ٢٣٢، ٦٦٦)، أبصار العين (٧١).

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٤/ ١١٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٠/ ٣٨٨، ٤٤/ ١٦٨، ٤٥/ ٦٣)، معجم الخوئي (١٣/ ٢٥)، إعلام الورى (٢١٢)، دلائل الإمامة (٦٣)، أنصار الحسين (٦٤، ١٣٧)، تقريب المعارف للحلبي (٢٥٢)، شرح إحقاق الحق (٢٨/ ٤٣٦)، تشييد المراجعات للميلاني (١/ ٢٤٧)، مجلة تراثنا (٣٤/ ٢٩)، نفحات الأزهار للميلاني (٢٠/ ١٢٨)، الفصول المهمة (٢/ ١٢٨٩).

(٣) التنبيه والإشراق (٢٦٣)، شرح الأخبار للقاضي المغربي (٣/ ١٧٨، الحاشية) تعليق محقق الكتاب لسيد محمد الحسيني الجلالي، الفصول المهمة (٢/ ٧٤٥، الحاشية، ٢/ ١٢٢٤)، مقاتل الطالبيين (٩٢).

(٤) مناقب آل أبي طالب (٤/ ١١٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٥/ ٦٣)، معجم الخوئي (١٣/ ٢٥)، الذرية الطاهرة للدولابي (١١١)، شرح نهج البلاغة (١٥/ ٢٩١)، مستدركات علم رجال الحديث (٦/ ٨٢)، أعيان الشيعة (٥/ ١٨١)، الهداية الكبرى للخصيبي (٢١٣)،

وكذلك شأن ابنه زين العابدين ﵇، حيث سمَّى أحد أولاده باسم الخليفة الثاني عمر ﵁ (١).

وآخر بعثمان(٢)، أما هو فقد أحب أن يكنى بأبي بكر(٣).

---

(١) مناقب آل أبي طالب (٤/ ١٧٦)، الإرشاد (٢٧٧، ٢٧٨)، كفاية الأثر (٣١٩)، الكافي للكليني (١/ ٣٥٨، ٣٦١)، إعلام الورى (٢٥٧، ٢٥٨)، معجم الخوئي (١٣/ ٤٧)، بحار الأنوار للمجلسي (١٠/ ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٦/ ٣٨٨، ٤٠/ ٦٨، ٤٣/ ٢٤٣، ٤٤/ ١٥١، ٤٦/ ١٢٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٦، ١٦٧، ٢٣٠، ٤٧/ ٢٧٩، ٢٨٣، ٩٧/ ١٥٣)، أمالي الطوسي (٢)، كفاية الأثر (٣١)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٢/ ٨٧)، إثبات الهداة (١/ ٢٨١، ٦٠٠، ٣/ ٣٤)، غيبة النعماني (١٢٥)، منتخب الأثر (٢٤٨)، مقاتل الطالبيين (٤٦٤، ٤٩٠، ٥٢٥)، الانتصار للشريف المرتضى (١١)، الناصريات للشريف المرتضى (٨، ٦٣)، الحدائق الناضرة (٩/ ٢١٩، الحاشية)، الينابيع الفقهية (١/ ١٣٤)، كامل الزيارات لابن قولويه (٥١)، خصائص الأئمة للشريف الرضي (٢٠)، وسائل الشيعة (١/ مقدمة التحقيق، خاتمة المستدرك (٣/ ٢١٦، ٥/ ٧١)، عمدة الطالب (٢٠٥)، أجوبة مسائل جارالله لشرف الدين (٦٨)، النص والاجتهاد لشرف الدين (٥٣٩)، سر السلسلة العلوية، مقدمة الكتاب (٥٢، الحاشية)، شرح نهج البلاغة (١٥/ ٢٨٥)، الدرجات الرفيعة للمدني (٤٥٩)، الفوائد الرجالية لبحر العلوم (١/ ٢٣٧، الحاشية، ٣/ ٩٥)، طرائف المقال للبروجردي (٢/ ٤٦٩)، مستدركات علم رجال الحديث (١/ ٢٧٩، ٣٧٣، ٢/ ٤٤٣٣/ ٧، ٢٠، ٥/ ٣٣٦، ٦/ ١٠١)، الفائق (٢/ ٤١٨، ٤٦٠، ٣/ ١٥٣)، المفيد في علم رجال الحديث (٤٢٧)، تراجم الرجال للحسيني (١/ ١٢٨)، المجدي (١٤٨)، موسوعة المصطفى (٨/ ٨٤).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١٠/ ٢٥٠)، مسائل علي بن جعفر (٦٠، ٣١٨)، الكافي للكليني (٤/ ٥٥١)، وسائل الشيعة (١٤/ ٣٤٢، ١٠/ ٢٦٧)، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي (١٢/ ٢٤٦) جامع الرواة للأردبيلي (١/ ٥٦٢)، مستدركات علم رجال الحديث (٣/ ٣)معجم الخوئي (١٢/ ٣١٠، ٥٤١، ١٣/ ٢١٣، ٣٥٤).

(٣) مناقب آل أبي طالب (٣/ ٣١٠)، كشف الغمة للأربلي (٢/ ٢٦٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٦/ ٤، ٥)، موسوعة شهداء المعصومين (٣/ ١٨)، كشف الغمة للأربلي (٢/ ٧٤)، دلائل الإمامة (١٩٢)، مطالب السؤول (٧٧)، التتمة في تواريخ الأئمة (٨٤).

وكذا حال بقية أهل البيت، فها هو الكاظم يسمي أحد أبنائه بأبي بكر[١]، وآخر بعمر[٢]، وكان ابنه الرضا يكنى بأبي بكر[٣]، واستمر الحال في أعقابهم رحمهم الله.

ولا شك أن لعامل الاسم دلالة نفسية لا تخفى على المتأمل، فقد ذكر الإمامية: أن معاوية استعمل مروان بن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش ففرض لهم، فقال علي بن الحسين: فأتيته، فقال: (ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين. فقال: ما اسم أخيك؟ فقلت: علي. فقال: علي وعلي؟ ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلا سماه علياً؟ ثم فرض لي فرجعت إلى أبي فأخبرته. فقال: لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمي أحداً منهم إلا علياً)[٤].

وفي رواية: أن يزيداً قال له: (واعجباً لأبيك سمى علياً وعلياً؟ فقال: إن أبي أحب أباه، فسمى باسمه مراراً)[٥].

فلا ينبغي الغفلة عن هذه الحقيقة وأهميتها في الشرع، فقد أورد الإمامية من طرقهم عن الأئمة عشرات الروايات في هذا الشأن، لا نرى بأساً من ذكر بعضها لما له صلة بالباب، ونبدأها بهذه الرواية التي تدل على عظم الأجر الذي يجنيه من ينحل

---

(١) كشف الغمة للأربلي (٢/ ٢١٧).

(٢) كشف الغمة للأربلي (٣/ ٤١)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٨/ ٢٨٢).

(٣) مقاتل الطالبيين (٤٥٣).

(٤) الكافي للكليني (٦/ ١٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٤/ ٢١١)، شرح اللمعة (٥/ ٤٤٣)، وسائل الشيعة (آل البيت) (٢١/ ٣٩٥)، وسائل الشيعة (الإسلامية) (١٥/ ١٢٨)، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي (٢١/ ٣٤٠)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (٥/ ١٧٠، ١٠/ ٤٤٨)، موسوعة أحاديث أهل البيت (١٢/ ٢٤٤)، مستدركات علم الرجال للشاهرودي (٥/ ٥٠٣)، جواهر التاريخ للكوراني (٣/ ٣٧١).

(٥) مناقب آل أبي طالب (٤/ ١٧٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٥/ ١٧٥، ٣٢٩)، العوالم للبحراني (٤١١)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (١٠/ ٤٤٨)، بلاغة الإمام علي بن الحسين للحائري (٢٥٣).

أولاده اسماً من أسماء من له شأن.

فعن ربعي بن عبد الله قال: (قيل لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك! في الإسلام إنا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال: إي والله وهل الدين إلا الحب؟ قال الله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١])(١).

فهذه الرواية وأمثالها رد على من زعم بأن مسألة التسمية من المباحات التي لا يترتب عليها حكم أو أجر.

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: (أول ما يبر الرجل ولده أن يسميه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولده)(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (استحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة، قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك)(٣).

ولا شك أن أول مراتب الاستحسان: هو عدم اختيار أسماء أعداء أهل البيت، وهذا أمر مسلَّم به عند الإمامية، حتى عقدوا في هذا أبواباً في مصنفاتهم كباب: كراهة

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي (١٠١/ ١٣٠)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١٦/ ٢٠٩، ٢١/ ٣٣٦)، مستدرك سفينة البحار للنمازي (٥/ ١٧١، ١٠/ ٤٤٧)، تفسير العياشي (١/ ١٦٧، ١٦٨)، تفسير نور الثقلين للحويزي (١/ ٣٢٧، ٥/ ٨٣)، الحقوق الاجتماعية لمركز الرسالة (٨٤).

(٢) الكافي للكليني (٦/ ١٨)، تهذيب الأحكام للطوسي (٧/ ٤٣٧)، الحدائق الناضرة للبحراني (٢٥/ ٣٩).

(٣) نهاية المرام للعاملي (١/ ٤٤٨)، الحدائق الناضرة ليوسف البحراني (٢٥/ ٣٩)، رياض المسائل للطباطبائي (١٠/ ٥٠٤)، جامع المدارك للخوانساري (٤/ ٤٦١)، الكافي للكليني (٦/ ١٨)، تهذيب الأحكام للطوسي (٧/ ٤٣٧)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٢١/ ٣٨٩)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (٢١/ ٣٣٢)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي (١٢/ ٢٤٣)، ميزان الحكمة لمحمد الريشهري (٢/ ١٣٦٤)، الحقوق الاجتماعية لمركز الرسالة (٨٣).

التسمية بأسماء أعداء الأئمة عليهم السلام[(١)].

وذكروا فيها روايات عدة كرواية أبي جعفر رحمه الله قال: «إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي باسم عدو من أعدائنا اهتز واختال»[(٢)].

والروايات في الباب كثيرة، حتى عقد علماء الشيعة أبواباً كثيرة في مصنفاتهم في استحباب الأسماء وكراهيتها، فراجعها إن شئت[(٣)].

ولاشك أن علياً وكذا أهل بيته رضي الله عنهم يعرفون قدر خليفة رسول الله وكذلك ابنته أم المؤمنين، ومنزلتهما وصحبتهما من رسول الله ﷺ وبلائهما لنصرة الإسلام بما لا يخفى على العدو فضلاً عن الصديق.

فها هو أبو جهل يقول: (من جاء بمحمد أو دل عليه فله مائة بعير، أو جاء بابن أبي قحافة أو دل عليه فله مائة بعير)[(٤)].

فجعل مكافأة من دل على النبي ﷺ وصاحبه الصديق ورفيقه في الغار ا سواء.

وعلى ذكر قصة الهجرة فقد ذكر الإمامية أن الله عز وجل أوحى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قصة ليلة المبيت: (آمرك أن تستصحب أبا بكر فإنه إن آنسك وساعدك ووازرك وثبت على ما يعاهدك ويعاقدك كان في الجنة من رفقائك، وفي غرفاتها من خلصائك، فقال

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي (٢١/ ٣٩٨)، مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي (١٥/ ١٣٢).

(٢) الكافي للكليني (٦/ ٢٠)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٢١/ ٣٩٣، ٣٩٨)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (٢١/ ٣٣٧)، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي (١٢/ ٢٤٤)، مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت (١٧/ ٥٠).

(٣) انظر مثلاً: وسائل الشيعة أبواب استحباب التسمية (٢١/ ٣٩٢) ومابعدها، مستدرك الوسائل للحر العاملي (١٥/ ١٢٩)، الكافي للكليني، باب الأسماء والكنى (٦/ ١٩)، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (٢١/ ٣٣٣).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (١٩/ ٤٠).

رسول الله ﷺ لأبي بكر: أرضيت أن تكون معي يا أبا بكر! تطلب كما أطلب، وتعرف بأنك أنت الذي تحملني على ما أدعيه، فتحمل عني أنواع العذاب؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! أما أنا لو عشت عمر الدنيا أعذب في جميعها أشد عذاب لا ينزل علي موت مريح ولا فرج منج، وكان في ذلك محبتك لكان ذلك أحب إليَّ من أن أتنعم فيها، وأنا مالك لجميع ممالك ملوكها في مخالفتك، وهل أنا ومالي وولدي إلا فداؤك؟ فقال رسول الله ص: لا جرم أن اطلع الله على قلبك ووجد ما فيه موافقاً لما جرى على لسانك، جعلك مني بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد، وبمنزلة الروح من البدن كعلي الذي هو مني كذلك)(١).

وعلى ذكر التشبيه بالمنزلة، فقد جاء عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: {إن أبا بكر مني بمنزلة السمع، وإن عمر مني بمنزلة البصر، وإن عثمان مني بمنزلة الفؤاد}(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة أن يشبِّه الرسول ﷺ أبا بكر بنبيين من أولي العزم، وهما: إبراهيم وعيسى(٣).

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: {ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في نفسه}(٤).

---

(١) تفسير العسكري (٤٦٥)، بحار الأنوار للمجلسي (١٩/ ٨٠)، مدينة المعاجز للبحراني (١/ ٤٥٧)، إثبات الهداة (٣/ ٥٩٦).

(٢) عيون أخبار الرضا (٢/ ٢٨٠)، البرهان (٢/ ٤٢٠)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٣/ ١٦٤)، معاني الأخبار للصدوق (٣٨٧)، موسوعة الإمام الجواد (٢/ ٦٧٢)، موسوعة كلمات الحسين (٦٧٢، ١٠٧٦).

(٣) أمالي الطوسي (٢٧٤)، بحار الأنوار للمجلسي (١٩/ ٢٧٢)

(٤) طرائف المقال للبروجردي (٢/ ٥٥٩)، مجالس المؤمنين للشوشتري (ص٨٩).

كيف لا يقولها في صاحب الموقف العظيم يوم حروب الردة حيث قال: (لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولا أنقصكم شيئاً مما أخذ منكم نبي الله ص، ولأجاهدنكم، ولو منعتموني عقالاً مما أخذ منكم نبي الله ﷺ لجاهدتكم عليه)[١].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها – أي: الخلافة – إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف له سنه، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة وهو حي»[٢].

وعنه رضي الله عنه قال: {كنا مع رسول الله ﷺ على جبل حراء إذ تحرك الجبل. فقال له: قر، فليس عليك إلا نبي وصديق شهيد}[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تالياً، وعن المنكر ناهياً، وبذنبه عارفاً، ومن الله خائفاً، وعن الشبهات زاجراً، وبالمعروف آمراً وبالليل قائماً وبالنهار صائماً، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً، وسادهم زهداً وعفافاً، فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه»[٤].

وقد تزوج علي من أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاته، وربى ابنه محمداً، وكان يقول: «هو ابني من ظهر أبي بكر»[٥].

---

(١) أمالي الطوسي (٢٦٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٨/ ١١).

(٢) السقيفة وفدك للجوهري (٤٧)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/ ٥٠، ٦/ ٨٤)، الغدير للأميني (٥/ ٣٥٦، ٨/ ٣٧)، غاية المرام لهاشم البحراني (٥/ ٣٤٠).

(٣) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري (١٩٠)، الاحتجاج للطبرسي (١/ ٣٢٦)، بحار الأنوار للمجلسي (١٠/ ٤٠، ١٧/ ٢٨٨)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع، ٢٢١)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٣/ ٤٤٥، ٤/ ٣١٧)، حياة أمير المؤمنين (ع) عن لسانه لمحمد محمديان (٣/ ٢٨٢).

(٤) مواقف الشيعة للميانجي (١/ ١٨٧).

(٥) مجمع البحرين للطريحي (١/ ٥٧٠).

وكان أبو بكر قد بعثها لرعاية فاطمة في مرضها، ثم غسلتها وكفنتها بعد وفاتها رضي الله عنه.

وفي هذا رد على من زعم أنها مرضت وتوفيت ودفنت ليلاً دون علمه رضي الله عنه لخلاف مزعوم بينهما.

فكيف ذلك وهو القائل رضي الله عنه مخاطباً علياً وفاطمة رضي الله عنهما: «والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت»(١).

وقال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُ إليّ من أن أصل من قرابتي»(٢).

وقال: «ارقبوا محمداً في أهل بيته»(٣).

ولشدة حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له وتدليلاً على عظمة الموالاة بينهما صاهره وتزوج ابنته عائشة رضي الله عنها ولها من العمر ست أو سبع سنوات، على خلاف في كتب التاريخ(٤).

وعائشة رضي الله عنها هي أم المؤمنين الصديقة المبرأة من فوق سبع سموات كما في سورة النور تكذيباً لأهل الإفك، وهي الغائبة الحاضرة في قلبه صلى الله عليه وآله وسلم، فعن علي رضي الله عنه قال:

---

(١) الانتصار للعاملي (٧/ ٣٤٠)، أحاديث فدك في مصادر الفريقين لمحمد حياة الأنصاري (ص ٣١).

(٢) سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (١١/ ٤٤٥)، أحاديث فدك في مصادر الفريقين للأنصاري (ص ٨)، المسانيد لمحمد حياة الأنصاري (٢/ ١٢٣).

(٣) ذخائر العقبى للطبري (ص ١٨)، مناقب أهل البيت للشيرواني (ص ١٧٣)، شرح إحقاق الحق للمرعشي (١٨/ ٥١٣، ٥٤٢، ٢٦/ ٢٢٣ الحاشية، ٣٣/ ١٤٦، ١٤٧)، الانتصار للعاملي (٢/ ٢٢١)، العقائد الإسلامية (١/ ٢٩٢)، علي إمامنا وأبو بكر إمامكم للرضوي (ص ٢٣٢).

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (١/ ١٧٣)، إعلام الورى (٨٦)، بحار الأنوار للمجلسي (١٩/ ٢٣، ٢٢/ ١٩١، ٢٠٢، ٢٣٥)، المنتقى في مولود المصطفى، حوادث السنة العاشرة.

(دخلت السوق فابتعت لحماً بدرهم وذرة بدرهم، فأتيت بهما فاطمة، حتى إذا فرغت من الخبز والطبخ قالت: لو أتيت أبي فدعوته، فخرجت وهو مضطجع يقول: أعوذ بالله من الجوع ضجيعاً. فقلت: يا رسول الله! عندنا طعام، فاتكأ علي ومضينا نحو فاطمة، فلما دخلنا قال: هلمي من طعامنا، ثم قال: اغرفي لعائشة فغرفت)(١).

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه سمع رجل يسب عائشة فقال: «اسكت مقبوحاً منبوحاً، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة»(٢).

وكان أزواجه ﷺ يعلمن شدة حبه لها رضي الله عنهن، فكن يهبن لياليهن لها كما فعلت سودة بنت زمعة بعد نزول آية التخيير(٣)، وآية التخيير هي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٢٨ - ٢٩].

ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يطلق عائشة رضي الله عنها، فدل ذلك على أنها معه في الدار الآخرة. فتدبر!!

وعن الصادق عليه السلام قال: «إنما خير رسول الله ﷺ لمكان عائشة، فاخترن الله ورسوله، ولم يكن لهن أن يخترن غير رسول الله ﷺ»(٤).

---

(١) قرب الإسناد للحميري (٢٣٥)، بحار الأنوار للمجلسي (١٧/ ٢٣٢، ١٨/ ٣٠)، شرح إحقاق الحق (٢٥/ ٣٥٥، ٣٢/ ٢٨١).

(٢) الغارات للثقفي (٢/ ٩٢٤).

(٣) إعلام الورى (١/ ٢٨٠)، مجمع البيان للطبرسي (٨/ ٣٦٦)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ١٨٢، ٢٠٥).

(٤) الكافي للكليني (٦/ ١٣٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٢١٣)، الحدائق الناضرة (٢٥/ ٢٢٣)، جواهر الكلام للجواهري (٣٢/ ٧٠)، وسائل الشيعة (آل البيت) (٢٢/ ٩٢)، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي (٢٢/ ٩١).

وروى الصادق عن أبيه عن علي بن الحسين رحمهم الله قال: «حدثني أبي أن أبا ذر قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه إذ دعا بالسواك، فأرسل به إلى عائشة فقال: لتبلينه لي بريقك ففعلت، ثم أتي به فجعل يستاك به، ويقول بذلك: ريقي على ريقك»[(١)].

فلا غرابة إذاً أن سمَّى بعض الأئمة رحمهم الله بناتهم بعائشة، كالكاظم[(٢)]، والرضا[(٣)]، والهادي[(٤)] رحمهم الله؛ فتأمل هذا أيضاً!!

الكلام في الشبهات حول الصديق رضي الله عنه:

من هذه الشبهات آية الغار:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (قد زعم البعض أن قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] لا يدل على إيمان أبي بكر، فإن الصحبة قد تكون من المؤمن والكافر كما قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ

---

(١) مستدرك الوسائل للحر العاملي (١٦/ ٤٣٤) الجعفريات (٢١٢).

(٢) الإرشاد (٣٢٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٨/ ٢٨٧، ٣٠٣، ٣٢٠)، إعلام الورى (٣٠١)، الأنوار النعمانية (١/ ٣٨٠)، الفوائد الرجالية (١/ ٤٢٤)، الفصول المهمة لابن الصباغ (٢/ ٩٦١)، شرح إحقاق الحق (٣٣/ ٨٣٢).

(٣) كشف الغمة للأربلي (٣/ ١١٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٩/ ٢٢٢)، الإمامة وأهل البيت لمحمد مهران (٣/ ١٦٥)، شرح إحقاق الحق للمرعشي (٢٨/ ٦٨٣)، مسند الإمام الرضا للعطاردي (١/ ١٤٠)، موسوعة الإمام الجواد (١/ ٥٢).

(٤) إعلام الورى (٣٤٩)، الإرشاد (٣١٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٥٠/ ٢٣١)، أعيان الشيعة (٢/ ٣٦)، إحقاق الحق للتستري (١٩/ ٦٢٣)، دلائل الإمامة للطبري (٤١٠).

مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الكهف:٣٢-٣٥] إلى قوله: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [الكهف:٣٧] الآية.

فيقال: معلوم أن لفظ الصاحب في اللغة يتناول من صحب غيره ليس فيه دلالة بمجرد هذا اللفظ على أنه وليه أو عدوه أو مؤمن أو كافر إلا لما يقترن به وقد قال تعالى: ﴿ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ﴾ [النساء:٣٦] وهو يتناول الرفيق في السفر والزوجة، وليس فيه دلالة على إيمان أو كفر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [النجم:١-٢] وقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التكوير:٢٢] المراد به محمد ﷺ لكونه صحب البشر فإنه إذا كان قد صحبهم كان بينه وبينهم من المشاركة ما يمكنهم أن ينقلوا عنه ما جاءه من الوحي وما يسمعون به كلامه ويفقهون معانيه بخلاف الملك الذي لم يصحبهم فإنه لا يمكنهم الأخذ عنه، وأيضاً قد تضمن ذلك أنه بشر من جنسهم وأخص من ذلك أنه عربي بلسانهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة:١٢٨] وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم:٤] فإنه إذا كان قد صحبهم كان قد تعلم لسانهم وأمكنه أن يخاطبهم بلسانهم فيرسل رسولاً بلسانهم ليتفقهوا عنه.

فكان ذكر صحبته لهم هنا على اللطف بهم والإحسان إليهم، وهذا بخلاف إضافة الصحبة إليه كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] وقول النبي ﷺ: {لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد

أحدهم ولا نصيفه}[1] وقوله: {هل أنتم تاركو لي صاحبي}[2] وأمثال ذلك. فإن إضافة الصحبة إليه في خطابه وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاة له، وذلك لا يكون إلا بالإيمان به فلا يطلق لفظ صاحبه على من صحبه في سفره وهو كافر به. والقرآن يقول فيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه، وهذا المعية تتضمن النصر والتأييد وهو إنما ينصره على عدوه وكل كافر عدوه، فيمتنع أن يكون الله مؤيداً له ولعدوه معاً ولو كان مع عدوه لكان ذلك مما يوجب الحزن ويزيل السكينة فعلم أن لفظ صاحبه تضمن صحبة ولاية ومحبة وتستلزم الإيمان له وبه، وأيضاً فقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ دليل على أنه وليه وإنه حزن خوفاً من عدوهما فقال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ولو كان عدوه لكان لم يحزن إلا حيث يتمكن من قهره فلا يقال له: لا تحزن إن الله معنا لأن كون الله مع نبيه مما يسر النبي، وكونه مع عدوه مما يسوءه فيمتنع أن يجمع بينهما لا سيما مع قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ثم قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠]، ونصره لا يكون بأن يقترن به عدوه وحده وإنما يكون باقتران وليه ونجاته من عدوه، فكيف لا ينصر على الذين كفروا من يكونون قد لزموه ولم يفارقوه ليلاً ولا نهاراً وهم معه في سفره.

وقوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ حال من الضمير في أخرجه، أي: أخرجوه في حال كونه نبيا ثاني اثنين فهو موصوف بأنه أحد الاثنين فيكون الاثنان مخرجين جميعا، فإنه يمتنع أن يخرج ثاني اثنين إلا مع الآخر فإنه لو أخرج دونه لم يكن قد أخرج ثاني اثنين فدل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٦١).

على أن الكفار أخرجوه ثاني اثنين، فأخرجوه مصاحبا لقرينه في حال كونه معه فلزم أن يكونوا أخرجوهما وذلك هو الواقع فإن الكفار أخرجوا المهاجرين كلهم كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر:٨] وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٣٩-٤٠] وقال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ﴾ [الممتحنة:٩] وذلك أنهم منعوهم أن يقيموا بمكة مع الإيمان وهم لا يمكنهم ترك الإيمان فقد أخرجوهم إذا كانوا مؤمنين، وهذا يدل على أن الكفار أخرجوا صاحبه كما أخرجوه، والكفار إنما أخرجوا أعداءهم لا من كان كافراً منهم.

فهذا يدل على أن صحبته صحبة موالاة وموافقة على الإيمان لا صحبة مع الكفر.

وإذا قيل: هذا يدل على أنه كان مظهراً للموافقة وقد كان يظهر الموافقة له من كان في الباطن منافقاً وقد يدخلون في لفظ الأصحاب في مثل قوله لما استؤذن في قتل بعض المنافقين قال: {لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه}[1] فدل على أن هذا اللفظ قد كان الناس يدخلون فيه من هو منافق. قيل: قد ذكرنا فيما تقدم أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق، وينبغي أن يعرف أن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلى المؤمنين وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن وغير ذلك وإن كان النبي ﷺ لا يعرف كلاً منهم بعينه فالذين باشروا ذلك كانوا يعرفونه، والعلم يكون الرجل مؤمناً في الباطن أو يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً أمر لا يخفى مع طول المباشرة، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

---

(١) سبق تخريجه.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾[محمد:٣٠] وقال ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠] فالمضمر للكفر لا بد أن يعرف في لحن القول، وأما بالسيما فقد يعرف وقد لا يعرف، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:١٠].

والصحابة المذكورون في الرواية عن النبي ﷺ والذين يعظمهم المسلمون على الدين كلهم كانوا مؤمنين به، ولم يعظم المسلمون ولله الحمد على الدين منافقاً، والإيمان يعلم من الرجل كما يعلم سائر أحوال قلبه من موالاته ومعاداته وفرحه وغضبه وجوعه وعطشه وغير ذلك فإن هذه الأمور لها لوازم ظاهرة، والأمور الظاهرة تستلزم أموراً باطنة، وهذا أمر يعرفه الناس فيمن جربوه وامتحنوه، ونحن نعلم بالاضطرار أن ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبا سعيد الخدري وجابراً أو نحوهم كانوا مؤمنين بالرسول محبين له معظمين له ليسوا منافقين، فكيف لا يعلم ذلك في مثل الخلفاء الراشدين الذين أخبارهم وإيمانهم ومحبتهم ونصرهم لرسول الله ﷺ قد طبقت البلاد مشارقها ومغاربها.

فهذا مما ينبغي أن يعرف، ولا يجعل وجود قوم منافقين موجباً للشك في إيمان هؤلاء الذين لهم في الأمة لسان صدق، بل نحن نعلم بالضرورة إيمان سعيد بن المسيب والحسن وعلقمة والأسود ومالك والشافعي وأحمد والفضيل والجنيد ومن هو دون هؤلاء فكيف لا يعلم إيمان الصحابة ونحن نعلم إيمان كثير ممن باشرناه من الأصحاب.

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين أن العلم بصدق الصادق في أخباره إذا كان دعوى نبوة أو غير ذلك وكذب الكاذب مما يعلم بالاضطرار في

مواضع كثيرة بأسباب كثيرة وإظهار الإسلام من هذا الباب فإن الإنسان إما صادق وإما كاذب.

فهذا يقال أولاً، ويقال ثانياً وهو ما ذكره أحمد وغيره ولا أعلم بين العلماء فيه نزاعاً: أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق أصلاً؛ وذلك لأن المهاجرين إنما هاجروا باختيارهم لما آذاهم الكفار على الإيمان وهم بمكة لم يكن يؤمن أحدهم إلا باختياره بل مع احتمال الأذى فلم يكن أحد يحتاج أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر لا سيما إذا هاجر إلى دار يكون فيها سلطان الرسول عليه، ولكن لما ظهر الإسلام في قبائل الأنصار صار بعض من لم يؤمن بقلبه يحتاج إلى أن يظهر موافقة قومه؛ لأن المؤمنين صار لهم سلطان وعز ومنعة وصار معهم السيف يقتلون من كفر. ويقال ثالثاً: عامة عقلاء بني آدم إذا عاشر أحدهم الآخر مدة يتبين له صداقته من عداوته، فالرسول يصحب أبا بكر بمكة بضع عشرة سنة ولا يتبين له هل هو صديقه أو عدوه وهو يجتمع معه في دار الخوف وهل هذا إلا قدح في الرسول.

ثم يقال: جميع الناس كانوا يعرفون أنه أعظم أوليائه من حين المبعث إلى الموت، فإنه أول من آمن به من الرجال الأحرار ودعا غيره إلى الإيمان به حتى آمنوا، وبذل أمواله في تخليص من كان آمن به من المستضعفين مثل بلال وغيره، وكان يخرج معه إلى الموسم فيدعو القبائل إلى الإيمان به، ويأتي النبي ﷺ كل يوم إلى بيته إما غدوة وإما عشية وقد آذاه الكفار على إيمانه حتى خرج من مكة فلقيه ابن الدغنة أمير من أمراء العرب سيد القارة وقال: إلى أين، وحديثه مما لا يخفى، فهل يشك من له أدنى مسكة من عقل أن مثل هذا لا يفعله إلا من هو في غاية الموالاة والمحبة للرسول ولما جاء به وأن موالاته ومحبته بلغت به إلى أن يعادي قومه ويصبر على أذاهم وينفق أمواله على من يحتاج إليه من إخوانه المؤمنين، وكثير من الناس يكون موالياً لغيره لكن لا يدخل

معه في المحن والشدائد ومعاداة الناس وإظهار موافقته على ما يعاديه الناس عليه، فأما إذا أظهر اتباعه وموافقته على ما يعاديه عليه جمهور الناس، وقد صبر على أذى المعادين وبذل الأموال في موافقته من غير أن يكون هناك داع يدعو إلى ذلك من الدنيا؛ لأنه لم يحصل له بموافقته في مكة شيء من الدنيا لا مال ولا رياسة ولا غير ذلك بل لم يحصل له من الدنيا إلا ما هو أذى ومحنة وبلاء، والإنسان قد يظهر موافقته للغير إما لغرض يناله منه أو لغرض آخر يناله بذلك مثل أن يقصد قتله أو الأحتيال عليه، وهذا كله كان منتفياً بمكة فإن الذين كانوا يقصدون أذى النبي ﷺ كانوا من أعظم الناس عداوة لأبي بكر لما آمن بالنبي ﷺ ولم يكن بهم اتصال يدعو إلى ذلك ألبتة، ولم يكونوا يحتاجون في مثل ذلك إلى أبي بكر بل كانوا أقدر على ذلك، ولم يكن يحصل للنبي ﷺ أذى قط من أبي بكر مع خلوته به واجتماعه به ليلاً ونهاراً وتمكنه مما يريد المخادع من إطعام سم أو قتل أو غير ذلك، وأيضاً فكان حفظ الله لرسوله وحمايته له يوجب أن يطلعه على ضميره السوء لو كان مضمراً له سوءاً وهو قد أطلعه الله على ما في نفس أبي عزة لما جاء مظهراً للإيمان بنية الفتك به وكان ذلك في قعدة واحدة، وكذلك أطلعه على ما في نفس الحجبي يوم حنين لما انهزم المسلمون وهم بالسوأة، وأطلعه على ما في نفس عمير بن وهب لما جاء من مكة مظهرا للإسلام يريد الفتك به، وأطلعه الله على المنافقين في غزوة تبوك لما أرادوا أن يحلوا حزام ناقته وأبو بكر معه دائماً ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً في خلوته وظهوره، ويوم بدر يكون معه وحده في العريش ويكون في قلبه ضمير سوء، والنبي ﷺ لا يعلم ضمير ذلك قط وأدنى من له نوع فطنة يعلم ذلك في أقل من هذا الاجتماع، فهل يظن ذلك بالنبي ﷺ وصديقه إلا من هو مع فرط جهله وكمال نقص عقله من أعظم الناس تنقصاً للرسول وطعناً فيه وقدحاً في معرفته، فإن كان هذا الجاهل مع ذلك محباً للرسول فهو كما قيل: عدو عاقل خير من

صديق جاهل)[١].

ومن الردود أيضاً أن القول: ما علاقة قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [التوبة:٤٠]، فلا دليل فيها على مدعى القائل! إذ كيف يثبت أن حزنه كان لله أم لنفسه أم لخوف على حياته أم على مصلحة معينة.

وقولك: أن الحزن كان لنفسه أو خوفاً على حياته فأقول لك: لو كان هو يحزن على حياته ومصلحته أكثر من حزنه للدين لما هاجر مع الرسول ﷺ أصلاً، ولما عادى قومه حتى أخرجوه من قبل من مكة وأرجعه ابن الدغنة، ولو كان حزنه على ماله أكثر من الدين لما اشترى من أسلم من العبيد وأعتقهم كبلال. ولو لم يكن حزن أبي بكر على الدين لما كان الله معه ومع رسوله معية تأييد ونصر؛ لأن هذا لا يكون إلا لمن صلح قلبه، وهذه شهادة الله لصلاح قلب الصديق؛ لأن الله قال لموسى وهارون لما خافا من فرعون وجنوده: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٥-٤٦] والله لا يكون مع أعدائه وإنما مع أوليائه. فالرسول ﷺ لم يقل لأبي بكر: لا تحزن إن الله معي وإنما قال: إن الله معنا. هل أنتم أعلم من الله بقلوب عباده؟!

وزعموا أيضاً أنه لم ينزل الله السكينة على أبي بكر وخص السكينة رسوله دون صاحبه، إذ قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة:٤٠] ولم يقل: عليهما، فلو كان له فضل لكانت هذه.

فأقول: يا سبحان الله!!! ومن قال: إن قوله تعالى: (عليه) تعود على الرسول ﷺ؟! بل تعود على الصديق بقرينة واضحة لمن له قلب سليم. فالرسول ﷺ لم تزل

---

(١) منهاج السنة (٨/ ٤٧٠-٤٧٩).

السكينة معه والسكينة كانت عليه. فعلمنا أنها نزلت على الذي يحتاج إليها وهو أبو بكر صديق هذه الأمة رضي الله عنه.

أما قول الطاعنين: نحن لا ننكر أنه كان من المؤمنين، ولكن نقول: إن هذه الآية ليس فيها فضيلة له.

فأقول: يقول الله: أنه معه ومع رسوله، وفي الآية إثبات معية الله الخاصة ونصرته لهما، وسماه الله صاحبه على وجه الثناء والمدح، بل ذكره له في كتابه يقرأها المسلمون آناء الليل وأطراف النهار هي أعظم فضيلة، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

أما قول الطاعنين: إن الرسول ﷺ عندما صحب أبا بكر معه كان بدافع الخوف على الدين والنفس لأن الرسول يعلم أن أبا بكر سوف يبيح بسر الهجرة ويدل كفار قريش ويعرفهم بطريق النبي فلذا اصطحبه معه حفاظاً للدين والرسالة الإسلامية من خيانة أبي بكر!

فأقول: إن أبا بكر لم يأته الرسول ﷺ بسلاسل يسحبه معه، وإنما ذهب مع النبي ﷺ طواعية طمعاً في الأجر والثواب. فأبو بكر كان يستطيع أن يعتذر عن الهجرة بأي حجة من الحجج. وليس من المعقول أن يعادي أبو بكر قومه بسبب أن آمن بالرسول ثم هو يدل الكفار عليه. وليس من المعقول أن يشتري أبو بكر العبيد الذين أسلموا ويعتقهم ليقوي هذا الدين ثم بعد ذلك يخون الذي أتى الدين من طريقه. فأين العقول؟

والرد على القول أن الحزن هنا إما طاعة أو معصية، فإن كان طاعة لم يكن للنبي ﷺ أن يمنعه وإن كان معصية فتستحق النهي فلا فضيلة له فيها، ولا قرينة على كونه طاعة، ولا يقاس حزن النبي ﷺ بحزن أبي بكر ليقال أن النبي ﷺ كان يقول: لا

تحزن لإيناسه كما قال الله لنبيه، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس:٦٥] وغيرها لأن النبي ﷺ إنما كان يحزن من أجل ما يراه من العوائق أمام دعوته والموانع التي تعترض طريق انتشار الدين.

فأقول: والله هذا من أعجب ما سمعت في التفريق بين الأمرين؛ لأنه إن كان النبي ﷺ يحزن من أجل ما يراه من العوائق أمام دعوته فكذلك أبو بكر هذا الذي أحزنه، وهذا تقسيم وتفريق عجيب كأن الطاعنون يعلمون ما في قلب أبي بكر ما لم يعلمه الرسول وهو معه وهم لم يروه أصلاً فمن أين لكم القدرة على علم الغيب الذي اختص الله به؟!؟ ثم إنه لو كان حزن أبي بكر حزن معصية لنصحه الذي لا ينطق عن الهوى لأنه لا يقر المنكر ولما قال له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] ولقال: إن الله معي لأن الرسول ﷺ لا يقول بأن الله مع أعدائه أبدا قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] ولم يدخل فرعون في معية الله لأنه من أعدائه. ولذلك عاتب الله جميع الخلق في نبيه إلا أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠] فالخطاب والعتاب في قوله ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ لا يدخل فيه أبو بكر لأنه قال بعدها: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ وكذلك لا يدخل أبو بكر في قوله: ﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لأنه معه وليس مع الكفار في مكة. فعلم من هذا أن الصديق نصير مؤمن بالرسول ﷺ وكذلك له فضيلة أن الله استثناه من العتاب.

أما قول الطاعنين: أن السكينة إنما نزلت على رسول الله ﷺ، وأما قول أهل السنة أن النبي ﷺ لا يحتاج إلى السكينة يعني أنه لا تنزل عليه سكينة أصلاً إذ هو غير محتاجها؟ فما هو ردك على وجود آيات إنزال السكينة على الرسول ﷺ كقوله تعالى:

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦]، فهذه السكينة نزلت على الاسم دون الضمير، فهل كان محتاجاً إلى سكينة لينزلها الله عليه.

وزعموا أيضاً أن قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠] إن كان أبو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود وفي هذا الادعاء إخراج للنبي ﷺ من النبوة!

على أن الله تعالى أنزل السكينة على النبي ﷺ في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها فقال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦] وقال: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٢٦] ولما كان الله تعالى خص نبيه في هذا الموضع بالسكينة فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين فدل إخراجه من إنزال السكينة عليه على خروجه من الإيمان!!!

فأقول: بما أنك تشترط إنزال السكينة على الرسول والمؤمنين في اجتماعهم فقط فماذا ستفعلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح:١].... ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٤] فهنا لماذا لم يذكر إنزال السكينة على الرسول؟! وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:١٨] فهنا لماذا لم يذكر إنزال السكينة على الرسول ﷺ؟! فهل ستخرجون الرسول ﷺ من الإيمان لأن الله لم ينزل عليه السكينة؟!

ومن الشبهات الأخرى على تفنن البعض في صرف هذه الفضيلة عن الصديق رضي الله عنه **قولهم**: (إن الله تعالى ذكر النبي ﷺ وجعل أبا بكر معه ثانيه، فهو إخبار عن

العدد، ولعمري لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل؟! فنحن نعلم ضرورة أن مؤمناً ومؤمناً، أو مؤمناً وكافراً، اثنان فما أرى لكم في ذلك العدد طائلاً تعتمدونه).

أقول: قد علمنا أن الله سبحانه وصف الكثرة ونسبها إلى الكفر أو اتباع الهوى، وقد علمنا أنه وصف القلة ونسبها إلى الإيمان والشواهد كثيرة ولكن قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ [التوبة:٤٠] ليس إخبار عن العدد كما يقوله الطاعنون بل لبيان انفصال الكفر والإيمان لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثم ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ فالكفر في كفة والإيمان في كفة أخرى وفي الحديث: حدثنا عفان قال: حدثنا همام قال: أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: {لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما}[1] فإن كان الله سبحانه ثالثهما ولم يكن هذا فضل فلعمري ما عساه يكون؟!!!

ويقول الطاعنون: (إنه وصفهما بالاجتماع في المكان، فإنه كالأول لأن المكان يجمع الكافر والمؤمن كما يجمع العدد المؤمنين والكفار، وأيضاً: فإن مسجد النبي ﷺ أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج:٣٦-٣٧]، وأيضاً: فإن سفينة نوح عليه السلام قد جمعت النبي، والشيطان، والبهيمة، والكلب، والمكان لا يدل على ما أوجبت من الفضيلة، فبطل الفضل!!!).

فأقول: بعد ذكر أنواع الاجتماع.. هل اجتمع رسول الله مع أبي بكر الصديق في الغار بصفته مؤمن مع كافر أم مؤمن مع مؤمن أم مؤمن مع منافق أم رسول مع

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٦٣)، ومسلم برقم (٢٣٨١).

بهيمة؟!! وهل يطبق هذا الكلام في اجتماع رسول الله مع علي أو مع فاطمة أو مع الحسن أو الحسين؟!!!

شبهة أن الصديق رضي الله عنه لم يكن صاحب الغار وإنما رجل آخر:

ومن الشبهات قول بعض المعصرين: إن الذي كان في الغار مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإنما رجل آخر.

والجواب:

هذه بعض الروايات من طرق الإمامية في إثبات كون الصديق رضي الله عنه هو صاحب الغار، ففي إيرادها غنىً عن تفنيد هذه الشبهة.

قال ابن الكواء لأمير المؤمنين: أين كنت حيث ذكر الله تعالى نبيه وأبا بكر فقال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ويلك يا ابن الكواء كنت على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم»(١).

وقال المفيد: (أما خروج أبي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم فغير مدفوع، وكونه في الغار معه غير مجحود، واستحقاق اسم الصحبة معروف)(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] أي: إن لم تنصروا النبي صلى الله عليه وسلم على قتال العدو فقد فعل الله به النصر ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة:٤٠]

---

(١) خصائص الأئمة للشريف الرضي (ص ٥٨)، الخرائج والجرائح - قطب الدين الراوندي (١ - ص٢١٥، حلية الأبرار - السيد هاشم البحراني (١ / ١٦١)، مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني (١/ ٤٦١)، بحار الأنوار - العلامة المجلسي (١٩ / ٣٣، ٧٦) / ٤٣٠)، غاية المرام - السيد هاشم البحراني (٤ / ٢٣).

(٢) الإفصاح للمفيد (ص:١٨٥ – ١٨٦).

من مكة فخرج يريد المدينة ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة:٤٠] يعني: أنه كان هو وأبو بكر في الغار ليس معهما ثالث، وأراد به هنا غار ثور، وهو جبل بمكة ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة:٤٠] أي إذ يقول الرسول ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ [التوبة:٤٠] أي: لا تخف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة:٤٠] يريد أنه مطلع علينا، عالم بحالنا، فهو يحفظنا وينصرنا[1].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة:٤٠]
أي: إن تركتم نصرته فإن الله قد أوجب له النصرة، وجعله منصوراً حين لم يكن معه إلا رجل واحد، فلن يخذله من بعد ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أسند الإخراج إلى الكفار كما في قوله: ﴿مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ [محمد:١٣]، لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج عنهم، فكأنهم أخرجوه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أحد اثنين كقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة:٧٣]، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر[2].

﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ يعني: أنه كان هو وأبو بكر ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ ليس معهما ثالث أي: وهو أحد اثنين، ومعناه فقد نصره الله منفرداً من كل شيء، إلا من أبي بكر، والغار: الثقب العظيم في الجبل، وأراد به هنا (غار ثور) وهو جبل بمكة ﴿إِذۡ يَقُولُ

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي (١٩ / ٣٣).
(٢) تفسير جوامع الجامع – الشيخ الطبرسي (٢ / ٦٥ – ٦٦).

﴿لِصَاحِبِهِ﴾ أي: إذ يقول الرسول لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ أي: لا تخف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يريد أنه مطلع علينا، عالم بحالنا، فهو يحفظنا وينصرنا[١].

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ وهو أبو بكر[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾... والمراد بصاحبه هو أبو بكر للنقل القطعي[٣].

ثم تقول: كان ذلك في حال هو ثاني اثنين. وهذا التعبير إشارة إلى أنه لم يكن معه في هذا السفر الشاق إلا رجل واحد، وهو أبو بكر[٤].

عن بريدة الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة قال فجاء أبو بكر، فقيل له: يا أبا بكر أنت الصديق وأنت ثاني اثنين إذ هما في الغار، فلو سألت رسول الله ﷺ من هؤلاء الثلاثة؟ قال: إني أخاف أن أساله فلا أكون منهم فتعيرني بذلك بنو تيم، قال: ثم جاء عمر، فقيل له: يا أبا حفص! إن رسول الله ﷺ قال: إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة وأنت الفاروق الذي ينطق الملك على لسانك فلو سألت رسول الله: من هؤلاء الثلاثة؟ فقال: اني أخاف أن أساله فلا أكون منهم فتعيرني بذلك بنو عدي. ثم جاء علي عليه السلام فقيل له: يا أبا الحسن! إن رسول الله ﷺ قال: إن الجنة مشتاق إلى ثلاثة فلو سألته من هؤلاء الثلاثة؟ فقال: أسأله إن كنت منهم

---

(١) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي (٥ / ٥٦ – ٥٨).

(٢) التفسير الأصفى – الفيض الكاشاني (١ / ٤٦٦ – ٤٦٧).

(٣) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي (٩ / ٢٧٩).

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (٦ / ٥٧ – ٥٨).

حمدت الله وان لم أكن منهم حمدت الله}[(١)].

مسألة فدك:

أرض فدك قرية في الحجاز كان يسكنها طائفة من اليهود، ولمّا فرغ الرسول عليه الصلاة والسلام من خيبر، قذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب، فصالحوا رسول الله ﷺ على فدك، فكانت ملكاً لرسول الله ﷺ لأنها مما لم يُوجف عليها بخيل ولا ركاب.

ورغم أنّ خلاف الخليفة أبي بكر مع السيدة فاطمة رضوان الله عليهما كان خلافاً سائغاً بين طرفين يظن كل منهما أن الحق معه، إلا أنّ حساسية البعض من شخص أبي بكر تجعله ينظر إلى الأمور بغير منظارها، ومن هنا يحصل الإشكال فيستغل الموقف في لمز وهمز الصديق رضي الله عنه.

ولو أننا استبدلنا شخصيات القصة (أبو بكر وفاطمة) بفقيهين مثلاً أو مرجعين من المراجع لكان لكل طرف منهما مكانته وقدره دون التشنيع عليه واتهام نيته، ولكانت النظرة إلى رأي الطرفين نظرة احترام وتقدير على اعتبار وجود نصوص وأدلة يستند إليها الطرفان في دعواهما، وإن كان الأرجح قول أحدهما. لكن أمام (أبي بكر) و(فاطمة) الأمر يختلف، فأبو بكر عدو عند البعض، وما دام عدواً فكل الشر فيه وكل الخطأ في رأيه، هكذا توزن الأمور!!! توزن بميزان العاطفة التي لا تصلح للقضاء بين متنازعين فكيف بدراسة أحداث تاريخية ودراسة تأصيلها الشرعي!!!

لكن المنصف الذي لا ينقاد إلى عاطفته، بل ينقاد إلى الحق حيث كان، يقف وقفة تأمل لذاك الخلاف ليضع النقاط على الحروف، فأرض فدك هذه لا تخلو من أمرين:

---

(١) اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي (١ / ١٢٩ - ١٣٧)، معجم رجال الحديث - السيد الخوئي (١٣ / ٢٨٤ - ٢٨٥)

إما أنها إرث من النبي ﷺ لفاطمة رضوان الله عليها أو هي هبة وهبها رسول الله لها يوم خيبر لفاطمة رضي الله عنها.

فأما كونها إرثاً فبيان ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أنه بعد وفاة النبي ﷺ جاءت فاطمة رضوان الله عليها لأبي بكر الصدّيق تطلب منه إرثها من النبي عليه الصلاة والسلام في فدك وسهم النبي ﷺ من خيبر وغيرهما. فقال أبو بكر الصدّيق: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إنّا لا نورّث، ما تركناه صدقة}(١) وفي رواية عند أحمد {إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث}(٢)، فوجدت فاطمة على أبي بكر بينما استدلت رضوان الله عليها بعموم قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء:١١].

ولنتجرد قليلاً ها هنا ولننسى أنّ المطالب بالإرث امرأة نحبها ونجلها لأنها بنت نبينا وأنّ لها من المكانة في نفوسنا وعند الله عز وجل ما لها، ولنقل: كلام محمد عليه الصلاة والسلام فوق كلام كل أحد، فإذا صح حديث كهذا عن رسول الله فلا بد أن نقبله ونرفض ما سواه، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نلوم أبا بكر على التزامه بحديث رسول الله وتطبيقه إياه بحذافيره؟!!

لقد صح حديث {إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث} عند الفريقين السنة والشيعة، فلماذا يُستنكر على أبي بكر استشهاده بحديث صحيح، ويُتهم بالمقابل باختلاقه الحديث كي يغصب حق فاطمة رضي الله عنها في فدك؟!!

أما صحته عند أهل السنة فهو أظهر من أن تحتاج إلى بيان، وأما صحته عند

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧١٢)، ومسلم برقم (١٧٥٧).

(٢) مسند أحمد برقم (٩٩٧٣).

الشيعة فإليك بيانه:

روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم {...وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر}(١).

قال عنه المجلسي: (الحديث الأول «أي الذي بين يدينا» له سندان؛ الأول مجهول والثاني حسن أو موثق لا يقصران عن الصحيح) فالحديث إذاً موثق في أحد أسانيده ويُحتج به، فلماذا يتغاضى عنه علماء الشيعة رغم شهرته عندهم(٢)!!

والعجيب أن يبلغ الحديث مقدار الصحة عند الإمامية حتى يستشهد به الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية على جواز ولاية الفقيه فيقول تحت عنوان (صحيحة القداح): (روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن القداح «عبد الله بن ميمون» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة ... وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر} ويعلق على الحديث بقوله: (رجال الحديث كلهم ثقات، حتى أنّ والد علي بن إبراهيم «إبراهيم بن هاشم» من كبار الثقات «المعتمدين في نقل الحديث» فضلاً عن كونه ثقة)(٣).

وأما الاستدلال بقول الله تبارك وتعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٥-٦] على جواز توريث الأنبياء لأبنائهم

(١) الكافي (١/ ٣٤).

(٢) مرآة العقول (١/ ١١١).

(٣) الحكومة الإسلامية للخميني (ص: ٩٣).

استدلال غريب يفتقد إلى المنطق في جميع حيثياته، وذلك لعدة أمور هي:

أولاً: لا يليق برجل صالح أن يسأل الله تبارك وتعالى ولداً لكي يرث ماله فكيف نرضى أن ننسب ذلك لنبي كريم كزكريا عليه السلام في أن يسأل الله ولداً لكي يرث ماله، وإنها يسأل الصالحون ما ينتفعون به كالذرية الصالحة التي يرجون نفعها يوم القيامة، فأراد زكريا عليه السلام من الله عز وجل أن يهب له ولداً يحمل راية النبوة من بعده، ويرث مجد آل يعقوب العريق في النبوة.

ثانياً: المشهور أنّ زكريا عليه السلام كان فقيراً يعمل نجاراً، فأي مال كان عنده حتى يطلب من الله تبارك وتعالى أن يرزقه وارثاً، بل الأصل في أنبياء الله تبارك وتعالى أنهم لا يدخرون من المال فوق حاجتهم بل يتصدقون به في وجوه الخير.

ثالثاً: إنّ لفظ (الإرث) ليس محصور الاستخدام في المال فحسب بل يستخدم في العلم والنبوة والملك وغير ذلك كما يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢] وقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠-١١] فلا دلالة في الآية السابقة على إرث المال.

رابعاً: حديث {إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم} الذي ذكرناه آنفاً يتضمن نفي صريح لجواز إرث أموال الأنبياء، وهذا كاف بحد ذاته.

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل:١٦] فإنّ سليمان عليه السلام لم يرث من داود عليه السلام المال، وإنها ورث النبوة والحكمة والعلم لأمرين اثنين:

الأول: أنّ داود عليه السلام قد اشتُهر أنّ له مائة زوجة وله ثلاثمائة سريّة أي أمة، وله كثير من الأولاد فكيف لا يرثه إلا سليمان عليه السلام؟!! فتخصيص سليمان عليه السلام حينئذ بالذكر وحده ليس بسديد.

الثاني: لو كان الأمر إرثاً مالياً لما كان لذكره فائدة في كتاب الله تبارك وتعالى، إذ أنّه من الطبيعي أنّ يرث الولد والده، والوراثة المالية ليست صفة مدح أصلاً لا لداود ولا لسليمان عليهما السلام، فإنّ اليهودي أو النصراني يرث ابنه ماله فأي اختصاص لسليمان عليه السلام في وراثة مال أبيه!!، والآية سيقت في بيان المدح لسليمان عليه السلام وما خصه الله به من الفضل، وإرث المال هو من الأمور العادية المشتركة بين الناس كالأكل والشرب ودفن الميت، ومثل هذا لا يُقص عن الأنبياء، إذ لا فائدة فيه، وإنما يُقص ما فيه عبرة وفائدة تُستفاد وإلا فقول القائل: (مات فلان وورث فلان ابنه ماله) مثل قوله عن الميت: (ودفنوه) ومثل قوله: (أكلوا وشربوا وناموا) ونحو ذلك مما لا يحسن أن يُجعل من قصص القرآن.

وأعجب من هذا كله حقيقة تخفى على الكثيرين وهي أنّ المرأة لا ترث في مذهب الإمامية من العقار والأرض شيئاً، فكيف يستجيز الشيعة الإمامية وراثة السيدة فاطمة رضوان الله عليها لفدك وهم لا يُورّثون المرأة العقار ولا الأرض في مذهبهم؟!!

فقد بوّب الكليني باباً مستقلاً في الكافي بعنوان (إنّ النساء لا يرثن من العقار شيئاً) روى فيه عن أبي جعفر قوله: «النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئاً»(١).

ورووا عن ميسر قوله: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النساء ما لهن من الميراث؟ فقال: لهن قيمة الطوب والبناء والخشب والقصب فأما الأرض والعقار فلا ميراث لهن فيهما»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) بحار الأنوار (١٠١/ ٣٥١)، الانتصار للعاملي (٧/ ٢٨٧).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئاً»، وعن عبد الملك بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: «ليس للنساء من الدور والعقار شيئاً»(١).

كما أنّ فدك لو كانت إرثاً من النبي ﷺ لكان لنساء النبي ومنهن عائشة بنت أبي بكر وزينب وأم كلثوم بنات النبي حصة منها، لكن أبا بكر لم يعط ابنته عائشة ولا أحد من نساء النبي ولا بناته شيئاً استناداً للحديث، فلماذا لا يُذكر هؤلاء كطرف في قضية فدك بينما يتم التركيز على السيدة فاطمة وحدها؟!!

هذا على فرض أنّ فدك كانت إرثاً من رسول الله ﷺ، أما إذا كانت فدك هبة وهدية من رسول الله ﷺ لفاطمة رضوان الله عليها كما يروي ذلك الكاشاني في تفسيره(٢)، فالأمر يحتاج إلى وقفة أخرى أيضاً.

فعلى فرض صحة الرواية التي تناقضها روايات السنة والشيعة وهي مطالبة السيدة فاطمة رضوان الله عليها لفدك كإرث لا كهبة من أبيها، فإننا لا يمكن أن نقبلها لاعتبار آخر وهو نظرية العدل بين الأبناء التي نص عليها الإسلام. فإنّ بشير بن سعد لمّا جاء رسول الله ﷺ فقال: {يا رسول الله، إني قد وهبت ابني حديقة وأريد أن أُشهدك، فقال النبي ﷺ: أكُلّ أولادك أعطيت؟ قال: لا، فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه: اذهب فإني لا أشهد على جور}(٣). فسمّى النبي ﷺ تفضيل الرجل بعض أولاده على بعض بشيء من العطاء جوراً، فكيف يُظن برسول الله ﷺ النبي المعصوم الذي لا يشهد على جور أن يفعل الجور (عياذاً بالله)؟!! هل يُظن به وهو

(١) الكافي للكليني (٧/ ١٢٩)، تهذيب الأحكام للطوسي (٩/ ٢٩٩).

(٢) تفسيره الصافي (٣/ ١٨٦).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٦٥٠)، ومسلم برقم (١٦٢٣).

أمين من في السماء أن يجور في أمانة أرضية دنيوية بأن يهب السيدة فاطمة فدك دون غيرها من بناته؟!! فكلنا يعرف أنّ خيبر كانت في السنة السابعة من الهجرة بينما توفيت زينب بنت رسول الله في الثامنة من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم في التاسعة من الهجرة، فكيف يُتصور أن يُعطي رسول الله فاطمة رضوان الله عليها ويدع أم كلثوم وزينباً؟!!

والثابت من الروايات أنّ فاطمة رضوان الله عليها لمّا طالبت أبا بكر بفدك كان طلبها ذاك على اعتبار وراثتها لفدك لا على أنها هبة من رسول الله ﷺ. ولذا فإنّ فدك لم تكن لا إرثاً ولا هبة، وهذا ما كان يراه الإمام علي نفسه إذ أنه لمّا استُخلف على المسلمين لم يعط فدك لأولاده بعد وفاة أمهم فاطمة بحيث يكون له الربع لوجود الفرع الوارث، وللحسن والحسين وزينب وأم كلثوم الباقي ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] وهذا معلوم في التاريخ، فلماذا يُشنع على أبي بكر في شيء فعله علي بن أبي طالب نفسه؟!! بل يروي السيد مرتضى (الملقب بعلم الهدى) في كتابه الشافي في الإمامة عن الإمام علي ما نصه (إنّ الأمر لمّا وصل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كُلّم في رد فدك، فقال: «إني لأستحيي من الله أن أرد شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر»[1].

ومن الردود على الاستدلال بقول الله عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] أنه ليس في عموم لفظ الآية ما يقتضي أن النبي ﷺ يورث فإن الله تعالى قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ

---

(١) الشافي في الإمامة (٤/ ٧٦).

فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ ﴾ [النساء:١١] وفي الآية الأخرى: ﴿۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ ﴾ [النساء:١٢] إلى قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ ﴾ [النساء:١٢] وهذا الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب أن النبي ﷺ مخاطب بها، وكاف الخطاب يتناول من قصده المخاطب، فإن لم يعلم أن المعيّن مقصود بالخطاب لم يشمله اللفظ، حتى ذهبت طائفة من الناس إلى أن الضمائر مطلقاً لا تقبل التخصيص فكيف بضمير المخاطب؟ فإنه لا يتناول إلا من قُصد بالخطاب دون من لم يُقصد، ولو قدّر أنه عام يقبل التخصيص، فإنه عام للمقصودين بالخطاب، وليس فيها ما يقتضي كون النبي ﷺ من المخاطبين بهذا. ولأنّ كاف الجماعة تأتي بالقرآن وتشمل بالخطاب النبي ﷺ والمؤمنين وتأتي دونه كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد:٣٣] وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ﴾ [آل عمران:٣١] فإن كاف الخطاب لم تشمل الرسول ﷺ بل تناولت المخاطبين بالسياق وهذه كقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [النساء:١١] فهي مثل الآيات السابقة، وكذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ فإن هذه الآية تشمل المخاطبين أيضاً دون النبي ﷺ الذي يحل له أن يتزوج أكثر من أربعة وبدون مهر، كما ثبت بالنصوص الصحيحة والتي لا تخفى على أحد.

وإن كان النبي ﷺ داخل في أصل الخطاب فإنه يخرج منه عن طريق التخصيص بالحديث {نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة}، كما يخرج من هذا العموم

عدم إرث الوالد ولده إن كان مخالفاً لدينه أو كان قاتلاً له أو كان رقيقاً للأحاديث المخصصة لهذا العموم.

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:١٦] **والقول أن كلاهما نبي فأقول:**

مجرّد ذكر كلمة الإرث لا يدل على أن المقصود به المال لأن هذه الكلمة تأتي لمعاني كثيرة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢] وكقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب:٢٧] وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥] فليست الوراثة تعني إرث المال فقط بل قد تأتي على معان أخرى، كما بينا ذلك آنفاً.

وأما قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٥-٦] إنه من المسلّم به أن هذا هو كلام زكريا وهو لا يرث من آل يعقوب مالاً بل يرثهم أولادهم وورثتهم، فلا يدل الإرث هنا على أنه إرث المال بالتأكيد، هذا بالإضافة إلى أنّ زكريا كان نجّاراً وليس ذو مالٍ وفير حتى يوّرثه ليحيى، إضافةً إلى أننا لو راجعنا بداية هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم:٥] لتبيّن لنا أنه لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات، فإن هذا ليس بمخوف وهذا غير لائق بنبي كريم، فمن هنا تبين لنا انه أراد بالوراثة وراثة العلم والنبوة.

وقد اعترف بهذا المعنى مفسرو الشيعة الاثني عشرية فصاحب التفسير المبين محمد جواد مغنية من كبار علمائهم المعاصرين يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ

سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ﴾ [النمل:١٦] قال: (في الملك والنبوة)[1].

ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي ﴾ [مريم:٥]: (الموالي: العمومة وبنو العم، ومن ورائي، خاف زكريا إذا ورثوه أن يسيئوا إلى الناس، ويفسدوا عليهم دينهم ودنياهم... ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾ [مريم:٥] وارثاً، ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ ﴾ [مريم:٦] قال: العلم والنبوة؟!)[2].

بالإضافة لتأكيد الكليني لهذه القضية عندما ساق الحديث الصحيح باعتراف الخميني، والذي يثبت أنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورثوا العلم؟!

فهل يوجد حق بهذا الوضوح والبيان؟!

ومن الردود أيضاً:

الوجه الأول: أن كتب الطاعنين متناقضة في نقل هذه الحادثة، فبعضها تذكر أن فاطمة طالبت لأن رسول الله ﷺ منحها إياها[3]، وبعضها تذكر أن فاطمة رضي الله عنها طالبت بإرثها[4] وهذا تناقض واضح يدل على الاضطراب والجهل بأصل هذه المسألة، وبالتالي سقوط ما بنوا عليها من أحكام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن ما ذكر من ادعاء فاطمة رضي الله عنها فدك فإن هذا يناقض كونها ميراثاً لها، فإن كان طلبها بطريق الإرث امتنع أن يكون بطريق الهبة، وإن كان بطريق الهبة امتنع أن يكون بطريق الإرث، ثم إن كانت هذه هبة في مرض

---

(١) التفسير المبين لمحمد جواد مغنية (ص: ٤٩٦) سورة النمل.

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٩٦) سورة مريم.

(٣) انظر: الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للنباطي (٢/ ٢٨٢)، وحق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبّر (١/ ١٧٨).

(٤) انظر: الاحتجاج للطبرسي (١/ ١٠٢).

الموت فرسول الله ﷺ منزه إن كان يُورث كما يُورث غيره أن يوصي لوارث، أو يخصه في مرض موته بأكثر من حقه، وإن كان في صحته فلابد أن تكون هذه هبة مقبوضة، وإلا فإذا وهب الواهب بكلامه، ولم يقبض الموهوب شيئاً حتى مات الواهب كان ذلك باطلاً عند جماهير العلماء، فكيف يهب النبي ﷺ فدكاً لفاطمة ولا يكون هذا أمراً معروفاً عند أهل بيته والمسلمين، حتى تختص بمعرفته أم أيمن أو علي رضي الله عنهما[(١)(٢)]

الوجه الثاني: أن الصحيح الثابت في هذه الحادثة أن فاطمة رضي الله عنها طالبت أبا بكر بميراثها من رسول الله ﷺ فاعتذر إليها من ذلك محتجاً بقول النبي ﷺ: {لا نورث، ما تركنا صدقة} على ما أخرج ذلك الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: {إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ، قال: لا نورث، ما تركنا صدقه، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت}[(٣)].

فقد كانت فاطمة رضي الله عنها مجتهدة في ذلك، اعتقدت أن الحق معها، ثم لما رأت من عزم الخليفة على رأيه أمسكت عن الكلام في المسألة، وما كان يسعها غير ذلك.

قال ابن حجر رحمه الله في توجيه اجتهادها: (وأما سبب غضبها [أي فاطمة] مع

---

(١) في هذا رد على زعمهم أن أم أيمن وعلياً - رضي الله عنهما - شهدا بمنح رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً. انظر: الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للنباطي (٢/ ٢٨٢).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٢٤٠- ٤٢٤١)، ومسلم برقم (١٧٥٩).

احتجاج أبي بكر بالحديث المذكور فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله: {لا نورث} ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه، وتمسك أبو بكر بالعموم، واختلفا في أمر محتمل للتأويل، فلما صمم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به لذلك)(١).

الوجه الثالث: أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي ﷺ لا يورث فيكون الحق في هذه المسألة مع أبي بكر رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (كون النبي ﷺ لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عموماً فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنياً فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر(٢) رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصرّ أحد من أزواجه على طلب الميراث ولا أصرّ العم على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئاً فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير من ذلك شيئاً، ولا قسم له تركة)(٣).

وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس قال: (وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل علي رضي الله عنه قال: أنا من أولاد علي

---

(١) فتح الباري (٦/ ٢٠٢).

(٢) يشير إلى الحديث الذي احتج به أبو بكر وهو قول النبي ﷺ: (لا نورث، ما تركنا صدقه)، وقد تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) منهاج السنة (٤/ ٢٢٠).

رضي الله عنه ، فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه ، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضي الله عنه ، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه..)[1].

وبتصويب أبي بكر رضي الله عنه في اجتهاده صرح بعض أولاد علي من فاطمة رضي الله عنهما على ما روى البيهقي بسنده عن فضيل بن مرزوق قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: «أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك»[2].

كما نقل القرطبي اتفاق أئمة أهل البيت بدأً بعلي رضي الله عنه ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله. قال القرطبي رحمه الله: (إن علياً لما ولي الخلافة لم يغيرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد الحسن بن علي، ثم بيد الحسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتمد الشيعة وأئمتهم، لم يُرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان

---

(١) تلبيس إبليس (ص:١٣٥).

(٢) السنن الكبرى (١٢٥٢٤)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).

ما يقوله الشيعة حقاً لأخذها علي أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها)(١).

فظهر بهذا إجماع الخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة، وأئمة أهل البيت ﭬ أجمعين، على أن رسول الله ﷺ لا يورث، وأن ما تركه صدقة، وعلى ذلك جرى عمل الخلفاء الراشدين وأئمة أهل البيت الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله ﷺ.

الوجه الرابع: أن النبي ﷺ إنما أراد بغضب فاطمة الذي يغضب له هو:أن تغضب بحق، وإلا فالرسول ﷺ لا يغضب لنفسه، ولأحد من أهل بيته بغير حق، بل ما كان ينتصر لنفسه ولو بحق مالم تنتهك محارم الله، كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة ﭬ قالت: {ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله}(٢).

وفاطمة ﭬ على جلالتها، وكمال دينها، وفضلها، هي مع ذلك ليست معصومة والصحابة كذلك ليسوا معصومين، بل قد كان يصدر منها بعض الأمور التي ما كان النبي ﷺ يقرها عليه، وقد تطلب من النبي ﷺ الشيء فلا يجيبها له: كسؤالها النبي ﷺ خادماً فلم يعطها وأرشدها وعلياً للتسبيح كما ثبت في حديث علي ﭬ في الصحيحين(٣).

وفي سنن أبي داود عن عمر بن عبد العزيز: {إن فاطمة سألت الرسول ﷺ أن يجعل لها فدكاً فأبى}(٤).

---

(١) المفهم للقرطبي (٣/ ٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٧٨٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري برقم (٣٧٠٥)، صحيح مسلم برقم (٢٧٢٧).

(٤) انظر: سنن أبي داود برقم (٢٩٧٢).

وثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن فاطمة جاءت لرسول الله ﷺ وقالت له: {إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لها رسول الله ﷺ: أي بنية ألست تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى، قال: فأحبي هذه..}(١).

فلم يجبها النبي ﷺ لشيء من ذلك، فدل على عدم موافقته لها في كل شيء، بل قد تفعل الأمر مجتهدة فتخطئ فلا يقرها عليه، وبالتالي فأن لا يغضب لغضبها من باب أولى في هذا الأمر الذي لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وطلبها ميراث رسول الله ﷺ من أبي بكر من جنس ذلك، فقد كانت رضي الله عنها مجتهدة وكان الحق في ذلك مع أبي بكر للنص الصريح في ذلك، ولموافقة الصحابة له في رأيه، فكان إجماعاً معتضداً بالنص كما تقدم، فأبو بكر في ذلك قائم بالحق متبع للنص مستمسك بعهد رسول الله ﷺ في هذه المسألة، فكيف يتصور أن يسخط بفعله هذا رسول الله، وهو إنما يعمل بشرعه، ويهتدي بهديه.

الوجه الخامس: أن قول النبي ﷺ: {فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني}، من نصوص الوعيد المطلق التي لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعنيين، إلا بعد وجود الشروط، وانتفاء الموانع(٢).

هذا مع أن ما في هذا الحديث من الوعيد لو كان لازماً لكل من أغضبها مطلقاً، لكان لازماً لعلي قبل أبي بكر، ولكان لحوقه بعلي أولى من لحوقه بأبي بكر، إذ أن مناسبة هذا الحديث هو خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل وشكوى فاطمة له على النبي ﷺ على ما روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة قال: {إن علياً خطب بنت أبي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٤٢).

(٢) انظر: تقرير هذه المسألة في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٣٧٢)، (٢٨/ ٥٠٠- ٥٠١).

جهل فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد أنكحت أبا العاص ابن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوؤها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة}(١).

وفي رواية: إن رسول الله ﷺ قال: {فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني}(٢).

فظهر أن مناسبة الحديث هي خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل وغضب فاطمة من ذلك، والنص العام يتناول محل السبب، وهو نص فيه باتفاق العلماء، حتى قالوا: لا يجوز إخراج السبب بدليل التخصيص، لأن دلالة العام على سببه قطعية وعلى غيره على وجه الظهور(٣) وعلى هذا فلو كان هذا الحديث متنزلاً على كل من أغضب فاطمة لكان أول الناس دخولاً في ذلك علياً رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن رده على في هذه المسألة وبعد أن ذكر الحديث: (فسبب الحديث خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل والسبب داخل في اللفظ قطعاً، إذ اللفظ الوارد على سبب لا يجوز إخراج سببه منه، بل السبب يجب دخوله بالاتفاق. وقد قال في الحديث: {يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها} ومعلوم قطعاً أن خطبة ابنة أبي جهل عليها رابها وآذاها، والنبي ﷺ رابه ذلك وآذاه، فإن كان هذا وعيد لاحقاً

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٢٩)، ومسلم برقم (٢٤٤٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧١٤).

(٣) انظر: المسودة في أصول الفقه للأئمة الثلاثة من آل تيمية: شيخ الإسلام وأبيه شهاب الدين وجده أبي البركات (ص:١١٩)، وتخريج الفروع على الأصول للزنجاني (ص:٣٦٠).

لزم أن يلحق هذا الوعيد علي بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيداً لاحقاً بفاعله، كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من علي)[١].

الوجه السادس: أن فاطمة رضي الله عنها كانت قد رجعت عن قولها في المطالبة بإرث رسول الله ﷺ، كما نص على ذلك غير واحد من الأئمة الحديث والسير.

قال القاضي عياض رحمه الله: (وفي ترك فاطمة منازعة أبي بكر بعد احتجاجه عليها بالحديث: التسليم للإجماع على القضية، وأنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل، تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك طلب ميراث، ثم ولي علي الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما)[٢].

وقال القرطبي رحمه الله: (فأما طلب فاطمة ميراثها من أبيها من أبي بكر فكان ذلك قبل أن تسمع الحديث الذي دل على خصوصية النبي ﷺ بذلك، وكانت متمسكة بما في كتاب الله من ذلك، فلما أخبرها أبو بكر بالحديث توقفت عن ذلك ولم تعد إليه)[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهذه الأحاديث الثابتة المعروفة عند أهل العلم، وفيها ما يبين أن فاطمة رضي الله عنها طلبت ميراثها من رسول الله ﷺ على ما كانت تعرف من المواريث، فأخبرت بما كان من رسول الله ﷺ فسلمت ورجعت)[٤].

وقال ابن كثير رحمه الله: (وقد روينا أن فاطمة رضي الله عنها احتجت أولاً بالقياس، وبالعموم في الآية الكريمة، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالمنع في حق النبي

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٢٥١).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/ ٧٣).

(٣) المفهم (٣/ ٥٦٣).

(٤) منهاج السنة (٤/ ٢٣٤).

ﷺ، وأنها سلمت له ما قال، وهذا هو المظنون بها رضي الله عنها)[١].

فظهر بهذا رجوع فاطمة رضي الله عنها إلى قول أبي بكر وما كان عليه عامة الصحابة، وأئمة أهل البيت من القول بعدم إرث رسول الله ﷺ، وهذا هو اللائق بمقامها في الدين والعلم رضي الله عنها.

الوجه السابع: أنه ثبت عن فاطمة رضي الله عنها أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: «لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت» [٢].

قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا إسناد جيد قوي، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي)[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله: (وهو وإن كان مرسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح، وبه يزول الإشكال في جواز تمادي فاطمة عليها السلام على هجر أبي بكر)[٤].

وقال أيضاً: (فإن ثبت حديث الشعبي أزال الإشكال وأخلق بالأمر أن يكون كذلك، لما علم من وفور عقلها ودينها عليها السلام).

وبهذا تندحض هذه المطاعن على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه،

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٢٥١٥).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).

(٤) فتح الباري (٦/ ٢٠٢).

فلئن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك وماتت وهي راضية، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة المتقدم {أنها وجدت على أبي بكر فلم تكلمه حتى توفيت} فإن هذا بحسب علم عائشة رضي الله عنها راوية الحديث، وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة رضي الله عنها نفت، والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت قد حصل بغير علم النافي، خصوصاً في مثل هذه المسألة فإن عيادة أبي بكر لفاطمة رضي الله عنها ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها.

على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة رضي الله عنها لم تتعمد هجر أبي بكر رضي الله عنه أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك.

قال القرطبي في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: (ثم إنها [أي فاطمة] لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولملازمتها بيتها فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث}[1] وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدة نساء أهل الجنة)[2].

وقال النووي رحمه الله: (وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر رضي الله عنه فمعناه

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٧٧)، ومسلم برقم (٢٥٦٠).

(٢) المفهم (٣/ ٥٦٨- ٥٦٩).

انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله في هذا الحديث {فلم تكلمه} يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته)(١).

وبهذا يظهر الحق في هذه المسألة، وتبطل دعوى الطاعنين وتندحض شبهتهم بما تم تقريره من خلال النصوص والأخبار الصحيحة الدالة على براءة الصديق من هذه المطاعن، وأن ما جرى بين الصديق وفاطمة لا يعدو أن يكون اختلافاً في مسألة فقهية ظهر لفاطمة رضي الله عنها الحق فيها فرجعت إليه، وعرف لها الصديق فضلها، فعادها قبل وفاتها واسترضاها، فما ماتت إلا وهي راضية عنه فرضي الله عنهما جميعاً.

ومن الردود أيضاً: القول أن إرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان يورث فمن الذي يرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

يرثه ثلاثة: ترثه فاطمة ويرثه أزواجه ويرثه عمه العباس.

أما فاطمة فلها نصف ما ترك لإنها فرع وارث.. أنثى.

وأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشتركن في الثُمُن لوجود الفرع الوارث وهي فاطمة.

والعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ الباقي تعصيباً.

هذا هو إرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذا ليست القضية خاصة بفاطمة، ولذلك أين العباس لماذا لم يأت ويطالب بإرثه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أين أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأتين ويطالبن بإرثهن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ردود أخرى:

(١) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٧٣).

زعموا أن أبا بكر رضي الله عنه ظالم لفاطمة رضي الله عنها لمنعه إياها ما خلف أبوها، وأنه لا دليل له في الخبر الذي رواه: {نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة}؛ لأن فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث، وفيه ما هو مشهور عند الأصوليين. وزعموا أيضاً أن فاطمة معصومة بنص ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣]. وخبر: {فاطمة بضعة مني} وهو معصوم، فتكون معصومة، وحينئذ فيلزم صدق دعواها الإرث.

وجوابها: أما عن الأول، فهو لم يحكم بخبر الواحد الذي هو محل الخلاف، وإنما حكم بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده قطعي، فساوى آية المواريث في قطعية المتن، وأما حمله على ما فهمه منه فلانتفاء الاحتمالات التي يمكن تطرقها إليه عنه بقرينة الحال، فصار عنده دليلاً قطعياً مخصصاً لعموم تلك الآيات.

وأما عن الثاني، فمن أهل البيت أزواجه، ولسن بمعصومات اتفاقاً، فكذلك بقية أهل البيت. وأما بضعة مني: فمجاز قطعاً فلم يستلزم عصمتها وأيضاً فلا يلزم مساواة البعض للجملة في جميع الأحكام بل الظاهر أن المراد أنها كبضعة مني: فيما يرجع للخير والشفقة، وقد صوب الإمام زيد بن الحسن بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ما فعله أبو بكر، وقال: «لو كنت مكانه لحكمت بمثل ما حكم به».

وعن الباقر أنه لما سئل: «أرأيت أبا بكر وعمر، هل ظلماكم من حقكم شيئاً – أو قال: ذهبا من حقكم بشيء؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ما ظلمنا من حقنا مثقال حبه من خردل، قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟ قال: نعم ويحك! تولهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي، ثم قال: فعل الله بالمغيرة

وبنان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت»[١].

وأخرج الدارقطني، أنه سئل: (ما كان يعمل علي في سهم ذوي القربى؟ قال: عمل فيه بما عمل أبو بكر وعمر، وكان يكره أن يخالفهما).

وقد ذكر البخاري بسنده {أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي}[٢].

فتأمل ما في هذا الحديث تعلم حقيقة ما عليه أبو بكر رضي الله عنه، وتأمل أيضاً أن أبا بكر منع أزواج النبي ﷺ من الإرث، فلم يخص المنع بفاطمة والعباس ولو كان مداره على محاباة لكان أولى بمحاباة ابنته، فلما لم يحاب عائشة ولم يعطها شيئاً علمنا أنه على الحق المر الذي لا يخشى فيه لومة لائم.

ولم ينفرد أبو بكر برواية هذا الحديث، بل أمهات المؤمنين وعلي والعباس وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد كلهم كانوا يعلمون أن النبي ﷺ قال ذلك، وأن أبا بكر إنما انفرد باستحضاره أولاً، ثم استحضره الباقون، وعلموا أنهم سمعوه منه ﷺ: فالصحابة رضوان الله عليهم لم يعلموا برواية أبي بكر وحدها.

ومن الردود:

إن الحديث عن موقف فاطمة رضي الله عنها من ميراث رسول الله ﷺ يكتنفه شيء من الغموض الناتج عن الاختصار الذي سارت عليه معظم الروايات التي تحدثت عن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٦/ ٢٢٠)، السقيفة وفدك للجوهري (ص: ١١٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٠٣٦).

هذه القضية، لذا فإن الجمع بين الروايات المتعددة والمتفرقة في بطون الكتب كفيل بتجلية هذا الغموض.

وخلاصة هذا الأمر ما أخرجه البخاري في صحيحه، أن فاطمة رضي الله عنها {أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم... فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث، ما تركنا صدقة وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم... فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت}(1).

قلت: وقد يظن بعض القراء أن الزهراء رضي الله عنها لم ترض بحكم الله تعالى في ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن حاشا لفاطمة رضي الله عنها أن تقف هذا الموقف، وهي من هي ديناً وتقى وورعاً، غير أن الرواية تحتاج إلى شيء من التفسير حتى تزول هذه الشبهة.

وخلاصة الأمر أن فاطمة رضي الله عنها عتبت على الصديق رضي الله عنه في أمر آخر مختلف تماماً، ألا وهو أنها رضي الله عنها كانت ترغب أن يكون زوجها علياً رضي الله عنه قيِّماً على صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما هو موضح في رواية البيهقي.

ولكن الصديق رضي الله عنه كان يرى أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القيِّم على ما نركه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما جملة (فهجرته فلم تكلمه) الواردة في الرواية، فقد بين الترمذي في سننه(2)، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة(3)، أن المقصود هو أن فاطمة رضي الله عنها تركت تكليم الصديق رضي الله عنه في أمر الميراث. أي: أنها تركت تكليمه في أن يكون زوجها علياً رضي الله عنه قيِّماً على صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) جامع الترمذي برقم (١٦٠٩).

(٣) تاريخ المدينة (١/ ١٢٧).

وحرصاً من الصديق رضي الله عنه على تطييب خاطر فاطمة رضي الله عنها فقد عادها في مرضها، وترضاها حتى رضيت رضوان الله عليها، وهو ما أخرجه البيهقي «أن أبا بكر عاد فاطمة، فقال لها علي: هذا أبو بكر يستأذن عليك. قالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم. فأذنت له، فدخل عليها فترضاها حتى رضيت»[(١)].

وهذا الفعل من أبي بكر رضي الله عنه يدل على محبته العظيمة لآل البيت، كيف لا، وهو القائل في الرواية التي أخرجها البخاري في صحيحه: {والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي}[(٢)].

ولما توفيت فاطمة رضي الله عنه تولت أسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تغسيل الزهراء، كما أن الصديق كان ممن صلى عليها عند وفاتها رضوان الله عليهم أجمعين[(٣)].

ومن الردود على ادعائهم منع أبي بكر فاطمة ميراثها وقولهم: (ومنع أبو بكر فاطمة إرثها فقالت: يا أبا قحافة أترث أباك ولا أرث أبي؟...).

والجواب أن يقال:

أن ما ذكر من قول فاطمة رضي الله عنها: أترث أباك ولا أرث أبي؟ لا يُعلم صحته عنها، وإن صحّ فليس فيه حجة، لأن أباها صلوات الله عليه وسلامه لا يُقاس بأحد من البشر، وليس أبو بكر أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم [كأبيها]، ولا هو ممن حرَّم الله عليه صدقة الفرض والتطوع كأبيها، ولا هو أيضاً ممن جعل الله محبته مقدمة على محبة الأهل والمال، كما جعل أباها كذلك.

---

(١) سنن البيهقي الكبرى برقم (١٢٥١٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شبهات حول عصر الصحابة (٦): ماذا بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما!! خالد الغيث.

والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورِّثوا دنيا، لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلَّفوها لورثتهم. وأما أبو بكر الصديق وأمثاله فلا نبوة لهم يُقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا عن الخط والشعر صيانة لنبوّته عن الشبهة، وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة.

إن أبا بكر وعمر قد أعطيا عليًّا وأولاده من المال أضعاف أضعاف ما خلَّفه النبي ﷺ من المال. والمال الذي خلّفه ﷺ لم ينتفع واحد [منهما] منه بشيء، بل سلَّمه عمر إلى عليّ والعباس رضي الله عنهما يليانه ويفعلان فيه ما كان النبي ﷺ يفعله. وهذا مما يوجب انتفاء التهمة عنهما.

ويقال: قد جرت العادة بأن الظلمة من الملوك إذا تولوا بعد غيرهم من الملوك الذين أحسنوا إليهم أو ربُّوهم، وقد انتزعوا الملك من بيت ذلك الملك، استعطفوهم وأعطوهم ليكفُّوا عنهم منازعتهم، فلو قُدِّر - والعياذ بالله - أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما متغلبان متوثِّبان، لكانت العادة تقضي بأن لا يزاحما الورثة المستحقين للولاية والتركة [في المال]، بل يعطيانهم ذلك وأضعافه ليكفوا عن المنازعة في الولاية.

وأما منع الولاية والميراث بالكلية فهذا لا يُعلم أنه فعله أحد من الملوك، وإن كان من أظلم الناس وأفجرهم. فعُلم أن الذي فعلوه مع النبي ﷺ أمر خارج عن العادة الطبيعية في الملوك، كما هو خارج عن العادات الشرعية في المؤمنين، وذلك لاختصاصه ﷺ بما لم يخص الله به غيره من ولاة الأمور وهو النبوة، إذ الأنبياء لا يورثون.

فصل في الباب نفسه:

قال الطاعنون: (ولما ذكرت فاطمة لأبي بكر أن أباها رسول الله ﷺ وهبها فدك قال لها أبو بكر: هات أسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأم أيمن، فشهدت لها بذلك، فقال: امرأة لا يقبل قولها.

وقد رووا جميعاً – أي: أهل السنة – أن رسول الله ﷺ قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة، فجاء أمير المؤمنين فشهد لها بذلك، فقال: هذا بعلك يجرّه إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لكِ وقد رووا جميعاً –أي: أهل السنة– أن رسول الله ﷺ قال: عليٌّ مع الحق، والحق معه يدور معه حيث دار لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فغضبت فاطمة عليها السلام عند ذلك وانصرفت، وحلفت أن لا تكلمه ولا تصاحبه حتى تلقى أباها وتشكو إليه، فلما حضرتها الوفاة أوصت عليًّا أن يدفنها ليلاً ولا يدع أحداً منهم يصلِّي عليها.

وقد رووا جميعاً –أي أهل السنة– أن النبي ﷺ قال: يا فاطمة! إن الله تعالى يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. ورووا جميعاً [أنه قال]: فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله).

والجواب: أن في هذا الكلام من الكذب والبهتان والكلام الفاسد ما لا يكاد يحصى إلا بكلفة، وقد أجيب على أكثره فيما مما لا حاجة لإعادته، ونكتفي بالرد على هذه الرواية المزعومة فنقول:

إن ما ذكر من ادّعاء فاطمة رضي الله عنها فَدَكَ بأنه هبة فإن هذا يناقض كونها ميراثاً لها، فإن كان طلبها بطريق الإرث امتنع أن يكون بطريق الهبة، وإن كان بطريق الهبة امتنع أن يكون بطريق الإرث، ثم إن كانت هذه هبة في مرض الموت، فرسول الله ﷺ منزّه، إن كان يُورث كما يورث غيره، أن يوصي لوارث وهو القائل: {لا وصية لوارث}(1) أو يخصه في مرض موته بأكثر من حقه، وإن كان في صحته فلا بد أن تكون هذه هبة مقبوضة، وإلا فإذا وهب الواهب بكلامه ولم يقبض الموهوب شيئاً حتى مات الواهب

---

(١) رواه أحمد برقم (١٧٦٩٩)، وأبو داود برقم (٢٨٧٠)، والنسائي برقم (٣٦٤٣)، والترمذي برقم (٢١٢٠)، وابن ماجه برقم (٢٧١٣).

كان ذلك باطلاً عند جماهير العلماء، فكيف يهب النبي ﷺ فَدَك لفاطمة ولا يكون هذا أمراً معروفاً عند أهل بيته والمسلمين، حتى تختص بمعرفته أم أيمن أو علي رضي الله عنهما ؟

فهذه الأحاديث الثابتة المعروفة عند أهل العلم، وفيها ما يبيّن أن فاطمة رضي الله عنها طلبت ميراثها من رسول الله ﷺ على ما كانت تعرف من المواريث، فأُخبرت بما كان من رسول الله فسلّمت ورجعت، فكيف تطلبها ميراثاً وهي تدّعيها مِلْكاً بالعطيّة؟ هذا ما لا معنى فيه. وقد كان ينبغي للطاعنين في أبي بكر أن يتدبّروا، ولكن {حبك الشيء يعمي ويصم}(١).

وقد روي عن أنس أن أبا بكر قال لفاطمة وقد قرأت عليه: «إني أقرأ مثل ما قرأت ولا يبلغن علمي أن يكون قاله كله. قالت فاطمة: هو لك ولقرابتك؟ قال: لا وأنت عندي مصدَّقة أمينة، فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك في هذا، أو وعدك فيه موعداً أو أوجبه لكم حقًّا صدَّقتك. فقالت: لا غير أن رسول الله ﷺ قال حين أُنزل عليه: بشروا يا آل محمد وقد جاءكم الله عز وجل بالغنى. قال أبو بكر: صدق الله ورسوله وصدقت، فلكم الفيء، ولم يبلغ علمي بتأويل هذه أن استلم هذا السهم كله كاملاً إليكم، ولكن الفيء الذي يسعكم». وهذا يبيّن أن أبا بكر كان يقبل قولها، فكيف يرده ومعه شاهد وامرأة؟!!

وأما قولهم: (فجاءت بأم أيمن فشهدت لها بذلك، فقال: امرأة لا يُقبل قولها. وقد رووا جميعاً أن رسول الله ﷺ قال: {أم أيمن امرأة من أهل الجنة}).

الجواب: أن هذا احتجاج جاهل مفرط في الجهل يريد أن يحتج لنفسه فيحتج عليها، فإن هذا القول لو قاله الحجَّاج بن يوسف والمختار بن أبي عبيد وأمثالهما لكان

---

(١) رواه أحمد برقم (٢١٧٤٠)، وأبو داود برقم (٥١٣٠).

قد قال حقًّا، فإن امرأة واحدة لا يقبل قولها في الحكم بالمال لمدعٍ يريد أن يأخذ ما هو في الظاهر لغيره، فكيف إذا حُكي مثل هذا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؟!

وأما الحديث الذي ذكره وزعم أنهم رووه جميعاً، فهذا الخبر لا يعرف في شيء من دواوين الإسلام ولا يُعرف عالم من علماء الحديث رواه. وأم أيمن هي أم أسامة بن زيد، وهي حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي من المهاجرات، ولها حق وحرمة وفضل، لكن الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون بالكذب عليه وعلى أهل العلم.

وقول القائل: (رووا جميعاً) لا يكون إلا في خبر متواتر، فمن ينكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يُورث، وقد رواه أكابر الصحابة، ويقول: إنهم جميعاً رووا هذا الحديث، إنما يكون من أجهل الناس وأعظمهم جحداً للحق.

وبتقدير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنها من أهل الجنة، فهو كإخباره عن غيرها أنه من أهل الجنة، وقد أخبر عن كل واحد من العشرة أنه في الجنة، وقد قال: {لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة}[1] وهذا الحديث في الصحيح ثابت عند أهل العلم بالحديث، وحديث الشهادة لهم بالجنة رواه أهل السنن من غير وجه، من حديث عبد الرحمن بن عوف[2] وسعيد بن زيد[3]. فهذه الأحاديث المعروفة عند أهل العلم بالحديث. ثم هؤلاء يكذِّبون من عُلِمَ أن الرسول شهد لهم بالجنة، وينكرون عليهم كونهم لم يقبلوا شهادة امرأة زعموا أنه شهد لها بالجنة، فهل يكون أعظم من جهل هؤلاء وعنادهم؟!

ثم يُقال: كون الرجل من أهل الجنة لا يوجب قبول شهادته، لجواز أن يغلط في

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٦٥٣)، والترمذي برقم (٣٨٦٠).

(٢) رواه أحمد برقم (١٦٧٥)، والترمذي برقم (٣٧٤٧).

(٣) رواه أبو داود برقم (٤٦٤٩)، والترمذي برقم (٣٧٤٨)، وابن ماجه برقم (١٣٣).

الشهادة. ولهذا لو شهدت خديجة وفاطمة وعائشة ونحوهن، ممن يُعلم أنهن من أهل الجنة، لكانت شهادة إحداهن نصف شهادة رجل، كما حكم بذلك القرآن. كما أن ميراث إحداهن نصف ميراث رجل، وديَّتها نصف ديّة رجل. وهذا كله باتفاق المسلمين، فكون المرأة من أهل الجنة لا يُوجب قبول شهادتها لجواز الغلط عليها.

وقوله: (إن عليًّا شهد لها فردّ شهادته لكونه زوجها) فهذا مع أنه كذب فلو صح ليس بقدح، إذ كانت شهادة الزوج مردودة عند أكثر العلماء، ومن قبلها منهم لم يقبلها حتى يتم النصاب إما برجل آخر وإما بامرأة مع امرأة.

وقولهم: إنهم رووا جميعاً أن رسول الله ﷺ قال: {عليٌّ مع الحق، والحق معه يدور حيث دار، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض} من أعظم الكلام كذباً وجهلاً، فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي ﷺ: لا بإسناد صحيح ولا ضعيف. فكيف يقال: إنهم جميعاً رووا هذا الحديث؟ وهل يكون أكذب ممن يروي عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثاً، والحديث لا يعرف عن واحد منهم أصلاً؟ بل هذا من أظهر الكذب. ولو قيل: رواه بعضهم، وكان يمكن صحته لكان ممكناً، فكيف وهو كذب قطعاً على النبي ﷺ؟! بخلاف إخباره أن أم أيمن في الجنة، فهذا يمكن أنه قاله، فإن أم أيمن امرأة صالحة من المهاجرات، فإخباره أنها في الجنة لا يُنكر، بخلاف قوله عن رجل من أصحابه أنه مع الحق [وأن الحق] يدور معه حيثما دار لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض؛ فإنه كلام ينزَّه عنه رسول الله ﷺ لأمور منها:

فالحوض إنما يَرِدُه عليه أشخاص، كما قال للأنصار: {اصبروا حتى تلقوني على الحوض}[1] وقال: {إن حوضي لأبعد ما بين أيلة إلى عدن، وإن أول الناس وروداً

---

(١) سبق تخريجه.

فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً الدنس ثياباً الذين لا ينكحون المتنعّمات ولا تفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يجد لها قضاء}(١) رواه مسلم وغيره.

وأما الحق فليس من الأشخاص الذين يردون الحوض. وقد رُوي أنه قال: {إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض}(٢). فهو من هذا النمط وفيه كلام يذكر في موضعه [إن شاء الله].

ولو صح هذا لكان المراد به ثواب القرآن. أما الحق الذي يدور مع شخص ويدور الشخص معه فهو صفة لذلك الشخص لا يتعداه، ومعنى ذلك أن قوله صِدْقٌ وعمله صالح، ليس المراد به أن غيره لا يكون معه شيء من الحق.

وأيضاً فالحق لا يدور مع شخص غير النبي ﷺ، ولو دار الحق مع عليّ حيثما دار لوجب أن يكون معصوماً كالنبي ﷺ، وهم من جهلهم يدَّعون ذلك، ولكن من عُلم أنه لم يكن بأَوْلى بالعصمة من أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وليس فيهم من هو معصوم، عُلم كذبهم، وفتاويه من جنس فتاوى عمر وعثمان ليس هو أَوْلى بالصواب منهم، ولا في أقوالهم من الأقوال المرجوحة أكثر مما في قوله، ولا كان ثناء النبي ﷺ ورضاه عنه بأعظم من ثنائه عليهم ورضائه عنهم، بل لو قال القائل: إنه لا يعرف من النبي ﷺ أنه عتب على عثمان في شيء، وقد عتب على عليّ في غير موضع لما أَبْعَدَ، فإنه لما أراد أن يتزوج بنت أبي جهل اشتكته فاطمة لأبيها وقالت: {إن الناس يقولون: إنك لا تغضب لبناتك، فقام [رسول الله ﷺ] خطيباً}(٣).

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٨).

(٢) رواه أحمد برقم (١١١١٩)، والترمذي برقم (٣٧٨٦).

(٣) سبق تخريجه.

وجاء في البحار: (دخل الحسن بن علي على جده رسول الله ﷺ وهو يتعثر بذيله فأسرّ إلى النبي عليه الصلاة والسلام سراً فرأيته وقد تغير لونه، ثم قام النبي عليه الصلاة والسلام حتى أتى منزل فاطمة ... ثم جاء علي فأخذ النبي ﷺ بيده ثم هزها إليه هزاً خفيفاً ثم قال: يا أبا الحسن! إياك وغضب فاطمة فإنّ الملائكة تغضب لغضبها وترضى لرضاها)[1].

وعن أبي عبد الله جعفر عليه السلام أنه سُئل: «هل تشيع الجنازة بنار ويُمشى معها بمجمرة أو قنديل أو غير ذلك مما يُضاد به؟ قال: فتغير لون أبي عبد الله عليه السلام من ذلك واستوى جالساً ثم قال: إنه جاء شقي من الأشقياء إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال لها: أما علمت أنّ علياً قد خطب بنت أبي جهل فقالت: حقاً ما تقول؟ فقال: حقاً ما أقول ثلاث مرات، فدخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة وكتب على الرجال جهاداً وجعل للمحتسبة الصابرة منهن من الأجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله، قال: فاشتد غم فاطمة من ذلك وبقيت متفكرة هي حتى أمست وجاء الليل حملت الحسن على عاتقها الأيمن والحسين على عاتقها الأيسر، وأخذت بيد أم كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثم تحولت إلى حجرة أبيها فجاء علي فدخل حجرته فلم ير فاطمة فاشتد لذلك غمه وعظم عليه ولم يعلم القصة ما هي، فاستحيا أن يدعوها من منزل أبيها فخرج إلى المسجد يصلي فيه ما شاء الله، ثم جمع شيئاً من كثيب المسجد واتكأ عليه، فلما رأى النبي ﷺ ما بفاطمة من الحزن أفاض عليه الماء ثم لبس ثوبه ودخل المسجد فلم يزل يصلي بين راكع وساجد، وكلما صلى ركعتين دعا الله أن يُذهب ما بفاطمة من الحزن والغم، وذلك أن

(١) بحار الأنوار (٤٣/ ٤٢).

لا يهنيها النوم وليس لها قرار، قال لها: قومي يا بنية فقامت، فحمل النبي عليه الصلاة والسلام الحسن وحملت فاطمة الحسين وأخذت بيد أم كلثوم فانتهى إلى علي عليه السلام وهو نائم فوضع النبي ﷺ رجله على رجل عليّ فغمزه وقال: قم يا أبا تراب! فكم ساكن أزعجته، ادع لي أبا بكر من داره، وعمر من مجلسه، وطلحة، فخرج علي فاستخرجهما من منزلهما واجتمعوا عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: يا علي! أما علمت أنّ فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي»[1].

والغريب هنا أنّ هذه المقولة قيلت بناء على إغضاب علي لفاطمة، وهو تحذير نبوي لعلي زوج فاطمة ولباقي الصحابة من إغضاب فاطمة إلا أنّ البعض لا يستدل بهذا الحديث إلا على أبي بكر، ولو كان إغضاب فاطمة رضوان الله عليها أو رضاها سبباً في إيمان أو كفر لَلَحِقَ الوعيد علي بن أبي طالب قبل أبي بكر وقبل أي رجل أو امرأة اختلفت مع فاطمة.

نحن نقول بأنه لا علي بن أبي طالب ولا أبو بكر كفرا أو فسقا بسبب إغضابهما فاطمة، والنبي عليه الصلاة والسلام إنما قال تلك الكلمات في حق من يغضب فاطمة تعظيماً لأمرها وهي بلا شك أهل لذلك، وتحذيراً من إغضاب ابنته التي لها من المكانة عنده ما لها، رضوان الله عليها أن يُقاس من خلال القرآن والسنة فإن كان غضبها لأجلهما كان إغضابها وغضب فاطمة لا بد إغضاباً لله والرسول، أما إذا كان غضبها لخلاف شخصي أو لوجهة نظر لها كالذي يحصل للناس عادة، فهذا ما لا يقتضي إدانة

---

(١) علل الشرائع للقمي (ص:١٨٥- ١٨٦).

أحد؛ لأنّ الله عزّ وجلّ ودين الإسلام لا يتماشى مع آراء البشر ولو كانوا من صلحائهم ومصلحيهم.

وقال ﷺ: {إن بني المغيرة استأذنوني أن يزوِّجوا ابنتهم عليَّ بن أبي طالب، وإني لا آذن ثم لا آذن، ثم لا آذن: إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم، فإنما فاطمة بضعة مني [يريبني ما رابها] ويؤذيني ما آذاها) ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس فقال: (حدثني فصدَّقني ووعدني فوفى لي}[1] والحديث ثابت صحيح أخرجاه في الصحيحين.

وما ذكروه عن فاطمة أمر لا يليق بها، ولا يحتج بذلك إلا رجل جاهل يحسب أنه يمدحها وهو يجرحها؛ فإنه ليس فيما ذكره ما يوجب الغضب عليه، إذ لم يحكم - لو كان ذلك صحيحاً - إلا بالحق الذي لا يحل لمسلم أن يحكم بخلافه. ومن طلب أن يُحكم له بغير حكم الله ورسوله فغضب وحلف أن لا يكلم الحاكم ولا صاحب الحاكم، لم يكن هذا مما يُحْمد عليه ولا مما يذم به الحاكم، بل هذا إلى أن يكون جرحاً أقرب منه إلى أن يكون مدحاً. ونحن نعلم أن ما يُحكى عن فاطمة وغيرها من الصحابة من القوادح كثير منها كذب وبعضها كانوا فيه متأولين. وإذا كان بعضها ذنباً فليس القوم معصومين، بل هم مع كونهم أولياء الله ومن أهل الجنة لهم ذنوب يغفرها الله لهم.

وكذلك ما ذكروه من حلفها أنها لا تكلمه ولا صاحبه حتى تلقى أباها وتشتكي إليه، أمر لا يليق أن يُذكر عن فاطمة رضي الله عنها؛ فإن الشكوى إنما تكون إلى الله تعالى، كما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، وفي دعاء موسى عليه السلام: اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣١١٠)، صحيح مسلم برقم (٢٤٤٩).

التكلان. وقال النبي ﷺ لابن عباس: {إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله}(١)، ولم يقل: سلني ولا استعن بي.

وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح:٧-٨].

ثم من المعلوم لكل عاقل أن المرأة إذا طلبت مالاً من ولي أمر فلم يعطها إياه لكونها لا تستحقه عنده، وهو لم يأخذه ولم يعطه لأحد من أهله ولا أصدقائه، بل أعطاه لجميع المسلمين، وقيل: إن الطالب غضب على الحاكم - كان غاية ذلك أنه غضب لكونه لم يعطه مالاً، وقال الحاكم: إنه لغيرك لا لك، فأي مدح للطالب في هذا الغضب؟ لو كان مظلومًا محضًا لم يكن غضبه إلا للدنيا. وكيف والتهمة عن الحاكم الذي لا يأخذ لنفسه أبعد من التهمة عن الطالب الذي يأخذ لنفسه، فكيف تحال التهمة على من لا يطلب لنفسه مالاً، ولا تحال على من يطلب لنفسه المال؟

وذلك الحاكم يقول: إنما أمنع لله؛ لأني لا يحل لي أن آخذ المال من يستحقه فأدفعه إلى غير مستحقه فأدفعه إلى غير مستحقه، والطالب يقول: إنما أغضب لحظي القليل من المال. أليس من يذكر [مثل] هذا عن فاطمة ويجعله من مناقبها جاهلاً؟!

أوليس الله قد ذم المنافقين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة:٥٨-٥٩] فذكر الله قوماً رضوا إن أُعطوا، وغضبوا إن لم يعطوا، فذمهم بذلك، فمن مدح فاطمة بما فيه شبه من هؤلاء ألا يكون قادحاً فيها؟ وانتصف لأهل البيت منهم؛ فإنهم ألصقوا بهم من العيوب والشين ما لا يخفى على ذي عين.

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٦٦٩)، والترمذي برقم (٢٥١٦).

ولو قال قائل: فاطمة لا تطلب حقها، لم يكن هذا بأولى من قول القائل: أبو بكر لا يمنع يهوديًّا ولا نصرانيًّا حقه فكيف يمنع سيدة نساء العالمين حقها؟ فإن الله تعالى ورسوله ﷺ قد شهدا لأبي بكر أنه ينفق ماله لله، فكيف يمنع الناس أموالهم؟ وفاطمة رضي الله عنها قد طلبت من النبي ﷺ مالاً، فلم يعطها إياه. كما ثبت في الصحيحين عن عليّ رضي الله عنه في حديث الخادم لما ذهبت فاطمة إلى النبي ﷺ تسأله خادماً، فلم يعطها خادماً وعلَّمها التسبيح[1]. وإذا جاز أن تطلب من النبي ﷺ ما يمنعها [النبي ﷺ] إياه ولا يجب عليه أن يعطيها إياه، جاز أن تطلب ذلك من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، وعُلم أنها ليست معصومة أن تطلب ما لا يجب إعطاؤها إياه. وإذا لم يجب عليه الإعطاء لم يكن مذموماً بتركه ما ليس بواجب وإن كان مباحاً. فأما إذا قدّرنا أن الإعطاء ليس بمباح، فإنه يستحق أن يُحمد على المنع. وأما أبو بكر فلم يُعلم أنه منع أحداً حقه، ولا ظلم أحدا حقه: لا في حياة رسول الله ﷺ ولا بعد موته.

وكذلك ما ذكره من إيصائها أن تُدفن ليلاً ولا يُصلِّي عليها أحد منهم، لا يحكيه عن فاطمة ويحتج به إلا رجلٌ جاهل يطرق على فاطمة ما لا يليق بها، وهذا لو صح لكان بالذنب المغفور أَوْلى منه بالسعي المشكور، فإن صلاة المسلم على غيره زيادة خير تصل إليه، ولا يضر أفضل الخلق أن يصلي عليه شر الخلق، وهذا رسول الله ﷺ يصلي [ويسلم عليه] الأبرار والفجار بل والمنافقون، وهذا إن لم ينفعه لم يضره، وهو يعلم أن في أمته منافقين، ولم ينه أحداً من أمته عن الصلاة عليه، بل أمر الناس كلهم بالصلاة والسلام عليه، مع أن فيهم المؤمن والمنافق، فكيف يُذكر في معرض الثناء عليها والاحتجاج لها مثل هذا الذي لا يحكيه ولا يحتج به إلا مفرط في الجهل، ولو

---

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٥٣٦١)، صحيح مسلم برقم (٢٧٢٧).

وصَّى موصٍ بأن المسلمين لا يصلون عليه لم تنفَّذ وصيته، فإن صلاتهم عليه خيرٌ له بكل حال.

ومن المعلوم أن إنساناً لو ظلمه ظالم، فأوصى بأن لا يصلِّي عليه ذلك الظالم، لم يكن هذا من الحسنات التي يُحمد عليها، ولا هذا مما أمر الله به ورسوله. فمن يقصد مدح فاطمة وتعظيمها، كيف يذكر مثل هذا الذي مدح فيه، بل المدح في خلافه، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع؟!.

وأما قولهم: (ورووا جميعاً أن النبي ﷺ قال: يا فاطمة! إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك) فهذا كذب منهم، ما رووا هذا عن النبي ﷺ، ولا يُعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة، ولا له إسناد معروف عن النبي ﷺ: لا صحيح ولا حسن. ونحن إذا شهدنا لفاطمة بالجنة، وبأن الله يرضى عنها، فنحن لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن [بن عوف] بذلك نشهد، ونشهد بأن الله تعالى أخبر برضاه عنهم في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]. وقد ثبت أن النبي ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، ومن رضي الله عنه ورسوله لا يضره غضب أحد من الخلق عليه كائناً من كان، بل من رضي الله عنه ورضي عن الله، يكون رضاه موافقاً لرضا الله، فإن الله راضٍ عنه، فهو موافق لما يرضي الله، وهو راضٍ عن الله، فحكم الله موافق لرضاه، وإذا رضوا بحكمه غضبوا لغضبه، فإن من رضي بغضب غيره لزم أن يغضب لغضبه، فإن الغضب إذا كان مرضياً لك، فعلت ما هو مرضٍ لك، وكذلك الرب [تعالى - وله المثل الأعلى] - إذا رضي عنهم غضب لغضبهم، إذ هو راضٍ

بغضبهم.

وأما قولهم: (رووا جميعاً أن فاطمة بضعة مني من آذاها آذاني، ومن آذاني آذى الله) فإن هذا الحديث لم يرو بهذا اللفظ، بل [روي] بغيره، كما روي في سياق حديث خطبة عليّ لابنة أبي جهل، لما قام النبي ﷺ خطيباً فقال: {إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، وإني لا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم} وفي رواية: {إني أخاف أن تفتن في دينها} ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه مصاهرته إياه فقال: {حدَّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي. وإني لست أحلّ حراماً، ولا أحرم حلالاً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً}(١) رواه البخاري ومسلم [في الصحيحين] من رواية عليّ بن الحسين والمسور بن مخرمة، فسبب الحديث خِطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل، والسبب داخل في اللفظ قطعاً، إذ اللفظ الوارد على سبب لا يجوز إخراج سببه منه، بل السبب يجب دخوله بالاتفاق.

وقد قال في الحديث: {يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها} ومعلوم قطعاً أن خطبة ابنة أبي جهل عليها رابها وآذاها، والنبي ﷺ رابه ذلك وآذاه، فإن كان هذا وعيداً لاحقاً بفاعله، لزم أن يلحق هذا الوعيد عليَّ بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيداً لاحقاً بفاعله، كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من عليّ.

وأيضاً فيقال: إن فاطمة رضي الله عنها إنما عظم أذاها لما في ذلك من أذى أبيها، فإذا دار الأمر بين أذى أبيها وأذاها كان الاحتراز عن أذى أبيها أوجب. وهذا حال أبي بكر وعمر، فإنهما احترزا عن أن يؤذيا أباها أو يريباه بشيء، فإنه عهد عهداً وأمر بأمر،

---

(١) سبق تخريجه.

فخافا إن غيّرا عهده وأمره أن يغضب لمخالفة أمره وعهده ويتأذى بذلك. وكل عاقل يعلم أن رسول الله ﷺ إذا حكم بحكم، وطلب فاطمة أو غيرها ما يخالف ذلك الحكم، كان مراعاة حكم النبي ﷺ أَوْلى، فإن طاعته واجبة، ومعصيته محرّمة، ومن تأذَّى لطاعته كان مخطئاً في تأذِّيه بذلك، وكان الموافق لطاعته مصيباً في طاعته. وهذا بخلاف من آذاها لغرض نفسه لا لأجل طاعة الله ورسوله.

ومن تدبَّر حال أبي بكر في رعايته لأمر النبي ﷺ، وأنه إنما قصد طاعة الرسول ﷺ لا أمراً آخر يحكم أن حاله أكمل وأفضل [وأعلى] من حال عليّ رضي الله عنهما، وكلاهما سيد كبير من أكابر أولياء الله المتقين، وحزب الله المفلحين، [وعباد الله الصالحين]، ومن السابقين الأوَّلين، ومن أكابر المقربين، الذين يشربون بالتسنيم. ولهذا كان أبو بكر رضي الله عنه يقول: {والله لَقَرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصلْ من قرابتي}[1]. وقال: {ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته}[2] رواه البخاري عنه.

لكن المقصود أنه لو قُدِّر أن أبا بكر آذاها، فلم يؤذها لغرض نفسه بل ليطيع الله ورسوله، ويوصِّل الحق إلى مستحقه. وعليٌّ رضي الله عنه كان قصده أن يتزوج عليها، فله في أذاها غرض، بخلاف أبي بكر. فعُلم أن أبا بكرٍ كان أبعد أن يُذمَّ بأذاها من عليّ، وأنه إنما قصد طاعة الله ورسوله بما لا حظ له فيه، بخلاف عليّ؛ فإنه كان له حظ فيما رابها به. وأبو بكر كان من جنس من هاجر إلى الله ورسوله، وهذا لا يشبه من كان مقصوده امرأة يتزوجها. والنبي ﷺ يؤذيه ما يؤذي فاطمة إذا لم يعارض ذلك أمر الله تعالى، فإذا أمر الله تعالى بشيء فعله، وإن تأذَّى من أهله وغيرهم، وهو في حال طاعته لله يؤذيه ما يعارض طاعة الله ورسوله. وهذا الإطلاق كقوله: {من أطاعني

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني}[١] ثم قد بيّن ذلك بقوله ﷺ: {إنما الطاعة في المعروف}[٢]. فإذا كانت طاعة أمرائه أطلقها ومراده بها الطاعة في المعروف، فقوله: {من آذاها فقد آذاني} يحمل على الأذى في المعروف بطريق الأَوْلى والأحرى، لأن طاعة أمرائه فرض، وضدها معصية كبيرة. وأما فعل ما يؤذي فاطمة فليس هو بمنزلة معصية أمر النبي ﷺ، وإلا لزم أن يكون عليّ قد فعل ما هو أعظم من معصية الله ورسوله.

وأما قولهم: (كيف يعطي أبو بكر أهل البيت من الصدقة والصدقة محرَّمة عليهم؟!).

فيقال لهم: أوّلا المحرّم عليهم صدقة الفرض، وأما صدقات التطوع فقد كانوا يشربون من المياه المسبَّلة بين مكة والمدينة، ويقولون: إنما حُرِّم علينا الفرض، ولم يحرَّم علينا التطوع. وإذا جاز أن ينتفعوا بصدقات الأجانب التي هي تطوع، فانتفاعهم بصدقة النبي ﷺ أَوْلى وأحرى؛ فإن هذه الأموال لم تكن زكاة مفروضة على النبي ﷺ، وهي أوساخ الناس التي حُرِّمت عليهم، وإنما هي من الفيء الذي أفاءه الله على رسوله، والفيء حلال لهم، والنبي ﷺ جعل ما جعله الله له من الفيء صدقة، إذ غايته أن يكون ملكاً للنبي ﷺ تصدَّق به على المسلمين، وأهل بيته أحق بصدقته؛ فإن الصدقة [على المسلمين صدقة، والصدقة] على القرابة صدقة وصلة.

فقصة فدك قد طرحناها وبينا أن أبا بكر استشهد بحديث صحيح عند السنة والشيعة (صححه المجلسي في مرآة العقول وصححه الخميني واستشهد به على ولاية الفقيه).

---

(١) رواه البخاري برقم (٧١٣٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٤٠)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

بل شهد به عليّ بن أبي طالب نفسه.

وروى الإمام مسلم في صحيحه أن عمر رضي الله عنه كان في مجلسه فاستأذن عليه عباس وعليّ رضي الله عنهما، فأذن لهما فقال العباس: {يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم وأرِحهم.

فقال عمر: اتئِدا. أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟

قالوا: نعم.

ثم أقبل على العباس وعليّ فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة؟

قالا: نعم.

فقال عمر: إن الله جل وعز كان خصّ رسوله ﷺ بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره. قال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر:٧]}(١).

وفي رواية للبخاري أن عُمر قال لعلي والعباس: {أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، فَتَوَفَّى الله نبيه ﷺ، فقال أبو بكر: أنا وَلِيّ رسول الله ﷺ فقبضها فَعَمِلَ بما عمل به رسول الله ﷺ، ثم توفى الله أبا بكر، فقلت: أنا ولي وليّ رسول الله ﷺ فقبضتها سنتين أعمل فيها ما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، ثم جئتماني وكلِمتكما واحدة وأمركما جميع، جئتني تسألني نصيبك من ابن أخيك وأتاني هذا يسألني نصيب امرأته من أبيها. فقلتُ: إن شئتما دفعتها إليكما بذلك. فتلتمسان مني قضاء غير ذلك؟ فو الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٥٧).

الساعة، فإن عجزتما فادفعاها إليّ فأنا أكفيكماها}[(١)].

فهذا عُمر رضي الله عنه يقول للعباس وعليّ رضي الله عنهما: إن شئتما دفعتها إليكما.

فلماذا لم يَقبضاها؟ ثم يَقسمانها على ورثة النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعم هؤلاء!

بل جاء في رواية لمسلم صريحة في أن عمر رضي الله عنه دَفَع بعض ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عليّ والعباس رضي الله عنهما.

ففي صحيح البخاري ومسلم: {فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ وعباس، فغلبه عليها عليّ، وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر}[(٢)].

فهذه الرواية الصحيحة تُثبت أن عمر رضي الله عنه دَفَع صدقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت بالمدينة إلى عليّ والعباس.

فأين هو الدليل أن علياً رضي الله عنه أعطى فاطمة نصيبها من ميراث أبيها؟

فمن طَعَن في أبي بكر وعُمر بشأن ميراث فاطمة فيَلزمه أن يَطعن في عليّ لأنه عمِل كما عَمِلا!

فأثبتوا لنا أن علياً رضي الله عنه قَسَم ميراث النبي صلى الله عليه وسلم سواء فيما تولاّه زمن عمر، أم في زمان خلافته هو رضي الله عنه.

وأين إثبات ذلك؟

فهل أعطى ورثة فاطمة حقّهم من فَدَك وسهم النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر؟

فإن لم تأتوا به - وهو الحق - فلا أقل من مُعاملة أبي بكر وعمر كمعاملة عليّ رضي الله عنهم.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٠٣٤)، صحيح مسلم برقم (١٧٥٩).

ومن الردود:

إذا كان رسول الله يُؤيِّد بالوحي – وهو كذلك – فلماذا لم يَقسِم أرض فدَك وسهمه في خيبر على ورثته؟

فإن قيل: النبي ﷺ لا يعلم ما يكون بعده.

فيُقال: فالله يعلم ما كان وما يكون، ولم يأمر نبيّه ﷺ بأن يَقسم ميراثه قبل موته لئلا تُظلَم ابنته.

وهل يُتصوّر أن الله أقرّ نبيّه على ظلم ابنته؟!

وثمّة شُبهة يتمسّك بها البعض، وهي قولهم: إن أبا بكر أنفذ وعد النبي ﷺ لجِابر رضي الله عنه، ولم يُورّث فاطمة من ميراث أبيها.

والجواب عنه: أن النبي ﷺ وَعَد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، فقال: {لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، فلم يجئ مال البحرين حتى قُبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر مُنادياً فنادى: من كان له عند النبي ﷺ عدة أو دين فليأتنا. قال جابر: فأتيته فقلت: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمسمائة، فقال: خُذ مثليها}[1] رواه البخاري ومسلم.

فهذا من وفاء أبي بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ أن يُنفذ مُجرّد الوعد، وهذا من حسنات أبي بكر، وهؤلاء تعدّه من مساوئه!

وهؤلاء يقولون: لماذا صدّق أبو بكر جابر فيما قال، ولم يُصدق فاطمة رضي الله عنها؟

والجواب:

أن جابر بن عبد الله يُخبر أن رسول الله ﷺ وَعَدَه، ومن وفاء أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ أن أنفذ وعده لجابر رضي الله عنه.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٢٩٦)، صحيح مسلم برقم (٢٣١٤).

وأما فاطمة فإنها لم تقل: وعدني رسول الله ﷺ. بل تُطالب بحقها من ميراث أبيها حيث فهمت أن لها الحق في ميراث أبيها، فهي رضي الله عنها ما قالت: وعدني أبي ﷺ.

فأبو بكر رضي الله عنه لم يُكذّب الزهراء رضي الله عنها، وإنما أفهمها أن ما تركه رسول الله ﷺ صَدَقة بنصّ قولِه عليه الصلاة والسلام.

ويدل عليه ما رواه الترمذي عن فاطمة أنها جاءت إلى أبي بكر فقالت: {من يرثك؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما لي لا أرث أبي؟ فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نُورَث. ولكني أَعُول من كان رسول الله ﷺ يعوله، وأنفق على من كان رسول الله ﷺ يُنفِق عليه}(١).

ومن الأقوال في هذا الباب ما جاء في شرح نهج البلاغة كما يروي ابن الميثم البحراني: «أن أبا بكر قال لها – أي فاطمة –: أن لك ما لأبيك، كان رسول الله ﷺ يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه»(٢).

ومثل هذ الكلام ذكره الدنبلي في شرحه(٣).

ويقول كبار علماء الشيعة بأن أبا بكر رضي الله عنه كان يطبق ما وعد به فاطمة رضوان الله عليها.. حيث ذكروا: (إن أبا بكر كان يأخذ غلتها (أي فدك) فيدفع إليهم (أي أهل البيت) منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، فكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك)(٤).

---

(١) جامع الترمذي برقم (١٦٠٨).

(٢) شرح نهج البلاغة – لابن ميثم البحراني ج ٥ (ص:١٠٧) ط طهران.

(٣) الدرة النجفية (ص:٣٣١، ٣٣٢) ط. إيران.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤. (شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ج ٥ (ص:١٠٧) (الدرة النجفية (ص:٣٣٢) (شرح النهج – فارسي لعلي نقي ج ٥ (ص:٩٦٠) ط طهران).

وقال المرتضى وغيره: «إن الأمر لما وصل إلى علي ابن أبي طالب كُلم في رد فدك، فقال: إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر»(١).

وها هو المجلسي على تعنته يضطر إلى أن يقول: (إن أبا بكر لما رأى غضب فاطمة قال لها: أنا لا أنكر فضلك ولا قرابتك من رسول الله ﷺ، ولم أمنعك من فدك إلا امتثالاً بأمر رسول الله، وأشهد الله على أني سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركنا إلا الكتاب والحكمة والعلم، وقد عملت هذا باتفاق المسلمين ولست بمتفرد في هذا، وأما المال فإن تريدينه فخذي من مالي ما شئت لأنك سيدة أبيك وشجرة طيبة لأبنائك ولا يستطيع أحد أن ينكر فضلك)(٢).

وكما مر معنا قول علي رضي الله عنه لما سئل أن يرد فدك رفض تغيير حكم منعه أبو بكر وأمضاه عمر رضوان الله عليهما.

ولأجل ذلك لما سئل أبو جعفر محمد الباقر رحمه الله عن ذلك وقد سأله كثير النوال بقوله: «جعلني الله فداك أرأيت أبا بكر وعمر، هل ظلماكم من حقكم شيئاً، أو قال: ذهبا من حقكم بشيء؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ما ظلمانا من حقنا مثقال حبة من خردل، قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟ قال: نعم ويحك تولهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي»(٣).

ولعل بعد هذا البيان الشافي الكافي لا يكون في نفوسنا شيء اتجاه خير هذه الأمة بعد نبيها من هذه القضية.

---

(١) الشافي للمرتضى (ص:٢٣١)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج٤).

(٢) حق اليقين (ص:٢٠١، ٢٠٢) - ترجمة من الفارسية.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٤/ ٨٢).

الطعن في أسانيد روايات صلاة أبي بكر الصديق في الناس في حياة النبي ﷺ:

ومن الشبهات في حق الصديق رضي الله عنه الطعن في أسانيد روايات صلاته في الناس في حياة النبي ﷺ.

يقول أحدهم: (لقد بحثت عن الخبر -إمامة أبي بكر الصديق للناس في عهد النبي ﷺ من أهم نواحيه، وسبرت ما قيل فيه، وتوصلت على ضوء ذلك إلى واقع الحال... وحق المقال.... فإلى أهل التحقيق والفضل... هذا البحث غير المسبوق ولا المطروق من قبل، أرجو أن ينظروا فيه بعين الإنصاف... بعيداً عن التعصب والاعتساف... وما توفيقي إلا بالله!!!).

وكنا نود والله أن يكون الطاعن صادقاً في كلامه لنرى هل نحن على صواب أم لا؟؟ ولكن يعلم الله أنه هو أبعد الناس عن الإنصاف، وأقربهم إلى التعصب والاعتساف، وفيما يأتي أكبر دليل، وأصدق شاهد، وأوضح برهان.

وقبل بيان افتراءات الطاعن نقول:

إن من القواعد المتفق عليها عند علماء الجرح والتعديل عند عرض الروايات أن يؤخذ رأي الفريق الذي تم أخذ الرواية من كتبه عند الحكم عليها، فمثلاً عندما يأتي أحدنا بحديث من كتاب الكافي للكليني، لا بد أن يحكم على الرواية بالاستناد على أقوال علماء الشيعة، وكذلك الحال إذا استشهد أحدنا بحديث من صحيح البخاري، فلا بد أن نأخذ بأقوال علماء أهل السنة والجماعة في الحكم على الرواة، أما من أراد أن يحكم على رواة الأحاديث في كتب السنة بآراء علماء الشيعة، فهذا لا بد له أن يرضى - أيضاً - بآراء علماء أهل السنة والجماعة في حكمهم على رواة الشيعة، لأن معظم رواة الشيعة غير مقبولي الرواية عند علماء أهل السنة والجماعة، وكذلك فإن معظم رواة

أهل السنة والجماعة غير مقبولي الرواية عند علماء الشيعة، إذاً فلا بد من الحكم على كل فريق بكتبه وبأقوال علمائه.

وقد ضرب هذا الطاعن بهذه القاعدة عرض الحائط!! حيث حكم على عبد الله بن عمر، وعائشة، وأبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك، وأبي بردة بن أبي موسى، وعروة بن الزبير، وأبي وائل، رضوان الله عليهم بحكم لم يكن في محله، حيث اعتمد في طعنه على مرويات في كتب الشيعة، أو في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي، وعلى ذلك؛ فلا أقل من المقابلة بالمثل، وهي إسقاط جميع الروايات التي وردت في كتب الشيعة برمتها، لأن رواتها مطعون فيهم عند أهل السنة والجماعة، وهكذا وبكل سهولة يكون المذهب الشيعي قد انهار إلى أبد الآبدين، ولم أكن أتصور أن مسألة الرد ستكون بهذه السهولة!!!

في بداية الرسالة ذكر الطاعن الروايات التي ذكرت في الكتب الستة عن إمامة أبي بكر رضي الله عنه للناس بأمر النبي ﷺ، بالإضافة إلى مسند الإمام أحمد، والطريف اللطيف الذي يدل على تبحر هذا الناقد في كتب الحديث وعلومه هو إدراجه موطأ الإمام مالك في الكتب الستة!! فاقرأ وتعجب، إضافة إلى أن إدراجه للموطأ قد أوقعه في مأزق كبير جداً، يأتي في محله إن شاء الله تعالى.

ثم إن المؤلف المتتبع قد أغفل بعض الأسانيد التي جاءت تذكر هذا الخبر!، ولكن ولله الحمد فرواية واحدة من الروايات التي ذكرها تغنينا عن تتبع باقي الأسانيد التي لم يذكرها أو النظر فيها، لأن أسانيد الخبر لا يرقى إليها الشك بأي حال من الأحوال، ولنحكم بما اختاره هو من روايات، ولنعرض عما أغفله من الروايات التي وردت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.

ولنبدأ الآن معه في نقده للأسانيد التي ذكرها، وهي مرتبة حسب الرواة كالتالي: (ملاحظة: ذكرت جميع الأسانيد بالعنعنة للاختصار).

١) **أحاديث أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه:

البخاري: عن إسحاق بن نصر، عن حسين، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي بردة، عن أبي موسى.

مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حسين بن علي، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي بردة، عن أبي موسى.

الإمام أحمد: عبد الله، عن أبيه، عن حسين بن علي، عن زائدة، عن عبد الملك ابن عمير، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى.

قال في نقده لهذه الأسانيد ما يلي: (إنه مرسل، نص عليه ابن حجر وقال: يحتمل أن يكون تلقاه عن عائشة)، وأحال إلى مصدره وهو فتح الباري، ولكن لنلق نظرة على ما قاله ابن حجر عن هذا الإسناد، حيث قال: (قوله: عن أبيه عن عائشة كذا رواه جماعة عن مالك موصولاً وهو في أكثر نسخ الموطأ مرسلاً ليس فيه عائشة... والظاهر أن حديث أبي موسى من مراسيل الصحابة ويحتمل أن يكون تلقاه عن عائشة أو بلال)[1].

فهنا ذكر ابن حجر أن أكثر نسخ الموطأ ليس فيه ذكر لعائشة رضي الله عنها، ومن باب التنزل مع الخصوم: فحتى لو كان الحديث من مراسيل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ فإنه نقل إما عن عائشة، أو عن بلال رضي الله عنهما، ومع ذلك تذكر عائشة فقط لحاجة في نفس يعقوب، ومع ذلك كله، ومن باب التنازل مع الخصوم إلى آخر درجة؛ فحتى لو

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٦٥).

كان الحديث مرسلاً عن عائشة؛ فهذا ليس بقادح فيه على الإطلاق، لأن الصحابة كلهم عدول، فنقل بعضهم عن بعض دون التصريح ليس فيه حرج، وهذا كثير شائع.

ثم قال في طعنه بأبي بردة ﷺ: (وهذا الرجل فاسق أثيم، له ضلع في قتل حجر بن عدي، حيث شهد عليه - في جماعة شهادة زور أدت إلى شهادته).

وكنا نتمنى من هذا المحقق بالإضافة إلى تحقيقه وطعنه لما تواتر من الأخبار؛ أن يقوم بتحقيق الشاذ منها أيضاً، وأن يفرغ نفسه قليلاً لها، ولكن العقول المنكوسة قد أعيت الأطباء، وبالرجوع إلى تاريخ الطبري ﷺ نجد أن مدار هذه الروايات التي تطعن في أبي بردة ﷺ يدور على أبي مخنف يحيى بن لوط الشيعي المحترق، وقد قال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدارقطني: أخباري ضعيف!!! فهنيئاً مريئاً له هذا الإسناد.

وأما الخبر الثاني الذي ذكره فهو: (وروي أيضاً أنه قال لأبي الغادية - قاتل عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه -: أأنت قتلت عمار بن ياسر؟ قال: نعم. قال: فناولني يدك. فقبلها وقال: لا تمسك النار أبداً!)، وقد أحال المرجع إلى شرح النهج لابن أبي الحديد الشيعي، وقد رواه ابن أبي الحديد الشيعي بإسناد منقطع عن عبد الرحمن المسعودي عن ابن عياش المنتوف[1]، وابن عياش لم أجد له ترجمة، والمسعودي إن كان هو المؤرخ المشهور فهو ساقط في مقام الاحتجاج لتشيعه المغالي.

ثم انظروا في محصلة الأمر لهذا الطاعن: يحتج بالمنقطع المبتور من الروايات، وبخزعبلات يحيى بن لوط الفاسق الأثيم لتضعيف أبي بردة ﷺ الثقة الثبت، والذي قال فيه علماء الجرح والتعديل وصيارفة الحديث والنقل: (الإمام الفقيه الثبت...

(١) شرح نهج البلاغة (٤/ ٩٩).

وكان من أئمة الاجتهاد... قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة)[١]، فياللعجب!!

ثم ذكر تضعيف عبد الملك بن عمير بقوله: (وهو مدلّس ومضطرب الحديث جداً).

فما ذكره عن هؤلاء الأعلام صحيح إلى حد كبير، وإن كان قد ابتلع تتمة كلام هؤلاء الأعلام، وهو أن عبد الملك بن عمير ﷫ إنما تغير حفظه في آخر حياته، حيث عاش (١٠٣) سنين، ولا يستغرب أن يتغير حفظ من بلغ هذا العمر، ولكن هل معنى ذلك أن نرمي بجميع رواياته في البحر؟! بالطبع لا، وإنما يتم التفريق بين ما رواه كبار تلامذته، وما رواه صغارهم، وعلى هذا فروايات قدماء أصحابه عنه صحيحة موثقة، أما روايات الأصاغر عنه فلا، والراوي عن عبد الملك بن عمير هنا هو زائدة بن قدامة ﷫، وهو من كبار أتباع التابعين كما نص عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب[٢] الذي قام هذا الطاعن بالرجوع إليه لقراءة الترجمة، ومعنى كونه من كبار أتباع التابعين أنه في الطبقة التي تلي عبد الملك بن عمير بقليل، لأن عبد الملك بن عمير من طبقة صغار التابعين، بل كان زائدة من كبار أصحاب عبد الملك بن عمير، وممن رووا له الكثير من الروايات، وممن لازموه فترة طويلة قبل اختلاطه، ولذلك فرواية زائدة عن عبد الملك بن عمير لا غبار عليها.

إضافة إلى ما سبق؛ فكان من الأمانة العلمية والإنصاف ذكر من وثّق عبد الملك بن عمير، وإليك ما قاله العلماء في عبد الملك بن عمير، فقد وثقه العجلي وابن معين والنسائي وابن نمير، وقال ابن مهدي: كان الثوري يعجب من حفظ عبد الملك، وقال

---

(١) راجع الترجمة في سير أعلام النبلاء.

(٢) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٤).

أحمد بن حنبل: مضطرب الحديث تختلف عليه الحفاظ، وقال ابن البرقي عن ابن معين: ثقة إلا أنه أخطأ في حديث أو حديثين، وقال ابن حجر: احتج به الجماعة (أي أصحاب الكتب الستة)، وأخرج له الشيخان من رواية القدماء عنه في الاحتجاج، ومن رواية بعض المتأخرين عنه في المتابعات، وإنما عيب عليه أنه تغير حفظه لكبر سنه لأنه عاش مائة وثلاث سنين، ولم يذكره ابن عدي في الكامل، ولا ابن حبان... فواضح مما سبق أن التضعيف إنما كان لسوء حفظه في آخر حياته، أما رواية القدماء عنه (ومنهم زائدة بن قدامة) فهي مقبولة، وقائمة في مقام الاحتجاج.

أما بالنسبة لتهمة التدليس؛ فيبدو أن هذا الطاعن بحاجة لتوضيح معنى التدليس عند المحدثين.

فالتدليس هو: أن يروي الراوي عمن لقيه ما لم يسمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه موهماً أنه سمع منه، أو أن يصف من روى عنه بصفة لا تبين من هو؟ وينتفي التدليس تماماً إذا صرح الثقة بتحديث شيخه له، حتى وإن كان من كبار المدلسين إن كان صدوقاً، فضلاً عن أن يكون دلَّس مرة أو مرتين لخطأ ورد عنه، والملاحظ أن تهمة التدليس ليس لها أي مقام هنا، لأن عبد الملك بن عمير رحمه الله صرح بتحديث أبي بردة رحمه الله له، وعلى هذا فجميع الطعون في عبد الملك بن عمير ساقطة لا اعتبار لها.

ثم يواصل طعونه التي لا تنتهي بقوله: (وعبد الملك - هذا - هو الذي ذبح عبد الله بن يقطر أو قيس بن مسهر الصيداوي، وهو رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، فانه لما رمي بأمر ابن زياد من فوق القصر وبه رمق؛ أتاه عبد الملك بن عمير فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: (إنما أردت أن أريحه!).

فنقول: إن الرواية التي احتججت بها ساقطة باطلة، وما أعجب هؤلاء في معارضتهم للمتواتر من الأحاديث بالباطل منها، ومع أن ابن كثير رحمه الله قد ذكر هذه

الحادثة في كتابه البداية والنهاية إلا أنها ساقطة أيضاً لأنها من روايات أبي مخنف يحيى بن لوط، **هذا أولاً**.

ثانياً: وهي الطامة التي ما بعدها من طامة: أن الشخص الذي قتل قيس بن مسهر هو عبد الملك بن عمير البجلي، أما الراوي الذي نحن بصدده، فهو عبد الملك بن عمير القرشي ويقال اللخمي ويقال الكوفي ويعرف بالقبطي، ولكن إطلاقاً لا يعرف بالبجلي!!!

ثم يجترئ هذا الطاعن بالطعن على أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ، حيث يقول عنه: (ثم الكلام في أبي موسى الأشعري نفسه، فإنه من أشهر أعداء مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان يوم الجمل يقعد بأهل الكوفة عن الجهاد مع الإمام علي عليه السلام، وفي صفين هو الذي خلع الإمام عليه السلام عن الخلافة، وقد بلغ به الحال أن كان الإمام عليه السلام يلعنه في قنوته مع معاوية وجماعة من أتباعه).

أقول: إن الحكم على أبي موسى الأشعري من كتب الشيعة خاضع لما ذكرناه سابقاً من أن ذلك يستلزم رضا الشيعة بنقد رواياتهم من وجهة نظر أهل السنة والجماعة، وهذا ما لا يرضاه الشيعة على الإطلاق، وأبو موسى الأشعري صحابي، والصحابة كما ذكرنا مراراً وتكراراً كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، أما الاستشهاد على عداء أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب في نهيه الناس عن القتال، فهذا كاتهام النصارى للمسلمين ببغض عيسى بن مريم عليه السلام لأنهم ينهون الناس عن اعتقاد الألوهية فيه!!!! وقد كان الزمان زمان فتنة، والقاعد في الفتنة خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، ففعل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه هو عين الصواب، وقد وردت الروايات الكثيرة في اعتزال الفتن عن النبي ﷺ، فلماذا يُلام أبو موسى رضي الله عنه لاتباعه أمر رسول الله ﷺ؟؟!! وأعجب من ذلك كله أن يوكل

علي بن أبي طالب عنه في مسألة التحكيم رجلاً يضمر له العداء والبغض ويكون من أشهر المنحرفين عنه، ومن المثبطين عنه في موقعة الجمل!!! فهل كان علي بن أبي طالب أحمقاً إلى هذه الدرجة أن يوكل رجلاً يضمر له كل هذا العداء والبغض؟! ومهما قيل في الأسباب التي دعته إلى توكيل أبي موسى، وأنه قد أكره على ذلك!!! فهل كان علي رضي الله عنه متساهلاً في أمر الإمامة والأمة بأن يوكل في تحديد مصيرها رجلاً هذه صفته؟!

وأما ما روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يلعن أبا موسى الأشعري ومعاوية رضي الله عنهما في صلاته فإن هذا مردود من وجهين:

الأول: أن الروايات خالية من الأسانيد، ونحن هنا في مقام نقاش علمي، وكل رواية لا تحمل إسناداً ثابتاً فإنما هي كالهباء المنثور، ليس لها أي وزن أو قيمة.

وأما الثاني: فقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينهى أهل العراق عن لعن أهل الشام، ويقول لهم: «إني أكره لكم أن تكونوا لعانين»(١)، وهذا هو المتوقع من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم لماذا يلعن رجلاً هو الذي وكله عن نفسه بنفسه؟!

ثم إن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قد روى بعض الروايات في مدح أهل البيت، فمن ذلك ما رواه ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري قال: {رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فأخذهما فوضعهما في حجره فقال صدق الله ورسوله: ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن:١٥] رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في خطبته}(٢).

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري (ص: ١٦٥)، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين.

(٢) سبق تخريجه.

فجميع الطرق الثلاث التي وردت عن أبي موسى الأشعري ﷺ صحيحة لا غبار عليها، والعاقل المنصف يكتفي بهذه الروايات، وحسبه بها، ولكن للمزيد من الإفحام في الرد على هذا المعاجز نكمل النظر في بقية الأسانيد، وإن كانت بما سبق من الأسانيد قد قامت في مقام الاحتجاج، إلا أننا ننظر في البقية من باب زيادة الطرق الصحيحة، ومن باب الشواهد والمتابعات.

٢) أحاديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ:

البخاري: عن يحيى بن سليمان، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن حمزة بن عبد الله عن أبيه.

مسلم: عن محمد بن رافع وعبد بن حميد - واللفظ لابن رافع - عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حمزة عن عبد الله بن عمر عن عائشة.

ذكر أن مدار الحديثين على رواية الزهري، واتهم الزهري بعدة اتهامات منها قوله: (محمد بن شهاب الزهري وهو رجل مجروح عند يحيى بن معين، وعبد الحق الدهلوي). وترجم ليحيى بن معين ﷺ في الحاشية ما يلي: (هو من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمة الجرح والتعديل، اتفقوا على أنه أعلم أئمة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفي سنة ٣٠٢ هـ. ترجم له في: تذكرة الحفاظ ٢|٤٢٩ وغيرها)!!

فلا أزيد على أن أقول: إن حال هذا الطاعن يدعو والله إلى الرثاء، لأن الإمام الزهري قد أطبق العلماء على رسوخه في الحديث، وعلى وثاقته، وعلى قوة حفظه التي تضرب بها الأمثال، ولكن المؤلف كعادة من في قلبه مرض يقرؤون كيفما يشاؤون، دون تمييز أو تدقيق أو تمحيص، تماماً كجامع القمامة عند دخوله إلى الحديقة، لا يرى فيها إلا القاذورات، لأن الإمام الزهري ﷺ هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد

الله بن شهاب الزهري القرشي أبو بكر، وهو ثقة بالاتفاق، وقد وثقه: عمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، ويحيى بن معين!! ويحيى بن سعيد القطان، ومكحول، وقتادة، وأيوب، وعمرو بن دينار، وأبو بكر الهذلي، ومعمر، وعلي بن المديني، وأبو زرعة، وابن سعد، وأبو الزناد، وصالح بن كيسان، والليث، وعبد الرحمن بن إسحاق، والنسائي، وعراك بن مالك، وبقية علماء الإسلام، بل قال عنه ابن حجر ﷺ في تقريب التهذيب: (الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه وثبته)[1]!! ولم يرد عن يحيى بن معين تضعيف له!!!! بل إن مجرد التفكير في الطعن فيه يعتبر خطيئة لا تغتفر!!! وإنما فضَّل ابن معين الأعمش على الزهري، مع أن الزهري أحفظ من الأعمش، وهذا كل ما في الأمر.

ثم يواصل طعونه في الزهري ﷺ بقوله: (وكان من أشهر المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام)!!!، وقال أيضاً: (قال ابن أبي الحديد: وكان الزهري من المنحرفين عنه، وروى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة ابن الزبير جالسان يذكران علياً فنالا منه. فبلغ ذلك علي بن الحسين فجاء حتى وقف عليهما فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك، وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتُك كير أبيك).

والرد عليه تماماً كالرد على ما سبق من الهراء، وهو أن روايات ابن أبي الحديد الشيعي ليست حجة على رواة أهل السنة والجماعة، فضلاً عن أنها ساقطة سنداً لانقطاعها.

ثم يواصل ويقول عن الزهري: (و هو من الرواة عن عمر بن سعد اللعين)!!!

(١) تقريب التهذيب (٦٢٩٦).

وأقول: بالنسبة لرواية الزهري ﵀ عن عمر بن سعد، فأين هي هذه الروايات، وأين عثر عليها هذا الطاعن؟؟!! لقد ذكر الذهبي أنه أرسل عنه، وهذا يعني أنه لم يرو عنه مباشرة، ويبدو أن الأمر قد التبس على هذا الطاعن المسكين؛ حيث روى الزهري عن عامر بن سعد!! وليس عمر بن سعد قاتل الحسين!! ثم أين هي هذه الروايات حتى يحكم عليها أهل السنة والجماعة؟ وإذا كانت وثاقة الراوي تعتمد على وثاقة من روى عنه؛ فلماذا لا يتم توثيق الزهري لأنه قد روى عن علي بن الحسين ﵀؟؟!! وحتى لو ثبتت رواية الزهري عن عمر بن سعد؛ فإن علماء الشيعة لا يرون بأساً بالرواية عن أصحاب المذاهب الفاسدة أو الضعفاء، فهم يروون عن الواقفة والجارودية والغلاة والمفوضة وغيرهم، ولم نسمع من علماء الشيعة تضعيفاً لرجل من رجالهم لأنه روى عن واقفي يعادي علي الرضا الإمام الثامن عند الشيعة ومن خلفه من الأئمة!!! وكذلك بالنسبة للرواية عن الضعفاء؛ فهذا العياشي الشيعي صاحب التفسير المشهور يذكر عنه النجاشي في كتابه الرجال في الترجمة رقم ٩٤٤ ما نصه: (محمد بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي أبو النضر، المعروف بالعياشي، ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، وكان يروي عن الضعفاء كثيراً) فإذن في نظر هذا الطاعن أن الراوي إن روى عن الضعفاء وكان سنياً فهذا أمر قادح فيه أشد القدح، أما إن كان هذا الراوي شيعياً فهذا لا بأس به.

وأما ما ذكره عن عبد الحق الدهلوي في قوله: (إنه قد ابتلي بصحبة الأمراء وبقلة الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرهم! فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت)، فمن هو الدهلوي في مقابل من ذكرناه من العلماء؟؟!! وأما مصاحبة الأمراء فلم نسمع من قبل أنها تضعف الحفظ، أو أنها تسبب الاختلاط على الشخص؛ خاصة إذا كان

مصاحباً لهم في الخير دون الشر، ولم يكن الزهري يسكت عن شرهم كما ذكر الدهلوي، إضافة إلى أن علماء الشيعة لا يرون إعانة الحكام الظلمة قادحاً في العدالة، ومن الأمثلة على ذلك: الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حيث كان أميراً للمدينة من قبل أبي جعفر المنصور، وعمل له على غير المدينة أيضاً، وكان مظاهراً لبني العباس على بني عمه الحسن المثنى، وهو أول من لبس السواد من العلويين، وراجع هذه المعلومات في كتاب أعيان الشيعة الجزء الخامس الترجمة رقم ٢٢٨، فهذا الرجل قد تولى الولايات للمنصور، وصاحب المهدي العباسي أيضاً، وكان مظاهراً لبني العباس على بني عمه مع أنهم ذوي رحم عنده، فقام الحسن بن زيد بقطع رحم ماسة له، وأودى ببني عمه موارد الهلاك من أجل رضا الوالي، ولم يمنع ذلك كله الطوسي شيخ الطائفة الشيعية من عدّه في رجاله، وقد ذكره في أصحاب جعفر الصادق في باب الحاء، الاسم الرابع منها!

يضاف في الرد على ما ذكره عبد الحق الدهلوي: أن قوله مردود بتوثيق أقران الزهري له، وبمدحهم له، ومنهم أبو الزناد، حيث يقول: (كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس)[1]!! وصالح بن كيسان أيضاً يقول: (كنت أطلب العلم أنا والزهري، فقال: تعال نكتب السنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، قال: فكتب ولم نكتب، فأنجح وضيعت)[2]، وسأل إبراهيم بن سعد بن إبراهيم أباه: (بم فاقكم ابن شهاب؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورها، ولا يلقى في المجلس كهلاً إلا ساءله، ولا شاباً إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار، فلا يلقى شاباً إلا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٢).

(٢) تاريخ دمشق (٥٥/ ٣٢٠).

ساءله، ولا كهلاً ولا عجوزاً ولا كهلة إلا ساءله، حتى يحاول ربات الحجال)[(١)]!!!
وأنا لا أدري بعد هذه النصوص: من هم أقران الزهري الذين نقموا عليه؟؟

وأما الرواية عن الزهري أن أول من أسلم هو زيد بن حارثة ﷺ؛ فكان من الأولى أيضاً بهذا الطاعن أن يذكر أقوال الزهري الأخرى، وهو أن له قولاً آخر[(٢)] وهو أن أول من أسلم خديجة ﷺ، إضافة إلى اتفاق العلماء أن أول من أسلم هو خديجة؛ ثم خلافهم فيمن هو بعدها، فمن ذكر أن أول من أسلم هو فلان؛ فإنه يقصد إسلامه بعد خديجة رضوان الله عليها.

وأعجب من هذا كله قوله: (وقال ابن حجر بترجمة الأعمش: (حكى الحاكم عن ابن معين أنه قال: أجود الأسانيد وإلا فما معنى قول رجال الحديث من السنة أو الشيعة أو الخوارج أو النواصب أو القدرية أو المعتزلة أو اليهود أو النصارى أو الجن أو الإنس أو الملائكة أو الشياطين: (إن فلاناً أعلم أهل عصره)؟ أو: (إن فلاناً أثبت الناس)؟؟ وهل معنى ذلك إسقاط عدالة البقية؟؟!! ولكن الهوى يعمي ويصم.

وأما قول هذا الطاعن: (ولأجل كونه من عمال بني أمية ومشيدي سلطانهم كتب إليه الإمام السجاد عليه السلام كتاباً يعظه فيه، جاء فيه: «إن ما كتمت، وأخف ما احتملت، أن آنست وحشة الظالم، وسهلت له الطريق الغيّ... جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً إلى ضلالتهم، داعيا إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، احذر، فقد نبئت، وبادر فقد أجلت»؛ فنحن بانتظار أن يقوم بإرسال نسخة أخرى من هذه الرسالة إلى الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما للتنبيه والتحذير).

---

(١) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٩٧).

(٢) تدريب الراوي (٢/ ٢٢٧).

ثم يجترئ مرة أخرى على خير القرون، ويقوم بالطعن في عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فيقول: (فإنه ممن امتنع عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان، وقعد عن نصرته، وترك الخروج معه في حروبه، ولكنه لما ولي الحجّاج بن يوسف الحجاز من قبل عبد الملك جاءه ليلاً ليبايعه فقال له: ما أعجلك؟! فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية!! فقال له: إنّ يدي مشغولة عنك - وكان يكتب - فدونك رجلي، فمسح على رجله وخرج!!). ويستشهد بهذه الرواية التي لا خطام لها ولا زمام في الطعن فيمن زكاه الله في كتابه، ويحتج هذا الحشرة بكلام لا يدري ما عواقبه على جبل من جبال الإسلام، وعلم من أعلامهم، ولكن ليس لنا في الكذاب حيلة.

وتذكيراً - فقط - نقوم بالرد على بعض ما ذكره، وإن كان كلامه السخيف لا يحتاج إلى رد:

فأولاً: امتناع ابن عمر عن بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان فهو من الكذب المجاني، ولأن الكذب لا حامي له؛ فإن هذا الطاعن يأخذ منه ويعبُّ كيفما يشاء، وقد ورد في سير أعلام النبلاء عن ابن عيينة عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إليّ علي فقال: «يا أبا عبد الرحمن! إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم»[1]!! ورجال الإسناد كلهم ثقات، فكيف يوليه دون أن يبايعه؟؟!!

ثانياً: ترك النصرة والخروج معه إلى صفين، فقلنا: إن الزمان زمان فتنة، وكان ابن عمر يتأسف على عدم خروجه مع علي إلى صفين، لأن الحق تبين له أنه مع علي رضي الله عنه، فقد جاء في الاستيعاب: عن أبي أحمد الزبيري، عن عبد الجبار بن العباس، عن أبي

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٤).

العميدس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال حين احتضر: «ما آسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه»(١)، ورجال الإسناد كلهم ما بين الثقة والصدوق.

ثالثاً: وأما قصة ابن عمر مع الحجاج؛ فهي تدعو والله إلى السخرية من هذا المتهوك، ولكن أنى له أن يدرك ذلك، ولننظر فيما رواه الإمام الذهبي عن العلاقة الحميمة بين عبد الله بن عمر والحجاج، فيقول الذهبي رحمه الله في السير: (حدثني إسماعيل بن عياش، حدثني مطعم بن المقدام قال: كتب الحجاج إلى ابن عمر: بلغني أنك طلبت الخلافة، وإنها لا تصلح لعيي ولا بخيل ولا غيور، فكتب إليه: أما ما ذكرت من الخلافة فما طلبتها وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العي فمن جمع كتاب الله فليس بعيي، ومن أدى زكاته فليس ببخيل، وإن أحق ما غرت فيه ولدي أن يشركني فيه غيري. وقال أيوب: عن نافع قال: أصابت ابن عمر عارضة محمل بين أصبعيه ثم الجمرة فمرض، فدخل عليه الحجاج، فلما رآه ابن عمر غمض عينيه، فكلمه الحجاج فلم يكلمه، فغضب وقال: إن هذا يقول: إني على الضرب الأول. وروى هشام عن ابن سيرين أن الحجاج خطب فقال: إن ابن الزبير بدل كلام الله، فعلم ابن عمر فقال: كذب، لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كلام الله ولا أنت، قال: إنك شيخ قد خرفت الغد، قال: أما إنك لو عدت عدت. فقال روح بن عبادة: حدثنا العوام بن حوشب، عن عياش العامري، عن سعيد بن جبير قال: لما احتضر ابن عمر قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا يعني الحجاج)(٢).

---

(١) الاستيعاب (٦/ ٣٢٦).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ١٨٥)، المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: ١٥٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٢).

ويكفي من جبن هذا الطاعن أنه ذكر القصة دون إسناد، لأن وجودها فقط في خياله، بينما لا نصيب لها من الواقع.

ثم في آخر الكلام؛ فعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ من الصحابة الأجلاء، الذين لا يقدح فيهم سباب حثالة البشرية فيهم، وعدالتهم أعلى من أن يتطاولها أقزام التاريخ!!

وعلى هذا يتبين أن طعن هذا المبطل الفاشل في روايتي البخاري ومسلم ليس له وجه من الصحة، وعلى هذا فقد ازداد الحديث صحة إلى صحة بزيادة طرقه الصحيحة، ولننظر في بقية افتراءاته على الأسانيد.

هذا وقد كان ابن عمر ﷺ من رواة فضائل أهل البيت، فمن ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال عن الحسن والحسين: وقال النبي ﷺ: {هما ريحانتاي من الدنيا}(١).

٣) أحاديث عبد الله بن زمعة ﷺ:

أبو داود: عن عبد الله بن محمّد النفيلي، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الصمد بن الحرث بن هشام، عن أبيه عن عبد الله بن زمعة.

أبو داود: أحمد بن صالح، عن ابن أبي فديك، عن موسى بن يعقوب، عن عبد الله بن إسحاق، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن زمعة.

ولم يجد هذا المخذول من طعون في أسانيد هاتين الروايتين إلا أن يقول وبكل

---

(١) سبق تخريجه.

وقاحة وجرأة: (وأما حديث عبد الله بن زمعة... فقد رواه أبو داود عنه بطريقين، والمدار في كليهما على (الزهري) وقد عرفته)!! هكذا!! وكأن الزهري قد غدا أكبر الوضاعين!! ولكني أقول: إي والله عرفنا من هو الزهري المقصود؟ وعرفنا مقدار البحث والتدقيق والأمانة العلمية والسخافة فالذهنية التي يتمتع بها البعض!!

٤) أحاديث ابن عباس ﷺ:

ابن ماجه: عن علي بن محمد، عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس.

الإمام أحمد: عن عبد الله عن أبيه، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه، عن أبي إسحاق عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس.

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس.

أقول: إن مدار هذه الأسانيد الثلاثة على أبي إسحاق عن أرقم بن شرحبيل، ولم يذكر لأبي إسحاق رواية عن أرقم بن شرحبيل، وقد استبشر هذا الطاعن بهذه النتيجة وكأنه حاز على كنوز كسرى وقيصر، لدرجة أنه تمادى في الطعن على أبي إسحاق بقوله: (قال بعض أهل العلم: كان قد اختلط، وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه)، وأغفل ثناء العلماء عليه، وأنه صدوق حافظ، وأنه إنما كان الخطأ من صغار من رووا عنه لا منه، وأنه لم يختلط في آخر حياته، وإنما نسي مع كبره لتجاوزه المائة عام، وهذا كله مبثوث في كتب الرجال، ولكن هذا الطاعن لا يحسن القراءة جيداً، لأنه مصاب بالتخليط منذ نعومة أظفاره.

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن أبا إسحاق السبيعي (والأعمش كما سيأتي) ممن رموا بالتشيع، والتشيع في عرف القدماء هو تفضيل علي على عثمان ﷺ دون المساس

بقضية أفضلية أبي بكر وعمر رضي الله عن الجميع، إلا أنهما كانا من أهل الصدق، فلا يصرحان بالتحديث إلا عمن لقياه ورويا عنه، ولكن قد يدلسان أحياناً لروايتهما عن الضعفاء، ويرويان بالعنعنة أو بالأنأنة، ولذلك؛ فإن علماء الإسلام يحتاطون في الأحاديث التي لم يصرحا فيها بالسماع عمن فوقهما، ويسقطونها من مقام الاحتجاج، ما لم تأت قرينة تنفي التدليس، والطريف في الموضوع كونهما من الرواة المعتبرين عن الشيعة!! وقد وثقهما ودافع عنه بكل قوة عبد الحسين الموسوي في كتابه المراجعات!!!

وعموماً؛ فإن إسقاط الرواية بسبب سندها أمر غير مستساغ، لأن المتن قد روي من طرق أخرى صحيحة، وكفى بها في مقام الاحتجاج والاعتبار، وهذا الإسناد قد زاد من صحة الرواية، لأن أبا إسحاق السبيعي على تشيعه لم يكن من أهل الكذب، وغاية ما رمي به التدليس.

٥) رواية ابن مسعود رضي الله عنه:

النسائي: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم وهناد بن السري، عن حسين بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله.

أقول: وقع عاصم بن أبي النجود الكوفي رحمه الله في أسانيد الرواية عن عبد الله بن مسعود رضي الله، وكان سيئ الحفظ رحمه الله، فلو انفرد برواية هذا الحديث لم يُتابَع عليه، ولكان الحديث ساقطاً، ولكنه لم ينفرد بروايته، حيث ورد متن الحديث من طرق أخرى صحيحة ولله الحمد، وهذا الاعتبار أيضاً غير مسقط لصحة الرواية بل عاضد لها، لأن عاصماً لم يكن كاذباً، وإنما غاية ما رمي به أنه كان سيء الحفظ رحمه الله.

٦) حديث بريدة رضي الله عنه:

الإمام أحمد: عبد الله، أبيه، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن بريدة، عن أبيه.

قال في بداية هجومه على هذه الرواية: (وأمّا حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أحمد بسنده عن ابن بريدة عن أبيه، فمع غضّ النظر عما قيل في رواية ابن بريدة – سواء كان (عبد الله) أو (سليمان) – عن أبيه فيه... إلخ)، وكأنه تفضل علينا بكرمه الدفّاق ألا يناقشنا في تعيين الراوي عن بريدة ﵁: هل هو عبد الله أم سليمان؟ إلا أن رأيه – بدون اعتذار – غير ملتفت إليه، لأن عبد الله بن بريدة وسليمان بن بريدة كلاهما ثقة، وكلاهما روى عن أبيه، فما الضير في عدم تعيين الراوي.

ثم يقول هذا الطاعن عن السند أن فيه: (عبد الملك بن عمير وقد عرفته)، وأقول: نعم، لقد عرفناه.

وهذا الإسناد صحيح لا غبار عليه، يضاف إلى قائمة الأسانيد الصحيحة السابقة.

٧) حديث سالم بن عبيد ﵁:

ابن ماجه: عن نصر بن علي الجهضمي، عن عبد الله بن داود، عن سلمة بن نبيط، عن نعيم بن أبي هند، عن نبيط بن شريط، عن سالم بن عبيد ﵁.

ثم ابتدأ حديثه بتمويه ومراوغة كبيرين، حيث قال: (فقد قال فيه ابن ماجه: هذا حديث غريب)، وكالعادة ابتلع بقية كلام ابن ماجه ﵀ التي تبين للقارئ المعنى من قوله: هذا حديث غريب، حيث قال ابن ماجه ﵀ بعد إيراده هذا الحديث: (قال أبو عبد الله: هذا حديث غريب لم يحدث به غير نصر بن علي)، فواضح من سياق الكلام أن الغرابة المقصودة ليست بمعنى الغموض والخفاء والمخالفة لما هو مشهور بين الناس، وإنما الحديث الغريب في مصطلح أهل السنة والجماعة هو الحديث الذي تفرد أحد الرواة بروايته في أي طبقة من طبقات السند، حتى لو كانت طبقة واحدة، وهنا لم يحدّث بهذا الحديث فيما بلغ أبا عبد الله سوى نصر بن علي، فالحديث غريب بهذا

الاعتبار، وهذا دليل آخر على النزاهة والتحري والدقة في البحث!! فاتقوا الله فيما تسطره أيديكم يا عباد الله!!!

ثم يقول: (وفي سنده نظر... فإن نعيم بن أبي هند تركه مالك ولم يسمع منه؛ لأنه كان يتناول علياً رضي الله عنه).

فأقول: إن كان الإمام مالك قد ترك الرواية عنه؛ فقد روى عنه غير مالك، فروى عنه مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه، وقد قال فيه ابن حجر رحمه الله في تقريب التهذيب: (ثقة رمي بالنصب)[(١)]، فلنا وثاقته، وعليه بدعته، والرواية عنه ليست بأقل من رواية علماء الشيعة عن الواقفة الذين ابتلعوا أموال موسى الكاظم، وجحدوا إمامة علي الرضا من بعده، وإمامة محمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، ومحمد بن الحسن العسكري المزعوم وناصبوهم العداء، ففي الواقفة شبه من النواصب إلا أن النواصب امتازوا بالقدم الزماني فقط، فإذا ارتضى علماء الشيعة رواية الواقفي الثقة الذي أنكر إمامة خمسة من أئمة الشيعة؛ فلماذا لا يرتضون رواية الناصبي الثقة، مع أن علماء الشيعة يقولون: إن من جحد إمامة إمام واحد؛ كان كمن جحد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم!![(٢)].

ومن الواقفة الذين وثقهم علماء الشيعة الحسن بن محمد بن سماعة حيث قال النجاشي فيه: (من شيوخ الواقفة، كثير الحديث، فقيه، ثقة، وكان يعاند في الوقف ويتعصب)[(٣)]، فهذا معاند ومتعصب ضد علي الرضا، ومع ذلك ثقة عندهم!!

---

(١) تقريب التهذيب (٧١٧٨).

(٢) راجع في ذلك رسالة الاعتقادات للصدوق (ص:١٠٣)، طبعة مركز نشر الكتاب الإسلامي، إيران، (١٣٧٠هـ).

(٣) رجال النجاشي (ص:٤١).

وكذلك أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار، حيث قال النجاشي فيه: (قال أبو عمرو الكشي: كان واقفاً، وذكر هذا عن حمدويه عن الحسين بن موسى الخشاب، قال أحمد بن الحسن واقف، وقد روى عن الرضا عليه السلام (شيء طريف حقاً: واقفي يروي عن علي الرضا)!!! وهو على كل حال ثقة صحيح الحديث، معتمد عليه، له كتاب نوادر)(١)، وذكره الطوسي أيضاً أنه يروي عن الرضا(٢).

وكذلك صفوان بن يحيى، قال عنه محمد بن علي الأردبيلي: (مذهبه من الوقف وجماعة من الواقفة بذلوا له مالاً كثيراً، وكانت له منزلة من الزهد)(٣).

وكذلك منهم إدريس بن الفضل، وسليمان الخولاني، وإسحاق بن جرير البجلي الكوفي، وجعفر بن محمد بن سماعة، والحسين بن أبي سعيد، وهشام بن حيان المكاري، والحسين بن المختار القلانسي وغيرهم الكثير ممن ناصبوا علي الرضا وأولاده من (العترة الطاهرة الذين افترض الله طاعتهم وإمامتهم على الناس بالنص والوحي الإلهي) العداء وجحدوا إمامتهم، ومع ذلك فهم ثقات عدول أثبات مقبولو الرواية عند الشيعة!! ثم يقولون: نعيم بن أبي هند ضعيف!!! يا لصلابة الوجوه!!

ثم يقول: (وسلمة بن نبيط لم يرو عنه البخاري ومسلم، قال البخاري: اختلط بآخره).

فأقول: قد قال فيه أحمد بن حنبل: كان ثقة، وكان وكيع يفتخر به، يقول: عن سلمة بن نبيط، وكان ثقة، وقال فيه يحيى بن معين: سلمة بن نبيط ثقة، وقال فيه ابن نمير: سلمة بن نبيط من الثقات، كوفي كان يفتخر به أبو نعيم، وعن عبد الرحمن، قال:

---

(١) رجال النجاشي (ص:٥٣).

(٢) راجع الفهرست للطوسي (ص:٢٥).

(٣) راجع جامع الرواة للأردبيلي (١/ ٤١٣).

سألت أبي عن سلمة بن نبيط؟ فقال: ما به بأس هو صالح، وذكر ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة، يقال: اختلط، فذكر الاختلاط بالتضعيف حيث قال: (يقال)[1].

أما تضعيف البخاري له؛ فمتى كان توثيق البخاري معتمداً عند الشيعة حتى يكون تضعيفه معتمداً كذلك، وقد قلنا سابقاً: إن الاختلاط في آخر العمر لا يعني إسقاط الروايات التي رواها عن الراوي كبار أصحابه ممن أدركوه في شبابه وقبل اختلاطه، خاصة وأن سلمة بن نبيط من صغار التابعين، والراوي عنه هنا عبد الله بن داود من صغار أتباع التابعين، فهو ممن أدركه في شبابه، وقبل كبر سنه، وهذا كله على افتراض صحة الاختلاط في آخر عمره.

وأما ترك البخاري ومسلم للرواية عنه، فهذا لا يُعد قدحاً في الرجل وإسقاطاً لعدالته، لأنهما لم يرويا عن كل الثقات، وإلا فإن أول من لم يرو عنه البخاري هو جعفر الصادق، مع أنه من كبار الثقات بلا خلاف، فهل يسوغ في العقل أن يكون هذا طعناً في جعفر الصادق؟؟!! ولكن يترك البخاري الرواية عن الثقات إذا كان الرواة عنهم ضعفاء أو غير مقبولي الرواية عنده، وهذا هو كل ما في الأمر، كما هو الحال في جعفر الصادق وغيره.

ثم قال في آخر الأمر: (ثمّ إن سالم بن عبيد لم يرو عنه في الصحاح، وما روى له من أصحاب السنن غير حديثين، وفي إسناد حديثه اختلاف! قال ابن حجر: سالم بن عبيد الأشجعي، من أهل الصفة، ثم نزل الكوفة وروى له من أصحاب السنن حديثين بإسناده صحيح في العطاس. وله رواية عن عمر فيما قاله وصنعه عند وفاة النبي ﷺ وكلام أبي بكر في ذلك. أخرجه يونس بن بكير في زياداته).

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٣٢٠-٣٢١)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٣٩).

وأقول: الحمد لله رب العالمين، هذا الطاعن نفسه يذكر أن سالم بن عبيد روى الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فما الضير في ذلك؟ وما وجه الغرابة؟ لقد زاد الإسناد حسناً إلى حسن ولله الحمد!!

٨) أحاديث أنس رضي الله عنه:

روايات الزهري عن أنس رضي الله عنه:

البخاري: عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن أنس بن مالك الأنصاري.

مسلم: عن عمرو الناقد وحسن الحلواني وعبد بن حميد، قال عبد: أخبرني وقال الآخران: حدثنا يعقوب - وهو ابن إبراهيم بن سعد - عن أبيه عن صالح، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك.

مسلم: عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس.

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن يزيد، عن سفيان - يعني ابن حسين -، عن الزهري، عن أنس.

فابتدأ بقوله: (أما حديث أنس بن مالك، فمنه ما عن الزهري عنه، وقد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والزهري من قد عرفته)!! وأقول: نعم عرفنا الزهري جيداً، كان نادرة التاريخ في الحفظ رحمه الله، وعرفنا الذين يخبطون خبط العشواء أثناء تحقيقهم للروايات.

ثم يقول: (مضافاً إلى أن الراوي عنه عند البخاري هو شعيب، وهو: شعيب بن حمزة، وهو كاتب الزهري وراويته)!! ولا أدري ما وجه الإضافة في هذه الجملة؟ فشعيب بن حمزة والزهري كلاهما ثقات، ولكن يبدو أنه يستغرب عندما يجد حديثاً يرويه ثقة عن ثقة، لندرة ذلك عنده.

إلا أنه يكمل كلامه فيقول: (ويروي عن شعيب: أبو اليمان، وهو: الحكم بن نافع، وقد تكلم العلماء في رواية أبي اليمان عن شعيب، حتى قيل: لم يسمع منه ولا كلمة)، ثم يحيل هذا المفتري المرجع إلى تهذيب التهذيب!!

ولننظر في أقوال هؤلاء العلماء الذين ضعفوا رواية أبي اليمان عن شعيب في كتاب تهذيب التهذيب، لننظر مدى الإسفاف والتمويه الذي وصل إليه البعض، فمما قاله ابن حجر ﵀ نقلاً عن العلماء في ترجمة أبي اليمان ما يلي: (فكان ابن شعيب يقول: إن أبا اليمان جاءني؛ فأخذ كتب شعيب مني بعد، وفي قصة أهل حمص مع شعيب أنه قال لهم: ارووا عني تلك الأحاديث، وكان ممن حضر أبو اليمان!! وقال أبو اليمان: قال لي أحمد بن حنبل: كيف سمعت الكتب من شعيب؟ قلت: قرأت عليه بعضه، وبعضه قرأ علي، وبعضه أجاز لي، وبعضه مناولة، فقال: قل في كله: أخبرنا شعيب!! وعن يحيى بن معين قال: سألت أبا اليمان عن حديث شعيب بن أبي حمزة، فقال: ليس هو مناولة، المناولة لم أخرجها لأحد، وعن أبي زرعة الرازي: لم يسمع أبو اليمان من شعيب إلا حديثاً واحداً، والباقي إجازة)[1]، ومن أبسط البديهيات أن من حفظ حجة على من لم يحفظ، ومن علم حجة على من لم يعلم، فهؤلاء كلهم أثبتوا إجازة شعيب لأبي اليمان؛ ولكن هذا الطاعن رمى بهذه الأقوال كلها في البحر، واحتج بقول أبي داود فقط!! وهذا هو الإنصاف الذي يطالبنا بامتثاله.

ثم اعجب في آخر الأمر لهؤلاء: فعلى جلالة قدر هؤلاء العلماء الأجلاء، وعلى دقتهم في البحث عن أحوال الرواة، حتى علموا رواية كل رجل عن أشياخه، بل بتعداد الأحاديث التي أخذها عن ذلك الشيخ؛ يأتي أقزام التاريخ ليطعنوا في هؤلاء الجبال، وليسفهوا آراءهم، فقبحاً والله وسحقاً لمن يعمل هذه الأعمال.

---

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٨٠).

الحاصل أن الأسانيد الصحيحة قد زادت بما رواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب، وبروايتي الإمام مسلم.

ثم تناول الإسناد الوارد في مسند الإمام أحمد بن حنبل في رواية سفيان بن حسين عن الزهري، فقوله صحيح في عدم موافقته فيما يرويه عن الزهري، إلا أنه ثقة في نفسه وفي روايته عن غير الزهري بالاتفاق كما ذكر ذلك ابن حجر في تقريب التهذيب، وفي الجرح والتعديل ما يلي: (قال يحيى بن معين: سفيان بن حسين ليس به بأس، وليس من أكابر أصحاب الزهري، وقال عنه: إنه ثقة، وهو صالح، حديثه عن الزهري فقط ليس بذاك، إنما سمع من الزهري بالموسم)[1].

وكما قال هذا الطاعن في ترجمة الزهري: (فالإمام يحيى بن معين من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمة الجرح والتعديل، اتفقوا على أنه اعلم أئمة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفي سنة ٣٠٢ هـ. ترجم له في: تذكرة الحفاظ ٢|٤٢٩ وغيرها) فليأخذ بقوله هنا كما أخذ بقوله في طعنه في الزهري!!!

ثانياً: روايات حميد عن أنس رضي الله عنه:

النسائي: عن علي بن حجر، عن إسماعيل، عن حميد، عن أنس.

الإمام أحمد: عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن الوليد، ثنا سفيان، عن حميد عن أنس بن مالك.

فقال فيما قاله من افتراءات: (ومنه ما عن حميد عن أنس، وقد أخرجه النسائي وأحمد، وحميد هو: حميد بن أبي حميد الطويل، وقد نصوا على أنه كان مدلساً، وعلى أن أحاديثه عن أنس مدلسة وهذا الحديث من تلك الأحاديث).

---

(١) الجرح والتعديل (٤/ ٢٢٧).

وكعادته، وبكل وقاحة يحيل إلى تهذيب التهذيب لتوثيق ما قاله، وبالنظر إلى تهذيب التهذيب نجد ما يلي من أقوال العلماء: (قال ابن خراش: يقال: إن عامة حديثه عن أنس إنما سمعه من ثابت، وقال مؤمل عن حماد: عامة ما يرويه حميد عن أنس سمعه من ثابت، وقال أبو عبيدة الحداد عن شعبة: لم يسمع حميد من أنس إلا أربعة وعشرين حديثاً، والباقي سمعها من ثابت، أو ثبته فيها ثابت، وقال ابن عدي: له أحاديث كثيرة مستقيمة، وقد حدث عنه الأئمة، وأما ما ذكر عنه أنه لم يسمع من أنس إلا مقدار ما ذكر، وسمع الباقي من ثابت عنه فأكثر ما في بابه أن بعض ما رواه عن أنس يدلسه، وقد سمعه من ثابت، وقال الحافظ أبو سعيد العلائي: فعلى تقدير أن يكون أحاديث حميد مدلسة؛ فقد تبين الواسطة فيها، وهو ثقة صحيح!!)[1].

إذا فحتى لو كان هذا الحديث مدلساً؛ فإن الواسطة قد عرفت، وانتفى الطعن في هذا الإسناد، وأنا أعلم علم اليقين أن هذا الطاعن قد اطلع على هذا ولا ريب، ولكنه لا يريد أن يذكره لأنه يأخذ ما يريده حسب مزاجه المتعكر الغريب.

ثم يقول: (مضافاً إلى أن الراوي عنه - عند أحمد - هو سفيان بن حسين، وقد عرفته)!!! وكأن سفيان هو أكبر الوضاعين، وكأن العلماء لم يقولوا بصريح العبارة عنه: إنه ثقة في غير الزهري!! ومنهم يحيى بن معين الحائز على إعجاب هذا الطاعن ورضاه.

ثم ابتدأ هذا المخذول في الطعون في شخص أنس بن مالك ﷺ، مغفلاً بكل جرأة سندين وردا عند البخاري ومسلم هما:

البخاري: عن أبي معمر، عن عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس.

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٥).

مسلم: عن محمد بن المثنى وهارون بن عبد الله، عن عبد الصمد، عن أبيه، عن عبد العزيز، عن أنس.

ثم يقول: (هذا، وسواء صحت الطرق عن أنس أو لم تصح فالكلام في أنس نفسه: فأول ما فيه كذبه!!! وذلك في قضية حديث الطائر المشوي، حيث كان رسول الله ﷺ قد دعا الله سبحانه أن يأتي بعلي عليه السلام [وسيتبين لنا كذبه في هذه النقطة عند ذكر الحديث بتمامه]، وكان يترقب حضوره، فكان كلما يجيء علي عليه السلام ليدخل على النبي ﷺ قال أنس: «إن رسول الله على حاجة» حتى غضب رسول الله وقال له: يا أنس، ما حملك على رده؟!)[1]

فأما حديث الطائر المشوي؛ فكان من الأولى بالعلامة ألا يأخذ الأحاديث على إطلاقها، وإنما يأخذها بعد نقد أسانيدها حتى تطمئن النفس إليها، ولكن ما أولعه بالغرائب، يأتينا هذا النكرة برواية لا أصل لها ولا فصل يعارض بها توثيق صحابي قد أثنى الله عليه في محكم تنزيله!!! وقد رواها الحاكم بإسنادين بلفظ: {اللهم ائتني بأحب خلقك إليك}[2] في أحدهما، وليس (بعلي)!!! وفي الآخر: {بأحب خلقك إليك وإليّ}[3]، وكلا السندين ساقط.

إضافة إلى أن النظر في متن الحديث الأول يغني عن النظر في سنده، حيث يقول النبي ﷺ فيه: {اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير}، وهذا يعني أن الله يحب علياً أكثر من الرسول ﷺ!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وأما الحديث الثاني فقد وقع في إسناده عبيد بن كثير العامري، وفيه قال الدوري

(١) أخرجه غير واحد من الأئمة في كتبهم، راجع منها المستدرك (٣|١٣٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤١) (٤٦٥٠).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢) (٤٦٥١).

والغلابي عن ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن الجنيد عن ابن معين: كذاب، وقال عبد الخالق بن منصور: سئل ابن معين عنه فقال: لا ولا كرامة، وكان من أحسن الناس سمتاً، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، حدث أحاديث منكرة لا ينبغي أن يحدث عنه، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: ضعيف الحديث، ذاهب الحديث، ولم يحدثني عنه، وقال صالح بن محمد: كذاب، كان يضع الحديث، وله أحاديث منكرة، وهو ابن أخت سفيان، وقال البخاري: ليس بشيء، وقال الآجري عن أبي داود: كان يضع الحديث، وما علمته قريباً لسفيان، قلت له: هكذا قال ابن معين فسكت، وقال النسائي وأبو بكر الجعابي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، حدث عن هشام بن عروة بنسخة موضوعة، وقال أبو نعيم الأصبهاني: لا شيء متروك!!

فهنيئاً لهذا الطاعن بهذا الإسناد العالي، واعجب مرة أخرى لهذا الطاعن الذي يستدل ويستشهد بحديث يرويه الكذابون الوضاعون، ويرد الأحاديث التي غاية ما وجد فيها من الطعن نسيان أحد الرواة، أو اختلاطه في آخر عمره!!! مع أن النسيان (لو وجد)؛ فإنه يُعضد برواية غيره معه، وهذا ما يسمى بالشواهد والمتابعات، أما أحاديث الكذابين الوضاعين فهي إهداء مجاني لمن أراد أن يتدين بدين الزنادقة.

وأما نص الحديث الذي ورد من الطريق الثاني؛ فهو: عن ثابت البناني، {أن أنس بن مالك ﷺ كان شاكياً، فأتاه محمد بن الحجاج يعوده في أصحاب له، فجرى الحديث حتى ذكروا علياً ﷺ، فتنقصه محمد بن الحجاج، فقال أنس: من هذا؟ أقعدوني. فأقعدوه، فقال: يا ابن الحجاج، ألا أراك تنقص علي بن أبي طالب، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد كنت خادم رسول الله ﷺ بين يديه، وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله ﷺ غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومي، فجاءت أم

أيمن مولاة رسول الله ﷺ بطير فوضعته بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا أم أيمن، ما هذا الطائر؟ قالت: هذا الطائر أصبته فصنعته لك، فقال رسول الله ﷺ: اللهم جئني بأحب خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر، وضرب الباب، فقال رسول الله ﷺ: يا أنس انظر من على الباب؟ قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا علي بالباب، قلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة، فجئت حتى قمت من مقامي، فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال: يا أنس، انظر من على الباب، فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا علي بالباب، قلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة، فجئت حتى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال رسول الله ﷺ: يا أنس، اذهب فادخله فلست بأول رجل أحب قومه، ليس هو من الأنصار، فذهبت فأدخلته، فقال: يا أنس قرب إليه الطير، قال: فوضعته بين يدي رسول الله ﷺ فأكلا جميعاً، قال محمد بن الحجاج: يا أنس، كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم، قال: أعطي بالله عهداً أن لا أنتقص علياً بعد مقامي هذا، ولا أعلم أحداً ينتقصه إلا أشنت له وجهه}(١).

والملاحظات على متن هذا الحديث (إن صح سنده، مع أنه باطل): أن هذا الحديث يثبت ولاء أنس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فمع مرضه طلب من جلسائه أن يجلسوه، ثم قعد وذكر هذا الحديث في مدح علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويكفي من ذلك كله أن أحد أعداء علي بن أبي طالب قد أصبح من محبيه بعد سماعه هذا الحديث من أنس رضي الله عنه!!! والمفترض أن يعد الطاعن هذه الحادثة منقبة لأنس لا مذمة، وما دام أن هذا الطاعن يصدق بهذه الرواية؛ فكيف يزعم أن أنساً كان يضمر العداء لعلي بن أبي

---

(١) سبق تخريجه.

طالب ﵄، وكيف تسول له نفسه الطعن فيه بشتى الطعون؟؟ ولكن الكيل بمكيالين، والأمانة والموضوعية في النقل تختلف حسب الظروف!!

ثم إن أنسا لم يكن يقصد علياً ﵁ بالذات، ولو جاء أبو بكر أو عمر أو عثمان قبل علي لفعل أنس معهم (حسب ما تزعم الرواية) نفس ما فعله مع علي ﵁، لأنه كان يحب قومه، فأراد أن تكون هذه المنقبة في أحدهم، ومع ذلك كله لم يوبخه رسول الله ﷺ عندما علم ما في نفسه، بل قال له: اذهب فأدخله فلست بأول رجل أحب قومه، ولو كان ما فعله خطأ (إن صحت الرواية قبل ذلك كله) لوبخه رسول الله ﷺ على فعله.

وعموماً القصة ساقطة السند، وإنما ذكرت المتن ليتبين للناس كيف يقلب هذا السفيه المناقب إلى مثالب.

ثم يكمل كيل الاتهامات المجازفة لأنس ﵁، فيقول: (ثم كتمه الشهادة بالحق، وذلك في قضية مناشدة الإمام أمير المؤمنين ﵇ الناس عن حديث الغدير وطلبه الشهادة منهم به، فشهد قوم وأبى آخرون - ومنهم أنس - فدعى عليهم فأصابتهم دعوته، ومن المعلوم أن الكاذب لا يقبل خبره، وكتم الشهادة إثم كبير قادح في العدالة كذلك).

وقد أحال مرجعه في ذكر القصة إلى كتاب الغدير للأميني!! وهو كتاب ساقط من الاعتبار عند أهل السنة والجماعة، لأن رواته ساقطو العدالة، والكثير منهم كذابون، ومؤلفه يروي عن الضعفاء كثيراً، وواحدة بواحدة، والبادئ أظلم.

ثم يقول بكل ثقة: (ومن المعلوم أن الكاذب لا يقبل خبره)!!!

فأقول: على فرض صحة القصة، فأنس ﵁ لم يكذب فيها، وحاشا لله أن

يكذب وقد عدّله الله من فوق سبع سماوات في كتابه الكريم، ولكن بالنسبة للرواية عن الكذابين وقبول أخبارهم فلننظر إلى آراء علماء الشيعة في هذا الموضوع.

ولننظر في ترجمة محمد بن سنان أبي جعفر الزاهري، فهذا الزاهري قد افتخر به عبد الحسين الموسوي في المراجعات، وقال عنه الحر العاملي: (وثقه المفيد! وروى الكشي له مدحاً جليلاً يدل على التوثيق! وضعفه النجاشي والشيخ ظاهراً، والذي يقتضيه النظر أن تضعيفه إنما هو من ابن عقدة الزيدي، ففي قبوله نظر، وقد صرح النجاشي بنقل التضعيف عنه، وكذا الشيخ [يعني الطوسي شيخ الطائفة]، ولم يجزما بضعفه، على أنهم ذكروا وجهه، وهو أنه قال عند موته: كل ما رويته لكم لم يكن لي سماعاً، وإنما وجدته، وهو لا يقتضي الضعف إلا بالنسبة إلى أهل الاحتياط التام في الرواية، وقد تقدم ما يدل على جوازه، ووثقه أيضاً ابن طاوس! والحسن بن علي بن شعبة! وغيرهما، ورجحه بعض مشائخنا، وهو الصواب، واختاره العلامة في بحث الرضاع من المختلف وغيره، ...)[1].

هذه أقوال العلماء في محمد بن سنان الزاهري، والآن للنظر إلى كتب الرجال الشيعية - أيضاً - لنعرف حال هذا (الزاهري)، حيث نقل الكشي عن حمدويه أنه قال: (لا أستحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان)، وروى الكشي عن الفضل بن شاذان أنه قال: (لا أستحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان)[2].

وذكر الفضل في بعض كتبه أنه من الكذابين المشهورين، ابن سنان وليس بعبد الله[3].

(١) وسائل الشيعة (٢٠/ ٣٢٩).

(٢) رجال الكشي (٣٣٢).

(٣) رجال الكشي (٤٢٨).

وقال السيد هاشم معروف: (أما محمد بن سنان فهو من المتهمين بالكذب على الأئمة عليهم السلام، وجاء عن الفضل بن شاذان أنه قال: لا أحل لكم أن ترووا أحاديث محمد بن سنان، كما عده في بعض كتبه مع الكذابين كأبي الخطاب، ويونس بن ظبيان، ويزيد الصائغ وغيرهم)(١)، وقال عنه أيضاً: قال عنه الفضل بن شاذان أنه من الكذابين المشهورين، وبالتالي فإن أكثرهم اتفقوا على تكذيبه)(٢).

ومع هذه العبارات الواضحة في رميه بالكذب، وليس مجرد النسيان والخطأ؛ إلا أننا نجد المدح والتبجيل من الموسوي، والحر العاملي، والمفيد، بل عده الطوسي في الممدوحين في كتابه الغيبة!(٣)

والرواة المتهمون بالكذب عند الشيعة، والمقبولة روايتهم في نفس الوقت كثر، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتب الشيعة يلق العجب العجاب، والأسماء أكثر من أن تحصر لكثرتها.

وأنس أيضاً كان من رواة فضائل أهل البيت رضوان الله عليهم، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: {لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي}(٤).

٩) أحاديث عائشة رضي الله عنها:

فيقول بعد أن ذكر الرواة عن عائشة وطرقهم وبكل ثقة: (ولا شيء من هذه الطرق بخال عن الطعن والقدح المسقط عن الاعتبار والاحتجاج)، وسننظر جميعاً الآن إلى طعونه، لنرى وبكل ثقة أنه كاذب في كل ما قاله.

---

(١) الموضوعات في الآثار والأخبار (ص:٢١٩).

(٢) دراسات في الحديث (٢٩٧).

(٣) كتابه الغيبة (٢٩٠).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٥٢).

أولاً: روايات الأسود بن يزيد النعيم:

البخاري: عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود عن عائشة.

البخاري: عن مسدّد، عن عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.

البخاري: عن قتيبة بن سعيد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.

مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية ووكيع وعن يحيى بن يحيى - واللفظ له - أخبرنا معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.

النسائي: عن محمد بن العلاء، عن أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن وكيع، ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود عن عائشة.

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن أبي معاوية، ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.

ابن ماجه: عن أبوبكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية ووكيع، عن الأعمش وعن علي بن محمد، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.

فقال في البداية عن الأسود ﷺ: (فإن الأسود) من المنحرفين عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام)، وأحال المرجع إلى شرح النهج لابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي، وفضلاً عن أن الرواية التي تتهمه بذلك في النهج ساقطة لعدم وجود الإسناد، وفضلاً

عن أن ابن أبي الحديد ليس أهلاً للحكم على الرجال بآرائه؛ إلا أن لنا وقفة مع هذه الرواية في آخر كلامنا عن الأسانيد، في ذكر الروايات التي رواها الأسود في فضل علي رضي الله عنه.

وإن كان هذا الطاعن يريد إسقاط عدالة الأسود باتهامه زوراً بأنه كان من المنحرفين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فإن كل رواة الشيعة من المنحرفين عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وبهذا فجميع روايات الشيعة بهذا الاعتبار ساقطة مردودة!!! ولكن - وللأسف - الطاعن يريد أن يكون الطعن من جهة واحدة فقط!! وكأن أهل السنة والجماعة صم بكم عمي لا يستطيعون رد الافتراء بالحجة الدامغة، وبيان الكذب والتخليط بالدليل الساطع.

ثم يقول مؤكداً جهله المدقع: (والراوي عنه في جميع الأسانيد المذكورة هو إبراهيم بن يزيد النخعي، وهو من أعلام المدلّسين... قال أبو عبد الله الحاكم - في الجنس الرابع من المدلسين: قوم دلسوا أحاديث رووها عن المجروحين فغيروا أساميهم وكناهم كي لا يعرفوا - قال: (أخبرني عبد الله بن محمد بن حمويه الدقيقي، قال: حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي، قال: حدثني خلف بن سالم، قال: سمعت عدة من مشايخ أصحابنا تذاكروا كثرة التدليس والمدلسين، فأخذنا في تمييز أخبارهم، فاشتبه علينا تدليس الحسن بن أبي الحسن، إبراهيم بن يزيد النخعي، لأن الحسن كثيراً ما يدخل بينه وبين الصحابة أقواماً مجهولين، وربما دلس عن مثل عتي بن ضمرة وحنيف بن المنتجب ودغفل بن حنظلة وأمثالهم؛ وإبراهيم أيضاً يدخل بينه وبين أصحاب عبد الله مثل هني بن نويرة وسهم بن منجاب وخزامة الطائي وربّما دلس عنهم)[1].

---

(١) معرفة علوم الحديث (ص: ١٠٨).

فأقول: أما ما ذكره الحاكم ﷺ فقد قيده برواية إبراهيم عن أصحاب عبد الله بن مسعود ﷺ، وهذا الحديث ليس من ذلك، حيث يرويه عن خاله الأسود بن يزيد مباشرة، وقد روى الكثير عنه، ولم يكن يدلس عنه لأنه من أشهر الرواة عنه، هذا فضلاً عن أن الحاكم ﷺ قال: (وربما دلّس عنهم)، فأتت الأمانة العلمية عند هذا الطاعن لتحول العبارة إلى: (وهو من أعلام المدلسين)!! فضلاً عن أن إبراهيم النخعي لم يوصف بالتدليس في كتب الرجال.

إضافة إلى أن كتب التراجم التي قام هذا الطاعن بالرجوع إليها تذكر عن النخعي ﷺ أن قال عن نفسه: (إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت، وإذ قلت: قال عبد الله، فهو عن غير واحد عن عبد الله)(١)، وعموماً فروايته هنا ليست عن ابن مسعود حتى يقيم هذا الطاعن الدنيا ويقعدها، وإن كان الإرسال (في نظر هذا الطاعن) يعد مسقطاً لعدالة الراوي فعلى كتب الحديث الشيعية السلام، وعلى رأسها نهج البلاغة، والاحتجاج للطبرسي، حيث إن الأول (كله) مراسيل، والثاني عامته كذلك.

وهناك نقطة أخرى طريفة، ألا وهي أن هني بن نويرة وسهم بن منجاب، ثقات!!! وخزامة الطائي لم أعثر له على ترجمة، ومن هنا يتبين أن كلام الحاكم ﷺ كان خطأً في حق إبراهيم النخعي رحمهما الله.

ثم أخذ يطعن في الأعمش متهماً إياه بالتدليس، ونسي هذا أن الأعمش من كبار رواة الإسلام، وأن من يطعن في الأعمش؛ فإنما يطعن في نفسه، لأن الأعمش لم يكن يتعمد التدليس، هذا فضلاً عن أنه من الرواة المعتبرين عند الشيعة والسنة، وقد دافع عنه عبد الحسين الموسوي في المراجعات.

---

(١) تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٩).

ثم لننظر إلى هذا المخذول كيف يهذي، فإنه حينما أراد الطعن في الزهري استشهد بقول ابن معين ﵀ في تفضيل الأعمش على الزهري، مع أن يحيى بن معين ﵀ ابتدأ كلامه الذي فهمه هذا الغبي خطأ بقوله: أجود الأسانيد: الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله!!! أي: أن رواية الأعمش عن إبراهيم تعد من أبرز الروايات، لملازمته الطويلة له، ولانتسابها إلى سلسلة من السلاسل الذهبية، وقد علمنا هذا الطاعن أن يحيى بن معين من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمة الجرح والتعديل، اتفقوا على أنه أعلم أئمة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفي سنة (٣٠٢ هـ). ترجم له في: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٩) وغيرها.

فطعنه في رواية الأعمش وإبراهيم النخعي ليس لها أساس، وإن كان يريد أن يقيم لها أساساً فعليه بنقض ما بناه من دعاويه في الطعن في الزهري معتمداً على هذه الرواية، ولكن يبدو أنه غبي لا يفهم ما يكتبه، وكعادته يقرر القاعدة، ثم يهدمها بيده عند الحاجة إلى نقيضها، وما أكثر التناقضات عنده.

ثم يطعن في حفص بن غياث ﵀ بقوله: (ثم إن الراوي عن أبي معاوية في إحدى طرق البخاري هو: حفص بن غياث، وهو أيضاً من المدلسين)، ويحيل المرجع إلى تهذيب التهذيب، فلنذكر ما ورد فيه، حيث قال ابن حجر ﵀: (من الأئمة الأثبات، أجمعوا على توثيقه والاحتجاج به!! إلا أنه في الآخر ساء حفظه، فمن سمع من كتابه أصح ممن سمع من حفظه، قال أبو زرعة، وقال ابن المديني: كان يحيى بن سعيد القطان يقول: حفص أوثق أصحاب الأعمش، قال: فكنت أنكر ذلك، فلما قدمت الكوفة بآخرة أخرج إليّ ابنه عمر كتاب أبيه عن الأعمش، فجعلت أترحم على القطان. قلت: اعتمد البخاري على حفص هذا في حديث الأعمش لأنه كان يميز بين ما صرح به الأعمش بالسماع، وبين ما دلسه، نبه على ذلك أبو الفضل بن طاهر، وهو

كما قال، روى له الجماعة)[1].

فالحديث بهذا الإسناد لوحده كما جاء في صحيح البخاري يقوم مقام الاحتجاج، ويلقم الخصوم الأغبياء أحجاراً في أفواههم تردهم على أدبارهم، لأن طعنه هنا في حفص بن غياث أورده المهالك، لأن حفصاً من أثبت أصحاب الأعمش، فروايته عنه ليس فيها تدليس أبداً، بل كيف يروي عمن روى عن الأعمش وهو صاحب الأعمش، وروايته عن الأعمش كانت مميِّزة لما دلسه الأعمش مما لم يدلسه، فهذا إسناد كعين الشمس، ولكن مرحى للأمانة العلمية!

ثانياً: روايات عروة بن الزبير ﵀:

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن شبابة، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة.

البخاري: عن زكريا بن يحيى، عن ابن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب، قالا: عن ابن نمير عن هشام وعن ابن نمير- وألفاظهم متقاربة - عن أبي هشام، عن أبيه، عن عائشة.

ابن ماجه: - عن ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

البخاري: عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

الترمذي: عن إسحاق بن موسى الأنصاري، عن معن، عن مالك، عن هشام بن

---

(١) مقدمة فتح الباري (١/ ٣٩٦).

عروة، عن أبيه، عن عائشة.

مالك في الموطأ: عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة.

وفي: الموطأ: عن عروة بن الزبير مرسلاً، ولكنها موصولة ببقية الطرق.

فابتدأ الهجوم ببداية ضعيفة واهية سخيفة، حيث يقول: (فإن عروة بن الزبير ولد في خلافة عمر، فالحديث مرسل، ولابدّ أنه يرويه عن عائشة)، ويبدو أنه يظن أن كثرة الكلام والثرثرة تزيد من الطعون في الأسانيد، وإلا فإن أمامنا عدة روايات كلها موصولة الإسناد، وليست مرسلة، وحتى رواية الموطأ فإنها تلحق ببقية الروايات؛ لأن رواية البخاري والترمذي إنما رويتا عن طريق الإمام مالك، والإسناد فيهما متصل، فبان بأن طريق الإمام مالك موصول إلى عائشة، ولكن أنى لمن أعمى الله بصيرته أن يبصر.

إضافة إلى أنه ليس في البخاري ولا في مسلم حديث يسنده عروة إلى الرسول ﷺ، بل جاء التصريح بالإسناد في بعضها إلى عائشة رضي الله عنها، وبقيتها إلى أبيه الزبير بن العوام عن عائشة رضي الله عنها، فالحديث متصل الإسناد، ولله الحمد.

ثم يكذب على القارئ، وعلى سلف الأمة، وعلى أعلام الرجال، على كل شيء عندما يقول: (وكان عروة من المشهورين بالبغض والعداء لأمير المؤمنين عليه السلام - كما عرفت من خبره مع الزهري، والخبر عن ابنه - وحتى حضر يوم الجمل على صغر سنه، وقد كان هو والزهري يضعان الحديث في تنقيص الإمام والزهراء الطاهرة عليهما السلام، فقد روى الهيثمي عنه حديثاً - وصححه - في فضل زينب بنت رسول الله جاء فيه أنه كان يقول: {هي خير بناتي}[1] قال: فبلغ ذلك علي بن الحسين، فانطلق إليه

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٤٣١) (١٠٥١). وانظر: مجمع الزوائد (٩/ ٢١٣).

فقال: ما حديث بلغني عنك أنك تحدثه تنقص حق فاطمة؟! فقال: لا أحدث به أبداً).

فيقول: إن عروة بن الزبير رحمه الله:

١ - كان من المشهورين ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢ - حضر معركة الجمل على صغر سنه، وأحال المرجع إلى تهذيب التهذيب بكل وقاحة.

٣ - وكان يضع الأحاديث ضد علي وفاطمة رضوان الله عليهما.

ولنناقش هذه التهم الباطلة نقطة نقطة:

أولاً: قضية البغض إنما هي هرطقة لا طائل من ورائها، وكذبة رخيصة يتعلق بها الشيعة عند نقدهم لروايات أهل السنة، وإثباتها يحتاج إلى مقدمات طويلة، فضلاً عن أن هذا الطاعن اعتمد في الطعن على ما روي في شرح نهج البلاهة، والرواية فيه منقطعة الإسناد!!! وكذلك الرواية الأخرى عن ابنه يحيى منقطعة الإسناد!! وبهذه الروايات المنقطعة الإسناد وأمثالها، وبالقشة والنقير والقطمير يريد أن يهدم دين الإسلام!!!

ثانياً: ذكره أن عروة بن الزبير حضر معركة الجمل، فلننظر في كتب الرجال ماذا قالت؟

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (قال أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه: رددت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الطريق يوم الجمل، استصغرنا!!!... وكان يوم الجمل ابن ثلاث عشرة سنة، فاستصغر!!!)[1]، وبهذا

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٥).

تتضح الأمانة العلمية عند هذا الطاعن، بل يتضح كذبه وتزويره، ومن كانت هذه حاله، فهو أحقر من أن يناقش أو يرد عليه، ولكن وجدنا وللأسف من يروج هذا الهذيان.

ثالثاً: وضعه للأحاديث ضد علي وفاطمة، ثم استشهاده بالرواية التي ذكرها؛ فهذا يدل على حماقته، لأن الرواية تصرح بتطلب عروة بن الزبير رضى علي بن الحسين وفاطمة، فامتنع عن التحديث بهذا الحديث إرضاء له، وإن كان الحديث يمكن أن يؤول على عدة معاني، لأن النبي ﷺ إنما قال ذلك لما أحضروا زينب من مكة إلى المدينة، وبعد أن روعها هبار بن الأسود، وعُقر بعيرها، وأسقطت جنينها رضوان الله عليها، فلما وصلت إلى أبيها صلوات الله وسلامه عليه قال: {هي خير بناتي، أصيبت فيّ}[1].

إضافة إلى أن رواية عروة بن الزبير - كما سيأتي - لفضائل ومناقب فاطمة وعلي رضي الله عنهما ترد على كل من زعم أنه من أعدائهما، ولكن أنى للمفتري أن يفهم.

ثم أخذ يطعن في أسانيد البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه بقوله: (والراوي عنه ولده هشام في رواية البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه... وهو أيضاً من المدلسين، فقد قالوا: كان ينسب إلى أبيه ما كان يسمعه من غيره، وقد ذكروا أن مالكاً كان لا يرضاه، قال ابن خراش: بلغني أن مالكاً نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث مرات، قدمة كان يقول: حدّثني أبي، قال: سمعت عائشة. وقدم الثانية فكان يقول: أخبرني أبي، عن عائشة. وقدم الثالثة فكان يقول: أبي، عن عائشة.

وهذا الحديث من تلك الأحاديث)! لأن هذا الطاعن يقول عن هشام: إن مالكاً

---

(١) سبق تخريجه.

قد نقم عليه، مع أن الراوي عن هشام بن عروة هو الإمام مالك نفسه في رواية البخاري والترمذي؛ فضلاً عن الإمام مالك قد روى هذا الحديث عنه في الموطأ، ومن المعلوم لدى الجميع أن الإمام مالك سمع من هشام بن عروة في المدينة، وقد نقم عليه الإمام مالك أحاديثه في زيارته الأخيرة للكوفة، ثم يقول الطاعن عن هذا الحديث: (وهذا الحديث من تلك الأحاديث)!

وبهذا يتبين وبكل وضوح لكل ذي عينين أن هذا الحديث مما حدث به هشام بن عروة في المدينة، ولم يكن هذا الحديث مما نقم عليه الإمام مالك فيه، لأنه رواه عنه، وإنما نقم عليه حديثه لأهل العراق، مع أنه صحيح بالجملة.

وهناك نقطة أخرى لا بد من ذكرها، ألا وهي أن البخاري ﷺ قد روى عن بدل بن المحبر أخبرنا شعبة عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت عروة بن الزبير عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ قال لها: {مري أبا بكر يصلي بالناس ...}[1]، وهذا الحديث رواه عن عروة بن الزبير ﷺ سعد بن إبراهيم، وليس ابنه هشام، وقد أغضى هذا الطاعن الطرف عن هذا الحديث، أو أنه قد أصيب (بالعمى المؤقت) عند قراءته لهذا الحديث، لأن رواة هذا الحديث كلهم ثقات، لم يرد في أي منهم أي مطعن بأي وجه من الوجوه المعتبرة!!!! ومرة بعد مرة يضرب لنا هذا الطاعن الأمثلة على كيفية النزاهة والموضوعية في البحث!!!

ثالثاً: روايات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

البخاري: عن أحمد بن يونس، عن زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة.

---

(١) سبق تخريجه.

مسلم: عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة.

النسائي: عن محمود بن غيلان، عن أبي داود، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة.

النسائي: عن العباس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة.

الإمام أحمد: عن عبد الله، أبيه، عن عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة.

فيقول بحماقته المشهورة: (فإن الراوي عن عبيد الله عند البخاري ومسلم والنسائي هو: موسى بن أبي عائشة، وقد قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: تريبني رواية موسى بن أبي عائشة حديث عبيد الله بن عبد الله في مرض النبي ﷺ)، ويحيل إلى تهذيب التهذيب، بينما صاحب تهذيب التهذيب يقول بعد ذكره لهذه العبارة: (قلت: عنى أبو حاتم أنه اضطرب فيه، وهذا من تعنته، وإلا فهو حديث صحيح)[1]!!!

بل قال صاحب تهذيب الكمال الذي هو أصل كتاب تهذيب التهذيب: (وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: تريبني رواية موسى بن أبي عائشة حديث عبيد الله بن عبد الله في مرض النبي ﷺ، قلت: ما تقول فيه؟ قال: صالح الحديث، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: يكتب حديثه)[2]!! فأين هذا الطاعن عن هذه النصوص؟؟ هل كان مشغولاً إلى الدرجة التي يعجز معها عن قراءة وفهم هذه المقولات؟؟ أم أنه

(١) تهذيب التهذيب (١٠/ ٣١٤).

(٢) تهذيب الكمال (٢٩/ ٩١).

يخفي شيئاً في صدره؟؟ إضافة إلى أن طعن أبي حاتم في رواية موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله إنما كان للاضطراب الذي فيها، والذي ملأ هذا الطاعن الدنيا نهيقاً لما وجده، وظن أن الروايات متعارضة في ذكر الحادثة.

ثم يقول وبكل ثقة: (والزهري من قد عرفته سابقاً)!!! وهذا القول لا يحتاج إلى مزيد رد.

ثم يطعن في عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بقوله: (هذا مضافاً إلى ما في عبيد الله بن عبد الله نفسه... فقد روى ابن سعد، عن مالك بن أنس، قال: جاء علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يسأله عن بعض الشيء! وأصحابه عنده، وهو يصلي، فجلس حتى فرغ من صلاته، ثم أقبل عليه عبيد الله. فقال أصحابه: أمتع الله بك، جاءك هذا الرجل وهو ابن ابنة رسول الله ﷺ، وفي موضعه، يسألك عن بعض الشيء!! فلو أقبلت عليه فقضيت حاجته، ثم أقبلت على ما أنت فيه! فقال عبيد الله لهم: هيهات! لابد لمن طلب هذا الشأن من أن يتعنى!!)!!! وهذه الرواية تقف الآن في طابور الروايات التي ننتظر من هذا الطاعن تخريج أحاديثها والحكم على أسانيدها، ونحن في انتظار هذه الخطوة (الجريئة) من هذا الطاعن.

إضافة إلى أن القصة يمكن النظر إليها من وجهتي نظر: الأولى: وجهة النظر الشيعية، وهم ينفون هذه الرواية، لأن هذه الرواية تثبت أن علي بن الحسين كان يتعلم من عبيد الله بن عتبة، بينما الشيعة يقولون: إن علي بن الحسين ليس بحاجة إلى تعليم!!! أما الثانية: فوجهة النظر الإسلامية، وهي وجهة نظر أهل السنة والجماعة، حيث يعدون هذه إحدى مناقب عبيد الله بن عبد الله، وإنما ذكروا هذه الرواية في باب مناقبه، فقلبها الشيعة بفهمهم المنكوس إلى مثلبة!!!

الحاصل: أن هذه خمسة أسانيد ليس فيها مطعن، تضاف إلى قائمة الأسانيد الصحيحة بحمد الله تعالى.

رابعاً: روايات مسروق عن عائشة:

النسائي: عن محمد بن المثنى، عن بكر بن عيسى صاحب البصري، عن شعبة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة.

الإمام أحمد: عن عبد الله، أبيه، عن بكر بن عيسى، عن شعبة بن الحجاج، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل عن مسروق، عن عائشة.

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن شبابة بن سوار، عن شعبة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة.

فطعن في أبي وائل بكل حماقة وقلة عقل، حيث قال: (أبو وائل: وهو شقيق بن سلمة، يرويه عن مسروق، وقد قال عاصم بن بهدلة: قيل لأبي وائل: أيهما أحبّ اليك: علي أو عثمان؟ قال: كان عليّ أحب إلي ثم صار عثمان)!! ويذكر هذا الطاعن بأن كل أهل السنة والجماعة يحبون عثمان أكثر من علي رضي الله عنهما، لأنهم يرون أن عثمان أفضل من علي، ونرد على هذا الطاعن بالمثل ونقول: إن كل رواة الشيعة بأجمعهم مردودو الرواية، لأنهم يفضلون علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما !!!

ثم واصل الطعون لورود نعيم بن أبي هند، وقلنا: إن نعيم بن أبي هند ثقة رمي بالنصب، وعرفنا معه بعض الرواة الشيعة الواقفة وهم: الحسن بن محمد بن سماعة، وأحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار، وصفوان بن يحيى، وإدريس بن الفضل، وسليمان الخولاني، وإسحاق بن جرير البجلي الكوفي، وجعفر بن محمد بن سماعة، والحسين بن أبي سعيد هشام بن حيان المكاري، والحسين بن المختار القلانسي

وغيرهم الكثير ممن ناصبوا علي الرضا العداء، واستحلوا أموال الكاظم ظلماً وزوراً، ومع ذلك فهم ثقات أجلاء معتبرو الرواية عندهم!

ثم طعن في شبابة بن سوار لأنه مرجئ داعية للإرجاء، وهذا هو قول علماء الجرح والتعديل فيه، وأن روايته يتثبت فيها، ولا تؤخذ على إطلاقها، ولكن قال يحيى بن معين رحمه الله عن شبابة إنه ثقة في شعبة، وكما قال هذا الطاعن: (فالإمام يحيى بن معين من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمة الجرح والتعديل، اتفقوا على أنه أعلم أئمة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفي سنة (٣٠٢ هـ). ترجم له في: تذكرة الحفاظ (٢|٤٢٩) وغيرها)!!!

خامساً: رواية حمزة بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

البخاري: عن أحمد بن يونس، عن زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة.

وقد أغضى هذا الطاعن الطرف عن هذه الرواية لحاجة في نفسه قبحه الله، ولأنه لم يجد فيها مطعناً ينهش فيه ليطفئ حرارة السعار الذي أصابه تجاه فضائل الصديق رضي الله عنه، فتباً له وسحقاً.

وأخيراً: لما نفدت السهام من جعبته قام في الطعن في أم المؤمنين عائشة، الطاهرة المطهرة، الصادقة بنت الصديق، رضي الله عنها وأرضاها، وجمعنا بها في المنازل العليا من جنته (آمين): قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦]، فإذا كان أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض، فكيف بأقرب الأرحام إلى الشخص ألا وهي أمه، فهي أمٌّ للمؤمنين فقط، ومن كذب بذلك فهو خارج من الملة لمخالفته صريح القرآن، وهي أمنا قبل أن

تكون أمهاتنا اللاتي ولدننا أمهات لنا، لأن عائشة وبقية أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أمهات لمن سبقنا، ولنا، ولمن سيولد من المؤمنين حتى آخر الزمان، ومحبتنا لهن رضوان الله عليهن أشد من محبتنا لأمهاتنا اللاتي ولدننا، كيف لا وهن أزواج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فأسأل الله أن يجمعنا بعائشة وبقية أمهات المؤمنين في أعلى جناته، إنه سميع مجيب، وأنا أحتسب الأجر على الله في دفاعي عنها رضوان الله عليها، فأقول:

بالنسبة لزعم هذا الطاعن أنها تمدح نفسها، وتنتقص غيرها فالأحاديث التي جاءت بعكس هذا تماماً كثيرة متضافرة، فمن ذلك:

في نفس الحديث الذي نحن بصدده، روت عائشة أنها لما راجعت النبي ﷺ في طلبها أن يختار رجلاً غير أبي بكر ليصلي بالناس! وبخها قائلاً: {إنكن صواحب يوسف}[1]!! فأين مدحها لنفسها هنا؟؟!!

وروى مسلم: أن عائشة قالت: {كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة}[2]، وهنا مدحت عثمان في مقابل أبيها أبي بكر، فلو كانت تطلب الفضائل لنفسها ولذويها لقلبت ترتيب دخولهم، حتى يكون آخرهم دخولاً أبو بكر، ثم يمتدحه رسول الله ﷺ بشدة حيائه، وحاشاها رضوان الله عليها

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١).

أن تفعل ذلك.

وروى مسلم أيضاً: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ: {وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة كانت فيها تسرع منها الفيئة}[(١)]، فهاهي هنا تمتدح ضرتها التي تساميها عند زوجها.

روى الحاكم في مستدركه: عن عائشة رضي الله عنها قالت ك ثم قال رسول الله ﷺ لأزواجه: {أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً. قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة، قال: وكانت زينب امرأة صناعة اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتصدق في سبيل الله عز وجل}[(٢)]، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: {أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها، فقالت: أسر إلي إن جبريل كان

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٤٢).

(٢) مستدرك الحاكم (٤/ ٢٦) (٦٧٧٦).

يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك}(١)، ولا أدري لماذا يغض الشيعة الطرف عن مثل هذه الأحاديث؟؟!!

وروى البخاري عن عائشة ﵂: {أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية، فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ}(٢)، وعن علي عن سفيان قال: ذهبت أسأل الزهري عن حديث المخزومية فصاح بي، قلت: لسفيان فلم تحمله عن أحد؟ قال: وجدته في كتاب كان كتبه أيوب بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة ﵂: {أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فقالوا: من يكلم فيها النبي ﷺ، فلم يجترئ أحد أن يكلمه، فكلمه أسامة بن زيد فقال: إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها}(٣)، ولولا عظم منزلة فاطمة عند رسول الله ﷺ لما ذكرها في قوله: {ولو كانت فاطمة لقطعت يدها}، وحاشا سيدة نساء العالمين رضوان الله عليها أن تسرق، ولو كانت عائشة رضوان الله عليها تنسب الفضائل لنفسها لقالت: قال: ولو كانت عائشة لقطعت يدها، أو قال: لو كان أبا بكر لقطعت يده!!!

وأما الحديث الذي ملأ الشيعة الدنيا بذكره فهو ما رواه مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واللفظ لأبي بكر قالا: عن محمد بن بشر، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: {خرج النبي

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٥). ورواه مسلم برقم (١٦٨٨).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣]}(١) فهذا الحديث من رواية عائشة أيضاً.

وفي سنن أبي داود عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: {ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلاً، وقال الحسن: حديثاً وكلاماً، ولم يذكر الحسن السمت والهدي والدل برسول الله ﷺ من فاطمة رضي الله عنها، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذها بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها}(٢)، فهل بعد هذا المدح من مدح؟ وهل بعد هذا الثناء من ثناء؟؟!!

وفي سنن الترمذي: عن محمد بن بشار، عن عثمان بن عمر، أخبرنا إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين قالت: {ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها، فلما مرض النبي ﷺ دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته، ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبت عليه، ثم رفعت رأسها فضحكت، فقلت: إن كنت لأظن أن هذه من أعقل نسائنا، فإذا هي من النساء، فلما توفي النبي ﷺ قلت لها: أرأيت حين أكببت على النبي ﷺ فرفعت رأسك فبكيت، ثم أكببت عليه فرفعت

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٢٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٢١٧).

رأسك فضحكت، ما حملك على ذلك؟ قالت: إني إذاً لبذرة، أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت، ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به، فذاك حين ضحكت}(١)، قال أبو عيسى الترمذي: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عائشة).

وفي مستدرك الحاكم: عن عائشة رضي الله عنها {أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها}(٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وفي صحيح مسلم: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: {أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة ...}(٣) إلى آخر الحديث، ولولا عظم منزلة فاطمة من رسول الله ﷺ وعند زوجاته أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن لما أرسلنها إلى رسول الله ﷺ في هذا الأمر الذي يخصهن لوحدهن، ولو كانت عائشة تكره ذكر علي وفاطمة رضوان الله عليهما لأخفت اسم فاطمة هنا، ولقالت: فأرسل أزواج النبي ﷺ إليه امرأة تكلمه في شأنهن ووو ... إلخ.

وفي صحيح مسلم: عن شريح بن هانئ قال: {سألت عائشة عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليا، فإنه أعلم بذلك مني، فأتيت علياً، فذكر عن النبي ﷺ بمثله}(٤)!!

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٨٧٢).

(٢) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٠٣) (٤٧٥٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٤٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٧٦).

بل وروت الفضائل عن غير أهل البيت من الصحابة، فمن ذلك ما رواه البخاري: حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: {ثم دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: سارني النبي ﷺ، فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت}(١). وهذا الإسناد فيه عروة بن الزبير أيضاً.

وجاء عنها أيضاً في صحيح مسلم قالت: {ثم أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: السلاح، فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله جئت أحرسك، قالت عائشة: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه}(٢).

وعنها رضي الله عنها قالت: {ثم بشر رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة}(٣).

وعنها رضي الله عنها قالت: {ثم ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها}(٤).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٢٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٤١٠).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٣٤).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٨١٦)، صحيح مسلم برقم (٢٤٣٥).

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إني قد رزقت حبها}[1]. تعني خديجة رضي الله عنها.

وكفى بهذه الأحاديث عبرة وعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فأين استئثار عائشة رضي الله عنها لنفسها وأبيها ومن تحب من قرابتها وذويها بالفضائل!!!

وأما ما كانت عائشة رضوان الله عليها تفعله من غيرتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا أمر فطر الله النساء عليه، ولا يماري فيه أحد، ولا يُمكن أن يُعاب إنسان بفطرة فطره الله عليها، وإلا فإن النصارى يتشدقون صباحاً مساءً بالطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم في زواجه من تسع نساء، وفي خفاء الغيبيات عليه، وعاب عليه المشركون أكله ومشيه في الأسواق، صلوات ربي وسلامه عليه، وغير ذلك من الأمور التي تتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية كونه بشراً، فما يُقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقال في حق جميع البشر رجالاً ونساء، ومنهم عائشة رضوان الله عليها.

وأما قول عائشة عن خديجة: {حمراء الشدقين}[2]، فمحمول على ما سبق ذكره من غيرة النساء الطبيعية، وقد رواه البخاري ومسلم، ولكن في إسناده هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، فإذا كان هذا الطاعن يريد الأخذ بهذه الرواية مع وجود هشام بن عروة فيها؛ فليأخذ أيضاً بروايته السابقة في إمامة أبي بكر رضي الله عنه الناس في الصلاة.

وأما حديث الخال المروي في كنز العمال وطبقات ابن سعد، وما ذكر فيه من اتهام عائشة رضوان الله عليها بالكذب والخيانة!!! فإنه ساقط متناً قبل أن يكون ساقطاً سنداً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن غبياً كي يرسل زوجة من زوجاته لكي تنظر إلى امرأة

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٣٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٨٢١)، صحيح مسلم برقم (٢٤٣٧).

يريد خطبتها، وهذا من أبده البديهيات، وأما السند فمجهول!!! فكيف يحتج بهذه الرواية؟ إنه يريد منا أن نأخذ الروايات الساقطة سنداً ومتناً أخذ المسلمات في نفس الوقت الذي يريد منا فيه أن نرمي بالأحاديث الصحيحة المتواترة عرض الجدار!!

ثم يواصل طعونه في أم المؤمنين التي ليست له بأم بقوله: (ولقد ارتكبت ذلك حتى بتوهّم زواجه ﷺ... فقد ذكرت: أن عثمان جاء النبي في نحر الظهيرة. قالت: فظننت أنه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه).

والطريف أنه لم يذكر الحديث كاملاً، حيث روى الإمام أحمد أن عائشة قالت: {ثم ما استمعت على رسول الله ﷺ إلا مرة، فإن عثمان جاءه في نحر الظهيرة فظننت أنه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه، فسمعته يقول: إن الله عز وجل ملبسك قميصا تريدك أمتي على خلعه فلا تخلعه. فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعه؛ علمت أنه من عهد رسول الله ﷺ الذي عهد إليه}(1)!!! ومعلوم موقف البعض من هذا الحديث برمته، حيث يثبت خلافة عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

ثم ما دخل الإصغاء بالكذب والخيانة، وما هو الرابط بينهما حتى يقول هذا الكاذب: (ولقد ارتكبت ذلك [أي الكذب والخيانة] حتى بتوهّم زواجه ﷺ ... فقد ذكرت: أن عثمان جاء النبي في نحر الظهيرة. قالت: (فظننت أنه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه؟؟!! فمتى كذبت؟؟!!

وأما قوله: (أما بالنسبة إلى من تكرهه ... فكانت حرباً شعواء)، فلا أدري والله بعد ما ذكرته من الأحاديث من هم الذين تكرههم عائشة رضوان الله عليها حتى تكون حرباً شعواء عليهم؟ وهل يعقل أن تكره عائشة علياً؟؟!! وقد روت الأحاديث التي تذكر فضله وعلمه رضي الله عنها ؟؟!!

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٤٨٨١).

ثم يستشهد على هذه الكراهية العظيمة، والحرب الشعواء المزعومة بقوله: (فقد جاء رجل فوقع في علي وفي عمار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة. فقالت: أما علي فلست قائلة لك فيه شيئاً، وأمّا عمار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يخير بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما)!!

فعائشة لن تقول شيئاً في علي؛ لأنه لا يحتاج إلى أن تقول فيه شيئاً، ويكفي أن عمار قد اختار فئة علي على فئة معاوية؛ فكان اختياره هو الأرشد، وفي هذا الحديث مدح من عائشة لعلي رضي الله عنهما.

وحديثنا كله في هذا الخبر على فرض صحة إسناده، وإلا فإن في إسناده حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن يسار، وقد قال علماء الحديث عن حبيب بن أبي ثابت: أن له أحاديث عن عطاء بن يسار لم يتابع عليها.

وأما الحديث الذي زعم وقوعه، وأن النبي ﷺ طلب رجلاً يحدثهم، ففي إسناده فرج بن فضالة، وهو منكر الحديث(1)، وهكذا يريد مريض القلب أن يطعن في عدالة صحابة رسول الله ﷺ بمثل هذه الترهات الساقطة التي يرويها الضعفاء.

وحتى لو صح هذا الحديث؛ فما هو وجه الطعن من عائشة في علي رضي الله عنهما ؟؟!! ولكن الطاعنون ومن في قلبهم زيغ يجعلون من الحبة قبة لكي توافق أهواءهم، وما وجه الدلالة والاستشهاد في هذا الحديث بأنها تضع الحديث ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ثم لماذا يستشهد هذا الطاعن بهذا الحديث مع أنه يقول عنه: إنه موضوع؟!، ويقول عنها رضوان الله عليها: (ولا تغفل عن كتمها اسم الرجل الذي دعاه النبي ﷺ - بعد أن أبى عن الإرسال خلف أبي بكر وعمر - وهو ليس إلا أمير المؤمنين عليه السلام)!!!!

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٨).

ثم يقول عنها رضوان الله عليها: (فانظر كيف أيدت في تلك الأيام معاوية على مطالبته الكاذبة بدم عثمان! وكيف اعتذرت عن تحريضها الناس على قتل عثمان)!! ولا أدري من أين نقل هذه الفرية أن عائشة حرضت الناس على قتل عثمان رضي الله عنه، مع أنها تروي في الأحاديث التي يستشهد بها عن إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان بأنه سيتولى الخلافة!!!

ثم يواصل سعاره ونهيقه بقوله: (فإذا كان هذا حالها وحال رواياتها في الأيام العادية... فإن من الطبيعي أن تصل هذه الحالة فيها إلى أعلى درجاتها في الأيام والساعات الأخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن تكون أخبارها عن أحواله في تلك الظروف أكثر حساسية... فتراها تقول: {لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله لعبد الرحمن بن أبي بكر: إيتني بكتف ولوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه. فلمّا ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر}، وتقول: {لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس}، وتقول: {قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه بين سحري ونحري}، تقول هذا وأمثاله..).!!

وأما حديث كتابة الكتاب لأبي بكر رضي الله عنه، فليس في المسند فقط؛ بل رواه مسلم أيضاً حيث قال: عن عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه: {ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}(١).

وأما كثرة رواياتها لأحاديث مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته؛ فلأنه كان صلوات الله وسلامه عليه في بيتها، فكانت أعلم الناس بما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته، وبهذا

(١) سبق تخريجه.

أوصى؟ وماذا فعل؟ وأما اختلاقها الفضائل لنفسها وأبيها، وكتمانها فضائل علي بن أبي طالب وفاطمة رضوان الله عليهم أجمعين فهو من خطل القول الذي لا دليل عليه، بل إن كل الأدلة الصحيحة ضده.

وأما ما رواه البخاري في صحيحه: قالت عائشة: {لما ثقل النبي ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له، فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض، وكان بين العباس ورجل آخر، قال عبيد الله: فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة، فقال لي: وهل تدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب}[1].

وإن كان ابن عباس قد قال: (هو عليّ ولكن عائشة لا تقدر على أن تذكره بخير) كما نقل هذا الطاعن عن عمدة القاري؛ فننتظر الحكم كذلك على هذه الرواية، ولو صحت؛ فإن ابن عباس قد علم شيئاً، وخفيت عليه أشياء، ومما خفي عليه ثناء عائشة على علي رضي الله عنه في الحديث الذي ذكرته سابقاً، وعموماً؛ فإن الرواية في كل الكتب الستة لم تذكر مقولة ابن عباس: (ولكن عائشة لا تقدر على أن تذكره بخير)!! وإنما اقتصرت مقولة ابن عباس رضي الله عنه بقوله: هو علي!!! وراجع في ذلك كتب الحديث المعتبرة، وعلى رأسها البخاري ومسلم، وهذا دليل آخر على الأمانة العلمية المفقودة، وإنما هي زيادة من ابن إسحاق في مغازيه، وللإسماعيلي فقط، وبأسانيد الله أعلم بحالها.

ثم إن حديث الخروج إلى الصلاة بين رجلين قد جاء أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (فخرج يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض)، وعلى قاعدة الأستاذ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٥).

هذا الطاعن؛ يكون ابن عباس عدواً لأبيه العباس، ولعلي بن أبي طالب، لعدم تصريحه بأسمائهما، مع أن الشيعة يعدون ابن عباس من كبار أصحاب علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما.

وبعد أن علمنا أن مقولة (ولكن عائشة لا تقدر على أن تذكره بخير) لم ترو بسند مقبول عن ابن عباس؛ بل إن المعروف المعلوم أن عائشة قد ذكرت علي بن أبي طالب وفاطمة وبقية أصحاب الكساء بالخير والفضل؛ فلا بد من معرفة السبب الذي دعاها رضوان الله عليها للتصريح باسم العباس دون اسم الرجل الآخر؟؟ والسبب بكل بساطة هو: أن الروايات قد جاءت مصرحة باسم الرجل الآخر، ولكن فيها اختلاف في تسمية الرجل الآخر، ولذلك فقد حُمل الحديث على أنهم كانوا يتعاقبون حمل الرسول ﷺ من جهة واحدة، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحدهم، بينما العباس رضي الله عنه كان ملازماً للرسول ﷺ طوال مسيره من الجهة الثانية، وهذا هو كل ما في الموضوع، أما الكراهية والبغض والشحناء، وعدم المقدرة على ذكر الفضائل وغيرها، فهي كلام هباء منثور كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، فكيف يصدق به عاقل؟؟؟ وقد خفي هذا الأمر على ابن عباس، لأنه رأى علياً يعضد الرسول ﷺ، ولم ير الباقين، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، ومن رأى حجة على من لم ير، وهل ننفي الرواية لأن ابن عباس رأى جزءاً منها وغاب عنه الباقي؟؟!!

ثم لننظر إلى هذا المؤلف القدير كيف ينسف كل ما بناه في السابق عند قوله: (فإذا عرفناها تبغض علياً إلى حد لا تقدر أن تذكره بخير، ولا تطيب نفسها به، وتحاول إبعاده عن رسول الله ﷺ، وتدعي لأبيها ولنفسها ما لا أصل له، بل لقد حدثت أمّ سلمة بالأمر الواقع فقالت: {والذي أحلف به، إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ. قالت: عدنا رسول الله غداة بعد غداة فكان يقول: جاء عليّ؟!! -

مراراً – قالت: أظنه كان بعثه في حاجة، قالت: فجاء بعد، فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب، فكنت أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه علي فجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله}[1]، ولا أدري كيف تطيب نفس هذا الطاعن بقبول هذه الرواية، مع أن فيها الكثير من المخالفات والمحاذير، ومع أن الحاكم قال: إن هذا الحديث صحيح، إلا أن الحاكم معروف بتساهله في تصحيح الأحاديث، ولننظر نظرة سريعة في رجال الإسناد لنطبق ما تعلمناه من هذا الطاعن:

جاء في المستدرك: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن محمد بن شيبة قال: ثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن أم موسى عن أم سلمة ﵂، ولا أدري لماذا لم يطبق هذا الطاعن إجراءات الفحص والتحري والسلامة للتأكد من صحة هذا الحديث مثلما قام به في نقده لروايات إمامة إبي بكر ﵁، ولكن يبدو أنه قد أحس بالتعب فجأة!!! ولكي أختصر عليه الموضوع، ففي سند هذا الحديث جرير بن عبد الحميد، وهو ثقة عند أهل السنة والجماعة، ولكنه اختلط في آخر عمره[2]، فحاله تماماً كحال عبد الملك بن عمير الذي رفض هذا الطاعن قبول روايته لأنه اختلط في آخر عمره، مع أن روايتها لم تكن مما روياه في آخر عمرهما، فلماذا تقبل رواية جرير؟ ولا تقبل رواية عبد الملك بن عمير؟؟!! وكذلك فقد رمي بالتدليس، فحاله كالأعمش وغيره، وكان أيضاً يسب معاوية علانية!! وحاله ليس بأقل من حال من أسقط هذا الطاعن زوراً وبهتاناً عدالتهم لظنه أنهم أعداء لعلي بن أبي طالب ﵁.

والمغيرة بن مقسم: كان يدلس، وكان عثمانياً، فحاله تماماً كحال أبي وائل: شقيق

(١) مسند أحمد برقم (٢٦٦٠٧)، مستدرك الحاكم (٣/ ١٤٩) (٤٦٧١).

(٢) انظر: تقريب التهذيب (٩١٦).

بن سلمة، وقال عنه إسماعيل القاضي: ليس بقوي فيمن لقي لأنه يدلس؛ فكيف إذا أرسل؟

وأما أم موسى: سرية علي بن أبي طالب؛ فقد قال الدارقطني عنها: يخرج حديثها اعتباراً، أي أن ما وافقت غيرها فيه فيعتضد به، أما إن خالفت غيرها فحديثها مردود عليها، ومن ذلك هذا الحديث، لأن كبار الحفاظ قد أخرجوا خلاف ما ذكرت.

فما رأي صاحبنا بهؤلاء الرواة؟؟

وحتى إن صح حديث أم سلمة، فلا معارضة بينه وبين حديث عائشة، فيكون علي بن أبي طالب آخر من رآه من عموم الناس، وعائشة هي آخر من رآه من خواصه، لأنه كان في بيتها رضوان الله عليها، مع أن الحديث باطل.

وأما قول هذا الطاعن في آخر موضوعه: (إذا عرفنا هذا كله، وهو قليل من كثير) فلا أدري أين هو هذا الكثير؟ ولكن من المعلوم أن الكثير هو ما ذكرته قبل قليل من رواية عائشة رضي الله عنها فضائل علي وفاطمة رضي الله عنهما، ولذلك فنحن ننتظر هذا الكثير الذي عند هذا الطاعن.

وأما قول صاحبنا في آخر هذا الفصل: (ومما يؤكد ذلك اختلاف النقل عنها في القضية وهي واحدة)، فهذا إن دل على شيء؛ فإنما يدل على تحامله الشديد، لأن كل من قرأ كتب الشيعة وجدهم يؤمنون بروايات وردت من طرق الشيعة والسنة تحكي قصة واحدة، وتتضارب بينها أشد التضارب، ومن ذلك الحادثة المزعومة في تصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخاتم، وحديث أصحاب الكساء، وحديث تظاهر عائشة وحفصة رضوان الله عليهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى غير ذلك من الأحاديث التي اختلفت الرواية فيها، فأهل السنة والجماعة لهم ضوابط في هذه المسألة في الجمع والترجيح عند صحة الأسانيد، ولكن يبدو أن هذا الطاعن غير مقتنع بهذا كله،

فليطبق هذه القاعدة على كتب الحديث الشيعية فقط إذاً، وليسقط جميع الأحاديث التي اختلف النقل فيها، وننتظر منه الخروج بشيء ولو كان يسيراً!!

وجميع روايات البخاري ومسلم صحيحة الإسناد، ولا خلاف في رواتها، ولا غبار عليها، وبلا شك فهناك ابن ماجه عن ابن عباس، فهي ضعيفة الإسناد، ولكن لا مطعن في الروايات الباقية ولله الحمد والمنة على إظهاره الحق.

وبعد هذا العرض لطريقة تفكير هذا الشخص، وطريقته الفذة في قبول الأخبار؛ لا داعي للاستطراد في الرد عليه في بقية كلامه من طعنه في متون الأحاديث، لأن غالب ما يستشهد به أحاديث ضعيفة قد مر بنا بعض النماذج منها، ويأخذ هذه الأحاديث الضعيفة وكأنها من المتواتر الذي لا يمكن رده، ويريد بهذه الأحاديث الضعيفة أن يطعن فيما أثبته كبار الحفاظ والأئمة في كتبهم، وهيهات له ذلك.

ولنأخذ في هذه العجالة حديثاً واحداً مما ذكره، حيث ذكر الحديث: (في المسند: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا يونس بن عمرو عن أبيه، عن الأرقم بن شرحبيل، قال: سألت ابن عباس أوصى رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قلت: فكيف كان ذلك؟ قال: قال رسول الله: ابعثوا إلى علي فادعوه، فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر؟ وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر؟ فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسول الله ﷺ: انصرفوا، فإن تك لي حاجة ابعث إليكم)!! وهو بهذا الحديث يريد أن يثبت أن الرسول ﷺ كان يريد علياً، ولكن هذا السخيف قد حذف بقية الحديث التي هي: {فانصرفوا، وقال رسول الله ﷺ: آن الصلاة؟ قيل: نعم. قال: فأمروا أبا بكر ليصلي بالناس!! فقالت عائشة: إنه رجل رقيق فمر عمر. فقال: مروا عمر. فقال عمر: ما كنت لأتقدم وأبو بكر شاهد. فتقدم أبو بكر، ووجد رسول الله خفة فخرج، فلما سمع أبو بكر حركته تأخر، فجذب رسول الله ﷺ ثوبه فأقامه مكانه، وقعد

رسول الله فقرأ من حيث انتهى أبو بكر}!! فياللأمانة العلمية، فهذا الطاعن يؤكد صحة خبر إمامة أبي بكر ﵁ للناس في حياة النبي ﷺ باستشهاده بهذا الخبر.

علماً بأن يونس بن عمرو قال فيه يحيى بن معين: كانت فيه غفلة شديدة، وقد علمنا مقدار أقوال يحيى بن معين عند هذا الطاعن، وقال الأثرم: سمعت أحمد يضعف حديث يونس عن أبيه، وقال: حديث إسرائيل أحب إلي منه، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: حديثه مضطرب، وقال أبو حاتم: كان صدوقاً إلا أنه لا يحتج بحديثه.

إضافة إلى أن طعنه في أن أبا بكر ﵁ كان في جيش أسامة لا وجه له، لأن أبا بكر كان في جيش أسامة، ثم استثناه رسول الله ﷺ، وأمره بالصلاة بالناس في المدينة.

وأما عدم دلالة الصلاة بالناس على الإمامة بدليل تولية الرسول ﷺ لعبد الله بن أم مكتوم عند مغادرته المدينة؛ فهذا أمر طريف حقاً، لأن جميع من سبقوا أبا بكر ﵁؛ إنما ولاهم الرسول ﷺ الإمامة حال غيابه عن المدينة، أما في قصتنا هذه؛ فقد أمر الرسول ﷺ أبا بكر ﵁ أن يصلي بالناس وهو مقيم معهم في المدينة، ليتنبه الناس أن من ارتضاه الرسول ﷺ لدينهم؛ فقد ارتضاه لدنياهم، ومن مات رسول الله ﷺ وهو يصلي بهم؛ فهو أولى الناس بالخلافة.

وأما الاستشهاد بأحاديث ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي؛ فنذكر هذا الطاعن وغيره بالرواية التي رواها ابن أبي الحديد في كتاب شرح نهج البلاغة عن علي ﵁ أن قال: (ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي)[1].

وعموماً: فجميع رواة خبر صلاة أبي بكر ﵁ ليس فيهم كذاب، ولا وضاع، ولا منكر الحديث، وإنما غاية ما وجده هذا المسكين: اتهام بالتخليط في آخر العمر، أو

---

(١) شرح النهج (٣/ ١٣١) باب (٤٤).

الوهم، أو الخطأ اليسير، وحتى على فرض ثبوت هذه التهم؛ فهناك أسانيد لا يستطيع القدح فيها بأي صورة، وقد تبين بالعرض السابق مدى العقلية التي يفكر بها ويحكم بها هذا الشخص.

ولقد فتح هؤلاء على أنفسهم باباً لا يستطيعون إغلاقه أبداً عندما بدؤوا بالطعن في روايات أهل السنة والجماعة، وذلك لأنهم قوم لا نقل لهم، وهذا ما يشهد به هؤلاء قبل السنة، فكتب الحديث عندهم، وكتب الرجال، وكتب نقد الأسانيد والمرويات، فيها اختلاط وتضارب عجيب غريب، وفي أسانيدهم عدد لا يحصيه إلا الله من المجاهيل، إضافة إلى اعتمادهم على مرويات الكذابين والوضاعين والمغالين وغيرهم من أصحاب النحل الفاسدة، والشواهد المصدقة لهذا من كتب الإمامية كثيرة متضافرة، فقد جاء في بحار الأنوار عن جعفر الصادق قوله: (إن الناس أولعوا بالكذب علينا) [(١)]، وكانت مصيبة جعفر أن (اكتنفه قوم جهال، يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون: حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر ليستأكلوا الناس بذلك، ويأخذوا منهم الدراهم)[(٢)].

وأما أعداء الأئمة ومدى قبول رواياتهم وردها، فإن هذا الأصل لم يعمل به هؤلاء إلا في حق الصحابة رضوان الله عليهم مع عدم عدائهم للأئمة!!! حيث ردوا روايات الصحابة، ولكنهم لم يردوا روايات من أنكر بعض الأئمة من أسلافهم، مع أن من أنكر إمامة واحد من الأئمة فهو كإبليس!!! كما نص على ذلك صدوقهم ابن

(١) بحار الأنوار (٢/ ٢٤٦).

(٢) رجال الكشي (ص:٢٠٨، ٢٠٩).

بابوية القمي في إكمال الدين[١]!!

وقد أكد شيخهم الحر العاملي على أن الطائفة الإمامية عملت بأخبار الفطحية، مثل: عبد الله بن بكير، وأخبار الواقفية، مثل: سماعة بن مهران، وكثيراً ما تقرأ في تراجم رجال الشيعة بأن فلاناً فطحي، وذاك واقفي، وهذا من الناووسية الذين أنكروا إمامة من بعد جعفر الصادق.

فكل هذه الطوائف الثلاث تنكر بعض أئمة الاثني عشر، ومع ذلك يعدون جملة من رجالها ثقات، جاء في رجال الكشي على سبيل المثال: (في محمد بن الوليد الخزاز، ومعاوية بن حكيم، ومصدق بن صدقة، ومحمد بن سالم بن عبد الحميد، قال أبو عمرو (الكشي): وهؤلاء كلهم فطحية، وهم من أجلة العلماء والفقهاء والعدول، وبعضهم أدرك الرضا، وكلهم كوفيون)[٢]. وغيرهم الكثير والكثير.

وعندما يتهم أهل السنة هؤلاء بأنهم يكفرونهم، ويحتجون عليهم بالأحاديث التي عندهم أن من أنكر أحد الأئمة فقد كفر؛ تجدهم يحتجون في إنكارهم لتكفير أسلافهم لأهل السنة والجماعة، أن ما ذكره الأئمة من كفر من جحد إمامة أحد الأئمة؛ إنما جاء متعلقاً بمن اعتقد بإمامته أولاً، ثم جحدها بعد ذلك، فيكون حكمه كحكم المرتد!! وعلى هذا الأساس؛ فالصحابة كلهم مؤمنون، بينما الفطحية والناووسية والواقفة كفار.

وعلى أقل الأحوال؛ فالجميع من الناووسية والفطحية والواقفة يشتركون مع الصحابة رضوان الله عليهم في نفس العلة المزعومة التي من أجلها رفض هؤلاء مرويات الصحابة، وهو إنكار أحد الأئمة.

---

(١) إكمال الدين (ص:١٣).

(٢) رجال الكشي (ص:٥٦٣).

وهل ثمة مجال لمقارنة بين من أثنى الله عليهم ورسوله، بمجموعة من حثالة الأفاكين والمفترين إلا لبيان أنهم في مذهبهم في رد روايات الصحابة ليسوا على شيء.

شبهة أن أبا بكر يشهد على نفسه:

ومن الشبهات حول الصديق ﷺ الادعاء بأن أبا بكر يشهد على نفسه.

حيث ذكر أحدهم ذلك قائلاً: (كما سجل التاريخ لأبي بكر مثل هذا، قال: لما نظر أبو بكر إلى طائر على شجرة: طوبى لك يا طائر تأكل الثمر وتقع على الشجر وما من حساب ولا عقاب عليك، لوددت أنّي شجرة على جانب الطريق مرّ عليّ جمل فأكلني وأخرجني في بعره ولم أكن من البشر. وقال مرة أخرى: ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت تبنة في لبنة...) إلخ.

فالرد بالنسبة للرواية الأولى فقد عزاها لتاريخ الطبري والرياض النضرة وكنز العمال ومنهاج السنة لابن تيمية ولكنني لم أجدها في منهاج السنة ولا في الرياض النضرة ولا في تاريخ الطبري الذي عزا هذا القائل إليها اللهم إلا في كنز العمّال وهذا دليل على مصداقية هذا الطاعن[1].

وأما بالنسبة للرواية الثانية فقد عزاها للمصادر السابقة أيضاً فلم أجدها في كنز العمّال ولا في تاريخ الطبري ولا في الرياض النضرة اللهم إلا في منهاج السنّة.

يريد هذا الطاعن أن يوهم القارئ بعزوه كلام أبي بكر إلى المصادر السابقة على أنها من أقوالهم وكأنهم موافقون لما ذهب إليه ولكن بعداً، فكتاب منهاج السنة لابن تيمية اسمه بتمامه منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية ويرد فيها على كتاب منهاج الكرامة في إثبات الإمامة لابن المطهر الحلّي وهو شيعي إمامي، والرواية المنقولة عن أبي بكر هي من ادعاء هذا الطاعن.

---

(١) كنز العمال برقم (٣٥٦٩٨).

وأما كتاب الرياض النضرة الذي طالما يعزو إليه هذا الطاعن فعنوانه كاملاً الرياض النضرة في مناقب العشرة، أي: العشرة المبشرين بالجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة، والمؤلف يشير هنا إلى الحديث المشهور عن النبي ﷺ عندما بشر هؤلاء العشرة وهم على جبل أحد بالجنة، وهذا الطاعن ممن ينكر هذا الحديث فكيف يستدل بالكتاب؟ هذا أولاً.

وثانياً: لم أجد الفقرتين المذكورتين عن أبي بكر في الكتاب بالإضافة إلى أن صاحب الكتاب يثبت أن أبا بكرٍ هو الأحق بالخلافة بعد النبي ﷺ وذكر بيعة عليٍّ لأبي بكر وردّ فيه على المخالفين بل وأفرد في ذكر مناقب أبي بكر واستغرق منه أكثر من ربع الكتاب ثم يأتي بعد ذلك هذا الطاعن ليستشهد بهذا الكتاب على ما يظنه من مثالب أبي بكر موهماً أنه ينتقد أبا بكر ولكن قد حصحص الحق ولولج الباطل.

ثالثاً: لو فرضنا جدلاً ثبوت هذا عن أبي بكرٍ فإنه يدل على قوة إيمانه وخوفه من الله ﷻ، وهذا لا يقدح في إيمانه قط فقد جاء في الصحيحين خبر الرجل الذي أمر أهله بتحريقه وتذرية نصفه في البحر ونصفه في البر مع أنه لم يعمل خيراً قط، وقال: {والله لئن قدر اللهُ عليّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم سأله الله: ما حملك على ما صنعت. قال: من خشيتك يا رب فغفر له}[1]، فإذا كان مع شكِّه في قدرة الله على بعثه، إذا فعل ذلك غُفر له بخوفه من الله، عُلم أن الخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة للأمور الحقيقة إذا قدِّر أنها ذنوب.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٨١)، صحيح مسلم برقم (٢٧٥٦).

وقد ورد مثل ذلك عن عدة صحابة منهم عبد الله بن مسعود فقد روى الإمام أحمد بن حنبل عن مسروق قال: قال رجل عند عبد الله بن مسعود: «ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إلي، فقال عبد الله بن مسعود: لكن ههنا رجل ودَّ أنه إذا مات لم يبعث يعني نفسه».

وروى الترمذي في سننه وابن ماجه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: {إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملكٌ واضعٌ جبهته لله ساجداً. والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصُّعداء تجأرون إلى الله. لوددت أني كنت شجرة تعضد}[1] قال أبو عيسى أي الترمذي: ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: لوددت أني كنت شجرة تعضد.

فعلى ذلك نقول لهذا الطاعن أنه ثبت بالرواية الصحيحة أن النبي ﷺ قال: {لوددت أني كنت شجرة تعضد} فهل يعتبر هذا القول شهادة على نفسه؟! وهل سينطبق عليه ما وصفت به الخليفة أبا بكر؟! ولو فرضنا أن هذا القول صادر عن أبي ذر فهل هو أيضاً يشهد على نفسه وإلا فما الفرق بين هذا القول وقول أبي بكر يا أولي الألباب؟!

بل روى البخاري عن ابن مسعود أنه قال: قال لي النبي ﷺ: {اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: نعم. فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾

(١) جامع الترمذي برقم (٢٣١٢)، سنن ابن ماجه برقم (٤١٩٠).

[النساء:٤١] قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان}[1].

فأقول: أليس هذا يدل على أن من يخاف الله سبحانه في الدنيا دليلٌ على قوة صدق إيمانه بالله؟

رابعاً: أما بالنسبة لتاريخ الطبري فلم أجد لهاتين الروايتين أثراً يذكر به، ومن أراد التثبت ممن يريد الحق فليرجع لتاريخ الطبري من حوادث السنة الحادية عشرة إلى أواخر السنة الثالثة عشرة.

بالنسبة لكتاب كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين الهندي فلا تعتبر رواياته حجة؛ لأنه لم يراعِ وضع الروايات الصحيحة فقط بل جعله جامعاً لجميع الأقوال والأفعال النبوية والأثرية، والعجيب أنه أفرد قسماً خاصاً للأحاديث التي ذكرت في نقد المخالفين مع العلم أنه لم يوجد فيها حديث صحيح عند علماء الحديث من أهل السنة الذي يدعي هذا الطاعن بأنهم يضعفون الأحاديث في أهل البيت ويختلقون الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة زعم، فلو كان كلامه حقاً لصحح علماء الجرح والتعديل من أهل السنة الأحاديث التي تطعن في الشيعة، ولكنهم لم يفعلوا لأن تصحيح الأحاديث يخضع لضوابط ثابتة ومتفق عليها عند علماء الحديث من حيث المتن والسند وليست حسب الأهواء والكذب الرخيص الذي هو من سمات أهل الطاعن، إضافةً إلى أنه أفرد باباً خاصاً في ذكر الصحابة وفضلهم في ثلاثة فصول وابتدأ بالخلفاء الأربعة وأولهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي إشارة إلى الأفضلية والسبق في الإسلام والخلافة.

ثم يسترسل هذا الطاعن فيقول: (وهذا كتاب الله يبشر عباده المؤمنين بقوله:

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠).

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤] ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] صدق الله العلي العظيم. فكيف يتمنى الشيخان أبو بكر وعمر أن لا يكونا من البشر الذي كرّمه الله على سائر مخلوقاته).

١- هذه الآيات لا تنافي خوف العبد من ربه وقد ذكرنا في الفقرة السابقة ثبوت خوف الرسول ﷺ وأصحابه من الله.

٢- وبالنسبة لقوله تعالى في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقياً كان لله ولياً فلا خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ولا هم يحزنون على ما وراءهم في الدنيا)(١)، فالخوف في هذه الآية هو في الآخرة، والصحابة جميعاً كانوا يخافون الله في الدنيا وليس في الآخرة وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي على ما وراءهم في الدنيا، ولا شك أن خوف أبي بكر والصحابة لا يدل على أنهم يحزنون على شيء من الدنيا.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٤).

أمـــا قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ذكره: إن الذين قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد ثم استقاموا على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى)[1] ثم أورد الإمام الطبري في تفسير الاستقامة عدة أحاديث عن أبي بكر الصديق ﷺ؟ منها عن سعيد بن عمران قال: «قد قرأت عند أبي بكر الصديق ﷺ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً»[2].

ومن هنا نعلم أن هذه الآية المستدل بها لا تنطبق على الخليفة الأول أبي بكر، فلا يقول من عنده مسكة من عقل: إن أبا بكر الذي قاتل المشركين والمرتدين وجاهدهم أعظم جهاد وحفظ لله به بيضة المسلمين يكون مشركاً، فسبحانك اللهم هذا جهلٌ عظيم.

ثم يقول هذا الطاعن: (وإذا كان المؤمن العادي الذي يستقيم في حياته تتنزل عليه الملائكة وتبشره بمقامه في الجنة فلا يخاف من عذاب الله ولا يحزن على ما خلف وراءه في الدنيا وله البشرى في الحياة الدنيا قبل أن يصل إلى الآخرة، فما بال عظماء الصحابة الذين هم خير الخلق بعد رسول الله كما هو عند أهل السنة، يتمنون أن يكونوا عذرة وبعرة وشعرة وتبنة، ولو أن الملائكة بشرتهم بالجنة ما كانوا ليتمنوا أنّ لهم مثل طلاع الأرض ذهباً ليفتدوا به من عذاب الله قبل لقائه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٣).

(٢) المصدر السابق (٢١/ ٤٦٤).

يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يونس:٥٤] وقال أيضاً: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الزمر:٤٧-٤٨] وإنني أتمنى من كل قلبي أن لا تشمل هذه الآيات صحابةً كباراً أمثال أبي بكر الصديق وعمر الفاروق).

أقول: فإن الآيتين اللتين سقتهما هما إخبار الله عن عذاب يوم القيامة حيث لا ينفع الندم ولا التوبة، وليس في الدنيا، ومعلوم لكل عاقل الفرق بين خوف العبد ربه في الدنيا وخوفه منه في الآخرة فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس، وابن المبارك في الزهد عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: {قال الله عز وجل: وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادي}(١).

وروى مثل هذا الحديث إمام الاثني عشرية الصدوق ابن بابويه القمي في كتابه الحجة الخصال عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: {قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة}(٢)، وهذا لمن له أدنى فهم لهذه الحقيقة فمن خاف الله في الدنيا أمنه يوم القيامة ولأن خوف العبد ربه في الدنيا مثاب عليه، فمن جعل خوف المؤمن من ربه في الدنيا كخوف الكافر في الآخرة فهو كمن جعل الظلمات كالنور، والظل كالحرور، والأحياء كالأموات.

(١) الزهد لابن المبارك (ص: ٥١)، الحلية (٦/ ٩٨).

(٢) الخصال لابن بابويه القمي (ص: ٧٩).

ومن هذه الطعون احتجاجهم بما رواه الإمام مالك ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: {هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟! فقال رسول الله ﷺ: بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: إننا لكائنون بعدك...}[(١)] إلخ.

والرد أن هذا الحديث مرسل ومنقطع عند جميع رواة الموطّأ، ومعلوم أن الحديث المرسل مردود عند جمهور المحدثين والفقهاء للجهل بحال الراوي فيفقد شروط الصحة، وحجة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد في الراجح من مذهبه.

أما بالنسبة لشرح الحديث فهو خلاف ما اخترعه هذا الطاعن حسب فهمه المقلوب فإن قول الرسول ﷺ: {هؤلاء أشهد عليهم} أي: بالإيمان والبذل في سبيل الله فلما قال ذلك سأله أبو بكر الصديق: {ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال النبي ﷺ: بلى!} أي: أنتم مسلمون مثلهم ومجاهدون في سبيل الله {ولكن لا أدري ما تحدثون} أي: لا أعلم ما سوف تفعلون بعد وفاتي، وأبو بكر لم يسأله عن نفسه ولكنه سأله بصيغة الجمع، فأجاب بنفس الصيغة أنه لا يعلم ما سيكون بعده، ومعلوم أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، أي: ما سيحدث في المستقبل وبعد مماته إلا بما أخبره به الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف:١٨٨] فبكى أبو بكر؛ لأنه علم أن النبي ﷺ سيفارقهم وذلك واضح في قول أبي بكر: أئنا لكائنون بعدك، أي:

---

(١) موطأ مالك برقم (٩٨٧).

سنعيش بعدك يا رسول الله، وبالطبع لم يبك لأنه يعلم أنه سيحدث بعد النبي ﷺ!!

لو كان تفسير الآيات وفهم النصوص النبوية يعتمد على الأهواء والكذب الرخيص لكانت حجج المستشرقين أقوى من حجج هؤلاء الطاعنين، ولأصبح الطعن بالكتاب والسنة حجة لكل أبله مثله، والعجيب أنه يقول في كتابه: فكتاب الله صامت، وحمّال أوجه، وفيه المحكم والمتشابه ولا بد لفهمه من الرجوع إلى الرّاسخين في العلم حسب التعبير القرآني وإلى أهل البيت حسب التفسير النبوي.

فهل رجع هذا الطاعن في فهم الحديث إلى أهل البيت؟ وعلى أضعف الإيمان هل رجع إلى الراسخين في العلم حتى تفهم معنى الحديث؟ وإذا قلت: إن الحديث مروي عن طريق أهل السنة فإما أن ترفض الحديث أو ترجع فيه لشرح علماء أهل السنة مرغماً وإليك شروحهم:

هذا وقد شرح الموطأ لمالك مجموعة من أهل العلم لا بد لنا أن نأتي بأقوالهم وشروحهم لهذا الحديث:

أ- يقول الزرقاني رحمه الله: (... «هؤلاء أشهد عليهم» بما فعلوه من بذل أجسامهم وأرواحهم وترك من له الأولاد أولاده «فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا» فلم خصصت هؤلاء بشهادتك عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «بلى أنتم إخوانهم إلخ ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي»، فلذا خصصتهم بالشهادة المستفادة من حصر المبتدأ في الخبر بقوله: هو أشهد عليهم، «فبكى أبو بكر ثم بكى» كرّره لمزيد أسفه على فراق المصطفى ثم قال: «أئنا لكائنون أي: موجودون بعدك، استفهام تأسف لا حقيقي لاستحالته من أبي بكر بعد أن أخبره النبي ﷺ)[1].

(١) شرح الزرقاني (٣/ ٥٠).

ب- يقول ابن عبد البر رحمه الله: (... ومعنى قوله: «أشهد عليهم» أي أشهد لهم بالإيمان الصحيح والسلامة من الذنوب الموبقات، ومن التبديل والتغيير، والمنافسة في الدنيا، ونحو ذلك والله أعلم. وفيه من الفقه دليل على أن شهداء أحد ومن مات من أصحاب رسول الله ﷺ قبله أفضل من الذين تخلفهم بعده والله أعلم. وهذا عندي في الجملة المحتملة للتخصيص، لأن من أصحابه من أصاب من الدنيا بعده وأصابت منه، وأما الخصوص والتعيين، فلا سبيل إليه إلا بتوقيف يجب التسليم له. وأما أصحاب رسول الله ﷺ الذين تخلفهم رسول الله ﷺ بعده، فأفضلهم: أبو بكر وعمر، على هذا جماعة علماء المسلمين إلا من شذ، وقد قالت طائفة كثيرة من أهل العلم: إن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر لم يستثنوا من مات قبله ممن مات بعده).

ثم قال: (... وأما قوله: «أنا أشهد لهؤلاء وأنا شهيد لهؤلاء» ونحو هذا فقد روى هذا اللفظ ومعناه من وجوه ثم ساق عدة روايات ومنها هذه الرواية...وأخبرنا خلف بن القاسم، قال: حدثنا ابن أبي العقب، حدثنا أبو زرعة، حدثنا الحكم بن نافع أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري، أخبرني أيوب بن بشير الأنصاري عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ حين خرج تلك الخرجة استوى على المنبر فتشهد، فلما قضى تشهده كان أول كلام تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا يوم أحد، ثم قال: {إن عبداً من عباد الله خيّر بين الدنيا وبين ما عند ربه فاختار ما عند ربه ففطن بها أبو بكر الصديق أوّل الناس وعرف إنما يريد رسول الله ﷺ نفسه، فبكى أبو بكر فقال النبي ﷺ: على رسلك سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلم امرءاً أفضل عندي يداً في الصحبة من أبي بكر}(١)(٢).

(١) ورواه البخاري برقم (٤٦٦)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

(٢) التمهيد (٢٠/ ٢٢٨).

ثم يقول بأن النبي ﷺ قد شك في أبي بكر؟ فيا للعجب!

ج- يقول الإمام الباجي رحمه الله: (... وقول أبي بكر رضي الله عنه: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا على وجه الإشفاق لما رأى من تخصيصهم بحكم كان يرجو أن يكون حظه منه وافراً، وأن يكون حظ جميع من شركه فيه من الصحابة ثابتاً فقال: أن عملنا كعملهم في الإيمان الذي هو الأصل، والجهاد الذي هو آخر عملهم، فهل تكون شهيداً لنا كما أنت شهيداً لهم فقال ﷺ بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي، قال قوم: إن الخطاب وإن كان متوجهاً إلى أبي بكر فإن المراد به غيره ممن لم يعلم ﷺ بما آل حاله وعمله وما يموت عليه، وأما أبو بكر رضي الله عنه فقد أعلم أنه من أهل الجنة، والنبي ﷺ شهيد له بذلك لظاهر عمله الصالح ولما قد أوحي إليه وأُعْلِمَ من رضوان الله تعالى عنه، ولكنه لما سأل أبو بكر واعترض بلفظ عام ولم يخص نفسه بالسؤال عن حاله كان الجواب عاماً، وقد بيّن تخصيصه بأنه ليس ممن يحدث بعد النبي ﷺ شيئاً مما يحبط عمله بما تقدم وتأخر عن هذا الحال من تفضيل النبي ﷺ له وإخباره بما له عند الله من الخير وجزيل الثواب وكريم المآب.

قال القاضي أبو الوليد رحمه الله: ويحتمل عندي وجهاً آخر، وهو أن يكون النبي ﷺ قال: هؤلاء أشهد عليهم بما شاهدت من عملهم في الجهاد الذي أدى إلى قتلهم في سبيل الله ولذلك لم يقل أنه شهيد لمن حضر هذا اليوم وقاتل وسلم من القتل كعليّ وطلحة وأبي طلحة وغيرهم ممن أبلى ذلك اليوم، ومن هو أفضل من كثير ممن قتل ذلك اليوم، لكنه خصّ هذا الحكم بمن شاهد النبي ﷺ جهاده إلى أن قتل، ويكون على معنى هذا قوله لأبي بكر رضي الله عنه: بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي، لم يرد به الحدث المضاد للشريعة وإنما أراد به جميع الأعمال الموافقة للشريعة والمخالفة لها، فيكون معنى ذلك أن ما تعملونه بعدي لا أشاهده، فلا أشهد لكم به وإن علمت أن

منكم من يموت على ما يرضي الله من الأعمال الصالحة، إلاّ أنها لم تعين لي فيقال لي: أنه يجاهد في الموطن كذا وأن الواحد منكم يقتل زيداً أو يقتله عمرٌ، وكما شاهدت من حال هؤلاء، فلذلك لا أكون شهيداً لكم بنفس الأعمال وتفصيلها، كما أشهد على تفصيل عمل هؤلاء وأن شهدت لبعضكم بجملة العمل بالوحي وإعلام الله، فعلى هذا يكون قوله: «ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي» متوجّهاً إلى جميع الصحابة من أبي بكر وغيره.

وقوله: «فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: أئنا لكائنون بعدك يريد أنه أطال البكاء وكرره وأظهر معنى بكائه بقوله: «أئنا لكائنون بعدك» كأنه للإشفاق من البقاء بعد النبي ﷺ والإنفراد دونه وفقد بركته ونعمة الله على أمته به، وهذا يدل على أنه قد فهم أبو بكر رضي الله عنه من قول النبي ﷺ: «بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي» أنه لا يخاف أو يجوز أن يكون من أبي بكر حدث يضاد الشريعة ويخالف به من أجله عن سبيل النبي ﷺ لأن بكاءه لذلك كان أولى له وكان حكمه على ذلك بأن يقول: أئنا لمحدثون بعدك حدثاً يصد عن سبيلك ونخالف به طريقتك، ولما لم يقل ذلك ولا بكى من أجله وإنما بكى من أجل فراقه النبي ﷺ وبقائه بعده علمنا أنه فهم منه ما قدمنا ذكره والله أعلم)[1].

فهذا هو قول أهل العلم في هذا الحديث والذي يظهر جلياً مدى جهل هذا الطاعن بفقه الحديث وتحامله على الصحابة العظام.

أما قوله: فقلت: (إذا كان رسول الله ﷺ هو أول من شك في أبي بكر ولم يشهد عليه لأنه لا يدري ماذا سوف يحدث بعده).

---

(١) المنتقى للباجي (٣/ ٢٠٧-٢٠٨).

فأقول:

١- قد ظهر واضحاً لكل عاقل من خلال الشروح أن النبي ﷺ لم يقصد أبا بكر الصديق بقوله: لا أدري ما تحدثون بعدي. ولكن كلامه عام على جميع الصحابة بخلاف هؤلاء الذين شهد لهم النبي ﷺ.

٢- من المسلم به أنّ اليقين لا ينتفي بالشك، ومن المعلوم يقيناً أن النبي ﷺ شهد لأبي بكر بالجنة في الكثير من الروايات، منها ما رواه الترمذي والطبراني في الكبير عن عائشة قالت: {أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال: أنت عتيق الله من النار}(١) وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري في جزء منه: {فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشِّرْهُ بالجنة. فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخُل ورسولُ الله ﷺ يبشِّرك بالجنةِ}(٢) وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: {أبو بكر في الجنة و...}(٣) إلخ.

وأخرج الترمذي أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: {كنت مع رسول الله ﷺ، إذ طلع أبو بكر، وعمر، فقال رسول الله ﷺ: هَذَان سيِّدا كهول أهل الجنة، من الأولين والآخرينَ، إلا النَّبينَ والمُرْسلينَ، يا عليُّ: لاتُخْبِرهُما}(٤)، وقد أثبت الله لهذا الصحابي الجليل الصحبة لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٦٧٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٧٤)، ومسلم برقم (٢٤٠٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) جامع الترمذي برقم (٣٦٦٤). وروواه ابن ماجه برقم (٩٥).

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة:٤٠] ففي الآية فضل أبي بكر الصديق لأنه انفرد بهذه المنقبة حيث صاحب رسول ﷺ في تلك السفرة ووقاه بنفسه ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره: «إن الله عاتب الخلق جميعهم في نبيه إلا أبا بكر. وقال: من أنكر صحبة أبي بكر فهو كافر، لأنه كذَّب القرآن».

ثم يدعي بعد ذلك هذا الطاعن أن النبي ﷺ قد شك في أبي بكر! ولكن من خلال هذه الأدلة من الكتاب والسنة يعلم طالب الحق يقيناً لا شكاً أن النبي ﷺ الذي شهد لأبي بكر بالجنة لا يشك به قطعاً وإلا لكان هذا تناقضاً منه وحاشاه ذلك فيكون قوله: لا أدري ما تحدثون بعدي. على سبيل اليقين والرؤية كما عاين ورأى شهداء أحد.

ثم يقول الطاعن: (فمن حقي أن أشك وأن لا أفضّل أحداً حتى أتبيّن وأعرف الحقيقة، ومن المعلوم أن هذين الحديثين يناقضان كل الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر ويبطلانها، لأنها أقرب للواقع المعقول من أحاديث الفضائل المزعومة! قال الحاضرون -الذين قال الطاعن هذا الكلام بحضرتهم بزعمه- وكيف ذلك؟ قلت -أي الطاعن-: أن رسول الله ﷺ لم يشهد على أبي بكر وقال: لو إنني لا أدري ماذا تحدثون بعدي! فهذا معقول جداً وقد قرّر ذلك القرآن الكريم والتاريخ يشهد أنهم بدّلوا بعده ولذلك بكى أبو بكر وقد بدّل وأغضب فاطمة الزهراء بنت الرسول كما سبق وقد بدل حتى ندم قبل وفاته وتمنّى ألا يكون بشراً!!!.

وأما الحديث الذي يقول: لو وزن إيمان أمتي بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر فهو باطل وغير معقول. ولا يمكن أن يكون رجلاً قضى أربعين سنة من عمره يشرك بالله ويعبد الأصنام أرجح إيماناً من أمة محمد بأسرها، وفيها أولياء الله الصالحين والشهداء والأئمة الذين قضوا أعمارهم كلها جهاداً في سبيل الله، ثم أين أبو بكر من

هذا الحديث؟ لو كان صحيحاً لما كان في آخر حياته يتمنى ألا يكون بشراً. ولو كان إيمانه يفوق إيمان الأمة ما كانت سيدة النساء فاطمة بنت الرسول ص، تغضب عليه وتدعو الله عليه في كل صلاة تصلِّيها).

الرد عليه:

١- قوله: أن هذين الحديثين يناقضان كل الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر ويبطلانها من أشد أقواله عجباً! فلست أدري على أي مبدأ استند في إبطال أحاديث صحيحة؟ فالحديث الذي يستند عليه هذا الطاعن هو حديث مرسل كما بينت سابقاً في حين أنه يرى ضعف الحديث المرسل، ففي مكان آخر من كتابه يحتج على أهل السنة بحديث: {يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي} تراه يضعّف حديث {كتاب الله وسنتي} بحجة أنه حديث مرسل!؟ فيقول بالهامش: (أخرج مسلم في صحيحه والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبي داود في سننهم الحديث المذكور بلفظ كتاب الله وعترتي مسنداً إلى رسول الله ﷺ. أما لفظ سنتي فلم يرد في أي من الصحاح الست، وأخرج الحديث بهذا اللفظ مالك بن أنس في موطّئه ونقله مرسل غير مسند!!!، وأخذ عنه بعد ذلك البعض كالطبري وابن هشام ونقلوه مرسلاً كما ورد عن مالك فكيف يحتج هنا بالحديث المرسل على بطلان الأحاديث الصحيحة المسندة؟!) السبب بسيط أنه يريد أن يظهر حقيقة إنصافه المزعوم وتلاعبه المأثوم بالقراء الكرام فمرحبا بالإنصاف!

٢- يبدو أن هذا الطاعن عنده من الشجاعة العلمية في إثبات الأحاديث التي يهواها فتتحول إلى أحاديث مسندة في نظره، أما الأحاديث التي تثبت فضائل الصحابة فليس عنده هذه الشجاعة العلمية في نقدها سنداً ومتناً فتتحول بدون مقدمات إلى أحاديث باطلة ولو كانت من أصح الأسانيد!

وأقول: إذا كانت كل الأحاديث التي تذكر فضائل أبي بكر باطلة فأظن أن شهادة الله سبحانه بفضل أبي بكر وتقواه وبصحبته النبي ﷺ ليست باطلاً!؟ فشهادة الله هذه لأبي بكر تقتضي أن أحاديث فضائل أبي بكر صحيحة، وهذه قضية منطقية ومعقولة جداً، لأن من شهد الله له بالتقوى والطهارة لا بد أن يشهد له النبي ﷺ بذلك.

٣- أما قوله: أن الرسول ﷺ لم يشهد على أبي بكر وقال له: إنني لا أدري ماذا تحدثون بعدي.

قلت: بل الرسول ﷺ شهد لأبي بكر في هذا الحديث عندما قال له أبو بكر: {ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟! فقال له: بلى!} فهذه شهادة منه ﷺ بذلك ولكنه استدرك بأنه لا يعلم ما سيكون منهم على سبيل الرؤية والتعيين بالإضافة إلى أن سياق الجملة لا يستساغ بلاغياً فكيف يقول هذا الطاعن أن الرسول ﷺ لم يشهد على أبي بكر ويقول له أنني لا أدري ما تحدثون بعدي، فكيف يخاطب أبا بكر بصيغة الجمع وهو مفرد، بل لأن أبا بكر خاطبه بصيغة الجمع واعترض بلفظ عام ولم يخص نفسه بالسؤال عن حاله، كان الجواب عاماً وعلى أقل تقدير أن يكون هو من ضمن المخاطبين، وبما أننا علمنا أن علي بن أبي طالب كان من المقاتلين في أحد ولم يستشهد فيها فعلى ذلك لا بد أن يشمله الخطاب لأن النبي ﷺ لا يعلم ما سيحدث له بعده مثله كمثل بقية المخاطبين، فكل ما بناه هذا الطاعن على هذا الحديث من الطعن على أبي بكر وعمر يدخل فيه علي!! فهذا معقول جداً؟!

أما قوله: (وقد قرر ذلك القرآن الكريم والتاريخ يشهد أنهم بدّلوا بعده...)!!! فهذا من أقبح الكذب إذ كيف يقرر القرآن أن الصحابة بدلوا؟! فأين هذه الآيات التي تدل على هذا التخرص فلو كانت عنده بينة لأتى بها، اللهم إن كان يقصد قرآناً لا

يعرفه المسلمون؟! وأما إذا ادعى أنه بيّن هذه الكذبة في فصل رأي القرآن في الصحابة فقد دحضت افتراءاته بحول الله تعالى وفضله منه بما يقنع كل من يريد الحق ويرتضيه.

وأما بالنسبة لما قرره القرآن حقاً فيتضح في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة:٨٨-٨٩]. فأسأل هذا الطاعن: هل هؤلاء المذكورون في الآية هم علي وابناه الحسن والحسين اللذان لم يكونا قد بلغا الحلم؟ بالإضافة إلى الثلاثة أو السبعة الذين يبقي البعض على صحبتهم للنبي ﷺ عدا جميع الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير؟! وهل الرسول ﷺ جاهد المشركين في بدر والذين وصل تعدادهم إلى أكثر من الثلاثمائة مقاتل، وفي غيرها من الغزوات بهؤلاء النفر الذين لم يتجاوزوا العشرة يا أيها الطاعن؟

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠]، فنسأل هذا الطاعن: من هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؟!.. هل هم علي والسبعة المرضيون عندكم؟!! سبحان الله! فوالله لست أدري كيف يُهدى البعض إلى عقيدة تخالف النقول وتهين العقول؟! فأسأل الله الكبير المتعال أن يقينا شرور هؤلاء المرجفين وشرور ما يرددون من أباطيلهم وجميع المسلمين اللهم آمين.

٤- يقول الله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ

وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر:٨-٩] وإنني لن أسأل هذا الطاعن فيمن تعنيهم هذه الآية وسأوفر عليه الجواب وسأدع الإمام الرابع عند الاثني عشرية وهو عليّ بن الحسين يجيب عن ذلك.

روى عليّ بن أبي الفتح الأربلي في كتابه كشف الغمّة في معرفة الأئمة عن (علي بن الحسن أنه قدم عليه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: ألا تخبروني أنتم ﴿ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر:٨]؟ قالوا: لا، قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر:٩]؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم)(١)! فهذا هو قول الإمام الرابع فيمن نزلت فيهم هذه الآيات، وهو يرد على من أغلقت عقولهم وعمّيت أبصارهم، فأخذوا يطعنون بأبي بكر وعمر وعثمان فأخرسهم بهذه الآيات البينات.

٥- **وأما قوله**: (أما الحديث الذي يقول: لو وزن إيمان أمتي بـأيمان أبي بكر فهـو

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة (٢/ ٢٩١).

باطل وغير معقول ولا يمكن أن يكون رجلاً قضى أربعين سنة من عمره يشرِك بالله ويعبد الأصنام أرجح إيماناً من أمة محمد بأسرها...) إلخ، **وللإجابة على ذلك أقول:**

أ- يلاحظ القارئ أن هذا الطاعن أبطل حديثاً لا لشيء سوى أن عقله الواعي لا يقبله، فمعنى ذلك أن علم الجرح والتعديل علم لا قيمة له؛ لأن العقل هو الحاكم الذي يحكم على الحديث بالقبول أو الرد، وهذا يعني أيضاً أنه لو اختلق البعض أحاديث مدعياً أنها من فم الرسول ﷺ واستساغتها عقول بعضهم لأصبحت أحاديث صحيحة؟! وهذا القول سيفتح الباب على مصراعيه للمستشرقين وأفراخهم للطعن بالسنة بحجة أن عقولهم الصدئة لا تستسيغ أحاديث الرسول ﷺ بفضل العلم الجديد الذي استحدثه هذا الطاعن في قبول الأحاديث أو ردها؟! فابحث أخي القارئ بعد ذلك عن دينك؟؟!

ب- أما الحديث: لو وزن... فهو حديث موقوف على عمر فقد رواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عنه، ورواه عن عمر هذيل بن شرحبيل، وهو عند ابن المبارك في الزهد، ومعاذ بن المثنى في زيادات مسند مسدد، وكذا أخرجه ابن عدي في ترجمة عيسى بن عبد الله من كامله، وفي مسند الفردوس من حديث ابن عمر مرفوعاً، بلفظ: {لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها}[(١)]، وفي سنده عيسى بن عبد الله بن سليمان، وهو ضعيف، لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه بن عدي أيضاً من طريق غيره بلفظ: {لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم}. وله شاهد في السنن أيضاً، عن أبي بكرة مرفوعاً: أن رجلاً قال: {يا رسول الله! رأيت كأن ميزاناً أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم

(١) مسند إسحاق بن راهويه (٣/ ٦٦٩)، شعب الإيمان برقم (٣٦).

وزن أبو بكر بمن بقي فرجح...}[١] الحديث، وعلى ذلك إن كانت هذه الرواية في رفعها إلى الرسول ﷺ ضعف ولكن حديث أبي داود يشهد لها بالصحة وعلى العموم فأبو بكر الصديق من أكثر الناس إيماناً وتقوى وصلاحاً!

ت- أما قوله: ولا يمكن أن يكون رجل قضى أربعين سنة من عمره يشرك بالله ويعبد الأصنام أرجح إيماناً من أمة محمد بأسرها، وفيها أولياء الله الصالحين والشهداء والأئمة الذين قضوا أعمارهم كلّها جهاداً في سبيل الله. وجواب ذلك من وجوه:

١- كيف علم هذا الطاعن أن أبا بكر قضى أربعين سنة يشرك بالله ويعبد الأصنام، فهل جاء ببينة على دعواه هذه بدل أن يتقيأ هذا الكذب الذي استمرأه؟ فإن احتج أنه لم يكن أحد مؤمناً قبل مبعث النبي ﷺ وكانوا يعبدون الأصنام ولا شك أن أبا بكر كان واحداً منهم.

قلت: وكذلك الصبيان كانوا يعبدون الأصنام كعليّ لأن الصبي المولود بين أبوين كافرين يجري عليه حكم الكفر باتفاق المسلمين، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: {ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تُنْتَج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تُحسون فيها من جَدْعاء}[٢]، وإن ادّعى هذا الطاعن أن كفر الصبي ليس مثل كفر البالغ، قلت: ولا إيمان الصبي مثل إيمان البالغ، فإسلام أبي بكر مخرجاً له من الكفر باتفاق المسلمين، وأما إسلام علي فهل يكون مخرجاً له من الكفر على قولين مشهورين، ومذهب الشافعي أن إسلام الصبي غير مخرج له من الكفر بالإضافة إلى أن أبا بكر لم يتلعثم عند إسلامه فعن محمد بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: {ما عرضّت الإسلام على أحد، إلا كانت له عنده كبوة وتردد، غير أبي بكر، فإنه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٥٨)، ومسلم برقم (٢٦٥٨).

لم يتلعثم}[1] والغريب في الأمر أن الشيعة الاثني عشرية يروون أن علياً تردّد في قبول الإسلام وطلب الإمهال من الرسول ﷺ وقال... إن هذا مخالف دين أبي، وأنا انظر فيه؟

٢ - أما بالنسبة لعبادة أبي بكر للأصنام فإنه لم يثبت أنه سجد لصنم قط. قال أبو بكر رضي الله عنه في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: «ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مُخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشمّ العوالي، وخلاّني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني فلم يجبني، فقلت: إني عار فاكسني فلم يجبني، فألقيت عليه صخرة فخرّ لوجهه» فكيف يدعي إذاً هذا الطاعن على أبي بكر أنه قضى أربعين سنة يشرك بالله ويعبد الأصنام!؟... وبالنسبة لعلي وأنه سجد لصنم أم لا فليس عندنا نقل يثبت ذلك فلا نجزم بعدم سجوده للأصنام ولأنّ أهل قريش كانوا يسجدون للأصنام الرجال والنساء والصبيان!

٣- ولو فرضنا أن أبا بكر مكث أربعين سنة يشرك بالله ويعبد الأصنام فما من شك أن المشرك إذا تحول للإسلام فإن الله يغفر له ما قد سلف كما يقول الله سبحانه: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨] وفي الحديث الطويل أن النبي ﷺ أخبر عمرو بن العاص عندما جاء للنبي ﷺ يريد الإسلام ولكنه اشترط أن يغفر الله له فقال له النبي ﷺ: {أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟}[2]. فاعتناق الإنسان للإسلام يَجُبُّ ما اقترفه وأصابه ويمحوه.

---

(١) انظر: الشيخان للبلاذري (ص: ٢١).

(٢) رواه مسلم برقم (١٢١).

٤- وهذه الحقيقة يؤكدها أيضاً الإمامية فقد روى إمامهم الكليني في كتابه أصول الكافي تحت باب أنه لا يؤاخذ المسلم بما عمل في الجاهلية فعن أبي جعفر عليه السلام قال: (إنّ ناساً أتوا رسول الله ﷺ بعدما أسلموا فقالوا: يا رسول الله أيؤخذ الرجل منا بما كان عمل في الجاهلية بعد إسلامه؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: من حسن إسلامه وصحَّ يقين إيمانه لم يؤاخذه الله تبارك وتعالى بما عمل في الجاهلية، ومن سَخُفَ إسلامه ولم يصحّ يقين إيمانه أخذه الله تبارك وتعالى بالأوّل والآخر)(1) وحتى هذا الطاعن نفسه يعترف بهذه الحقيقة فيقول: وليست لي أي عداوة لأبي بكر! ولا لعمر ولا لعثمان ولا لعلي ولا حتى لوحشي قاتل سيدنا حمزة ما دام أنه أسلم والإسلام يجب ما قبله وقد عفا عنه رسول الله ﷺ!؟ فكيف يؤاخذ أبو بكر على جاهليته، والإسلام بجب ما قبله؟ الجواب واضح وهو أنه ليست له أي عداوة لأبي بكر؟؟!

٥- أنه ليس كل من ولد على الإسلام بأفضل ممن أسلم بنفسه كأبي بكر وعمر، بل قد ثبت بالنصوص المستفيضة أن خير القرون القرن الأول وعامتهم أسلموا بأنفسهم بعد الكفر، وهم أفضل من القرن الثاني الذين ولدوا على الإسلام.

ج أما ادعاؤه أن أبا بكر لا يمكن أن يكون أرجح إيماناً من أمة محمد وفيها أولياء الله الصالحين والشهداء والأئمة الذين قضوا أعمارهم كلها جهاداً في سبيل الله. قلت: لا يشك أي منصف أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه من كبار أولياء الله الصالحين والأئمة المهتدين الذين قضوا أعمارهم كلها جهاداً في سبيله فهو من أحب وأقرب الناس إلى سيد الأولياء والصالحين محمد ﷺ لدرجة أنه كان يغضب لمن يؤذي أبا بكر فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: {كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: أما

(1) الكافي (٢/ ٤٦١).

صاحبكم فقد غامر، فسلّم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ، فأسرعت إليه ثم ندمتُ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً. ثمّ إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّرُ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين. فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين فما أوذي بعدها}[(١)].

وعن أبي عثمان قال: حدّثني عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: {أي الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدّ رجالاً}[(٢)].

وهذا رأي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أيضاً، فعن محمد بن الحنفية وهو ابن عليّ قال: قلت لأبي: «أي الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[(٣)].

وكان أبو بكر أكثر الصحابة عملاً للصالحات فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٦١).

(٢) رواه البخااري برقم (٣٦٦٢)، ومسلم برقم (٢٣٨٤).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٦٧١).

ﷺ: ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة إضافة إلى شهوده جميع الغزوات مع النبي ﷺ ومباشرته الأهوال التي كان يباشرها النبي ﷺ من أول الإسلام إلى آخره، ولم يجبن ولم يحرج ولم يفشل، وكان يقدم على المخاوف، يقي النبي ﷺ بنفسه، يجاهد المشركين تارة بيده وتارة بلسانه وتارة بماله، وهو في ذلك كله مقْدِم.

وعن علي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ولأبي بكر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيلُ ملكٌ عظيم يشهد القتال أو يكون في القتال.

فبعد هذه الأدلة الواضحة يتّضح لكل طالب للحق أن أبا بكر كان من كبار أئمة الدين وأوليائه الصالحين، المجاهدين في سبيل الله، ولعل هذا الطاعن لا يقتنع بهذه الحقائق الواضحة فاضطر لإيراد رأي أحد كبار الأئمة الاثني عشرية لتصبح الحقائق دامغة وحجةً على المكابرين والمعاندين وسلسبيلاً للمطمئنين، فقد أورد أبو الحسن الأربلي الاثنا عشري في كتابه كشف الغمة عن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول: الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق فمن لم يقل له الصديق فلا صدّق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة، فهل يرتدع هذا الطاعن ويكفينا إيراداً للأدلة المكذوبة؟!

شبهات حول إمامة الصديق:

ومن الشبهات ما ذكره البعض في سياق الأسباب التي دعته لترك مذهبه النص على الخلافة حيث قال: (لقد آليت على نفسي عند الدخول في هذا البحث أن لا أعتمد إلاّ ما هو موثوق عند الفريقين وأن أطرح ما انفردت به فرقة دون أخرى، وعلى ذلك أبحث في فكرة التفضيل بين أبي بكر وعلي بن أبي طالب وأنّ الخلافة إنّما كانت بالنص

على علي كما يدّعي الشيعة أو بالانتخاب والشورى كما يدّعي أهل السنة والجماعة).

وقال أيضاً: (والباحث في هذا الموضوع إذا تجرّد للحقيقة فإنّه سيجد النص على علي بن أبي طالب واضحاً جلياً كقوله ﷺ: {من كنت مولاه فهذا علي مولاه} قال ذلك بعدما انصرف من حجة الوداع فعُقد لعلي موكب للتهنئة حتى أنّ أبا بكر نفسه وعمر كانا من جماعة المهنئين للإمام يقولان: {بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة}. وهذا النص مجمع عليه من الشيعة والسنّة، ولم أخرّج أنا في البحث هذا إلا مصادر السنّة والجماعة ومع ذلك لم أذكر المصادر كلها فهي أكثر بكثير مما ذكرت، وللاطلاع على المزيد من التفصيل أدعو القارئ إلى مطالعة كتاب الغدير للعلاّمة الأميني وقد طبع منه ثلاثة عشر مجلداً يحصي فيها المنصف رواة هذا الحديث من طريق أهل السنة والجماعة).

فأقول:

١ - اختلف أهل السنة في خلافة أبي بكر، فقالت جماعة: ان خلافة أبي بكر ثبتت بالنص الجلي أو الخفي، في حين قالت جماعة أخرى من أهل السنة أن الخلافة كانت بموافقة أهل الحل والعقد، وقد استدل الطرف الأول على وجود النص بالخلافة على أدلة قوية، فعلى التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنة.

٢ أما قوله أن الشيعة يدعون بأن الخلافة كانت بالنص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستندين على عدة أحاديث فهذا فيه نظر كما سيأتيً، ومن جانب آخر لو فرضنا أن القول بالنص على الخلافة هو الحق لم يكن لهذا الأمر دليل على ما يدعيه الشيعة الاثني عشرية، فإن الراوندية القائلين بإمامة العباس بن عبد المطلب يدعون النص الثابت عليه كما يدعي الشيعة أن النص الثابت هو في علي.

يقول القاضي أبو يعلى: (واختلف الراوندية فذهب جماعة منهم إلى أن النبي نصَّ على العباس بعينه واسمه، وأعلن ذلك وكشفه وصرَّح به، وأن الأمة جحدت هذا النص وارتدَّت وخالفت أمر النبي ﷺ عناداً. ومنهم من قال: إن النص على العباس وولده من بعده إلى أن تقوم الساعة، وهذا الادعاء مثل ادعاء الإمامية ويناظره، وكلا القولين لا دليل على أي منهما ولم يقل بهما أحد من أهل العلم قاطبة بخلاف النص على أبي بكر الذي يعضِّده أقوال أهل العلم)[1].

٣- أما قوله: أن الباحث عن الموضوع إذا تجرّد للحقيقة فإنه سيجد النص على عليّ بن أبي طالب واضحاً جلياً كقوله ﷺ: {من كنت مولاة فهذا عليّ مولاه}.

وللرد على ادعائه أقول:

أ- اختلف أهل الحديث في تصحيح وتضعيف هذا الحديث فمنهم من ضعفه ومنهم من حسّنه، والذي أراه حقاً أن الحديث صحيح وثابت عن الرسول ﷺ، ولا أستطيع أن أضعف هذا الحديث بالهوى كما يضعف هذا الطاعن الأحاديث التي لا يرغب فيها أو يراها تخالف هواه وإلا فالمسألة بسيطة لأهل الأهواء، وهذا لمن أنصف وعلم أن أهل السنة يقفون عند النصوص الحديثية ويثبتونها إن كانت صحيحة الإسناد والمتن.

ب- وادعاء هذا الطاعن أن الحديث نص واضح وجلي على عليّ فأقول: يبدو أن الكلام لا يحتاج إلى كثير عناء، فمن السهل على أي إنسان فضلاً عن هذا الطاعن أن يقول ما يريد، فالكلام لا يشترى بالمال أو يباع، فليس الكلام بحد ذاته يعتبر دليلاً لمن فهم، فهذا الطاعن يدّعي أن هذا الحديث واضح وجلي ولم يتعنَّ ويظهر هذا الوضوح

---

(١) المنهاج (١/ ٥٠٠).

والجلاء، ولا برهان على كلامه وقد صدق الشاعر:

والدعاوى مالم تقيموا عليها بينات فأصحابها أدعياء

ولكن ومع الأسف البرهان على عدم وجود هذا الوضوح والجلاء هو في نفس النص لأن النص كان بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع باعتراف هذا الطاعن نفسه عند غدير خُم، ومعلوم أنه بعد حجة الوداع لم يرجع المسلمون كلهم مع النبي ﷺ إلى المدينة بل رجع أهل مكة إلى مكة وأهل الطائف إلى الطائف وأهل اليمن إلى اليمن فلم يرجع معه إلا أهل المدينة، فلو كان ما ذكره في غدير خُم بلاغاً للناس كافّة لذكره في حجة الوداع التي اجتمع فيها المسلمون كافة، ولم يذكر النبي ﷺ في هذه الحجة الإمامة بشيءٍ ولا ذكر علياً أصلاً، ومن هنا نعلم أن إمامة عليّ لم تكن وحياً منزلاً ولا منصوصاً عليها في دين الله ﷻ، ولا مما أُمر ببلاغها، فهذا الحديث ليس حُجّة على خلافته فضلاً عن وضوحه وجلائه!

ج وبالنسبة لكلمة مولاه فلم يَرد بها الخلافة قطعاً ولا اللفظ يدل على ذلك لتعدّد معاني المولى، ففي مختار الصحاح يقول الرازي: (المولى المُعتِق والمُعْتَقُ وابن العَمِّ والناصر والجار والحليف.. والموالاة ضد المعاداة. وقال: الوِلاية بالكسر السلطان والوَلايةُ بالفتح والكسر النصرة)[(١)]، وقال الفيروزآبادي: (الوَلْيُ: القرب والدنو،... والوَليُّ: الاسم منه، والمحب والصديق، والنصير، وولي الشيء، وعليه وِلايَةً وَوَلايَةً أو هي المصدر وبالكسر: الخطة والإمارة والسلطان... والمَوْلَى: المالك، والعبد، والمُعْتِقُ، والمُعتَقُ، والصاحب، والابن، والعم، والنزيل، والشريك، وابن الأخت، والوَلِيُّ، والرب، والناصر، والمُنْعِمُ، والمُنْعَمُ عليه، والمحب والتابع، والصهر)[(٢)].

---

(١) مختار الصحاح (ص: ٧٤٠).

(٢) القاموس المحيط (ص١٧٣٢).

ومن هنا نعلم أن المولى جاءت بمعنى النصرة وغيرها من التعريفات السابقة فجعلها في معنى السلطان يحتاج إلى دليل واضح لإثبات ذلك، هذا بالاضافة لتعذر حمل المولى على الوالي.

يقول شيخ الإسلام: (وليس في الكلام ما يدل دلالة بيّنة على أن المراد به الخلافة. وذلك أن المولى كالولي، والله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة:٥٥] وقال: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم:٤] فبيّن أن الرسول وليّ المؤمنين، وأنهم مواليه أيضاً، كما بيّن أن الله ولي المؤمنين، وأنهم أولياؤه، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فالموالاة ضد المعاداة، وهي تثبت من الطرفين، وإن كان أحد المتواليين أعظم قدراً، وولايته إحسان وتفضل، وولاية الآخر طاعة وعبادة، كما أن الله يحب المؤمنين، والمؤمنون يحبونه، فإن الموالاة ضد المعاداة والمحاربة والمخادعة، والكفّار لا يحبون الله ورسوله، ويحادّون الله ورسوله ويعادونه. وقد قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] وهو يجازيهم على ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩] وهو وليّ المؤمنين وهو مولاهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، وإذا كان كذلك فمعنى كون الله وليّ المؤمنين ومولاهم، وكون الرسول وليهم ومولاهم، وكون عليّ مولاهم، هي الموالاة التي هي ضد المعاداة، والمؤمنون يتولون الله ورسوله الموالاة المضادة للمعاداة، وهذا حكم ثابت لكل مؤمن، فعليّ رضي الله عنه من المؤمنين الذين يتولون المؤمنين ويتولونه، وفي هذا الحديث إثبات موالاة عليّ في الباطن، والشهادة له بأنه يستحق الموالاة باطناً وظاهراً، وذلك يرد ما يقوله فيه أعداؤه من الخوارج والنواصب، لكن ليس فيه أنه ليس للمؤمنين مولى غيره، فكيف ورسول الله ﷺ له موالي، وهم صالحو

المؤمنين، فعليّ أيضاً له مولى بطريق الأوْلى والأحرى، وهم المؤمنون الذين يتولّونه، وقد قال النبي ﷺ: {إن أسلم وغفار ومُزينة وجهينة وقريشاً والأنصار ليس لهم مولى دون الله ورسوله}[(١)]، وجعلهم موالي رسول الله ﷺ، كما جعل صالح المؤمنين مواليه والله ورسوله مولاهم، وفي الجملة فرق بين الوليّ والمولى ونحو ذلك وبين الوالي. فباب الولاية التي هي ضدّ العداوة شيء، وباب الولاية التي هي الإمارة شيء، والحديث إنما هو في الأولى دون الثانية، والنبي ﷺ لم يقل: من كنت واليه فعليّ واليه. وإنما اللفظ: {من كنت مولاه فعليّ مولاه} وأما كون المولى بمعنى الوالي، فهذا باطل، فإن الولاية تثبت من الطرفين، فإن المؤمنين أولياء الله وهو مولاهم، وأما كونه أوْلى بهم من أنفسهم، فلا يثبت إلا من طرفه ﷺ، وكونه أوْلى بكل مؤمن من نفسه من خصائص نبوّته، ولو قُدّر أنه نصَّ على خليفة من بعده، لم يكن ذلك موجباً أن يكون أوْلى بكل مؤمن من نفسه، كما أنه لا يكون أزواجه أُمهاتهم، لو أريد هذا المعنى لقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وهذا لم يقله أحد، ولم ينقله أحد ومعناه باطل قطعاً؛ لأن النبي ﷺ أولى بكل مؤمن من نفسه أمر ثابت في حياته ومماته، وخلافة عليّ لو قدر وجودها لم تكن إلا بعد موته، لم تكن في حياته، فلا يجوز أن يكون عليّ خليفة في زمنه، فلا يكون حينئذ أولى بكل مؤمن من نفسه، بل ولا يكون مولى أحد من المؤمنين إذا أريد به الخلافة، وهذا مما يدل على أنه لم يُرِد الخلافة، فإن كونه وليّ كل مؤمن وصف ثابت له في حياة النبي ﷺ لم يتأخّر حكمه إلى الموت، وأما الخلافة فلا يصير خليفة إلا بعد الموت، فعلم أن هذا ليس هذا، وإذا كان النبي ﷺ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم في حياته وبعد مماته إلى يوم القيامة، وإذا استخلف أحداً على بعض الأمور في حياته أو قُدّر أنه استخلف أحداً على بعض الأمور في حياته أو

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥٠٤)، ومسلم برقم (٢٥٢٠).

قُدّر أنه استخلف أحداً بعد موته وصار له خليفة بنص أو إجماع، فهو أولى بتلك الخلافة وبكل المؤمنين من أنفسهم، فلا يكون قط غيره أولى بكل مؤمن من نفسه، لا سيما في حياته. وأما كون عليّ مولى كل مؤمن فهو وصف ثابت لعليّ في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، وبعد ممات عليّ، فعليّ اليوم مولى كل مؤمن، وليس اليوم متولّياً على الناس، وكذلك سائر المؤمنين بعضهم أولياء بعض أحياءً وأمواتاً)(١).

٤- وأما حجة الإمامي سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص وهو إحدى المصادر التي عزى إليها الحديث قوله من أن علماء العربية قالوا أن لفظة الولي ترد على وجوه وذكر عشر معانٍ وهذا اعتراف منه بتعدد معنى المولى ثم رجّح المعنى العاشر وهو بمعنى الأولى أي أولى المؤمنين بالإمامة، بحجّة أنّ المعاني الأخرى منتفية عن عليّ! وجعله نصاً صريحاً في إثبات إمامة عليّ فهذا الادعاء حجة عليه لا له، لأنه لم يُظهر دليلاً بيناً واحداً على أن المولى بمعنى الأولى، فتحديدها بالأولى تحتاج لدلالة واضحة ونص ثابت ولا يوجد ما يدل على ذلك فبطل احتجاجه.

وبعد هذا البيان يظهر بكل وضوح أن هذا الحديث الذي يستند عليه هذا الطاعن يدحض ادعاءه أنه دليل على إمامة عليّ، فالأدلة على الخلافة لا تكون بأدلة ممجوجة وحجج مدحوضة، بل بأدلة واضحة الدلالة والبيان بحيث تنتفي معها الشبهات والله المستعان وعليه التكلان.

٥- وقال هذا الطاعن: (والباحث في هذا الموضوع إذا تجرّد للحقيقة فإنه سيجد النص على عليّ بن أبي طالب واضحاً وجلياً كقوله ﷺ: {من كنت مولاه فهذا علي مولاه} قال ذلك بعدما انصرف من حجة الوداع فعقد لعليّ موكب للتهنئة حتى أن

(١) منهاج السنة (٧/ ٣٢٢-٣٢٥).

أبا بكر نفسه وعمر كانا من جماعة المهنّئين للإمام يقولان: {بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة}).

أقول:

سبحان الله ما أكذب هؤلاء وما أجرأهم على الكذب، فهذا الطاعن يدّعي أن علياً قد عقد له موكب للتهنئة، وكان في مقدمة المدعوّيين لهذا الحفل البهيج أبو بكر وعمر ثم يعزو هذه الرواية المكذوبة إلى عدة مصادر، فلو رجعنا إلى مسند أحمد في مسند البراء بن مالك لوجدناه يذكر الحديث وفيه {فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة}(١) ولم يذكر أبا بكر أبداً، وتجده أيضاً في كتاب تذكرة الخواص(٢) وليس فيه ذكر لموكب التهنئة ولا لعمر فضلاً عن أبي بكر.

وأورده السيوطي في الحاوي للفتاوي وفيه تهنئة عمر لعلي ولكن لا ذكر لأبي بكر أيضاً!

وفي كتاب كنز العمال تجد الحديث في باب فضائل عليّ بن أبي طالب برقم ٣٦٣٤٠ والأرقام ٣٦٣٤١، ٣٦٣٤٢، ٣٦٣٤٣، ٣٦٣٤٤ وفي جزء برقم ٣٢٠٤، ٣٢٠٥، ٣٢٠، ٣٢ ولا يوجد فيها ذكر لعمر ولا لأبي بكر فضلاً عن موكب التهنئة!!

وذكر ابن كثير الحديث في كتابه البداية والنهاية بروايات مختلفة وكثيرة وليس فيها ذكر لموكب التهنئة ولا لأبي بكر؟!

وسأضرب صفحاً عن بقية المراجع المذكورة لأن الذي ذكرته يغني ويكفي، ولأن الحديث روي بروايات متقاربة وليس فيها ذكر لموكب التهنئة ولا لأبي بكر الصديق،

(١) مسند أحمد برقم (١٨٥٠٢).

(٢) تذكرة الخواص (ص:٣٦).

وأظن أنه قد ظهر الكذب والافتراء على القرّاء بمحاولة تهويل الأمر وتحسينه، وزيادة إضافات له حسب متطلبات هذا الطاعن، إضافة لمحاولة إقحام اسم أبي بكر في الحديث لا لشيء إلا للتدليس على القارئ المسكين الذي لا يستطيع البحث في هذه المراجع الكثيرة فيظن أن أبا بكر يعلم أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة ولكنه اغتصب حقّه، ولكن أظن أنه قد ظهر الحق من الباطل، وظهر الكذّاب الأفاك من الصادق الأمين، والمنصف ممن يدعي الإنصاف.

وبالنسبة للرواية التي فيها هذه الزيادة وهي أن عمر قال لعليّ: «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة» فهذا الشطر من الحديث لا يصح لتفرّد عليّ بن زيد بن جدعان فهو ضعيف عند أهل الحديث.

ولكن ما الذي استوجب قوله ﷺ لهذا في حق علي رضي الله عنه؟

لا جدال في أن علياً رضي الله عنه كان في اليمن عند خروج الرسول ﷺ إلى حجة الوداع، وأنه رضي الله عنه لحق به وحج معه(1).

وهناك في اليمن حصلت أمور بينه وبين أصحابه توضحها روايات عدة:

منها: ما رواه عمرو بن شاس الأسلمي: أنه كان مع علي بن أبي طالب في اليمن، فجفاه بعض الجفاة فوجد عليه في نفسه، فلما قدم المدينة اشتكاه عند من لقيه، فأقبل يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، فنظر إليه حتى جلس إليه، فقال: يا عمرو بن شاس، لقد آذيتني، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أعوذ بالله وبالإسلام أن أؤذي رسول الله، فقال: {من آذى علياً فقد آذاني}(2).

---

(١) الإرشاد: (٨٩)، إعلام الورى: (١٣٧)، الكافي: (٢/ ٢٣٣)، أمالي الطوسي: (٢٥٢)، البحار: (٢١/ ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٦).

(٢) إعلام الورى: (١٣٧)، البحار: (٢١/ ٣٦٠).

وعن الباقر قال: «بعث النبي ﷺ علياً إلى اليمن، فذكر قضاءه في مسألة فيها أن علياً رضي الله عنه قد أبطل دم رجل مقتول، فجاء أولياؤه من اليمن إلى النبي يشكون علياً فيما حكم عليهم، فقالوا: إن علياً ظلمنا وأبطل دم صاحبنا، فقال رسول الله ﷺ: إن علياً ليس بظلام»[1].

وفي رواية: أن النبي ﷺ لما أراد التوجه إلى الحج كاتب علياً رضي الله عنه بالتوجه إلى الحج من اليمن، فخرج بمن معه من العسكر الذي صحبه إلى اليمن ومعه الحلل التي كان أخذها من أهل نجران، فلما قارب مكة خلف على الجيش رجلاً، فأدرك هو رسول الله ﷺ، ثم أمره بالعودة إلى جيشه، فلما لقيهم وجدهم قد لبسوا الحلل التي كانت معهم، فأنكر ذلك عليهم، وانتزعها منهم، فاضطغنوا لذلك عليه، فلما دخلوا مكة كثرت شكايتهم من أمير المؤمنين رضي الله عنه، فأمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى في الناس: {ارفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب؛ فإنه خشن في ذات الله عز وجل، غير مداهن في دينه}[2].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فمشى في السرية وأصاب جارية، فأنكروا ذلك عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله، فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي.. فذكر شكوى الأربعة وإعراض رسول الله ﷺ عنهم، وقوله: {من كنت مولاه فعلي مولاه}[3].

---

(١) البحار: (٢١/ ٣٦٢)(٣٨/ ١٠١) (٤٠/ ٣١٦) (١٠٤/ ٣٨٩، ٤٠٠)، أمالي الصدوق: (٣٤٨)، الكافي: (٧/ ٣٧٢).

(٢) الإرشاد: (٨٩)، إعلام الورى: (١٣٨)، البحار: (٢١/ ٣٨٣)، المناقب: (٢/ ١١٠).

(٣) البحار: (٣٧/ ٣٢٠)، (٣٨/ ١٤٩).

وهكذا بدأت تتضح الصورة.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، فلما قدمنا قال: كيف رأيتم صحابة صاحبكم؟ قال: فإما شكوته أو شكاه غيري، قال: فرفعت رأسي وكنت رجلاً مكباباً، قال: فإذا النبي قد احمر وجهه وهو يقول: {من كنت وليه فعلي وليه}(١).

وفي رواية عنه أيضاً رضي الله عنه قال: غزوت مع علي اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تنقصته، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير، فقال: يا بريدة، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: {فمن كنت مولاه فعلي مولاه}(٢).

وفي أخرى: أن رجلاً كان باليمن فجفاه علي بن أبي طالب، فقال: لأشكونك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن علي فشنا عليه، فقال: {أنشدك بالله الذي أنزل علي الكتاب واختصني بالرسالة عن سخط تقول، ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: ألا تعلم أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قال: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه}(٣).

فدلت هذه الروايات على أن سبب قوله صلى الله عليه وسلم لذلك إنما كان بسبب ما ذكرناه من شكوى الناس منه رضي الله عنه، وأنه ليس المراد به الدلالة على الوصاية إليه لجعله على سبب، وبعد تفرق الحجيج وانصراف كل أهل ناحية إلى ناحيتهم.

وكتب الإمامية تذكر أن قوله صلى الله عليه وسلم في حق علي رضي الله عنه: {من كنت مولاه فعلي مولاه}، قد كان تكرر منه قبل الغدير بسنين عديدة، مما يدل على أنه ليس فيما كان في

---

(١) البحار: (٣٧/ ٢٢٠).

(٢) البحار: (٣٧/ ١٨٧)، الطرائف: (٣٥)، العمدة: (٤٥).

(٣) أمالي الطوسي: (٦١٠)، البحار: (٣٣/ ٢١٨)(٣٨/ ١٣٠).

يوم الغدير خاصية مختلفة لقوله هذا عن ذي قبل سوى أن قوله يوم ذاك كان في محضر الكثير من أصحابه الذين خرجوا معه للحج، ومن تكرار شكوى الناس منه في اليمن، فتوهم من توهم أن قوله ذلك إنما كان لبيان إمامته.

ومن الروايات في ذلك ما كان يوم المؤاخاة الذي ذكرناه، حيث آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وترك علياً فبكى فذهب إلى بيته، فأرسل رسول الله ﷺ بلالاً رضي الله عنه في طلبه، فقال: {يا علي، أجب النبي. فأتى علي النبي، فقال النبي: ما يبكيك يا أبا الحسن؟ فقال: آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: إنما ذخرتك لنفسي، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟ قال: بلى يا رسول الله، أنَّى لي بذلك؟ فأخذ بيده فأرقاه المنبر، فقال: اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه}[1].

والمؤاخاة كانت في بداية الهجرة.

ومنها: ما كان يوم التصدق بالخاتم بزعمهم، فعن زيد بن الحسن، عن جده رضي الله عنه قال: سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول: {وقف لعلي بن أبي طالب سائل وهو راكع في صلاة تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك، فنزل على النبي ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)﴾ [المائدة:٥٥]، فقرأها رسول الله ﷺ علينا، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه}[2].

---

(١) الروضة: (١١)، البحار: (٣٧/ ١٨٦)(٣٨/ ٣٤٤).

(٢) العياشي: (١/ ٣٥٦)، البرهان: (١/ ٤٨٢)، البحار: (٣٥/ ١٨٧).

ومنها: ما جاء في حديث الطير وقول الرسول ﷺ: {اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، فجاء علي، فقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه}[1]. وغيرها.

فهذه مواطن قال فيها رسول الله ﷺ: {من كنت مولاه فهذا علي مولاه}، وهي مقولة الغدير تماماً، فما الذي استوجب كل ما ذُكر في حادثة الغدير من قصص وحكايات، وتهديد ونزول آيات، ما داموا يقرون أنه لم يكن منه غير هذه المقولة، وقد وردت عنه ﷺ منذ سنين عدة كما رأيت.

فإن كان في هذا دلالة على الإمامة فقد ذكرها قبل الغدير، وإن لم يكن فقد أسقط في يد من زعم ذلك.

وإن كان ما نحن فيه من استدلال هو دليل النص على الإمامة، فقد بطلت النصوص السابقة منذ بدء العشيرة، مروراً بحادثة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم:١]، والتصدق بالخاتم، وإن كان العكس فأي جديد في الغدير؟!

ويذكرني هذا بقول الصدوق في حديث الغدير: (ونظرنا فيما يجمع له النبي ﷺ الناس ويخطب به ويعظم الشأن فيه، فإذا هو شيء لا يجوز أن يكونوا علموه فكرره عليهم، ولا شيء لا يفيدهم بالقول فيه معنى، لأن ذلك صفة العابث، والعبث عن رسول الله ﷺ منفي)[2].

فهذا اعتراف من الصدوق أن كل ما سبق الغدير من استدلال ليس فيه ما يفيد النص على الإمامة لعلي رضي الله عنه؛ لأنه بزعمه لا يجوز أن يكون شيئاً علموه فكرره عليهم.

---

(١) بشارة المصطفى: (٢٠٢)، البحار: (٣٨/ ٣٥٤).

(٢) معاني الأخبار: (٦٧)، البحار: (٣٧/ ٢٢٥).

وبعيداً عن كل ما ذكرناه، لنتكلم الآن في دلالة ما صح من حديث غدير خم وهو قوله ﷺ: {من كنت مولاه فهذا علي مولاه}، حيث إن هذا الجزء يكاد يتفق عليه جميع المسلمين، وهو صحيح كما ذكرنا في مقدمة هذا الاستدلال.

فنقول: ورد ذكر الموالاة ومشتقاتها في القرآن الكريم في عشرات المواضع منها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة:٥٥].

وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة:٧١].

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية:١٩].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد:١١].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورى:٨-٩].

وقوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف:١٩٦].

وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النساء:١٣٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النساء:١٤٤].

وقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ [المائدة:٥١].

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف:٢٧].

وقوله: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:٣٠].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ [الأنفال:٧٣].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [التوبة:٢٣].

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [الجاثية:١٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١]

وقوله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾ [الأحزاب:٦].

وقوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال:٤٠].

وقوله: ﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الحديد:١٥].

وقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾ [التحريم:٤].

فهـذه الأمثلـة مـن الآيـات، وكـذلك مـا ورد في الـسنة الـشريفة مـن الأحاديـث وكذلك الآثار، تدل على أن معنى الموالاة تحمـل عـلى وجـوه عـدة ومعـانٍ مـشتركة قـد تبلغ الثلاثين، وقد مر بك ذكرها. ولا شك أن الكثير من هـذه الألفـاظ لا تنطبـق عـلى حديثنا، ولكن أقربها إلى مدلوله هي لفظة [المـوالاة] التـي هـي ضـد المعـاداة والمحاربـة والمخادعة، وليست الإمارة والخلافة، لذا لم يقـل ﷺ: مـن كنـت واليـه فعـلي واليـه أو قريباً من هذا.

وأما كون المولى بمعنى الوالي فهـذا باطـل، فـإن الولايـة تثبـت مـن الطـرفين؛ فـإن المؤمنين أولياء الله وهو مـولاهم، وفي الحـديث دليـل صريـح عـلى اجـتماع الـولايتين في زمان واحد، إذ لم يقع التقييد بلفظ [بعدي]، بل يـدل سـياق الكـلام عـلى التـسوية بـين الولايتين في جميع الأوقات من جميع الوجوه كما هو الأظهر، وشركـة عـلي رضي الله عنه للنبـي ﷺ في التصرف في عهـده ممتنعـة، فهـذا أدل دليـل عـلى أن المـراد وجـوب محبتـه، إذ لا محذور في اجتماع محبتين، بل إحداهما مستلزمة للأخرى، سواء في حياتهما أو بعد وفاتهما صلوات الله عليهما، أما اجتماع التصرفين ففيه محذورات كثيرة كما لا يخفى.

وهذا يجرنا إلى القول أن إمامته رضي الله عنه غير مرادة في زمن الخطاب، لأن ذلـك عهـد النبوة، والإمامة نيابة فلا تتصور إلا بعد انتقال النبي ﷺ، وإذا لم يكـن زمـن الخطـاب مراداً، تعين أن يكون المراد الزمان المتأخر عن زمن الانتقـال ولا حـد للتـأخير، فلـيكن ذلـك بالنـسبة إلى عـلي بعـد مـضي زمـان أبي بكـر وعمـر وعـثمان رضي الله عنهم أجمعـين، وبهـذا يتحقق الوفاق بين الفريقين.

نعم، لا يخلو تخصيص علي رضي الله عنه بالذكر بهذه المـوالاة التـي هـي ضـد المعـاداة مـن علة، وقد بينا أن ذلك بسبب ما ذكرناه من شكوى النـاس، ومـن علمـه ﷺ بـالوحي من وقوع الفساد والبغي في زمن خلافته، وإنكار بعـض النـاس لإمامتـه بـل ومحاربتـه،

حتى احتج هو ﷺ بحديث الغدير لإلزامهم بموالاته ومناصرته.

وهذا موافق تماماً لقول الإمام العسكري ﷺ لما سأله الحسن بن طريف: «ما معنى قول رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ قال: أراد بذلك أن جعله علماً يعرف به حزب الله عند الفرقة»[(١)].

وهذا الحسين ﷺ يقول لجيش الشام: «أتعلمون أن علياً ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: نعم»[(٢)].

فهل فهموا من ذلك أنه إما منصوص، حتى بايعوا غيره، وقاتلوا ابنه ﷺ؟! وهكذا..

والإمامية أوردوا في مصنفاتهم ما يفيد عدم فهم الناس لحديث غدير خم على أنها الخلافة العامة للمؤمنين، ومن هذه الروايات:

عن أبي إسحاق قال: قلت لعلي بن الحسين: «ما معنى قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه...» الرواية[(٣)]؟

وعن أبان بن تغلب قال: «سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: يا أبا سعيد، تسأل عن مثل هذا؟»[(٤)].

وعن أبي التيهان قال: «أنا أشهد على النبي أنه أقام علياً، فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه ولي من كان رسول الله مولاه»[(٥)].

---

(١) كشف الغمة: (٣/ ٣٠٣)، البحار: (٣٧/ ٢٢٣)(٥٠/ ٢٩٠)، إثبات الهداة: (٢/ ١٣٩).

(٢) أمالي الصدوق: (١٣٥)، البحار: (٤٤/ ٣١٨).

(٣) أمالي الصدوق: (١٠٧)، معاني الأخبار: (٦٥)، البحار: (٣٧/ ٢٢٣)، إثبات الهداة: (٢/ ٣٤).

(٤) معاني الأخبار: (٦٦)، البحار: (٣٧/ ٢٢٣).

(٥) الخصال: (٤٦٥)، البحار: (٢٨/ ٢١٣).

ويؤكد هذا رواية الصادق، أن النبي ﷺ قال: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، وعلي أولى به من بعدي، فقيل لي: ما معنى ذلك؟ قال: قول النبي ﷺ: من ترك ديناً أو ضياعاً فَعَلَيَّ، وَمَن ترك مالاً فلورثته»(١).

فانظر هنا.. فرغم صراحة اللفظ إلا أنه لم يحمل على الخلافة العامة.. فتأمل!

وعن الصادق أيضاً قال: «لما أقام رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم غدير خم، أنزل الله تعالى على لسان جبرئيل، فقال له: يا محمد، إني منزل غداً ضحوة نجماً من السماء يغلب ضوؤه على ضوء الشمس، فأعلم أصحابك أنه من سقط ذلك النجم في داره فهو الخليفة من بعدك، فأعلمهم رسول الله، فجلسوا كلهم كل في منزله يتوقع أن يسقط النجم في منزله، فما لبثوا أن سقط النجم في منزل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة»(٢).

فكأن واضع هذه الرواية يؤكد ما نحن بصدده من عدم فهم من حضر الغدير وقد عرفت عددهم، وعرفت معنى قول النبي ﷺ: {من كنت مولاه فعلي مولاه}، من أنها تعني الخلافة بعده، حتى انتظروا إلى يوم التاسع عشر من ذي الحجة ليروا على دار من سيسقط ذلك النجم، فيكون الخليفة بعد النبي ﷺ.

والروايات في الباب كثيرة، وكلها تدل على خلاف هذا الفهم وإليك المزيد:

عن سالم قال: قيل لعمر: «نراك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: إنه مولاي».

وعن الباقر قال: «جاء أعرابيان إلى عمر يختصمان، فقال عمر: يا أبا الحسن، اقض بينهما. فقضى على أحدهما، فقال المقضي عليه: يا أمير المؤمنين، هذا يقضي بيننا؟ فوثب

---

(١) الكافي: (١/ ٤٠٧)، البحار: (٢٧/ ٢٤٨)، نور الثقلين: (٤/ ٢٤٠، ٢٣٧).

(٢) فرات: (٢/ ٤٥٢)، البحار: (٣٥/ ٢٨٣).

إليه عمر فأخذ بتلابيبه ولبّبه، ثم قال: ويحك ما تدري من هذا؟! هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن»(١).

فاسأل نفسك: هل فهم من وثب إلى الأعرابي أنه وثب على حق من اشتكى منه الأعرابي؟

ولعل أبلغ من هذا كله ذكر ما كان من أهل البيت، وهل أنهم فهموا مما كان من شأن الغدير ما ادعاه القوم لهم؟

ذكر الإمامية أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: أما ترضى أن تكون أخي وأكون أخاك وتكون وليي ووصيي ووارثي(٢)؟

فهل يعني الرسول ﷺ أن يقول لعلي رضي الله عنه: وتكون أميراً أو خليفة علي؟

وعن الصادق قال: «لما فتح رسول الله مكة قام على الصفا، فقال: يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، إني رسول الله إليكم، وإني شفيق عليكم، لا تقولوا: إن محمداً منا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون»(٣).

وعن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ليلة الإسراء: اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي أن علياً وليي ووليُّ رسولي ووليُّ المؤمنين بعد رسولي»(٤).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي: {إنك وليي، ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله}.

---

(١) البحار: (٤٠/ ١٢٤).

(٢) أمالي الطوسي: (٢١١)، البحار: (٣٧/ ١٤).

(٣) صفات الشيعة: (٤)، البحار: (٢١/ ١١١).

(٤) البحار: (٢٣/ ٢٨٢)، تفسير فرات: (١/ ٣٤٢).

وفي رواية: {ووليك وليي، ووليي ولي الله}[1].

فماذا تفهم من هذه النصوص غير الموالاة التي هي المحبة.

وعن رسول الله ﷺ قال: {هبط عليّ جبرئيل، وقال: يا محمد، الله يقرئك السلام، ويقول لك: قد فرضت الصلاة ووضعتها عن المعتل والمجنون والصبي، وفرضت الصوم ووضعته عن المسافر، وفرضت الحج ووضعته عن المعتل، وفرضت الزكاة ووضعتها عن المعدم، وفرضت حب علي بن أبي طالب وفرضت محبته على أهل السماء والأرض، فلم أعط أحداً رخصة}[2].

وعن رسول الله ﷺ في أهل الكساء: {من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني}[3].

وعن رباح بن الحارث قال: «جاء رهط إلى أمير المؤمنين، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ فقالوا: سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وكان فيهم نفر من الأنصار، منهم: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله»[4].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال لزيد رضي الله عنه: {أنت أخونا ومولانا}[5].

فهذه الروايات التي سردناها سرداً دون تعليق وغيرها كثير، تدل بوضوح على معنى الموالاة.

---

(١) الخصال: (٢/ ٥٠، ١٥)، أمالي الشيخ: (٣١٠)، سليم بن قيس: (١٥٣)، البحار: (٣٩/ ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٥٢).

(٢) الروضة: (٢٧)، الفضائل: (١٥٥)، المحتضر: (١٠١)، البحار: (٢٧/ ١٢٩)(٤٠/ ٤٧)(٥٤/ ٣٨٧).

(٣) أمالي الصدوق: (٢٨٣)، البحار: (٣٥/ ٢١٠).

(٤) العمدة: (٤٦)، البحار: (٣٧/ ١٤٨، ١٧٧).

(٥) البحار: (٢٠/ ٣٧٣)(٣٧/ ٣٠٧).

ولعل في ذكرنا للرواية الآتية كخاتمة لما أسلفناه أبلغ التدليل على مقصودنا، ففيها غنىً عن كل ما مر.

تقول الرواية: «إن هارون الرشيد سأل الكاظم: إنكم تقولون: إن جميع المسلمين عبيدنا وجوارينا، وإنكم تقولون: من يكون لنا عليه حق ولا يوصله إلينا فليس بمسلم. فكان مما رد عليه الكاظم: إن الذين زعموا ذلك فقد كذبوا، ولكن ندعي أن ولاء جميع الخلائق لنا -يعني: ولاء الدين- وهؤلاء الجهال يظنونه ولاء الملك، حملوا دعواهم على ذلك، ونحن ندعي ذلك لقول النبي يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وما كان يطلب بذلك إلا ولاء الدين»[1].

وقد ذكر الإمامية أن رسول الله ﷺ قال لعلي: سألت الله عز وجل أن يجعلك ولي كل مؤمن ومؤمنة ففعل[2].

فتدبر قوله: [ففعل]. فتحصل لديك من كل ما مر بك الاضطراب الشديد في فهم مقصود الموالاة، مما يتنافى مع القول بأن رسول الله ﷺ قد استخدم كلاماً مبهماً لبس على الناس أمرهم، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، والقائل: أنا أفصح العرب.

ثم إن علياً رضي الله عنه لم يفهم من رواية الغدير ولا غير الغدير أن ولايته واجبة وخلافها كفر وبطلان وهو يقول:

«أما بعد: فإن الله سبحانه بعث محمداً، فأنقذ به من الضلالة، ونعش به من الهلكة، وجمع به بعد الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه، فاستخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، فأحسنا السيرة وعدلا في الأمة، وقد وجدنا عليهما أن

---

(١) فرج المهموم: (١٠٧)، البحار: (٤٨/ ١٤٧).

(٢) الاحتجاج: (٨٤)، البحار: (٤٠/ ٢).

توليا الأمر دوننا ونحن آل رسول الله وأحق بالأمر، فغفرنا ذلك لهما»[١].

وفي موطن آخر قال: «ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين أحييا السيرة ولم يعدوا السنة»[٢].

وقال فيهما: «فتولى أبو بكر تلك الأمور، وسدد وقارب واقتصد، وتولى عمر الأمر، فكان مرضي السيرة، ميمون النقيبة»[٣].

لم يفهم علي رضي الله عنه من رواية الغدير ولا غير الغدير أن ولاية من سبقوه إحداث في الدين، وهو يتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم وإخباره له بما يلقى بعده، فقال: {فعلام أقاتلهم؟ قال: على الإحداث في الدين}[٤].

فهل قاتل الأمير أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، أم التزم التقية خوفاً، وهو القائل: والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، أم قال عن ولايتهم كما روى القوم: «فلم أر بحمد الله إلا خيراً»[٥]؟

هل فهم رضي الله عنه من رواية الغدير وغير الغدير أنه إمام وهو يقول: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك...».

---

(١) البحار: (٣٢/ ٤٥٦)، وانظر أيضاً: البحار: (٣٣/ ٥٦٨- ٥٦٩).

(٢) البحار: (٣٣/ ٥٣٥).

(٣) البحار: (٣٣/ ٥٦٨).

(٤) أمالي الطوسي: (٥١٣)، البحار: (٢٨/ ٤٨)، إثبات الهداة: (١/ ٣٠٠)، نور الثقلين: (٥/ ٦٩)، وانظر روايات أخرى في عدم إحداث أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في الدين: البحار: (٣٢/ ٢٤٣، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٨).

(٥) المناقب: (١/ ٣٢٣)، البحار: (٢٨/ ٦٧)(٤١/ ٥).

إلى أن قال: «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»[1].

يقول هذا عندما اضطربت الأمور في عهده، ولم يقله في الشيخين أو ذي النورين رضي الله عنهم، إنما قال فيهما ما قال من حسن السيرة، والعدل في الأمة، والخير الذي رآه في ولايتهم.

ويذكرني هذا برواية الإمامية عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي يروي فيه الرضا، عن آبائه، عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فيه: {أبو ذر صديق هذه الأمة}[2]، وهو يقول لعثمان رضي الله عنه: {اتبع سنة صاحبيك، لا يكن لأحدٍ عليك كلام}[3].

وفي رواية: «ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله ورأيت أبا بكر وعمر، هل هديك كهديهم؟»[4].

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أبرأ من خمسة: من الناكثين وهم أصحاب الجمل، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام، ومن الخوارج وهم أهل النهروان، ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم، فقالوا: لا قدر، ومن

---

(١) نهج البلاغة: (٢٤١)، من كلام له يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق.

(٢) عيون الأخبار: (٢/ ٧٠)، البحار: (٢٢/ ٤٠٥).

(٣) البحار: (٢٢/ ٤١٩).

(٤) البحار: (٢٢/ ٤١٨).

المرجئة الذين ضاهوا اليهود في دينهم، فقالوا: الله أعلم»(١).

فهل أمره النبي ﷺ بالتبري من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وهم الذين اغتصبوا حق الأمير وأتوا بأعظم من أفعال هؤلاء الخمسة الذين أمر بالتبري منهم بزعم المخالفين.

أبداً: لم يفهم علي رضي الله عنه أن خلافة الشيخين خلاف هدي النبي ﷺ، أو أن فلاناً دون آخر أحق بالخلافة من غيره.

لم يفهم رضي الله عنه لا من الغدير ولا غير الغدير أنه أحق بالخلافة، وهو لا يزال يردد القول بكراهيته لها، وهو يعلم يقيناً قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨].

وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف:٣١].

هل فهم علي رضي الله عنه من الغدير وغيره أنه الإمام وهو يقول لمن جاءه مبايعاً: «ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أني كنت كارهاً للولاية على أمة محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك؛ لأني سمعت رسول الله يقول: أيما والٍ ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلاً أنجاه الله بعدله، وإن كان جائراً انتقض به الصراط حتى تتزايل مفاصله، ثم يهوي إلى النار فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه، ولكن لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم»(٢)؟!

---

(١) الكشي: (٣٨)، البحار: (٤٢/ ١٥٢).

(٢) أمالي الطوسي: (٧٣٦)، البحار: (٣٢/ ١٧، ٢٦).

هل تفهم – عزيزي القارئ – من هذه الرواية أن هناك نصاً على من يأتي بعده ﷺ، أو أن هناك شروطاً يجب أن تتوفر فيه فحسب؟ وهل من جاء بعده سينجيه بعدله، كما قال رضي الله عنه: «فاستخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، فأحسنا السيرة، وعدلا في الأمة» أم سينتقض بهم الصراط لجورهم، كما يرى من يدعي أنه من شيعته رضي الله عنه؟

ألم يعلم أنه الخليفة الحق والمنصوب من الله عز وجل وغيره غاصب لهذا الحق، وهو يقول لطلحة والزبير: «نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها» وفي موضع آخر: «فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فخفت أن أردكم فتختلف الأمة»[1]؟!

ألم يعلم كل هذا، وهو يقول للمهاجرين والأنصار وقد جاءوا لبيعته: «لا حاجة لي في أمركم أنا بمن اخترتم راض»[2]؟!

ويقول لطلحة لما برز الناس للبيعة عند بيت المال: «ابسط يدك للبيعة، فقال له طلحة: أنت أحق بذلك مني، وقد استجمع لك الناس ولم يجتمعوا لي»[3].

فهل كان له الاختيار والأمر في أن يبايع هذا أو يتركه لذاك، أو أن ذلك إلى الله وليس للبشر حق الاختيار، وأن طلحة وقبله الشيخين رضي الله عنهما سيكونون بذلك أئمة ليسوا من الله؟!

ألم يعلم رضي الله عنه أنه منصوص من الله ورسوله ﷺ وهو يقول: «أتيتموني لتبايعوني، فقلت: لا حاجة في ذلك، ودخلت منزلي فاستخرجتموني، فقبضت يدي

---

(١) أمالي الطوسي: (٧٣٦)، البحار: (٣٢/ ٢١، ٥٠).

(٢) البحار: (٣٢/ ٣١) نقلاً عن الكافية لإبطال توبة الخاطئة، للمفيد.

(٣) البحار: (٣٢/ ٣٢) نقلاً عن الكافية لإبطال توبة الخاطئة.

فبسطتموها وتداككتم علي حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارهاً للحكومة بين أمة محمد»[1]؟!

ألم يعلم كل ذلك وهو يقول لما أراده الناس على البيعة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه: «دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً»[2]؟!

فهل رأى رضي الله عنه أن اختياره أو اختيار الصحابة خير من اختيار الله عز وجل، وهو يقرأ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨]؟!

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تروي الإمامية: {إن الله خلق آدم من طين كيف يشاء، ثم قال: ويختار، إن الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجبنا، فجعلني الرسول وجعل علي بن أبي طالب الوصي، ثم قال: ما كان لهم الخيرة، يعني: ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكن أختار من أشاء}[3].

فهل رأى ذلك؟ وهل هذا إلا كمن يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لهذا أو ذاك: ابسط يدك للنبوة؟!

---

(١) البحار: (٣٢/ ٦٣).

(٢) نهج البلاغة: (١٧٨)، من كلام له لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه، البحار: (٣٢/ ٨، ٢٣، ٣٥)(٤١/ ١١٦)، المناقب: (٢/ ١١٠).

(٣) البحار: (٣٦/ ١٦٧)، الطرائف: (٢٤).

فهل علم ﷺ هذا وهو يقول: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فكرهت خلافكم»[(١)]؟!

هل كان يرى مخالفة الله الذي اختاره من دون الناس من فوق سبع سموات، هل كان يرى مخالفته جائزة، وطاعة البشر واجبة؟!

هل علم هذا عندما قال: «وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداككتم علي تداكك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطيء الضعيف..» إلى آخر ما قاله ﷺ واصفاً بيعته بالخلافة[(٢)]؟!

هل علم هذا وهو يقول: «إني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني»[(٣)].

وقال: «فلما رأيت ذلك منكم رويت في أمري وأمركم، وقلت: إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي»[(٤)]؟!

هل وهل.. وهو لا يزال يردد ويقول بكراهته لأمر لولاه لما خلق الله شيئاً، حتى قال لابن عباس ﷺ وقد رآه يخصف نعله: «ما قيمة هذه النعل؟ فقال: لا قيمة لها، فقال: والله لهي أحب إلي من إمرتكم»[(٥)].

أبداً لم يكن ﷺ يرى أن مشروعية خلافته مستمدة من تلك النصوص

(١) أمالي الطوسي: (٧٤٠)، نهج البلاغة: (٣٩٧)، البحار: (٣٢/ ٣٠، ٥٠).

(٢) نهج البلاغة: (٤٣٠)، البحار: (٣٢/ ٥١)، وانظر أيضاً: البحار: (٣٢/ ٣٤، ٧٨، ٩٨)(٣٣/ ٥٦٩) = = المناقب: (٢/ ٣٧٥)، الإرشاد: (١٣٠)، الاحتجاج: (١٦١).

(٣) المناقب: (٢/ ٣٧)، البحار: (٣٢/ ١٢٠، ١٢٦، ١٣٥)، كشف الغمة: (١/ ٢٣٨).

(٤) الإرشاد: (١٣٩)، البحار: (٣٢/ ٣٨٧).

(٥) البحار: (٣٢/ ٧٦، ١١٣)، الإرشاد: (١٣٢).

المزعومةً، وأنه لو كان من ذلك شيء حق لقاتل عليها حتى لـو تظاهرت العرب كلها عليه.

بل كان يرى أن شرعية خلافته إنما هي مستمدة من مبدأ الشورى الذي أقره القرآن وأكده الرسول ﷺ بهديه وسنته.

كيف لا وهو القائل ؏ : إن رسول الله ﷺ قال: {من جاءكم يريد أن يفرق الجماعة، ويغصب الأمة أمرها، ويتولى من غير مشورة فاقتلوه، فإن الله ﷻ قد أذن ذلك}[(١)].

ويقول لمعاوية: «إن الناس تبع المهاجرين والأنصار وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولاتهم وأمراء دينهم، فرضوا بي وبايعوني، ولست أستحل أن أدع ضرب معاوية يحكم على هذه الأمة ويركبهم ويشق عصاهم.

فلما بلغ معاوية ذلك قال: ليس كما يقول، فما بال من هو ههنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟ فقال ؏ : ويْحَكُم! هذا للبدريين دون الصحابة، وليس في الأرض بدري إلا وقد بايعني وهو معي، أو قد أقام ورضي، فلا يغرنكم معاوية من أنفسكم ودينكم»[(٢)].

وقال لمعاوية في موطنٍ آخر: «إن بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار؛ فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاً، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة

(١) عيون الأخبار: (٢/ ٦٧).

(٢) البحار: (٣٢/ ٤٥٠).

ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً»(١).

فهو يرى إجماع المهاجرين والأنصار ﭬ على رجل هو رضاً لله.

بل ولا يرى بيعته دون رضاهم كما قال: «إن بيعتي لا تكون إلا عن رضا المسلمين وفي ملأ وجماعة»(٢).

وهو القائل ﭬ: «وما كان الله ليجعلهم على ضلال ولا يضربهم بعمى»(٣).

وقال له في موطن آخر: «إن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر بالمدينة وهو أمير لأبي بكر على الشام.

أما قولك: إن بيعتي لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها، فإنما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب لا يستثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، والخارج منها طاعن، والمروي فيها مداهن»(٤).

وكان يقول له: «واعلم أنك من أبناء الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يعرض فيهم الشورى»(٥).

وكذلك قال ابنه الحسن لمعاوية في كتاب الصلح الذي استقر بينهما: «هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يسلم

(١) البحار: (٣٢/ ٣٦٨)(٣٣/ ٧٦)، وانظر أيضاً: نهج البلاغة: (٤٤٦)، نور الثقلين: (١/ ٥٥١).

(٢) البحار: (٣٢/ ٢٣).

(٣) البحار: (٣٢/ ٣٨٠)(٣٣/ ٧٨)، شرح النهج للبحراني: (٤/ ٣٥٦)، نهج السعادة: (٤/ ٩٤).

(٤) البحار: (٣٣/ ٨١، ٨٢).

(٥) المناقب: (٢/ ٣٤٩)، البحار: (٣٢/ ٥٧٠)(٣٣/ ٧٨).

إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين»[1].

فهل ترى بعد كل هذا أن الأمير أو ابنه رضي الله عنهما يرون أن الله عز وجل ورسوله ﷺ قد نصا عليهما رضي الله عنهما، أو أنهم يقررون مبدأ الشورى وبه يستمدون شرعية إمامتهم للمؤمنين دون أن يتطرقوا إلى ذكر أي نص من تلك النصوص التي زُعمت لهم، وهم في تلك الحال من الخلاف، وفي موطن هم بأمس الحاجة فيه إلى ذكر نص من تلك النصوص لو وجدت، ليرد به على معاوية الذي احتج عليه بعدم اجتماع أهل الشام عليه؟

فهل قال له علي رضي الله عنه مثلاً: ليس لاختيار أهل الشام أو بيعتهم شأن أو قيمة، ما دام الله عز وجل ورسوله ﷺ قد نصا على إمامتي؟ أو أنه رضي الله عنه دلل على بيعته باجتماع أهل المدينة عليه، حتى لم ير شرعية لخلافته إلا بقياس ذلك على بيعة الصديق، والفاروق، وذي النورين رضي الله عنهم أجمعين، وأن بيعتهم كانت لله رضاً، وأنهم كانوا خلفاء راشدين، يستحقون أن يدعوا من جاء بعدهم بالاقتداء بهم، لا أنهم مغتصبون لحق غيرهم.

وأكد إقراره رضي الله عنه بمنهج القرآن الكريم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

و: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨].

لذا فلا عجب من أن يردد رضي الله عنه: «إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاً».

ولا عجب من أن يقول لمعاوية في المهاجرين والأنصار: «وما كان الله ليجعلهم -

---

(١) كشف الغمة: (٢/ ١٤٥)، البحار: (٤٤/ ٦٥).

وفي لفظ: ليجمعهم- على ضلالة ولا يضربهم بالعمى»[(١)].

ويقول للخوارج وقد خطئوه وضللوه: «فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت فلم تضللون عامة أمة محمد ﷺ بضلالي»[(٢)]؟

كيف لا وهو رضي الله عنه قد سمع رسول الله ﷺ يقول: {لا تجتمع أمتي على ضلالة}[(٣)].

ثم يقول هذا الطاعن: (أما الإجماع المدعى على انتخاب أبي بكر يوم السقيفة ثم مبايعته بعد ذلك في المسجد، فإنه دعوى بدون دليل، إذ كيف يكون الإجماع وقد تخلف عن البيعة عليّ والعباس وسائر بني هاشم كما تخلّف أسامة بن زيد والزبير وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيقة بن اليمان وخزيمة بن ثابت وأبو بريدة الأسلمي والبراء بن عازب وأُبي بن كعب وسهل بن حنيف وسعد بن عبادة وقيس بن سعد وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وخالد بن سعيد وغير هؤلاء كثيرون. فأين الإجماع المزعوم يا عباد الله؟ على أنه لو كان علي بن أبي طالب وحده تخلّف عن البيعة لكان ذلك كافياً للطعن في ذلك الإجماع إذ أنه المرشح الوحيد للخلافة من قبل الرسول على فرض عدم وجود النص المباشر عليه).

ثم يعزو تخلُّف من ذكرهم عن بيعة أبي بكر إلى المصادر التالية الطبري، تاريخ ابن الأثير، تاريخ الخلفاء، تاريخ الخميس، الاستيعاب، وكل من ذكر بيعة أبي بكر**!**؟ ولم يشر إلى الجزء أو الصفحة في أي من المصادر السابقة**!**؟؟

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البحار: (٣٣/ ٣٧٣).

(٣) الاحتجاج: (٤٥٠)، إرشاد القلوب: (٢/ ٢٢٥)، البحار: (٢/ ٢٢٥) (٥/ ٢٠، ٦٨) (١٦/ ٣٥٠، ٣٩٩) (٤٤/ ٣٦).

فأقول:

١ - والله الذي رفع السماوات ووضع الأرض لو كان الكذب يتكلم لتبرّأ من هذا الكذّاب، فلو راجعنا هذه المصادر لم نجد في أي منها ما ادّعاه من عدم مبايعة المذكورين للخليفة أبي بكر الصديق، فبالنسبة للمصدر الأول وهو تاريخ الطبري المجلد الثاني عنوان حديث السقيفة يسوق الطبري عدة روايات بعضها صحيح والبعض الآخر ضعيف، فذكر حديث ابن عباس الذي أخرجه البخاري وهو حديث طويل وفيه {... أن عمر بن الخطاب قام على المنبر يخطب الناس ليرد على من يقول: لو مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً} فذكر في جملة الحديث قصة السقيفة قوله: (وأنه كان من خبرنا حين توفّى الله نبيه ﷺ أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة، وتخلفت عنا الأنصار بأسرها، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم، فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدراً، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. قالا: فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم. فقلنا: والله لنأتينهم، قال: فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة. قال: وإذا بين أظهرهم رجل مُزَّمِّل، قال: قلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع، فقام رجل منهم فحمد الله، وقال: أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر قريش رهطُ نبينا، وقد دفّت إلينا من قومكم دافة، قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر. وقد كنت زوّرت في نفسي مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر، وقد كنت أداري منه بعض الحدّ، وكان هو أوقر مني وأحلم، فلما أردت أن أتكلم، قال: على رسلك. فكرهت أن أعصيه، فقام فحمد الله وأثنى عليه، فما ترك شيئاً كنت زوّرت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت، إلا قد جاء به أو بأحسن منه. وقال: أما بعد

يا معشر الأنصار، فإنكم لا تذكُرون منكم فضلاً إلا وأنتم له أهلٌ، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش، وهم أوسط العرب داراً ونسباً، ولكن رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح. وإني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة، إن كنت لأقدَّم فتضرب عنقي فيما لا يقرّبني إلى إثم أحبُّ إليَّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر. فلما قضى أبو بكر كلامه، قام منهم رجلٌ فقال: أنا جُذيلُها المُحنك، وعُذيقُها المُرجَّب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، قال: فارتفعت الأصوات وكثر اللغط، فلما أشفقت الاختلاف، قلت لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار...) ثم ساق الطبري الأثر عن الوليد بن جميع الزهري قال: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: (أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة. قال: فخالف عليه أحدٌ؟ قال: لا إلا مرتدٌّ أو من قد كاد أن يرتدّ، لولا أن الله عزوجل ينقذهم من الأنصار، قال: فهل قعد أحد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير أن يدعوهم) ثم ساق رواية حبيب بن أبي ثابت قال: (كان عليّ في بيته إذا أتي فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء، عجلاً، كراهية أن يبطئ عنها، حتى بايعه، ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله، ولزم مجلسه)، ثم ساق الطبري بعد ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري من مبايعة عليّ لأبي بكر بعد وفاة فاطمة. وأخيراً ساق رواية أنس بن مالك في بيعة أبي بكر بيعة عامة بعد بيعة السقيفة ولم يذكر بعدها أي شيء آخر[1].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٥-٢٣٦).

وأما كتاب تاريخ ابن الأثير فلا يوجد فيه ذكر لما ادعاه هذا الطاعن بشأن تخلف المذكورين عن بيعة أبي بكر ففي باب حديث السقيفة وخلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه! ذكر حديث السقيفة ورواية مبايعة عليّ بن أبي طالب لأبي بكر في أول الأمر عند سماعه بالبيعة ثم قال ابن الأثير: (والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر ثم حديث ابن عباس في خلافة عمر بن الخطاب وصعوده المنبر وذكره البيعة الذي سبق ذكره)[1]، ثم ذكر رواية أبو عمرة الأنصاري في اجتماع السقيفة الطويلة وخلاصتها اجتماع الناس على بيعة أبي بكر، وأثبت مبايعة عليّ وبني هاشم لأبي بكر بعد وفاة فاطمة، وقد بيّنت ضعف هذه الرواية ومخالفتها للرواية الصحيحة والواقع، فهذا هو ما ذكره ابن الأثير في تاريخه ولم يذكر أبداً ما ادعاه هذا المنصف!

وأما بالنسبة لكتاب تاريخ الخلفاء المنسوب لابن قتيبة فحريّ أن لا نبحث فيه للشك في نسبته على أقل تقدير هذا أولاً والكتب المعتمدة قد نقلنا قولهم ثانياً، وثالثاً: لم يحدد هذا الطاعن الصفحة لنرجع إليها.

وأما تاريخ الخميس فلم أجده مع الأسف الشديد.

وأما كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر فقد ساق فيه المؤلف من الأدلة على خلافته أكثر من أي مطبوع آخر، فقد أورد رواية النّزّال بن سبرة عن عليّ قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر». وروى محمد ابن الحنيفية وعبد خير وأبو جحيفة عن عليّ مثله. وكان عليّ رضي الله عنه يقول: «سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثنّى أبو بكر، وثلّث عمر، ثم حفتّنا فتنة يعفو الله فيها عمّن يشاء». وقال عبد خير: سمعتُ علياً يقول: «رحم الله أبا بكر، كان أول من جمع بين اللوحين». وروينا عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من وجوه أنه قال: «ولينا أبو بكر فخيرُ خليفة، أرحمه بنا وأحناه

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٢٥).

علينا». وقال مسروق: «حبُّ أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة»، وساق حديث الرسول ﷺ في طلبه أن يؤم الناس وذكر حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: {اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد}(١).

ثم قال ابن عبد البر: (.. وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة، ثم بويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من بعد ذلك اليوم، وتخلّف عن بيعته سعد بن عبادة، وطائفة من الخزرج، وفرقة من قريش، ثم بايعوه بعد غير سعد. وقيل: إنه لم يتخلّف عن بيعته يومئذ أحدٌ من قريش، وقيل: إنه تخلّف عنه من قريش: علي، والزبير، وطلحة، وخالد بن سعيد بن العاص، ثم بايعوه بعد. وقد قيل: إن علياً لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة، ثم لم يزل سامعاً مطيعاً له يُثني عليه ويفضّله). وساق عن عبد الله بن مسعود: (كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة بكلام قاله عمر بن الخطاب: أنشدتكم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يُزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه، ونستغفر الله. وروى الحسن البصري عن قيس بن عبادة قال: قال لي عليّ بن أبي طالب: إن رسول الله ﷺ مرض ليالي وأياماً ينادي بالصلاة فيقول: مروا أبا بكر يُصلي بالناس، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت فإذا الصلاة عَلَم الإسلام، وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر)(٢)، فهذا الذي ذكره ابن عبد البر في كتابه.

فأقول لمن يبحث عن الحق الواضح من الكذب الفاضح: ماذا بعد الحق إلا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الاستيعاب (٢/ ٢٤٣ وما بعدها).

الضلال، فهذه يا طالب الحق المراجع التي ساقها هذا الطاعن ليثبت تخلّف هؤلاء الصحابة عن بيعة أبي بكر والتي تجمع على بيعة المسلمين له بيعة السقيفة والبيعة العامة من جميع الناس

ولا يكتفي هذا الطاعن بذلك فيقول بالهامش بعدما يذكر المراجع... وكل من ذكر بيعة أبي بكر!؟ بل أقول: لا يوجد كتاب يتعرض للبيعة إلا ويثبت صحة بيعته وبيعة الصحابة بالإضافة لعلي وبني هاشم بل وكتب الإمامية الاثني عشرية تثبت ذلك أيضاً.

٢- ولو فرضنا جدلاً أن هؤلاء الصحابة المذكورون لم يبايعوا أبا بكر على الخلافة، فهذا أيضاً لا يقدح في البيعة لأنها لا تحتاج إلى إجماع كل الناس، ولكن يكفي موافقة أهل الشوكة والجمهور الذي يقام بهم أمر الخلافة، وهذا ما اتفق عليه أهل العلم.

يقول النووي: (أما البيعة فقد اتفق العلماء على أنه لا يشترط لصحّتها مبايعة كل الناس، ولا كل أهل الحل والعقد، وإنما يشترط مبايعة من تيسر إجماعهم من العلماء والرؤساء ووجوه الناس، وقال المازري: العذر لعلي في تخلّفه مع ما اعتذر هو به أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ولا يجب الاستيعاب، ولا يلزم من كل أحد أن يحضر عنده ويضع يده في يده، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه ولا يشقّ العصا عليه، وهذا كان حال عليّ لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبي بكر، وقد ذكرت سبب ذلك)[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (بأنه لا يشترط في الخلافة إلا اتفاق أهل الشوكة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٧٧).

والجمهور الذين يقام بهم الأمر، بحيث يمكن أن يقام بهم مقاصد الإمامة)[1].

بل وهذا علي نفسه يقول بما ذكره عنه الشريف الرضى في كتابه الحجة للإمامية نهج البلاغة لعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى يحضرها عامَّة الناس فما إلى ذلك سبيل!!، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، وليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار! فانظر أيها القارئ للحق الواضح!... والسبب في اتفاق العلماء على ذلك لأنه لو اعتبر تخلّف الواحد أو الاثنين أو الفئة القليلة من الناس قدح في الإجماع فلن نستطيع أن نثبت إجماعاً أبداً لأنه قد يتخلّف الإنسان لهوى في نفسه أو لسبب غير مسوّغ، أو لأي أمر آخر، فإذا كان الأمر كذلك فكيف سنجمع على إمام بعينه؟!

ويجب أن يقال أيضاً: إن إجماع الأمة على خلافة أبي بكر كان أعظم من اجتماعهم على مبايعة عليّ، فإن ثلث الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوا علياً بل قاتلوه، والثلث الآخر لم يقاتلوا معه، وفيهم من لم يبايعه أيضاً، والذين لم يبايعوه منهم من قاتلهم، ومنهم من لم يقاتلهم، فإن جاز القدح في الإمامة بتخلف بعض الأمة عن البيعة، كان القدح في إمامة عليّ أولى بكثير.

وإن قيل: جمهور الأمة لم تقاتله، أو قيل: بايعه أهل الشوكة والجمهور ونحو ذلك كان هذا في حق أبي بكر أوْلى وأحرى، وإن ادعى هذا الطاعن بأنّ النص على عليّ بالخلافة ظاهر، فأقول له: أدلتك قد أثبتُّ أنها ليست حجة بالإضافة إلى أن الأدلّة على خلافة أبي بكر أصح وأقوى وأعظم من أن تنكر، وعلى ذلك يظهر لدينا تهافت قول هذا الطاعن على أنه لو كان عليّ وحده تخلّف عن البيعة لكان ذلك كافياً للطعن في ذلك الإجماع فرحم الله الإجماع وأهله!؟

---

(١) منهاج السنة (٨/ ٣٣٦).

ثم يتابع فيقول: (وإنما كانت بيعة أبي بكر من غير مشورة بل وقعت على حين غفلة من الناس وخصوصاً أولي الحل والعقد منهم كما يسميهم علماء المسلمين إذ كانوا مشغولين بتجهيز الرسول ودفنه، وقد فوجئ سكان المدينة المنكوبة بموت نبيهم وحُمل الناس على البيعة بعد ذلك قهراً. كما يشعرنا بذلك تهديدهم بحرق بيت فاطمة إن لم يخرج المتخلّفون عن البيعة فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نقول بأن البيعة كانت بالمشورة وبالإجماع؟).

فأقول وبالله التوفيق:

١- إذا كانت بيعة أبي بكر وقعت من غير مشورة وعلى حين غفلة من المسلمين فكيف يوفّق هذا الطاعن بين قوله هذا وقوله قبلاً أن بعضاً من الصحابة قد تخلّفوا عن البيعة؟! فهل كان المسلمون هم الفئة القليلة؟! ثم يقول: إن البيعة وقعت من غير مشورة من المسلمين، فكيف حدث ذلك وقد أثبتنا من مصادر هذا الطاعن أنها وقعت عن مشورة من المسلمين، وبويع أبو بكر في السقيفة وفي البيعة العامة من الناس؟!

٢- يقول: وقد فوجئ سكان المدينة المنكوبة بموت نبيهم وحملوا الناس على البيعة بعد ذلك قهراً؟!؟

سبحان الله... من حمل سكان المدينة على البيعة قهراً؟ أبو بكر وعمر!؟ فكيف قهروهم؟ فهل قاتلت معهما الملائكة؟ أم ساندتهم قطاعات الحرس الجمهوري أم سرايا الدفاع؟... أم حرس الثورة؟؟! يا الله! عليّ بن أبي طالب المنصوص عليه بالخلافة بالنص الواضح الجلي، وأهل الحل والعقد والوجهاء، وسكان المدينة لم يستطيعوا إيقاف بيعة أبي بكر بمساندة القلّة القليلة التي معه، ومع ذلك استطاع أن يصبح الخليفة رغم معارضة الأمة له؟ فمبايعة الأمة للخليفة أبي بكر أكبر من أن تنكر.

فهل يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فهاهم الشيعة الاثني عشرية يؤكدون هذه الحقيقة، فهذا إمام الشيعة الاثني عشرية الحسن بن موسى النوبختي يؤكد ذلك في كتابه فرق الشيعة فيقول: (... فصار مع أبي بكر السواد الأعظم والجمهور الأكثر فلبثوا معه ومع عمر مجتمعين عليهما راضين بهما)[١].

وهذا إبراهيم الثقفي أحد كبار الشيعة الاثني عشرية يورد قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جزء من رسالة له لأصحابه: «... فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر وإجفالهم إليه ليبايعوه..»[٢]. ثم يشرح محقق الكتاب انثيال الناس، أي: انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب، على أبي بكر! ويقول: قال المجلسي: الإجفال: الإسراع![٣]

ثم يأتي هذا الطاعن بعد كل ذلك ليكتشف ما غاب عن السنة والشيعة، وهو أن أبا بكر وعمر حملوا الناس على البيعة قهراً!؟

٣- أما قوله عن حرق بيت فاطمة فسيأتي بيانه إن شاء الله.

ثم يقول: (وقد شهد عمر بن الخطاب نفسه بأن تلك البيعة كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، وقال: فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، أو قال: فمن دعا إلى مثلها فلا بيعة له ولا لمن بايعه).

أقول: لم ترد الرواية عن عمر بهذا السياق لا في البخاري ولا في غيره، بل وردت في حديث طويل رواه ابن عباس: {أن عمر قام خطيباً في المدينة ليرد شبهة أثارها فلان من الناس وكان مما قال... ثم لأنه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمر

---

(١) فرق الشيعة (ص٢٣-٢٤).

(٢) الغارات (١/ ٣٠٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٠٦).

بايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن وقى الله شَرَّها، وليس فيكم من تُقطعُ الأعناقُ إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعهُ تغَّرةً أن يُقتلا}(1) ومعنى قول عمر أنها كانت فلتة أي: فجأة دون استعداد لها، وهكذا وقعت بيعة أبي بكر فجأة من دون أن يستعدوا أو يتهيئوا لها فوقى الله شرها، أي: فتنتها، وعلل لذلك بقوله: مباشرة، وليس فيكم من تُقطعُ الأعناق إليه مثل أبي بكر، أي: ليس فيكم من يصل إلى منزلة أبي بكر وفضله، فالأدلة عليه واضحة، واجتماع الناس إليه لا يحوزها أحد.

يقول الخطابي: (يريد أن السابق منكم الذي لا يلحق في الفضل لا يصل إلى منزلة أبي بكر، فلا يطمع أحد أن يقع له مثل ما وقع لأبي بكر من المبايعة له أولاً في الملأ اليسير ثم اجتماع الناس عليه وعدم اختلافهم عليه لما تحققوا من استحقاقه، فلم يحتاجوا في أمره إلى نظر ولا إلى مشاورة أخرى، وليس غيره في ذلك مثله)(2).

وبالطبع كان سبب قول عمر هذا؛ لأنه علم أنّ أحدهم قد قال: لو مات عمر لبايعت فلاناً، أي: يريد أن يفعل كما حدث لأبي بكر، ويتعذّر بل يستحيل أن يجتمع الناس على رجل كاجتماعهم على أبي بكر، فمن أراد أن ينفرد بالبيعة دون ملأ من المسلمين فسيعرّض نفسه للقتل، وهذا هو معنى قول عمر: تغرةً أن يقتلا، أي: من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرّضهما للقتل، وهنا يظهر معنى ما أراده عمر في هذه القضية، وهذا الطاعن نقل نقلاً مبتوراً عن عمر وذلك لعدم نقله سبب قوله ذاك، فإذا عرف السبب بطلت الحجّة التي يستند عليها هذا الطاعن، بل وانقلبت عليه

---

(١) صحيح ا لبخاري برقم (٦٨٣٠).

(٢) نقلاً عن فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٥٠).

لأن عمر عندما ذكر ذلك أراد إظهار الفضيلة والسبق لأبي بكر، وهي اجتماع الناس عليه وانثيالهم إليه، وهذا ما حدث والتاريخ يشهد على ذلك، فمن ظنّ أنّ قول عمر منقصة لأبي بكر فليعلم أن هذا بسبب نقصان فهمه ليس إلا!!

ثم يدعي هذا الآثم: (أن علياً قال في حق الخلافة: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرّحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير).

قلت:

١- نحن نجلّ علياً من أن يقول هذا الكلام في حق أبي بكر أو يدعي لنفسه الخلافة، لأنّ أبا بكر لا يتقمص ما ليس من حقه، ولو كان علي محلّه من الخلافة محل القطب من الرحى كما يدعيه الطاعن، لما بايعه باتفاق السنة والشيعة.

٢- لو فرضنا جدلاً أن علياً قال ذلك فليس فيه أي قدحٍ في أبي بكر، بل القدح في عليّ أظهر منه في أبي بكر، لأننا قد بينا أن الإجماع قد انعقد لأبي بكر دون إكراه لأحد، فالأنصار والمهاجرون وبمن فيهم بنو هاشم بايعوا دون إكراه ولا قهر، فلم يكن هذا تقمصاً من أبي بكر، وأما الادعاء بأن علياً قال أنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، فأقول: حاشى لأبي بكر أن يتقدم أحداً ثبت بالنص أنه الخليفة، فلو كانت الخلافة من حق عليٍّ لبايعه الناس دون أبي بكر، فإذا علم ذلك علمنا أن الذي محلّه من الخلافة محلّ القطب من الرحى هو أبو بكر وقد كان، وأما الأدلة التي يقال أنها تثبت الخلافة لعليّ فهي أوهى من بيت العنكبوت فلا تقف في وجه الأدلة على أحقيّة أبي بكر.

٣- ثبت بالدليل الواضح مبايعة عليّ بن أبي طالب لأبي بكر بالخلافة سواءٌ في بداية المبايعة أم بعدها بستة أشهر، فكيف يقال أن علياً قال ما قاله فيما يسمّى «الخطبة

الشقشقية»، فإن قلنا أنه بايع والكلام مكذوب عليه كان كلامنا حقاً، ولو قالوا: بل بايع تقيّةً، قلنا: حاشا علي أن يكون الحق معه بالنص الواضح والجلي ثم يتنازل عنه لأي أحد وأن يتظاهر بالموافقة على بيعة أبي بكر فهذا عين النفاق والجبن، ونحن ننزه علياً من ذلك.

٤- كتاب نهج البلاغة ليس حجة على أهل السنة، فيعارضه ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة الذي يثبت مبايعة عليّ لأبي بكر مع اعترافه بالفضل والأحقية.

٥- هل قرأ هذا الطاعن كتاب نهج البلاغة كلّه أم اختار فقرات معيّنة لنقلها في كتابه مثبتاً بها ادعاءه؟ ولو راجعنا رسائل علي لوجدنا بها ما يضاد ما نقله هذا الطاعن، ففي إحدى رسائله إلى معاوية التي يحتج بها على أحقيته بالخلافة والبيعة بقوله: «إنَّهُ بايَعَني القومُ الذين بايعوا أبا بَكر، وعمر، وعثمان، على ما بايعوهُم عليه، فلم يكُن لشاهد أن يَختار، ولا للغائب أن يَرُدَّ، وإنَّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإنِ اجتمعوا على رجُلٍ، وسَمُّوْهُ إماماً، كانَ ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرِهم خارجٌ بِطَعْنٍ، أو بِدعةٍ، رَدُّوه إلى ما خَرَجَ منه، فإنْ أبَى قاتلوهُ على اتِّباعهِ غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولَّى»(1).

سبحان ربي! كيف يتوافق قول علي: «لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة» مع قوله هنا: «لقد بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان فكيف يكون أبو بكر متقمِّصاً وبنفس الوقت يحتج بها عليّ على صحة خلافته، وكيف يتفق قوله: «إنه ليعلم محلي منها محل القطب من الرحى» مع قوله: «فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد»!! إضافةً لقوله: «إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل، وسموه

---

(١) نهج البلاغة (ص٣٦٦-٣٦٧).

إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن، أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين»!!! ومن رسالة عليّ لمعاوية السابقة نكتشف أن أبا بكر لم تكن مبايعته قهراً وإنما بمبايعة المهاجرين والأنصار بالشورى، فإذا عرفت ذلك أخي القارئ فاتبع الحق تسلم!

ثم يقول: (إن سعد بن عبادة هاجم أبا بكر وعمر وحاول منعهما من الخلافة وأنه لولا مرضه لقاومهم وقاتلهم..) إلى آخر هذا الهراء، **فأجيب**:

١ - أن هذه الرواية لو كانت صحيحة لكانت قدحاً في سعد وليست مكرمة له، ولكنَّ هذا الفعل والقول في الرواية أجلّ من أن يصدر عن صحابي كأمثال سعد بن عبادة سيد الأنصار.

٢- مجرد النقل من كتاب تاريخ الخلفاء المنسوب لابن قتيبة لا يعد صحيحاً.

٣- أنا لن أرد على كذب الرواية بالأدلة والحجج السنِّية، بل سأرد بما ورد في نهج البلاغة، فقد قال عليّ أن أبابكر بايعه المهاجرون والأنصار، والشورى لهم، وقال أيضاً: «فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه»، وعلى فرض صدور ما ادعاه هذا الطاعن على سعد، فأيُّ مدحٍ أو حجة على مهاجمة سعد لأبي بكر وعمر؟ وقد بايعه المهاجرون والأنصار! فهل عمل سعد هذا يبطل شورى المهاجرين والأنصار؟! وهل إذا خرج عليهم بطعنٍ، يريد قتالهم يكون فعله حقاً؟! أم يجب أن يرد عن ذلك ويقاتل على اتباعه غير سبيل المؤمنين؟!!

الكلام في أن علياً أولى من أبي بكر بالاتباع:

ومن هذه الشبهات ادعاء البعض أن علياً أولى من أبي بكر بالاتباع فقال أحدهم مبرراً ترك مذهبه السابق: (ومن الأسباب التي دعتني للاستبصار وترك سنة الآباء والأجداد، الموازنة العقلية والنقلية بين عليّ بن أبي طالب وأبي بكر. وكما ذكرت فإني

أعتمد على الإجماع الذي يوافق عليه أهل السنة والشيعة. وقد فتشّت في كتب الفريقين فلم أجد إجماعاً إلاّ على عليّ بن أبي طالب فقد أجمع على إمامته الشيعة والسنة في ما ورد من نصوص ثبتتها مصادر الطرفين، بينما لا يقول بإمامة أبي بكر إلا فريق من المسلمين وقد كنّا ذكرنا ما قاله عمر عن بيعة أبي بكر).

الرد:

١ - إذا كان أهل السنة والجماعة قد أجمعوا مع الشيعة على إمامة عليّ فيما ورد من نصوص على زعمه، فلماذا سوّد كل هذه الصفحات لإثبات إمامة عليّ؟ وما هو الخلاف بين الطرفين إذا كانوا متفقين على إمامة عليّ؟! وكيف يحصل الإجماع على عليّ والتاريخ يشهد أن الإجماع قد ثبت على إمامة أبي بكر بل لا يوجد أصلاً إجماع على إمامة عليّ لا من مصادر السنة ولا من مصادر غيرهم، ثم أقول: إذا كان عندك مصدر واحد من مصادر أهل السنة ذكر الإجماع على إمامة عليّ بن أبي طالب، فأرجو أن تفحمنا وتدلنا عليه.

٢ - ثم يقول: (بينما لا يقول بإمامة أبي بكر إلا فريق من المسلمين).

قلت: ومع ذلك أصبح الخليفة الأول ودانت له جموع المسلمين راضين به، منقادين له؟! وأما بالنسبة لقول عمر عن البيعة فقد بينّاه سابقاً.

ثم يقول: (بما أنّ الكثير من الفضائل والمناقب التي يذكرها الشيعة في علي بن أبي طالب لها سند ووجود حقيقي وثابت في كتب أهل السنة المعتمدة عندهم، ومن عدة طرق لا يتطّرق إليها الشك).

أقول:

١ - سنرى بإذن الله وسيرى القارئ الروايات التي يحتج بها هذا الطاعن ويتطلع على أسانيدها وعلى مدى صحتها ليعلم القول الثابت من التقول الزائف.

٢- أما أنها مروية من عدة طرق لا يتطرق إليها الشك فهذا عجب من القول؛ لأنه يعني أنها متواترة، فهل كل الأحاديث التي رُوِيَت في علي وصلت إلى درجة التواتر؟

ثم يتابع فيقول: (فقد يروي الحديث في فضائل الإمام علي جمع غفير من الصحابة، حتى قال أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل كما جاء لعلي بن أبي طالب». وقال القاضي إسماعيل والنسائي وأبو علي النيسابوري: «لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي»).

قلت:

١- ليس المقصود كثرة الروايات في فضائل علي، بل كثرة الرواة وبالتالي كثرة المسانيد، بمعنى أن الرواة أكثروا الرواية في مناقب علي الصحيح منها والمكذوب، وأصبح للرواية الواحدة أسانيد كثيرة، كرواية {من كنت مولاه فعلي مولاه} فلها طرق كثيرة جداً مع أنها رواية واحدة، وسبب ذلك يرجع إلى تأخر وفاة علي وما جرى في وقته من الأحداث والفتن العظيمة، وكثرة الطعون التي تعرض لها لذلك.

يقول ابن حجر: (قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي، وكأن السبب في ذلك أنه تأخر، ووقع الاختلاف في زمانه وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينها من الصحابة رداً على من خالفه)[(١)].

٢- إضافة إلى ما سبق فليس كل ما روي في فضائل علي فهو صحيح، يقول الذهبي في تلخيص الموضوعات: (لم يرو لأحد من الصحابة في الفضائل أكثر مما روي

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٧١).

لعلي رضي الله عنه، وهي على ثلاثة أقسام: صحاح وحسان، وقسم ضعاف، وفيها كثرة، وقسم موضوعات وهي كثيرة إلى الغاية ولعل بعضها ضلال وزندقة)(١) اهـ.

فليس كل ما روي في فضائل علي صحيح، بل قد وضع الكذّابون في فضائله الشيء الكثير، وهذا ما يؤكده الإمامية فيقول ابن أبي الحديد الشيعي: (إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة! فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم)(٢)، ويقر بذلك الكشي حين يورد في كتابه رجال الكشي: (عن أبي مسكان عمن حدثه من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لعن الله المغيرة بن سعيد إنه كان يكذب على أبي فأذاقه الله حر الحديد)، وأورد عن يونس قال: (وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله متوافرين، فسمعت منهم وأخذت كتبهم فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام وقال لي: إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام)(٣)، فهل يشك شاك بعد ذلك بأن الكثير من فضائل علي كذب من جهة من يزعمون أنهم من شيعته!

٣ يحاول صاحبنا إيهام القارئ أن الإمام أحمد يرى أفضلية علي على أبي بكر وعمر، ولكن الحقيقة أن الإمام أحمد يرى أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها هو أبو بكر وعمر. يقول الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: «أما التفضيل

---

(١) انظر: هامش الصواعق المحرقة (ص١٨٦).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١١/ ٤٧).

(٣) سبق تخريجه.

فأقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي». وقال: سألت أبي رحمه الله عن التفضيل بين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم، فقال: «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الرابع من الخلفاء، قلت لأبي: إن قوماً يقولون إنه ليس بخليفة قال: هذا قول سوء رديء»(١).

وفي مسائل ابن هانئ قال: (سمعت أبا عبد الله يقول في التفضيل: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ولو أن رجلاً قال: علي لم أعنفه، ثم سأله ابنه عن الخلافة سألت أبي عن الأئمة فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي في الخلفاء». فهذا هو قول الإمام أحمد في التفضيل والخلافة.

ثم يقول: (أما بالنسبة لأبي بكر فقد فتّشت أيضاً في كتب الفريقين فلم أجد له في كتب أهل السنة والجماعة القائلين بتفضيله ما يوازي أو يعادل فضائل الإمام عليّ).

أقول:

أما تفتيشه فلا يعتمد عليه؛ لأنني واثق وثوق الشمس أنه غير منصف مهما ادّعى الإنصاف، إضافةً إلى أنه لا يفرّق بين الحديث المتواتر والحديث الموضوع!! ثم إنني لست أدري لماذا يناقض صاحبنا نفسه مرّات ومرّات، فهو قد ذكر قبل قليل قوله: فقد أجمع على إمامته أي: عليّ، الشيعة والسنة في ما ورد من نصوص أثبتتها مصادر الطرفين فتأمل!!! بينما لا يقول بإمامة أبي بكر إلا فريق من المسلمين هل نظرت أخي القارئ؟! ثم تأمل قوله هنا: أما بالنسبة لأبي بكر فقد فتشت أيضاً في كتب الفرقين فلم أجد له في كتب أهل السنة والجماعة القائلين بتفضيله!؟ وتفضيل أهل السنة له يعني إمامته ما يوازي أو يعادل فضائل عليّ فأقول لصاحبنا: أي الفريقين تختار؟ أهل السنة الذين أجمعوا على خلافة عليّ؟! أم أهل السنة القائلين بتفضيل أبي بكر؟؟

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ح١٤٠١).

ثم يقول: (ورغم أن أبا بكر كان هو الخليفة الأول وله من النفوذ ما قد عرفنا ورغم أنَّ الدولة الأموية كانت تجعل عطاءً خاصاً ورشوة لكل من يروي في حق أبي بكر وعمر وعثمان ورغم أنَّها اختلقت لأبي بكر من الفضائل والمناقب الكثير مما سُوّدت بها صفحات الكتب، مع ذلك فلم يبلغ معشار عشر حقائق الإمام عليّ وفضائله).

أقول:

كيف عرف أن الدولة الأموية كانت تجعل عطاءً خاصاً ورشوة لمن يروي في حق أبي بكر وعمر وعثمان، ولماذا لم تُحَلْ أكاذيبه هذه المرة إلى الطبري والكامل وغيرها من كتب التاريخ حتى يثبت صحة ما يقول أم يريد أن يدلل على قوله وتجنيه على العظماء باختلاق الأكاذيب التي لا تنطلي على الأطفال فضلاً على الكبار، ثم ألا يعلم أن الذي روى الأحاديث في فضائل عليّ بزعمه هم الصحابة أيضاً؟فقوله هذا طعن مبطن للصحابة الكبار من رواة الأحاديث في أنهم يروون الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ فهل القرآن الذي جاءنا عن طريق الصحابة هو مكذوب أيضاً؟

ثم يضيف صاحبنا فيقول: (أضف إلى ذلك أنّك إذا حلّلت الأحاديث المروية في فضائل أبي بكر وجدتها لا تتماشى مع ما سجّله عليه التاريخ من أعمال تناقض ما قيل فيه ولا يقبلها عقل ولا شرع)!!

انظر أخي القارئ إلى من لا عقل له ولا فقه يريد أن يخالف الأصول المعلومة... يريد أن يحلل الأحاديث المروية في فضائل أبي بكر لا أن يبحث في سندها أو متنها بل يريد أن يحللها بماذا؟ بعقله أو قُل بتجرده وإنصافه كما يزعم!!، فيحلل أحاديث فضائل أبي بكر، وهو يقول الأحاديث. وليس حديثاً واحداً وأل تفيد الاستغراق أي كل أحاديث فضائل أبي بكر.

ثم يقول: (وقد تقدم شرح ذلك في حديث {لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أمتي لرجح إيمان أبي بكر} ولو كان يعلم رسول الله أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ما كان ليؤّمر عليه أسامة بن زيد ولا امتنع من الشهادة له كما شهد على شهداء أحد وقال له: إني لا أدري ماذا تحدثون من بعدي حتى بكى أبو بكر).

أقول: مر الكلام في هذا.

ثم يقول: (ولا أن يُرسل خلفه علي بن أبي طالب ليأخذ منه سورة براءة فيمنعه من تبليغها).

أقول: هذا من الكذب الرخيص لأن النبي ﷺ لم يمنع أبا بكر من تبليغها كما يزعم هذا، ولم يذكر في أي حديث مثل ذلك، ومعلوم بالتواتر أن النبي ﷺ أمّر أبا بكر على الحج عام تسع، فقد أخرج الطبري وإسحاق في مسنده والنسائي والدارمي كلاهما عنه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من طريق ابن جريج حدثني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر {أن النبي ﷺ حين رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كدنا بالعرج ثوّب الصبح، فسمع رغوة ناقة النبي ﷺ، فإذا علي عليها، فقال له: أمير أو رسول؟ فقال: بل أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس، فقدمنا مكة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قدم أبو بكر فخطب الناس بمناسكهم، حتى إذا فرغ قام عليّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم كان يوم النحر كذلك، ثم يوم النفر كذلك. فكان أبو بكر ينادي: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ويأمر أصحابه بذلك}(١). ويعضده ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: {بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحَجَّة في المؤذنين بعثهم

---

(١) رواه النسائي برقم (٢٩٩٣)، وابن خزيمة برقم (٢٩٧٤)، والدارمي برقم (١٩١٥)، وابن حبان برقم (٦٦٤٥).

يوم النحر يؤذنون بمنىً أن لا يَحُجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميدٌ: ثمَّ أردفَ النبي ﷺ بعليّ بن أبي طالب فأمرهُ أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا عليٌّ في أهل منىَ يوم النَّحر ببراءة، وأن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريان}[1].

أقول:

وأما إرداف عليّ فلأنه لا يبلّغ هذا الأمر إلا النبي أو أحد من أهل بيته، لما أخرجه الطبراني عن أبي رافع في جزء منه فأتاه فقال إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك، فإرسال النبي ﷺ لعلي كان لهذا السبب وليس لمنع أبي بكر وهو الذي استخلفه على الحج وكان علي من جملة أصحابه.

أما قوله: ولا أن يقول يوم إعطاء الراية في خيبر: {لأعطين رايتي غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله} كرّاراً ليس فرّاراً امتحن الله قلبه بالإيمان، فأعطاها إلى عليّ ولم يعطها غيره ثم يعزو الرواية إلى صحيح مسلم.

أقول: لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ في مسلم، وإنما الذي ورد في صحيح مسلم هو ما رواه أبو هريرة! أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: {لأعطيّن هذه الراية رجلاً يُحبُ الله ورسوله. يفتح الله على يده. قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، قال: فتساورت لها رجاء أن أُدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فأعطاه إياها. وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. قال: فسار عليٌّ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٩)، ومسلم برقم (١٣٤٧).

دماءهم وأموالهم، إلا بحقّها، وحسابهم على الله}[1] ففي هذا الحديث الإخبار عن فضائل عليّ بن أبي طالب ﷺ، وليس في الحديث تنقيص لأبي بكر البتّة، ولم تكن الراية مع أبي بكر حتى يعطيها لعلي ولا يعطيها لأبي بكر، وليس من المعقول أنْ يُخصّ أبا بكر وحده بالفضل دون جميع الصحابة ويحوز كل الامتيازات، وبقية الصحابة لا فضل لهم، حتى لو أعطيت فضيلة لأحد غيره أصبحت هذه مذمّة له؟!

وقول النبي ﷺ: {لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله} لاشك أن هذا من فضائل عليّ، ولكن لا يقول عاقل أن هذا مختص بعلي وحده، أي: لأنه يحب الله ورسوله وحده ولا يشاركه أحد من الصحابة في ذلك، بل ثبت أن النبي ﷺ شهد لعبد الله بن حمار وقد جاء ليحد على شربه للخمر أكثر من مرة، فقال رجل من القوم: {اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يُحب الله ورسوله}[2] فهل يقول عاقل أنها تختص به؟ ومعلوم أن أصحاب النبي ﷺ كُثر، فليس من المقبول أن توكل جميع الأمور والمدائح والفضائل والأسبقية لصحابي واحد، بل كل صحابي من المقربين، له منزلة عند النبي ﷺ، ولا شك أنّ من شهد الله ورسوله له بالصحبة أنه يحب الله ورسوله، فبطل الاحتجاج بهذا الحديث على أفضلية عليّ على أبي بكر، ولا أنسى أن أذكّر صاحبنا أنّ راوي الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة الذي تتهمه بأنه يختلق ويدسّ الأحاديث في فضائل أبي بكر ومن المتحاملين على الإمام عليّ، فكيف توفّق بين إيراده لهذا الحديث العظيم في فضل عليّ وادعائك المشحون بالكذب والتحامل على خير الخلق؟!

أما قوله: (ولو علم الله أنّ أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان وأنّ إيمانه يفوق

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٧٨٠).

أمة محمد بأسرها فلم يكن الله ليهدده بإحباط عمله عندما رفع صوته فوق صوت النبي).

قلت:

هذه الآية نزلت لتأديب المسلمين عامة وللصحابة بالأخص، في كيفية معاملتهم مع نبي الرحمة ﷺ وتوقيره وتبجيله، والآية عامة اللفظ إلا أن يأتي ما يخصصها، فكيف يقول هذا الطاعن أن الله سبحانه يهدده هكذا بإحباط عمله، وقد ذُكِرَ أنّ سبب نزول الآية أكثر من سبب منها أن أبا بكر وعمر تماريا فنزلت هذه الآيات وابتدأت بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، ومن هنا نعلم أن نزول هذه الآية هي لتربية الصحابة وتعليمهم وتنبيههم لهذا الأمر بالقرآن، ليكونوا خير الناس بصحبة نبيهم ﷺ وليست تختص بأبي بكر وحده، فقد روى مسلم أنها نزلت في ثابت بن قيس، فعن أنس بن مالك أنه قال: {لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢]، إلى آخر الآية. جلس ثابت بن قيس وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكى؟ قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: بل هو من أهل الجنة}(١) فكيف بأبي بكر الذي بشره النبي ﷺ بالجنة مرات ومرات، والذي كان من أول المستجيبين والمتأدبين مع هذا الأمر الإلهي، فقد أخرج الحاكم في المستدرك موصولاً وابن مردويه من طريق بن شهاب عن أبي بكر قال: {لما

---

(١) صحيح مسلم برقم (١١٩).

نزلت: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ الآية، قال أبو بكر: قلت: يا رسول الله! آليت أن لا أكلمك إلا كأخي السرار}(١).

وخلاصة القول أن أبا بكر الصديق ليس معصوماً بل يخطئ ويصيب، وينبّه على خطئه، فالقرآن يؤدبه، والنبي ﷺ يربّيه، وهذا مدح له وليس قدح به هذا لمن يفهم.

ثم يكرر ما سبق الجواب عليه ثم يقول: (وأنه لم يكن أحرق الفجاءة السلمي).

أقول: فالإحراق بالنار عن عليّ أشهر وأظهر منه عن أبي بكر، وأنه قد ثبت في الصحيح {أن علياً أُتي بقوم زنادقة من غلاة الشيعة، فحرّقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرّقهم بالنار، لنهْي النبي ﷺ أن يُعذّب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم، لقول النبي ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه فبلغ ذلك علياً، فقال: ويح ابن أم الفضل ما أسقطه على الهنات}(٢).

فعليّ حرّق جماعة بالنار، فإن كان ما فعله أبو بكر منكراً، ففعل عليّ أنكر منه، وإن كان فعل عليّ مما لا يُنْكر مثله على الأئمة، فأبو بكر أولى أن لا ينكر عليه.

أما قوله: (وأنه يوم السقيفة كان قذف الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة).

قلت:

هذه الحجة المردودة أجاب عليها الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري بما يغني عن الرد فقال: (وقد استشكل قول أبي بكر هذا مع معرفته بأنه الأحق بالخلافة بقرينة تقديمه للصلاة وغير ذلك، والجواب أنه استحيا أن يزكي نفسه فيقول مثلاً: رضيت

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٥٠١) (٣٧٢٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٠١٧).

لكم نفسي، وانضم إلى ذلك أنه علم أنّ كلا منهما لا يقبل ذلك، وقد أفصَح عمر بذلك في القصة، وأبو عبيدة بطريق الأولى؛ لأنه دون عمر في الفضل باتفاق أهل السنة، ويكفي أبا بكر كونه جعل الاختيار في ذلك لنفسه فلم ينكر ذلك عليه أحد، ففيه إيماء إلى أنه الأحق)[١]، فظهر أنه ليس في كلامه تصريح بتخلية من الأمر، وقال في موضع آخر: (وتمسّك بعض الشيعة بقول أبي بكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين بأنه لم يكن يعتقد وجوب إمامته ولا استحقاقه للخلافة، والجواب من أوجه: أحدهما أن ذلك كان تواضعاً منه، والثاني لتجويزه إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وإن كان من الحق له فله أن يتبرع لغيره، والثالث أنه علم أن كلاً منهما لا يرضى أن يتقدمه فأراد بذلك الإشارة إلى أنه لو قدر أنه لا يدخل في ذلك لكان الأمر منحصراً فيهما، ومن ثم لمّا حضره الموت استخلف عمر لكون أبي عبيدة كان إذ ذاك غائباً في جهاد أهل الشام متشاغلاً بفتحها، وقد دلّ قول عمر: لأن أُقدم فتُضرب عنقي إلخ على صحة الاحتمال المذكور)[٢].

ثم يهذي فيقول: (وإذا أخذنا حديث {لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً} فهو كسابقه، فأين كان أبو بكر يوم المؤاخاة الصغرى في مكة قبل الهجرة ويوم المؤاخاة الكبرى في المدينة بعد الهجرة، وفي كلتيهما اتخذ رسول الله ﷺ علياً أخاً له وقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة ولم يلتفت إلى أبي بكر فحرمه من مؤاخاة الآخرة كما حرمه من الخُلّة، وأنا لا أريد الإطالة في الموضوع وأكتفي بهذين المثلين اللذين أوردتهما من كتب أهل السنة والجماعة، أما عند الشيعة فلا يعترفون بتلك الأحاديث مطلقاً ولديهم الأدلة الواضحة على أنها وضعت في زمن متأخر على زمن أبي بكر).

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣١).

(٢) فتح الباري (١٢/ ١٥٦).

قلت:

١- لو فرضنا جدلاً صحة ما يقوله هذا الطاعن من عدم وجود أبي بكر يوم المؤاخاة الصغرى والكبرى واتخاذ النبي ﷺ علياً أخاً له، فهل هذا يوجب القدح لحديث النبي ﷺ، وهل يجب أن يذكر النبي ﷺ الفضائل كلها لواحد من الصحابة مثل أبي بكر دون الباقين حتى إذا ذكر النبي ﷺ الفضيلة لغيره مثل عليّ، أصبحت أحاديث أبي بكر ضعيفة؟!

٢- يُعرف الحديث الصحيح من المكذوب من ناحية السند والمتن، وبالنسبة لحديث اتخاذ النبي ﷺ أبا بكر خليلاً، فهو من ناحية المتن لا قدح فيه؛ لأن أبا بكر صحب النبي ﷺ من يوم مبعثه حتى وفاته، وكان النبي ﷺ لا يجلس مع صحابيّ أكثر من أبي بكر، فهو يستحق أن يكون بهذه المنزلة العظيمة، وأما من ناحية السند فلا شك في صحة الحديث، فقد رواه جمع من الصحابة في الصحاح والمسانيد بالإسناد الصحيح المتصل والخالي من الشذوذ والعلة القادحة.

٣- أما حديث المؤاخاة الصغرى والكبرى فهو من الأكاذيب، فالحديث الذي استند عليه هذا الطاعن وهو حديث {أنت أخي في الدنيا والآخرة}[(١)] حديث موضوع، أخرجه الترمذي وابن عدي والحاكم كلهم من طريق حكيم بن جبير عن جميع بن عمير، وحكيم بن جبير هذا ضعيف[(٢)]، وجميع بن عمير كذاب قال عنه ابن حبّان: رافضيٌ يضع الحديث! وقال ابن نمير: كان من أكذب الناس[(٣)]، وقال ابن

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٧٢٠).

(٢) انظر: تقريب التهذيب (١٤٦٨).

(٣) انظر: المجروحين (١٩٠).

تيمية: (أن أحاديث المؤاخاة لعلي كلها موضوع)[١] فكيف يضعّف هذا الطاعن حديث أبي بكر الصحيح محتجاً على ذلك بحديث موضوع؟!

ثم يدعي على أبي بكر بالجهل فيقول: (وفي هذا الصدد سجّل لنا التاريخ أن الإمام عليّ هو أعلم الصحابة على الإطلاق وكانوا يرجعون إليه في أمهات المسائل ولم نعلم أنه عليه السلام رجع إلى واحد منهم قط فهذا أبو بكر يقول: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»).

قلت: هذا من الكذب الظاهر فأين النقل الصحيح على ذلك؟ فأهل السنة والجماعة اتفقوا أن أعلم الصحابة بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد منهم، ولم يُنقل أبداً أن أبا بكر قد أخذ العلم عن عليّ بل الثابت أن علياً قد أخذ العلم عن أبي بكر كما في السنن عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: {سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً، نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه، استحلفته فإذا حلف لي صدّقته، قال: وحدّثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلّي ركعتين ثم يستغفر الله غفر الله له ثم قرأ هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران:١٣٥] إلى آخر الآية}[٢] وأيضاً الأخذ برأيه في مقاتلته مانعي الزكاة وقتاله معه، وأخرج مسلم في صحيحه وأحمد في المسند في الحديث الطويل وفي جزء منه قوله ﷺ: {فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا}[٣] وثبت عن ابن عباس أنه كان

(١) منهاج السنة (٧/ ٣٦١).

(٢) رواه أبو داود برقم (١٥٢١).

(٣) صحيح مسلم برقم (٦٨١)، مسند أحمد برقم (٢٢٥٩٩).

يفتي بكتاب الله، فإن لم يجد فبما في سنة رسول الله، فإن لم يجد أفتى بقول أبي بكر وعمر، ولم يكن يفعل ذلك بعثمان ولا بعلي، وابن عباس هو حبر الأمة وأعلم الصحابة في زمانه، وهو يفتي بقول أبي بكر وعمر مقدماً لهما على قول غيرهما، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: {اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل}(١) وهذا يدلل على عميق فقه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل ولم يثبت أنه قد خالف النصوص، ولكن عمر وعليّ ثبت أنهما قد خالفا النصوص في أمور وذلك لأن النصوص لم تبلغهما، ويعلم هذه الحقيقة من له بمسائل العلم وأقوال العلماء أدنى معرفة، وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال في جزء من الحديث: {...كان أبو بكر أعلمنا}(٢) أي: بالنبي ﷺ.

وقال ابن حزم في كتابه القيم الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل كلاماً نفيساً في هذه القضية أَضّطر لنقله على طوله لأهميته.

قال أبو محمد: (واحتج أي -الشيعة- أيضاً بأن علياً كان أكثرهم علماً، قال أبو محمد: كذب هذا القائل، وإنما يعرف علم الصحابي لأحد وجهين لا ثالث لهما، أحدهما: كثرة روايته وفتاويه، والثاني: كثرة استعمال النبي ﷺ له، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي ﷺ من لا علم له، وهذه أكبر الشهادات على العلم وسعته، فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي ﷺ قد ولىّ أبا بكر الصلاة بحضرته طول علته_أي مرضه_، وجميع أكابر الصحابة حضور، كعليّ وعمر وابن مسعود وأُبي، وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم، وهذا خلاف استخلافه عليه السلام إذا غزا؛ لأن المستخلف في الغزوة لم يستخلف إلا على النساء، وذو الأعذار فقط، فوجب ضرورة أن نعلم أنّ أبا بكر أعلم

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٣٩٧).

(٢) سبق تخريجه.

الناس بالصلاة، وشرايعها، وأعلم المذكورين بها وهي عمود الدين، ووجدناه ﷺ قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة أن عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة، لا أقل وربما كان أكثر، أو لا أكثر إذ قد استعمل عليه السلام أيضاً عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل إلا عالماً بما استعمله عليه، وبرهان ما قلنا من تمام علم أبي بكر رضي الله عنه بالصدقات أن الأخبار الواردة في الزكاة أصحها، والذي يلزم العمل به ولا يجوز خلافه فهو حديث أبي بكر الذي من طريق عمر، وأما من طريق عليّ فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة، وهو أن في خمس وعشرين من إبل خمس شياه، فوجدنا عليه السلام قد استعمل أبا بكر على الحج، فصح ضرورة أنه أعلم من جميع الصحابة في الحج، وهذه دعائم الإسلام، ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح أن عنده من أحكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله ﷺ على البعوث في الجهاد، إذ لا يستعمل عليه السلام على العمل إلا عالماً له، فعند أبي بكر من الجهاد من العلم به كالذي عند عليّ، وسائر أمراء البعوث، لا أكثر ولا أقل، فإذ قد صح التقدم لأبي بكر على عليّ وغيره في علم الصلاة، والزكاة، والحج، وساواه في علم الجهاد، فهذه عمدة العلم، ثم وجدناه عليه السلام قد ألزم نفسه في جلوسه، ومسامرته، وظعنه، وإقامته أبابكر فشاهد أحكامه عليه السلام، وفتاويه أكثر من مشاهدة عليّ لها، فصح ضرورة أنه أعلم بها فهل بقيت من العلم بقية إلا أبو بكر هو المتقدم فيها الذي لا يلحق؟ أو المشارك الذي لا يسبق؟ فبطلت دعواهم في العلم، والحمدلله رب العالمين)[1].

ثم يقول الطاعن: (بينما يقول أبو بكر عندما سئل عن معنى الأب في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس:٣١-٣٢] قال أبو بكر: أي سماء تظلني وأي أرض تقلّني أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم).

---

(١) الفصل في الملل (٤/ ١٠٧-١٠٨).

أقول:

١- هذه الرواية التي ذكرها ابن كثير رواها إبراهيم التيمي عن أبي بكر وهي ضعيفة، لأن السند منقطع بين إبراهيم وأبي بكر[1].

٢- ولا يفهم من الحديث إن صح أن أبا بكر لا يعرف معنى الأب لأن معناها واضح جداً على أنها من نبات الأرض كما يقول الله: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس:٢٧-٣١] ولكنه لم يحدد ماهية الأب، أي: أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وهذا ما أراده في قوله ذاك، وكما روى أنس «أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر!» لذلك جاء معنى الأب عند المفسرين على أنه من نبات الأرض فقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك: الأب الكلأ، وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم، وعن عطاء: كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب، وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب، فالمعنى كما هو واضح ما أنبت على الأرض، ولكن الصحابة لم يحددوه بالكيف والجنس، وهذا لا يدل على عدم العلم ولو وضحه النبي ﷺ بنوع معين لعرفه الصحابة فيحمل على كل ما أنبت على الأرض.

شبهة الاحتجاج بما أثر عن الشيخين رضي الله عنهما من أقوال في شدة خوفهما من الله:

ومن هذه الشبهات الاحتجاج بما أثر عن الشيخين رضي الله عنهما من أقوال في شدة خوفهما من الله.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧١).

فقال أحدهم: (خرج البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بن الخطاب قال: «لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس وكأنه يُجَزِّعُهُ: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحابتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون»).

قال: (أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك من منّ الله تعالى منّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك من منّ الله جل ذكره منّ به عليّ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه).

ويقول أيضاً: (قد سجل التاريخ له أيضاً قوله: يا ليتني كنت كبش أهلي يسمنونني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون، فجعلوا بعضي شواء وقطعوني قديداً، ثم أكلوني وأخرجوني عذرة ولم أكن بشراً. كما سجل التاريخ لأبي بكر مثل هذا قال: لما نظر أبو بكر إلى طائر على شجرة: طوبى لك ياطائر تأكل الثمر وتقع على الشجر، وما من حساب ولا عقاب عليك، لوددت أني شجرة على جانب الطريق مرّ علي جمل فأكلني وأخرجني في بعره ولم أكن من البشر).

إلى أن قال: (فكيف يتمنى الشيخان أبو بكر وعمر، أن لا يكونا من البشر الذي كرمه الله على سائر مخلوقاته، وإذاكان المؤمن العادي الذي يستقيم في حياته تتنزل عليه الملائكة وتبشره بمقامه في الجنة فلا يخاف من عذاب الله ولا يحزن... فما بال عظماء الصحابة الذين هم خير الخلق بعد رسول الله-كما تعلمنا ذلك-يتمنون أن يكونوا عذرة).

والرد عليه من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن هذه الآثار المذكورة تدل على شدة خوف الشيخين من الله تعالى وتعظيمهما لربهما، وهذا من كمال فضلهما وعلو شأنهما في الدين، ولذا أثنى الله في كتابه على عباده الخائفين منه المشفقين من عذابه في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء:٤٩]، وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]، وقال في وصفهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد:٢١]، والآيات في هذا كثيرة، وهي تدل على أن الخوف من الله من صفات المؤمنين التي أثنى الله بها عليهم، وأحبها منهم، ورتب على ذلك سعادتهم ونجاتهم في الآخرة بخوفهم منه في الدنيا. والشيخان رضي الله عنهما ما قالا الذي قالا إلا لتحقيقهما أعلى مقامات الخوف من الله الذي استحقابه ذلك الفضل العظيم عند الله تعالى وسبقا به غيرهما من الأمة فكانا أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

الوجه الثاني: أن حمل هذا الطاعن شدة خوف الشيخين على مخالفتهما ومعصيتهما، وأنهما لولا ذلك ما حصل لهما هذا، فهذا من جهله العظيم بالشرع، فإنه من المعلوم أن الخوف والخشية من لوازم العلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر:٢٨]، وكلما قوي ذلك العلم قويت الخشية في نفس العبد، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: {والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم

بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله}[1]، وهذا كله يورث الاستقامة على الطاعة، وحسن العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]، وقال ﷻ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة:١٦]، فَوَصْف الله عباده بالخوف والعبادة دليل تلازمهما واجتماعهما.

وبعكس هذا عدم الخوف فإنه مصاحب للتفريط وترك العمل، قال تعالى في وصف الكفار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر:٤٢-٤٦]، إلى أن قال: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر:٥٣]، فوصفهم بعدم العمل وعدم الخوف.

وبهذا يتبين جهل هذا الطاعن في ذمه الشيخين بالخوف، الذي هو من أخص صفات المؤمنين العاملين.

الوجه الثالث: أن الله تعالى أخبر عن مريم عليها السلام بنظير ما ثبت عن أبي بكر، وعمر في قوله: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم:٢٣].

قال ابن عباس في معنى نسياً منسياً أي: «لم أُخلق ولم أك شيئاً».

وقال قتادة: «أي: شيئاً لا يُعرف ولا يُذكر».

وقال الربيع بن أنس هو: (السَّقْط)[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٣٢٥- ٣٢٦).

وثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل لابنه الحسن: «يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة»[1].

كما ثبت عن أبي ذر قوله: «والله لوددت أني شجرة تعضد»[2]، فهل هؤلاء مذمومون بهذا؟ فإن لم يكونوا مذمومين فلم القدح في الشيخين بمثل ما ثبت عن هؤلاء؟

الوجه الرابع: أن قول صاحبنا هذا إن المؤمن العادي تتنزل عليه الملائكة وتبشره بمقامه في الجنة، وأنه لا يخاف ولا يحزن، وهو يشير بهذا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت:٣٠]، فهذا من جهله العظيم وفهمه السقيم لمعنى الآية فإن هذه البشارة الواردة في الآية إنما تكون عند الموت، كما ذكر ذلك المفسرون ونقلوه عن أئمة التفسير: كمجاهد والسدي وزيد بن أسلم، وابنه وغيرهم[3]، والمسلم قبل ذلك لا يدري هل يبشر بهذا أم لا، فهو دائماً خائف وجل، لا يعلم بم يختم له، وخوف الشيخين من ربهما أمر طبيعي، بل هو اللائق بهما لكمال علمهما بالله ومعرفتهما به، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] ولا يشكل على هذا بشارة النبي صلى الله عليه وسلم للشيخين بالجنة فإن الخوف من الله من أخص صفات المؤمنين الراسخة في قلوبهم، التي لا ترتفع بشيء ولا يستطيعون دفعها، بل كلما ازداد العبد إيماناً وعلماً وطاعة لله ازداد خوفاً، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أخشى الأمة لله كما أخبر بذلك عن نفسه وأقسم عليه في قوله: {أما والله إني لأخشاكم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٥٣٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٥١).

(٢) جامع الترمذي (٤/ ٥٥٦).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٠٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٩٩).

لله وأتقاكم له}[1]، وهكذا حال أنبياء الله كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾ [مريم:٥٨] فإذا كان النبي ﷺ أعظم خشية لله من الشيخين وسائر الأمة، وكذلك أنبياء الله هم أعظم خشية لله منهما بلاشك، فأي لوم عليهما في ذلك، وإذا كان المؤلف يرى بفهمه السقيم أن الواجب على المؤمن أن لا يخاف لأنه مبشر من الله بالجنة، ويقدح في الشيخين رضي الله عنهما بالخوف، فإن أولى الناس بعدم الخوف لو كان ما ادعاه صحيحاً هم رسل الله الذين اصطفاهم الله برسالته، ووعدهم بأعلى الدرجات في الجنة.

الوجه الخامس: إن الحامل للشيخين على ما قالا هو شدة خوفهما من الله، والخوف من الله من الصفات الفاضلة الممدوح صاحبها باتفاق العقلاء، كما أن عدم الخوف من الله من الصفات الرذيلة المذموم بها عند العقلاء، ولهذا يصف الناس من أرادوا مدحه بقولهم: (فلان يخاف الله) ويصفون من أرادوا ذمه بعكس ذلك فيقولون: (فلان لا يخاف الله) فتبين أن ذم هذا الطاعن للشيخين بخوفهما من الله، معارض بالشرع والعقل، بل إنه غاية في العجب عند أهل العقول والنظر.

ورد آخر على ما ادعاه من أنه فتّش في كتب أهل السنة فلم يجد لأبي بكر من الفضائل ما يوازي فضائل علي.

فجوابه: أنه بقوله هذا يكشف للناس عن جهله الفاضح فيما ادعاه أوكذبه الواضح فيما عزاه، فإن المنازع في هذه المسألةكمن ينازع في طلوع الشمس في رابعة النهار، وما على القارئ الراغب في الوقوف على كذب هذا الطاعن وتزويره، إلا أن

(١) رواه البخاري برقم (٥٠٦٣).

يتصفح أقرب ما لديه من كتب أهل السنة في الحديث -وأشهرها الصحيحان والسنن- ويقارن بين ما جاء فيها من الأحاديث في فضائل أبي بكر وفضائل علي ليقف بنفسه على حقيقة الأمر ومبلغ هذا الطاعن من العلم.

وسأورد فيما يلي أمثلة لبعض هذه الأحاديث الثابتة في فضائل أبي بكر ومناقبه، التي لم يشاركه فيها أحد من الصحابة:

فمن ذلك:

ما رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال: {خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر}(١).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه علي جيش ذات السلاسل، قال: {فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك، قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً}(٢).

ومن حديث أبي الدرداء قال: {كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال: يا رسول الله إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت،

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٥٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

(٢) سبق تخريجه.

فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم (مرتين) فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي (مرتين) فما أوذي بعدها}(١).

قال ابن شاهين بعد ما روى الحديث: (تفرد أبو بكر الصديق بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد)(٢).

وقال ﷺ: {ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما}(٣).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك عن أبي بكر رضي الله عنه قال: {قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا}(٤).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: {لقد هممت -أو أردت- أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون}(٥).

ومن حديث أبي موسى الأشعري قال: {مرض رسول الله ﷺ فاشتد مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة: يا رسول الله! إن أبا بكر رجل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كتاب اللطيف لابن شاهين (ص:١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٣)، ومسلم برقم (٢٣٨١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

رقيق متى يقم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس، فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف. قال: فصلى بهم أبو بكر حياة رسول الله ﷺ}(١).

وقد شهد له الصحابة بأنه كان أفضلهم ومنهم علي رضي الله عنه على ما روى البخاري من حديث محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: {أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين}(٢).

وفي خبر البيعة قال عمر لأبي بكر: «... أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ»(٣)، وكان ذلك بحضور جمع من الصحابة فلم ينكر ذلك أحد فكان إجماعاً.

وعن ابن عمر قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم» (٤).

فهذه نماذج مما ورد في فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه من المناقب والفضائل العظيمة التي لم يشاركه فيها غيره، مما جاء في الصحيحين أو أحدهما فقط من غير استقصاء لذلك، فكيف مع الاستقصاء!! فكيف بما جاء في غيرهما!! وأما ما جاء في كتب السنة عامة من فضائله الأخرى التي شاركه فيها بعض الصحابة كعمر وبقية الخلفاء فإنها أجل من أن تستوعب في هذا المقام.

وأشير هنا إلى ما تضمنته الأحاديث المتقدمة من تلك المناقب التي اختص بها دون غيره من عامة الصحابة فمنها:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٦٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٦٩٧).

١- قول النبي ﷺ في حقه: {إنه أمن الناس عليه في صحبته وماله}.

٢- قول النبي ﷺ في حقه: {لو كنت متخذاً غير ربي خليلاً لا تخذت أبا بكر}.

٣- أمر النبي ﷺ أن تسد الأبواب في المسجد إلا بابه.

٤- إخبار النبي ﷺ أنه أحب الرجال إليه، وابنته أحب النساء إليه.

٥- غضب النبي ﷺ له حتى تمعر وجهه، وانتصاره له، واستغفاره له ثلاثاً.

٦- إخبار النبي ﷺ أنه صدقه من غير تردد ولا شك، بعد ما كذبه قومه.

٧- قول النبي ﷺ في حقه: {هل أنتم تاركو لي صاحبي} ولم يقل ذلك لأحد غيره، مما يدل على اختصاصه من الصحبة بما لم يبلغه غيره.

٨- أنه صاحب النبي ﷺ في الهجرة وثاني اثنين في الغار، وقول النبي ﷺ له: {ما ظنك باثنين الله ثالثهما}.

٩- إشارة النبي ﷺ لاستخلافه، وهمّه أن يكتب بذلك كتاباً، ثم ترك ذلك ثقة بالله ويقيناً به. وأن الله يأبى غير ذلك ويأبى المؤمنون غيره، وهذا من أعظم مناقبه، وأنه لا يختلف في فضله بعد النبي ﷺ.

١٠- شهادة الصحابة له بما فيهم علي رضي الله عنه أنه خير الناس بعد النبي ﷺ، وشهادة عمر له بأنه: سيدهم، وخيرهم، وأحبهم إلى رسول الله ﷺ، في جمع كبير من خيار الصحابة، فلم ينكر ذلك عليه أحد فدل على إجماعهم على ذلك.

١١- تقديم النبي ﷺ له في الصلاة وصلاته بالناس في حياة النبي ﷺ.

فهذه المناقب لم يشارك الصديق فيها أحد من الصحابة على الإطلاق، لا عمر ولا علي ولا غيرهما، فكيف يدعي هذا الطاعن أنه فتش في كتب أهل السنة فلم يجد لأبي

بكر من الفضائل ما يثبت لعلي، مع أن هذه الأحاديث قد جاءت في الصحيحين وهي مشهورة، لا تكاد تخفى على أحد من صغار طلاب العلم فكيف بمن يدعي البحث والتحقيق العلمي.

ومقارنة بما ثبت في حق أبي بكر من الفضائل التي لم يشاركه فيها غيره، فينبغي أن يعلم أن ما ثبت في حق علي رضي الله عنه من الفضائل ليست هي من خصائصه، بل قد يشاركه فيها غيره من الصحابة، وذلك أن من أجل ما ثبت في حق علي من الفضائل:

حديث سعد بن أبي وقاص في صحيح مسلم أنه قال وقد ذكر عنده علي بن أبي طالب: {أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له خَلّفَه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي}(١).

فهذا الحديث مع ما فيه من المناقب العظيمة لعلي بن أبي طالب، إلا أنها ليست مما اختص به علي على غيره من الصحابة، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال بعد أن ذكر الحديث: (فهذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه وفيه ثلاث فضائل لعلي لكن ليست من خصائص الأئمة، ولا من خصائص علي، فإن قوله: {وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان

---

(١) سبق تخريجه.

فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي} ليس من خصائصه، فإنه استخلف على المدينة غير واحد ولم يكن هذا الاستخلاف أكمل من غيره، ولهذا قال علي: «اتخلفني مع النساء والصبيان...» فبين له النبي ﷺ أن الاستخلاف ليس نقصاً ولا غضاضة فإن موسى استخلف هارون على قومه لأمانته عنده، وكذلك أنت استخلفتك لأمانتك عندي، لكن موسى استخلف نبياً، وأنا لا نبي بعدي، وهذا تشبيه في أصل الاستخلاف فإن موسى استخلف هارون على جميع بني إسرائيل، والنبي ﷺ استخلف علياً على قليل من المسلمين، وجمهورهم استصحبهم في الغزاة، وتشبيهه بهارون ليس بأعظم من تشبيه أبي بكر وعمر، هذا بإبراهيم وعيسى، وهذا بنوح وموسى، فإن هؤلاء الأربعة أفضل من هارون، وكل من أبي بكر وعمر شبه باثنين لا بواحد، فكان هذا التشبيه أعظم من تشبيه علي، مع أن استخلاف علي له فيه أشباه وأمثال من الصحابة، وهذا التشبيه ليس لهذين فيه شبيه، فلم يكن الاستخلاف من الخصائص ولا التشبيه بنبي في بعض أحواله من الخصائص.

وكذلك قوله: {لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا، فقال: ادعو لي علياً، فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله على يديه}، وهذا الحديث أصح ما روي لعلي من الفضائل أخرجاه في الصحيحين من غير وجه، وليس هذا الوصف مختصاً بالأئمة ولا بعلي، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي، وكل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين يتبرؤون منه ولا يتولونه، ولا يحبونه، بل قد يكفرونه أو يفسقونه، كالخوارج فإن النبي ﷺ شهد له بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله...

وكذلك حديث المباهلة شركه فيه فاطمة، وحسن، وحسين، كما شركوه في حديث الكساء، فعلم أن ذلك لا يختص بالرجال، ولا بالذكور، ولا بالأئمة، بل يشركه فيه المرأة والصبي).[١]

وكذلك ما جاء في حق علي ﷺ من فضائل في أحاديث أخرى لا يعني اختصاصه بها، كقول النبي ﷺ في حقه: {أنت مني وأنا منك}[٢]، بل قد تثبت لغيره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن قوله لعلي: {أنت مني وأنا منك} ليس من خصائصه، بل قال ذلك للأشعريين، وقاله لجليبيب وإذا لم يكن من خصائصه بل قد شاركه في ذلك غيره، من هو دون الخلفاء الثلاثة في الفضيلة، لم يكن دالاً على الأفضلية ولا على الإمامة)[٣].

ونظير هذا قول النبي ﷺ له: {إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق}[٤] فهو ليس من خصائصه لأنه ثبت أنه قال مثل هذا للأنصار، فعن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول للأنصار: {لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله}[٥].

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٤٢- ٤٥)، وانظر: أيضاً تقرير شيخ الإسلام لهذه المسألة في منهاج السنة (٥/ ١٣- ٣٦)، (٨/ ٤١٩- ٤٢١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥١).

(٣) منهاج السنة (٥/ ٣٠)، وقد ذكر شيخ الإسلام هذا الكلام مفصلاً مع ذكر الأدلة عليه المشار إليها هنا قبل ذلك، انظره: في الكتاب نفسه (٥/ ٢٨- ٢٩).

(٤) أخرجه مسلم من حديث علي ﷺ: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان برقم (٧٨).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٧٥).

قال أبو نعيم بعد ذكر حديث: {لا يحبك إلا مؤمن..}. قلنا: (هكذا نقول، وهذه من أشهر الفضائل وأبين المناقب لا يبغضه إلا منافق ولا يحبه إلا مؤمن ولو أوجب هذا الخبر خلافة، لوجبت إذاً الخلافة للأنصار، لأنه قال مثله في الأنصار)[1] ثم ساق الحديث.

فهذه أعظم فضائل علي رضي الله عنه ومناقبه الثابتة في الأحاديث الصحيحة قد تبين عدم اختصاصه بها دون غيره، بل قد ثبت مثلها في حق من هو دون أبي بكر في الفضل، في حين أن ما ثبت لأبي بكر من الفضائل لم يشاركه فيها أحد لا علي ولا من هو أفضل منه، على ما تقدم تقريره بالأدلة الصحيحة الصريحة، الدالة على بطلان دعوى هذا الطاعن وظهور كذبه.

شبهة أن أبا بكر خالف سنة النبي ﷺ في قتاله لمانعي الزكاة:

ومن الشبهات أيضاً دعاء البعض أن أبا بكر خالف سنة النبي ﷺ في قتاله لما نعى الزكاة حيث قالوا: (والحادثة الثانية التي وقعت لأبي بكر في أول أيام خلافته وسجّلها المؤرخون من أهل السنة والجماعة اختلف فيها مع أقرب الناس إليه وهو عمر بن الخطاب تلك الحادثة التي تتلخّص في قراره بمحاربة مانعي الزكاة وقتلهم! فكان عمر يعارضه ويقول له: لا تقاتلهم لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فمن قالها عصم مني ماله ودمه وحسابه على الله}.

وهذا نص أخرجه مسلم في صحيحه جاء فيه: {أن رسول الله ﷺ أعطى الراية إلى علي يوم خيبر فقال علي: يا رسول الله على ماذا أقاتلهم؟ فقال ﷺ: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم

---

(١) الرد على الرافضة (ص:٢٤٤).

وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله} ولكن أبا بكر لم يقتنع بهذا الحديث وقال: «والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حقّ المال»، أو قال: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه»، واقتنع عمر بن الخطاب بعد ذلك وقال: «ما إن رأيت أبا بكر مصمّماً على ذلك حتى شرح الله صدري»، ولست أدري كيف يشرح الله صدور قوم بمخالفتهم سنّة نبيّهم).

الجواب على هذه الشبهة:

١- إن قرار أبي بكر في قتال مانعي الزكاة هو الحق الموافق للكتاب والسنة، وما اتفقت عليه الأمة وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة:٥] وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [التوبة:١١] فبيّن الله سبحانه في هاتين الآيتين أن شروط التوبة والدخول في الإسلام يلزم منها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وعدم التفريق بينهما لذلك قال عبد الله بن مسعود: «أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك فلا صلاة له»، وعن ابن عباس ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [التوبة:١١]، قال: «حرّمت هذه الآية دماء أهل القبلة»، ويقتضي ذلك أنهم إذا أخلّوا بأداء الصلاة أو إيتاء الزكاة فإنه يباح قتالهم حتى يعودوا إلى أدائها كاملة، وهذا ما فعله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع مانعي الزكاة لذلك قال ابن كثير معلقاً على هذه الآية: (ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته، ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي

هي حق الله عز وجل وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقال عبد الرحمن بن زيد: افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرّق بينهما، وقرأ ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة:١١]، وأبا أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة، وقال: رحم الله أبا بكر، ما كان أفقهه).

٢- أما السنة فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله}(١)، فهذا الحديث الصحيح يظهر بوضوح أن عصمة الدم والمال لا تتحقق إلا بتحقيق الإيمان، والإيمان الحقيقي لا يتحقق إلا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإذا منع الناس الزكاة وجب هنا القتال من أجل أخذها من المطالب بها إلى مستحقيها، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق.

٣- يبدو أن هذا الطاعن لا يعلم أن كتب المسلمين من شيعة وسنة يثبتون أنّ الزكاة مثل الصلاة تماماً، ومن المُسّلم به أنّ تارك الصلاة يقتل على القول الصحيح المؤيد بالكتاب والسنة فجعل الزكاة مثل الصلاة يبين أن حكمهما واحد.

يقول المحقق المحدث المتبحر محمد الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة: (عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: فرض الله الزكاة مع الصلاة، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥)، صحيح مسلم برقم (٢١).

﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يقم الصلاة)[1]، فهل يريد هذا الطاعن أكثر من ذلك؟! لا بأس! وهذا رئيس المحدثين يروي في كتابه من لا يحضره الفقيه وهو أحد الكتب الأربعة التي تمثل مرجع الإمامية في الفروع والأصول: (عن أبي عبد الله عليه السلام: «من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠] وفي رواية أخرى: لا تقبل له صلاة. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد إذ قال: قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان حتى أخرج خمسة نفر فقال: اخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تزكون».

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهوديّاً أو نصرانيّاً»، ولا يكتفي بذلك بل يبيح قتله صراحة فيورد عن أبّان بن تغلب عنه عليه السلام أنه قال: «دمان في الإسلام حلال من الله تبارك وتعالى لا يقضي فيهما أحد حتى يبعث الله عز وجل قائمنا أهل البيت، فإذا بعث الله عز وجل قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله عز وجل، الزاني المحصن يرجمه، ومانع الزكاة يضرب عنقه»[2]! فكيف إذن يعترض هذا الطاعن على أبي بكر قتاله لمانعي الزكاة حتى يعطوها وليس قتلهم بالطبع.

٤- أما بالنسبة لاعتراض عمر بن الخطاب في البداية على أبي بكر فلأن الأمر قد استشكل عليه فقال: {كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ودمه ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله} فاستدل على العموم وبظاهر الكلام ولم ينظر في آخره وهو

---

(١) وسائل الشيعة (٦/ ١١).

(٢) من لا يحضره الفقيه (٢/ ١٢).

بحقه فردّ عليه أبا بكر بأنّه سيقاتل من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال فجعل الزكاة كالصلاة، ومعلوم أن قتال تارك الصلاة مما أجمع عليه الصحابة، والصلاة وحدها كافية لرد ما توّهمه عمر من الحديث الذي احتجّ به، والذي يعضّد ويقوّي قول أبي بكر هذا، هو الحديث الذي رواه ابن عمر والذي جاء في آخره {إلا بحق الإسلام} واستيفاء الحق المتضمن لعصمة الدم والمال هي الأمور المذكورة بالحديث، ولّما تبين ذلك لعمر وظهر له صواب قول أبي بكر تابعه على قتال القوم فقال: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»، بما ظهر له من الأدلة والحجج المقامة على أنّ ما ذهب إليه أبو بكر هو الحق.

٥- وبالنسبة لحديث علي يوم خيبر فيرد عليه بنفس الرد على حديث عمر، ويرده أيضاً بأن تارك الصلاة مما أجمع الصحابة على قتاله، فالحديث عام وتخصه الأحاديث الأخرى، على أن قوله ﷺ لعلي: {إلا بحقها} فمن حقها كما بيّنت إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

٦- لعلّ أحداً يتساءل: كيف لم يعرف عمر بن الخطاب بحديث ابن عمر؟ نقول: إن في اعتراض عمر ليدلل أنه لم يحفظ عن رسول الله ﷺ كل ما رواه ابن عمر وغيره من الرواة، ولعل ابن عمر وأبا هريرة سمعا هذه الزيادات في مجلس آخر، ولو أن عمر سمع بهذا الحديث لما خالف أبا بكر الصديق واحتج بالحديث الآخر لذلك يقول ابن حجر: (وفي القصة دليل على أن السنة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة ويتطلع عليها آحادهم)، ولهذا لا يلتفت إلى الآراء ولو قويت مع وجود سنة تخالفها، ولا يقال: كيف خفي هذا على فلان؟

ثم يقول هذا التائه: (وهذا التأويل منهم لتبرير قتال المسلمين الذين حرّم الله قتلهم إذ قال في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا

نَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء:٩٤]).

قلت:

يأبى هذا الطاعن إلا أن يضيف الأدلة تلو الأدلة على إثبات جهله، فهو لا يرجع لسبب نزول الآية أو إلى أقوال المفسرين، وأمّا بالنسبة لهذه الآية فقد أخرج البخاري في صحيحه سبب نزولها فعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ قال ابن عباس: {كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ تلك الغنيمة}[1]، فبالله ما دخل قضية أبي بكر وعمر بهذه الآية فهما لم يختلفا على تكفير مانعي الزكاة وإنما اختلفا على جواز قتالهم، والقتال غير القتل، ومانعو الزكاة بغاة وجب أخذ الزكاة منهم بالقوة، وأبو بكر أجاز قتالهم لا قتلهم ولم يقل: هؤلاء كفارٌ كأمثال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي الذين قاتلهم الصديق أيضاً واعتبرهم كفّاراً وسبى ذراريهم، وساعده في ذلك أكثر الصحابة واستولد علي بن أبي طالب جارية من سبي بني حنيفة، فولدت له محمد الذي يدعى ابن الحنفية، فأبو بكر أجاز قتال مانعي الزكاة لا لأنهم كفار بل لأنهم أخلّوا بحق من حقوق الإسلام، ولم نعلم أن أبا بكر قاتل من جاءه مسلماً مستسلماً ذاعناً للحق، ولم يقاتل أبو بكر مانعي الزكاة لعرض الدنيا بل قاتلهم للحفاظ على شمولية هذا الدين، فكيف يستشهد هذا الطاعن بهذه الآية على قضية أبي بكر مع مانعي الزكاة؟!

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٩١)، ومسلم برقم (٣٠٢٥).

ثم يتقدم خطوات في هذيانه فيقول: (على أن هؤلاء الذين منعوا إعطاء أبي بكر زكاتهم لم ينكروا وجوبها ولكنهم تأخروا ليتبينوا الأمر ويقول الشيعة: إن هؤلاء فوجئوا بخلافة أبي بكر وفيهم من حضر مع رسول الله حجة الوداع وسمع منه النص على عليّ بن أبي طالب فتريّثوا حتى يفهموا الحقيقة، ولكن أبا بكر أراد إسكاتهم عن تلك الحقيقة وبما أنني لا أستدل ولا أحتج بما يقوله الشيعة!! سأترك هذه القضية لمن يهمّه الأمر ليبحث فيها).

فأقول له متسائلاً: ألا يهمك هذا الأمر؟ فلماذا لم تبحث فيه؟! أليس لأنه أدنى من أن يلتفت إليه! ولماذا ذكرته في كتابك مستدلاً به؟ ومن أين جئت بهذا الادعاء الذي يقول بأن مانعي الزكاة تأخروا في دفعها ليتبينوا الأمر ولأنهم فوجئوا هكذا بخلافة أبي بكر إلى آخر هذا المين!!

ثم يقول: (على أنّني لا يفوتني أن أسجّل هنا أن صاحب الرسالة ﷺ وقعت له في حياته قصة ثعلبة الذي طلب منه أن يدعو له بالغنى وألحّ في ذلك وعاهد الله أنّه يتصدق ودعا له رسول الله وأغناه الله من فضله وضاقت عليه المدينة وأرجاؤها من كثرة إبله وغنمه حتى ابتعد ولم يعد يحضر صلاة الجمعة، ولمّا أرسل إليه رسول الله ﷺ العاملين على الزكاة رفض أن يعطيهم شيئاً منها قائلاً: إنّما هذه جزية أو أخت الجزية، ولم يقاتله رسول الله ولا أمر بقتاله وأنزل فيه قوله: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [التوبة:٧٥-٧٦] وجاء ثعلبة بعد نزول الآية وهو يبكي وطلب من رسول الله قبول زكاته وامتنع الرسول حسب ما تقول الرواية، فإذا كان أبو بكر وعمر يتّبعان سنة الرسول فلماذا هذه المخالفة وإباحة دماء المسلمين الأبرياء لمجرّد منع الزكاة على أنّ المعتذرين لأبي بكر والذين يريدون تصحيح خطئه

بتأويله بأنّ الزكاة هي حق المال، لا يبقى لهم ولا له عذر بعد قصة ثعلبة الذي أنكر الزكاة واعتبرها جزية، ومن يدري لعلّ أبا بكر أقنع صاحبه عمر بوجوب قتل من منعوه الزكاة أن تسري دعوتهم في البلاد الإسلامية لإحياء نصوص الغدير التي نصّبت عليّاً للخلافة، ولذلك شرح الله صدر عمر بن الخطاب لقتالهم وهو الذي هدّد بقتل المتخلّفين في بيت فاطمة وحرقهم بالنار من أجل أخذ البيعة لصاحبه).

قلت: هذه الرواية التي احتج بها ناقصة، فقد أخفى منها الجزء المتبقّي وهو أن ثعلبة قد أتى أبا بكر ﷺ حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله منك، أنا أقبلها؟ فقُبِض أبو بكر ﷺ ولم يقبلها، فلما ولي عمر أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين، اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، أنا أقبلها؟ فقُبِض ولم يقبلها، ثم ولي عثمان ﷺ فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر أنا أقبلها؟ وهلك ثعلبة في خلافة عثمان ﷺ ولست أدري لماذا أخفى هذه الرواية، فلعلّه اعتقد أن فيه مدحاً للخلفاء الثلاثة، ولكني أبشّره بأن هذه الرواية ساقطة سنداً ومتناً ولا تقوم مقام الاستدلال.

فمن ناحية السند فمدار الرواية على عليّ بن يزيد الألهاني وعمرو بن عبيد أبو عثمان البصري وهما مجروحان، فعلي بن يزيد قال عنه ابن حجر: ضعيف. وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال أبو زُرعة: ليس بقوي، وقال الدارقطني: متروك، وقال يحيى بن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة هي ضعاف كلها، وقال يعقوب: واهي الحديث كثير المنكرات، وقال الحاكم: ذاهب الحديث. وأما عمرو بن عبيد فقال عنه ابن معين: لا يكتب حديثه، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال أيوب ويونس: يكذب، وعن أحمد بن حنبل: ليس بأهل أن

يحدث عنه، وعن يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال عمرو بن علي: متروك الحديث صاحب بدعة، وقال حاتم: متروك الحديث فهذه هي منزلة الحديث من ناحية السند وهي أوضح من أن أعلّق عليها بالإضافة لتضعيف العلماء لهذه الرواية فقد ضعّفها ابن حزم والبيهقي وابن الأثير والقرطبي والذهبي والهيثمي وابن حجر والسيوطي وغيرهم.

وأما من ناحية المتن فهي باطلة أيضاً وذلك للأسباب التالية:

أ- مخالفة القصة للقرآن الكريم، فمن أصول الشريعة التي قررها الله في كتابه وعلى لسان رسول الله ﷺ أن التائب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب، تاب الله عليه، قال جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء:١٧-١٨].

ودليل ذلك أيضاً قول الرسول ﷺ: {إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر}(١).

وهو بيان لقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ فالآية استثنت هذه الحالة فقط وأنها لا تقبل التوبة، وهذا دليل خطاب يدل على أن غير هذه الحالة تقبل فيها التوبة وهو ما قبل الموت، والقصة تؤكد أن ثعلبة تاب توبة نصوحاً فجاء يعرض صدقته على الرسول ﷺ وأكد توبته مراراً فجاء أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم لكنهم رفضوا قبول توبته، وأخبروه أن الله لم يقبل توبته، وهذا

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٣٧).

خلاف ما تقدّم من النصوص القاطعة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا خلفها، والتي تقرر ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى:٢٥].

فإن قيل: أن ثعلبة منافق. قلت: حتى المنافقين فقد فتح الله لهم باب التوبة على مصراعيه، قال الشاكر العليم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٧].

وقال الغفور الرحيم مخبراً عن المنافقين: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ ﴾ [التوبة:٧٤].

والقصة تنمّي في قلوب العصاة الذين جهلوا فاقترفوا بعض الذنوب واجترحوا السيئات صفة القنوط واليأس من رحمة الله، تلك الصفة التي لا يحبها الله ورسوله الذي بشّر الناس أنهم لو أتوا إليه بقُراب الأرض خطايا، واستغفروا الله لغفر لهم، ولو لم يستغفروا لاستبدلهم الله بأناس يخطئون فيستغفرون فيغفر لهم، قال ﷺ: {قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أُبالي، يا ابن آدم إنك لو اتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة}(١).

وقال ﷺ: {والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم}(٢).

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٤٩).

ب- أمر آخر يدحض هذه القصة ويردها، ويزيد في وجوب استبعادها، والذود عن عرض صاحبها ودينه، هو أن ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه لا تُعلم له سنة وفاة على الحقيقة، وقد اختلف في سنة وفاته على أقوال عديدة. فأصحاب هذه القصة جعلوه متوفىً في خلافة عثمان رضي الله عنه، وهذا القول مردود من حيث السند لأنه أتى بإسناد واحد واه! وقيل: إنه استشهد في أحد، وقيل: إنه استشهد في غزوة خيبر، والقول الثاني ذكره ابن عبد البر وابن حجر. وسواء كان استشهاده في أحد أو خيبر، فالرجل توفي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بعضهم وهو معارض للقصة القائلة بأنه هلك في خلافة عثمان، وما دام الاحتمال وارداً مع القصة، وهو ضعيف الإسناد لا يعتمد عليه، فإنه يتعين علينا المصير إلى الاحتمال الثاني أو الثالث، إذ لم يذكر غيرهما وهما ينسفان القصة نسفاً، ويقتلعان جذورها. أو التوقف في هذا الصدد إذ لم يتبين لنا ورود خبر صحيح بأحد هذين القولين، أو بهما.

ت- إن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم لا يستطيعون أن يمنعوا أحداً من عبادة يريد أداءها، وإلا كانوا صادين عن سبيل الله وحاشاهم بل إننا لنعجب من هذا، وأبو بكر رضي الله عنه قد حارب مانعي الزكاة، وقال: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه»، فكيف ينسجم قتاله لمانعي الزكاة مع منعه لمريد إخراج الزكاة من ذلك؟ ثم ألم يكن بإمكان ثعلبة أن يخرج زكاة ماله على فقراء المنطقة التي كان يعيش فيها؟

ث- إنّ المعروف من أحكام الإسلام أنه يعامل الناس على ظواهر أحوالهم وتلك هي كانت معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمنافقين، مع معرفته بنفاقهم، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلّى على عبد الله بن أُبي ابن سلول، وأعطاه ثوبه لُيكفّن فيه، عملاً بما كان يظهر من إسلامه، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه في الدرك الأسفل من النار، فأين فعلة ثعلبة من هذا كله؟!

ج- إن هذه القصة تخالف أسلوب الرسول ﷺ، وأسلوب الصحابة في معاملة مانعي الزكاة، إذ إن الزكاة حق المال كما سبق هي حق للفقراء والمساكين وغيرهم، فالإمام مطالب بتحصيلها إذا امتنع الأغنياء من الدفع، أما رسول الله ﷺ فقد قال: {من أعطى زكاة ماله مؤتجراً فله أجرها، ومن منعها، فإنا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا، ليس لآل محمد منها شيء}(١)، فضعاف النفوس والبخلاء الجشعون من أصحاب الأموال، ليس من الصواب معهم أن يعاملوا بما يوافق أهواءهم ورغباتهم، بل الحق معاكستهم فيما يرغبون مما هو محرّم، لأنه أصلح لأحوالهم وأعون لهم على نفوسهم وأجدى عائدة على المجتمع المسلم الذي ابتلي بأمثالهم! فهذه الرواية باطلة سنداً ومتناً.

شبهة موقف أبي بكر من خالد بن الوليد ومقتل مالك بن نويرة:

ومن هذه الشبهات قول هذا الطاعن: (أما الحادثة الثالثة التي وقعت لأبي بكر في أول خلافته واختلف فيها مع عمر بن الخطاب وقد تأوّل فيها النصوص القرآنية والنبوية: تلك هي قصّة خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة صبراً ونزا على زوجته فدخل بها في نفس الليلة. وكان عمر يقول لخالد: يا عدوّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بالأحجار، ولكن أبا بكر دافع عنه وقال هبه يا عمر، تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد، وهذه فضيحةٌ أخرى سجّلها التاريخ لصحابي من الأكابر!! إذا ذكرناه، ذكرناه بكل احترام وقداسة، بل ولقبناه بسيف الله المسلول!! ماذا عساني أن أقول في صحابي يفعل مثل تلك الأفعال يقتل مالك بن نويرة الصحابي الجليل!!! سيد بني تميم وسيد يربوع وهو مضرب الأمثال في الفتوة والكرم والشجاعة. وقد حدّث المؤرخون أن خالداً غدر بمالك وأصحابه وبعد أن

---

(١) رواه أبو داود برقم (١٥٧٥).

وضعوا السّلاح وصلّوا جماعة أوثقوهم بالحبال وفيهم ليلى بنت المنهال زوجة مالك وكانت من أشهر نساء العرب بالجمال ويقال أنه لم ير أجمل منها وفتن خالد بجمالها، وقال له مالك: يا خالد! ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، وتدخّل عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري وألحّا على خالد أن يبعثهم إلى أبي بكر فرفض خالد وقال: لا أقالني الله إن لم أقتله. فالتفت مالك إلى زوجته ليلى وقال لخالد: هذه التي قتلتني، فأمر خالد بضرب عنقه وقبض على ليلى زوجته ودخل فيها في تلك الليلة.

الرد:

١- لا بد أن يلاحظ القارئ قبل البدء في سرد الردود على هذا الطاعن الأفاك الذي لا يذكر إلا الرواية المكذوبة والتي لا يلتفت إليها ويحتج بها، ويتجاهل الروايات التي أوردتها كل كتب التاريخ المعروفة وهي التي طالما يحتج بها علينا عندما يعتقد أنها تخدم مبتغاه، ويتجاهلها حينما لا يجد فيها بغيته للنيل من أهل السنة ولكن خاب ظنه.

٢- الروايتان اللتان ذكرهما المؤرخون واللتان أخفاهما هذا الطاعن وتتحدثان عن خبر مقتل مالك بن نويرة هما:

الرواية الأولى: (... ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأنْ يأتوا بكل من لم يجب وإن امتنع أنْ يقتلوه. وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلاً فإن أذّن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم. قال: فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم. وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلّوا فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً فنادى دفئوا أسراكم وهي في لغة كنانة القتل، فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفْء فقتلوهم فقتل

ضرار بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم. فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه).

وأما الرواية الثانية أن خالداً استدعى مالك بن نويرة فأنّبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه.

٣- أما الرواية التي اعتمدها هذا الطاعن والتي تدّعي أن خالداً أراد قتل مالك بن نويرة بسبب زوجته فلم يعيروها اهتمامهم لنكارتها وشذوذها، والتي عزاها بالهامش على المراجع التالية تاريخ أبي الفداء، وتاريخ اليعقوبي وتاريخ ابن السحنة ووفيات الأعيان، فبمجرّد مراجعة بعض هذه المراجع يتضح لكل باحث عن الحق كذب هذا الطاعن في النقل، فلو راجعنا كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان في خبر مقتل مالك لوجدناه يورد القصة بخلاف ما أوردها هذا الطاعن، فابن خلكان أورد القصة على النحو التالي: (... ولما خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ زكاتهم وتصرّف فيها، فكلمه خالد في معناها، فقال مالك: أني آتي بالصلاة دون الزكاة، فقال له خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون أخرى، فقال مالك: قد كان صاحبك يقول ذلك، قال خالد: وما تراه لك صاحباً؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجاولا في الكلام طويلاً فقال له خالد: إني قاتلك، قال: أو بذلك أمرك صاحبك؟ قال: وهذه بعد تلك؟ والله لأقتلنك. وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه حاضرين، فكلما خالداً في أمره، فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد، ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقد بعثت إليه غيرنا ممن جُرْمه أكبر من جرمنا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك، وتقدّم إلى ضرار بن الأزور

الأسدي بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال مالك أنا على الإسلام، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه، فضرب عنقه)[١].

فقارن أخي القارئ هذه الرواية بما أورده هذا الطاعن لتعرف مدى التدليس الذي يتمتع به هذا الطاعن، وهو يقول بأمر زواج خالد بليلى زوجة مالك وقبض على ليلى زوجته ودخل بها في تلك الليلة ويعزوها لكتاب وفيات الأعيان، ولكن عندما نرجع للكتاب نجده يقول: (وقبض خالد امرأته، فقيل: إنه اشتراها من الفيئ وتزوج بها، وقيل: إنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته؟!) فهل يوجد كذب وإغلال أشد من ذلك، والكتاب يملأ الأسواق ولينظره من يريد الحق ليعرف كيف أصبح الكذب من السهولة بمكان بحيث تُؤلّف كتبٌ بالكامل مملوءة بالكذب والدجل، ولا يستحي مؤلفوها من أن يعنونوها بالهداية والتقوى ومع الصادقين؟

ثم يكمل ابن خلكان القصة ويقول في نهايتها: (هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما والعهدة عليهما! أي لم أسردها مستوثقاً بها بل نقلتها كما جاءت في كتابيهما)[٢] اهـ. فأي طعن في الرواية يرجع عليهما.

وبالنسبة لتاريخ اليعقوبي فإنه أورد القصة بأسلوب مهين فقال: (وكتب إلى خالد بن الوليد أن ينكفئ إلى مالك بن نويرة اليربوعي، فسار إليهم وقيل: إنه كان ندأهم، فأتاه مالك بن نويرة يناظره، واتبعته امرأته، فلّما رآها أعجبته فقال: والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك فنظر مالكاً فضرب عنقه، وتزوج امرأته!)[٣] فحسب هذه الرواية أنه من مرويات اليعقوبي وهو ليس من أهل السنة. وكتابه هذا مليء بالطعن، وعندما

(١) وفيات الأعيان (٦/ ١٤).

(٢) المصدر السابق (٦/ ١٥).

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣١).

أرّخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضِفْ عليهم لقب الخلافة وإنما قال: تولى الأمر فلان.. ثم لم يترك واحداً منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة فقد ذكر عن عائشة ﵂ أخباراً سيِّئة وكذلك عن خالد بن الوليد! وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان. وعرض خبر السقيفة عرضاً مشيناً، ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب.

ومن هنا نعلم أن خالداً قتل مالك بن نويرة معتقداً أنه مرتدٌ ولا يؤمن بوجوب الزكاة كما في الرواية التي ذكرتها كتب التاريخ.

٤- أما ادعاؤه أن عمر قال لخالد: (يا عدوَّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنَّك بالأحجار). ويعزوها إلى تاريخ الطبري وأبي الفداء واليعقوبي والإصابة، فهذا من المين الواضح، فبمجرد مراجعة تاريخ اليعقوبي والإصابة فلا تجد لهذه الجملة أثراً؟!

وأما تاريخ الطبري فقد أوردها ضمن رواية ضعيفة لا يحتج بها مدارها على ابن حميد ومحمد بن اسحاق، فمحمد بن اسحاق مختلف في صحته، وابن حميد هو محمد بن حميد بن حيان الرازي ضعيف، قال عنه يعقوب السدوسي: كثير المناكير، وقال البخاري: حديثه فيه نظر، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة، وضعّفه ابن حجر في التقريب[1]، فهذه الرواية ضعيفة الإسناد لا يحتج بها، وحتى من ناحية المتن فباطلة أيضاً لأنها تقول: (إن أبا بكر استقدم خالداً. فلما قدم المدينة دخل المسجد في هيئة القائد الظافر. فقام إليه عمر ونزع أسهمه وحطّمها وقال له تلك الكلمة المتوعّدة بقاصمة الظهر: (قتلت رجلاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بالأحجار) وبطل الإسلام خالد لا يكلمه. يظن أن رأي أبي بكر مثله.

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧)، تهذيب التهذيب (٩/ ١١٢)، تقريب التهذيب (٥٨٣٤).

فأقول: إذا كان عمر بن الخطاب يعرف رأي أبي بكر في هذه القضية كما هو مذكور في الرواية قبل أن يقدم خالد عليهما، لأنهما تجاولا في القضية، واشتد عمر على خالد، فنهْنَهَهُ أبو بكر وقال له: ارفع لسانك عن خالد، وقرظ خالداً وزكاه بما زكاه به رسول الله ﷺ فقال: إن خالداً سيف سلّه الله على الكافرين فلا أشيمه فكيف ساغ لعمر بن الخطاب بعد هذا أن يصنع بخالد هذا الصنيع مخالفاً رأي الخليفة؟

قد يقول قائل: إن عمر بن الخطاب ذلك الرجل الشديد في الدين، الذي يقف مع رأيه غير متخاذل لرأي أحد، قلنا: وأين ذهبت تلك الشدة بعد أن قابل خالد أبا بكر وأفضى إليه بحقيقة الأمر كما وقع وكما قدره هو ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وخرج على عمر يتوعده بهذه الكلمة الساخرة: هلم إليّ يا ابن أم شملة؟ أكانت في تلك الصورة الهزيلة التي تختم بها الرواية فصولها. فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته، وهذه المعرفة عند عمر قبل أن يلقى خالداً وينزع أسهمه ويحطّمها، ولكن الرواة ينسون أو يغفلون؟ أم إن عمر غيَّر رأيه وعرف أن خالداً بريء مما قذف به؟!

ولو فرضنا جدلاً أن عمر قد أشار بقتله فيقال: غاية هذا أن تكون مسألة اجتهاد، كان رأي أبي بكر فيها أن لا يَقْتُل خالداً، وكان رأي عمر فيها قتله، وليس عمر بأعلم من أبي بكر: لا عند السنة ولا عند الشيعة، ولا يجب على أبي بكر ترك رأيه لرأي عمر، ولم يظهر بدليل شرعي أن قول عمر هو الراجح، فكيف يجوز أن يُجْعَل مثل هذا عيباً لأبي بكر إلا من هو من أقل الناس علماً وديناً؟.

٥- أما قوله: (وهذه فضيحة أخرى سجلها التاريخ لصحابي من الأكابر، إذا ذكرناه، ذكرناه بكل احترام وقداسة بل ولقبناه بسيف الله المسلول).

أقول:

عجباً!!! من يسمع كلام هذا المنصف يظن أنه يتكلم عن رأس المنافقين، ويدل أيضاً على عظيم فرحه لأنه أوجد خطأً بزعمه على صحابي من صحابة النبي ﷺ بل ويعتب علينا لأننا نذكره باحترام وقداسة!! وكأن لسان حاله يقول: لا احترام ولا تقدير لصحابي من صحابة النبي ﷺ، أما لقب سيف الله المسلول فالذي لقبه بذلك هو إمام الخلق محمد ﷺ كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: {أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للنَّاس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيدٌ فأُصيبَ، ثمَّ أخذها جعفر فأُصيب، ثمَّ أخذ بن رواحة فأُصيبَ. وعيناه تذرفانِ: حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم}[1].

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: {نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً فجعل يمرون، فيقول رسول الله: يا أبا هريرة من هذا؟ فأقول: فلان، فيقول: نعم عبد الله فلان، ويمر فيقول: من هذا يا أبا هريرة؟ فأقول: فلان، فيقول: بئس عبد الله، حتى مر خالد بن الوليد، فقلت: هذا خالد بن الوليد يا رسول الله. قال: نِعْمَ عبد الله خالد، سيف من سيوف الله}[2]، فماذا يصنع هذا الطاعن بهذه الأحاديث؟ لا شك أنه سيحللها كما هي عادته لأنها تخالف المنطق والمعقول وسيقول بكل سرور: حديث باطل قطعاً!!

٦- أما قوله: (بأن مالك بن نويرة صحابي جليل) فهذا الذي لا يقره الواقع والتاريخ، فالمؤرخون أثبتوا أن مالكا كان قد ارتدَّ بعد وفاة النبي ﷺ ولم يكن يؤدي الزكاة وفرق الصدقات بين قومه، وعندما جيء به لخالد وجادله بأمر الزكاة قال له:

---

(١) رواه البخاري برقم (١٢٤٦).

(٢) جامع الترمذي برقم (٣٨٤٦).

قد كان صاحبكم يزعم ذلك؟! ومعنى قوله ذلك أنه لم يقر بالزكاة هذا أولاً، وثانياً ذكر النبي ﷺ بقوله: صاحبكم، وهذا هو قول المشركين الذين لم يقروا بنبوة محمد ﷺ وعدم الإقرار وحده بالزكاة كافياً لقتله، وهذه الرواية ذكرها جميع المؤرخين بما في ذلك الأصفهاني في الأغاني وابن خلكان بخلاف اليعقوبي المعروف بالكذب فكيف يقال بعد ذلك أن مالكاً صحابيٌّ جليل؟

... بل قد ذكر المؤرخون دليلاً آخر على موت مالك مرتداً فقالوا: التقى عمر بن الخطاب متمم بن نويرة أخو مالك، واستنشد عمر متمماً بعض ما رثى به أخاه، وأنشده متمم قصيدته التي فيها:

وكنا كندمانَيْ جذيمة حقبة من ... الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

فلما سمع عمر ذلك قال: هذا والله التأبين، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت أخاك. قال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته، فسر عمر رضي الله عنه لمقالة متمم وقال: ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزاني به متمم(١).

وجاء في سياق آخر قول متمم صريحاً فقال: يا أمير المؤمنين! إن أخاك مات مؤمناً ومات أخي مرتداً، فقال عمر رضي الله عنه: ما عزاني أحد عن أخي بأحسن مما عزيتني به عنه(٢)، فهل يوجد أوضح من ذلك دليلاً على ردة مالك؟!

٧- أما عن زواجه بامرأة مالك وادعاء هذا الطاعن أنه دخل بها في نفس الليلة فهذا خلاف الحق، فقد ذكر ابن كثير أن خالداً اصطفى امرأة مالك ولما حلت بَنَا

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير (٢/ ٢١٨).

(٢) كتاب الأمالي لأبي عبد الله اليزيدي (ص٢٥-٢٦).

بها[١]، وذكر الطبري زواج خالد بقوله: (.. وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقضي طُهرها)[٢]، وفي الكامل: (وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك)[٣]، ولم يقل كما يدعي هذا الطاعن أنه دخل بها في نفس الليلة بل تزوجها لما حلت وإلا لذكر ابن الأثير ذلك.

ويقول ابن خلكان الذي استشهد به هذا الطاعن: (وقبض خالد امرأته، فقيل: أنه اشتراها من الفيء وتزوج بها، وقيل: أنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته؟!)[٤].

فأتساءل والقراء: من أين عرفت أن خالداً دخل بامرأة مالك في نفس الليلة؟! فهل من جواب؟! فإذا كان خالد قد تزوج امرأة مالك بعدما استبرأت من حيضتها فهل هذا مما يذم عليه؟!

ثم يكابر فيقول: (ماذا عساني أن أقول في هؤلاء الصحابة الذين يستبيحون حرمات الله ويقتلون النفوس المسلمة من أجل هوى النفس ويستبيحون الفروج التي حرّمها الله، ففي الإسلام لا تنكح المرأة المتوفى زوجها إلا بعد العدّة التي حددها الله في كتابه العزيز، ولكنّ خالداً اتخذ إلهه هواه فتردّى!!!).

أقول:

١ - ألا لعنة الله على المنافقين المكابرين الفاسدة سرائرهم الذين يطعنون بخير الناس، ولا حجة لديهم إلا الباطل والتحامل الذي لا يدل إلا على الحقد الدفين على

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٢).

(٢) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٢٧٣).

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٨).

(٤) وفيات الأعيان (٦/ ١٤).

هذا الدين العظيم، وذلك بالطعن بصحابة النبي ﷺ الحاملين للكتاب والحافظين للسنة والذّابين عن هذا الدين، والقادة المجاهدين في سبيل رب العالمين، حتى يسهل تدمير هذا الدين بالكلية من نفوس المسلمين.

٢- لا شك أن صحابة النبي ﷺ لا يستبيحون حرمات الله ويقتلون النفوس المسلمة من أجل هوى النفس فهذا ادعاءٌ يعوزه الدليل والبرهان، وقد أوضحت قبل قليل عذر خالد بما يغني عن الإعادة، وأما أنهم يستبيحون الفروج التي حرمها الله فهذا لا يقوله إلا من تعفن قلبه وأغلق فؤاده، فقد أظهرت من مصادر هذا الطاعن نفسها أن خالداً دخل بامرأة مالك بالحلال وبرضاها أيضاً.

ويتتابع هذا الطاعن في عمايته فيقول: (وأي قيمة للعدة عنده بعد أن قتل زوجها صبراً وظلماً وقتل قومه أيضاً وهم مسلمون بشهادة عبد الله بن عمر وأبي قتادة الذي غضب غضباً شديداً مما فعله خالد وانصرف راجعاً إلى المدينة، وأقسم أن لا يكون أبداً في لواءٍ عليه خالد بن الوليد) ثم يعزوها إلى تاريخ الطبري، وتاريخ اليعقوبي وتاريخ أبي الفداء والإصابة.

فأقول:

١- هذه الرواية التي يعزوها هذا الطاعن للطبري هي نفس الرواية التي تدعي أن عمر هدد خالداً برجمه بالأحجار، وقد ذكرت أنها رواية ضعيف.

٢- لم أجد لهذه الرواية أثراً في الإصابة ولكن يبدو أن تكثير المراجع أمر ذا أهمية لكي تثبت الكذبة.

٣- أما رأي أبي قتادة فهذا ما رآه وهو خلاف ما تأوله خالد في شأن مالك، ولا يضير خالد أن لا يسير أبو قتادة معه في غزواته لأنه اعتقد أنه فعل الصواب، وإذا كان فعل أبي قتادة صحيحاً فلماذا لم يفعل ذلك ابن عمر الذي اكتفى بإبداء رأيه ثم سار مع

الجيش؟! فهذا لا يدل إلا على فقهه ﷺ وعلمه أن خالداً ومن وافقوه على قتل مالك لا يصدرون عن هوى، وأنهم إن أخطأوا فقد تأولوا، وأنا أريد أن أسأل هذا المنصف: لماذا أيّد موقف أبو قتادة ضد خالد؟ وحكم على فعله بالبطلان؟! مع أن كلاهما قد تأول الأمر بحسب ما ظنّه، ولماذا مثلاً لم يقف في صف ضرار بن الأزور الذي قتل مالكاً، معتقداً ردّته موافقاً لخالد فهل يريد أخبارنا أن ضرار قتل مالكاً لهوى في نفسه، وأنه وقف مع أبي قتادة منافحاً عن الحق؟! فأقول لهذا الأفاك: كفاك ثم كفاك إحراجاً للصحابة بإنصافك!!

ثم يستشهد بكلامٍ ممجوج لحسين هيكل في كتابه الصديق أبو بكر الذي يغرقه بالروايات ولا يفرّق بين صحيحها وسقيمها، ثم يهذي بقوله: (وهل لنا أن نسأل الأستاذ هيكل وأمثاله من علمائنا الذين يراوغون حفاظاً على كرامة الصحابة، هل لنا أن نسألهم: لماذا لم يقم أبو بكر الحد على خالد؟ وإذا كان عمر كما يقول هيكل مثال العدل الصارم فلماذا اكتفى بعزله عن قيادة الجيش ولم يقم عليه الحد الشرعي حتى لا يكون ذلك أسوأ مثل يضرب للمسلمين في احترام كتاب الله كما ذكر؟ وهل احترموا كتاب الله وأقاموا حدود الله؟ كلا إنها السياسة وما أدراك ما السياسة! تصنع الأعاجيب وتقلّب الحقائق وتضرب بالنصوص القرآنية عرض الجدار).

فأقول:

لقد بينت فيما سبق أن خالداً قتل مالكاً لأنه رآه مرتداً وقد ذكرت الأسباب التي دعت خالد لاعتقاد ذلك وهي أسباب في نظري تظهر بوضوح ردة مالك، وعلى العموم غاية ما يقال في هذه الحادثة أن خالداً إن أخطأ في قتل مالك فيكون متأولاً وهذا لا يجيز قتل خالد، وهذه القضية مثلها رواية أسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله. وقال له النبي ﷺ: {يا أسامة! أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟

يا أسامة! أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟ يا أسامة! أقتلته بعد أن قال: لا إلـه إلا الله؟ فأنكر عليه قتله، ولم يوجب عليه قَوَداً ولا دية ولا كفَّارة}[(١)].

وقد روى محمد بن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس وقتادة (أن هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء:٩٤] نزلت في شأن مرداس، رجل من غطفان، بعث النبي ﷺ جيشاً إلى قومه، عليهم غالب الليثي، ففرّ أصحابة ولم يفرّ، قال: إني مؤن، فصبّحته الخيل فسلّم عليهم، فقتلوه وأخذوا غنمه، فأنزل الله هذه الآية وأمر رسول الله ﷺ برد أمواله إلى أهله وبِديته إليهم، ونهى المؤمنين عن مثل ذلك)[(٢)]. وكذلك خالد بن الوليد قد قتل بني جذيمة متأولاً ورفع النبي ﷺ يديه وقال: {اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد}[(٣)]. ومع هذا لم يقتله النبي ﷺ لأنه كان متأولاً. فإذا كان النبي ﷺ لم يقتله مع قتله غير واحد من المسلمين من بني جذيمة للتأويل، فلأن لا يقتله أبو بكر لقتله مالك بن نويرة بطريق الأوْلى والأحرى.

والغريب أن هذا الطاعن يورد خبر خالد مع بني جذيمة ويحتج به على أبي بكر وهو يعلم أن النبي ﷺ لم يقتله، فكيف لم يجعل ذلك حجة لأبي بكر في أن لا يقتله؟! لكن من كان متّبعا لهواه أعماه عن اتّباع الهدى.

وبعد ذلك هل لي أن أسأل هذا الدكتور المنصف: لماذا لم يقم النبي ﷺ الحد على خالد بل ولم يعزله من قيادة الجيش بل أبقى عليه حتى وفاته؟ وهل هذا الأمر يعتبر أسوأ مثل يُضرب للمسلمين في احترام كتاب الله؟! وهل النبي ﷺ ضرب

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٦٩)، ومسلم برقم (٩٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٧٧).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٣٣٩).

بالنصوص القرآنية عرض الحائط؟! كلا ولكنها الخساسة التي يتمتع بها هذا الطاعن وما أدراك ما الخساسة!!

ثم ينهمك في غوايته فيقول: (وهل لنا أن نسأل بعض علمائنا الذين يروون في كتبهم أن رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً عندما جاء أسامة ليشفع في امرأة شريفة سرقت. فقال ﷺ: {ويحك أتشفع في حدّ من حدود الله والله لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، إنما أهلك من كان قبلكم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحدّ}. فكيف يسكتون عن قتل المسلمين الأبرياء والدخول بنسائهم في نفس الليلة وهنّ منكوبات بموت أزواجهنّ ويا ليتهم يسكتون! ولكنهم يحاولون تبرير فعل خالد باختلاق الأكاذيب وبخلق الفضائل والمحاسن حتى لقبوه بسيف الله المسلول، ولقد أدهشني بعض أصدقائي وكان مشهوراً بالمزح وقلب المعاني، فكنت أذكر مزايا خالد بن الوليد في أيام جهالتي وقلت له أنه سيف الله المسلول، فأجابني: إنه سيف الشيطان المشلول، واستغربت يومها، ولكن بعد البحث فتح الله بصيرتي وعرّفني قيمة هؤلاء الذين استولوا على الخلافة وبدّلوا أحكام الله وعطّلوها وتعدّوا حدود الله واخترقوها).

للرد على ذلك أقول:

١ - روى البخاري الحديث بهذا اللفظ عن عائشة رضي الله عنها: {أن قريشاً أهمّتْهُم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلِّم رسول الله ﷺ، ومنْ يجترئ عليه إلا أسامة، حِبُّ رسول الله ﷺ، فكلَّم رسول الله ﷺ، فقال: أتشفع في حدٍّ من حدود الله. ثم قام فخطب، قال: يا أيها الناس، إنما ضلَّ من كان قبلكم، أنّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحدَّ، وآيْمُ الله، لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعَ محمدٌ يدَهَا}[1].

---

(١) سبق تخريجه.

وهذا الحديث من أظهر الحجج على هذا الطاعن نفسه لأنه يظهر بوضوح أن أسامة أراد أن يستشفع لأمرأة ثبت أنها سارقة بلا تأويل ولا شبهة والحدود كما هو معلوم تدرأ -أي تدفع- بالشبهات، فلو كان هناك شبهة لما دفع أسامة ليستشفع للمخزومية وهذا واضح في قول النبي ﷺ: {أتشفع في حدٍ من حدود الله} بخلاف فعل خالد الذي رأى أن مالكاً قد ارتد بعد مناقشته له، فقتله، فأقل ما يقال أنه تأول فأخطأ، فكيف إذا ثبت بالبراهين والبيِّنات ردة مالك، فلماذا إذن يساوي هذا الطاعن بين القضيتين؟!

٢- انظر أخي القارئ إلى هذا الطاعن الذي يتهم أهل السنة بأنهم يختلقون الأكاذيب والفضائل للقائد المجاهد خالد بن الوليد ويلقبونه بسيف الله المسلول وقد ثبت أن الذي قال ذلك هو النبي ﷺ، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي قاد المسلمين من نصر إلى نصر، وأبلى في الجهاد أعظم البلاء حتى أنه اندق في يده يوم مؤتة تسعة أسياف فما صبرت معه إلا صحيفة يمانية، وثبت عنه أنه قال: «لقد منعني كثيراً من قراءة القرآن الجهاد في سبيل الله»(١)، وعندما اقتربت منيته قال كلاماً نقشه التاريخ على صفحاته لأجيال الأمة: «ما ليلة يهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشّر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أُصبِّح بها العدو، فعليكم بالجهاد»(٢).

وذكر ابن عبد البر بالاستيعاب أنه قال: (لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال: لقد شهدتُ مائة زحف أو زُهاءَها، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربةٌ أو طعنة أو رَمْية، ثم هأنذا أموت على فراشي كما يموت العَيْر، فلا نامت أعين الجبناء)(٣).

---

(١) المطالب العلية (٤٠٤١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٥).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٤٣٠).

وحتى غير أهل السنة يعترفون ببطولة وشجاعة هذا القائد الأشم ولا يستطيعون إنكارها فيقول علامتهم عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب: (هو الفتاك البطل الذي له الوقائع العظيمة، وكان يقول على ما حكي عنه: لقد شهدت كذا وكذا وقعة ولم يكن في جسدي موضع شبر إلا وفيه أثر طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت على فراشي لا نامت أعين الجبان)[١].

ثم يطيش بسكرته فيقول: (فقد سجّل المؤرخون بأنه بعثه بعد تلك الواقعة المشينة إلى اليمامة التي خرج منها منتصراً وتزوّج في أعقابها بنتاً كما فعل مع ليلى ولّما تجف دماء المسلمين بعد ولا دماء أتباع مسيلمة!!، وقد عنّفه أبو بكر على فعلته هذه بأشد مما عنّفه على فعلته مع ليلى، ولا شك أن هذه البنت هي الأخرى ذات بعل، فقتله خالد ونزا عليها كما فعل بليلى زوجة مالك. وإلا لما استحقّ أن يعنّفه أبو بكر بأشد مما عنّفه على فعلته الأولى، على أن المؤرخين يذكرون نصّ الرسالة التي بعث بها أبو بكر إلى خالد بن الوليد وفيها يقول: لعمري يا ابن أم خالد إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد، ولما قرأ خالد هذا الكتاب قال: هذا عمل الأعسر يقصد بذلك عمر بن الخطاب).

فأقول:

١- هذا الأثر لا يصح ففي سنده ابن حميد وهو ضعيف، ذكره العقيلي في الضعفاء[٢]، وكذا محمد بن اسحاق فهو في أفضل أحواله مختلف فيه، فهذا الأثر ضعيف ولا يحتج به.

---

(١) الكنى والألقاب (١/ ٤١).

(٢) الضعفاء (١٦١٢).

٢- ولو فرضنا أنه صحيح فليس فيه ما يعيب خالداً ﷺ، فإنه تقدم لمجاعة بن مرارة طالباً الزواج من ابنته فزوّجها له، فلا أظن أن هذا الزواج مما يعيبه ولا أنّ زواجه بأكثر من امرأة يوجب مذمّة أو حرمة.

أما بالنسبة لاعتراض أبي بكر عليه فقد رد خالد مدافعاً عن نفسه معتذراً عن فعله بقوله: «أما بعد فلعمري ما تزوجت النساء حتى تم لي السرور، وقرت بي الدار، وما تزوجت إلا إلى امرىء لو عملت إليه من المدينة خاطباً لم أبل، دع إني استثرت خطبتي إليه من تحت قدمي، فإن كنت قد كرهت لي ذلك لدين أو دنيا أعتبتك، وأما حسن عزائي عن قتلى المسلمين فوالله لوكان الحزن يبقي حياً أو يرد ميتاً، لأبقى الحزن الحي ورد الميت، ولقد اقتحمت حتى أيست من الحياة وأيقنت الموت، وأما خدعة مجاعة إياي عن رأي فإني لم أخطيء رأي يومي، ولم يكن لي علم بالغيب، وقد صنع الله للمسلمين خيراً، أورثهم الأرض وجعل العاقبة للمتقين»[1]، وكتاب خالد هذا أوضح من التعليق عليه.

٣- يبدو أن الطاعن لا يستطيع أن يتخلّص من كذبه! فهو يموه الحق بقوله: (ولا شك أن هذه البنت هي الأخرى ذات بعل فقتله خالد ونزا عليها، كما فعل بليلى زوجة مالك!!) ولا أعتقد أن هذا الطاعن الذي ذكر هذه القصة وعزا إلى مصادرها في هامش كتابه لا يعلم أنها تذكر أن خالداً تقدم بالزواج من هذه المرأة إلى أبيها مجاعة وأنه وافق على زواجه منه.

وخلاصة القول بالنسبة لطعنه في خالد بن الوليد ﷺ، بقتله مالك بن نويرة ودخوله بزوجته مع أنه كان مسلماً:

---

(١) خالد بن الوليد لصادق عرجون (ص٢٠١).

أن مالك بن نويرة قد اختلف في أمره فقيل: إنه كان ممن منع الزكاة، وقيل: إنه صانع سجاح حين قدمت أرض الجزيرة، وقيل: إنه لما أُسر وأُتي به لخالد رضي الله عنه فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ فأمر بضرب عنقه، فضربت عنقه، وإن ثبت عنه هذا فهذا يدل على ردته. وقيل: إن خالداً لما أسره ومن كان معه -وكان ذلك في ليلة شديدة البرد- فنادى مناديه، أن ادفئوا أسراكم فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة، فلما سمع الداعية خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه(1).

وعلى كل حال فقتل خالد لمالك بن نويرة: إما أن يكون لواحد من هذه الأسباب المذكورة، وإما أن يكون لسبب آخر لم نعلمه، وإما أن خالداً لم يرد قتله أصلاً، وإنما قتل خطأً، فإن كل ذلك محتمل. وحينئذ فخالد معذور على كل حال، سواء أكان قتله بحق لسبب يوجب قتله، أو بخطأ ناشيء عن تأويل يعذر به، أو بغير قصد لا لوم عليه فيه.

وأما غضب عمر على خالد وقوله له ما قال، فهذا إن ثبت فلكونه يرى أن خالداً كان مخطئاً في قتل مالك، ومع هذا فما كان يتهمه في دينه، بل كان يقول: إن في سيفه رهقاً.

وقد تقدم أن أمر مالك بن نويرة كان مشتبهاً، ولهذا اختلف الصحابة في قتلة، فمنهم من كان على رأي خالد، ومنهم من كان على رأي عمر في تخطئه خالد بقتله،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٨)، وما بعدها. والبداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٢٦).

وقد كان الصديق يرى أن خالداً في ذلك كان مجتهداً معذوراً ولذا قال لعمر: (هبه يا عمر تأول فأخطأ)[1].

والمقصود أن كل واحد من الصحابة كان مجتهداً في إحقاق الحق، وأمرهم دائر بين الأجر والأجرين، فمجتهد مصيب له أجران، ومجتهد مخطئ له أجر واحد وخطؤه مغفور، ولا ينتقصهم في شيء من هذا إلا جاهل بأصول الشرع، أو زائغ عن الحق، كهذا الطاعن الذي امتلأ قلبه حقداً وضغينة على أصحاب رسول الله ﷺ، فسخر نفسه للطعن فيهم، والنيل منهم، مع ما هم عليه من المقامات الشريفة العالية في الدين، والسبق إلى سائر خصال البر والتقوى، وتعديل الله لهم في كتابه والرسول ﷺ في سنته، وما جعل الله لهم في قلوب المؤمنين من الحب والولاء، وما نشر لهم بينهم من الذكر الحسن وجميل الثناء.

وأما طعنه في خالد بقتله بني جذيمة وبراءة الرسول ﷺ من فعله.

فجوابه: أن خالداً قتلهم متأولاً وذلك أنه لما دعاهم إلى الإسلام قالوا: صبأنا صبأنا، ومعنى (صبأنا) أي: انتقلنا من دين إلى دين، وقد كانت قريش تطلق على من أسلم أنه صابئ على سبيل الذم[2]، فلم يقبل خالد منهم ذلك حيث لم يصرحوا بالإسلام، في حين أن بعض من كان معه من الصحابة كابن عمر وغيره أنكروا عليه، لأنهم عرفوا أنهم أرادوا الإسلام، ولذا قال ابن عمر راوي الحديث: «فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا»[3] وقد كان خالد متأولاً في قتلهم، غير مذموم بفعله، وإن كان مخطئاً فيه.

---

(١) أورده الطبري في تاريخه (٣/ ٣٧٨).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٩).

قال الخطابي رحمه الله: (يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع على سبيل الأنفة، ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً)(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن هذه الحادثة: (فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فلم يقبل ذلك منهم، وقال: إن هذا ليس بإسلام، فقتلهم، فأنكر ذلك عليه من معه من أعيان الصحابة: كسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وغيرهما، ولما بلغ ذلك النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال: {اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد} لأنه خاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان...

ومع هذا فالنبي ﷺ لم يعزل خالداً عن الإمارة، بل مازال يؤمرُه ويقدمه، لأن الأمير إذا جرى منه خطأ أو ذنب أمر بالرجوع عن ذلك، وأُقرّ على ولايته، ولم يكن خالد معانداً للنبي ﷺ، بل كان مطيعاً له، ولكن لم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره، فخفي عليه حكم هذه القضية)(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: (وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها، لأن قولهم: صبأنا أي: خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام)(٣).

فهذه أقوال أهل العلم، تدل على أن خالداً إنما قتل بني جذيمة لظنه أنهم ما أرادوا الإسلام بقولهم: (صبأنا) ولم يكن بفعله هذا عاصياً لرسول الله ﷺ، وإنما كان مجتهداً متأولاً، لأن اللفظ مشتبه والاحتمال الذي ذهب إليه وارد.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٧).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٨٦).

(٣) فتح الباري (٨/ ٥٧).

وأما براءة الرسول ﷺ من فعله فلخشية المؤاخذة به من الله، وهذا لا يوجب الطعن في خالد، فالبراءة من الفعل الخاطئ شيء، وتأثيم صاحبه وذمه شيء آخر، وذلك أن العبد لا يؤاخذ بشيء من الأخطاء سواء في باب الاعتقاد، أو في باب الفروع إلا بعد أن تقام عليه الحجة وتنتفي عنه الموانع التي يعذر بها عند الخطأ، على ما هو مقرر في أصول الاعتقاد عند أهل السنة.

أما قول هذا الطاعن: (فهل لنا أن نتساءل أين هي عدالة الصحابة المزعومة التي يدعونها...) إلخ كلامه.

فيقال له: إن عدالة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، ولا يتَوَصل أحد إلى القدح فيها إلا بعد إنكار النصوص القاطعة بعدالتهم من الكتاب والسنة، المتضمنة أحسن الثناء عليهم وأبلغه من الله ورسوله، ولذا كان القدح في الصحابة علامة الزنادقة والملاحدة، وقد تقدم فيما مضى من البحث عرض النصوص وأقوال أهل العلم في القطع بعدالة الصحابة، مما يغني عن إعادتها، وإنما أكتفي هنا بما ذكره الإمامان الجليلان أبو زرعة وأحمد -رحمهما الله تعالى- في حكم من طعن في الصحابة وقدح فيهم.

قال أبو زرعة رحمه الله: (إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة)(١).

(١) رواه الخطيب في الكفاية (ص:٤٩).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (إذا رأيت الرجل يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء، فاتهمه على الإسلام)[(١)].

وهذا الطاعن لم يقتصر على الطعن فقط، بل تعدى إلى ما هو أعظم منه وذلك باتهامه الصحابة بالردة كلهم، إلا القليل منهم.

يقول: (فالمتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا، وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده صلى الله عليه وسلم إلا القليل، الذي عبر عنه بهَمَل النعم).

ردود أخرى على شبهة: (وأهمل حدود الله فلم يقتص من خالد بن الوليد ولا حدَّه حيث قتل مالك بن نويرة، وكان مسلماً، وتزوج امرأته في ليلة قتله وضاجعها. وأشار عليه عمر بقتله فلم يفعل).

والجواب أن يقال أولاً: إن كان ترك قتل قاتل المعصوم مما يُنكر على الأئمة، كان هذا من أعظم حجة شيعة عثمان عَلَى عليّ؛ فإن عثمان خير من ملء الأرض من مثل مالك بن نويرة، وهو خليفة المسلمين، وقد قُتل مظلوماً شهيداً بلا تأويل مسوِّغ لقتله. وعليّ لم يقتل قَتَلَته، وكان هذا من أعظم ما امتنعت به شيعة عثمان عن مبايعة عليّ، فإنْ كان عليّ له عذر شرعي في ترك قتل قتلة عثمان، فعذر أبي بكر في ترك قتل قاتل مالك بن نويرة أقوى، وإن لم يكن لأبي بكر عذر في ذلك فعليّ أَوْلى أن لا يكون له عذر في ترك قتل قتلة عثمان.

وأما الإنكار على أبي بكر في هذه القضية الصغيرة، وترك إنكار ما هو أعظم منها عَلَى عليّ فهو فرط وتناقض، وأهل السنة يجلون الاثنين ويعتذرون لهما.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص:٢٠٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول (ص:٥٦٨).

وكذلك إنكارهم عَلَى عثمان كونه لم يقتل عُبيد الله بن عمر بالهرمزان، هو من هـذا الباب.

وإذا قال القائل: عليّ كان معذوراً في ترك قتل قتلة عثمان، لأن شروط الاستيفاء لم توجد: إما لعـدم العلـم بأعيـان القَتَلَـة، وإمـا لعجـزه عـن القـوم لكـونهم ذوي شـوكة، ونحو ذلك.

قيـل: فـشروط الاسـتيفاء لم توجـد في قتـل قاتـل مالـك بـن نـويرة، وقتـل قاتـل الهرمزان، لوجود الشبهة في ذلك، والحدود تُدرأ بالشّبهات.

وإذا قالوا: عمر أشار عَلَى أبي بكر بقتل خالد بـن الوليـد، وعـليّ أشـار عَـلَى عـثمان بقتل عبيد الله بن عمر.

قيل: وطلحة والزبير وغيرهما أشـاروا عَـلَى عـليّ بقتـل قتلـة عـثمان، مـع أن الـذين أشاروا عَلَى أبي بكر بالقَوَد، أقام عليهم حجّة سلّموا لهـا: إمـا لظهـور الحـق معـه، وإمـا لكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد.

وعليّ لم يوافق الذين أشاروا عليه بالقود، جرى بينه وبيـنهم مـن الحـروب مـا قـد عُلم. وقتل قتلة عثمان أهون مما جرى بالجمل وصفِّين فإذا كـان في هـذا اجتهـاد سـائغ، ففي ذلك أَوْلى.

ثم يُقال: غاية ما يُقال في قصة مالك بن نويرة: إنه كـان معـصوم الـدم وإن خالـداً قتله بتأويل، وهذا لا يبيح قتل خالد، كما أن أسامة بن زيد لما قتـل الرجـل الـذي قـال: لا إلـه إلا الله. وقـال لـه النبـي ﷺ: {يـا أسـامة أقتلتـه بعـد أن قـال: لا إلـه إلا الله؟ يا أسامة أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟ يا أسامة أقتلته بعد أن قـال: لا إلـه إلا الله؟} فأنكر عليه قتله، ولم يوجب عليه قَوَداً ولا دِية ولا كفَّارة.

وأما ما ذكره من تزوجه بامرأته ليلة قتله، فهذا مما لم يعرف ثبوته. ولو ثبت لكان هناك تأويل يمنع الرجم. والفقهاء مختلفون في عدة الوفاة: هل تجب للكافر؟ على قولين. وكذلك تنازعوا هل يجب على الذميّة عدة الوفاة؟ على قولين مشهورين للمسلمين. بخلاف عدة الطلاق، فإن تلك سببها الوطء، فلا بد من براءة الرحم. وأما عدة الوفاة فتجب بمجرد العقد، فإذا مات قبل الدخول بها فهل تعتد من الكافر أم لا؟ فيه نزاع. وكذلك إن دخل بها، وقد حاضت بعد الدخول حيضة.

هذا إذا كان الكافر أصلياً. وأما المرتد إذا قتل، أو مات على ردته. ففي مذهب الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد ليس عليها عدة وفاة بل عدة فرقة بائنة، لأن النكاح بطل بردة الزوج. وهذه الفرقة ليست طلاقاً عند الشافعي وأحمد، وهي طلاق عند مالك وأبي حنيفة، ولهذا لم يوجبوا عليها عدة وفاة، بل عدة فرقة بائنة، فإن كان لم يدخل بها فلا عدة عليها، كما ليس عليها عدة من طلاق.

ومعلوم أن خالداً قتل مالك بن نويرة لأنه رآه مرتداً، فإذا كان لم يدخل بامرأته فلا عدة عليها عند عامة العلماء، وإن كان قد دخل بها فإنه يجب عليه استبراء بحيضة لا بعدة كاملة في أحد قوليهم، وفي الآخر بثلاث حيض. وإن كان كافراً أصلياً فليس على امرأته عدة وفاة في أحد قوليهم. وإذا كان الواجب استبراء بحيضة فقد تكون حاضت. ومن الفقهاء من يجعل بعض الحيضة استبراء، فإذا كانت في آخر الحيض جعل ذلك استبراءً لدلالته على براءة الرحم.

وبالجملة فنحن لم نعلم أن القضية وقعت على وجه لا يسوغ فيها الاجتهاد والطعن بمثل ذلك من قول من يتكلم بلا علم، وهذا مما حرّمه الله ورسوله.

شبهة أن الشيخين وعثمان رضي الله عنهم قد خالفوا سنة النبي ﷺ:

قال الطاعن: (إذا كانت أول حادثة وقعت بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة وسجلها أهل السنة والجماعة والمؤرخون هي مخاصمة فاطمة الزهراء لأبي بكر الذي احتج بحديث: {نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة}، هذا الحديث الذي كذبته فاطمة وأبطلته بكتاب الله...

والحادثة الثانية: التي وقعت لأبي بكر في أيام خلافته، وسجلها المؤرخون من أهل السنة والجماعة اختلف فيها مع أقرب الناس إليه وهو عمر بن الخطاب، تلك الحادثة التي تتلخص في قراره بمحاربة مانعي الزكاة... على أن هؤلاء الذين منعوا إعطاء أبي بكر زكاتهم لم ينكروا وجوبها، ولكنهم تأخروا ليتبينوا الأمر، والشيعة تقول: إن هؤلاء فوجئوا بخلافة أبي بكر، وفيهم من حضر مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وسمع منه النص على علي بن أبي طالب فتريثوا حتى يفهموا الحقيقة).

قلت: قوله: إن أبا بكر، وعمر، وعثمان، خالفوا سنة النبي ﷺ دعوى باطلة لا يعبأ بها، ولا وزن لها في ميزان الحق مالم يؤيدها بالحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة:١١١].

وقد علمت الأمة بالنقل المتواتر، الذي لا يمكن أن يندفع أو يتطرق إليه شك: أنه ليس أحد من الخلق أقرب لرسول الله ﷺ، وأقوم بدينه، وأعلم به وأكثر مناصرة له، وأعظم مجاهدة وبلاءً فيه، من أبي بكر، وعمر، ومن بعدهما عثمان، وعلي رضي الله عنهم، فإن هؤلاء هم خلفاء الرسول ﷺ وأصهاره الذين أخبر أنهم على الهدى، وأوصى بالتمسك بسنتهم، وخص أبا بكر وعمر منهم بالاقتداء بهما، فلا يطعن فيهم بعد هذا إلا ناقص في العقل لا يدري ما يقول، أو ضال مضلّ حائد عن السبيل، ولهذا لا

يعرف في الأمة أحد تنقص الشيخين، أو تعرض لهما بقدح لا من أهل السنة، ولا من أهل البدعة المنتسبين لهذه الملة، غير هؤلاء، وطعنه هذا من حيث الجملة هو أضعف من أن يتكلف في رده ونقضه لمخالفته لما هو معلوم للأمة بالضرورة من قيام هؤلاء الخلفاء بأمر الدين بعد رسول الله ﷺ وحسن بلائهم فيه، وانما أقتصر هنا على ما ذكره من أمثلة لما ادعاه من مخالفة هؤلاء الخلفاء للسنة، مع بيان بطلان ما ادعاه وكذبه في ذلك.

أما الحادثة الأولى: وهي قوله مخاصمة فاطمة لأبي بكر في الميراث فقد تقدم الرد عليه فيها، وبيان كذبه وتلبيسه بها لامزيد عليه هنا.

وأما ما ذكر في الحادثة الثانية: وهي طعنه في أبي بكر بقتال المرتدين، الذين منعوا الزكاة بعد موت النبي ﷺ وارتدوا عن الإسلام.

فهذا مما أظهر الله به أمره، وكشف ستره، وما هو عليه من زندقة وإلحاد.

فتأمل أيها القارئ طعن هذا المنافق في أبي بكر وفي أصحاب رسول الله ﷺ، ودفاعه عن المرتدين الذين ارتدوا عن الدين بعد موت الرسول ﷺ، واعتذاره لهم وتخطئة الصحابة في قتالهم، لتعلم موقعه من الدين.

على أن المفتري بطعنه هذا ما هو إلا مقلد للذين سبقوه لهذا فرد العلماء عليهم في ذلك، حتى ظهر للناس زيف دعواهم وشدة افترائهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن المطهر بعد نقله كلامه في المسألة: (والجواب بعد أن يقال: الحمد لله الذي أظهر من أمر هؤلاء إخوان المرتدين، ما تحقق به عند الخاص والعام أنهم إخوان المرتدين حقاً، وكشف أسرارهم، وهتك أستارهم بألسنتهم، فإن الله لا يزال يطلع على خائنة منهم تبين عدوانهم لله ورسوله،

ولخيار عباد الله وأوليائه المتقين، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة:٤١]، فنقول: من كان له علم بالسيرة، وسمع مثل هذا الكلام جزم بأحد أمرين: إما بأن قائله من أجهل الناس بأخبار الصحابة، وإما أنه من أجرأ الناس على الكذب، فظني أن هذا المصنف وأمثاله... ينقلون ما في كتب سلفهم، من غير اعتبار منهم لذلك، ولا نظر في أخبار الإسلام، وفي الكتب المصنفة في ذلك حتى يعرف أحوال الإسلام، فيبقى هذا وأمثاله في ظلمة الجهل بالمنقول والمعقول...) إلى أن قال: (ومن أعظم فضائل أبي بكر عند الأمة -أولهم وآخرهم- أنه قاتل المرتدين، وأعظم الناس ردة كان بنو حنيفة، ولم يكن قتاله لهم على منع الزكاة، بل قاتلهم على أنهم آمنوا بمسيلمة الكذاب، وكانوا فيما يقال نحو مائة ألف، والحنفية أم محمد بن الحنفية سَرّية علي كانت من بني حنيفة، وبهذا احتج من جوز سبي المرتدات إذا كان المرتدون محاربين، فإذا كانوا مسلمين معصومين فكيف استجاز علي أن يسبي نساءهم ويطأ من ذلك السبي. وأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فأولئك ناس آخرون، ولم يكونوا يؤدونها، وقالوا: لا نؤديها إليك، بل امتنعوا من أدائها بالكلية، فقاتلهم على هذا، لم يقاتلهم ليؤدّوها إليه، وأتباع الصديق كأحمد بن حنبل وأبي حنيفة، وغيرهما يقولون: إذا قالوا: نحن نؤديها ولا ندفعها إلى الإمام، لم يجز قتالهم لعلمهم بأن الصديق إنما قاتل من امتنع عن أدائها جملة، لا من قال: أنا أؤدّيها بنفسي. ولو عدّ هذا المفتري من المتخلفين عن بيعة أبي بكر المجوس، واليهود، والنصارى، لكان ذلك من جنس عده لبني حنيفة، بل كفر بني حنيفة من بعض الوجوه كان أعظم من كفر اليهود، والنصارى، والمجوس، فإن أولئك كفار مِلِّيُّون وهؤلاء مرتدون، وأولئك يقرون بالجزية، وهؤلاء لا يقرون بالجزية، وأولئك لهم كتاب أو شبه كتاب، وهؤلاء اتبعوا مفترياً كذاباً، لكن كان مؤذنه يقول: أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله،

وكانوا يجعلون محمداً ومسيلمة سواء)[١].

فتبين بهذا أن الذين قاتلهم أبو بكر كانوا قسمين:

قسم منهم: قد ارتدوا بالكلية واتبعوا مسيلمة الكذاب، وهم بنو حنيفة، وهؤلاء لا يشك مسلم في كفرهم ووجوب قتالهم.

وقسم آخر: امتنعوا من تأدية الزكاة مطلقاً فلم يؤدوها بأنفسهم ولا دفعوها إلى الخليفة، فكان قتالهم واجباً مأموراً به من الله ورسوله قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥] فعلق تخلية السبيل على الإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله)[٢].

فجعل شهادة ألاّ إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، شرطاً لعصمة الدماء والأموال. وأولئك الممتنعون عن تأدية الزكاة لم يتحقق فيهم الشرط، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه وكان معه وعلى رأيه سائر الصحابة الذين باشروا قتالهم بأنفسهم.

وأما دعوى: أن عمر خالف في ذلك أبا بكر فكذب صريح على عمر رضي الله عنه أما قوم مسيلمة فلم يخالف في قتالهم أحد من الصحابة، لا عمر ولا غيره، ولم يشكوا في كفرهم وردتهم، وأما مانعوا الزكاة: فقد رأى عمر في بداية الأمر عدم قتالهم، لكنه ما

---

(١) منهاج السنة (٨/ ٣١٨- ٣١٩- ٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

لبث أن رجع عن رأيه إلى قول أبي بكر بعد أن تبين له الحق في ذلك.

ورجوع عمر عن رأيه وموافقة أبي بكر، أمر مشهور في كتب السنة والتاريخ لا يخفى على أحد من أهل العلم، ولم ينكره أحد منهم، وهو ثابت في الصحيحين:

فعن أبي هريرة ﵁: (أن عمر قال لأبي بكر ﵄ كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولون لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة، حق المال، والله لو منعوني عناقاً، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (وأما القول إن عمر أنكر قتال أهل الردة، فمن أعظم الكذب والافتراء على عمر بل الصحابة كانوا متفقين على قتال مسيلمة وأصحابه، ولكن كانت طائفة أخرى مقرين بالإسلام وامتنعوا عن أداء الزكاة، فهؤلاء حصل لعمر أولاً شبهة في قتالهم، حتى ناظره الصديق وبين له وجوب قتالهم فرجع إليه والقصة في ذلك مشهورة).[2]

وبهذا يظهر بطلان دعوى هذا الطاعن، وشدة ضلاله في ذمه لأبي بكر على قتال المرتدين الذي يُعد من أعظم مناقبه، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا مما يؤكد فرط جهل المؤلف بالتاريخ وإغراقه في الزيغ والضلال.

فنسأل الله العافية والسلامة من حاله.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٠٠)، ومسلم برقم (٢٠).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٣٢٧).

شبهة قول الحسن والحسين رضي الله عنهما للصديق رضي الله عنه له: انزل عن منبر جدنا؟

ومن الشبهات قولهم أن الحسن والحسين رضي الله عنهما قالا للصديق رضي الله عنه : انزل عن منبر جدنا؟ حيث قالوا: فمنها أنه صعد يوماً على منبر رسول الله ﷺ، فقال له السبطان: (انزل عن منبر جدنا) فعلم أن ليس له لياقة الإمامة.

والجواب على فرض التسليم:

(١) أن السبطين كانا إذ ذاك صغيرين، فإن الحسن ولد في الثالثة من الهجرة في رمضان، والحسين في الرابعة منها في شعبان، والخلافة في أول الحادية عشرة، فأفعالهما إن اعتبرت بحيث تترتب عليها الأحكام لزم ترك التقية الواجبة، وإلا فلا نقص ولا عيب، فمن دأب الأطفال أنهم إذا رأوا أحداً في مقام محبوبهم ولو برضائه يزاحمونه ويقولون له: قم عن هذا المقام، فلا يعتبر العقلاء هذا الكلام، وهم وإن ميزوا عن غيرهم لكن للصبي أحكاماً، ولهذا اشترط في الاقتداء البلوغ إلى حد كمال العقل. ألا ترى أن الأنبياء لم يبعثوا إلا على رأس الأربعين إلا نادراً كعيسى، والنادر كالمعدوم لا حكم له.

قولهم: أن النبي ﷺ لم يأمر أبا بكر قط أمراً مما يتعلق بالدين فلم يكن حرياً بالإمامة.

الجواب: أن هذا كذب محض تشهد على ذلك السير والتورايخ، فقد ثبت تأميره لمقاتلة أبي سفيان بعد أحد، وتأميره أيضاً في غزوة بني فزارة كما رواه الحاكم عن سلمة بن الأكوع، وتأميره في العام التاسع ليحج بالناس أيضاً ويعلمهم الأحكام من الحلال والحرام، وتأميره أيضاً بالصلاة قبيل الوفاة، وهذا التأمير في حياته وهو معهم ﷺ فكفا منقبة وتزكية، إلى غير ذلك مما يطول.

ويجاب أيضاً – على تقدير التسليم – بأن عدم ذلك ليس لعدم اللياقة بل لكونه وزيراً ومشيراً على ما هي العادة.

روى الحاكم عن حذيفة بن اليمان أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إني أريد أن أرسل الناس إلى الأقطار البعيدة لتعليم الدين والفرائض كما كان عيسى أرسل الحواريين. فقال بعض الحضار: يا رسول الله! مثل هؤلاء الناس موجودون فينا كأبي بكر وعمر، قال: إنه لا غنى لي عنهما، إنهما من الدين كالسمع والبصر}(١)، وأيضاً قال ﷺ: {أعطاني الله أربعة وزراء: وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر}(٢).

وأيضاً لو كان عدم الإرسال موجباً لسلب اللياقة المزعومة!!! يلزم عدم لياقة الحسين معاذ الله تعالى من ذلك.

شبهة عدم تولية النبي ﷺ أبا بكر البتة عملاً في وقته:

قولهم: (لم يُوَلِّ النبي ﷺ أبا بكر البتة عملاً في وقته، بل ولَّى عليه عمرو ابن العاص تارة وأسامة أخرى. ولما أنفذه بسورة «براءة» ردّه بعد ثلاثة أيام بوحي من الله، وكيف يرتضي العاقل إمامة من لا يرتضيه النبي ﷺ بوحي من الله لأداء عشر آيات من «براءة؟!»).

والجواب: أن هذا من أَبْيَن الكذب؛ فإنه من المعلوم المتواتر عند أهل التفسير والمغازي والسير والحديث والفقه وغيرهم: أن النبي ﷺ استعمل أبا بكر على الحج

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٧٨) (٤٤٤٨).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٦٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٠) (٣٠٤٧).

عام تسع، وهو أول حج كان في الإسلام من مدينة رسول الله ﷺ، ولم يكن قبله حج في الإسلام، إلا الحجة التي أقامها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أُمية من مكة؛ فإن مكة فتحت سنة ثمان، وأقام الحج ذلك العام عتاب بن أسيد، الذي استعمله النبي ﷺ على أهل مكة، ثم أمّر أبا بكر سنة تسع للحج، بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك، وفيها أَمَر أبا بكر بالمناداة في الموسم: {أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُريان}[(١)]. ولم يؤمِّر النبي ﷺ غير أبي بكر على مثل هذه الولاية؛ فولاية أبي بكر كانت من خصائصه، فإن النبي ﷺ لم يؤمِّر على الحج أحداً كتأمير أبي بكر، ولم يستخلف على الصلاة أحداً كاستخلاف أبي بكر، وكان عليٌّ من رعيته في هذه الحجة؛ فإنه لحقه فقال: {أمير أو مأمور؟ فقال عليّ: بل مأمور}[(٢)]. وكان عليّ يصلي خلف أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الولاية، ويأتمر لأمره كما يأتمر له سائر من معه، ونادى عليٌّ مع الناس في هذه الحجة بأمر أبي بكر.

وأما ولاية غير أبي بكر فكانت مما يشاركه فيها غيره، كولاية عليّ وغيره؛ فلم يكن لعليّ ولاية إلا ولغيره مثلها، بخلاف ولاية أبي بكر، فإنها من خصائصه، ولم يولِّ النبي ﷺ على أبي بكر لا أسامة بن زيد ولا عمرو بن العاص.

فأما تأمير أسامة عليه فمن الكذب المتفق على كذبه.

وأما قصة عمرو بن العاص، فإن النبي ﷺ كان أرسل عَمْراً في سرية، وهي غزوة ذات السلاسل، وكانت إلى بني عذرة، وهم أخوال عمرو، فأمَّر عمراً ليكون ذلك سبباً لإسلامهم، للقرابة التي له منهم. ثم أردفه بأبي عبيدة، ومعه أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين. وقال: {تطاوعا ولا تختلفا. فلما لحق عَمْراً قال: أصلّي

(١) سبق تخريجه.

(٢)أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤ / ١٩٠).

بأصحابي وتصلّي بأصحابك. قال: بل أنا أصلّي بكم؛ فإنما أنت مدد لي. فقال له أبو عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أطاوعك، فإن عصيتني أطعتك. قال: فإني أعصيك. فأراد عمرو أن ينازعه في ذلك، فأشار عليه أبو بكر أن لا يفعل}[1]. ورأى أبو بكر أن ذلك أصلح للأمر، فكانوا يصلّون خلف عمرو، مع علم كل أحدٍ أن أبا بكر وعُمَر وأبا عبيدة أفضل من عمرو.

وكان ذلك لفضلهم وصلاحهم؛ لأن عمراً كانت إمارته قد تقدّمت لأجل ما في ذلك من تألّف قومه الذين أُرسل إليهم لكونهم أقاربه. ويجوز تولية المفضول لمصلحة راجحة، كما أُمِّر أسامة بن زيد، ليأخذ بثأر أبيه زيد بن حارثة، لما قُتل في غزوة مؤتة. فكيف والنبي ﷺ لم يؤمِّر على أبي بكر أحداً في شيء من الأمور؟!

بل قد علم بالنقل العام المتواتر أنه لم يكن أحد عنده أقرب إليه ولا أخص به، ولا أكثر اجتماعاً به ليلاً ونهارًا، سرًّا وعلانية، من أبي بكر، ولا كان أحد من الصحابة يتكلم بحضرة النبي ﷺ قبله، فيأمر وينهي، ويخطب ويفتي، ويقرُّه النبي ﷺ على ذلك راضياً بما يفعل.

ولم يكن ذلك تقدماً بين يديه، بل بإذن منه قد عَلِمَه، وكان ذلك معونة للنبي ﷺ، وتبليغاً عنه، وتنفيذاً لأمره؛ لأنه كان أعلمهم بالرسول وأحبهم إلى الرسول واتبعهم له.

وأما قولهم: إنه لما أنفذه ببراءة ردّه بعد ثلاثة أيام؛ فهذا من الكذب المعلوم أنه كذب. فإن النبي ﷺ لما أمَّر أبا بكر على الحج، ذهب كما أمره، وأقام الحج في ذلك العام، عام تسع، للناس، ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى الحج، وأنفذ فيه ما أمره به

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ١٤٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٤).

النبي ﷺ؛ فإن المشركين كانوا يحجون البيت، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، وكان بين النبي ﷺ وبين المشركين عهود مطلقة، فبعث أبا بكر وأمره أن ينادي: {أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان}. فنادى بذلك من أمره أبو بكر بالنداء ذلك العام، وكان عليّ بن أبي طالب من جملة من نادى بذلك في الموسم بأمر أبي بكر، ولكن لما خرج أبو بكر أردفه النبي ﷺ بعليّ بن أبي طالب لينبذ إلى المشركين العهود.

قالوا: وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ولا يفسخها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته، فَبَعث عليًّا لأجل فسخ العهود التي كانت مع المشركين خاصة، لم يبعثه لشيء آخر؛ ولهذا كان عليّ يصلّي خلف أبي بكر، ويدفع بدفعه في الحج، كسائر رعية أبي بكر الذين كانوا معه في الموسم.

وكان هذا بعد غزوة تبوك، واستخلافه له فيها على من تركه بالمدينة، وقوله له: {أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟}.

ثم بعد هذا أمّر أبا بكر على الموسم، وأردفه بعليّ مأموراً عليه لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه. وكان هذا مما دلّ على أن عليًّا لم يكن خليفة له، إلا مدة مغيبه عن المدينة فقط. ثم أمَّر أبا بكر عليه عام تسع. ثم إنه بعد هذا بعث عليًّا وأبا موسى الأشعري ومُعاذًا إلى اليمن، فرجع عليّ وأبو موسى إليه، وهو بمكة في حجة الوداع، وكل منهما قد أهلَّ بإهلال النبي ﷺ. فأما معاذ فلم يرجع إلا بعد وفاة النبي ﷺ، في خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

شبهة أن أبا بكر استخلف عمر والنبي ﷺ لم يستخلف أحداً:

ومنها أن أبا بكر استخلف عمر والنبي ﷺ لم يستخلف أحداً، فقد خالف بهذا هدي النبي ﷺ!!

ويجاب على هذا بأن النبي ﷺ أشار إلى استخلاف أبي بكر، والإشارة إذ ذاك كالعبارة.

وفي زمن الصديق كثر المسلمون من العرب، وهم حديثو عهد بالإسلام وأهله فلا معرفة لهم بالرموز والإشارات، فلابد من التنصيص والعبارات، حتى لا تقع المنازعات والمشاجرات. وفي كل زمان رجال، ولكل مقام مقال.

وأيضاً عدم استخلاف النبي ﷺ إنما كان لعلمه عن طريق الوحي بخلافة الصديق كما ثبت في صحيح مسلم، والصديق لا يوحى إليه فعمل بالأصلح للأمة كما أدى إليه اجتهاده، ونعم ما عمل، فقد فتح الفاروق البلاد، ورفع قدر ذوي الرشاد، وأباد الكفار وأعان الأبرار.

شبهة قول الصديق رضي الله عنه : إن لي شيطاناً يعتريني:

ومنها: أن أبا بكر كان يقول: «إن لي شيطاناً يعتريني، فإن أستقمت فأعينوني، وإن زغت فقوموني». ومن هذا حاله لا يليق للإمامة.

ويجاب بأن هذا غير ثابت عندنا، فلا إلزام. بل الثابت أنه أوصى عمر قبل الوفاة فقال: «والله ما نمت فحلمت، وما شبهت فتوهمت، وإني لعلى السبيل ما زغت، ولم آل جهداً. وإني أوصيك بتقوى الله تعالى»(١) إلخ.

نعم قال في أول خطبة خطبها على ما في مسند الإمام أحمد: «يا أصحاب الرسول! أنا خليفة الرسول فلا تطلبوا مني الأمرين الخاصين بالنبي ﷺ: الوحي، والعصمة من الشيطان. وفي آخرها: إني لست معصوماً فإطاعتي فرض عليكم فيما وافق الرسول وشريعة الله تعالى من أمور الدين، ولو أمرتكم بخلافها فلا تقبلوه مني ونبهوني عليه». وهذا عين الإنصاف.

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤١٥).

ولما كان الناس معتادين عند المشكلات الرجوع إلى وحي إلهي وإطاعة النبي ﷺ كان لازماً على الخليفة التنبيه على الاختصاص بالجناب الكريم.

وأيضاً روي في (الكافي) للكليني في رواية صحيحة عن جعفر الصادق أن لكل مؤمن شيطاناً يقصد إغواءه، وفي الحديث المشهور ما يؤيد هذا أيضاً فقد قال ﷺ: {ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن. فقالت الصحابة: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن الله غلبني عليه لأسلم وآمن من شره} فأي طعن فيما ذكروه؟

والمؤمن يعتريه الشيطان بالوسوسة فينتبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف:٢٠١]. نعم إن النقصان في اتباع الشيطان، وهو بمعزل عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (.. منها ما رووه عن أبي بكر أنه قال على المنبر: «إن النبي ﷺ كان يعتصم بالوحي، وإن لي شيطاناً يعتريني، فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوموني. وكيف يجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه، مع أن الرعية تحتاج إليه؟!».

والجواب أن يقال: هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق رضي الله عنه وأدلها على أنه لم يكن يريد علواً في الأرض ولا فساداً، فلم يكن طالب رياسة، ولا كان ظالماً، وإنه إنما كان يأمر الناس بطاعة الله ورسوله، فقال لهم: «إن استقمت على طاعة الله فأعينوني عليها، وإن زغت عنها فقوّموني». كما قال أيضاً: «[أيها الناس] أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم».

والشيطان الذي يعتريه يعتري جميع بني آدم؛ فإنه ما من أحد إلا [وقد] وكَّل الله

به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن. والشيطان يجري من ابـن آدم مجـرى الـدم، كـما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: {ما من أحد إلا وقد وكَّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن. قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعـانني عليـه فأسـلم، فـلا يـأمرني إلا بخـير}(١). وفي الـصحيح عنـه قـال: {لما مرّ بـه بعـض الأنـصار وهـو يتحدث مع صفية ليلاً، قال: على رسلكما، إنها صفية [بنت حيي]. ثم قال: إني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شيئاً؛ إن الشيطان يجري مـن ابـن آدم مجرى الـدم}(٢). ومقصود الصديق بذلك: إني لست معصوماً كالرسول ﷺ. وهذا حق.

وقول القائل: كيف تجوز إمامـة مـن يـستعين عـلى تقويمـه بالرعيـة؟ كـلام جاهـل بحقيقة الإمامة. فإن الإمام ليس هو ربًّا لرعيته حتى يستغني عنهم، ولا هو رسول الله إليهم حتى يكون هو الواسطة بينهم وبين الله. وإنما هو والرعيـة شركـاء يتعـاونون هـم وهو على مصلحة الدين والدنيا؛ فلا بد له من إعانتهم، ولا بـد لهـم مـن إعانتـه، كـأمير القافلة الذي يسير بهم في الطريق: إن سلك بهم الطريق اتّبعوه، وإن أخطأ عن الطريـق نبّهوه وأرشدوه، وإن خرج عليهم صائل يـصول علـيهم تعـاون هـو وهـم عـلى دفعـه. لكن إذا كان أكملهم علماً وقدرة ورحمة كان ذلك أصلح لأحوالهم.

وكذلك إمام الصلاة إن استقام صـلُّوا بـصلاته، وإن سـها سـبَّحوا بـه فقوَّمـوه إذا زاغ. وكـذلك دليـل الحـاج إن مـشى بهـم في الطريـق مـشوا خلفـه، وإن غلـط قوَّمـوه. والناس بعد الرسول لا يتعلمون الدين من الإمام، بـل الأئمـة والأمـة كلهـم يتعلمـون الدين من الكتاب والسنة. ولهذا لم يأمر الله عند التنازع بـرد الأمـر إلى الأئمـة، بـل قـال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] الآية؛ فأمر بالرد عند التنـازع

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٣٥)، صحيح مسلم برقم (٢١٧٥).

إلى الله والرسول لا إلى الأئمة وولاة الأمور، وإنما أمر بطاعة ولاة الأمور تبعاً لطاعة الرسول. ولهذا قال النبي ﷺ: {إنما الطاعة في المعروف}[١]. وقال: {لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق}[٢]. وقال: {من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه}[٣].

وقول القائل: كيف تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه، مع أن الرعية تحتاج إليه؟

وهذا وارد في كل متعاونَيْن ومتشاركَيْن يحتاج كل منهما إلى الآخر، حتى الشركاء في التجارات والصناعات. وإمام الصلاة هو بهذه المنزلة؛ فإن المأمومين يحتاجون إليه، وهو يحمل عنهم السهو وكذلك القراءة عند الجمهور، وهو يستعين بهم إذا سها فينبهونه على سهوه ويقوّمونه، ولو زاغ في الصلاة فخرج عن الصلاة الشرعية لم يتَّبعوه فيها. ونظائره متعددة.

ثم يُقال: استعانة عليٍّ برعيته وحاجته إليهم كانت أكثر من استعانة أبي بكر، وكان تقويم أبي بكر لرعيته وطاعتهم له أعظم من تقويم عليّ لرعيته وطاعتهم له. فإن أبا بكر كانوا إذا نازعوه أقام عليهم الحجة حتى يرجعوا إليه، كما أقام الحجة على عمر في قتال مانعي الزكاة وغير ذلك، وكانوا إذا أمرهم أطاعوه. وعليّ رضي الله عنه لما ذكر قوله في أمهات الأولاد وأنه اتفق رأيه ورأي عمر على أن لا يُبعن، ثم رأى أن يُبعن، فقال له قاضيه عبيدة السلماني: «رأيك مع عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة». وكان يقول: «اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإني أكره الخلاف، حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي»[٤].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٤٠)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

(٢) رواه أحمد برقم (١٠٩٥).

(٣) رواه ابن ماجه برقم (٢٨٦٣).

(٤) رواه البخاري برقم (٣٧٠٧).

وكانت رعيته كثيرة المعصية له، وكانوا يشيرون عليه بالرأي الذي يخالفهم فيه، ثم يتبين له أن الصواب كان معهم. كما أشار عليه الحسن بأمور، مثل أن لا يخرج من المدينة دون المبايعة، وأن لا يخرج إلى الكوفة، وأن لا يقاتل بصفِّين، وأشار عليه أن لا يعزل معاوية، وغير ذلك من الأمور.

وفي الجملة فلا يشك عاقل أن السياسة انتظمت لأبي بكر وعمر وعثمان ما لم تنتظم لعليّ ﷺ، فإن كان هذا لكمال المتولِّي وكمال الرعية، كانوا هم ورعيتهم أفضل. وإن كان لكمال المتولِّي وحده، فهو أبلغ في فضلهم. وإن كان ذلك لفرط نقص رعية عليٍّ، كان رعية عليّ أنقص من رعية أبي بكر ﷺ وعمر وعثمان. ورعيته هم الذين قاتلوا معه، وأقرُّوا بإمامته، ورعية الثلاثة كانوا مقرِّين بإمامتهم. فإذا كان المقرّون بإمامة الثلاثة أفضل من المقرّين بإمامة عليّ، لزم أن يكون كل واحد من الثلاثة أفضل منه. وأيضاً فقد انتظمت السياسة لمعاوية ما لم تنتظم لعليّ، فيلزم أن تكون رعية معاوية خيراً من رعية عليّ.

والمعلوم باتفاق الناس أن الأمر انتظم للثلاثة ولمعاوية ما لم ينتظم لعليّ. فكيف يكون الإمام الكامل والرعية الكاملة - على رأيهم - أعظم اضطراباً وأقل انتظاماً من الإمام الناقص والرعية الناقصة؟ بل من الكافرة والفاسقة على رأيهم؟ ولم يكن في أصحاب عليّ من العلم والدين والشجاعة والكرم، إلا ما هو دون ما في رعية الثلاثة، فلم يكونوا أصلح في الدنيا ولا في الدين، ومع هذا فلم يكن للشيعة إمام ذو سلطان معصوم بزعمهم أعظم من عليّ، فإذا لم يستقيموا معه كانوا أن لا يستقيموا مع من هو دونه أَوْلى وأحرى، فعُلم أنهم شر وأنقص من غيرهم)(١).

(١) منهاج السنة (٥/ ٤٦١).

وتبيَّن حينئذ حاجة الأئمة إلى الأمة، وأن الصديق هو الذي قال الحق وأقام العدل أكثر من غيره.

شبهة قول عمر في خلافة الصديق: ألا إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقي الله المؤمنين شرها:

ومنها أنه روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «ألا إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المؤمنين شرها، فمن عاد بمثلها فاقتلوه».

قالوا: ويؤيد هذه الرواية رواية البخاري في صحيحه فقد دلت صراحة على أن بيعة أبي بكر قد وقعت بغتة بلا تأمل ولا مشورة، وإنها بغير تمسك بدليل، فلم يكن إماماً بحق.

والجواب: أن هذا الكلام صدر من عمر في زجر رجل كان يقول: إن مات عمر أبايع فلاناً وحدي أو مع آخر كما كان في مبايعة أبي بكر ثم استقر الأمر عليها، فمعنى كلام الفاروق في رد لهذا القول أن بيعة رجل أو رجلين شخصياً من غير تأمل سابق ومراجعة أهل الحل والعقد ليست بصحيحة، وبيعة أبي بكر وإن كانت فجأة بسبب مناقشة الأنصار وعدم وجود فرصة للمشورة فقد حلت محلها وصادفت أهلها للدلائل على ذلك والقرائن على ما هنالك كإمامة الصلاة ونحوها وهذا معنى «وقي الله المؤمنين شرها» فلا يقاس غيره به. وفي آخر هذه الرواية التي رواها الشيعة «وأيكم مثل أبي بكر» أي في الأفضلية والخيرية وعدم الاحتياج إلى المشورة. على أنه قد ثبت عند أهل السنة وصح أن سعد بن عبادة وأمير المؤمنين علياً والزبير قد بايعوه بعد تلك المناقشة واعتذروا له عن التخلف أول الأمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رداً على القول بأن بيعة أبي بكر فَلْتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه: (ولو كانت إمامته صحيحة لم يستحق

فاعلها القتل، فيلزم تطرق الطعن إلى عُمر. وإن كانت باطلة، لـزم الطعـن علـيهما معًـا.
والجواب: أن لفظ الحديث سيأتي. قال فيه: «فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنـما كانـت بيعـة أبي بكر فلتة فتمت. ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكن وقى اللهُ شرَّها، وليس فـيكم مـن تقطع إليه الأعناق مثـل أبي بكـر». ومعنـاه أن أبـا بكـر بـودر إليهـا مـن غـير تريـث ولا انتظار، لكونه كان متعيّناً لهذا الأمر. كما قال عمر: «ليس فيكم من تُقطع إليـه الأعنـاق مثل أبي بكر». وكان ظهور فضيلة أبي بكر على من سـواه، وتقـديم رسـول الله ﷺ لـه على سائر الصحابة أمراً ظاهراً معلوماً. فكانت دلالة النصوص عـلى تعيينـه تُغنـي عـن مـشاورة وانتظـار وتريـث، بخـلاف غـيره؛ فإنـه لا تجـوز مبايعتـه إلا بعـد المـشاورة والانتظار والتريث، فمن بايع غير أبي بكر عـن غـير انتظـار وتـشاور لم يكـن لـه ذلـك.
وهذا قد جاء مفسَّراً في حديث عمر هذا في خطبته المشهورة الثابتـة في الـصحيح، التـي خطب بها مرجعه من الحج في آخر عمره. وهذه الخطبة معروفة عند أهـل العلـم، وقـد رواها البخاري في صحيحه عن ابن عباس، قال: {كنت أقرئ رجـالاً مـن المهـاجرين: منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجـة حجّهـا، إذ رجـع إليَّ عبـد الـرحمن بـن عـوف، فقـال: لـو رأيـت رجـلاً أتـى أمـير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لـك في فـلان يقـول: لـو قـد مـات عمـر لقـد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت؟ فغضب عمر ثـم قـال: إني إن شـاء الله لقـائم العـشية في النـاس فمحـذّرهم هـؤلاء الـذين يريـدون أن يغـصبوهم أمورهم. فقال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل؛ فإن الموسـم يجمـع رعـاع الناس وغوغاءهم، وإنهـم هـم الـذين يغلبـون عـلى قربـك حـين تقـوم في النـاس، وأنـا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها عنك كـل مطيِّر، وأن لا يعوهـا، وأن لا يـضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقـه

وأشراف الناس، فتقول مقالتك متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها. فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجّلت بالرواح حين زاغت الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسًا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد [بن عمرو بن نفيل]: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف. فأنكر عليَّ، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد، فإني قائل لكم مقالة قد قُدِّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يَدَيْ أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ. إن الله بعث محمّداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: [والله] ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. والرجم في كتاب الله حق على من زنى [إذا أُحصن] من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحَبَل أو الاعتراف. ثم إنّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: [أن] لا ترغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ألا إن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله. ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله! لو مات عمر لبايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وَقَى شرَّها، وليس فيكم من تُقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر. من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرَّة أن يقتلا، وإنه قد كان

من خبرنا حين توفّى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر. فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقالا: لا عليكم أن [لا] تقربوهم. اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينَّهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة. فإذا رجل مزَمَّل بين ظهرانيهم. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك. فلما جلسنا قليلاً تشهّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط. وقد دفّت دافّة من قومكم، [فإذا هم] يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدّيْ أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رِسْلِك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر. والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها، حتى سَكَت. فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا. فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقَدَّم فتُضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلاّ أن تسوِّل لي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلها المُحَكَّك وعُذَيْقها المرجَّب. منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى فَرِقْتُ من الاختلاف. فقلت:

ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل [منهم]: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنَّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةً، أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرّه أن يقتلا}[1]. قال مالك: وأخبرني ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن الرجلين اللذين لقياهما: عويمر بن ساعدة ومعن بن عديّ - وهما ممن شهد بدراً - قال ابن شهاب: وأخبرني سعيد بن المسيب: أن الذي قال: أنا جذيلها المحكك وعُذيقها المرجَّب: الحُبَابُ بن المنذر.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها {أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قال: وقال عمر: والله ما كان يقع في قلبي إلا ذاك - وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فكشف عن رسول الله ﷺ [فقبّله]، فقال: بأبي وأمي، طبت حيًّا وميتاً، والذي نفسي بيده: لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رِسْلِك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت. وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر:٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٤] قال: فنشج الناس يبكون، واجتمعت

(١) صحيح البخاري برقم (٦٨٣٠).

الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة. فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجرّاح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيّأت كلاماً قد أعجبني، خشيت أن لا يّبْلُغُه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حُباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعُوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر: قتله الله}(١). وفي صحيح البخاري عن عائشة في هذه القصة قالت: {ما كان من خطبتهما من خطبة إلاَّ نفع الله بها، لقد خوَّف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً، فردّهم الله بذلك، ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهُدَى، وعرَّفهم الحق الذي عليهم}(٢). وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك: {أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ، فتشهَّد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرَنَا، يريد بذلك أن يكون أخرهم؛ فإن يكن محمد قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به، به هدى الله محمداً، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين، وإنه أَوْلى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايِعُوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر}(٣). وعنه قال: سمعت عمر يقول

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٢١٩).

لأبي بكر يومئذ: {اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد [المنبر]، فبايعه الناس عامة}[(١)].
وفي طريق أخرى لهذه الخطبة: {أما بعد فاختار الله لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله، فخذوا به تهتدوا، لما هدى الله به رسوله ﷺ}[(٢)(٣)].

ورد آخر: ومعنى قول عمر: (فلتة) أي: فجأة دون استعداد لها ومن دون أن يتهيئوا لها فوقى الله شرها، أي: فتنتها، وعلل لذلك بقوله مباشرة: «وليس فيكم من تُقطعُ الأعناق إليه مثل أبي بكر» أي: ليس فيكم من يصل إلى منزلة أبي بكر وفضله، فالأدلة عليه واضحة، واجتماع الناس إليه لا يحوزها أحد غيره.

يقول الخطابي رحمه الله: (يريد أن السابق منكم الذي لا يلحق في الفضل لا يصل إلى منزلة أبي بكر، فلا يطمع أحد أن يقع له مثل ما وقع لأبي بكر من المبايعة له أولاً في الملأ اليسير ثم اجتماع الناس عليه وعدم اختلافهم عليه لما تحققوا من استحقاقه، فلم يحتاجوا في أمره إلى نظر ولا إلى مشاورة أخرى، وليس غيره في ذلك مثله)[(٤)].

وكان سبب قول عمر هذا أنه علم أنّ أحدهم قال: (لو مات عمر لبايعت فلاناً) أي: يريد أن يفعل كما حدث لأبي بكر، ويتعذّر بل يستحيل أن يجتمع الناس على رجل كاجتماعهم على أبي بكر، فمن أراد أن ينفرد بالبيعة دون ملأ من المسلمين فسيعرّض نفسه للقتل، وهذا هو معنى قول عمر: «تغرةً أن يقتلا» أي: من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرّضهما للقتل. السبب: قول عمر: وليس فيكم من تُقطعُ الأعناق إليه مثل أبي بكر.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) صحيح البخاري برقم (٧٢٦٩).
(٣) منهاج السنة (٥/ ٤٧٠-٤٨١).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٥٠).

شبهة قول الصديق: إني لست بخير منكم، وعلي فيكم:

ومنها أن أبا بكر كان يقول للصحابة: «إني لست بخير منكم، وعلي فيكم». فإن كان صادقاً في هذا القول لم يكن لائقاً للإمامة البتة، إذ المفضول لا يليق مع وجود الفاضل. وإن كان كاذباً فكذلك الكاذب فاسق والفاسق لا يصلح للإمامة.

والجواب على فرض التسليم من قبلهم لما ثبت في الصحيفة الكاملة وهي من الكتب الصحيحة عند الشيعة من قول الإمام السجاد ﷺ: «أنا الذي أفنت الذنوب عمره... إلخ» فإن كان صادقاً بهذا الكلام لم يكن لائقاً للإمامة، لأن المرتكب للذنوب لا يصلح للإمامة وهو مناف للعصمة، وكذا إن كان كاذباً، لما مر.

فما هو جوابهم في ذلك فهو جوابنا.

شبهة قول الصديق: أقيلوني أقيلوني:

وزاد بعض الشيعة على قول: «إني لست بخير منكم» لفظ «أقيلوني أقيلوني» فاعترض على هذا بأن أبا بكر قد استعفى عن الإمامة فلا يكون قابلاً لها.

والجواب – على فرض تسليمه – بما يجاب عما صح في كتب الشيعة من أن الأمير لم يكن يقبل الخلافة بعد شهادة عثمان إلا بعد أن كثر إلحاح المهاجرين والأنصار، على أنه لو صح ذلك عن أبي بكر لكان دليلاً على عدم طمعه وحبه للرياسة والإمام بل إن الناس قد أجبروه على قبولها.

وقال ابن تيمية رداً على القول (بأن أقيلوني فلست بخيركم، وعليٌّ فيكم. فإن كانت إمامته حقًّا كانت استقالته منها معصية، وإن كانت باطلة لزم الطعن).

قال: (والجواب: أن هذا كذب، ليس في شيء من كتب الحديث، ولا له إسناد معلوم. فإنه لم يقل: «وعليٌّ فيكم» بل الذي ثبت عنه في الصحيح أنه قال يوم السقيفة:

«بايعوا أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح. فقال له عمر: بل أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. قال عمر: كنت والله لأن أُقدَّم فتُضرب عنقي، لا يقرّبني ذلك إلى إثم، أحب إليّ من تأمُّري على قوم فيهم أبا بكر»(١). ثم لو قال: (وعليٌّ فيكم) لاستخلفه مكان عمر؛ فإن أمره كان مطاعاً.

وأما قوله: «إن كانت إمامته حقًّا كانت استقالته منها معصية». فيقال: إن ثبت أنه قال ذلك، فإن كونها حقًّا إما بمعنى كونها جائزة، والجائز يجوز تركه. وإما بمعنى كونها واجبة إذا لم يولّوا غيره ولم يقيلوه. وأما إذا أقالوه وولُّوا غيره لم تكن واجبة عليه. والإنسان قد يعقد بيعاً أو إجارة، ويكون العقد حقًّا، ثم يطلب الإقالة، وهو لتواضعه وثقل الحمل عليه قد يطلب الإقالة، وإن لم يكن هناك من هو أحق بها منه. وتواضع الإنسان لا يسقط حقه)(٢).

شبهة جهل الصديق ببعض المسائل الشرعية:

ومنها قال الطاعنون: أن أبا بكر ما كان يعلم بعض المسائل الشرعية، فقد أمر بقطع يد السارق اليسرى، وأحرق لوطياً، ولم يعلم مسألة الجدة والكلالة، فلا يكون لائقاً للإمامة، فالعلم بالأحكام الشرعية من شروط الإمامة بإجماع الفريقين.

الجواب عن الأمر الأول أن قطع يد السارق اليسرى في السرقة الثالثة موافق للحكم الشرعي.

فقد روى الإمام محيي السنة البغوي في (شرح السنة) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في حق السارق: {إن سرق فأقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فأقطعوا رجله}(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) منهاج السنة (٥/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٣) شرح السنة (١٠/ ٣٢٦).

قال البغوي رحمه الله: (اتفق أهل العلم على أن السارق أول مرة تقطع يده اليمنى، ثم إذا سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى، ثم إذا سرق ثالثاً تقطع يده اليسرى بناء على قول الأكثر، ثم إذا سرق رابعاً تقطع رجله اليمنى ثم إذا سرق بعده يعزر ويحبس)[1].

والذي قطع أبو بكر يده اليسرى كان في المرة الثالثة فحكمه موافق لحكمه صلى الله عليه وسلم.

والجواب عن الثاني أن الصديق لم يحرق أحداً في حال الحياة، بل الرواية الصحيحة إنما جاءت عن سويد عن أبي ذر أنه أمر بلوطي فضربت عنقه ثم أمر به فأحرق، وإحراق الميت لعبرة الناس جائز كالصلب، ولذلك فإن الميت لا تعذيب له بمثل هذه الأمور لعدم الحياة.

وعلى فرض التسليم، فالذي يجيبون به عن إحراق علي لبعض الزنادقة فهو جوابنا، وقد ثبت ذلك في كتبهم، فقد روى المرتضى الملقب عندهم بعلم الهدى في كتاب (تنزيه الأنبياء والأئمة) أن علياً أحرق رجلاً أتى غلاماً في دبره[2].

والجواب عن الثالث أن هذا الطعن لا يوجب إلزام أهل السنة، إذ العلم بجميع الأحكام بالفعل ليس شرطاً في الإمامة عندهم، بل الاجتهاد.

ولما لم تكن النصوص مدونة في زمنه ولا روايات الأحاديث مشهورة في أيام خلافته استشار الصحابة.

قال في (شرح التجريد): (أما مسألة الجدة والكلالة فليست بدعاً من المجتهدين، إذ يبحثون عن مدارك الأحكام ويسألون من أحاط بها علماً، ولهذا رجع علي في بيع أمهات الأولاد إلى قول عمر، وذلك لا يدل على عدم علمه، بل هذا التفحص

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تنزيه الأنبياء (ص٢١١).

والتحقيق يدل على أن أبا بكر الصديق كان يراعي في أحكام الدين كمال الاحتياط ويعمل في قواعد الشريعة بشرائط الاهتمام التام)[1].

ولهذا لما أظهر المغيرة مسألة الجدة سأله: هل معك غيرك؟ وإلا فليس التعدد شرطاً في الرواية، فهذا الأمر في الحقيقة منقبة عظمى له.

وقد روى عبد الله بن بشر أن علياً سئل عن مسألة فقال: (لا علم لي بها).

جواب آخر: أن قول القائل: إن أبا بكر يجهلُ هذا، من أظهر الكذب. ولو قُدِّر أن أبا بكر كان يجيز ذلك، لكان ذلك قولاً سائغاً؛ لأن القرآن ليس في ظاهره ما يعيِّن اليمين، لكن تعيين اليمين في قراءة ابن مسعود: (فاقطعوا أيمانهما) وبذلك مضت السنة.

ولكن أين النقل بذلك عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قطع اليسرى؟ وأين الإسناد الثابت بذلك؟ وهذه كتب أهل العلم بالآثار موجودة ليس فيها ذلك، ولا نقل أهل العلم بالاختلاف ذلك قولاً، مع تعظيمهم لأبي بكر رضي الله عنه.

رد آخر على زعمهم: أنه لو كان أهلاً للخلافة لما قال لهم: «أقيلوني أقيلوني» لأن الإنسان لا يستقيل من الشيء إلا إذا لم يكن أهلاً له.

وجوابها: منع الحصر فيما عللوا به، فهو من مفترياتهم، وكم وقع للسلف والخلف التورع عن أمورهم لها أهل وزيادة، بل لا تكمل حقيقة الورع والزهد إلا بالإعراض عما تأهل له المعرض، وأما مع عدم التأهل فالإعراض واجب ولا يدخل في الزهد، ثم سببه هنا أنه إما خشي من وقوع عجز منه عن استيفاء الأمور على وجهها الذي يليق بكماله له، أو أنه قصد بذلك استبانة ما عندهم، وأنه هل فيهم من يود عزله فأبرز ذلك

---

(١) نقلاً عن مختصر التحفة الاثني عشرية (ص٢٤٧).

كذلك، فرآهم جميعهم لا يودون ذلك، أو أنه خشي أن يصدق عليه لعنه ﷺ لإمام قوم وهم له كارهون، فاستعلم أنه هل فيهم أحد يكرهه أو لا، والحاصل أن زعم ذلك يدل على عدم أهليته غاية في الجهالة والغباوة والحمق فلا ترفع بذلك رأساً.

شبهة حرق الصديق للفجاءة:

وقال الطاعن: (وأحرق الفجاءة السلمي بالنار، وقد نهى النبي ﷺ عن الإحراق بالنار).

الجواب: أن الإحراق بالنار عن عليّ أشهر وأظهر منه عن أبي بكر. [وأنه قد ثبت] في الصحيح {أن عليًّا أُتِيَ بقوم زنادقة من غلاة الشيعة، فحرَّقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرّقهم بالنار، لنهي النبي ﷺ أن يُعَذَّب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم، لقول النبي ﷺ: من بدَّل دينه فاقتلوه}(١).

فعليّ حرق جماعة بالنار. فإن كان ما فعله أبو بكر منكراً، ففعل عليّ أنكر منه، وإن كان فعل عليّ مما لا يُنكر مثله على الأئمة، فأبو بكر أَوْلى أن لا يُنكر عليه.

شبهة خفاء أكثر أحكام الشريعة على أبي بكر:

وقال: (وخَفِيَ عليه أكثر أحكام الشريعة، فلم يعرف حكم الكلالة، وقال: أقول فيها برأيي، فإن يكُ صواباً فمن الله، وإن يكُ خطأً فمني ومن الشيطان. وقضى في الجد بسبعين قضية. وهو يدل على قصوره في العلم).

والجواب: أن هذا من أعظم البهتان. كيف يخفى عليه أكثر أحكام الشريعة، ولم يكن بحضرة النبي ﷺ من يقضي ويُفتي إلا هو؟! ولم يكن النبي ﷺ أكثر مشاورة لأحدٍ من أصحابه منه له ولعمر. ولم يكن أحدٌ أعظم اختصاصاً بالنبي ﷺ منه ثم

---

(١) سبق تخريجه.

عمر. وقد ذكر غير واحد، مثل منصور بن عبد الجبّار السمعاني وغيره، إجماع أهل العلم على أن الصدِّيق أعلم الأمة. وهذا بيِّنٌ، فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصَّلها هو بعلم يبيِّنه لهم، وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة. كما بيَّن لهم موت النبي ﷺ، وتثبيتهم على الإيمان، وقراءته عليهم الآية، ثم بيَّن لهم موضع دفنه، وبيَّن لهم قتال مانعي الزكاة [لما استراب فيه عمر]، وبيَّن لهم أن الخلافة في قريش في سقيفة بني ساعدة، لمّا ظن من ظن أنها تكون في غير قريش. وقد استعمله النبي ﷺ على أول حجة حجت من مدينة النبي ﷺ. وعِلْـمُ المناسك أدقّ ما في العبادات، ولولا سعة علمه بها لم يستعمله. وكذلك الصلاة استخلفه فيها، ولولا علمه بها لم يستخلفه. ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة.

وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ أخذه أنس من أبي بكر. وهو أصح ما رُوي فيها، وعليه اعتمد الفقهاء. وفي الجملة لا يُعرف لأبي بكر مسألة من الشريعة غلط فيها، وقد عُرف لغيره مسائل كثيرة، كما بسط في موضعه.

وقد تنازعت الصحابة بعده في مسائل: مثل الجد والإخوة، ومثل العمريتين، ومثل العَوْل، وغير ذلك من مسائل الفرائض. وتنازعوا في مسألة الحرام، والطلاق الثلاث بكلمة، والخلية، والبرية، والبتّة، وغير ذلك من مسائل الطلاق.

وكذلك تنازعوا في مسائل صارت مسائل نزاع بين الأمة إلى اليوم. وكان تنازعهم في خلافة عمر نزاع اجتهاد محض: كل منهم يقرُّ صاحبه على اجتهاده، كتنازع الفقهاء أهل العلم والدين.

وأما في خلافة عثمان فقوي النزاع في بعض الأمور، حتى صار يحصل كلام غليظ من بعضهم لبعض. ولكن لم يقاتل بعضهم بعضاً باليد ولا بسيف ولا غيره.

وأما في خلافة عليّ فتغلّظ النزاع، حتى تقاتلوا بالسيوف.

وأما في خلافة أبي بكر فلم يُعلم أنه استقر بينهم نزاع في مسألة واحدة من مسائل الدين. وذلك لكمال علم الصدِّيق وعدله ومعرفته بالأدلة التي تزيل النزاع، فلم يكن يقع بينهم نزاع إلا أظهر الصديق من الحجة التي تفصل النزاع ما يزول معها النزاع. وكان عامة الحجج الفاصلة للنزاع يأتي بها الصدِّيق ابتداءً، وقليل من ذلك يقوله عمر أو غيره، فيقرُّه أبو بكر الصديق.

وهذا مما يدلّ على أن الصديق ورعيته أفضل من عمر ورعيته، وعثمان ورعيته، وعليّ ورعيته؛ فإن أبا بكر ورعيته أفضل الأئمة والأمة بعد النبي ﷺ.

ثم الأقوال التي خُولف فيها الصدِّيق بعد موته، قوله فيها أرجح من قول من خالفه بعد موته. وطَرْدُ ذلك الجد والإخوة؛ فإن قول الصدِّيق وجمهور الصحابة وأكابرهم أنّه يُسقط الإخوة، وهو قول طوائف من العلماء، وهو مذهب أبي حنيفة، وطائفة من أصحاب الشافعي وأحمد، كأبي العباس بن سُرَيْج من الشافعية، وأبي حفص البرمكي من الحنابلة، ويُذكر ذلك رواية عن أحمد.

والذين قالوا بتوريث الإخوة مع الجد، كعليّ وزيد وابن مسعود، اختلفوا اختلافاً معروفاً، وكل منهم قال قولاً خالفه فيه الآخر، وانفرد بقوله عن سائر الصحابة، فقول الصدِّيق وجمهور الصحابة هو الصواب، وهو القول الراجح الذي تدلّ عليه الأدلة الشرعية من وجوه كثيرة، [ليس هذا موضع بسطها].

وكذلك ما كان عليه الأمر في زمن صدّيق الأمة رضي الله عنه من جواز فسخ الحج إلى العمرة بالتمتع، وأن من طلَّق ثلاثاً بكلمة واحدة لا يلزمه إلا طلقة واحدة هو الراجح، دون من يحرِّم الفسخ ويُلزم بالثلاث؛ فإن الكتاب والسنة إنما يدل على ما كان عليه الأمر في عهد النبي ﷺ وخلافة أبي بكر، دون القول المخالف لذلك.

ومما يدل على كمال حال الصدِّيق، وأنه أفضل من كل من وَلِيَ الأمة، بل وممن وَلِيَ غيرها من الأمم بعد الأنبياء، أنه من المعلوم أن رسول الله ﷺ أفضل الأوَّلين والآخرين، وأفضل من سائر الخلق من جميع العالمين. وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: {كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيّ خلفه نبيّ، وإنه لا نبيّ بعدي، وسيكون خلفاء ويكثرون. قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول فالأول}[1].

ومن المعلوم أنَّه من تولَّى بعد الفاضل إذا كان فيه نقص كثير عن سياسة الأول، ظهر ذلك النقص ظهوراً بيّناً. وهذا معلوم من حال الولاة إذا تولّى مِلك بعد ملك، أو قاضٍ بعد قاض، أو شيخ بعد شيخ، أو غير ذلك؛ فإن الثاني إذا كان ناقص الولاية نقصاً بيِّناً ظهر ذلك فيه، وتغيرت الأمور التي كان الأول قد نظَّمها وألّفها. ثم الصدِّيق تولَّى بعد أكمل الخلق سياسة، فلم يظهر في الإسلام نقص بوجه من الوجوه، بل قاتل المرتدّين حتى عاد الأمر إلى ما كان [عليه]، وأدخل الناس في الباب الذي خرجوا منه، ثم شرع في قتال الكفّار من أهل الكتاب، وعلَّم الأمة ما خفِيَ عليهم، وقوّاهم لّما ضعفوا، وشجّعهم لما جبنوا، وسار فيهم سيرة توجب صلاح دينهم ودنياهم، فأصلح الله بسببه الأمة في علمهم وقدرتهم ودينهم، وكان ذلك مما حفظ الله به على الأمة دينها، وهذا مما يحقق أنه أحقّ الناس بخلافة رسول الله ﷺ.

وأما قولهم: (لم يعرف حكم الكلالة حتى قال فيها برأيه). فالجواب: أن هذا من أعظم علمه. فإن هذا الرأي الذي رآه في الكلالة قد اتفق عليه جماهير العلماء بعده؛ فإنهم أخذوا في الكلالة بقول أبي بكر، وهو من لا ولد له ولا والد، والقول بالرأي هو

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٥٥)، ومسلم برقم (١٨٤٢).

معروف عن سائر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، لكن الرأي الموافق للحق هو الذي يكون لصاحبه أجران، كرأي الصدِّيق، فإن هذا خير من الرأي الذي غاية صاحبه أن يكون له أجر واحد.

وقد قال قيس بن عُبَاد لعليّ: «أرأيت مسيرك هذا: ألعهد عهده إليك رسول الله ﷺ، أم رأي رأيته؟ فقال: بل رأي رأيته»[1]. رواه أبي داود وغيره.

فإذا كان مثل هذا الرأي الذي حصله به من سفك الدماء ما حصل، لا يمنع صاحبه أن يكون إماماً، فكيف بذلك الرأي الذي اتفق جماهير العلماء على حسنه.

وأما ما ذكره من قضائه في الجد بسبعين قضية، فهذا كذب. وليس هو قول أبي بكر، ولا نُقل هذا عن [أبي بكر]، بل نَقْلُ هذا عن أبي بكر يدل على غاية جهل هؤلاء الطاعنين وكذبهم، ولكن نَقَل بعض الناس عن عمر أنه قضى في الجد بسبعين قضية، ومع هذا هو باطل عن عمر؛ فإنه لم يمت في خلافته سبعون جداً كلٌّ منهم كان لابن ابنه إخوة، وكانت تلك الوقائع لا تحتمل سبعين قولاً مختلفة، بل هذا الاختلاف لا يحتمله كل جد في العالم، فعُلم أن هذا كذب.

وأما مذهب أبي بكر في الجد؛ فإنه جعله أباً، وهو قول بضعة عشر من الصحابة، وهو مذهب كثير من الفقهاء [كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب الشافعي وأحمد، كأبي حفص البرمكي، ويُذكر رواية عن أحمد] كما تقدم، وهو أظهر القولين في الدليل.

ولهذا يُقال: لا يُعرف لأبي بكر خطأ في الفُتيا، بخلاف غيره من الصحابة؛ فإن قوله في الجد أظهر القولين. والذين ورَّثوا الإخوة مع الجد، وهم عليّ وزيد وابن مسعود وعمر، في إحدى الروايتين عنه، تفرَّقوا في ذلك. وجمهور الفقهاء على قول

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٦٦٦).

زيد، وهو قول مالك والشافعي وأحمد، فالفُقَهَاءُ في الجَدِّ: إما على قول أبي بكر، وإما على قول زيد الذي أمضاه عمر. ولم يذهب أحد من أئمة الفُتيا إلى قول عليّ في الجد. وذلك مما يبين أن الحق لا يخرج عن أبي بكر وعمر؛ فإن زيداً قاضِي عمر، مع أن قول أبي بكر أرجح من قول زيد.

وعمر كان متوقفاً في الجد، وقال: {ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ بيّنهنّ لنا: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا}(١).

والأدلة على صحة ما ذهب إليه أبو بكر: أن الله تعالى سمَّى الجد أبًا في غير موضع من كتابه، كما قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧]، وقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨]. وقد قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ في غير موضع.

وإذا كان ابن الابن ابناً، كان أبو الأب أبًا، ولأن الجدّ يقوم مَقَام الأَبِ في غير مورد النزاع، فإنه يسقط ولد الأم كالأب، ويقدّم على جميع العصبات سوى البنين كالأب، ويأخذ مع الولد السدس كالأب، ويُجمع له بين الفرض والتعصيب مع البنات كالأب.

وأمَّا في العُمَرِيَّتَين زوج وأبوين، وزوجة وأبوين؛ فإن الأم تأخذ ثلث الباقي، والباقي للأب، ولو كان معها جد لأخذت الثلث كله عند جمهور الصحابة والعلماء، إلا ابن مسعود؛ لأن الأم أقرب من الجد، وإنما الجدّة نظير الجد، والأم تأخذ مع الأب الثلث، والجدّة لا تأخذ مع الجد إلا السدس، وهذا مما يقوى به الجد، ولأن الإخوة مع الجد الأدنى، كالأعمام مع الجد الأعلى.

وقد اتفق المسلمون على أن الجد الأعلى يقدّم على الأعمام، فكذلك الجد الأدنى

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٥٨٨)، ومسلم برقم (٣٠٣٢).

يقدم على الإخوة، لأن نسبة الإخوة إلى الجد الأدنى، كنسبة الأعمام إلى الجد الأعلى، ولأن الإخوة لو كانوا لكونهم بني الأب يشاركون الجد، لكان بنو الإخوة كذلك، كما يقوم بنو البنين مقام آبائهم. ولما كان بنو الإخوة لا يشاركون الجد، كان آباؤهم الإخوة كذلك، وعكسه البنون: لما كان الجد يفرض له مع البنين، فُرض له مع بني البنين.

وأما الحجة التي تُروى عن عليٍّ وزيد في أن الإخوة يشاركون الجد، حيث شبَّهوا ذلك بأصل شجرة خرج منها فرع، خرج منه غصنان، فأحد الغصنين أقرب إلى الآخر منه إلى الأصل، وبنهرٍ خرج منه نهر آخر، ومنه جدولان، فأحدهما إلى الآخر أقرب من الجدول إلى النهر الأول. فمضمون هذه الحجة أن الإخوة أقرب إلى الميت من الجد.

ومن تدبّر أصول الشريعة علم أن حجة أبي بكر وجمهور الصحابة لا تعارضها هذه الحجة؛ فإن هذه لو كانت صحيحة لكان بنو الأخ أَوْلى من الجد، ولكان العم أَوْلى من جد الأب. فإن نسبة الإخوة من الأب إلى الجد أبي الأب، كنسبة الأعمام بني الجد إلى الجد الأعلى جد الأب فلما أجمع المسلمون على أن الجد الأعلى أَوْلى من الأعمام، كان الجد الأدنى أَوْلى من الإخوة. وهذه حجة مستقلة تقتضي ترجيح الجد على الإخوة.

وأيضاً فالقائلون بمشاركة الإخوة للجد لهم أقوال متعارضة متناقضة، لا دليل على شيء منها، كما يَعْرف ذلك من يعرف الفرائض، فعُلم أن قول أبي بكر في الجد أصح الأقوال، كما أن قوله غالباً أصح الأقوال(١).

وقال الطاعن: (فأي نسبة له بمن قال: سَلُوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فإني أعرف بها من طرق الأرض، قال أبو البحتري: رأيت عليًّا صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله ﷺ، متقلدًا بسيف رسول الله ﷺ، متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ، وفي إصبعه خاتم رسول الله ﷺ فقعد على المنبر، وكشف عن

(١) منهاج السنة (٥/ ٤٩٧-٥٠٦).

بطنه، فقال: سلوني [من] قبل أن تفقدوني، فإنما بين الجوانح مني علم جم، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ، هذا ما زقَّني رسول الله ﷺ زقًّا من غير وحيٍ إليّ، فوالله! لو ثُنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى يُنطق الله التوراة والإنجيل فتقول: صدق عليّ، قد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون).

والجواب: أما قول عليّ: (سلوني) فإنما كان يخاطب بهذا أهل الكوفة ليعلّمهم العلم والدين؛ فإن غالبهم كانوا جُهَّالاً لم يدركوا النبي ﷺ. وأما أبو بكر فكان الذين حول منبره هم أكابر أصحاب النبي ﷺ، الذين تعلّموا من رسول الله ﷺ العلم والدين، فكانت رعية أبي بكر أعلم الأمة وأَدْيَنها. وأما الذين كان عليّ يخاطبهم فهم من جملة عوام الناس التابعين، وكان كثير منهم من شرار التابعين. ولهذا كان عليّ رضي الله عنه يذمّهم ويدعو عليهم، وكان التابعون بمكة والمدينة والشام والبصرة خيرًا منهم.

وقد جمع الناس الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، فوجدوا أَصْوَبَها وأدلّها على علم صاحبها أمور أبي بكر ثم عمر. ولهذا كان ما يُوجد من الأمور التي وُجد نصٌّ يخالفها عن عمر أقل مما وُجد عن عليّ، وأما أبو بكر فلا يكاد يوجد نصّ يخالفه، وكان هو الذي يفصل الأمور المشتبهة عليهم، ولم يكن يُعرف منهم اختلاف على عهده. وعامة ما تنازعوا فيه من الأحكام كان بعد أبي بكر.

والحديث المذكور عن عليّ كذب ظاهر لا تجوز نسبة مثله إلى عليّ؛ فإن عليًّا أعلم بالله وبدين الله من أن يحكم بالتوراة والإنجيل، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله في القرآن. وإذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا بينهم إلا بما أنزل الله في القرآن.

وإذا كان من المعلوم بالكتاب والسنة والإجماع، أن الحاكم بين اليهود والنصارى لا يجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمد، سواء وافق ما بأيديهم من التوراة والإنجيل أو لم يوافقه، كان من نسب عليًّا إلى أنه يحكم بالتوراة والإنجيل بين اليهود والنصارى، أو يفتيهم بذلك، ويمدحه بذلك: إما أن يكون من أجهل الناس بالدين، وبما يُمدح به صاحبه، وإما أن يكون زنديقاً ملحداً أراد القدح في عليّ بمثل هذا الكلام الذي يستحق صاحبه الذم والعقاب، دون المدح والثواب.

شبهة تأخر بيعة علي للصديق رضي الله عنهما:

ومن هذه الشبهات الاستشهاد بالروايات التي تتحدث عن تأخر علي عن بيعة الصديق رضي الله عنهما إلى ما بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها.

فالرد: هذه البيعة التي ذكرها المحاضر هي البيعة الثانية لعلي رضي الله عنه وذلك أن علياً رضي الله عنه بايع أبا بكر بيعتين:

الأولى: بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والثانية: بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها.

ومن هنا جاء الالتباس، فظن البعض أن علياً لم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة، رضوان الله عليهم أجمعين؛ وفي ذلك يقول ابن كثير رحمه الله: (ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية، اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها فنفى ذلك، والمثبت مقدم على النافي كما هو مقرر، والله أعلم)(1).

أما البيعة الأولى فقد أخرجها الحاكم والبيهقي، وفيما يلي نصها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: {لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٨٦).

يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان، أحدهما منكم، والآخر منا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ. فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا. فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه. ثم لم ير الزبير بن العوام فسأله عنه حتى جاؤوا به. فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعاه}(١).

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

وقال البيهقي: (قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث: فكتبته له في رقعة وقرأته عليه فقال: هذا حديث يسوى بدنة، فقلت: يسوى بدنة، بل يسوى بدرة!)(٢).

وقال ابن كثير: (هذا إسناد صحيح)(٣).

وهنا توجب سؤال عن سبب تجديد علي رضي الله عنه البيعة لأبي بكر رضي الله عنه ؟

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٨٠) (٤٤٥٧)، سنن البيهقي الكبرى برقم (١٦٣١٥).

(٢) سنن البيهقي الكبرى برقم (١٦٣١٦).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٤٩).

وجواب ذلك أن فاطمة رضي الله عنها كانت أشد الناس توجعاً لوفاة رسول الله ﷺ، حيث حزنت لفراق والدها ﷺ حزناً شديداً، وأخذت تذبل - رضوان الله عليها - من جراء ذلك يوماً بعد يوم، حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير عن توجع فاطمة رضي الله عنها: (ويقال: إنها لم تضحك في مدة بقائها بعده عليه السلام، وأنها كانت تذوب من حزنها عليه، وشوقها إليه)[(١)].

وقد أدى ذلك إلى كثرة ملازمة علي رضي الله عنه لأم الحسنين - رضوان الله عليهم أجمعين - وقلة ملازمته لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فأشاع المنافقون أن علياً رضي الله عنه كاره لخلافة الصديق رضي الله عنه مما دفع علياً إلى تجديد بيعته لأبي بكر الصديق بعد وفاة فاطمة - رضوان الله عليهم أجمعين - وذلك حسماً منه لمادة الفتنة، ورداً عملياً على هذه الشبهة.

شبهة القول أن علياً إنما سكت عن النزاع في أمر الخلافة لأن النبي ﷺ أوصاه بذلك:

قولهم أن علياً إنما سكت عن النزاع في أمر الخلافة لأن النبي ﷺ أوصاه أن لا يوقع بعده فتنة ولا يسل سيفاً..

وجوابها: أن هذا جهل، إذ كيف يعقل مع هذا الذي زعموه أنه جعله إماماً والياً على الأمة بعده ومنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق؟ ولو كان ما زعموه صحيحاً لما سل علي السيف في حرب صفين وغيرها، ولما قاتل بنفسه وأهل بيته وشيعته وجالد وبارز الألوف منهم وحده وأعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله ﷺ، وأيضاً فكيف يتعقلون أنه ﷺ يوصيه بعدم سل السيف على من يزعمون فيهم أنهم يجاهرون بأقبح أنواع الكفر مع ما أوجبه الله من جهاد مثلهم.

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٣٣٤).

قال بعض أئمة أهل البيت النبوي والعترة الطاهرة: وقد تأملت كلماتهم فرأيت قوماً أعمى الهوى بصائرهم، فلم يبالوا بما ترتب على مقالاتهم من المفاسد. ألا ترى إلى قولهم: إن عمر قاد علياً بحمائل سيفه وحصر فاطمة فهابت، فأسقطت ولداً اسمه المحسن، فقصدوا بهذه الفرية القبيحة والغباوة التي أورثتهم العار والبوار والفضيحة وإيغار الصدور على عمر ﷺ، ولم يبالوا بما يترتب على ذلك من نسبة علي ﷺ إلى الذل والعجز والخور بل ونسبة جميع بني هاشم وهم أهل النخوة والنجدة والأنفة إلى ذلك العار اللاحق بهم الذي لا أقبح منه عليهم، بل ونسبة جميع الصحابة ﷺ إلى ذلك، وكيف يسع من له أدنى ذوق أن ينسبهم إلى ذلك مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم لنبيهم ﷺ وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا وقتلوا الآباء والأبناء في طلب مرضاته لا يتوهم إلحاق أدنى نقص أو سكوت على باطل بهؤلاء العصابة الكمل الذين طهرهم الله من كل رجس ودنس ونقص على لسان نبيه في الكتاب والسنة، بواسطة صحبتهم له ﷺ وموته وهو عنهم راض وصدقهم في محبته واتباعه إلا عبداً أضله الله وخذله فباء منه تعالى بعظيم الخسار والبوار، وأحله الله تعالى نار جهنم وبئس القرار.

شبهة قول أبي بكر: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته:

ذكر الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج المصري، ثنا سعيد بن عفير، حدثني علوان بن داود البجلي، عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: {دخلت على أبي بكر ﷺ أعوده في مرضه الذي توفي فيه، فسلمت عليه وسألته: كيف أصبحت، فاستوى جالساً، فقلت: أصبحت بحمد الله بارئاً، فقال: أما إني على ما ترى وجع، وجعلتم لي شغلاً مع وجعي، جعلت لكم عهداً من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له،

ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي جائية، وستنجدون بيوتكم بسور الحرير، ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأذري، كأن أحدكم على حسك السعدان، ووالله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه، في غير حد خير له من أن يسيح في غمرة الدنيا. ثم قال: أما إني لا آسى على شيء، إلا على ثلاث فعلتهن، وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن، فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهن: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق علي الحرب، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، فكان أمير المؤمنين، وكنت وزيراً، ووددت أني حيث كنت وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة، أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإلا كنت ردءاً أو مدداً، وأما اللاتي وددت أني فعلتها: فوددت أني يوم أتيت بالأشعث أسيراً ضربت عنقه، فإنه يخيل إلي أنه يكون شر الإطار إليه، ووددت أني يوم أتيت بالفجاة السلمي لم أكن أحرقه، وقتلته سريحاً، أو أطلقته نجيحاً، ووددت أني حيث وجهت خالد بن الوليد إلى الشام وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يدي يميني وشمالي في سبيل الله ﷻ، وأما الثلاث اللاتي وددت أني سألت رسول الله ﷺ: عنهن، فوددت أني كنت سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله، ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر سبب، ووددت أني سألته عن العمة وبنت الأخ، فإن في نفسي منهما حاجة}.

هذا الأثر الضعيف أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ومن طريقه الضياء في المختارة وابن زنجويه في كتاب الأموال والعقيلي في الضعفاء وابن عساكر في تاريخ دمشق والطبري في تاريخه[1].

---

(١) معجم الطبراني الكبير (١/ ٦٢) (٤٣)، الأحاديث المختارة للضياء (١/ ٩٠)، كتاب الأموال (ص١٧٥)، تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٢١)، ضعفاء العقيلي (٣/ ٤٢٠).

قلت: وهو أثر ضعيف فيه عدة علل:

الأولى: مداره من جميع طرقه على علوان بن داود البجلي وهو راو ضعيف أطبق الأئمة على تضعيفه.

قال البخاري عنه: منكر الحديث، وهكذا قال ابن يونس وقد ذكره غير واحد بهذا الأثر وأنه من منكراته منهم الحافظ الذهبي في ميزانه والحافظ ابن حجر في اللسان والعقيلي في الضعفاء[(١)].

قال العقيلي في الضعفاء: (لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به)، وقال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني وفيه علوان بن داود وهو ضعيف وهذا الأثر مما أنكر عليه)[(٢)].

فإن قيل: قد روي من وجه آخر ليس فيه علوان بن داود كما في رواية ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن أبي الهيثم خالد بن القاسم قال: حدثنا الليث بن سعد عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف {أنه دخل على أبي بكر الصديق يعوده في مرضه الذي مات فيه...}[(٣)] الحديث.

قلنا: هذا الطريق غير محفوظ، وذلك لأن أبا الهيثم خالد بن القاسم هذا متروك تركه الناس، أي: أئمة الحديث ونقاله، تركوه وذلك لأنه كان كذاباً يزيد في الأسانيد وينقص لا سيما عن الليث، وقد خالفه تلاميذ الليث ممن في طبقته وهم الثقات فرووه عن الليث بن سعد عن علوان بن داود عن صالح بن كيسان به منهم يحيى بن عبد الله بن بكير وهو ثقة في الليث ومنهم عثمان بن صالح المصري صدوق ومنهم كاتبه أي

---

(١) انظر: لسان الميزان (٤/ ١٨٨).

(٢) مجمع الزوائد (٥/ ٣٦٧).

(٣) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤١٧).

كاتب الليث أبو صالح، ولا شك أن الجماعة مقدمة في الليث على ذلك الفرد المتروك.

ويؤكد ذلك أن الليث بن سعد قد تابعه سعيد بن عفير عند الطبراني فرواه عن علوان بن داود البجلي عن حميد به وسعيد بن عفير ثقة.

وعليه فالصحيح أن هذا الأثر كما سبق عن الأئمة من مفردات علوان بن داود ومن منكراته ولا يعرف إلا من طريقه.

ولذا قال ابن عساكر في تاريخه وهو الذي أخرج تلك الرواية قال: (رواه خالد بن القاسم المدائني وأسقط منه علوان بن داود وقد وقع لي عالياً من حديث الليث وفيه ذكر علوان ثم أكد ذلك بإسناده العالي عن محمد بن رمح عن الليث عن علوان)[1].

قلت: ومحمد بن رمح هذا ثقة ثبت.

فهؤلاء أربعة من الثقات قد خالفوا ذلك المدائني الكذاب، وعليه فالحديث حديث علوان بن داود لا ريب وهو ضعيف منكر الحديث.

العلة الثانية: اضطراب علوان بن داود هذا في إسناد حديثه، فمرة يرويه كما سبق عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه.

ومرة يرويه بإسقاط الرجلين، أي: مباشرة عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه.

ومرة يرويه مرسلاً، أي: عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي بكر، أي: دون أن يرويه عن أبيه. ولا غرابة في اضطرابه فهو كما ذكرنا ضعيف منكر الحديث لا يحتمل منه إلا ذلك.

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٤١٩).

ولأجل ما سبق أطبق جماعة من أئمة الحديث على تضعيف هذا الأثر منهم الحافظ العقيلي في الضعفاء والإمام الذهبي في الميزان والحافظ ابن حجر في اللسان على ما تقدم، والله ولي التوفيق.

شبهة تسمية أبي بكر بالصديق:

قال أحدهم: (وقد روى عن الجماعة كلهم أن النبي ﷺ قال في حق أبي ذر: «ما أقلَّت الغبراء، ولا أظلَّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»، ولم يسمُّوه صدِّيقاً، وسمُّوا أبا بكر بذلك مع أنه لم يرد مثل ذلك في حقه).

فيقال: هذا الحديث لم يروه الجماعة كلهم، ولا هو في الصحيحين، ولا هو في السنن، بل هو مروي في الجملة وبتقدير صحته وثبوته، فمن المعلوم أن هذا الحديث لم يرد به أن أبا ذر أصدق من جميع الخلق، فإن هذا يلزم منه أن يكون أصدق من النبي ﷺ، ومن سائر النبيين، ومن عليّ بن أبي طالب، وهذا خلاف إجماع المسلمين كلهم من السنة والشيعة، فعُلم أن هذه الكلمة معناها أن أبا ذر صادق، ليس غيره أكثر تحرّياً للصدق منه. ولا يلزم إذا كان بمنزلة غيره في تحرّي الصدق، أن يكون بمنزلته في كثرة الصدق والتصديق بالحق، وفي عظم الحق الذي صَدَقَ فيه وصدّق به. وذلك أنه يقال: فلان صادق اللهجة إذا تحرّى الصدق، وإن كان قليل العلم بما جاءت به الأنبياء، والنبي ﷺ لم يقل: ما أقلت الغبراء أعظم تصديقاً من أبي ذر. بل قال: أصدق لهجة، والمدح للصدّيق الذي صدَّق الأنبياء ليس بمجرد كونه صادقاً، بل في كونه مصدِّقاً للأنبياء. وتصديقه للنبي ﷺ هو صدق خاص، فالمدح بهذا التصديق - الذي هو صدق خاص -نوع، والمدح بنفس كونه صادقاً من نوع آخر. فكل صدّيق صادق، وليس كل صادق صدِّيقاً.

قال الطاعن: (وسمّوه خليفة رسول الله ﷺ، ولم يستخلفه في حياته ولا بعد وفاته عندهم، ولم يسمّوا أمير المؤمنين خليفة رسول الله مع أنه استخلف في عدة مواطن، منها: أنه استخلفه على المدينة المنورة في غزوة تبوك، وقال له: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي. وأمّر أسامة بن زيد على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر، ومات ولم يعزله، ولم يسمّوه خليفة، ولما تولى أبو بكر غضب أسامة، وقال: إن رسول الله ﷺ أمّرني عليك، فمن استخلفك عليّ؟ فمشى إليه هو وعمر حتى استرضياه، وكانا يسمّيانه مدة حياته أميراً).

والجواب من وجوه: أحدها: أن الخليفة إما أن يكون معناه: الذي يخلف غيره وإن كان لم يستخلفه، كما هو المعروف في اللغة، وهو قول الجمهور. وإما أن يكون معناه: من استخلفه غيره، كما قاله طائفة من أهل الظاهر والشيعة ونحوهم. فإن كان هو الأوّل؛ فأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، لأنه خلفه بعد موته، ولم يخلف رسول الله ﷺ أحد بعد موته إلا أبو بكر فكان هو الخليفة دون غيره ضرورة، فإن الشيعة وغيرهم لا ينازعون في أنه هو الذي صار وليّ الأمر بعده، وصار خليفة له يصلّي بالمسلمين، ويقيم فيهم الحدود، ويقسم بينهم الفيء، ويغزو بهم العدو، ويولِّي عليهم العمال والأمراء، وغير ذلك من الأمور التي يفعلها ولاة الأمور.

فهذه باتفاق الناس إنما باشرها بعد موته أبو بكر، فكان هو الخليفة للرسول ﷺ فيها قطعاً. لكن أهل السنة يقولون: خلفه وكان هو أحق بخلافته، والشيعة يقولون: عليّ كان هو الأحق لكن تصح خلافة أبي بكر، ويقولون: ما كان يحلّ له أن يصير هو الخليفة، لكن لا ينازعون في أنه صار خليفة بالفعل، وهو مستحق لهذا الاسم، إذ كان الخليفة من خَلَفَ غيره على كل تقدير.

وأما إن قيل: إن الخليفة من استخلفه غيره، كما قاله بعض أهل السنة وبعض الشيعة، فمن قال هذا من أهل السنة فإنه يقول: إن النبي ﷺ استخلف أبا بكر إما بالنص الجليّ، كما قال بعضهم، وإما بالنص الخفيّ. كما أن الشيعة القائلين بالنص على عليّ منهم من يقول بالنص الجليّ، كما تقوله الإمامية، ومنهم من يقول بالنص الخفيّ، كما تقوله الجارودية من الزيدية. ودعوى أولئك للنص الجليّ أو الخفيّ على أبي بكر أقوى وأظهر بكثير من دعوى هؤلاء للنص على عليّ، لكثرة النصوص الدالّة على ثبوت خلافة أبي بكر، وأن علياً لم يدل على خلافته إلا ما يُعلم أنه كذب، أو يُعلم أنه لا دلالة فيه.

وعلى هذا التقدير فلم يستخلف بعد موته أحداً إلا أبا بكر، فلهذا كان هو الخليفة، فإن الخليفة المطلق هو من خلفه بعد موته، أو استخلفه بعد موته. وهذان الوصفان لم يثبتا إلا لأبي بكر؛ فلهذا كان هو الخليفة.

وأما استخلافه لعليّ على المدينة، فذلك ليس من خصائصه، فإن النبي ﷺ كان إذا خرج في غزاة استخلف على المدينة رجلاً من أصحابه، كما استخلف ابن أم مكتوم تارة، وعثمان ابن عفان تارة.

وإذا كان قد استخلف غير عليّ على أكثر وأفضل مما استخلف عليه علياً، وكان ذلك استخلافاً مقيّداً على طائفة معينة في مغيبه، ليس هو استخلافاً مطلقاً بعد موته على أمته، لم يطلق على أحد من هؤلاء أنه خليفة رسول الله ﷺ إلا مع التقييد. وإذا سمّيَ عليّ بذلك فغيره من الصحابة المستخلفين أوْلى بهذا الاسم، فلم يكن هذا من خصائصه.

وأيضاً فالذي يخلف المَطاع بعد موته لا يكون إلا أفضل الناس. وأما الذي يخلفه في حال غزوه لعدوه، فلا يجب أن يكون أفضل الناس، بل العادة جارية بأنه

يستصحب في خروجه لحاجته إليه في المغازي من يكون عنده أفضل ممن يستخلفه على عياله، لأن الذي ينفع في الجهاد هو شريكه فيما يفعله، فهو أعظم ممن يخلفه على العيال، فإن نفع ذاك ليس كنفع المشارك له في الجهاد.

والنبي ﷺ إنما شبه علياً بهارون في أصل الاستخلاف لا في كماله، ولعليّ شركاء في هذا الاستخلاف. يبين ذلك أن موسى لما ذهب إلى ميقات ربه لم يكن معه أحد يشاركه في ذلك، فاستخلف هارون على جميع قومه. والنبي ﷺ لما ذهب إلى غزوة تبوك أخذ معه جميع المسلمين إلا المعذور، ولم يستخلف علياً إلا على العيال وقليل من الرجال، فلم يكن استخلافه كاستخلاف موسى لهارون، بل ائتمنه في حال مغيبه، كما ائتمن موسى هارون في حال مغيبه، فبيّن له النبي ﷺ أن الاستخلاف ليس لنقص مرتبة المستخلَف، بل قد يكون لأمانته كما استخلف موسى هارون على قومه، وكان عليّ خرج إليه يبكي وقال: أتذرني مع الصبيان والنساء؟ كأنه كره أن يتخلف عنه.

وأما قوله: (إنه قال له: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك) فهذا كذب على النبي ﷺ لا يُعرف في كتب العلم المعتمدة. ومما يبين كذبه أن النبي ﷺ خرج من المدينة غير مرة ومعه عليّ. وليس بالمدينة لا هو ولا عليّ. فكيف يقول: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك؟

وهؤلاء من فرط جهلهم يكذبون الكذب الذي لا يخفى على من له بالسيرة أدنى علم.

وأما قوله: (إنه أمّر أسامة رضي الله عنه على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر).

فمن الكذب الذي يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث؛ فإن أبا بكر لم يكن في ذلك الجيش، بل كان النبي ﷺ يستخلفه في الصلاة من حين مرض إلى أن مات، وأسامة قد رُوي أنه قد عقد له الراية قبل مرضه، ثم لما مرض أمر أبا بكر أن يصلِّي بالناس،

فصلى بهم إلى أن مات النبي ﷺ، فلو قدر أنه أُمر بالخروج مع أسامة قبل المرض لكن أمره له بالصلاة تلك المدة، مع إذنه لأسامة أن يسافر في مرضه، موجباً لنسخ إمرة أسامة عنه، فكيف إذا لم يؤمَّر عليه أسامة بحال؟

وقوله: (ومات ولم يعزله).

فأبو بكر أنفذ جيش أسامة رضي الله عنه بعد أن أشار الناس عليه برده خوفاً من العدو. وقال: «والله لا أحلَ راية عقدها رسول الله ﷺ»، مع أنه كان يملك عزله، كما كان يملك ذلك رسول الله ﷺ، لأنه قام مقامه، فيعمل ما هو أصلح للمسلمين.

وأما ما ذكره من غضب أسامة لما تولَّى أبو بكر، فمن الأكاذيب السمجة، فإن محبة أسامة رضي الله عنه لأبي بكر وطاعته له أشهر وأعرف من أن تُنكر، وأسامة من أبعد الناس عن الفرقة والاختلاف، فإنه لم يقاتل لا مع عليّ ولا مع معاوية واعتزل الفتنة.

وأسامة لم يكن من قريش، ولا ممن يصلح للخلافة، ولا يخطر بقلبه أن يتولاها، فأي فائدة له في أن يقول مثل هذا القول لأيّ من تولى الأمر، مع علمه أنه لا يتولّى الأمر أحد إلا كان خليفة عليه، ولو قدِّر أن النبي ﷺ أمّره على أبي بكر ثم مات، فبموته صار الأمر إلى الخليفة من بعده، وإليه الأمر في إنفاذ الجيش أو حبسه، وفي تأمير أسامة أو عزله.

وإذا قال: أمّرني عليك فمن استخلفك عليّ؟ قال: من استخلفني على جميع المسلمين، وعلى من هو أفضل منك. وإذا قال: أنا أمَّرني عليك. قال: أمَّرك عليّ قبل أن أُستخلف، فبعد أن صرت خليفة صرت أنا الأمير عليك.

ومثل هذا لا ينكره إلا جاهل. وأسامة أعقل وأتقى وأعلم من أن يتكلم بمثل هذا الهذيان لمثل أبي بكر.

وأعجب من هذا قول هؤلاء المفترين: أنه مشى هو وعمر إليه حتى استرضياه، مع قولهم: إنهما قهرا علياً وبني هاشم وبني عبد مناف، ولم يسترضياهم، وهم أعز وأقوى وأكثر وأشرف من أسامة ﷺ، فأي حاجة بمن قهروا بني هاشم وبني أمية وسائر بني عبد مناف، وبطون قريش والأنصار والعرب، إلى أن يسترضوا أسامة بن زيد، وهو من أضعف رعيتهم، ليس له قبيلة ولا عشيرة، ولا معه مال ولا رجال، ولولا حب النبي ﷺ إياه وتقديمه له لم يكن إلا كأمثاله من الضعفاء؟.

فإن قلتم: إنهما استرضياه لحب النبي ﷺ له. فأنتم تقولون: إنهم بدّلوا عهده، وظلموا وصيَّه وغصبوه، فمن عصى الأمر الصحيح، وبدل العهد البيّن، وظلم واعتدى وقهر، ولم يلتفت إلى طاعة الله ورسوله، ولم يرقب في آل محمد إلاً ولا ذمة، يراعي مثل أسامة بن زيد ويسترضيه؟ وهو قد ردّ شهادة أم أيمن ولم يسترضيها، وأغضب فاطمة وآذاها، وهي أحق بالاسترضاء. فمن يفعل هذا أي حاجة به إلى استرضاء أسامة بن زيد؟ وإنما يُسترضى الشخص للدين أو للدنيا، فإذا لم يكن عندهم دين يحملهم على استرضاء من يجب استرضاؤه، ولا هم محتاجون في الدنيا إليه، فأي داع يدعوهم إلى استرضائه؟!

شبهة تسمية بني حنيفة بالمرتدين:

وقولهم: (إنهم سمّوا بني حنيفة مرتدين، لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبي بكر).

فهذا من أظهر الكذب وأبْيَنه؛ فإنه إنما قاتل بني حنيفة لكونهم آمنوا بمسيلمة الكذَّاب، واعتقدوا نبوّته.

وأما مانعو الزكاة فكانوا قوماً آخرين غير بني حنيفة. وهؤلاء كان قد وقع لبعض الصحابة شبهة في جواز قتالهم. وأما بنو حنيفة فلم يتوقف أحد في وجوب قتالهم. وأما مانعو الزكاة فإن عمر بن الخطاب ﷺ قال: {يا خليفة رسول الله كيف تقاتل

الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله. فقال أبو بكر: ألم يقل: «إلا بحقها» فإن الزكاة من حقها. والله لو منعوني عَنَاقاً أو عُقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم عليه}[1].

وهؤلاء لم يقاتلوهم لكونهم لم يؤدوها إلى الصدّيق؛ فإنهم لو أعطوها بأنفسهم لمستحقيها ولم يؤدوها إليه لم يقاتلهم. هذا قول جمهور العلماء، كأبي حنيفة وأحمد وغيرهما.وقالوا: إذا قالوا: نحن نؤديها بأنفسنا ولا ندفعها إلى الإمام، لم يكن له قتالهم. فإن الصدّيق رضي الله عنه لم يقاتل أحداً على طاعته، ولا ألزم أحدا بمبايعته. ولهذا لما تخلّف عن بيعته سعد لم يكرهه على ذلك.

فقول القائل: (سمّوا بني حنيفة أهل الردة لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبي بكر، لأنهم لم يعتقدوا إمامته) من أظهر الكذب والفرية. وكذلك قوله: (إن عمر أنكر قتال بني حنيفة).

وأما قوله: (ولم يسمّوا من استحل دماء المسلمين، ومحاربة أمير المؤمنين، مرتداً، مع أنهم سمعوا قول النبي ﷺ: (يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي ومحارب رسول الله ﷺ كافر بالإجماع).

فيقال في الجواب: أولاً: دعواهم أنهم سمعوا هذا الحديث من النبي ﷺ أو عنه كذب عليهم، فمن الذي نقل عنهم أنهم سمعوا ذلك؟ وهذا الحديث ليس في شيء من كتب علماء الحديث المعروفة، ولا رُوي بإسناد معروف.

ولو كان النبي ﷺ قاله لم يجب أن يكونوا قد سمعوه، فإنه لم يسمع كلٌّ منهم كل

---

(١) سبق تخريجه.

ما قاله الرسول ﷺ، فكيف إذا لم يُعلم أن النبي ﷺ قاله، ولا روي بإسناد معروف؟ بل كيف إذا عُلم أنه كذب موضوع على النبي ﷺ باتفاق أهل العلم بالحديث؟.

وعلي رضي الله عنه لم يكن قتاله يوم الجمل وصفّين بأمر من النبي ﷺ، وإنما كان رأياً رآه.

قال أبو داوُد في سننه: (حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، حدثنا ابن عليّه، عن يونس، عن الحسن، عن قيس بن عبّاد قال: قلت لعليّ رضي الله عنه: {أخبرنا عن مسيرك هذا: أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ، أم رأي رأيتَه؟ قال: ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ شيئا، ولكنه رأي رأيته}(1).

ولو كان محارب عليّ محارباً لرسول الله ﷺ مرتداً، لكان عليّ يسير فيهم السيرة في المرتدين.

وقد تواتر عن عليّ يوم الجمل لما قاتلهم أنه لم يتّبع مدبرهم، ولم يُجهّز على جريحهم، ولم يغنم لهم مالاً، ولا سبى لهم ذرية، وأمر مناديه ينادي في عسكره: «أن لا يُتّبع لهم مُدبر ولا يُجهز على جريحهم، ولا تُغنم أموالهم».

ولو كانوا عنده مرتدّين لأجهز على جريحهم واتّبع مدبرهم. وكانت عائشة فيهم، فإن قلتم: إنها ليست أمّنا كفرتم بكتاب الله، وإن قلتم: هي أمنا واستحللتم وطأها كفرتم بكتاب الله.

وإن كان أولئك مرتدين، وقد نزل الحسن عن أمر المسلمين، وسلّمه إلى كافر مرتد، كان المعصوم عندهم قد سلّم أمر المسلمين إلى المرتدين. وليس هذا من فعل المؤمنين، فضلاً عن المعصومين.

---

(١) سبق تخريجه.

وأيضاً فإن كان أولئك مرتدّين، والمؤمنون أصحاب عليّ، لكان الكفار المرتدّون منتصرين على المؤمنين دائماً.

والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١]، وأيضاً فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]، فقد جعلهم مؤمنين إخوة مع الاقتتال والبغي.

وأيضا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: {تمرق مارقة على حين فُرقة من المسلمين تقتلهم أوْلى الطائفتين بالحق}(١). وقال: {إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين}(٢). وقال لعمّار: {تقتلك الفئة الباغية}(٣) ولم يقل: الكافرة.

وهذه الأحاديث صحيحة عند أهل العلم بالحديث، وهي مروية بأسانيد متنوعة، لم يأخذ بعضهم عن بعض. وهذا مما يوجب العلم بمضمونها. وقد أخبر النبي ﷺ أن الطائفتين المفترقتين مسلمتان، ومدح من أصلح الله به بينهما. وقد أخبر أنه تمرق مارقة وأنه تقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق.

ثم يقال لهؤلاء: لو قالت لكم النواصب: عليّ قد استحل دماء المسلمين، وقاتلهم بغير أمر الله ورسوله على رياسته. وقد قال النبي ﷺ: {سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر}(٤).

---

(١) رواه مسلم برقم (١٠٦٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري برقم (٤٨)، ومسلم برقم (٦٤).

وقال: {لا ترجعوا بعدي كفَّارا يضرب بعضكم رقاب بعض}[(١)] فيكون عليّ كافراً لذلك – لم تكن حجتكم أقوى من حجتهم؛ لأن الأحاديث التي احتجّوا بها صحيحة.

وأيضا فيقولون: قتل النفوس فساد، فمن قتل النفوس على طاعته كان مريداً للعلو في الأرض والفساد. وهذا حال فرعون والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾؛ فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة.

وليس هذا كقتال الصدّيق للمرتدين ولمانعي الزكاة؛ فإن الصدّيق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله، لا على طاعته.

فإن الزكاة فرضٌ عليهم، فقاتلهم على الإقرار بها، وعلى أدائها، بخلاف من قاتل ليُطاع هو.

وقول الطاعن: (وقال أبو بكر عند موته: ليتني كنت سألت رسول الله ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حق؛ وهذا يدل على أنه في شكٍ من إمامته ولم تقع صوابا).

والجواب: أن هذا كذب على أبي بكر رضي الله عنه، وهو لم يذكر له إسناداً.

ومعلوم أن من احتج في أي مسألة كانت بشيء من النقل، فلابد أن يذكر إسناداً تقوم به الحجة. فكيف بمن يطعن في السابقين الأوّلين بمجرد حكاية لا إسناد لها؟

ثم يقال: هذا يقدح فيما تدّعونه من النص على عليّ؛ فإنه لو كان قد نصّ على عليّ لم يكن للأنصار فيه حق، ولم يكن في ذلك شك.

وقول الطاعن: (وقال أبو بكر عند احتضاره: ليت أمي لم تلدني! يا ليتني كنت

---

(١) رواه البخاري برقم (١٧)، ومسلم برقم (٦٥).

تبنة في لبنة. مع أنهم قد نقلوا عن النبي ﷺ أنه قال: ما من محتضر يحتضر إلا ويرى مقعده من الجنة والنار).

والجواب: أن تكلمه بهذا عند الموت غير معروف، بل هو باطل بلا ريب. بل الثابت عنه أنه لما احتُضر، وتمثلت عنده عائشة بقول الشاعر:

لعُمرك ما يغني الثراءُ عن الفتى　　　إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه، وقال: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق:١٩].

ولكن نقل عنه أنه قال في صحته: ليت أمي لم تلدني! ونحو هذا قاله خوفاً - إن صح النقل عنه. ومثل هذا الكلام منقول عن جماعة أنهم قالوه خوفاً وهيبة من أهوال يوم القيامة، حتى قال بعضهم: لو خُيِّرت بين أن أحاسب وأدخل الجنة، وبين أن أصير تراباً، لاخترت أن أصير تراباً. وروى الإمام أحمد عن أبي ذر أنه قال: «والله لوددت أني شجرة تعضد»[(١)]، وقد بينا هذا فيما سبق.

شبهة قول أبي بكر: ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت بيدي على يد أحد الرجلين:

قال الطاعن: (وقال أبو بكر: ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت بيدي على يد أحد الرجلين، فكان هو الأمير وكنت الوزير). قال: (وهو يدل على أنه لم يكن صالحاً يرتضي لنفسه الإمامة).

والجواب: أن هذا إن كان قاله فهو أدلّ دليل على أن عليًّا لم يكن هو الإمام؛ وذلك أن قائل هذا إنما يقوله خوفاً من الله أن يضيع حق الولاية، وأنه إذا ولَّى غيرَه، وكان وزيراً له، كان أبرأ لذمته.

---

(١) سبق تخريجه.

فلو كان عليّ هو الإمام، لكانت توليته لأحد الرجلين إضاعة للإمامة أيضا، وكان يكون وزيراً لظالم غيره، وكان قد باع آخرته بدنيا غيره، وهذا لا يفعله من يخاف الله، ويطلب براءة ذمته.

وقد قالت مريم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم:٢٣]. ولم يكن هذا كتمنِّي الموت يوم القيامة.

شبهات حول عمر رضي الله عنه

أما الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاقرأ ما أورده القوم في كتب الشيعة لتقف على فضله ومنزلته.

فكما مر بك آنفاً من تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر رضي الله عنه بإبراهيم وعيسى عليهما السلام، فقد شبه عمر بنوح وموسى عليهما السلام[(١)].

وكما شبه منزلة أبي بكر منه بمنزلة السمع، شبه منزلة عمر منه بالبصر[(٢)].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعرف قدره، ويقدر رأيه، فقد روي أن المسلمين لما كانوا بإزاء الروم إذ أصاب الناس جوع، فجاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذنوه في نحر الإبل، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: {ما ترى فإن الأنصار جاءوني يستأذنوني في نحر الإبل؟ فقال: يا نبي الله، فكيف لنا إذا لقينا العدو غداً رجالاً جياعاً؟ فقال: ما ترى؟ قال: مر أبا طلحة فلينادِ في الناس بعزمة منك: لا يبقى أحد عنده طعام إلا جاء به، وبسط الأنطاع. فجعل الرجل يجيء بالمد ونصف المد، فكان جميع ما جاءوا به سبعة وعشرين صاعاً أو ثمانية وعشرين صاعاً لا يجاوز الثلاثين، واجتمع الناس يومئذ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يومئذ أربعة آلاف رجل، فدعا رسول الله ثم أدخل يده في الطعام، فأكلوا جميعاً وبقي كثير من الطعام}[(٣)].

---

(١) أمالي الطوسي (٢٧٤)، بحار الأنوار للمجلسي (١٩/ ٢٧١)

(٢) عيون الأخبار (١/ ٢٨٠)، البرهان (٢/ ٤٢٠)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٣/ ١٦٤)، معاني الأخبار للصدوق (٣٨٧)، موسوعة الإمام الجواد (٢/ ٦٧٢)، موسوعة كلمات الحسين (٦٧٢، ١٠٧٦).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (١٦/ ١٢٧)، المنتقى من مولود المصطفى الفصل الرابع في جامع أوصافه.

فاسأل نفسك عن علة استشارته ﷺ لعمر رضي الله عنه من دون هؤلاء الأربعة آلاف؟

وكان ﷺ يذكره إذا ما أهدي شيئاً، فعن تميم الداري قال: {أهدي فرس لرسول الله ﷺ يقال له: الورد، فأعطاه عمر}(١).

وكان ﷺ كثيراً ما يبشره بالآخرة، فعندما قال له الفاروق رضي الله عنه: {لأنت أكرم على الله من قيصر وكسرى، وهما فيه من الدنيا، وأنت على الحصير قد أثر في جنبك، فقال النبي ﷺ: أما ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة}(٢).

وفي أخرى: قال رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: {يا رسول الله، أنت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير، فقال رسول الله ﷺ: أولئك قوم عجلت طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنما أخرت لنا طيباتنا}(٣).

وكذا كان حب علي رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه، اقرأ معي هذه الروايات:

جاء في نهج البلاغة -وهو من أعظم كتب الشيعة منزلة، حتى قالوا فيه: كتاب كأن الله رصع لفظه بجوهر آيات الكتاب المنزل، وبلغت شروحه ثمانين كتاباً- جاء فيه: (أن علياً رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما شاوره في الخروج إلى غزو الروم: إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون

---

(١) مكارم الأخلاق (١٥٠)، بحار الأنوار للمجلسي (١٦/ ٢٥٧)، ميزان الحكمة للريشهري (٤/ ٣٢٢٨).

(٢) مكارم الأخلاق (١٥٠)، بحار الأنوار للمجلسي (١٦/ ٢٥٧)، ميزان الحكمة للريشهري (٤/ ٣٢٢٨).

(٣) مجمع البيان للطبرسي (٥/ ٨٧)، بحار الأنوار للمجلسي (٦٣/ ٣٢٠، ٦٦/ ٣٢٠)، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي (٥/ ١٦)، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع) للشيرازي (٤/ ٣٦٥، الحاشية)، ميزان الحكمة للريشهري (٢/ ٩١٣)، تفسير الميزان (١٨/ ٢٠٩)، الأمثل لمكارم الشيرازي (١٦/ ٢٨١).

أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن ظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين)(١).

وعندما استشاره لقتال الفرس بنفسه قال له: (إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعد من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ولا يضمه، فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك)(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومنتهى الإحسان، ومحل الإيمان، وكهف الضعفاء، ومعقل الحنفاء، قام بحق الله عز وجل صابراً محتسباً حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد، فأعقب الله على من تنقصه اللعنة إلى يوم الدين»(٣).

---

(١) نهج البلاغة (٢/ ١٨)، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين لميثم البحراني (٢٣١)، بحار الأنوار للمجلسي (٣١/ ١٣٥)، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد (٣٧٥)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٨/ ٢٩٦)، حياة أمير المؤمنين (ع) عن لسانه لمحمد محمديان (٣/ ١٠٧)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري (٣/ ٨٩).

(٢) نهج البلاغة (٢/ ٣٠)، تفسير الميزان (١٥/ ١٦٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٣١/ ١٣٨).

(٣) مواقف الشيعة للأحمدي الميانجي (١/ ١٨٧ – ١٨٨).

وعنه أيضاً رضي الله عنه لما طعن عمر رضي الله عنه دخل عليه هو وعلي رضي الله عنهما فقال: «سمعنا صوت أم كلثوم: وا عمراه! وكان معها نسوة يبكين فارتج البيت بكاء فقال عمر رضي الله عنه: ويل عمر إن لم يغفر الله له! فقلت: والله إني لأرجو ألا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١] إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وسيد المسلمين تقضي بالكتاب وتقسم بالسوية. فأعجبه قولي فاستوى جالساً فقال: أتشهد لي بهذا يا ابن عباس؟ فكععت - أي جبنت - فضرب علي رضي الله عنه بين كتفي وقال: أشهد» وفي رواية: «لم تجزع يا أمير المؤمنين؟ فوالله لقد كان إسلامك عزاً وإمارتك فتحاً، ولقد ملأت الأرض عدلاً فقال: أتشهد لي بذلك يا ابن عباس؟ قال: فكأنه كره الشهادة فتوقف فقال له علي رضي الله عنه: قل: نعم، وأنا معك، فقال: نعم». وفي رواية أنه قال: «مسست جلده وهو ملقى فقلت: جلد لا تمسه النار أبداً فنظر إلي نظرة جعلت أرثى له منها، قال: وما علمك بذلك؟ قلت: صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته»(1).

فلا عجب إذاً أن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل: (أن يعز الإسلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه)(2).

وكان علي رضي الله عنه وزيره ومستشاره، ولم يكن بينهم سوى المودة والاحترام، فعندما يكون علي رضي الله عنه بحضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في حل بعض المشكلات، فيقول: «أتأذن لي أن أقضي بينهم؟ فيرد عمر رضي الله عنه: سبحان الله! وكيف لا

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٢/ ١٩٢).

(٢) نور الثقلين (٣/ ٢٦٧)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٣/ ١١١، ٣٠/ ٢٣٤، ٧٥/ ١٢)، العياشي (٢/ ٣٥٥)، البرهان (٢/ ٤٧٢)، تفسير الصافي (٣/ ٢٤٦)، الطرائف لابن طاووس (١١٩)، الصوارم المهرقة للتستري (٢٨٩)، كتاب الأربعين للماحوزي (٣١٩)، مواقف الشيعة للميانجي (٢/ ١٢٢)، بشارة المصطفي للطبري الشيعي (٣٢٥)، إحقاق الحق للتستري (٢٢٩).

وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعلمكم علي بن أبي طالب» كما تروي الإمامية(١).

وعندما يكون علي رضي الله عنه غائباً ويريده الفاروق رضي الله عنه في شيء يذهب إليه بنفسه وهو الخليفة، فيلقاه علي رضي الله عنه في الطريق، فيقول له: «هلاَّ أرسلت إلينا فنأتيك؟ فيقول عمر رضي الله عنه: الحكم يؤتى إليه في بيته» كما روى ذلك الإمامية(٢).

وهل هناك أعظم من تزويج علي رضي الله عنه ابنته أم كلثوم للفاروق عمر رضي الله عنه؟(٣)

---

(١) الكافي للكليني (٧/ ٤٢٤)، التهذيب (٢/ ٩٣)، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (١/ ٤٩٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٠/ ٣٠٥)، وسائل الشيعة (٧٢/ ٢٨٢، ١٨/ ٢٠٧)، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي (٢٠/ ١٢٦، ٢٥/ ١٤٠)، حياة أمير المؤمنين لمحمديان (٣/ ١٤٠)، موسوعة الإمام علي (١١/ ٣٠)، عجائب أحكام أمير المؤمنين لمحسن الأمين (٧٠).

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (١/ ٤٩٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٠/ ٢٣١، ٩٦/ ١٥٩)، وانظر أيضاً، الكافي للكليني (٧/ ٢١٦، ٢٤٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٠/ ٢٩٨، ٢٩٩)، جواهر الكلام للجواهري (٣٦/ ٣٣٠)، مستدرك الوسائل للحر العاملي (٩/ ٢٦٦)، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي (١١/ ٢٤١)، أعيان الشيعة (١/ ٤٣٧)، عجائب أحكام أمير المؤمنين (٨٧).

(٣) الطرائف (١٩)، كنز الكراجكي (١٦٦، ١٦٧)، إعلام الورى (٢٠٤)، الكافي للكليني (٥/ ٣٤٦، ٦/ ١١٥، ١١٦)، الشافي (٢١٥)، الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (٣/ ١٣٠)، العمدة (١٥٠، ١٥٧)، بحار الأنوار للمجلسي (١٠/ ٣٧٣، ٢٥/ ٢٤٧، ٢٤٩، ٤٢/ ٩١، ٩٣، ٩٧، ١٠٨، ٧٨/ ٣٨٢، ١٠٩/ ٥٨)، الخرائج (٨٢٥)، مناقب آل أبي طالب (٣/ ٨٩)، الخلاف للطوسي (١/ ٧٢٢) انظر أيضاً (الحاشية)، المبسوط للطوسي (٤/ ٢٧٢)، تذكرة الفقهاء للحلي (١/ ٤٩، ٢/ ٦٦)، مختلف الشيعة للحلي (٢/ ٣٠٨)، منتهى الطلب للحلي (١/ ٤٥٧)، مسالك الأفهام للشهيد الثاني (٨/ ١٦٨، الحاشية، ١٣/ ٢٧٠، الحاشية)، مجمع الفائدة للأردبيلي (١١/ ٥٢٩، الحاشية)، كفاية الأحكام للسبزواري (٢/ ٨٧٩)، كشف اللثام للفاضل الهندي (٢/ ٣٣٩، ٩/ ٥٢٥)، رياض المسائل للطباطبائي (١٢/ ٦٦٤)، مستند الشيعة للنراقي (١٩/ ٤٥٢)، جواهر الكلام (٣١/ ١٤، ٣٩/ ٣٠٨)، مصباح الفقيه للهمداني (٢/ ٥٠٦)، الينابع الفقهية لمرواريد (٢٧/ ٣٤٤، ٣٨/ ٢٥٠)، فقه الصادق للروحاني (٢٤/ ٤٩٦، الحاشية)، وسائل الشيعة (٣/ ١٢٨، ٢١/ ٢٦٣، ٢٦/ ٣١٤)، ذخائر العقبى (١٦٨، ١٧٠)، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي (٣/ ٣٤٧، ٢١/ ٢٠٥)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (٨١٩)، شرح نهج البلاغة (١٢/ ١٠٦)، الذريعة للطهراني (٥/ ١٨٤)، المجدي (١٧)، تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٤٩)، أعيان الشيعة (٣/ ٤٨٥، ٤/ ١٣٦).

وعندما توفي عمر رضي الله عنه قال فيه علي رضي الله عنه: «لله بلاء فلان، فلقد قوَّم الأود، وداوى العمد، وأقام السنة، وخلف الفتنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحق، رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستقين المهتدي»(١).

وقال فيه: «ووليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه»(٢).

وقال رضي الله عنه فيه وفي صاحبه الصديق رضي الله عنهما: «لعمري إن مكانهما في الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، فرحمهما الله وجزاهما أحسن ما عملاً»(٣).

فلا غرابة إذاً أن نرى علياً رضي الله عنه وقد دخل على الفاروق رضي الله عنه بعد وفاته وهو مسجى، فيقول: «لوددت أن ألقى الله تعالى بصحيفة هذا المسجى».

وفي رواية: «إني لأرجو الله أن ألقى الله تعالى بصحيفة هذا المسجى»(٤).

---

(١) نهج البلاغة (٢/ ٢٢٢)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٢/ ٣)، الانتصار للعاملي (٦/ ٣٧٩).

(٢) نهج البلاغة (٤/ ١٠٧)، خصائص الأئمة للشريف الرضي (١٢٤)، الغدير للأميني (٨/ ٤٠)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢٠/ ٢١٨) وقال: الجران، مقدم العنق، وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب، وهذا الكلام من خطبة طويلة خطبها في أيام خلافته، يذكر فيها قربه من النبي صلى الله عليه وآله واختصاصه له، وإفضاءه بأسراره إليه، حتى قال فيها: فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا منهم، فقارب وسدد حسب استطاعته، على ضعف وحد كانا فيه، ووليهم بعده والٍ فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه.

(٣) شرح نهج البلاغة (١٥/ ٧٦)، وقعة صفين (٨٨- ٨٩)، كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (٢/ ٥٦)، مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة للميرجهاني (٤/ ٢٩)، نهج السعادة للمحمودي (٤/ ١٧٧)، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري (٦/ ٢٣).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (١٠/ ٢٩٦، ٢٨/ ١٠٥، ١١٧)، كتاب سليم بن قيس (٢٠٤ الهامش)، الفصول المختارة للمرتضى (٩٠)، الصراط المستقيم للعاملي (٣/ ١٥٣)، الصوارم المهرقة للتستري (٧٨)، كتاب الأربعين للشيرازي (٥٧٤)، مدينة المعاجز لهاشم البحراني (١/ ٤٧٠)، مواقف الشيعة للميانجي

أما روايات الفاروق لفضائل آل البيت رضي الله عنهم أجمعين، فإليك بعضها:

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: {اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون}[(١)] رواه البخاري، وابن حنبل وغيرهما[(٢)].

قال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله تعالى عنهما: «والله لإِسلاَمُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلامِ الخطاب لو أسلَمَ؛ لأنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب»[(٣)].

لَمَّا وضع عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه ديوان العَطاءِ كتب الناسَ على قَدْرِ أنسابِهم، فبدأ بأقربِهم فأقربهم نسباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٤)].

(١/ ٢٧٩، ٣/ ٥٥)، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة لعلى خان المدنى (٣٠٢)، الاستغاثة لأبو القاسم الكوفي (٢/ ٦٦ الهامش)، الأنوار العلوية لجعفر النقدي (٧٦)، الشافي في الإمامة للشريف المرتضى (٣/ ١١٧، ٢٣٦)، الهجوم على بيت فاطمة (ع) لعبد الزهراء مهدي (٥٢ الهامش).

(١) صحيح البخاري برقم (١٠١٠).

(٢) والمرادُ بتوسُّل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه التوسُّلُ بدعائه كما جاء مبيَّناً في بعض الروايات، وقد ذكرها الحافظ في شرح الحديث في كتاب الاستسقاء من فتح الباري. واختيار عمر رضي الله عنه للعباس رضي الله عنه للتوسُّل بدعائه إنَّما هو لقرابتِه مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال عمر رضي الله عنه في توسُّله: (وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا)، ولم يقل: بالعباس. ومن المعلوم أنَّ عليًّا رضي الله عنه أفضلُ من العباس، وهو من قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن العباس أقربُ، ولو كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُورَث عنه المال لكان العباس هو المقدَّم في ذلك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (أَلحِقوا الفرائض بأهلها، فما أبقتِ لفرائضُ فلأولَى رجل ذَكر)، أخرجه البخاري ومسلم، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قولُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لعمر عن عمِّه العباس: (أمَا عَلِمتَ أنَّ عمَّ الرَّجلِ صِنْوُ أبيه).

(٣) تفسير ابن كثير، البداية والنهاية ابن كثير، طبقات ابن سعد، تفسير البغوي، دلائل النبوة للبيهقي، المعجم الكبير للطبراني، تاريخ الطبري، سيرة ابن هشام وغيرهم.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، العواصم من القواصم، لابن الوزير.

ولَّما وضع عمر بنَ الخطاب ﵁ الديوان، وقالوا له: يبدأ أميرُ المؤمنين بنفسِه، فقال: «لا! ولكن ضَعُوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ».

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية ﵀

وعن عمر قال: سمعت رسول الله صلى عليه وآله وسلم: {كلُّ سبب ونَسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلاَّ سبَبِي ونسبِي}(1).

كان العبَّاسُ إذا مرَّ بعمر أو بعثمان، وهما راكبان، نزلاَ حتى يُجاوِزهما إجلالاً لعمِّ رسول الله ﷺ(2).

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي، مجمع الزوائد، للهيثمي، المصنف، للصنعاني، المعجم الأوسط، للطبراني، المعجم الكبير، للطبراني، تذكرة الحفاظ، للذهبي، سير أعلام النبلاء، للذهبي، أنساب الأشراف، للبلاذري، تاريخ الإسلام، للذهبي، سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي، سير أعلام النبلاء، للذهبي، تهذيب التهذيب، لابن حجر.

رزيــة الخميــس

مر الكلام في قصة رزية الخميس عند الحديث عن الصحابة رضي الله عنهم، وهنا يكون الكلام فيما يتعلق بعمر رضي الله عنه.

يقول ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث وفيه مقدمة لإعذار عمر. حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: {يوم الخميس وما يوم الخميس! اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: ما شأنه أهجر استفهموه. فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه. وأوصاهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها فقال: ما شأنه أهجر}(١).

(وقيل: قال ذلك لإرادة سكوت الذين لغطوا ورفعوا أصواتهم عنده، فكأنه قال: إن ذلك يؤذيه ويفضي في العادة إلى ما ذكر، ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله لجواز وقوع ذلك، ولهذا وقع في الرواية الثانية: {فقال بعضهم: إنه قد غلبه الوجع}. ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن خلاد عن سفيان في هذا الحديث: {فقالوا: ما شأنه يهجر، استفهموه} وعن ابن سعد من طريق أخرى عن سعيد بن جبير {أن نبي الله ليهجر}(٢)، ويؤيده

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٤٢).

أنه بعد أن قال ذلك: استفهموه بصيغة الأمر بالاستفهام، أي: اختبروا أمره بأن يستفهموه عن هذا الذي أراده وابحثوا معه في كونه الأولى أولاً)(١).

وقال النووي رحمه الله: (اتفق قول العلماء على أن قول عمر: «حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن «يكتب» أموراً ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء)(٢).

(وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه رأيه).

وأشار بقوله: «حسبنا كتاب الله» إلى قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

يحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب، وقامت عنده قرينة بأن الذي أراد كتابته ليس مما لا يستغنون عنه، إذ لو كان من هذا القبيل لم يتركه ﷺ لأجل اختلافهم، ولا يعارض ذلك قول ابن عباس: {إن الرزية} إلخ، لـ(أن عمر كان أفقه منه قطعاً).

وقال الخطابي رحمه الله: (لم يتوهم عمر الغلط فيما كان النبي ﷺ يريد كتابته، بل امتناعه محمول على أنه لما رأى ما هو فيه من الكرب وحضور الموت «خشي أن يجد المنافقون سبيلاً إلى الطعن فيما يكتبه، وإلى حمله على تلك الحالة التي جرت العادة فيها بوقوع بعض ما يخالف الاتفاق» فكان ذلك سبب توقف عمر، لا أنه تعمد مخالفة قول النبي ﷺ ولا جواز وقوع الغلط عليه حاشا وكلا)(٣).

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٣٣).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٩٠).
(٣) فتح الباري (٨/ ١٣٤).

وقال ابن تيمية ﵀: (وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه فقد جاء مبيناً كما في الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: {ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى ويأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر}(١).

وفي صحيح البخاري عن القاسم بن محمد قال: {قالت عائشة: وارأساه. فقال رسول الله ﷺ: لو كان وأنا حي فاستغفر لك وأدعو لك. قالت عائشة: واثكلاه والله إني لأظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك فقال رسول الله ﷺ: بل أنا وارأساه لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ويدفع الله ويأبى المؤمنون}(٢).

وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة قال: {سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها: ثم من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة عامر بن الجراح}(٣) ثم انتهت إلى هذا.

وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قول النبي ﷺ من شدة المرض أو كان من أقواله المعروفة والمرض جائز على الأنبياء ولهذا قال: «ما له أهجر» فشك في ذلك ولم يجزم بأنه هجر، والشك جائز على عمر فإنه لا معصوم إلا النبي ﷺ، لا سيما وقد شك بشبهة، فإن النبي ﷺ كان مريضاً فلم يدر أكلامه كان من وهج المرض كما يعرض للمريض أو كان من كلامه المعروف الذي يجب قبوله، وكذلك ظن أنه لم يمت حتى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٣٨٥).

تبين أنه قد مات والنبي ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع علم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: {ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}.

وقول ابن عباس: {إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب الكتاب} يقتضي أن هذا الحائل كان رزية وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق أو اشتبه عليه الأمر فإنه لو كان هناك كتاب لزال هذا الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد.

ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصا جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب. وإن قيل: إن الأمة جحدت النص المعلوم المشهور فلأن تكتم كتاباً حضره طائفة قليلة أولى وأحرى، وأيضاً فلم يكن يجوز عندهم تأخير البيان إلى مرض موته ولا يجوز له ترك الكتاب لشك من شك، فلو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته لكان النبي ﷺ يبينه ويكتبه ولا يلتفت إلى قول أحد فإنه أطوع الخلق له، فعلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجباً ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ إذ لو وجب لفعله، ولو أن عمر رضي الله عنه اشتبه عليه أمر ثم تبين له أو شك في بعض الأمور فليس هو أعظم ممن يفتي ويقضي بأمور، ويكون النبي ﷺ قد حكم بخلافها مجتهداً في ذلك، ولا يكون قد علم حكم النبي ﷺ فإن الشك في الحق أخف من الجزم بنقيضه، وكل هذا إذا كان باجتهاد سائغ كان غايته أن يكون من الخطأ الذي رفع الله المؤاخذة به كما قضى علي في الحامل المتوفى عنها زوجها أنها تعتد أبعد الأجلين مع ما ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه لما قيل له: {إن أبا السنابل بن بعكك أفتى بذلك لسبيعة الأسلمية

فقال رسول الله ﷺ: كذب -أي أخطأ- أبو السنابل بل حللت فانكحي من شئت}[1] فقد خطأ النبي ﷺ هذا الذي أفتى بهذا وأبو السنابل لم يكن من أهل الاجتهاد، وما كان له أن يفتي بهذا مع حضور النبي ﷺ، وأما علي وابن عباس رضي الله عنهما وإن كانا أفتيا بذلك لكن كان ذلك عن اجتهاد وكان ذلك بعد موت النبي ﷺ ولم يكن بلغهما قصة سبيعة، وهكذا سائر أهل الاجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم إذا اجتهدوا فأفتوا وقضوا وحكموا بأمر الله والسنة بخلافه ولم تبلغهم السنة كانوا مثابين على اجتهادهم مطيعين لله ورسوله فيما فعلوه من الاجتهاد بحسب استطاعتهم، ولهم أجر على ذلك ومن اجتهد منهم وأصاب فله أجران.

وفي الباب نفسه قال أحد المبطلين: هل تعلمون من هو المريض الذي منع من أبسط حقوقه؟!

إنه نبي الله ورسوله ﷺ ومرجع الأمة وقائدها محمد بن عبد الله ﷺ!!! وتفصيل ذلك أنه أراد أن يلخص الموقف فقال لمن حظر عنده: {قربوا أكتب لكم كتاباً لن تظلوا بعده أبداً، فتصدى له عمر بن الخطاب، وقال: لا حاجة لنا بكتابة الكتاب، حسبنا كتاب الله، إن المرض قد اشتد برسول الله!!! وانقسم الحاضرون إلى قسمين: قسم يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله، والقسم الآخر يقول: حسبنا كتاب الله، إن رسول الله ﷺ اشتد به الوجع، أو إن رسول الله – حاشاه – يهجر، فاختلفوا وتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع، فغضب النبي ﷺ بعد صدموا خاطره الشريف بقولهم هجر أو يهجر، وقال لهم: قوموا عني ما أنا فيه خير مما أنتم فيه}[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المصادر: صحيح البخاري، كتاب المرض، باب قول المريض قوموا عني، وحواشيه، صحيح مسلم آخر كتاب الوصية، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٥٥)، تاريخ الطبري (٢/ ١٩٣)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٢٠).

ولكن لنطلع على حادثة مشابهة لها يحدثنا بها أهل الحديث والتاريخ وهي[١]، (أن أبا بكر دعا عثمان خالياً فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، قال: ثم أغمي عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أما بعد فاني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيراً ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أسلمت نفسي في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله وأقرها أبو بكر رضي الله عنه، وذكر الطبري قبل ذلك أنه كان جالساً والناس معه، ومعه شديد مولى لأبي بكر، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر، وعمر يقول: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ، أنه يقول أني لم آلكم نصحاً)[٢].

(ولنعقد مقارنة بسيطة بين هاتين الحادثتين):

رسول الله ﷺ مرض، وأبو بكر مرض، رسول الله تكلم وهو مريض، وأبو بكر تكلم وهو مريض، وقد اشتد المرض برسول الله ولكن لم يغم عليه من شدة الوجع، وأبو بكر اشتد به المرض ولكن أغمي عليه من شدة المرض، وعمر حضر الاثنين، ولكن عندما أراد أن يتكلم قال عمر: {حسبنا كتاب الله، إن الوجع قد اشتد برسول الله أو قال: استفهموا إن رسول الله يهجر}!!! أما أبو بكر عندما أراد أن يتكلم قال عمر: «اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، أنه يقول: إني لم آلكم نصحاً»!

أقول: أبو بكر يكتب ويقابل ما كتبه بكل احترام وتقدير، وينفذ حرفياً ولا يكسر أحد بخاطره، وتقوم الاعتراضات على رسول الله ﷺ إذا أراد أن يكتب مع أن الذي أراد أن يكتبه رسول الله هو الأمان من الضلالة!

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٢٩) سيرة عمر لابن الجوزي (ص:٣٧)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ٨٥).

(٢) راجع تاريخ الطبري (١/ ٢١٣٨).

ربما سيقال: إنه تعريض لشخص عمر أو غيره وهو الصحابي وهو الشخص الثالث في الأفضلية بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر.

أقول: هذا ما أثبته التاريخ لنا فهل لنا أن نغمض أعيننا عنه مراعاة لكرامة ومنزلة صحابة رسول الله ﷺ ومن نعتبرهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، أم نهمله من أجل أن لا نجرح شعور من اعتقد بهم وجعلهم أفضل الناس!! إلا يكون هذا باباً لا نعيد النظر في اعتباراتنا ونحقق ما نحن عليه بخطا علمية رصينة وأرواح طالبة للحق؟؟

الرد: أما قولك: فتصدى له عمر بن الخطاب، وقال: لا حاجة لنا بكتابة الكتاب، حسبنا كتاب الله، إن المرض قد اشتد برسول الله... إلخ.

فأقول لك: كلمة (تصدى له عمر) توحي بأنه منعه وقال له: اسكت ولا تتكلم ومت لكي لا يحصل علي على الخلافة. وهذا يصف الحادث وكأنه هو الذي كان هناك!! كلامك هذه فيه اتهام لعلي رضي الله عنه لأن الذي يهاجم رسول الله ﷺ ويسكته ويتصدى له لا بد أن يواجهه أحد المخلصين ليردعه عن هذا الفعل الأثيم، فنحن نقول: أين علي بن أبي طالب ليردعه بالسيف؟! ولماذا لم يأمر الرسول ﷺ بطرد عمر فقط ومن معه لكي يسمع المخلصون وحي الله؟! فإن قلتم: هو رحيم بأمته ولا يفعل ما ينفر الناس، قلنا لكم: هو حقاً رحيم ولكنه ﷺ لا يرحم من يمنع وحي الله أبداً؛ لأنه حجر عثرة فإن عمر كما تزعمون منع وحي الله عن الأمة.

ثم ما ذنب الذين أرادوا كتابة الكتاب؟! لماذا طردهم الرسول ﷺ؟؟!! إن قلت لي: لأنه لا ينبغي التخاصم عند نبي، قلنا لك: ولكن مصيبة منع الكتاب أكبر من موضوع التخاصم فلابد من الجهر بالوحي ولو خالفه عمر ومن معه كما تزعمون.

وكذلك نحن نسألكم: هل الذي كان رسول الله ﷺ سيكتبه هو أمر لم يقله سابقاً؟! إن قلتم: نعم أمر لم يقله سابقاً، قلنا لكم: أنكم تكذبون بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] وإن قلتم: هو قاله وأراد أن يؤكده مرة أخرى، نقول لكم: وهل بدون هذا التوكيد سيتحقق ضلال الأمة؟؟ إن قلتم: نعم، نقول لكم: أنتم اتهمتم الله عز وجل في أنه أضل عباده بقبض روح رسوله قبل أن يقول لهم، ويعيد عليهم الأمر الذي لن يحصل لهم هداية إلا به. فإن قلتم: الحجة تقوم على العباد ولو بدون أن يكرر الرسول ﷺ نفس الكلام، قلنا لكم: بما أن هذا الأمر قد حصل في السابق فلماذا تنكرون على عمر رضي الله عنه في إراحة الرسول ﷺ من الإعادة لأنه بين وشهد ببلاغ الرسول السابق وكتاب الله موجود فلن نضل بوجودهما بين أيدينا وفي صدورنا.

ثم إني أقول لك: وأسألك بالله هل كان الصحابة يعلمون أنه كان سيموت بعد أن يخرجهم من عنده؟!

إن قلت لي: نعم. أقول لك: كذبت لأنهم لو كانوا يعلمون أنه سيموت لما اضطربوا حتى عمر كان لم يصدق أنه مات وكانت صدمة الحال عليهم كبيرة كما هو في البخاري فلا بد أن تنقل لنا من كتبنا لتلزمنا به؛ لأنه لا يجوز لك أن لا تقارن أحاديثنا بعضها ببعض لكي تحاججنا بها أما النتاف فلا. بما أنهم لم يكونوا يعلمون أنه سيموت لأنهم لا يعلمون الغيب، فما العيب في أن يؤجل أمر الكتاب إلى أن يصح حال رسولنا ﷺ. مع العلم أنه ﷺ لم يقل لهم: اسمعوا مني لأني سأرحل ولن تسمعوا مني بعدها شيئاً إلا الآن.

أما قولك: فغضب النبي ﷺ بعد ما صدموا خاطره الشريف بقولهم: هجر أو يهجر، وقال لهم: قوموا عني ما أنا فيه خير مما أنتم فيه.

فأقول لك أولاً: أنت كأنك تتهم عمر أنه هو القائل: يهجر؟! قلنا: إن القائلين هم من المسلمين الجدد وليسوا من أهل المعرفة التامة من القدماء في الإسلام، وذكرنا كلام ابن حجر فلماذا التمويه؟ أما غضب الرسول ﷺ فهو كان لتخاصمهم وليس لكلام عمر، ولذلك أخرجهم جميعاً ولم يستثن منهم الذين أرادوا كتابة الكتاب فتنبه. وهذا بدليل قولك وقال لهم: قوموا عني ما أنا فيه خير مما أنتم فيه.

ثم أنت لم تأتنا بمرجع هذه الجملة ولم تأتنا بشرحها من كتبنا لكي تقيم الحجة علينا كما تزعم.

نحن لا نفسر أحاديثنا بهوى كلام الخصوم؛ لأننا نقارن الأحاديث الصحيحة بعضها ببعض، ونستنبط الكلام ولا نبتر شطره ونتجاهل الكلام المستفيض.

تنبيه: (لا بد أن تأتنا بكل حديث حرفياً على حدة مع المرجع، ولا تخلط المراجع وتأتي بالأحاديث على نمط كلامك. لا بد من لفظ الحديث ثم تعلق أنت بعده. ثم لا تنس أن كتب التاريخ لا نأخذ منها إلا الصحيح فهل لك بتفصيل تصحيحي لكلامهم من علمائنا في الحديث؟!

أما قولك: (جاء في تاريخ الطبري مجلد ٣ ص ٤٢٩، سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٨٥: أن أبا بكر دعا عثمان خالياً فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، قال: ثم أغمي عليه... تاريخ الطبري ج ١ ص ٢١٣٨... وقد اشتد المرض برسول الله ولكن لم يغم عليه من شدة الوجع، وأبو بكر اشتد به المرض ولكن أغمي عليه من شدة المرض، وعمر حضر الاثنين، ولكن عندما أراد أن يتكلم قال عمر: حسبنا كتاب الله، إن الوجع قد اشتد برسول الله أو قال: استفهموه إن رسول الله يهجر!!! أما أبو بكر

عندما أراد أن يتكلم قال: عمر اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، أنه يقول: إني لم آلكم نصحا...).

أقول: أبو بكر يكتب ويقابل ما كتبه بكل احترام وتقدير، وينفذ حرفياً ولا يكسر أحد بخاطره، وتقوم الاعتراضات على رسول الله ﷺ إذا أراد أن يكتب مع أن الذي أراد أن يكتبه رسول الله هو الأمان من الضلالة!!!

فأقول لك: كذبت والله لأن الرسول ﷺ كانوا يقولون له: «يا رسول الله الصلاة» فأراد أن يقوم ليصلي بالمسلمين فأغمي عليه ثلاث مرات وهم يصبون الماء عليه ثم أمرهم بأن يأمروا أبا بكر أن يصلي بالمسلمين؟ ثم أنت كيف تقارن بين مرجع البخاري في الصحة عندنا وتقارنه بتاريخ ابن خلدون والسير وتاريخ الطبري، وكل هذه الكتب هي فيها أمور كثيرة لا تثبت عندنا وحتى الطبري لم يشترط صحة كل ما في كتابه في التاريخ، وهذا نص كلامه كما هو في مقدمته: (فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحة، ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا)[1].

فلماذا لم تبين لنا صحة الكلام بنقل كلام أهل الحديث؟

ثم أقول لك: إن حالات الاحتضار تختلف من شخص لآخر، وهذا لا يستطيع أحد أن يعلمه على وجه فاصل إلا العالم بأمر الروح وهو الله عز وجل، أما الإغماء فليس معناه أنه يموت؛ لأن كثيراً ممن أغمي عليه ويئس الطب منه، رجع على أفضل مما كان عليه، فعمر لم يقل للناس: لا تسمعوا للرسول ﷺ لأنه مثل الذي خرف أو أسكر

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٨).

على عقله، وكلامه غير مقبول إلا إن قام على قدميه، وإنما قال: حسبنا كتاب الله، فلماذا تتهم عمر بكلام قاله غيره من بعض من أسلم حديثاً؟!

وأما قولك: من الذي منع الرسول ﷺ من كتابة الكتاب، فإن قلت: (كثرة اللغو والاختلاف) أقول: صحيح ولكن من كان أول معارض لكتابة ذلك الكتاب ومن هو الذي أدى إلى هذا اللغو والاختلاف؟؟ الظاهر من الأحاديث الواردة أن القوم انقسموا إلى قسمين: قسم يؤيد الرسول ﷺ وقسم يؤيد عمر وحصل الاختلاف بينهم.

فأقول لك: إن عمر رضي الله عنه لم يعارض كما ظننت أنت، وإنما أراد أن الرسول ﷺ متعب في هذه اللحظة بسبب المرض والأنفع له أن يأخذ قسطاً من الراحة، وليكتب ما أراده لاحقاً بعد أن يسترجع عافيته قليلاً؟؟ ثم إن عمر رضي الله عنه لا يعلم أن الرسول ﷺ سيموت بعد هذا الأمر بقليل، ولا يعلم أن الصحابة سيختلفون بعد أن يقول تلك المقولة.

فالسبب في عدم الكتابة قد صرح به الرسول ﷺ: {قوموا عني فإنه لا ينبغي عندي التخاصم} ولاحظ أنه لم يقل: قوموا عني فإنه لا ينبغي رد أمري. وبيَّنا مراراً أنه ﷺ قد طرد الفريقين معاً لأنه غضب على سلوكهم جميعاً.

فإن لم يكن سبب طردهم هو خصامهم في حضرته، فلم طرد الرسول ﷺ الفريقين معاً ولم يبق معه الذين أرادوا الكتابة؟ فلو كان عمر ومن معه يخططون للتأكد من موت الرسول ﷺ قبل الكتابة لرفضوا الخروج أيضاً كما رفضوا الكتابة.

والرسول ﷺ يعلم أنهم سيطيعونه لو كرر طلب الكتابة أو أصر عليها، فلو كان الرسول ﷺ يعتقد أنهم خرجوا عليه عناداً لأمره ومكابرة له كما يزعم الأفاكون لما

طمع أن يطيعوه في طرده لهم، ولكنهم فعلوا وخرجوا والخصام ليس بينهم وبين الرسول ﷺ وإنما بين بعضهم البعض.

والذي أغضب الرسول ﷺ أنه من المفروض أن لا يتدخل الفريق الثاني ليعارضوا عمر ومن معه. فالأولى على الفريق الثاني انتظار كلام الرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ هو الذي ينكر على عمر لو كان ما فعله منكراً لأنه ﷺ هو أعلى وأبصر وأفضل من أنكر منكراً وأمر بمعروف، فالمفروض أن يتركوا الرسول ﷺ يؤيد عمر أو ينكر عليه، ولكنه ﷺ لم ينكر على عمر رضي الله عنه.

وعمر لم يخنق الرسول ﷺ ويضع يده على فيه ويقول له: اسكت ومت وأنت مريض ولا تفضح خطتنا وعملية شغبنا.

فالسبب هو الخصام بين الطرفين وليس أمراً آخر. وقد حدث سابقاً أنهم تلاحوا في القدر فخرج الرسول ﷺ غاضباً كأنه فقع حب الرمان في وجهه من الغضب(١). وكذا عندما تلاح رجلان في ليلة القدر رفعها الله ولم يقل أحدهم للآخر: أنت سبب رفع بركة لليلة القدر وإنما قال الرسول ﷺ مبيناً سبب رفع البركة وهو تلاحي فلان وفلان وخصامهما وعدم انتظار القول الفصل من الرسول ﷺ(٢).

ثم إن قلت: إن الرسول ﷺ كان مريضاً متعباً لم يستطع أن يسكتهم ويسكت عمر ويكتب الكتاب قلنا لك: يا سبحان الله عندما يبين عمر أنه مريض متعب تقولون: إن عمر أسكته عدواناً وليس رفقة به.. وعندما يكون الخصام تقولون: إن الرسول مريض لا يستطيع أن يسكتهم!!! أليس هو ﷺ قد أسكتهم فعلاً وقال لهم: إنه لا ينبغي عند نبي خصام؟؟!! إذن هم سكتوا وسمعوا مقالته، فلماذا عندما حانت

---

(١) انظر: سنن ابن ماجه برقم (٨٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري برقم (٤٩).

له فرصة التكلم لم يتكلم على الأقل بها في الكتاب؟ لماذا لم يبين لهم من باب تبليغ أمر الله سواء قبلوه أم رفضوه؟؟!! لماذا لم يقل ثلاث كلمات بدون كتابة: (علي خليفة بعدي)؟؟!! لماذا قال كلمات أكثر من ثلاث وهي: {قوموا عني إنه لا ينبغي عندي خصام}؟؟!! أليس هذا دليلاً على أن سبب الطرد هو الخصام وليس قول عمر ومن أيده؟؟!!

أما قول المبطلين: ولعل ما نراه اليوم من شتات الأمة وفرقتها وانقسامها إلى فرق بعضهم يكفر بعضاً ويستبيح دماءهم وأموالهم بسبب عدم كتابة ذلك الكتاب ليكون وثيقة رسمية تسير عليها الأمة ومن خالفها فإنه يخرج عن ملة الإسلام وهل بعد هذا الضلال ضلال!!

فأقول لك: معنى كلامك أن الدين ناقص وأنت تكذب قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]؟! أليس في كمال ديننا عصمة لنا عن الضلال بشرط التمسك به؟؟!!

إن الضلال الذي خالفه الرسول ﷺ هو ليس ضلال في العقيدة أو الأحكام أو غيره، وإنما كان خوفه ﷺ أن يطمع في الخلافة طامع يفرق كلمة المسلمين فأراد أن يثبت الأمر لأبي بكر رضي الله عنه مكاتبة. وأنتم إذا كنتم تحاجونا بما في البخاري وبما عندنا فيجب عليكم أن تنظروا لبقية الروايات التي تؤيد هذه الرواية؛ لأن الشريعة تصدق بعضها بعضاً، ولا يجوز لك أن تبتر أمراً وتتعامى عن أمر آخر؛ لأن علماءنا يفسرون الحديث بأحاديث أخرى تزيل إبهامه، وكتاب فتح الباري هو خير مثال على ذلك فنحن نذكر مع هذه الرواية أيضاً لأن الكل من عندنا.

فهنا نذكر قول الرسول ﷺ لعائشة: {ادعي لي أخاك أكتب لأبيك كتاباً.. إلخ}

بمعناه ثم غير راية ﷺ وقال: {يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر} بمعناه وكذلك عندما سألوا عائشة ﵂ عن الكتاب فقالت: أنه أراد أن يكتب لأبي بكر.

وقد تم ما أراده الرسول ﷺ وهو أن الخليفة أصبح بعده أبو بكر؛ لأن الجميع من الصحابة يعلم قدر الصديق ﵁.

والمنهج العلمي الرصين والطريق القويم أخذ الدين كله وجمع النصوص كلها كي يفسر المجمل بالمبين والمطلق بالمقيد والعام بالخاص، وكي لا نكون من الذين في قلوبهم زيغ المتبعين لما تشابه منه ابتغاء الفتنة أو من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

وأما قولك: ومما يؤيد هذا قول ابن عباس (﵄): {إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب} بل إن في بعض ألفاظ الحديث {إنه عندما يذكر ذلك كانت دموعه تخضب الحصباء}[1]، كما في صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، بحيث اشتهرت هذه الحادثة عند المسلمين برزية يوم الخميس.

فأقول لك: هلا نظرت في شرح الحديث؟!؟! هل تظن أننا نقدم ابن عباس على عمر ﵁؟ صحيح أن الصحابة كلهم عدول ولكن هم طبقات، فإن اختلفوا فيقدم الأعلم على من هو دونه، لا سيما إن أقره على فعله ولم ينكر عليه من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وأما قولكم: (إن الروايات التي كانت تذكر أن أول من تصدى للرسول ﷺ قد أخرجها البخاري ومسلم بلفظ: {إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع} والتي جاءت

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٣).

بلفظ: {فقالوا: ما له هجر؟ استفهموه} نسبوا القول لقائل بدون ذكر اسمه ولكن هذا لا ينفع، فمراجعة الأحاديث حول الحادثة تظهر أن القائل هو عمر؛ لأنها تذكر أن أول من تصدى له هو عمر ولم تذكر غيره.

أقول لك: يا سبحان الله!!! أنت تدعي أن هناك عصابة حرفت الحقائق وأبدلت صيغة المفرد بصيغة الجمع ليخفون أن القائل هو عمر!! أقول لك: لو كان كلامك هذا حقاً فهل فات هذه العصابة أن تخفي أيضاً لفظة عمر وتجعله بصيغة الجمع أيضاً وتقول بدل قال عمر... قالوا: غلب عليه الوجع.

وأما زعمك أن قائل كلمة: أهجر، هو عمر لأنها تذكر أن أول من تصدى له هو عمر ولم تذكر غيره.

فأقول لك: هذه دعوى تفتقر إلى دليل ولا دليل عليها، ثم أليس يجب أن تحاججنا بما تجده في كتبنا حرفياً، ولا حاجة لنا لاجتهاداتك العقيمة.

أما قولك: ثم إن كلمة (غلب عليه الوجع) لا تختلف كثيراً عن (أهجر).

فأقول لك: ومن قال لك أنه لا فرق بينهما؟ أليس من المفروض أن تنقل لنا شواهد من القواميس وكلام العرب لتثبت لنا زعمك هذا؟ أم هذا اجتهاد منك لم يسبق إليه أحد كما عودتنا؟!

وأما قولك: إن عمر تصدى للرسول ﷺ ومنعه من كتابة الكتاب وقال: «إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله»، واضح أنه يقصد أنه لا حاجة لنا بالكتاب، يكفينا كتاب الله.

فأقول لك: هل تعتبر الرسول ﷺ ساكتاً عن الحق؟ إن قلت: الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يحرك شفتيه لأنه مريض ومتعب لا يستطيع أن ينكر على

عمر فأقول لك: إذن كيف سيستطيع أن يـأمر ويـتكلم بالكتابـة!؟ وكيـف اسـتطاع أن يطردهم من عنده وقال لهم: (قوموا عنـي... إلـخ)؟! إن كـان قـادراً عـلى الكـلام ﷺ فهو قادر على الإنكار على عمر رضي الله عنه ولكنه لم يفعل.

وقال أحدهم: ورد في مسند أحمد بن حنبل (باقي مسند المكثرين) حـدثنا موسـى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر {أن النبي صلى اللهم عليه وسلم دعـا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يـضلون بعـده. قـال: فخـالف عليهـا عمـر بـن الخطاب حتى رفضها}[١].

اذاً فاهل السنة والجماعة يقولون بذلك ويعترفون بـأن النبـي كـان يريـد أن يكتـب وصية فمنع من قبل: الصحابي عمر بن الخطاب.

فأقول لك: انقل لنا التصحيح لهذا الحديث لتكون مناقشاً على بينة.

ثانياً: وبدون أن تقـول لنـا التفـصيل فـأقول لـك: لا يعنـي هـذا الحـديث أن عمـر رضي الله عنه رفض مدلول الكتاب وإنما رفض اختيار وقت كتابة هذا الكتاب وهـو في وقـت مرض الرسول ﷺ. أما قولك: أن جابراً رضي الله عنه قال: «دعا عنـد مـرض موتـه» فـأقول لك: جابر رضي الله عنه لم يكن يعلم لا هو ولا عمر أن الرسول ﷺ كان في مرض موته.

فهو لم يقول ذلك إلا بعد موته ﷺ؛ لأن العالم بالأعمار هـو الله وحـده والرسـول ﷺ لم يقل لهم أنه سيموت ولم يسمعوا الكتاب إلا الآن.

فهناك ما يمسى بفقه الحديث ومقارنته وليس بالشروح المنكوسة حسب الأهواء، فالإنصاف مرغوب والتجرد للحق مطلوب.

وقال أحدهم: (مقولة «غلب عليه الوجع، حـسبنا كتـاب الله» هـل هـي جـائزة في

(١) مسند أحمد برقم (١٤٧٦٨).

حق الرسول ﷺ وتليق بمقامه العظيم، ثم أن محاولة التبرير لعمر بن الخطاب بأنه يريد (راحة النبي) وأراد - كما يدعي المبررون عنه - أن يؤجل الكتاب لحين آخر، فذلك غير صحيح لأن عمر قال: «غلب عليه الوجع» ثم ماذا قال: «حسبنا كتاب الله» ولم يقل: انتظروا لغد أو بعد غد حتى يشفى (لأن عمر لا يعلم الغيب!) فقول عمر: «حسبنا كتاب الله» أمر خطير (فهل يجوز ترك النبي ورفض أوامره ومخالفته!) طبعاً لا يقول بذلك مسلم، فلو كان الأمر رحمة بالنبي لما قال: «حسبنا كتاب الله!».

ومحاولة إقحام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في القصة تهرب صريح ومستغرب، ويعد محاولة للهرب والتهرب من الحقيقة التي تدين عمر، بل يصل الأمر إلى كون القائل بذلك أنه من النواصب والعياذ بالله، فليس دفاعك عن عمر يدعوك لأن تتهجم على علي (ع) لأن الرسول يقول لعلي: {حربك حربي وسلمك سلمي} وقال فيه أقوالاً تسكت النواصب وترد كيدهم في نحورهم.

أما تقديم عمر على ابن عباس، فهاك أقوال النبي ﷺ في ابن عباس: أولا أنه (حبر الأمة)، {اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل}[(١)]، {اللهم علمه الحكمة}[(٢)]، {نعم ترجمان القرآن أنت}[(٣)]، {اللهم فقهه في الدين وانتشر منه}، كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه.

ورد في البخاري: حدثنا إبراهيم أخبرنا هشام عن ابن جريج سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس قال: {وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال: قال عمر رضي اللهم عنهم يومًا لأصحاب النبي صلى اللهم عليه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٦٥).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٨٠) (١١١٠٨).

وسلم: فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة:٢٦٦] قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر: يا ابن أخي قُل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلًا لعمل. قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله}(١).

وله من العلم والفضل ما لم ينله عمر وتكفيك قصة عمر وعمار في التيمم والكثير الكثير، فاذا أردت أن نبين لك فضائل ابن عباس على أبي حفص لأريناك الكثير فلا تعجل).

الرد: أنت تقول أن القائل لكلمة يهجر هو عمر ودليلك رواية أحمد!!! ولكن الحديث ليس فيه كلمة يهجر أصلاً!

أما قولك: (مقولة: «غلب عليه الوجع، حسبنا كتاب الله» هل هي جائزة في حق الرسول ﷺ وتليق بمقامه العظيم).

فأقول لك: أليس الرسول ﷺ بشر يغلبه الوجع كما يغلب غيره؟ هل أنت تفهم الكلام أصلاً؟ ألم يحدث أن غلبه الوجع من قبل أكثر حتى غشي عليه ﷺ عندما أراد أن يصلي بالمسلمين؟ إذا كنت أنت لا تجيز عليه غلبة الوجع لكان لزاماً عليك أن تقول أن الموت لم يغلب الرسول ﷺ لأن الموت أعلى من مجرد غلبة الوجع، فإن كان معصوماً من ذاك الوجع في مرضة فعصمته من الموت أولى لأن الموت أعلى من مجرد غلبة الوجع.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٣٨).

وأما قولك أن ابن عباس حبر هذه الأمة.. إلخ.

فأقول لك: وما المشكلة في أن يكون عمر أفضل منه؟ هل أنت بكلامك هذا تعتبر أن ابن عباس أعلم من كل أئمتكم!؟ بالطبع لا.

أما حديث التيمم فما العيب في عمر إن جهل هذا الأمر أو نسيه؟ أليس هو بشر؟ ثم هل أنتم تعتقدون أن ابن عباس معصوم بهذا الكلام؟

أما نقلك {حربك حربي وسلمك سلمي}.

فأقول لك: المصدر مع التصحيح. وسأريحك برواية أعم، قال رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين: {أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم} ولكن الخبر الذي لا يسعدك يا هذا هو أن هذا الحديث رواه ابن ماجه[1] وهو ضعيف كما حكم عليه المحدث الألباني، وكذلك رواه الترمذي[2] وقال: حديث غريب، وقال الألباني: ضعيف.

أما قولك: قول عمر: أن النبي ليهجر، فبالله عليك ماذا يعني!

أليس من المتعين عليك أن تثبت أولاً أن القائل هو عمر؟

وأما قولك: ليس هناك قرينة واحدة تدل على أن عمر رفض الوقت.

فأقول لك: إن عمر رضي الله عنه قال هذه القرينة: {إن رسول الله غلبه الوجع} أي أنه لو لم يغلبه الوجع وكان في صحته وعافيته لبادرنا لكلامه بما لا يتعبه، أما وهو مريض الآن فلا بأس من أن ننتظر عافيته؛ لأن المرض عليه شديد الآن، ثم إن الدين قد كمّله الله عز وجل، وهذا يعني أن الرسول ﷺ لن يقول شيئاً جديداً يزيد به على الدين وإنما سيكرر ما قاله سابقاً من باب الوصية ولذلك قول عمر حق: {حسبنا كتاب الله}.

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٤٥).

(٢) جامع الترمذي برقم (٣٨٧٠).

أما قولك: إذا تكلم النبي هل يجوز لأحد أن يرد عليه ويعلمه بالوقت المناسب للكلام.

فأقول لك: بل يشير عليه ولا يعلمه ويرد عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] ففي كتابة شروط صلح الحديبية طلب المشركون من الرسول ﷺ أن يمسح كلمة رسول الله من الكتاب فوافق الرسول ﷺ وأمر علي بن أبي طالب أن يمسح كلمة رسول الله فرفض علي رضي الله عنه هذا الأمر. فهل هذا يعني عندكم أن علياً رضي الله عنه رد أمر الرسول ﷺ وما يجب أن يفعله؟ ولكن الملاحظ هنا أن الرسول ﷺ أصر على رأيه في مسح كلمة رسول الله ولم يلتفت لكلام علي رضي الله عنه.

ولكن الرسول ﷺ لم يصر على كتابة الكتاب قبل موته ولم يقل أخرجوا المعترضين وليبقى الموافقون فقط على كتابة الكتاب، ولنكتب الكتاب بالقوة ولنرفع السيوف في وجوه الكفرة المعاندين لأمري ونناجزهم بالسيوف كما ناجزنا أبا جهل من قبل وأنتم قلة وهم كثيرون، والآن حاربوا عمر واكتبوا الكتاب لأنكم الآن أكثر من ذي قبل وأنا معكم وهم ليس معهم إلا المنافق عمر.

هذا كله لم يحدث، وهو مما يدل على أن الرسول ﷺ لا يجامل عمر وأصحابه لأنه أمر الله. فهل من المعقول أن الرسول ﷺ في بداية دعوته وكل حياته لا يجامل أحداً ويصر على تبليغ أمر الله قولاً وعملاً كما أصر من قبل على قطع يد المخزومية التي سرقت ولم يقبل فيها شفاعة أسامة بن زيد رضي الله عنه(١)، وهل من المعقول في آخر حياته يسكت ولا يصر ولا يأمر المؤيدين له باستعمال القوة لتبليغ إمكانية حصول كتابة الكتاب؟!

---

(١) سبق تخريجه.

أما قولك: وردت الأحاديث الكثيرة الدالة على أن النبي لا ينطق إلا حقاً في جميع الأوقات والظروف، والآية الكريمة تفهمك ذلك ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤].

فأقول لك: وهل عندما أمر الرسول ﷺ علي بن أبي طالب بمسح كلمة رسول الله من كتاب صلح الحديبية هل كان هذا الأمر هو مما نطق بالهوى؟

ولكن اعلم أن أمر الرسول ﷺ لا يخرج أن يكون أحد هذه الأقسام: (ندب واستحباب أو وجوب) فإن كان ندبًا فلا يلزم فعله، وهذا نعلمه من عدم إصرار الرسول ﷺ على حصول الأمر كما أمر الرسول ﷺ بريرة التي فارقت زوجها مغيثاً الذي بقي رقيقاً عندما أعتقت هي أن تعود إليه فسألت الرسول ﷺ: هل هذا أمر أم تخيير؟ فبين لها أنه تخيير فاختارت عدم العودة لزوجها رغم بكائه في طلب إعادتها[1].

أما الذي على الوجوب فهو كأمر الرسول ﷺ بقطع يد المخزومية فإنه ﷺ أصر على القطع رغم شدة التوسطات والتلميحات منهم على عدم القطع. بعد هذا الإصرار علموا أن الأمر لا وساطة فيه ولا تبديل فيه.

ردود أخرى في الباب: من أين يثبت أن قائل هذا القول عمر؟ مع أنه قد وقع في أكثر الروايات (قالوا) بصيغة الجمع (استفهموه) على طريق الإنكار، فإن النبي لا يتكلم بالهذيان البتة وكانوا يعلمون أنه ﷺ ما خطأ قط بل كان يمتنع صدور هذه الصنعة منه ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت:٤٨] ولذا قالوا: فاسألوه.

وتحقيق ذلك أن الهجر في اللغة هو اختلاط الكلام بوجه غير مفهم، وهو على

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٥٢٨٣).

قسمين: قسم لا نزاع في عروضه للأنبياء عليهم السلام وهو عدم تبيين الكلام لبحة الصوت وغلبة اليبس بالحرارة على اللسان كما في الحميات الحارة، وقد ثبت بإجماع أهل السير أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كانت بحة الصوت عارضة له في مرض موته صلى الله عليه وآله وسلم.

والقسم الآخر جريان الكلام غير المنتظم أو المخالف للمقصود على اللسان بسبب الغشى العارض بسبب الحميات المحرقة في الأكثر. وهذا القسم وإن كان ناشئاً من العوارض البدنية ولكن قد اختلف العلماء في جواز عروضه للأنبياء، فجوزه بعضهم قياساً على النوم، ومنعه آخرون، فلعل القائل بذلك القول أراد القسم الأول، يعنى أن هذا الكلام خلاف عادته صلى الله عليه وآله وسلم فلعلنا لم نفهم كلامه بسبب وجود الضعف في ناطقته فلا إشكال.

رد آخر على القول: إن بعض الصحابة بقيادة عمر ارتكبوا خطأ جسيماً بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى طردهم:

سنذكر ههنا نص الحديث كما ورد في المصادر الحديثية لا كما أوردها المخالفون، وذلك لكي يتبين للقارئ الكريم ما وقع فيه هؤلاء من مجانبة للحق والصواب في هذا المطلب العظيم.

– عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هلمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده»، فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا؛ فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر؛ فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قوموا». قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية

ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم}[(١)].

- وفي رواية عند البخاري قال ﷺ عندما كثر عنده اللغط: {دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. قال الراوي: ونسيت الثالثة}[(٢)].

- وفي رواية أخرى للبخاري: {ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر؟ استفهموه. فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه}.

- وفي رواية أخرى للبخاري أن من قال: إن رسول الله وجع بعض الرجال دون نسبة هذا القول لعمر؛ وفيها أن طائفة من أهل البيت كانت مع عمر في رواية جاء فيها: {لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال ﷺ: «هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده». فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده، ومنهم من يقول غير ذلك. فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: قوموا...}[(٣)] الحديث.

- وفي رواية عند الحاكم في المستدرك: (قال رسول الله ﷺ: {ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. ثم ولانا قفاه، ثم أقبل علينا فقال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}[(٤)].

وهذا يحتمل أن رسول الله ﷺ كتب شيئاً من ذلك الكتاب والذي يتضمن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٤٢) (٦٠١٦).

استخلاف أبي بكر.

- وفي رواية «البيهقي» جاءت كلمة هجر بصيغة السؤال: {قالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يفدون عليه. قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه}.

- وفي رواية له: {فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله ليهجر}(١).وكذا عند الطبري.وعند الإمام أحمد بصيغة: {فقالوا: ما شأنه أهجر...}.

- وفي مسند الحميدي من حديث ابن عباس (فقال: {ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: ما شأنه أهجر استفهموه...}(٢).

- وعند أبي يعلى من غير لفظة (هجر) ولا (وجع) من حديث ابن عباس: {اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقال: دعوني، فما أنا فيه خير مما تسألون عنه. قال: أمرهم بثلاث}(٣).

ما نستخلصه من مجموع هذه الروايات ما يلي:

١. قوله في الحديث: «هجر رسول الله» -أي هذى- لم تنسب إلى عمر بن الخطاب في أي رواية لا في الصحيحين ولا في غيرهما من كتب أهل السنة كما يدعي البعض، وكما يدعي بعض الكتاب الأمينين في نقلهم حيث يقولون: (فوجدتها مثبتة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند الحميدي برقم (٥٢٦).

(٣) مسند أبي يعلى برقم (٢٤٠٩).

في الصحيحين). نعم هي مثبتة في الصحيحين لكن لا بلفظ هجر عن سيدنا عمر الذي هو محل الكلام، فماذا يسمى هذا في عرف أهل العلم؟ وإنما نسبت لبعض الرجال الحاضرين كما في رواية الشيخين.

٢. والأصح كما يقول الإمام النووي والسيوطي والقاضي عياض رواية (أهجر) بالهمز أي بالاستفهام اعتراضاً على من رفض الكتابة للرسول ﷺ، أي: هل يمكن أن يهذي حتى تمنعوا عنه أن تحضروا دواة ليكتب لنا الكتاب؟

وقال الإمام النووي رحمه الله: (وإن صحت الروايات الأخرى كانت خطأ من قائلها، قالها بغير تحقيق بل لما أصابه من الحيرة والدهشة لعظيم ما شاهده من النبي ﷺ من هذه الحال الدالة على وفاته وعظيم المصاب وخوف الفتن والضلال بعده)[1]اهـ.

ولك أن تقارن بين موقف أهل السنة من هذه الروايات ومحاولة حملها على معانٍ تليق بصحابة رسول الله ﷺ، وموقف هؤلاء الطاعنين الذين شنعوا على الصحابة وطعنوا عليهم وقوّلوهم ما لم يثبت أنهم قالوه.

٢. قول عمر: «إنه غلب عليه الوجع» عند البخاري ومسلم، معناه أن الرسول ﷺ تعب والكتاب الذي سيكتبه سيطول ويؤذي رسول الله ﷺ ويطيل مرضه ولا نريد أن نؤذي رسول الله، فسيكتبه عندما يصح من وعكته، فإن الله لا يقبضه قبل إكمال الرسالة.

وعمر لم يكن يتوهم وفاة رسول الله ﷺ بدليل عدم تصديقه لخبر وفاته عندما أعلن عنها، فعدم كتابة ذلك كان شفقة برسول الله ﷺ لئلا يتأذى لأن الكتابة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٩٣).

ستطول.

ولا يخفى أن إثبات لفظ الوجع من عمر لرسول الله ﷺ ليس فيه منقصة له عليه الصلاة والسلام.

٣.إن رفض الكتابة لم يكن من عمر وحده، فالروايات كما مر ذكرت «أهل البيت» و «بعض القوم». وهو شامل لكل من حضر في البيت كما ذكر في الصحيحين وغيره، وحمله على عمر دون غيره تحكم ظاهر.

٤. أمره عليه الصلاة والسلام لم يكن على وجه الوجوب وإنما على وجه الندب؛ كما بين الإمام المازري والقرطبي ذلك لقرائن فَهِمَها بعض الصحابة الذين رفضوا الكتابة، بينما ظن الباقون إنها للوجوب؛ فحمَلها مَن منعَ الكتابة على الندب كما حملوا قوله عليه السلام: {لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة}[1]. فكرهوا أن يكلفوه وهو في تلك الحالة مع استحضار قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]. والذي يدل على أن أمره كان للندب عدم إنكاره عليه الصلاة والسلام لمن خالف أمره؛ لأن النبي لا يقر مخالفة الواجب إجماعاً واتفاقاً، وبقاؤه حياً أربعة أيام بعد ذلك دون أن يكتب كما نص على ذلك الإمام البخاري.

ولو كان أمره واجباً والله أمره بالكتابة لما توانى لحظة عن الكتابة ولعاد إلى الطلب مراراً، وهو المأمور بتبليغ ما أمر به. وهذا موافق لما فهمه سيدنا علي في صلح الحديبية عندما أمره ﷺ بمحي كلمة رسول الله فلم يفعل ذلك سيدنا علي لحمله «على تقديم الأدب على الامتثال» كما ذكره أهل السنة.

وإليك الفقرة من الحديث كما رواها أهل السنة والشيعة: عندما رفض المشركون

---

(١) سبق تخريجه.

كتابة «محمد رسول الله»: {فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله؛ لو كنت رسولاً لم نقاتلك. فقال لعلي: امحه. فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه. فمحاه رسول الله بيده}[1].

وفي كتب الشيعة مثل ذلك: {امح يا علي واكتب محمد بن عبد الله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أمحو اسمك من النبوة أبداً فمحاه رسول الله بيده}[2].

٥. أنه عليه الصلاة والسلام عندما قال: {دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه}، ليس إنكاراً على من رفض الكتابة، وإنما معناه: اتركوني لأتفكر وأذكر ربي وأحمده خير من هذا اللجاج. فمراقبة الله تعالى والاستعداد للقائه أفضل من اللجاج.

٦. أنه عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين أوصى قبل موته وصيته المشهورة بإخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد والثالثة التي نسيها الراوي. مما يدل على نسخ أمر الله له بالكتابة وإلا لكتب كما أملى وصيته.

٧. أنه ﷺ ربما أملى شيئاً من هذا الكتاب كما ذكر الحاكم في المستدرك: {أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، ثم ولانا قفاه؛ ثم أقبل علينا فقال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر} ولم يمل غير ذلك؛ فكان باستطاعته أن يكمل الإملاء، وقد عرفنا الكتاب ومضمونه فجعل الاستخلاف لأبي بكر دون غيره.

٨. قال الإمام النووي رحمه الله: (وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق علماء المتكلمين في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره؛ لأنه خشي أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها، لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها؛ فقال عمر: حسبنا كتاب الله. لقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] فعلم أن الله تعالى أكمل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مستدرك الوسائل (٨/ ٤٣٧).

دينه فأمن الضلال على الأمة)[1].

٩. لو كان مراد رسول الله ﷺ أن يكتب ما لا يستغنون عنه – من أصول دينهم، كما يدعي الشيعة بأن الإمامة إنما هي المصححة للتكليف– لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ [الأحزاب:٣٩]. وهو ﷺ لم يترك ذلك لمخالفة من خالفه من المشركين واليهود ومعاداة من عاداه، فبأولى أن لا يتركه ههنا.

ثم قبل ذلك وبعده لا يتصور منه ﷺ أن يكتم شيئاً مما أمر بتبليغه، لأن ذلك مما يستحيل في حقه كما هو مبيّن في عقائد أهل السنة كأصل من أصول دينهم.

١٠. إن قول عمر كان لتحصيل الأمة فضيلة الاجتهاد ولئلا يسد هذا الباب الذي أصّله لهم النبي ﷺ بقوله: {إذا اجتهد الحاكم...} الحديث.

١١. إن أمره عليه الصلاة والسلام لصحابته بالكتابة أمر اجتهادي منه، وليس تبليغاً من الله تعالى، ويدل على ذلك أن عمر اجتهد سابقاً مخالفاً للحكم الظاهر عن الرسول ﷺ، ونزل القرآن بموافقته فظن عمر أن هذا المقام كتلك المقامات بأنه أمر اجتهادي من الرسول ﷺ، يرجع فيه إلى المقاصد والأصول العامة للدين، لا أمر منصوص عليه مقطوع به. والرسول ﷺ لم ينكر عليه عدم كتابة ذلك فدل على أن الأمر كما ظن عمر بدليل إقراره عليه السلام بالسكوت.

١٢. قال الإمام النووي رحمه الله: (وقول عمر: «حسبنا كتاب الله» رد على من نازعه

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٩٠).

لا على أمر النبي ﷺ)[١] اهـ.

وهـذا حمـل لطيـف لكـلام عمـر رضي الله عنه، لمـا أن مهابتـه عليه السلام وإجلالـه في قلـوب الصحابة كانت أكبر من أن يواجه بالرد، على أن كـلام عمـر إذا تـصورناه قيـل بلطف لرسول الله، فليس فيه ما يشكل أبداً، وكلام النووي أن عمر قد جادله بعض الصحابة وأنكـروا عليـه مـستدلين بـأن الرسـول ﷺ يـستحيل عليـه أن يهـذي فلـم تمنعنـا مـن الكتابة، فأجابهم عمر: «حسبنا كتاب ربنا»، أي ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] كما قـال الله تعالى، ويؤخذ من هذا الفهم عدم نسبة قول: (أهجر؟) لسيدنا عمـر رضي الله عنه بـل لمـن نازعه في منعه من الكتابة.

١٣. ثم إنه ﷺ لو نص على شيء أو أشياء لم يرفـع ذلـك الخلاف كـما يقـول ابـن الجوزي، لأن الحوادث لا يمكن حصرها، فهـذا دليـل عـلى عـدم جزمـه عليـه الـصلاة والسلام بها أمر، أي: أن الاختلاف سنة كونية باقية قطعاً، فلو نص الرسـول ﷺ عـلى ما أراد التنصيص عليه لما رفع الخلاف ولأوهـم الخطـأ والكـذب عـلى رسـول الله ﷺ في قوله، ولكان مبرراً قوياً للطعن فيه وفي هذا الدين العظيم.

١٤. قال الخطابي رحمه الله في الحـديث: (لا يجـوز أن يحمـل قـول عمـر عـلى أنـه تـوهم الغلط على رسول الله ﷺ أو ظن ذلك مما لا يليق بـه بحـال، ولكنـه لمـا رأى مـا غلـب على رسول الله من الوجع وقرب الوفاة مع ما اعتراه من الكرب خاف أن يكـون ذلـك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه فيجد المنـافقون بـذلك سـبيلاً إلى الكـلام في الدين، وقد كان أصحابه عليه الصلاة والسلام يراجعونه في بعض الأمور قبل أن يجزم فيهـا بتحتـيم، كـما راجعـوه في يـوم الحديبيـة في الخـلاف وفي كتـاب الـصلح بينـه وبـين

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٩٣).

قريش، فأما إذا أمر بالشيء أمر عزيمة فلا يراجعه فيه أحد منهم. قال: وأكثر العلماء على أنه يجوز عليه الخطأ فيما لم ينزل عليه، وقد أجمعوا كلهم على أنه لا يقر عليه. قال: ومعلوم أنه ﷺ وإن كان الله تعالى قد رفع درجته فوق الخلق كلهم فلم ينزهه عن سمات الحدث والعوارض البشرية، وقد سها في الصلاة، فلا ينكر أن يظن به حدوث بعض هذه الأمور في مرضه فيتوقف في مثل هذا الحال حتى تتبين حقيقته؛ فلهذه المعاني وشبهها راجعه عمر رضي الله عنه)[1].

١٥. أن الإمامية أنفسهم نسبوا لبعض أئمتهم ما رموا به عمر من نسبة الهذيان لرسول الله ﷺ، فهذه رواية روتها كتب الشيعة الإمامية في حق أحد الأئمة وهو معصوم عندهم؛ ولا فرق بينه وبين النبي إلا بالوحي، فقد قال ابن طاوس شرف العترة وركن الإسلام: (ومن ذلك في دلائل علي بن الحسين عليه السلام ما رويناه بإسنادنا إلى الشيخ أبي جعفر بن رستم قال: حضر علي بن الحسين الموت فقال لولده: يا محمد أي ليلة هذه... ثم دعا بوضوء فجيء به، فقال: إن فيه فأرة، فقال بعض القوم إنه يهجر فجاءوا بالمصباح)[2] اهـ.

فانظر كيف أثبتوا لمعصوم عندهم بألسنتهم ما استشنعوه في حق معصوم آخر، على فرض ثبوته!!!.

١٦. لا يستقيم أن يكون سيدنا عمر قد ارتكب خطأ جسيماً في حق رسول الله ﷺ، ثم يقابل من سيدنا علي رضي الله عنه بهذا الثناء، كما ورد في نهج البلاغة، وكما هو مثبت في غيره من الكتب المعتمدة عند الشيعة؛ حتى أنه لفرط محبته له ولبقية الخلفاء الراشدين وتقديره لهم سمى بعض أبنائه أبا بكر، وعمر، وعثمان. وزوج ابنته من

(١) المصدر السابق (١١/ ٩١).

(٢) فرج الهموم لابن طاووس (ص٢٢٨).

السيدة فاطمة (أم كلثوم) من سيدنا عمر رضي الله عنه. والنبي ﷺ يقول: {إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه}[1]، فهل يكون هذا فعل معصوم قد علم إساءة هؤلاء لرسول الله ﷺ، بل وفسقهم وتآمرهم على الدين وردتهم، فيقابلهم بالمحبة والتقدير والثناء. والحمد لله رب العالمين.

رد آخر:

ومن هذه الشبهات ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه ﷺ قال في مرض موته يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام للصحابة الحاضرين في حجرته المباركة: {ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: ما له؟ أهجر؟ استفهموه. فقال: (ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه. فأمرهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. والثالثة إما أن سكت عنها، وإما أن قالها فنسيتها}[2].

وهذه رواية أهل السنة الصحيحة وزعموا أنه يستفاد منها الطعن على عمر بوجوه:

الأول أنه رد قول النبي ﷺ وأقواله كلها وحي لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ** ﴿٣﴾ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤] ورد الوحي كفر لقوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤].

والجواب على فرض التسليم أن هذا القول صدر من الفاروق فقط أنه لم يرد قوله ﷺ بل قصد راحته ورفع الحرج عنه ﷺ في حال شدة المرض، إذ كل محب لا يرضى

(١) رواه الترمذي برقم (١٠٨٤)، وابن ماجه برقم (١٩٦٧).

(٢) سبق تخريجه.

أن يتعب محبوبه ولا سيما في المرض، مع عدم كون ذلك الآمر ضرورياً، لم يخاطب بذلك الرسول ﷺ بل خاطب الحاضرين تأدباً وأثبت الاستغناء عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] وقد نزلت الآية قبل هذه الواقعة بثلاثة أشهر، وقد انسد باب النسخ والتبديل والزيادة والنقصان في الدين، فيتمنع إحداث شيء، وتأكيد المتقدم مستغني عنه لا سيما في تلك الحالة. ولو كان بيان المصلحة رد الوحي وقول الرسول للزم ذلك على علي رضي الله عنه أيضاً، فقد روى البخاري الذي هو أصح الكتب عند أهل السنة بعد القرآن بطرق متعددة أن الرسول ﷺ ذهب إلى بيت الأمير والبتول ليلة وأيقظهما من مضجعهما وأمرهما بصلاة التهجد مؤكداً، فقال الأمير: والله ما نصلي إلا ما كتب الله علينا، أي: الصلاة المفروضة، وإنما أنفسنا بيد الله، يعني لو وفقنا الله لصلاة التهجد لصلينا. فرجع النبي ﷺ وهو يضرب على فخذيه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤] فقد رد الأمير قول الرسول، ولكن لما كانت القرائن الحالية دالة على صدق الأمير واستقامته لم يلمه النبي ﷺ.

وروى البخاري أيضاً أن النبي ﷺ لما تصالح مع قريش في الحديبية كتب الأمير كتاب الصلح وزاد لفظ (رسول الله) فامتنع الكفار عن قبوله وقالوا: لو سلمنا بهذا اللقب لما حاربناه وصددناه عن طوائف البيت، فأمر النبي ﷺ علياً أن يمحو هذا اللفظ وأكد ذلك، فلم يمحه الأمير لكمال الإيمان وخالف الرسول في ذلك حتى محاه النبي ﷺ بيده الشريفة.

وقد ثبتت مخالفة الأمير أيضاً في كتبهم، فقد روى محمد بن بابويه في (الأمالي) والديلمي في (إرشاد القلوب): (أن رسول الله ﷺ أعطى فاطمة سبعة دراهم وقال: أعطيها علياً ومريه أن يشتري لأهل بيته طعاماً فقد غلب عليهم الجوع، فأعطتها علياً

وقالت: إن رسول الله ﷺ أمرك أن تبتاع لنا طعاماً. فأخذها علي وخرج من بيته ليبتاع طعاماً لأهل بيته فسمع رجلاً يقول: من يقرض الملي الوفي؟ فأعطاه الدراهم)[1]. فقد خالف قول الرسول، وتصرف في مال الغير، ومع ذلك فأهل السنة لا يطعنون على الأمير بمثل هذه المخالفات، بل لا يعدون ذلك مخالفة. فكيف يطعنون على عمر بما هو أخف منها.

وأما قولهم: إن أقوال الرسول كلها وحي فمردود؛ لأن أقواله ﷺ لو كانت كلها وحياً فلم قال الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [النساء:١٠٧].

وقال تعالى في المعاتبة عن أخذ الفدية من أسارى بدر: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾ [الأنفال:٦٨].

وأيضاً يلزمهم أن الأمير أيضاً قد رد الوحي حين أمره النبي ﷺ، بمحو اللفظ، وابتياع الطعام مع أنهم لا يقولون بذلك.

الثالث من وجوه الطعن: أنه رفع الصوت والتنازع في حضرة النبي ﷺ وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢].

والجواب: أنه من أين يثبت أن عمر أول من رفع الصوت؟ وعلى تقديره فرفع صوته إنما كان على صوت غيره من الحاضرين لا على صوت النبي ﷺ المنهي عنه في الآية، والأول جائز، والآية تدل عليه حيث قال: ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ [الحجرات:٢]، وقوله ﷺ في إحدى الروايات: {قوموا عني} من قبيل قلة الصبر

---

(١) الأمالي للصدوق (ص٥٥٦).

العارضة للمريض، فإنه يضيق صدره إذا وقعت منازعة في حضوره، وما يصدر من المريض في حق أحد لا يكون محلاً للطعن عليه، مع أن الخطاب كان لجميع الحاضرين المجوزين والمانعين.

الرابع من أوجه الطعن: أنه أتلف حق الأمة، إذ لو كتب الكتاب المذكور لحفظت الأمة من الضلالة ولم ترهم في كل واد يهيمون، ووبال جميع ذلك على عمر.

والجواب: أنه إنما يتحقق الإتلاف لو حدث حكم من الله تعالى نافع للأمة ومنعه عمر. وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] الآية تدل على عدم الحدوث، بل لم يكن الكتاب إلا لمصالح الملك وتأكيد ما بلغه، وإلا فلا يتصور منه ﷺ أن يقول أو يكتب في هذا الوقت الضيق ما لم يكن قاله قط، مع أن زمن نبوته امتد ثلاثاً وعشرين سنة، وكيف يمتنع عن ذلك بمجرد منع عمر، ولم يقله لأحد بعد ذلك مع عدم وجود عمر، فإنه ﷺ قد عاش بعد ذلك خمسة أيام باتفاق الفريقين. فإن قيل: لو لم يكن ما يكتب أمراً دينياً فلم قال: {لن تضلوا بعدي}؟

قلنا: للضلال معان، والمراد ههنا عدم الخطأ في تدبير الملك وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم، وتجهيز جيش أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين. فقد تبين لك بطلان ما طعنوا به، وأظهر لك فساده وقبيح كذبه. والحمد لله رب العالمين.

شبهة: إذا كان عمر بن الخطاب مُصيباً عندما رفض طلب النبي للدواة والقلم ليكتب كتاباً لن يضل به أحد بعده... فما هي العبرة المستفادة من لا وعي النبي يومها كسنة لنطبقها لأن فعل النبي سنة؟

وما هو مصير من يتعرض للنبي بهذه الطريقة؟

الردّ:

وما مصير من يسب أصحاب النبي ﷺ، ويُسيء الأدب مع أصهاره ﷺ؟!

فعُمر رضي الله عنه هو والِد حفصة أم المؤمنين، وهو زوج أم كلثوم بنت عليّ وفاطمة رضي الله عنهم.

وعثمان رضي الله عنه هو زوج ابنتي النبي ﷺ.

ولم يُعرف عن أحد أنه جَمَع ابنتي نبيّ، أي تزوّج بهما الواحدة بعد الأخرى، سوى عثمان رضي الله عنه، ومع ذلك لم يَسْلَم من الأذى والسب والشتم واللعن!

ومن آذى أصهار النبي ﷺ فقد آذى النبي ﷺ.

وقد قال النبي ﷺ: {يا أيها الناس من آذى عَمِّي فقد آذاني}(١).

ونحن نقول: ومن آذى أصهاره فقد آذاه ﷺ.

وأما القول: إن عمر رفض طلب النبي ﷺ، فهذا لا يصحّ، وإنما قال عُمر رضي الله عنه ذلك من باب التأدّب مع النبي ﷺ، ولعدم رفع الصوت عنده ﷺ، ولكراهته لِلّغط عنده ﷺ.

ثم إن ما أراد رسول الله ﷺ أن يَكتبه قاله ونُقِل إلينا.

فإنه عليه الصلاة والسلام لما قال: {ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فتنازعوا – ولا ينبغي عند نبي تنازع – ثم قال: دَعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه. وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجِيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم. قال الراوي: ونسيت الثالثة}(٢) رواه البخاري ومسلم

---

(١) رواه النسائي في الكبرى برقم (٨١٧٦)، والترمذي برقم (٣٧٥٨).

(٢) سبق تخريجه.

وسَبَق أنه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة رضي الله عنها وهو في مرضه: {ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى مُتَمَنٍّ ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}[1] رواه مسلم.

فهذا مما أراد رسول الله ﷺ أن يقوله ويَكتبه.

وعُمر رضي الله عنه كان ينهى عن رفع الصوت عند رسول الله ﷺ وفي مسجده في حياته وبعد موته.

روى البخاري من طريق السائب بن يزيد قال: {كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما. قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما! ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!}[2].

فأنكر عمر رضي الله عنه رَفع الصوت عند النبي ﷺ في حال حياته، وأنكر رفع الصوت في مسجده ﷺ بعد مماته.

وهذا الطاعن يعتبر ذلك مَنقصة في حق عُمر!

وهناك دعوى عريضة لا دليل عليها وهي أن هذا الكتاب هو خلافة علي! دعوى من يقول: إن هذه الدعوى صحيحة.

أنا الآن في هذا المقام سأقول: إن هذا الكتاب هو خلافة أبي بكر.. من يمنعني؟ بل أنا صاحب الدليل لأنه ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: {ائتوني بكتاب فإني أخشى أن يتمنى متمن ويأبى الله إلا أبا بكر} ولذلك جعل النبي ﷺ أبا بكر هو الذي يصلي بالناس في مرض موته صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٠).

من يقول: إن هذا الكتاب هو خلافة علي؟ ولو كان هذا الكتاب هو خلافة علي أليس النبي قد بلّغ خلافة علي - كما يدعي القوم - في الغدير وقبل الغدير في تبوك، وقبل تبوك في مكة في حديث الإنذار حديث الدار فلماذا صار الأمر إلى الآن.. الآن فقط يريد أن يبلغ النبي ﷺ، ثم تعالوا ننظر إلى ما بلغه النبي ﷺ من القرآن ومن السنة كم نسبة المكتوب من غير المكتوب لا شيء، وجل ما بلّغه النبي ﷺ مسموع غير مكتوب، والنبي ﷺ كان يقول: {نحن أمة أمية لا نكتب الشهر عندنا هكذا وهكذا وهكذا}[1] يعد بأصابعه صلوات الله وسلامه عليه، ولذلك انظروا كم حديثاً للرسول ﷺ الذي كتبه الصحابة وكم حديثاً للنبي ﷺ الذي وعاه الصحابة وحفظوه لا مقارنة، فلماذا هذه بالذات تُكتب، فالقصد أننا ننظر في هذا الذي أراده النبي ﷺ هل هو أمر واجب أو أمر مستحب.. قطعاً هو أمر مستحب وليس من الأمر الواجب لأننا قلنا قبل قليل: إذا قلنا: إنه من الأمر الواجب فإننا نقول: إن النبي قد كتم والنبي لم يكتم ﷺ، فهذا ليس بأمر واجب بل هو من المستحبات التي تركها للمصلحة صلوات الله وسلامه عليه.

وختاماً نقول: اقرأوا كتاب الله تبارك وتعالى وتدبروا كلام الله جل وعلا إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد:١٠]، أي: الذين أنفقوا من قبل الفتح والذين أنفقوا من بعد الفتح كلهم وعدهم الله تبارك وتعالى الحسنى، وماذا يترتب على وعد الله تبارك وتعالى بالحسنى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا

(١) رواه البخاري برقم (١٩١٣)، ومسلم برقم (١٠٨٠).

ﭐشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢].

تدبروا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [التوبة:١٠٠].

تدبروا قول الله تبارك وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ ﴾ [الفتح:٢٩].

تدبروا قول الله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر:٨-٩].

اقرأوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨]، أيرضى الله عن المنافقين؟! لا يرضى الله تبارك وتعالى أبداً عن المنافقين، إن الله لا يرضى إلا عن المؤمنين؛ لأن الله تبارك وتعالى يعلم ما كان ويعلم ما يكون ﷻ فالله بكل شيء عليم ولا يرضى الله عن المنافقين أبداً.

إن من أبرز صفات المنافقين في كتاب الله جل وعلا وفي سنة النبي ﷺ وفي واقع الأمر أنهم أجبن الناس، يخافون على أنفسهم ويخافون الموت ولذلك تجدهم مذبذبين كما قال الله جل وعلا: ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾ [النساء:١٤٣]، فهل

هذه الصفات هي صفات أصحاب محمد ﷺ، إن أصحاب محمد ﷺ هم الذين باعوا أنفسهم واشتروا الجنة والذين بذلوا كل شيء في سبيل الله تبارك وتعالى هم الذين قاتلوا المرتدين، وهم الذين فتحوا البلاد؛ هم الذين فتحوا الهند والسند وفتحوا الشام ومصر وفتحوا العراق وفتحوا بلاد فارس، هم أصحاب محمد ﷺ، هم هؤلاء الذين تطعنون أنتم فيهم، والله يقول: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ والله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾ ويقول بعدها: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ وانظروا ماذا تقولون أنتم، وماذا يقول علماؤكم عن أولئك الصحابة، أتصدقون الله ورسوله أو تصدقون علماءكم؟ إنكم بين أمرين، كيف بمن جلس مع طلابه ثلاثاً وعشرين سنة يعلمهم صلوات الله وسلامه عليه وهو رسول الله أوتي جوامع الكلم.. أحرص الناس على الخير.. أتقى الناس لله.. أعلم الناس بالله.. أصدق الناس ومؤيد من عند الله تبارك وتعالى ثم بعد ذلك لم ينجح أحد!! إلا ثلاثة.. إلا أربعة.. إلا خمسة.. إلا سبعة على روايات متفاوتة عندهم... أتقبلون هذا؟!!

أتقبلون أن يُقال: فشل رسول الله ﷺ في تربية أصحابه.. إنه الكفر بعينه إنه الطعن في ذات الرسول ﷺ.

إن صفات أصحاب النبي ﷺ لا يمكن أبداً أن تكون صفات المنافقين.. اقرءوا كتاب الله وتدبروه.. اقرءوا سورة التوبة لتعلموا ما هي صفات المنافقين واقرءوا باقي القرآن، آل عمران والفتح وغيرها من كتاب الله حتى تعلموا صفات أصحاب رسول الله ﷺ.

إنكم تطعنون في أقوام قد حطوا رحالهم في الجنة، إنكم تطعنون في أقوام كان علي

يحبهم وكان أولاده يجلونهم، علي رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم لعمر يا من تطعنون في عمر، علي رضي الله عنه سمى أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان، الحسن سمى أولاده بأسماء أبي بكر وعمر، علي بن الحسين سمى ابنته عائشة وسمى ولده عمر، سُكينة بنت الحسين من زوجها؟ مصعب بن الزبير بن العوام.

إن العلاقات بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأولادهم مع آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأولادهم كانت حميمة جداً، والله ما كان بينهم ما يدعون من كفر أولئك وعصمة الآخرين بل كانت علاقة ود وصفاء ومحبة هكذا كانوا..

لماذا نقبل من الآخرين أن يسيروا فكرنا ولا ننظر نحن في كتب التاريخ وكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتراجم هؤلاء لنعرف الحقيقة بأنفسنا، كل منا سيحاسب في قبره وحده سيحاسبه الله تبارك وتعالى لماذا أبغضت هؤلاء؟.. ما ذنبهم؟.. إنهم أولياء الله جل وعلا والله عز وجل يقول: {من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب}[1]، وإنما توعد الله بالحرب ثلاثة: توعد آكل الربا، وتوعد الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، وتوعد الذين يحاربون أولياءه فاحذر.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٠٢).

قصة حرق عمر رضي الله عنه لبيت فاطمة رضي الله عنها

تفنيد روايات الهجوم الباطلة على منزل فاطمة وإحراق الدار:

يقولون لنا: هل تنكرون التاريخ الذي ذكر: أن عائشة خرجت على إمام زمانها؟ وأن عمر أحرق دار فاطمة؟ وأن معاوية هو الذي دس السم للحسن بن علي؟

فنقول لهم: وهل تنكرون كتب التاريخ التي شهدت بوجود عبد الله بن سبأ اليهودي؟

لو قلنا لهم ذلك لغضبوا وقالوا: لم تثبت شخصية ابن سبأ، وكتب التاريخ تروي الغث والسمين، ولا يجوز أن تعتمدوا على كتب التاريخ من دون التثبت.

فانظر كيف يتناقض القوم. يجوز عندهم أن يحتجوا علينا حتى بقول الشاعر. لكن لا يجوز لنا أن نحتج عليهم بمثل ذلك.

ذكر بعض الآثار التي استخدمها الطاعنون في النيل من أصحاب محمد ﷺ والرد عليها:

١ - وددت أني لم أحرق بيت فاطمة. (قول أبي بكر) قد سبق الرد عليه مفصلاً.

وفيه علوان بن داود البجلي[1]. قال البخاري وأبو سعيد بن يونس وابن حجر والذهبي: (منكر الحديث). وقال العقيلي (الضعفاء للعقيلي٣/ ٤٢٠).

---

(١) لسان الميزان (٤/ ٢١٨) ترجمة رقم (١٣٥٧ – ٥٧٠٨)، وميزان الاعتدال (٣/ ١٠٨) ترجمة (٥٧٦٣).

على أن ابن أبي شيبة قد أورد رواية أخرى من طريق محمد بن بشر نا عبيد الله بن عمر حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه أسلم «أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ﷺ والله ما من أحد أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت. قال: فلما خرج عمر جاؤوها فقالت: تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف عليه فانصرفوا راشدين فروا رأيكم ولا ترجعوا إلي. فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر»[(١)].

قلت: وهذه رواية منقطعة لأن زيد بن أسلم كان يرسل وأحاديثه عن عمر منقطعة كما صرح به الحافظ ابن حجر[(٢)]، وكذلك الشيخ الألباني[(٣)].

ولئن احتججتم بهذه الرواية أبطلتم اعتقادكم بحصول التحريق إلى التهديد بالتحريق. وأبطلتم اعتقادكم بأن علياً لم يبايع؛ لأن هذه الرواية تقول: فلم يرجعوا إلى فاطمة حتى بايعوا أبا بكر.

٢ - حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: «والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتاً السيف فعثر فسقط السيف من يده

---

(١) المصنف (٧/ ٤٣٢) ترجمة (٣٧٠٤٥).

(٢) تقريب التهذيب رقم (٢١١٧).

(٣) إزالة الدهش (٣٧)، ومعجم أسامي الرواة الذين ترجم لهم الألباني (٢/ ٧٣).

فوثبوا عليه فأخذوه»[(١)].

في الرواية آفات وعلل منها:

جرير بن حازم وهو صدوق يهم، وقد اختلط كما صرح به أبو داود والبخاري في التاريخ الكبير[(٢)].

المغيرة وهو ابن المقسم. ثقة إلا أنه كان يرسل في أحاديثه لا سيما عن إبراهيم. ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين وهي المرتبة التي لا يقبل فيها حديث الراوي إلا إذا صرح بالسماع.

٣- أحمد بن يحيى البغدادي، المعروف بالبلاذري، وهو من كبار محدثيكم، المتوفى سنة (٢٧٩هـ)، روى في كتابه عن سليمان التيمي، وعن ابن عون: «أن أبا بكر أرسل إلى علي عليه السلام، يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر ومعه فتيلة أي: شعلة نار، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب! أتراك محرقاً علي بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك!»[(٣)].

هذا إسناد منقطع من طرفه الأول ومن طرفه الآخر. فإن سليمان التيمي تابعي، والبلاذري متأخر عنه فكيف يروي عنه مباشرة بدون وسيط؟ وأما ابن عون فهو تابعي متأخر وبينه وبين أبي بكر انقطاع.

فيه علتان:

أولاً: جهالة مسلمة بن محارب. ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[(٤)]، ولم

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٣).

(٢) (٢/ ٢٢٣٤).

(٣)أنساب الأشراف (١/ ٥٨٦).

(٤) الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٦).

يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ولم أجد من وثقه أو ذمه.

ثانياً: الانقطاع الكبير من ابن عون وهو عبد الله بن عون توفي سنة (١٥٢) هجرية. ولم يسمع حتى من أنس والصديق من باب أولى الحادثة، مع التذكير بأن الحادثة وقعت في السنة الحادية عشر من الهجرة.

وكذلك سليمان التيمي لم يدرك الصديق توفي سنة (١٤٣) هجرية.

٤- روى ابن خذابة في كتابه «الغدر» عن زيد بن أسلم قال: «كنت من حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه من البيعة، فقال عمر لفاطمة: اخرجي كل من في البيت أو لأحرقنه ومن فيه!».

قال: وكان في البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي ﷺ.

فقالت فاطمة: أفتحرق علي ولدي!!

فقال عمر: إي والله، أو ليخرجنّ وليبايعنّ!!

لم يتمكن طارح هذه الشبهات من ضبط اسم المنقول عنه ولا ضبط اسم كتابه.

فهذا المؤلف مختلف في ضبط اسمه فمنهم من ضبطه باسم (ابن خنزابة) ومنهم باسم (ابن خذابة) ومنهم (خرداذبة) ومنهم (ابن جيرانه) ومنهم (ابن خيرانة) ورجح محقق البحار أنه ابن (خنزابة).

ولكن ضبطه الزركلي في الأعلام [1] باسم (ابن حنزابة جعفر بن الفضل بن جعفر) توفي (٣٩١ هـ).

---

(١) الأعلام (٢/ ١٢٦).

أما كتابه فهو كتاب الغرر وليس كتاب الغدر. ومنهم من ضبطه باسم (العذر).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الدليل عند هؤلاء يقوم بوجود ذكر للرواية في أي كتاب كان ولو أن يكون هذا الكتاب مثلاً كتاب ألف باء الطبخ.

٥- ابن عبد ربه في العقد الفريد[١]، قال: الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر، علي، والعباس، والزبير، وسعد بن عبادة.

فأما علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر، عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم!

فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقال: يا بن الخطاب! أجئت لتحرق دارنا؟!

قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة!!

أولاً: ابن عبد ربه من أعيان المعتزلة[٢].

ثانياً: أنه كان مشهوراً بالنصب أيضاً. فإنه كان يعتقد أن الخلفاء أربعة آخرهم معاوية. ولم يدرج علي بن أبي طالب من جملة الخلفاء (الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٧) ومثل هذا نصب عند أهل السنة.

ثالثاً: كتابه كتاب في الأدب يا من عجزتم عن أن تجدوا شيئاً من كتب السنة.

لقد عجز هؤلاء أن يجدوا رواية في كتب السنن والحديث، ولو وجدوا لما اضطروا إلى الاحتجاج علينا بالمعتزلة. وعلى كل حال فقد حدث اندماج بين الشركتين: شركة الرفض وشركة الاعتزال واندمجوا في شركة واحدة.

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٠٥) ط المطبعة الأزهرية، سنة (١٣٢١) هجرية.

(٢) الطرائف لابن طاووس الحسني (ص:٢٣٩).

٦- محمد بن جرير الطبري في تاريخه (٣/ ٢٠٣) وما بعدها، قال: دعا عمر بالحطب والنار وقال: لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقنها على من فيها. فقالوا له: إن فيها فاطمة! قال: وإن!!

مسكين هذا الناقل ذو الجهل المركب حاطب الليل. فإن هذه الرواية لا وجود لها في تاريخ الطبري بهذا اللفظ.

وإنما هو في كتاب الإمامة والسياسة منسوب ومنحول على ابن قتيبة. وهذا الكتاب لم يثبت له لأسباب منها:

أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألّف كتاباً يُدعى الإمامة والسياسة.

أن مؤلف الكتاب يروي عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قاضي الكوفة توفي سنة (١٤٨هـ)، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة (٢١٣هـ) أي: بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

أن الكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى دينور.

٧- ابن الحديد في شرح نهج البلاغة (٢/ ٥٦) روى عن أبي بكر الجوهري، فقال: (قال أبو بكر: وقد روي في رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام، والمقداد بن الأسود أيضاً، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، وخرجت فاطمة تبكي وتصيح...) إلى آخره.

وفي صفحة (٥٧): (قال أبو بكر: وحدثنا عمر بن شبة بسنده عن الشعبي، قال: سأل أبو بكر فقال: أين الزبير؟! فقيل: عند علي وقد تقلد سيفه.

فقال: قم يا عمر! قم يا خالد بن الوليد! انطلقا حتى تأتياني بهما.

فانطلقا، فدخل عمر، وقام خالد على باب البيت من الخارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ فقال: نبايع علياً. فاخترطه عمر فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه وقال: يا خالد! دونكه فأمسكه. ثم قال لعلي: قم فبايع لأبي بكر! فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير فأخرجه، ورأت فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله!...) إلى آخره.

وقال ابن أبي الحديد في صفحة (٥٩ و٦٠): (فأما امتناع علي عليه السلام من البيعة حتى أخرج على الوجه الذي أخرج عليه. فقد ذكره المحدثون ورواه أهل السير، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب، وهو من رجال الحديث ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة).

الجواب:

ابن أبي الحديد حجة على مثله لا علينا.

قال الخونساري -العالم الشيعي-: (هو عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسن بن أبي الحديد المدائني صاحب شرح نهج البلاغة، المشهور، هو من أكابر الفضلاء المتتبعين، وأعاظم النبلاء المتبحرين موالياً لأهل بيت العصمة والطهارة.. وحسب الدلالة على علو منزلته في الدين وغلوه في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، شرحه الشريف الجامع لكل نفيسة وغريب، والحاوي لكل نافحة ذات طيب.. كان مولده في غرة ذي الحجة (٥٨٦)، فمن تصانيفه «شرح نهج البلاغة» عشرين مجلداً، صنفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، ولما فرغ من تصنيفه أنفذه على يد أخيه موفق

الدين أبي المعالي، فبعث له مائة ألف دينار، وخلعة سنية، وفرساً)[(١)].

٨- مسلم بن قتيبة بن عمرو الباهلي، المتوفى سنة (٢٧٦) هجرية، وهو من كبار علمائكم له كتب قيمة منها كتاب «الإمامة والسياسة» يروي في أوله قضية السقيفة بالتفصيل، ذكر في صفحة (١٣) قال: (إن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي رضي الله عنه فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها.

فقيل له: يا أبا حفص! إن فيها فاطمة! فقال: وإن!...). إلى آخره.

تقدم أن كتاب الإمامة والسياسة منسوب ومنحول على ابن قتيبة. وهذا الكتاب لم يثبت له لأسباب منها:

- أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألّف كتاباً يُدعى الإمامة والسياسة.

- أن مؤلف الكتاب يروي عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قاضي الكوفة توفى سنة (١٤٨هـ)، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة (٢١٣هـ) أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

- أن الكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى دينور.

١٠ - ذكر بعض شعرائهم المعاصرين قصيدة يمدح فيها عمر بن الخطاب، وهو

---

(١) روضات الجنات (٥/ ٢٠-٢١). وانظر الكنى والألقاب للقمي (١/ ١٨٥)، الذريعة- آغا بزرك الطهراني (٤١/ ١٥٨).

حافظ إبراهيم المصري المعروف بشاعر النيل، قال في قصيدته العمرية:

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميها

وهكذا يحتج هؤلاء بحافظ إبراهيم وهو ملحد يكذب القرآن وينكر أن يحلى فيه أهل الجنة بأساور من ذهب.

ما قاله هذا الشاعر أو غيره فهو ناجم عن انتشار الروايات الضعيفة والمكذوبة التي يتصفحها ويمحصها أهل الخبرة بعلم الرواية والحديث الذين هم الحجة لا الشعراء الذين قال الله عنهم: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء:٢٢٤-٢٢٦].

لو قلت لنا: قال الترمذي.. قال أبو داود.. قال أحمد في المسند لما قبلنا منك إلا بعد تمحيص السند. أفتحتج علينا بما قاله حافظ ابراهيم. أيها المفلس؟[1]

الرد على فاجعة سقط الجنين المزعومة:

الفاجعة الحقيقية فاجعة الكذب وارتضاء ما هب ودب صيانة للمذهب.

قال المفترون:

١ - ذكر المسعودي صاحب تاريخ «مروج الذهب» المتوفى سنة (٣٤٦) هجرية، وهو مؤرخ مشهور ينقل عنه كل مؤرخ جاء بعده، قال في كتابه «إثبات الوصية» عند شرحه قضايا السقيفة والخلافة: (فهجموا عليه [علي ×] وأحرقوا بابه، واستخرجوه كرهاً وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً!!).

---

(١) الشيخ عبد الرحمن دمشقية.

نعم المسعودي مؤرخ مشهور، ولكنه ليس من أهل السنة. فلا حجة به عندنا وإن كان مشهوراً.

٢- ونقل أبو الفتح الشهرستاني في كتابه الملل والنحل (١/ ٥٧): (وقال النظّام: إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها. وكان يصيح [عمر] احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين). انتهى كلام الشهرستاني.

٤ قال الصفدي في كتاب «الوافي بالوفيات ٦/ ٧٦» في حرف الألف، عند ذكر إبراهيم بن سيار، المعروف بالنظّام، ونقل كلماته وعقائده، يقول: (إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها!).

إن الشهرستاني يعدد هنا مخازي وضلالات النظام المعتزلي، وذكر من بلاياه أنه زعم أن عمر ضرب فاطمة حتى ألقت جنينها. قال الشهرستاني: (ثم زاد على خزيه بأن عاب علياً وابن مسعود وقال: أقول فيهما برأيي)[1].

كذلك فعل الصفدي في تعداد مخازي عقائد المعتزلة.

رد آخر:

ومنها أن عمر قصد إحراق بيت سيدة النساء، وضربها على جنبها الشريف بقبضة سيفه حتى وضعت حملها بسبب ذلك!

والجواب أن هذه القصة محض هذيان، وزور من القول وبهتان. ولذا قد أنكر صحتها أكثر الإمامية، أن روايتها عندهم غير صحيحة ولا مرضية، مع أن فعل عمر هذا لو فرض وقوعه فهو أقل مما فعله الأمير ﷺ مع أم المؤمنين عائشة الصديقة، مع

---

(١) الملل والنحل (١/ ٥٢).

أنه لم يلحقه طعن من ذلك عند الفريقين بناء على حفظ الانتظام في أمور الدنيا والدين.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

شبهة نسب عمر رضي الله عنه:

هذا هو نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحقيقي وليس كما يفترى عليه

أولاً: اسمه ونسبه: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. أبو حفص[(١)].

ثانياً: اسم أمه ونسبها: هي حنتمة ابنة هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وقيل: حنتمة بنت هشام بن المغيرة، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل وعلى الأول تكون ابنة عمه.

قال أبو عمر: (ومن قال ذالك يعني بنت هشام فقد أخطأ ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام وليسا كذلك إنما هي ابنة عمهما؛ لأن هاشماً وهشاماً ابني المغيرة أخوان. فهاشم والد حنتمة وهشام والد الحارث وأبي جهل وكان يقال لهاشم: جد عمر (ذو الرمحين)[(٢)].

وقال ابن مندة: (أم عمر أخت أبي جهل. قال أبو نعيم: هي بنت هشام أخت أبي جهل وأبو جهل خاله. ورواه عن ابن إسحاق.

وقال الزبير: حنتما بنت هاشم فهي ابنة عم أبي جهل كما قال أبو عمر وكان لهاشم أولاد فلم يعقبوا)[(٣)].

---

(١) يلتقي نسب أمير المؤمنين مع الرسول ﷺ في كعب.

(٢) الاستيعاب (٣/ ١١٤٤).

(٣) أسد الغابه (٤/ ١٣٧ – ١٣٨).

أما أم حنتمة: فهي الشفاء بنت عبد قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص وقد كان لهاشم بن المغيرة ولد فلم يعقبوا[1].

ثالثاً: اسم الخطاب ونسبه: هو الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. أمه حية بنت جابر بن أبي حبيب الفهمية. وولد نفيل بن عبد العزى: الخطاب بن نفيل، وعبدنهم[2] لا بقية له، قتل في الفجار، وأمهما: حية بنت جابر بن أبي حبيب، بن فهم وأخوهما لأمهما: زيد بن عمر بن نفيل[3].

قلت: هذا هو نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحيح، وليس الذي يرويه المخالفون.

أما الأحاديث التي رواها المجلسي في بحار الأنوار في الجزء (٣١) صفحة (٢٠٣) باب نسب عمر وولادته ووفاته وبعض نوادر أحواله وما جرى بينه وبين أمير المؤمنين صلوات الله عليه رقم (٢٦):

الحديث الأول الذي رواه قال:

١- (تفسير القمي: قال علي بن إبراهيم: ثم حرم الله عز وجل نكاح الزواني فقال: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور:٣] وهو رد على من يستحل التمتع بالزواني والتزويج بهن وهن المشهورات المعروفات بذلك في الدنيا لا يقدر الرجل على تحصينهن.

---

(١) نسب قريش (ص:٣٠١).

(٢) عبد نهم اسم رجل وهو أخو الخطاب.

(٣) نسب قريش (ص:٣٤٧).

ونزلت هذه الآية في نساء مكة كن مستعلنات بالزنا: ساره وحنتمة[(١)] والرباب كن يغنين بهجاء رسول الله فحرم الله نكاحهن وجرت بعدهن في النساء من أمثالهن)[(٢)].

أقول عندما رجعت إلى المصدر الذي أشار إليه (تفسير القمي) وجدت هذا السند هكذا (وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ع[(٣)] ثم ذكر نفس الحديث السابق، وانظر ماذا قال علماء الإمامية عن أبي الجارود:

أ- قال الكشي في رجاله:

حكي أن أبا الجارود سمي سرحوب، ونسبت إليه السرحوبية من الزيدية، وسماه بذلك أبو جعفر ع وذكر إن سرحوباً اسم شيطان أعمى يسكن البحر، وكان أبو الجارود مكفوفاً أعمى، أعمى القلب.

وذكر بعض الأحاديث التي تدل على أن أبا الجارود فاسق أعمى البصر والقلب[(٤)].

ب- وقال العلامة الحلي:

زياد بن المنذر أبو الجارود الهمداني بالدال المهملة الخارقي بالخاء المعجمه بعدها ألف وراء مهملة وقاف وقيل الحرقي بالحاء المضمومة المهملة والراء والقاف الكوفي الأعمى التابعي زيدي المذهب، وإليه تنسب الجارودية من الزيدية كان من أصحاب أبي جعفر عليه السلام، روى عن الصادق عليه السلام وتغير لما خرج زيد (رض) وروى عن زيد.

---

(١) ويقصد حنتمة أم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) بحار الأنوار (٣١/ ٢٠٣).

(٣) تفسير القمي (٢/ ٩٥- ٩٦).

(٤) رجال الكشي (ص:٢٢٩).

وقال ابن الغضائري: حديثه في حديث أصحابنا أكثر منه في الزيدية، وأصحابنا يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه ويعتمدون ما رواه محمد بن بكر الارجني وقال الكشي: زياد بن المنذر أبو الجارود الأعمى السرحوب بالسين المهملة المضمومة والراء والحاء المهملة والباء المنقطع تحتها نقطة واحدة بعد الواو مذموم، ولا سبة في ذمه، ويسمى سرحوبا باسم شيطان أعمى يسكن البحر[1].

قلت: فيتبين لكل قارئ منصف إن هذا الحديث ضعيف لا يحتج به لأن الإمام الباقر ﷺ قد طعن في راوي الحديث وهو أبو الجارود السرحوب.

٢- الحديث الثاني وقال المجلسي:

وقال العلامة نور الله ضريحه في كتاب كشف الحق وصاحب كتاب إلزام النواصب: روى الكلبي وهو من رجال أهل السنة[2] في كتاب المثالب قال: كانت صهاك أمه حبشية لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها نفيل بن هاشم ثم وقع عليها عبد العزى بن رياح فجاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب.

وقال الفضل بن روزبهان الشهرستاني في شرح بعد القدح في صحة النقل: إن أنكحة الجاهلية على ما ذكره أرباب التواريخ على أربعة أوجه: منها: أن يقع جماعة على امرأة ثم إن ولد منها ولد يحكم فيه القائف أو تصدق المرأة وربما كان هذه من أنكحة الجاهلية.

وأورد عليه شارح الشرح: بأنه لو صح ما تحقق زنا في الجاهلية. لما عد مثل ذلك في المثالب وكان كل من وقع على امرأة كان ذلك نكاحاً منه عليها ولم يسمع من أحد

---

(١) رجال العلامة الحلي (ص:٢٢٣).

(٢) وهذا كذب لأن الكلبي ليس من رجال أهل السنه كما سيأتي.

إن من أنكحة الجاهلية كون امرأة واحده في يوم واحد أو شهر واحد في نكاح جماعه من الناس[١].

قلت: أما كلام الفضل بن روزبهان الشهرستاني، فهو صحيح، ولكن ليس موضوعنا أنكحة الجاهلية بل نسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والرواية التي أوردها صاحب كتاب كشف الحق الذي لا يعرف الحق مردودة عليه؛ لأنه كذب وقال: إن الكلبي من رجال أهل السنة وهذا كذب كما سوف نبين فيما بعد.

ثم عاد المجلسي للكذب من جديد ويحاول أن يوهم القراء بكذبه وقال: (ثم إن الخطاب على ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب: ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال: وقالت طائفة في أم عمر: حنتمة بنت هشام بن المغيرة ومن قال ذلك فقد أخطأ ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام والحارث بن هشام بن المغيرة وليس كذلك وإنما هي بنت عمه لأن هشام بن المغيرة والحارث بن هشام بن المغيرة أخوان لهاشم والد حنتمة أم عمر وهشام والد الحارث وأبي جهل)[٢].

قلت: هذا كذب لأن المجلسي ذكر إن ابن عبد البر ذكر في الاستيعاب قال: (ثم إن الخطاب على ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ابن نفيل... إلخ) هذا الكذب يتضح لكل قارئ عندما يرجع إلى كتاب الاستيعاب وقال الآتي: عمر بن الخطاب بن نفيل... إلخ. ثم ذكر نفس الكلام السابق. وهو حاول أن يبين إن اسم أم الخطاب مثل

---

(١) بحار الأنوار (٣١/ ٢٠٣ – ٢٠٤).

(٢) بحار الأنوار (٣١/ ٢٠٤).

اسم أم عمر وهذا كذب لأن المجلسي أسقط اسم عمر من ترجمة ابن عبد البر في الاستيعاب.

أما الذي أورده المجلسي عن محمد بن شهراشوب وقال: (وحكى بعض أصحابنا عن محمد بن شهراشوب وغيره: إن صهاك كانت أمه حبشية لعبد المطلب وكانت ترعى له الإبل فوقع عليها نفيل فجاءت بالخطاب. ثم إن الخطاب لما بلغ الحلم رغب في صهاك فوقع عليها فجاءت بابنه فلفتها في خرقة من صوف ورمتها خوفاً من مولاها في الطريق. فرآها هاشم بن المغيرة مرمية فأخذها ورباها وسماها حنتمة، فلما بلغت رآها الخطاب يوماً فرغب فيها وخطبها من هاشم فأنكحها إياه فجاءت بعمر بن الخطاب فكان أباً وجداً وخالاً لعمر وكانت حنتمة أماً وأختاً وعمه له فتدبر)[1].

أقول: إن محمد بن شهراشوب من علماء الإمامية ولم يحدد المجلسي من أين نقل عن ابن شهراشوب هذا الكلام، ولا نعلم هل هذا الخبر من كذب المجلسي أو من الأخبار الضعيفة كالعادة الذي يستخدمه أعداء الدين للنيل من حملة هذا الدين العظيم؟!

٣- الحديث الثالث:

قال: (وجدت في كتاب عقد الدرر لبعض الأصحاب بإسناده عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن ابن الزيات عن الصادق ع أنه قال: كانت صهاك جارية لعبد المطلب وكانت ذات عجز وكانت ترعى الإبل وكانت حبشية وكانت تميل إلى النكاح، فنظر إليها نفيل جد عمر فهواها وعشقها في مرعى الإبل فوقع عليها فحملت منه بالخطاب، فلما أدرك البلوغ نظر إلى أمه صهاك فأعجبه عجزها فوثب عليها فحملت منه بحنتمة، فلما ولدتها خافت من أهلها فجعلتها في

---

(١) بحار الأنوار (٣١/ ٢٠٤).

صوف وألقتها بين أشحام مكة فوجدها هشام بن المغيرة بن الوليد فحملها إلى منزله ورباها وسماها بالحنتمة وكانت شيمة العرب أنه من ربى يتيماً يتخذه ولداً، فلما بلغت حنتمة نظر إليها الخطاب فمال إليها وخطبها من هشام فتزوجها فأولد منها عمر، فكان الخطاب أباه وجده وخاله وكانت حنتمة أمه وأخته وعمته، وينسب إلى الصادق (ع) في هذا المعنى: من جده خاله ووالده، وأمه أخته وعمته أجدر أن يبغض الولي وأن ينكر يوم الغدير بيعته).

قلت: وهذا الحديث ضعيف لا يحتج فيه لأن فيه علتين:

الأولى: إن أبا حنتمة ليس هشام ولكنه هاشم.

الثانية: ورجعت إلى المصدر الذي أشار إليه المجلسي الكذاب (عقد الدرر) ووجدت إن المجلسي حرف يحيى بن محبوب ووضع الحسن بن محبوب بدلاً عنه؛ لأن الحسن بن محبوب ثقة، وأما يحيى بن محبوب فهو مجهول.

أما ما ذكره المجلسي عن ابن أبي الحديد فقال: (قال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام: «لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر» في الكلام رمز إلى جماعة من أصحابه في أنسابهم طعن وكما يقال: إن آل سعد بن أبي وقاص ليسوا من زهرة بن كلاب وإنهم من بني عذرة من قحطان، وكما يقال: إن آل الزبير بن العوام من أرض مصر من القبط، وليسوا من بني أسد بن عبد العزى).

ثم قال: (قال شيخنا أبو عثمان في كتاب مفاخرات قريش: بلغ عمر بن الخطاب إن أناساً من رواة الأشعار حملت الآثار يقصبون الناس ويثلبونهم في أسلافهم فقام على المنبر فقال: إياكم وذكر العيوب والبحث عن الأصول فلو قلت: لا يخرج القوم من هذه الأبواب إلا من لا وصمه فيه لم يخرج منكم أحد.

فقال رجل من قريش نكره أن نـذكره فقـال: إذا كنـت أنـا وأنـت يـا أمـير المـؤمنين نخرج فقال: كذبت بل كان يقال لك: يا قين بن قين اقعد.

قلت: الرجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان عمر يبغض أباه خالداً ولأن المهاجر كان علوي الرأي جداً وكان أخوه عبد الرحمن مع معاوية، وكان المهاجر مع علي يوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه، لكـن الكـلام الـذي بلغ عمر بلغه من المهاجر، وكان الوليد بن المغيرة مـع جلالتـه في قـريش وكونـه ريحانـة قريش ويسمى العدل ويسمى الوحيد حـداداً يـصنع الـدروع بيـده ذكـر ذلـك فيـه ابـن قتيبة في كتاب المعارف.

وروى أبو الحسن المدائني هذا الخبر في كتاب أمهات الخلفاء وقال: إنـه روي عنـه جعفر بن محمد عليه السلام في المدينه فقال: لا تلمـه يـا ابـن أخـي إنـه أشـفق أن يحـدج بقـصة نفيل بن عبد العزى وصهاك أمة الزبير بن عبد المطلب ثـم قـال: رحـم الله عمـر فإنـه لم يعـدو الـسنه، وتـلا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:١٩] انتهى.

بيان: قال الجوهري: حدجه بذنب غيره رماه به انظر كيف بين عليه السلام رداءة نسب عمر وسبب مبالغته في النهي عن التعرض للأنساب ثم مدحه تقية)[1].

وأقول: إن ابن أبي الحديد هذا معتزلي شيعي وقـال عنـه القمـي: (عـز الـدين عبـد الحميد بن محمد بن محمد بن الحسين بـن أبي الحديـد المدائني الفاضـل الأديب المـؤرخ الحكيم الشاعر شارح نهج البلاغة الكرمـه وصـاحب القـصائد الـسبع المشهورة، كـان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه في إحدى قصائده في مدح أمير المؤمنين (ع) بقوله:

(١) بحار الأنوار (٣١/ ٢٠٦).

ورأيت دين الاعتزال وإنني أهوى لاجلك كل من يتشيع)[1]

وذكره الألوسي في مختصر التحفه الاثني عشرية فقال:

(الفرقة الرابعة الشيعة الغلاة: هم عبارة عن القائلين بألوهية الأمير علي ﷺ، ونحوه من الهذيان. قال الجد روح الله روحه: وعندي إن ابن أبي الحديد في بعض عباراته – وكان يتلون تلون الحرباء وكان من هذه الفرقة، وكم له في قصائده السبع الشهيرة من هذيان، كقوله يمدح الأمير ﷺ:

ألا إنما الإسلام لولا حسامه كعفطة عنز أو قلامة ظافر

وقوله:

يجل عن الأعراض والاين والمتى ويكبرعن تشبيهه بالعناصر

وقال أيضاً:

تقليت أخلاق الربوبية التي عذرت بها من شك أنك مربوب

ومنه سرق الطوفي قوله في أبي بكر وعلي رضوان الله وسلامه عليهما:

كم بين من شك في خلافته وبين من قيل أنه الله)[2]

قلت: فلا حجة في كلام ابن أبي الحديد لأنه من غلاة الشيعة الذين يألهون علي بن أبي طالب ﷺ ويحقدون على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ.

٤ – الحديث الرابع. قال المجلسي:

(وما أومى إليه من قصة أمة الزبير، هو ما رواه الكليني طيب الله تربته في روضة الكافي عن الحسين عن احمد بن هلال عن زرعة عن سماعة قال: تعرض رجل من ولد

---

(١) الكنى والألقاب (١/ ١٩٣).

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية (ص١٠).

عمر بن الخطاب بجارية رجل عقيلي فقالت له: إن هذا العمري قد آذاني، فقال لها: عديه وادخليه الدهليز، فأدخلته، فشد عليه فقتله وألقاه بالطريق. فاجتمع البكريون والعمريون والعثمانيون، وقالوا: ما لصاحبنا كفو ولن نقتل به إلا جعفر بن محمد، وما قتل صاحبنا غيره، وكان أبو عبد الله عليه السلام قد مضى نحو قبا، فلقيته وقد اجتمع القوم عليه، فقال: دعهم، قال: فلما جاءوا وراءه وثبوا عليه، وقالوا: ما قتل صاحبنا أحد غيرك، وما نقتل به أحداً غيرك! فقال: لتكلمني منكم جماعة، فاعتزل قوم منهم، فأخذ بأيديهم فادخلهم المسجد، فخرجوا وهم يقولون: شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد، معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا، ولا يأمر به، فانصرفوا. قال: فمضيت معه فقلت: جعلت فداك ما كان أقرب رضاهم من سخطهم؟! قال: نعم دعوتهم فقلت: أمسكوا وإلا أخرجت الصحيفة! فقلت: ما هذه الصحيفة جعلني الله فداك؟ فقال: أم الخطاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب، فسطر بها نفيل فأحبها، فطلب الزبير فخرج هارباً إلى الطائف. فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف، فقالوا له: يا أبا عبد الله ما تعمل هاهنا؟ قال: جاريتي سطر بها نفيل، فهرب منه إلى الشام. وخرج الزبير في تجارة له إلى الشام فدخل على ملك الدومة فقال له: يا أبا عبد الله لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك أيها الملك؟ فقال: رجل من أهلك قد أخذت ولده، فأحب أن ترده عليه، قال: ليظهر لي حتى أعرفه، فلما أن كان من الغد دخل على الملك فلما رآه الملك ضحك، فقال: ما يضحكك أيها الملك؟ ما أظن هذا الرجل ولدته عربية، لما رآك قد دخلت لم يملك أسته إن جعل يضرط! فقال: الملك إذا صرت إلى مكة قضيت حاجتك. فلما قدم الزبير تحمل عليه ببطون قريش كلها، أن يدفع إليه ابنه، فأبى ثم تحمل عليه بعبد المطلب فقال: ما بيني وبينه عمل، أما علمتم ما فعل في ابني فلان ولكن امضوا أنتم إليه. فقصدوه وكلموه، فقال لهم الزبير: إن الشيطان له دولة وان

ابن هذا ابن الشيطان، وليس آمن أن يترأس علينا، ولكن ادخلوه من باب المسجد على أن أحمي لـه حديـد واخـط في وجهـه خطوطـاً، وكتـب عليـه وعـلى ابنـه ألا يتـصدر في مجلـس، ولا تـأمر عـلى أولادنـا ولا يـضرب معنـا بـسهم. قـال: ففعلـوا وخـط وجهـه بالحديد، وكتـب عليـه الكتـاب، فـذلك الكتـاب عنـدنا، فقلـت لهـم: إذا أمـسكتم وإلا أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم، فامسكوا.

وتوفى مولى لرسول الله ﷺ لم يخلف وارثاً وخاصم فيه ولـد العبـاس أبـا عبـد الله عليه السلام.

وكان هاشم بن عبد الملك قد حج في تلك السنة فجلس لهم، فقال داود بـن عـلي: الولاء لنا. وقال أبو عبد الله: بل الولاء لي، فقال داود بـن عـلي: إن أبـاك قاتـل معاويـة، فقال: والله لأطوقنك غداً أطواق الحمام فقال له داود بن علي: كلامك هـذا أهـون عـلي من بعرة وادي الأزرق. فقال: أما إنـه واد لـيس لـك ولا لأبيـك فيـه حـق، قـال: فقـال هشام: إذا كان غداً جلست لكم. فلما أن كان من الغد خرج أبو عبد الله ومعه كتاب في كرباسه وجلس لهم هشام. فوضع أبو عبد الله الكتاب بين يديه فلما قرأه قال: ادعـوا لي الجندل الخزاعي وعكاشة الضميري وكانا شـيخين قـد أدركـا الجاهليـة فرمـى الكتـاب إليهما فقال: تعرفون هذه الخطوط؟ قالا: نعم خط العاص بن أمية وقال هـشام: يـا أبـا عبد الله أرى خطوط أجدادي عندكم؟ فقـال: نعـم. قـال: قـضيت بـالولاء لـك. قـال: فخرج وهو يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

قال: قلت: ما هذا الكتاب جعلـت فـداك؟ قـال: فـإن نثيلـة كانـت أمـة لأم الـزبير ولأبي طالب وعبد الله فأخذها عبد المطلب فأولدها فلان فقال له الـزبير: هـذه الجاريـة ورثناها من أمنا، وابنك هذا عبد لنا فتحمل عليه ببطون قريش.

قال فقال: أجبتك على خله على أن لا يتصدر ابنك هذا في مجلس ولا يضرب معنا بسهم فكتب عليه كتاباً وأشهد عليه فهو هذا الكتاب)[(١)].

قلت: هذا الحديث ضعيف فيه أحمد بن هلال الكرخي العبرتائي وذكره:

١- ابن داود في رجاله فقال:

أحمد بن هلال بن جعفر العبرتائي بالعين المهملة المفتوحة والباء المفردة المفتوحة والراء الساكنة والتاء المثناه فوق والمد. منسوب إلى عبرتا قرية بناحية إسكاف (كش) صالح الرواية يعرف منها وينكر وقد روى فيه ذموم كثيرة من سيدنا أبي محمد العسكري عليه السلام (كش) مذموم ملعون (ست) غال متهم في دينه (غض) أرى التوقف في حديثه إلا فيما رواه عن الحسن بن محبوب من كتاب المشيخة ومحمد بن أبي عمير من نوادره، وقد سمع هذين الكتابين منه جلة أصحابنا، واعتمدوه فيها، ولد سنة ثمانين ومائة ومات سنة سبع وستين ومائتين[(٢)].

وذكره في كتابه أيضاً في فصل فيمن وردت فيه اللعنة[(٣)].

٢- الطوسي في الفهرست أيضاً:

أحمد بن هلال العبرتائي. عبرتا قرية بناحية إسكاف بني جنيد، ولد سنة ثمانين ومائة، ومات سنة سبع وستين ومائتين وكان غالياً متهماً في دينه وقد روى أكثر أصول أصحابنا[(٤)].

---

(١) بحار الأنوار (٣١/ ٢٠٦ - ٢٠٨).

(٢) رجال ابن داود (ص:٤٢٥).

(٣) رجال ابن داود (ص:٥٥١).

(٤) الفهرست للطوسي (ص: ٣٦).

٣- الحلي في رجاله:

أحمد بن هلال العبرتائي. بالعين المهملة والباء المنقطعة تحتها نقطة واحدة وبعدها راء ثم التاء المنقطعة فوقها نقطتين، منسوب إلى عبرتا قرية بناحية إسكاف بني مائة ومات سنة تسع وستين ومائتين. قال النجاشي إنه صالح الرواية يعرف منها وينكر. وتوقف ابن الفضائري في حديثه إلا في ما يرويه عن الحسن بن محبوب من كتب المشيخة ومحمد بن أبي عمير من نوادره وقد سمع هذين الكتابين جل أصحاب الحديث واعتمدوه فيها. وعندي إن روايته غير مقبولة[1].

٥- الحديث الخامس ذكر المجلسي في البحار:

(قد مر في باب كفر الثلاثة من تفسير علي بن إبراهيم [2] في تفسيره قول الله تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر:١١] بإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: الوحيد ولد الزنى وهو زفر إلى آخر الآية[3].

قلت: وعندما رجعت إلى تفسير علي بن إبراهيم القمي وجدت هذه الرواية هكذا: (قال: حدثنا أبو العباس قال حدثنا يحيى بن زكريا عن علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن الكثير عن أبي عبد الله ع في قوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر:١١] قال: الوحيد ولد الزنى وهو زفر)[4].

قلت: وهذه الرواية ضعيفة لأن فيها علي بن حسان وعنه عبد الرحمن بن كثير، وقال علماء الإمامية فيهم التالي:

---

(١) رجال العلامة الحلي (ص:٢٠٢).

(٢) هو صاحب التفسير المشهور تفسير القمي.

(٣) بحار الأنوار (٣١/ ٢٠٩).

(٤) تفسير القمي (٢/ ٣٩٥).

١- قال الكشي في رجاله: في علي بن حسان الواسطي وعلي بن حسان الهاشمي:

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن حسان قال: عن أيهما سألت، أما الواسطي فهو ثقة، وأما الذي عندنا يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير فهو كذاب وهو واقفي أيضاً ولم يدرك أبا الحسن موسى عليه السلام[1].

٢- ووافق العلامة الحلي كلام الكشي[2].

٣- وقال النجاشي في رجاله: علي بن حسان بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ضعيف جداً ذكره بعض أصحابنا في الغلاة فاسد الاعتقاد له كتاب تفسير الباطن تخليط كله[3].

قلت: أما عمه عبد الرحمن بن كثير فقال عنه النجاشي في رجاله:

١- عبد الرحمن بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان ضعيفاً، غمزه أصحابنا عليه وقالوا: كان يضع الحديث. له كتاب فضل سورة (أنا أنزلناه) أخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا علي بن حبشي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن لاحق قال: حدثنا علي بن الحسن بن فضال عن علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير به. وله كتاب صلح الحسن عليه السلام.

أخبرنا محمد بن جعفر الأديب في آخرين قال حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا محمد بن مفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانة الأشعري عن علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير بكتاب الصلح وله كتاب فدك وكتاب ألاظله كتاب فاسد مختلط[4].

---

(١) رجال الكشي (ص:٤٥١).

(٢) رجال العلامة الحلي (ص:٢٣٣).

(٣) رجال النجاشي (ص:٢٥١).

(٤) رجال النجاشي (ص:٢٣٤).

٢- وقال ابن داود في رجاله:

عبد الرحمن بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان ضعيفا غمز بعض أصحابنا فيه وقالوا كان يضع الحديث[1].

٣- وقال العلامة الحلي نفسه[2].

قلت: إن هذا الحديث ضعيف جداً؛ لأن عبد الرحمن كان يضع الحديث وعلي بن حسان ضعيف جداً.

فبينا ضعف الأحاديث السابقة كلها ولا يوجد عندهم دليل صحيح على دعواهم الباطلة.

أما ما ذكرته مجلة المنبر في العدد (١٣) السنة الثانية ربيع الأول (١٤٢٢) هجري ذكر الكاتب عبد العزيز قمبر في (خط أحمر!!):

ويصعب للوهلة الأولى استيعاب هذه الشبكة المعقدة، فأم هذا الرجل هي في الوقت نفسه أخته وعمته! وأبوه هو في الوقت ذاته جده وخاله! فيما جدته هي أيضاً زوجة عمه!!.

وعندما يترك الحديث للتاريخ، فإنه يقول: (وأما تفصيل نسبه وبيانه فهو إن «نفيل» كان عبداً لكلب بن لؤي بن غالب القرشي فمات عنه ثم وليه عبد المطلب وكانت «صهاك» قد بعثت لعبد المطلب من الحبشة، فكان «نفيل» يرعى جمال عبد المطلب و «صهاك» ترعى غنمه وكان يفرق بينهما في المرعى. فاتفق يوما اجتماعهما في مراح واحد فهواها وعشقها «نفيل» وكان قد ألبسها عبد المطلب سروالا من الأديم

---

(١) رجال بن داود (ص:٤٧٤).

(٢) رجال العلامة الحلي (ص:٢٣٩).

«الجلد المدبوغ» وجعل عليه قفلاً وجعل مفتاحه معه لمنزلتها منه، فلما راودها قالت: ما لي إلى ما تقول سبيل وقد ألبست هذا الأديم ووضع عليه قفل فقال «نفيل»: أنا أحتال عليه. فأخذ سمناً من مخيض الغنم ودهن به الأديم وما حوله من بدنها حتى استله إلى فخذيها وواقعها فحملت منه «بالخطاب» فلما ولدته ألقته على بعض المزابل بالليل خفية من عبد المطلب، فالتقطت «الخطاب» امرأة يهودية جنازة وربته فلما كبر كان يقطع الحطب فسمي الخطاب لذلك بالحاء المهملة فصحف بالمعجمة[1] وكانت «صهاك» ترتاده في الخفية، فرآها ذات يوم وقد تطأطأت عجيزتها ولم يدر من هي فوقع عليها فحملت منه «بحنتمة» فلما وضعتها ألقتها على مزابل مكة خارجها، فالتقطها هاشم بن المغيرة بن الوليد ورباها فنسبت إليه[2] فلما كبرت وكان «الخطاب» يتردد على هشام فرأى «حنتمة» فأعجبته فخطبها إلى هشام فزوجه إياها فولدت الرجل، وكان الخطاب والده لأنه أولد حنتمة إياه حيث تزوجها وحده لأنه سافح صهاك فأولدها حنتمة والخطاب من أم واحدة وهي صهاك!!).

ولم يورد هذه المعلومة قاص خيالي لقصص ألف ليلة وليلة! بل أوردها أشهر نسابة في الإسلام وهو محمد بن السائب الكلبي الذي يقول عنه عز الدين بن الأثير الجزري وهو من أكابر علماء السنة في كتابه المشهور (أسد الغابة في معرفة الصحابة): (إن الكلبي واحد من النسابين الكبار حيث لا يرقى إليه من انتحلها من المؤرخين والمحدثين، وهو من أقواهم في الأنساب في ما لو راجعنا ابن خلكان في وفيات الأعيان. كما روى (قصة النسب العظيم) هذه النساب أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه المعروف (الصلابة في معرفة الصحابة) وكذلك في كتاب (التنقيح في النسب الصريح).

---

(١) وهذا جهل مركب لأن الذي يقطع الحطب يسمى حطاب وليس خطاب.

(٢) حنتمة لم تنسب إلى هشام ولكن نسبت إلى أبيها هاشم.

قلت: إن النسابة الذين يدعون هؤلاء بأنهم من رجال أهل السنة ويطعنون بنسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهم:

الأول: محمد بن السائب الكلبي وهو شيعي سبأي:

قال أبو بكر بن خلاد الباهلي: عن معتمر بن سليمان عن أبيه: كان في الكوفة كذابان أحدهما الكلبي. وقال عمرو بن الحصين عن معتمر بن سليمان عن ليث ابن أبي سليم: بالكوفة كذابان: الكلبي والسدي يعني محمد بن مروان. وقال عباس الدوري: عن يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين: ضعيف. وقال أبو موسى محمد بن المثنى: ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن سفيان عن الكلبي. وقال البخاري: تركه يحيى بن سعيد وابن مهدي. وقال عباس الدوري عن يحيى بن يعلي المحاربي: قيل لزائدة: ثلاثة لا تروي عنهم: ابن أبي ليلى وجابر الجعفي والكلبي. قال: أما ابن أبي ليلى فبيني وبينه آل ابن أبي ليلى حسن فلست أذكره، وأما جابر الجعفي فكان والله كذاباً يؤمن بالرجعة، وأما الكلبي فكنت أختلف إليه فسمعته يقول يوماً: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ فأتيت آل محمد فتفلوا في فمي فحفظت ما كنت نسيت. فقلت: والله لا أروي عنك شيئاً فتركته. وقال الأصمعي عن أبي عوانة: سمعت الكلبي يتكلم بشيء من تكلم به كفر. وقال مرة: لو تكلم به ثانية كفر فسألته عنه فجحده.

وقال عبد الواحد بن غياث عن ابن مهدي: جلس إلينا أبو جزء على باب أبي عمرو بن العلاء فقال: اشهد إن الكلبي كافر. قال: فحدثت بذلك يزيد بن زريع فقال: سمعته يقول: أشهد أنه كافر. قال: فماذا زعم؟ قال: سمعته يقول: كان جبريل يوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحاجة وجلس علي فأوحى إلى علي. قال يزيد: أنا لم أسمعه يقول هذا، ولكني رأيته يضرب على صدره ويقول: أنا سبأي. قال أبو جعفر

العقيلي: هم صنف من الشيعة أصحاب عبد الله بن سبا[1].

الثاني: أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي وهو شيعي أيضاً:

قال يحيى بن معين: ليس بثقة. وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وقال الدارقطني: أخباري ضعيف[2].

وقال عنه القمي صاحب كتاب الكنى والألقاب الشيعي الشهير:

(لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم كما عن (جش) وتوفي سنة (١٥٧) يروي عن الصادق «ع» ويروي عن هشام الكلبي، وجده مخنف بن سليم صحابي شهد الجمل في أصحاب علي «ع» حاملاً راية الأزد فاستشهد في تلك الواقعة سنة «٣٦» وكان أبو مخنف من أعاظم مؤرخي الشيعة، ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنه في النقل عنه كالطبري وابن الأثير وغيرهما)[3].

قلت: وبعد ما بينا إن الكلبي وأبا مخنف من رجال الشيعة وليسوا من رجال أهل السنة وهم من الكذابين المعروفين فلا حجة في طعنهم في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مقال آخر:

١- من هي صهاك؟ هي أسطورة لم نجد لها أصل في كتب المسلمين ولكن يوجد لها ذكر في كتب المخالفين الذين يحقدون على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) تهذيب الكمال (٢٥/ ٢٤٦ - ٢٥٣) رقم (٥٢٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠١).

(٣) الكنى والألقاب (١/ ١٤٨ - ١٤٩).

٢- من هي حنتمة هل هي أخت أبي جهل أم بنت عمه؟ هي بنت عمه لأن اسم حنتمة هو حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، أما اسم أبي جهل فهو عمرو بن هشام بن المغيرة. وهشام وهاشم ابني المغيرة.

٣- ما هو اسم أم الخطاب؟ هي حية بنت جابر بن أبي حبيب، من فهم. وليست كما يدعي الزنادقة.

٤- هل المعادلة المزعومة تنطبق على نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهي الأب = الجد = الخال. والأم = الأخت =العمة؟

أصل هذه المعادلة من الروايات المكذوبة والتي بينا ضعفها من قبل والتي تفرد بذكرها البعض، وسوف أبين كذب هؤلاء في هذه المعادلة أيضاً:

١- يقصد بالأب الخطاب: وهذا صحيح، لأن أبو عمر هو الخطاب.

٢- ويقصد بالجد إن الخطاب هو أبو حنتمة: وهذا كذب لأن أبو حنتمة هو هاشم بن المغيرة وليس الخطاب.

٣- ويقصد بالخال إن الخطاب أخو حنتمة من صهاك: وهذا كذب أيضاً لأن أم الخطاب اسمها (حية) أما أم حنتمة فهي (الشفاء) فيتبين أنهم ليسوا من أم واحدة وهي صهاك.

٤- ويقصد بالأم حنتمة: وهذا صحيح، لأن أم عمر حنتمة.

٥- ويقصد بالأخت إن حنتمة ابنة الخطاب من صهاك: وهذا كذب لأن أبو حنتمة هو هشام بن المغيرة وليس الخطاب.

٦- ويقصد بالعمة إن حنتمة أخت الخطاب من صهاك: وهذا كذب لأن أم الخطاب اسمها (حية) أما أم حنتمة فهي (الشفاء) فيتبين أنهم ليسوا من أم واحدة وهي صهاك.

٥- كيف يكون الخطاب عماً وأخاً لزيد بن عمرو بن نفيل؟

لأن نفيل عنده أكثر من زوجة فالخطاب أمه (حية) وعمرو أمه (قلابة) فعندما توفي نفيل ورث عمرو زوجة أبيه (حية) فولدت له زيد، فعلى هذا يكون الخطاب عماً وأخاً لزيد من أمه، وهذا عرف سائد في الجاهلية أن يرث الرجل زوجة أبيه لأنهم كانوا يرون أن زوجة الأب تورث.

٦- ما هو سبب نزول آية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١]؟

هناك أكثر من سبب لنزول هذه الآية:

١- حديث البخاري، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: {خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط وقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم، لهم خنين فقال رجل من أبي قال: فلان فنزلت هذه الآية ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١].

٢- حديث البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل: تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١] حتى فرغ من الآية}[1].

٣- حديث الطبري عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة يقول: {خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج. فقام محصن الأسدي فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: أما أني لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٢٢).

لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة:١٠١]إلى آخر الآيه(١).

فهذه ثلاث أسباب لأن الأول وهو عبد الله بن حذافة لم يسأل استهزاء لكن قال الحافظ في الفتح: (لا مانع أن يكون الجميع سبب نزولها والله أعلم). وقال: (والحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل، إما على سبيل الاستهزاء والامتحان، وإما على سبيل التعنت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة)(٢).

أما الزيادة التي فيها إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ قام فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران إماماً، فهي صحيحة ولكن تفسير الإمامية لها غير صحيح؛ لأنهم يقولون: إن عمر ﵁ قام يطلب العفو لكي لا يفضح نسبه، ولكنه قام لأنه فهم إن تلك الاسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الاستهزاء أو الشك فخشي أن تتنزل العقوبة بسبب ذلك فقال: رضينا بالله رباً... إلخ، وهذا من حرصه ﵁ على رضا الرسول ﷺ فرضي الرسول ﷺ بذلك، وكان من الممكن لو لا لم يقم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ لنزلت العقوبة على المسلمين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ومن هذه الشبه:

قولهم أن عمر ﵁ يخالف النبي ﷺ، ومن ذلك ما حصل عندما حكموا بأن

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٠٥).

(٢) فتح الباري (٩/ ٣٥١-٣٥٢).

النبي أخطأ في قضية أسرى بدر وأصاب عمر بن الخطاب، ويروون في ذلك روايات مكذوبة بأنه ﷺ قال: لو أصابنا الله بمصيبة لم يكن ينج منها إلا بن الخطاب).

الرد:

ثبت في الصحيح أن عمر قد وافق ربه في عدة أمور فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس قال: {قال عمر: وافقتُ ربي في ثلاث: فقُلتُ: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلّى فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]. وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلِّمهن البرُّ والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهنَّ: عسى ربه إن طلَّقكنَّ أن يُبدلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ فنزلت هذه الآية}(١).

وأخرجه البخاري في موضع آخر بلفظ: {قال عمر: وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمّهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلتُ عليهن، قلت: إن انتهيتُنَّ أو ليبدِّلنّ الله رسوله ﷺ خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يعظُ نساءه، حتى تعظهنّ أنت؟ فأنزل الله ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم:٥]. الآية}(٢).

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: {قال عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر}(٣).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٠٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٨٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٣٩٩).

وأخرج أيضاً عن عمر من حديث طويل: {... قال ابن عباس: فلما أسروا الأُسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأُسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العمّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكّنا فنضرب أعناقهم، فتُمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتُمكّني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوِي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهْوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عَليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة من نبي الله ﷺ- وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [الأنفال:٦٧] إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾ [الأنفال:٦٩]، فأحلّ الله الغنيمة لهم}(١).

وهذه الروايات كما ترى ثابتة وصحيحة، وإذا قال عنها هذا الطاعن روايات مكذوبة فليُظهر ذلك بالدليل الواضح، لا بالجهل الفاضح والعقل الخرب، وهذه الروايات لا تعني أبداً أن بعض الصحابة عندهم من العلم والتقوى أكثر من رسول الله ﷺ فالرسول يجتهد في بعض الأمور التي لم ينزل بها الوحي، بحسب المصلحة، وليس كل ما يصدر عن النبي ﷺ يعتبر وحياً كما صلّى على رأس المنافقين عبد الله بن أبي فقال له عمر: {يا رسول الله! تصلّي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٦٣).

رسول الله ﷺ: إنما خيرني ربي فقال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ ﴾ [التوبة:٨٠] وسأزيده على السبعين، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ ﴾ [التوبة:٨٤]}(١).

وهذا الأمر ثابت بالكتاب، كما هو واضح، وثبت أن النبي ﷺ قال في سَوْقه الهدْي في حجة الوداع: {لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما أهديت، ولولا أن معي الهدْي لأحللت}(٢).

وأيضاً عندما رجع لرأي زوجتيه عائشة وحفصة عندما حلف أن لا يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فأنزل الله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم:١] فلو كان كل ما يقوم به عن طريق الوحي لما نزل القرآن يبين له هذه الأمور، وليس أن يوافق الله في حادثة أو أكثر أحد الصحابة يُعتبر هذا إنقاص من قدر النبي ﷺ أو أن بعض الصحابة يملكون علماً أكثر من النبي ﷺ، فلا يقول ذلك إلا من هو أجهل الناس بأفعال النبي ﷺ، وقد ثبت أن النبي كان يستشير أصحابه في كثير من الأمور التي لم ينزل بها الوحي كما في قضية الأسرى.

أما رواية أن النبي ﷺ قال: لو أصابنا الله بمصيبة لم يكن ينج منها إلا ابن الخطاب!؟ باطلة.

وبالطبع لم يعزها لأي مصدر لأنها مكذوبة وباطلة متناً قبل البحث في سندها، فكيف يصيب الله نبيه ﷺ وأصحابه الكرام بمصيبة! وليس كذلك فقط فالمصيبة يقع بها النبي ﷺ وجميع أصحابه اللهم إلا عمر!؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٧٠)، ومسلم برقم (٢٤٠٠).

(٢) رواه البخاري برقم (١٦٥١)، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

شبهة في عدالة عمر:

ثم يقولون: (وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإننا نسمع الكثير عن عدل عمر الذي سارت به الركبان حتى قيل: «عدلت فنمت» وقيل: دفن عمر واقفاً لئلا يموت العدل معه وفي عدل عمر حدّث ولا حرج، ولكن التاريخ الصحيح يحدثنا بأن عمر حين فرض العطاء في سنة عشرين للهجرة لم يتوّخ سُنة رسول الله ولم يتقيّد بها، فقد ساوى النبي ﷺ بين جميع المسلمين في العطاء فلم يفضّل أحداً على أحد، واتّبعه في ذلك أبو بكر مدة خلافته «!»، ولكن عمر بن الخطاب اخترع طريقة جديدة وفضّل السابقين على غيرهم وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضّل العرب على سائر العجم، وفضّل الصريح على المولى وفضل مضر على ربيعة، ففرض لمضر ثلاثمائة ولربيعة مائتين وفضّل الأوس على الخزرج، فأين هذا التفضيل من العدل يا أولي الألباب؟).

١- أقول: نعم كان عمر يفضّل بالعطاء وليس ذلك مما يعاب عليه؛ لأنه لا يوجد دليل في وجوب التسوية في العطاء ولم يقل به أحد من أهل العلم، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان أحياناً يفضّل بالعطاء فقد أخرج البخاري في صحيحه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: {قسّم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً، قال: فسّره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن معه فرس فله سهم}(١).

٢- (والمجوّزون للتفضيل قالوا: بل الأصل التسوية، وكان أحياناً يفضّل، فدلّ على جواز التفضيل، وهذا القول أصح: أن الأصل التسوية، وأن التفضيل لمصلحة راجحة جائز. وعمر لم يفضّل لهوى ولا حابى، بل قسّم المال على الفضائل الدينية،

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٢٨).

فقدَّم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ثم من بعدهم من الصحابة، ثم من بعدهم وكان ينقص نفسه وأقاربه عن نظائرهم، فنقص ابنه وابنته عمّن كانا أفضل منه، وإنما يطعن في تفضيل من فضَّل لهوى، أما من كان قصده وجه الله تعالى وطاعة رسوله، وتعظيم من عظّمه الله ورسوله وتقديم من قدّمه الله ورسوله فهذا يمدح ولا يُذم، ولهذا كان يُعطي علياً والحسن والحسين ما لا يعطي لنظائرهم، وكذلك سائر أقارب النبي ﷺ ولو سوّى لم يحصل لهم إلا بعض ذلك).

٣ قسم عمر أهل العطاء إلى طبقات: الطبقة الأولى فئة البدرّيين من المهاجرين، ثم فئة البدرّيين من الأنصار، ثم المهاجرين الذين لم يشتركوا في بدر، ثم الأنصار الذين لم يشتركوا في بدر واشتركوا في بقية الغزوات، ثم الذين شهدوا الحديبية وفتح مكة، ثم الذين اشتركوا في فتح القادسية واليرموك، ثم فرض لأناس رواتب خاصة منهم الحسن والحسين، وكان يساوي بين العربي والمولى بخلاف ما يقوله هذا الطاعن، فقد أعطى أهل بدر العرب والموالي على السواء وكتب إلى أمراء الجند: ومن أعتقتم من الحمراء الموالي فأسلموا فألحقوهم بمواليهم، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم في العطاء والمعروف.

شبهة جهل عمر بالأحكام:

ادعى البعض على عمر بالجهل كقولهم: (ونسمع عن علم عمر بن الخطاب الكثير الذي لا حصر له حتى قيل أنه أعلم الصحابة، وقيل أنه وافق ربّه في كثير من آرائه التي ينزل القرآن بتأييدها في العديد من الآيات التي يختلف فيها عمر والنبي. ولكنّ الصحيح من التاريخ يدلّنا على أنّ عمر لم يوافق القرآن حتى بعد نزوله، عندما سأله أحد الصحابة أيام خلافته فقال: يا أمير المؤمنين إني أجنبت فلم أجد الماء فقال له عمر: لا تصلّ واضطّر عمار بن ياسر أن يذكّره بالتيمم ولكن عمر لم يقنع بذلك وقال

لعمار: إنا نحمّلك ما تحملت، فأين علم عمر من آية التيمّم المنزّلة في كتاب الله وأين علمه من سنة النبي الذي علّمهم كيفية التيمم كما علّمهم الوضوء).

الرد:

١- لم يرو البخاري هذا الأثر بهذا اللفظ، إنما جاء عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال {جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أجنبت فلم أُصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنّا كنّا في سفر أنا وأنت، فأما أنت لم تُصلِّ، وأما أنا فتمعّكت فصلّيت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: إنما كان يكفيك هكذا، فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه}[1].

٢- من المعلوم أن عمر بن الخطاب كان لا يجيز للجنب التيمم ويأخذ بظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة:٦] وقوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء:٤٣] وبقي عمر كذلك حتى ذكره عمار بالحادثة بينهما ولكنه لم يتذكر ذلك، ولهذا قال لعمار كما جاء في رواية مسلم: {اتّق الله يا عمار} قال النووي شارح مسلم: (معنى قول عمر: «اتق الله يا عمار» أي فيما ترويه وتثبّت فيه)[2]، «فلعلك نسيت أو اشتبه عليك، فإني كنت معك ولا أتذكر شيئاً من هذا) ولما قال له عمار: «إن شئت لم أحدّث به فقال له عمر: نوليك ما توليت وليس نحملك ما تحملت» أي: لا يلزم من كوني لا أتذكّره أن لا يكون حقاً في نفس الأمر، فليس لي منعك من التحدّث به فكل ما في الأمر أن عمر لم يتذكر هذه الحادثة، وأعتقد أنه ليس معصوماً حتى يُجعل هذا مما يعاب عليه.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٨)، ومسلم برقم (٣٦٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ٦٢).

٣- **وأما قوله:** (فأين عمر من آية التيمم المنزلة في كتاب الله، وأين علمه من سنة النبي ﷺ الذي علّمهم كيفية التيمم كما علّمهم الوضوء) فهذا لا يدل إلا على عظيم جهل الطاعن وسخفه، فعمر يعلم هذه الآية ولم يجهلها ويعلم كيفيّة التيمم، ولكن المشكلة عنده هي هل تشمل الجنب أم لا؟ فالله سبحانه يقول: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣] وعمر لم ير الجنب داخلاً في هذه الآية، والملامسة التي في الآية فسّرها بملامسة اليد لا بالجماع لذلك كان يرى وجوب الوضوء لمن لمس المرأة.

ثم يقول الطاعن: (... وتجرّأ على كتاب الله وسنة رسوله فحكم في خلافته بأحكام تخالف النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة) ويقول في موضع آخر: (وكان عمر بن الخطاب يجتهد ويتأول مقابل النصوص الصريحة من السنن النبوية بل في مقابل النصوص الصريحة من القرآن الحكيم فيحكم برأيه، كقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما).

فأقول وبالله التوفيق:

بالنسبة لتحريم متعة الحج فالصحيح أن عمر لم يحرّمها نهي تحريم، وإنما كان يريد إرشاد الناس إلى ما هو أفضل والنهي هنا هو نهي أولوية للترغيب في القران بدل التمتع بالعمرة إلى الحج، وحتى لا يخلو بيت الله الحرام من المعتمرين باقي أيام السّنة، ولأن التمتّع كان من السهولة بحيث تُرك الاعتمار في غير أشهر الحج، ولهذا أراد عمر ألاّ يخلو بيت الله من المعتمرين فنهاهم عن التمتع على سبيل الاختيار لا على التحريم، وإلا فقد ثبت عن عمر إباحته فعن ابن عباس قال: {سمعت عمر يقول: والله إني لا أنهاكم عن المتعة، وإنها لفي كتاب الله، وقد فعلها رسول الله ﷺ يعني العمرة في

الحج}[1] وعن الصُّبي بن معبد في جزء من الحديث أنه قال لعمر: {إني أحرمت بالحج والعمرة، فقال له عمر: هديت لسنة نبيك ﷺ}[2]، ولا شك أن الاعتمار في غير أشهر الحج أفضل من المتعة باتفاق الكثير من الفقهاء.

ثبت أيضاً عن أبي ذر أنه كان يحرِّم متعة الحج مطلقاً كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن إبراهيم التيِّمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: {كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد ﷺ خاصة}[3]، وأبو ذر من الصحابة المرضيين عندكم فإذا كان الخطأ في مسألة يقتضي القدح والطعن فينبغي أن يشمل أبا ذر أيضاً اللهم إلا إذا كانت القضية هي البحث عن مثالب عمر فقط!

وبالنسبة لمتعة النساء فلم يحرِّمها عمر من تلقاء نفسه بل لأن النبي ﷺ حرَّمها فقد أخرج مسلم في صحيحه عن الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدَّثه، أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: {يا أيها الناس إني قد كنت أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرَّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنَّ شيء فليخلِّ سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً}[4].

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن الزهري عن الحسن بن محمد بن علي، وأخوه عبد الله عن أبيهما {أن علياً رضي الله عنه قال لابن عباس: إن النبي ﷺ نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية، زمن خيبر}[5].

---

(١) رواه النسائي برقم (٢٧٣٦).

(٢) رواه أبو داود برقم (١٧٩٨)، والنسائي برقم (٢٧٢١)، وابن ماجه برقم (٢٩٧٠).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٢٢٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (١٤٠٦).

(٥) صحيح البخاري برقم (٥١١٥)، ومسلم برقم (١٤٠٧).

فنكاح المتعة حُرِّم عام الفتح، ولا إشكال في الرواية الأخرى التي فيها أنها حرِّمت يوم خيبر، والصحيح أنها لم تحرَّم عام خيبر (بل عام خيبر حرِّمت لحوم الحمر الأهلية، وكان ابن عباس يبيح المتعة ولحوم الحمر فأنكر علي بن أبي طالب ﷺ ذلك عليه، وقال له: إن رسول الله ﷺ حرَّم متعة النساء وحرَّم لحوم الحمر يوم خيبر، فقرن علي ﷺ بينهما في الذِّكْرِ لما روى ذلك لابن عباس ﷺ، لأن ابن عباس كان يبيحهما. وقد روى ابن عباس ﷺ أنه رجع عن ذلك لَّما بلغه حديث النهي عنهما).

ولهذا كان سفيان بن عيينة يقول: «قوله: (يوم خيبر) يتعلق بالحمر الأهلية لا بالمتعة»(١).

وقال أبو عوانة في صحيحه: (سمعت أهل العلم يقولون: معنى حديث علي أنه نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر، وأما المتعة فسكت عنها وإنما نُهي عنها يوم الفتح)(٢).

وقيل أنها حرِّمت يوم خيبر ثم أبيحت، ثم حرِّمت مرة أخرى، وعلى العموم فقد ثبت تحريمها بالاتفاق عام الفتح من فم النبي ﷺ، واستقر الأمر على النهي حتى توفي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد اعترف بهذه الحقيقة بعض علماء الإمامية، وبيَّن أن متعة النساء حرِّمت في عهد النبي ﷺ وأن عمر لم يحرَّمها من تلقاء نفسه، وقد أقرّ عمر على ذلك علي بن أبي طالب رضي الله وأقول: (إن النظرية الفقهية القائلة بأن المتعة حُرِّمت بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب يفندها عمل الإمام علي الذي أقر التحريم في مدة خلافته ولم يأمر بالجواز، وفي العرف الشيعي وحسب رأي فقهاء الشيعة عمل الإمام حجة لا سيما

---

(١) فتح الباري (٩/ ٧٣).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٧٤).

عندما يكون مبسوط اليد ويستطيع إظهار الرأي وبيان أوامر الله ونواهيه. والإمام علي كما يدعي الشيعة اعتذر عن قبول الخلافة، واشترط في قبولها أن يكون له اجتهاده في إدارة الدولة. فإذن إقرار الإمام علي على التحريم يعني أنها كانت محرمة منذ عهد الرسول ﷺ ولولا ذلك لكان يعارضها ويبين حكم الله فيها وعمل الإمام حجة على الشيعة ولست أدري كيف يستطيع فقهاء الشيعة أن يضربوا بها في عرض الحائط).

ومن هنا نعلم أن (أهل السنة اتبعوا علياً وغيره من الخلفاء الراشدين فيما رووه عن النبي ﷺ، والشيعة الاثني عشرية خالفوا علياً فيما رواه عن النبي ﷺ، واتبعوا قول من خالفه).

ولما لم يعلم الكثير من الناس بأمر التحريم نبه على ذلك عمر وأعلنه للناس فعن ابن عمر قال (لما ولي عمر بن الخطاب، خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً، ثم حرمها. والله! لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة. إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول الله أحلَّها بعد إذ حرمها).

لذلك قال سعيد بن المسيب: (رحم الله عمر لولا أنه نهى عن المتعة لصار الزنا جهاراً).

فأسأل هذا الطاعن: هل عرفت حقاً من يخالف النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؟!!!

ثم يقول هذا المفتري: (... وهذا عمر يقول:لولا علي لهلك عمر).

فأقول:

لو سلمنا جدلاً بصحة هذه الجملة، فهذه الجملة لها سبب، وهو أن عمر أراد أن يرجم امرأة، فأخبره علي بأنها مجنونة، فترك حدَّها وقال هذه المقولة، وفي أثر آخر: أن عمر أراد أن يرجم امرأة حامل فنبهه علي، فقال هذه المقولة، والذي أشار إلى ذلك ابن

عبد البر في الاستيعاب، ومحب الطبري في الرياض النضرة، إضافة إلى ابن المطهر الذي ذكر هاتين الروايتين بهذا السياق، وأما بالنسبة للرواية الأولى فقد ذكرها أحمد في الفضائل، عن ابن ظبيان الجنبي أن عمر بن الخطاب «أتى امرأة قد زنت فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي فقال: ما لهذه؟ قالوا: زنت، فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم وردهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا علي، قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي ﷺ يقول: {رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلي حتى يعقل؟} قال: بلى. قال علي: هذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري فلم يرجمها»[1]، وقد تتبعت الرواية من مظانها فلم أجد في أي منها مقولة عمر «لولا علي لهلك عمر»!

المقولة نفسها تثبت عدم قول عمر لهذه المقولة وهي أنه كان لا يعرف بجنون المرأة عندما قال: (لا أدري)، ولا شك أن عمر يكون في هذه الحالة معذور؛ لأنه خفي عنه أمر المرأة ولا ذنب عليه، فلماذا يقول إذاً: «لولا علي لهلك عمر»؟ ولماذا يهلك عمر؟! فإن كان قال ذلك تواضعاً منه فهل هذا مما يعتبر ذماً له!؟

أما الرواية الأخرى وهي: أن عمر أراد أن يرجم امرأة حامل فقد بحثت عنها فوجدت ابن أبي شيبة قد روى عن أبي سفيان عن أشياخه «أن امرأة غاب عنها زوجها، ثم جاء وهي حامل فرفعها إلى عمر، فأمر برجمها فقال معاذ: إن يكن لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها، فقال عمر: احبسوها حتى تضع، فوضعت غلاماً له ثنيتان، فلما رآه أبوه قال: ابني، فبلغ ذلك عمر فقال: عجزت النساء أن يلدن

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٧) برقم (١٢٠٩).

مثل معاذ، لولا معاذ هلك عمر»[١].

ثم قال ابن أبي شيبة: (حدثنا خالد الأحمر عن حجاج عن القاسم عن أبيه عن علي مثله)[٢]. وفي سنده الحجاج وهو ابن أرطاه ضعيف، كثير التدليس، ويقول الذهبي (الحجاج بن أرطاه لا يحتج به)

فهذه الرواية ضعيفة لا حجة فيها، أما الرواية التي ذكرها محب الطبري «أن عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لستة أشهر، فقال له علي: إن الله تعالى يقول ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤] فالحمل ستة أشهر، والفصال في عامين، فترك عمر رجمها، وقال: لولا علي لهلك عمر» أخرجه العقيلي، وأخرجه ابن السمان عن أبي حزم بن أبي الأسود[٣].

قلت: قوله أبو حزم خطأ، والصواب أبو حرب بن أبي الأسود، وفي سند هذه الرواية عثمان بن مطر الشيباني (قال يحيى بن معين: ضعيف لا يكتب حديثه، ليس بشيء، وقال علي بن المديني: عثمان بن مطر ضعيف جداً، وقال أبو زُرعة: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، وقال صالح البغدادي: لا يكتب حديثه، وقال أبو داود: ضعيف، وقال النسائي: ليس بثقة)[٤].

(وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: كان عثمان بن مطر ممن يروي الموضوعات عن الأثبات)[٥].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٥٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الرياض النضرة (٢/ ١٦١).

(٤) تهذيب الكمال (١٩/ ٤٩٤).

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣).

ولو فرضنا أن هذه الروايات صحيحة، فهي لا تقدح في فضل عمر وعلمه، وليس هو معصوماً عن الوقوع في الخطأ والزلل حتى تصبح هذه القضية منقصة له، ولا تقدح في علمه، ولا أن الله وضع الحق على لسانه، فقد وافق حكم الله في أكثر من قضية (فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأي عيب في ذلك)، والذي يدل على علمه وفقهه هو رجوعه إلى الحق وعدم تمسكه برأيه فهل في ذلك مذمة أو مثلبة؟

ثم يقول الطاعن: (وهذا عمر بن الخطاب يقول: «كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال» ويسأل عن آية من كتاب الله فينتهر السائل ويضربه بالدرة حتى يدميه ويقول: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١].

أقول: لو صحت هذه الرواية فليست بهذا اللفظ بل روي عنه قوله: «كل أحد أفقه من عمر» ولا شك أن لهذا القول سبب ولكن هذا الطاعن أخفاه ليوهم أن عمر يقول ذلك دون سبب، فالرواية بتمامها هي ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن الشعبي قال: «خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين أكتاب الله أحق أن يتبع أم قولك؟ قال: بل كتاب الله عز وجل، فما ذلك؟ قالت: نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النساء، والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٢٠] فقال عمر: (كل أحد أفقه من عمر) مرتين أو ثلاثاً، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إني نهيتكم أن لا تغلوا في صداق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له»[(١)].

---

(١) سنن سعيد بن منصور برقم (٥٩٥، ٥٦٩، ٥٧٩).

قلت: هذه الرواية باطلة سنداً ومتناً، فأما من ناحية السند: ففيه علّتان: الأولى الانقطاع، قال البيهقي عقب روايته: (هذا منقطع) لأن الشعبي لم يدرك عمر، يقول ابن أبي الرازي في كتاب (المراسيل): (سمعت أبي وأبا زُرعة يقولان: الشعبي عن عمر مرسل).

والعلّة الثانية: أن في سنده مجالد وهو ابن سعيد، قال عنه البخاري: (كان يحيى القطان، وكان ابن مهدي لا يروي عنه عن الشعبي)[١].

وقال النسائي: (كوفي ضعيف).

وقال الجوزجاني: (مجالد بن سعيد يضعّف حديثه).

وقال ابن عدي: سألت أحمد بن حنبل عن مجالد فقال: (ليس بشيء، يرفع حديثاً منكراً لا يرفعه الناس وقد احتمله الناس)، وقال ابن عدي أيضاً: (عامة ما يرويه غير محفوظ، وقال ابن معين: لا يحتج بحديثه وقال أيضاً: ضعيف واهي الحديث)[٢].

وقال ابن حجر: (ليس بالقوي، لقد تغير في آخر عمره)[٣].

وأما من ناحية المتن: ففيه نكارة وذلك للأسباب التالية:

أ- أنه ثبت عن عمر صريحاً نهيه عن المغالاة في المهور بالسند الصحيح، فقد روى أبو داود عن أبي العجفاء السلمي قال: {خطبنا عمر فقال: ألا لا تغالوا بصُدْقِ النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها النبي ﷺ إمرأة من نسائه، ولا أُصْدِقَتِ امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية}[٤].

---

(١) الضعفاء الصغير (ص١١٦) رقم (٣٦٨).

(٢) تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٢).

(٣) تقريب التهذيب (٢/ ١٥٩).

(٤) سنن أبي داود برقم (٢١٠٦).

فهذا الحديث الصحيح يظهر نهي عمر عن المغالاة في المهور وهو يظهر بطلان الرواية الأخرى.

ب- مخالفتها لنصوص صحيحة صريحة في الحث على عدم المغالاة في المهور وتيسير أمر الصداق منها: ما أخرجه أبو داود في سننه عن عمر قال: {خير النكاح أيسره}(١).

وأيضاً ما أخرجه الحاكم وابن حبان في موارد الظمآن عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: {من يُمن المرأة تسهيل أمرها وقِلّة صداقها}(٢).

وما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: {جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال له النبي ﷺ: هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئاً، قال: قد نظرت إليها، قال: على كم تزوجتها؟ قال: على أربعة أواق، فقال له النبي ﷺ: على أربع أواق؟ كأنّما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه}(٣).

وغير هذه الأحاديث التي تحث على تقليل الصداق.

ت- هذه الآية التي استدلت بها المرأة ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء:٢٠] معترضة بمفهومها على عمر في نهيه عن المغالات في مهور النساء، لا تنافي توجيه عمر، فغاية ما تدل عليه جواز دفع القادر على الصداق الكثير المنوه عنه بالآية بالقنطار لا تكليف العاجز ما لا يقدر عليه أو يستطيعه، بدليل إنكار النبي على الرجل المتزوج امرأة من الأنصار بأربع أواق صنيعها لكون ذلك لا يتناسب وحالها أو لكثرته، هذا

(١) سنن أبي داود برقم (٢١١٧).

(٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٩٥)، مستدرك الحاكم (٢/ ١٩٧) (٢٧٣٩)، موارد الظمآن برقم (١٢٥٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٤٢٤).

فيما لو كانت الآية تدل على المغالاة في المهور.

أما وأنها لا تدل على إباحة المغالاة في الصداق لأنه تمثيل على جهة المبالغة في الكثرة.

قال القرطبي ﵀ بعد أن حكى قول من أجاز المغالاة في المهور: (وقال قوم: لا تعطي الآية جواز المغالاة، لأن التمثيل بالقنطار إنما هو على جهة المبالغة، كأنه قال: وآتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد، وهذا كقوله ﷺ: {من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة}[(١)] ومعلوم أنه لا يكون مسجداً كمفحص قطاة)[(٢)].

هذا من جهة، وأما من جهة ثانية فما نقله أبو حيان عن الفخر الرازي أنه قال: (لا دلالة فيها على المغالاة لأن قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ﴾ لا يدل على جواز إيتاء القنطار، ولا يلزم من جعل الشيء شرطاً لشيء آخر كون ذلك الشرط في نفسه جائز الوقوع كقوله ﷺ: {من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين}[(٣)][(٤)].

نستخلص مما سبق أن الآية الكريمة لا علاقة لها بإباحة غلاء المهور وأن نصها ومفهومها يفيدان أن الرجل القادر لو أحب إعطاء زوجته تطوعاً من نفسه فدفع إليها قنطاراً أو قناطير فهذا جائز، وهذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ فقد قال: (ومن كان له يسار ووجد فأحب أن يعطي امرأته صداقاً كثيراً فلا بأس بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ﴾ [النساء:٢٠])[(٥)].

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٧٣٨).

(٢) القول المعتبر (ص٣٤-٣٦).

(٣) رواه أبو داود برقم (٤٥٠٤)، والترمذي برقم (١٤٠٦).

(٤) القول المعتبر (ص٣٦).

(٥) المصدر السابق (ص٣٧).

وبعد هذا البيان نخلص إلى بطلان هذا الحديث سنداً متناً، ونعلم مقدار فقه وعلم عمر!

٢- أما قوله: أن عمر ضرب من سأله عن آية بالدرة حتى أدماه وقال: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] والتي عزاها إلى سنن الدارمي وتفسير ابن كثير والدر المنثور، فقد بحثت عنها في هذه المصادر فلم أجد لها أثراً؟!؟ ولا يوجد لها أثر أصلاً، والحمد لله أن هذه الكتب موجودة في كل مكان.

ثم يقول الطاعن: (وقد سئل عن معنى الكلالة فلم يعلمها، أخرج الطبري في تفسيره عن عمر أنه قال: لئن أكون أعلم الكلالة أحبّ إليّ من أن يكون لي مثل قصور الشام، كما أخرج ابن ماجه في سننه عن عمر بن الخطاب قال: ثلاث لئن يكون رسول الله بيّنهنّ أحب إليّ من الدنيا وما فيها الكلالة والربا والخلافة).

فأقول:

١- هذا من التدليس الرخيص على القارئ، ولتوضيح ذلك أنقل ما أخرجه مسلم في صحيحه عن معدان بن أبي طلحة: {أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعةٍ فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر. ثم قال: إني لا أَدَعُ بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، ما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبَعِهِ في صدري، وقال: يا عمر ألا تكفيك آيةُ الصيف التي في آخر سورة النساء؟ وإني إن أعش أَقْضِ فيها بقضية، يقضِ بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن}(١).

ومن هذا الحديث نعلم أنّ عمر لم تكن عدم معرفته بالكلالة سببه قصوره في

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٦١٧).

العلم بل لأن النبي ﷺ أراد له وللصحابة الاعتناء بالاستنباط من النصوص، فأخفى النص الصريح بذلك واكتفى بإرشاده إلى الآية التي تكفيه للوصول لمعنى الكلالة كما في قوله: {يا عمر! ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء} وهي قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء:١٧٦] ويقول النووي: (ولعل النبي ﷺ أغلظ له لخوفه من اتكاله واتكال غيره على ما نص عليه صريحاً وتركهم الاستنباط من النصوص وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] فالاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة؛ لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة، فإذا أهمل الاستنباط فات القضاء في معظم الأحكام النازلة أو في بعضها والله أعلم)(١).

وكان عمر يرى رأي أبي بكر في أن الكلالة من لا والد له ولا ولد، وهذا ما اتفقت عليه جماهير العلماء ومن بعدهم وكان عليّ أيضاً يرى رأيهم، مما يدلل على عظيم علم عمر وفقهه، وكيف لا والرسول ﷺ يقول: {إن الله وضع الحق على لسان عُمر يقول به}(٢).

٢- ذكر الطبري في تفسيره خمس عشرة أثراً عن عمر بن الخطاب في الكلالة منها حديث مسلم السالف الذكر، ولكن هذا الطاعن لا يستطيع أن ينفكّ من عقدة الإنصاف المصاب بها فلا ترى عيناه إلا قول عمر: «لئن أعلم الكلالة أحب إليّ من أن يكون لي مثل جزية قصور الروم». وليس قصور الشام كما نقل هذا الطاعن، فسبحان الله حتى مجرّد النقل لا يحْسِنه فكيف بالإنصاف؟ أما هذا الأثر إن صح فغاية ما فيه أن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٥٧).

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٩٦٢).

عمر أراد معرفة الكلالة من النبي ﷺ لكي يكون حكمه موافقاً للصواب، ولا أن يخضع للاجتهاد فقط، وهذا من حرصه على معرفة الحق والصواب في هذه المسألة فهل هذا مما يذم عليه؟!

٣- أما الخبر الذي أخرجه ابن ماجه في سننه عن عمر أنه قال: «ثلاث لئن يكون رسول الله بينهن... إلخ» فهو منقطع(١)؛ لأن مرة بن شراحيل الهمداني لم يدرك عمر وضعّفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه فلا يحتج به لضعفه.

ثم يتابع فيقول: (ومن أول الصحابة الذين فتحوا هذا الباب على مصراعيه هو الخليفة الثاني الذي استعمل رأيه مقابل النصوص القرآنية بعد وفاة الرسول ﷺ فعطّل سهم المؤلّفة قلوبهم الذين فرض الله لهم سهماً من الزكاة وقال: لا حاجة لنا فيكم).

أقول:

١- الاجتهاد والرأي ثابت عن سائر الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وفي هذا يقول النبي ﷺ: {إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر}(٢).

ولا يكون اجتهادهم مقابل النصوص فهذا من الجهل البيّن، بل اجتهادهم هو في فهم النصوص القرآنية والنبوية، أو في الأمور العارضة المستجدّة، (لأن الصحابي شاهد التنزيل ووقف على حكمة التشريع وأسباب النزول ولازم النبي ﷺ ملازمة طويلة أكسبته معرفة الشريعة).

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٢٧٢٧).

(٢) سبق تخريجه.

إضافة إلى أن بعض الصحابة كانوا يجتهدون بها يخالف النصوص لأنها لم تصلهم فإذا تبيّنوا الحق أنابوا إليه.

٢- أما بالنسبة لعمر فإنه رأى أن سهم المؤلّفة قلوبهم كان يصرفه النبي ﷺ عندما كان المسلمون في ضعف تأليفاً لقلوبهم واتقاءً لشرّهم، أما والحال أنّ الأمة في قوة ومنعة، فإنه لا يجوز أن يُعطى هؤلاء الزكاة، ولا شك أن هذا هو اجتهاد عمر في هذه المسألة، وقد وافقه الصحابة على ذلك فكان إجماعاً منهم في وقته، ولا شك أن هذا ليس اجتهاداً في مقابل النص القرآني بل المراد من النص، ولكن أن يأتي في آخر القرن العشرين رويبض لا يفهم النصوص ومدلولاتها ولا يعلم الاجتهاد وصلاحيّاته، يظن نفسه أدرى من صحابي عايش النبي ﷺ وتلّقى النصوص القرآنية والحديثية طرية نقية من فمه ﷺ ليدعي عليه أنه يجتهد في مقابل النصوص، ويسمح لنفسه من أول كتابه إلى آخره أن يفسر الآيات القرآنية والأخبار النبوية حسب الكم الهائل من الجهل والكذب والتدليس الذي يتمتع به فهذا هو المصاب الأليم.

٣ لقد اجتهد عليّ بن أبي طالب ﷺ عندما قاتل في الجمل وصفين الذي أفضى بعد ذلك إلى قتل آلاف المسلمين، ولم يصل إلى ما قصده وطلبه، وبالطّبع لم يأت بنص من النبي ﷺ يعزز به دليله على القتال وإنما كان من رأيه ولم يوافقه عليه أكثر الصحابة، فإذا كان هذا من الاجتهاد المغفور لصاحبه فاجتهاد عمر أولى وأقنى.

ثم يقول الأفاك:(وقد وقعت له حادثة أخرى مع رسول الله ﷺ لعلها تعطينا صورة أوضح لنفسية عمر الذي أباح لنفسه أن يناقش ويجادل ويعارض صاحب الرسالة تلك هي حادثة التبشير بالجنة، إذ بعث رسول الله أبا هريرة وقال له: من لقيته يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشّره بالجنة، فخرج ليبشّر فلقيه عمر ومنعه من ذلك وضربه حتى سقط على إسته، فرجع أبو هريرة إلى رسول الله يبكي وأخبره بما

فعل عمر فقال رسول الله لعمر: ما حملك على ما فعلت؟ قال: هل أنت بعثته ليبشّر بالجنة من قال لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه؟ قال رسول الله: نعم، قال عمر: لا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس على لا إله إلا الله!).

أقول:

هذا الحديث من أعظم الدلائل على فقه عمر وأن الحق على لسانه دائماً، وهذا مصداقاً لقوله ﷺ {إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به}[١].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: {رأيت كأني أتيت بقدح لبن فشربت منهُ فأعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم}[٢].

وأخرج مسلم حديث أبي هريرة هذا وهو حديث طويل وفي جزء منه {فقال - أي النبي ﷺ -: يا أبا هريرة (وأعطاني نعليه) قال: اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أنْ لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشِّره بالجنة، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة! فقلتُ: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، بشرتُه بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثدييَّ فخررتُ لإستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ. فأجهَشْتُ بُكاءً. وَرَكِبني عُمَرُ. فإذا هو على أثري. فقال لي رسول الله ﷺ: ما لك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيتُ عُمَرَ فأخبرته بالذي بعثْتني بِهِ. فضرب بينَ ثدْييَّ ضرْبةً. خررتُ لإِسْتي. قال: ارْجع. فقال له رسول الله ﷺ: يا عمر! ما حملك على ما فعلتَ؟ قال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمِّي. أَبعثتَ أبا هريرةَ بِنَعليكَ، منْ لقيَ يشهدُ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

أن لا إله إلا الله مُستَيْقِناً بها قلبه، بشَّره بالجنة؟ قال: نعم. قال: فلا تفعل. فإني أخشى أن يتَّكل الناس عليها. فخَلِّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: فَخَلِّهِمْ}[١].

ففي هذا الحديث خشي عمر أن يسمع الناس هذا الخبر فيتكلوا عليه ويتركوا العمل، فعرض رأيه على النبي ﷺ فأخذ به تصويباً له!

قال القاضي عياض وغيره من العلماء رحمهم الله: (وليس فعل عمر رضي الله عنه ومراجعته النبي ﷺ اعتراضاً عليه ورداً لأمره إذ ليس فيما بعث به أبا هريرة غير تطبيب قلوب الأمة وبشراهم، فرأى عمر رضي الله عنه أن كتم هذا أصلح لهم وأحرى أن لا يتكلوا، وأنه أعود عليهم بالخير من معجّل هذه البشرى، فلما عرضه على النبي ﷺ صوّبه فيه والله تعالى أعلم)[٢].

وأما دفع عمر رضي الله عنه له فلم يقصد به سقوطه وإيذاءه، بل قصد رده عما هو عليه، وضرب بيده في صدره ليكون أبلغ في زجره).

وبعد ذلك أقول: هل يوجد دليل على أن الحق على لسان عمر وقلبه أبلغ من هذا الحديث الذي احتججت به عليه؟! ثم كيف تنكر على أمر قد أقره النبي ﷺ؟! أليس هذا سوء أدب مع النبي ﷺ؟!!!!.

شبهة عدم اعتقاد عمر بعصمة النبي ﷺ:

ثم يقول: (ومن مواقف عمر المتعددة تجاه النبي وسنته نفهم بأنه ما كان يعتقد يوماً بعصمة الرسول بل كان يرى أنه بشر يخطئ ويصيب. ومن هنا جاءت الفكرة لعلماء أهل السنّة والجماعة بأن رسول الله معصوم في تبليغ القرآن فقط وما عدا ذلك

---

(١) صحيح مسلم برقم (٣١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٢٣٨).

فهو يخطئ كغيره من البشر، ويستدلون على ذلك بأن عمر صوّب رأيه في العديد من القضايا).

فأقول:

روى البخاري في صحيحه عن الزهري: قال: أَخْبَرَنِي عليُّ بن حسين: أن حسين بن عليٍّ أخبره: أن عليَّ بن طالب أخبره: {أن رسول الله ﷺ طرقهُ وفاطمة بنت النبي عليها السلام ليلةً، فقال: ألا تُصلِّيان؟ فقُلت: يا رسول الله، أنْفُسنا بِيَدِ الله، فإذا شاءَ أن يَبعَثَنا بَعَثَنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولَمْ يَرْجع إليّ شيئاً، ثمَّ سمعتُهُ وهو مولٍّ يضربُ فخذهُ وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤]}[1].

فهل من موقف علي هذا تجاه النبي ﷺ الذي رفض طلبه وأغضبه نفهم بأنه يرى أن رسول الله ﷺ معصوم بتبليغ القرآن فقط، وما عدا ذلك فهو يخطئ ويصيب كغيره من البشر، لذلك لم يُعر طلبه اهتماماً؟! فما هو جواب هذا الطاعن؟!

هذا الطاعن يدّعي أن علماء أهل السنة يعتقدون أن النبي ﷺ معصوم بتبليغ القرآن فقط، وما عدا ذلك فلا عصمة له، وأنا لا أريد من هذا الطاعن إلا أن يأتي ولو بمصدر واحد لأهل السنة يقولون به مثل هذا القول المكذوب، وأنّا له ذلك، والمضحك هنا أن هذا الطاعن لم ينتبه إلى أن أهل السنة لم يُسمَّوا بأهل السنة إلا لأنهم المتبعون لسنة النبي ﷺ المقتفون لها فهنيئاً لهم!.

ثم يقول: (وإذا كان رسول الله ﷺ كما يروي البعض من الجهلة يقبل مزمارة الشيطان في بيته وهو مستلق على ظهره، والنسوة يضربن الدفوف، والشيطان يلعب ويمرح إلى جانبه حتى إذا دخل عمر بن الخطاب هرب الشيطان وأسرع النسوة فخبأن

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١٢٧).

الدفوف تحت أستهن وقال رسول الله لعمر: {ما رآك الشيطان سالكاً فجاً حتى سلك فجاً غير فجك}. فلا غرابة إذاً أن يكون لعمر بن الخطاب رأي في الدين ويسمح لنفسه لمعارضة النبي في الأمور السياسية وحتى في الأمور الدينية كما تقدم في تبشير المؤمنين بالجنة).

أقول: لا يوجد حديث في أيٍّ من كتب السنة بهذا اللفظ، والحمد لله أن كتب الحديث السنية موجودة وتملأ الأسواق فعلى طالب الحق أن يبحث عن هذه الرواية المكذوبة.

لا شك أن هذا الطاعن يشير إلى بعض الأحاديث الصحيحة التي يعرفها، ولكن عقدة الإنصاف أبت عليه إلا أن يتلاعب بسنة النبي ﷺ ويخلط ما يريده منها ليُخرج لنا كذباً يعزوه لأهل السنة!؟ وسأسوق روايتين أعتقد أنه حاول خلطهما فأخرج ما يسميه رواية لأهل السنة:

الحديث الأول: رواه البخاري في صحيحه (عن عائشة رضي الله عنها قالت: {دخل أبو بكر، وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تُغَنِّيان بما تَقَاولت الأنصار يوم بُعاثَ، قالت: وليْستا بِمُغنِّيتين، فقال أبو بكرٍ: أَمَزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيدٍ، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكرٍ إن لكلِّ قومٍ عيداً، وهذا عيدُنا}[1].

والحديث الآخر: أخرجه الترمذي في سننه عن بريدة: قال: {خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردّك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدُّفّ وأتغنّى، فقال لها رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا. فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي

(١) رواه البخاري برقم (٩٥٢)، ومسلم برقم (٨٩٢).

تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان هي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها، ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل عليّ وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف}[1].

وهذان الحديثان لا يوجد ما يقدح بهما فهما حديثان صحيحان، والجاريتان اللتان ذكرتا في الحديث الأول هما فتاتان لم تبلغا الحلم، وكانتا تغنّيان في يوم عيد وبالطبع ليس كالغناء المعروف الذي يحرّك الساكن ويبعث الكامن ويثير الغريزة من الغناء المحرّم، وهذا ظاهر بقول عائشة: «وليستا بمغنّيتين» وأما انتهار أبي بكر لهما وإضافة الضرب بالدف لمزمار الشيطان فلأنها تلهي وتشغل القلب عن الذكر، ولكن الرسول ﷺ قال له: {دعهما} وعلل ذلك بقوله: {إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا}.

والحديث الآخر فيه أن جارية سوداء قالت للرسول ﷺ {أنها نذرت إن رجع سالماً أن تضرب بالدف فقال لها: إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا} فأباح لها النبي ﷺ أن تضرب لايفاء النذر وإلا فلا، ثم بعد ذلك دخل أبو بكر ثم عليّ ثم عثمان وعندما دخل عمر ألقت الجارية بالدف ثم قعدت عليه فقال الرسول ﷺ مقولته التي أثقلت هذا الطاعن: {إن الشيطان ليخاف منك يا عمر} فهل بعد هذا المدح من النبي ﷺ لعمر من مديح.

ثم يقول هذا الحاقد: (وزاد عمر في الطين بلة عندما ولي أمور المسلمين فأحل ما حرّم الله ورسوله وحرّم ما أحل الله ورسوله) ثم يشير بالهامش بقوله: (كقضية إمضائه الطلاق الثلاث وكتحريمه متعة الحج ومتعة النساء).

---

(١) جامع الترمذي (٣٦٩٠).

فأقول:

بالنسبة لإدعائه أن عمر حرّم متعة الحج ومتعة النساء فقد أجبنا عن ذلك وافياً فيما مضى بما يغني عن الإعادة هنا.

وبالنسبة لإمضائه الطلاق الثلاث فعن ابن عباس قال: {كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم}(١)، هذا الحديث يبين أن الرجل إذا طلّق امرأته ثلاثاً تقع طلقة واحدة، وظل الأمر على ذلك حتى جاءت خلافة عمر وفي السنتين الأولتين أبقى عمر الطلقة الواحد البائنة، ولكن عندما رأى تهاون الناس في التطليق وعبثهم فيه أراد أن يشدد عليهم في ذلك تأديباً وردعاً لهم فأوقع الطلاق ثلاثاً، وهذا من اجتهاده وفقهه رضي الله عنه وقد وافقه الصحابة في زمانه على ذلك، ولا شك أن علياً واحداً منهم وليس ذلك تحليلاً لما حرم الله ورسوله فإنه لم ينسخ الحكم إنما جعله مرتبطاً بالعلة وهو أعلم بمراد النبي ﷺ في ذلك إضافةً إلى أنه الإمام المسؤول عن رعيته أمام الله عز وجل، فيجب عليه أن يسوسهم ويرشدهم لما يصلحهم وأن يردهم للصواب إن تقاعسوا عن المطلوب أو قصّروا في الحقوق، وأن يعمل على ما يصلحهم وينفعهم، وعمر قد ثبت أنه من أفاضل الصحابة وأعلمهم بالدين، واجتهاده هذا اجتهاد سائغ، وعلى فرض أنه أخطأ فهذا من الخطأ الذي يرفع الله به المؤاخذة.

وقد اعترف بفضله وعلمه خيار الصحابة، فقد روى الشعبي عن عليّ قال: «ما كنّا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر»(٢).

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٧٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٣٨٠)، وأحمد برقم (٨٣٤).

وقال ابن مسعود: «كان عمر أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا في دين الله وأعرفنا بـالله، والله لهو أبين من طريق الساعين»، يعني: أن هذا أمر بيّن يعرفه الناس، وقال أيضاً: «لو أن علم عمر وُضع في كفّة ميزان ووضع علم أهل الأرض في كفّة لرجح عليهم وقال: إني لأحسب تسعة أعشار العلم ذهب يوم ذهب عمر».

وقال مجاهد: «إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر فخذوا به»(١).

وقال أبو عثمان النهدي: «إنما كان عمر ميزاناً لا يقول كذا ولا يقول كذا».

ولكن لعل هذا الطاعن لن يقتنع بهذا الكلام، فسأضطر لكي أنقل من الإمامية الاثني عشرية والمعتمدة لديهم رأي أهل البيت رضي الله عنهم في عمر.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه واصفاً زمن حكم عمر بقوله: «لله بلاء فلان فقد قوّم الأوَد وداوى العمَد، خلّف الفتنة وأقام السنّة، ذهب نقيَّ الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرّها، أدّى إلى الله طاعته، واتقاه بحقّه، رحل وتركهم في طرقٍ متشعّبة، لا يهتدي فيها الضالّ ولا يستيقن المهتدي»(٢).

وقال عنه أيضاً: «ووليهم والٍ فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرّانه».

وفي كتاب (الغارات) لابراهيم الثقفي يذكر أن علياً وصف ولاية عمر بقوله: «... وتولى عمر الأمر وكان مرضيّ السيرة، ميمون النقيبة»(٣).

وعندما شاوره عمر في الخروج إلى غزو الروم قال له: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتَلْقَهُم بشخصك فتُنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محْرَباً، واحفز معه أهل

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٥).

(٢) نهج البلاغة (٢/ ٢٢٢).

(٣) الغارات (١/ ٣٠٧).

البلاء والنصيحة، فإن أظهرك الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأُخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[١].

ويقول محمد آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) الذي ادعى هذا الطاعن أنه تمتع بقراءته! (وحين رأى «أي: عليّ بن أبي طالب» أن الخليفتين أعني الخليفة الأول والثاني «أي: أبو بكر وعمر!» بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا «انظر!!» بايع وسالم)[٢].

لذلك زوّج علي ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب.

وليس ذلك وحسب بل سمى أحد أولاده باسم عمر باعتراف الأربلي تدليلاً على حبه وتقديره للخليفة عمر بن الخطاب فهل بعد ذلك يشك أحد بأنّ الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه؟!

هذا مع أن معرفة جميع الأحكام الشرعية بالفعل ليست شرطاً للإمامة، بل ولا النبوة، فقد كانت توحى إلى النبي ﷺ الأحكام الشرعية على حسب الوقائع. والإمام يعلم بعض الأحكام بالاجتهاد، وربما يخطئ فيه كما روى الترمذي عن عكرمة «أن علياً أحرق قوماً ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لقتلتهم. فبلغ ذلك علياً فقال: صدق ابن عباس»[٣]. والله تعالى الهادي.

وقال الطاعن: (وكان قليل المعرفة بالأحكام: أمر برجم حامل. فقال له عليّ: إن كان لك عليها سبيل، فلا سبيل لك على ما في بطنها. فأمسك. وقال: لولا عليّ لهلك عمر).

(١) نهج البلاغة (٢/ ١٨)، بحار الأنوار (٣١/ ١٣٦).

(٢) أصل الشيعة وأصولها (ص١٢٣-١٢٤).

(٣) سبق تخريجه.

والجواب: أن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبره عليٌّ بحملها. ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرَّفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس المغيَّبات، ومن جنس ما يشهد به عنده الشهود. وهذا أمر لا بد منه مع كل أحد من الأنبياء والأئمة وغيرهم، وليس هذا من الأحكام الكلية الشرعية.

وإما أن يكون عمر قد غاب عنه كون الحامل لا ترجم، فلما ذكَّره عليّ ذكر ذلك، ولهذا أمسك. ولو كان رأيه أن الحامل ترجم لرجمها، ولم يرجع إلى رأي غيره. وقد مضت سنة النبي ﷺ في الغامدية، لما قالت: {إني حبلى من الزنا فقال لها النبي ﷺ: اذهبي حتى تضعيه}(١).

ولو قدِّر أنه خفى عليه علم هذه المسألة حتى عرفه، لم يقدح ذلك فيه، لأن عمر ساس المسلمين وأهل الذمّة، يعطي الحقوق، ويقيم الحدود، ويحكم بين الناس كلهم. وفي زمنه انتشر الإسلام، وظهر ظهوراً لم يكن قبله مثله، وهو دائما يقضي ويُفتي، ولولا كثرة علمه لم يُطق ذلك. فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها، أو كان نسيها فذكرها، فأي عيب في ذلك؟!

وعلي رضي الله عنه قد خَفِيَ عليه من سنة رسول الله ﷺ أضعاف ذلك، ومنها ما مات ولم يعرفه.

قال الطاعن: (وأمر برجم مجنونة، فقال له عليّ رضي الله عنه: إن القلم رُفع عن المجنون حتى يفيق، فأمسك. وقال: لولا عليّ لهلك عمر).

والجواب: أن هذه الزيادة ليست معروفة في هذا الحديث. ورجم المجنونة لا يخلو: إما أن يكون لم يعلم بجنونها فلا يقدح ذلك في علمه بالأحكام، أو كان ذاهلاً

---

(١) رواه مسلم برقم (١٦٩٥).

عن ذلك فذُكِّر بذلك، أو يظن الظان أن العقوبات لدفع الضرر في الدنيا. والمجنون قد يُعاقب لدفع عدوانه على غيره من العقلاء والمجانين. والزنا هو من العدوان، فيُعاقب على ذلك حتى يتبين له أن هذا من باب حدود الله تعالى التي لا تقام إلا على المكلف.

والشريعة قد جاءت بعقوبة الصبيان على ترك الصلاة، كما قال ﷺ: {مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع}[1].

والمجنون إذا صال ولم يندفع صياله إلا بقتله قُتل، بل البهيمة إذا صالت ولم يندفع صيالها إلا بقتلها قُتلت، وإن كانت مملوكة لم يكن على قاتلها ضمان للمالك عند جمهور العلماء، كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

وبالجملة فما ذكره من المطاعن في عمر وغيره يرجع إلى شيئين: إما نقص العلم، وإما نقص الدين. ونحن الآن في ذكره. فما ذكره من منع فاطمة ومحاباته في القَسْم ودرء الحد ونحو ذلك يرجع إلى أنه لم يكن عادلاً بل كان ظالماً. ومن المعلوم للخاص والعام أن عدل عمر رضي الله عنه ملأ الآفاق، وصار يُضرب به المثل، كما قيل: سيرة العمرين، وأحدهما عمر بن الخطاب، والآخر قيل: إنه عمر بن عبد العزيز، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره من أهل العلم والحديث، وقيل: هو أبو بكر وعمر، وهو قول أبي عبيدة وطائفة من أهل اللغة والنحو.

وأما قوله: (وغيَّر حكم الله في المنفيين).

فالجواب: أن التغيير لحكم الله بما يناقض حكم الله، مثل إسقاط ما أوجبه الله، وتحريم ما أحلّه الله. وأما النفي في الخمر كان من باب التعزير الذي يسوغ فيه الاجتهاد. وذلك أن الخمر لم يقدِّر النبي ﷺ حدَّها: لا قَدْرُهُ ولا صفتُهُ، بل جوّز فيها

(١) رواه أبو داود برقم (٤٩٥).

الضرب بالجريد والنعال، وأطراف الثياب وعُثْكول النخل. والضرب في حد القذف والزنا إنما يكون بالسوط. وأما العدد في الخمر فقد ضرب الصحابة أربعين، وضربوا ثمانين. وقد ثبت في الصحيح عن علي رضي الله عنه أنه قال: «وكُلٌّ سُنَّة»(١).

شبهة شهادة عمر على نفسه:

شبهة أن عمر يشهد على نفسه، فقد قال أحدهم: (أخرج البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بن الخطاب: لمّا طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عبّاس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنّهم وهم عنك راضون، قال: أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ورضاه فإنما ذاك من منّ الله تعالى منّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك من منّ الله جلّ ذكره منّ به عليّ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه. وقد سجل التاريخ له أيضاً قوله: ليتني كنت كبش أهلي يسمّنونني ما بدى لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء ويعطوني قديداً ثم أكلوني وأخرجوني عذرة ولم أكن بشراً).

قلت:

لا شك أن قول عمر عند وفاته إن دل فإنما يدل عن شديد خوفه من الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على مدى قوة إيمانه بربه جل وعلا.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٠٧).

فعن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: {قال الله ﷻ: وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين وخوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادي}(١).

إضافة إلى أن الحديث يثبت الصحبة لعمر، وأن النبي ﷺ توفِّي وهو عنه راضٍ، فخوفه من الله إنما يدل على شدة تقواه رضي الله عنه إضافة إلى أن قاتله ليس رجلاً من المسلمين، وإنما هو مجوسي فارسي كافر وهذه مكرمة له.

وأخرج مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: {خيار أئمَّتكم الذين تُحبّونهم ويحبّونكم، ويصلّون عليكم وتُصلّون عليهم، وشرارُ أئمّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم}(٢).

وعمر كان عادلاً تحبه رعيته وترضى عنه، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون في جزء منه: {فاحتُمل إلى بيته، فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصِبهم مصيبة قبل يومئذٍ، فقائل يقول: لا بأسَ، وقائل يقول: أخافُ عليه، فأُتي بنبيذٍ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس، فجَعلوا يثْنون عليه، وجاء رجل شابٌّ فقال: أَبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لكَ، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدِم في الإسلام ما قد علِمتَ، ثمّ وَلِيتَ فعَدَلْتَ}(٣).

وهذا علي أيضا أثنى على عمر بعد وفاته فعن ابن أبي مليكة {أنه سمع ابن عباس يقول: وُضع عمر على سريره، فتكفَّنهُ الناس يدْعون ويصلُّون قبل أن يُرفع، وأنا فيهم،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٥٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠).

فلم يَرُعني إلا رجلٌ آخذٌ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحَّم على عمر وقال: ما خلَّفت أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثْلِ عملِهِ منك، وايْمُ الله إن كنت لأظُنُّ أن يجعلكَ الله مع صاحبيك، وحسبت: إني كنت كثيراً أسمعُ النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر}[(١)].

وبالنسبة لباقي الشبهات فقد أجبنا عليها إجابات وافية في مبحث (شهادة أبي بكر على نفسه).

قال أحدهم يبين موقفه من عمر ؓ: (ثم فتحت صحيح البخاري وفيه دخل عمر بن الخطاب على حفصة وعندها أسماء بنت عميس فقال حين رآها: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه. قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم. فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنّا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله، وأيّم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر رسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي أسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، عمر قال كذا وكذا. قال: فما قلت له، قالت: كذا وكذا. قال: ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان. قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث ما من الدنيا هم به أفرح ولا أعظم ما في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ ثم يقول.. فقلت: إذا كان رسول الله ﷺ هو أول من شك في أبي بكر ولم يشهد عليه لأنه لا يدري ماذا سوف يحدث من بعده، وإذا كان

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٨٥)، ومسلم برقم (٢٣٨٩).

رسول الله ﷺ لم يقر بتفضيل عمر بن الخطاب على أسماء بنت عميس بل فضّلها عليه، فمن حقي أن أشك وأن لا أفضّل أحداً حتى أتبين وأعرف الحقيقة، ومن المعلوم أن هذين الحديثين يناقضان كل الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر ويبطلانها، لأنها أقرب للواقع المعقول من أحاديث الفضائل المزعومة).

أقول:

١- والله لست أدري كيف يفهم هذا الطاعن وكيف يكتب، بحيث يجعل هذا الحديث يمثّل مطعناً لعمر؟!.. كل ما في الأمر أن الرسول ﷺ فضّل أهل السفينة وهم الذين هاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة على أصحاب الهجرة الواحدة من صحابة الرسول ﷺ ولكن تفضيلهم هذا ليس على الإطلاق بل من هذا الجانب فقط.

٢- أما قوله: (أن رسول الله ﷺ لم يقر بتفضيل عمر بن الخطاب على أسماء بنت عميس بل فضّلها عليه) جهلٌ مركّب لأن الرسول عندما أجاب أسماء قال: {ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان}(1) فقد جمعه مع أصحابه الذين هاجروا هجرة واحدة ولم يعنيه وحده، وعلى ذلك فأسماء خير من أصحاب الهجرة الأولى حسب الفهم المهترئ لهذا الطاعن، ولا شك أن هذا التفضيل سيطال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه من أصحاب الهجرة الأولى! ولكن الفهم الصحيح هو الذي أثبتناه من أن هذا التفضيل ليس على إطلاقه بل من هذه الحيثية فقط.

٣- أما قوله (من المعلوم أن هذا الحديث يناقض كل الأحاديث الواردة في فضل عمر ويبطلها) فأقول: بالطبع معلوم، وكيف لا يكون معلوماً أن جميع الأحاديث الواردة في فضل عمر باطلة؟!!!.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٧٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٣).

ثم يقول: (فالشيعة ليس كما يدّعي بعض علمائنا، بأنهم الفرس والمجوس الذين حطّم عمر كبرياءهم ومجدهم وعظمتهم في حرب القادسية ولذلك يبغضونه ويكرهونه! وأجبت هؤلاء الجاهلين بأنّ التشيع لأهل البيت النبوي لا يختص بالفرس بل الشيعة في العراق وفي الحجاز وفي سوريا ولبنان وكل هؤلاء عرب كما يوجد الشيعة في الباكستان والهند وفي أفريقيا وأمريكيا وكل هؤلاء ليسوا من العرب ولا من الفرس. ولو اقتصرنا على شيعة إيران فإن الحجة تكون أبلغ إذ أنني وجدت الفرس يقولون بإمامة الأئمة الاثني عشر وكلهم من العرب من قريش من بني هاشم عترة النبي، فلو كان الفرس متعصّبين ويكرهون العرب كما يدعي البعض لاتخذوا سلمان الفارسي إماماً لهم لأنه منهم وهو صحابي جليل عرف قدره كل من الشيعة والسنة على حدّ سواء. بينما وجدت أهل السنة والجماعة ينقطعون في الإمامة إلى الفرس، فأغلب أئمتهم من الفرس كأبي حنيفة والإمام النسائي والترمذي والبخاري ومسلم وابن ماجه والرازي والإمام الغزالي وابن سينا والفارابي وغيرهم كثيرون يضيق بهم المقام، فإذا كان الشيعة من الفرس يرفضون عمر بن الخطاب لأنه حطّم كبرياءهم وعظمتهم فبماذا نفسر رفض الشيعة له من العرب وغير الفرس فهذه دعوى لا تقوم على دليل، وإنما رفض هؤلاء عمر للدور الذي قام به في إبعاد أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عن الخلافة بعد رسول الله ﷺ وما سبّب ذلك من فتن وقلاقل وانحلال لهذه الأمة، ويكفي أن يزاح الحجاب عن أي باحث حر «!» وتكشف له الحقيقة حتى يرفضه بدون عداوة سابقة).

أقول رداً عليه:

أما ادعاؤه أن نشأة التشيع ليس في الفرس وحدهم، إنما يوجد في العرب وغير العرب فليس هذا مما يغيّر من الحق شيئاً، لأن القضية التي يجب أن تبحث هي في أصل

التشيع، وقد أثبتُّ أن الأصل هم الفرس، أما أن يسري هذا الداء إلى العرب وغيرهم فهذا شيء سنني في الكون ولا توجد دعوة في الأرض إلا وتجمّع حولها جمع من المؤمنين بفكرتها، فلا يعتبر ذلك دليلاً على الحق، ألا ترى أن الفكرة الشيوعية في فترة سطوتها قد تأثر بها بالإضافة لأصحابها الكثير من العرب والفرس أيضاً فهل هذا يغني من الباطل شيئاً؟! فإذا كانت فكرة إنكار وجود الله قد آمن بها بعض العرب بل وقامت على أرضهم دولاً تؤمن بهذه الفكرة فالأولى أن يتأثر الكثير من العرب بفكرة التشيع خصوصاً إذا كانت تتمسح بشعار موالاة أهل البيت والانتصار لهم! فليس في ذلك أي حجة لهذا الطاعن على صحة مذهبه.

وأما أن العرب وغير العرب دون الفرس يبغضون عمر فهذا شيء طبيعي لأن أصل هذه العقيدة هي الطعن في أبي بكر وعمر، فكل من آمن بهذه الفكرة لا بدّ أن يؤمن بتبعاتها، لذلك أردّ حب الكثير من الفرس لعمر بن الخطاب بالدرجة الأولى لإيمانهم بعقيدة الحق، عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا شيء طبيعي أيضاً فهذا هو الذي يفسر عداوة بعض العرب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأما قوله: (أنه وجد أهل السنة والجماعة ينقطعون في الإمامة إلى الفرس) فهذا جهل فاضح، فالصحيح أن يقال أن كل العلماء من العرب وغيرهم ينقطعون في الاعتقاد لمنهج أهل السنة والجماعة، لأن منهج أهل السنة لا يمثله عرب ولا فرس فهو ليس منهجاً طارئاً ومشوهاً مثل غيره الذي يمثّله أشخاصه، إنما هو منهجاً يمثل أصل الإسلام وجوهره باعتماده على كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكل من ارتضى له هذا المنهج فهو من أهل السنة والجماعة سواءٌ كان عربياً أو غير عربي وليس العكس.

وأما قوله: (فلو كان الفرس متعصبين ويكرهون العرب كما يدعي البعض لاتخذوا سلمان الفارسي إماماً لهم لأنه منهم وهو صحابي جليل عرف قدره كل من

الشيعة والسنة) فأقول: سلمان وإن كان صحابياً جليلاً فهذه مكرمة يتمتّع بها جميع الصحابة بل حتى الكثير من الصحابة يسبقونه بالمنزلة والصحبة، إضافة إلى أنه فارسي الأصل، فلو اتخذوه إماماً من دون الصحابة فستنْفضح اللعبة وتحوم الشبهات، إذن فمن الحنكة والدهاء أن يتخذ هؤلاء من آل بيت النبي ﷺ ملاذاً لهم، وأما سلمان فقدَّروا أصله الفارسي وجعلوه من الصحابة المرضيين إتماماً للعبة وإتقاناً للمخطط.

أنا لا أزعم أن كل من التوى تحت لواء هؤلاء يعرف ذلك بل على العكس فأكثر عوام هؤلاء لا يعرفون هذه الحقيقة ويعتقدون أنهم على الحق والصراط المستقيم، والكثير من هؤلاء إذا ظهر لهم الحق يؤوبون إليه ويتمسّكون به، وبالفعل فقد رأينا الكثير منهم يرجعون إلى منهج أهل السنة والجماعة، بل ويصبحون من أنشط الدعاة إليه، بل وحتى العلماء منهم كالدكتور موسى الموسوي وأحمد الكسروي.

ويقول هذا الطاعن: (وكانت خلافة عثمان مهزلة تاريخية، وذلك أن عمر رشّح ستةً للخلافة وألزمهم أن يختاروا من بينهم واحداً وقال: إذا اتفق أربعة وخالف اثنان فاقتلوهما وإذا انقسم الستة إلى فريقين ثلاثة في كل جهة فخذوا برأي الثلاثة الذين يقف معهم عبد الرحمن بن عوف. وإذا مضى وقت ولم يتّفق الستة فاقتلوهم، والقصة طويلة وعجيبة، والمهم أن عبد الرحمن بن عوف اختار علياً واشترط عليه أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبي بكر وعمر فرفض عليّ هذا الشرط، وقَبِله عثمان فكان هو الخليفة، وخرج عليّ من البيعة وهو يعلم مسبقاً النتيجة وتحدث عن ذلك في خطبته المعروفة بالشقشقية).

أقول:

١ - ما أكذب هذا الطاعن وما أشد تحامله، فلماذا لم يشر إلى المصدر الذي يستقي منه كذبه؟! أليس لأنه أقل من أن ينظر إليه لتهافته وكذب رواته، ولكن ماذا نقول

لهؤلاء البشر فهم (لفرط جهلهم وهواهم يقلبون الحقائق في المنقول والمعقول، فيأتون إلى الأمور التي وقعت وعُلم أنها وقعت، فيقولون: ما وقعت، وإلى أمور ما كانت ويُعلم أنها ما كانت، فيقولون: كانت، ويأتون إلى الأمور التي هي خير وصلاح، فيقولون: هي فساد، وإلى الأمور التي هي فساد، فيقولون: هي خير وصلاح، فليس لهم لا عقل ولا نقل، بل لهم نصيب من قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك:١٠].

٢- الحق الثابت في هذه القضية هو فيما أخرجه البخاري في صحيحه في الحديث الطويل عن عمرو بن ميمون في جزء منه: {... أوصِ يا أمير المؤمنين استخلِف، قال: ما أجدُ أحداً أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النّفر، أو الرهط، الذين تُوفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمَّى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدُكُم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيءٌ كهيئةِ التعْزِية فإن أصابت الإمْرَة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيُّكم ما أُمّر، فإني لم أعزلْه عن عجزٍ ولا خيانَة. وقال: أُوصي الخليفة من بعدي، بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقّهم ويحفظ لهم حُرمتهُم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يُقبل من مُحسنهم، وأن يُعفى عن مسيئهم، وأُوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردْءُ الإسلام، وجُباة المال وغيظُ العدوِّ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلُهُم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصلُ العربِ ومادةُ الإسلام أن يُؤخذَ من حواشِي أموالِهِم ويُردَّ على فُقرائهم، أُوصيه بذمَّة الله تعالى، وذمَّة رسوله ﷺ أن يُوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائِهم، ولا يُكلَّفوا إلا طاقَتَهم}(١).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠).

فعمر كما ترى جعل الأمر في هؤلاء الستة، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، أما أنه أمر بقتلهم أو قتل بعضهم فهذا أولى به أن يلحق في قصص ألف ليلة وليلة!؟

٣- ولو فرضنا أن عمر أمر بقتلهم، فلا شك أن أمره هذا هو منع للفتن والإفساد، فأتساءل: هل الأمر بقتلهم يمنع الفتن أم يشعلها؟! وهل قتل الستة من خيار الأمة سيمر دون سلام؟! وهل سيقبل به المسلمون؟! ثم لو أمر عمر بالقتل كما يدعي هذا الطاعن، لأَمَرَ بأن يتولّى الأمر أحد من الناس فهل أمر بذلك عمر؟! ومن هنا نعلم أنه لا يحتج بذلك ويصدقه ويكتبه إلا أشدّ الناس غباءً!!

٤- أما قوله أن عمر قال: (فخذوا برأي الثلاثة الذين يقف معهم عبد الرحمن بن عوف) فهذا من الكذب أيضاً على عمر، فإنه جعل الأمر في هؤلاء الستة ليختاروا منهم واحداً ولم يأمر بأخذ رأي من يقف معهم عبد الرحمن بن عوف، ولكن الصحيح أن الستة هم الذين اختاروا عبد الرحمن بن عوف ففي نفس الحديث الذي أخرجه البخاري يقول: {فلما فُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى عليّ، فقال طلحة: قد جعلتُ أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيُّكما تبرَّأ من هذا الأمر، فنجعله إليه والله عليه والإسلام، لَيَنظُرنَّ أفضلهم في نفسه؟ فأُسكتَ الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفَتَجعلوُنه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلِكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتُك لتعدلنّ ولئن أمَّرت عثمان لتسمعنّ ولتُطيعنّ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدّار فبايَعوه}[1].

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠).

شبهة اجتهاد عمر مقابل النصوص:

القول بأن عمر رضي الله عنه يجتهد في مقابل النصوص فقد قال أحدهم: وكان عمر يجتهد ويتأول مقابل النصوص الصريحة من السنن النبوية، بل في مقابل النصوص الصريحة من القرآن الحكيم فيحكم برأيه كقوله: {متعتان كانتا على عهد رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما}(١).

ويقول لمن أجنب ولم يجد ماءً: (لا تصلّ) رغم قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة:٦].

قلت: طعنه في عمر رضي الله عنه لنهيه عن المتعتين، قد تقدم الكلام فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة ضمن رده على ابن المطهر في هذه المسألة: (وإن قدحوا في عمر لكونه نهى عنها، فأبو ذر كان أعظم نهياً عنها(٢) من عمر، وكان يقول: إن المتعة-أي متعة الحج- كانت خاصة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يتولون أبا ذر ويعظمونه، فإن كان الخطأ في هذه المسألة يوجب القدح فينبغي أن يقدحوا في أبي ذر، وإلا فكيف يقدح في عمر دونه، وعمر أفضل وأفقه، وأعلم منه.

ويقال ثانياً: إن عمر رضي الله عنه لم يحرم متعة الحج بل ثبت عن الضُّبي بن معبد لما قال له: {إني أحرمت بالحج والعمرة جميعاً فقال له عمر: هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وآله وسلم} رواه النسائي وغيره(٣).

---

(١) رواه أحمد برقم (١٤٥١٩).

(٢) روى مسلم في صحيحه برقم (١٢٢٤) من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: (كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة) وفي رواية: (لاتصلح المتعتان إلا لنا خاصة، يعني متعة النساء ومتعة الحج).

(٣) سبق تخريجه.

وكان عبد الله بن عمر ﭬ يأمرهم بالمتعة فيقولون له: {إن أباك نهى عنها فيقول: إن أبي لم يرد ما تقولون: فإذا ألحوا عليه قال: أفرسول الله ﷺ أحق أن تتبعوا أم عمر؟}(١).

وقد ثبت عن عمر أيضاً أنه قال: «لو حججت لتمتعت، ولو حججت لتمتعت»، وإنما كان مراد عمر ﭬ أن يأمرهم بما هو الأفضل، وكان الناس لسهولة المتعة تركوا الاعتمار في غير أشهر الحج، فأراد ألا يُعرَّى البيت طول السنة، فإذا أفردوا الحج اعتمروا في سائر السنة، والاعتمار في غير أشهر الحج مع الحج في أشهر الحج أفضل من المتعة باتفاق الفقهاء الأربعة وغيرهم.

والإمام إذا اختار لرعيته الأمر الفاضل، بالشيء نهي عن ضده فكان نهيه عن المتعة على وجه الاختيار لا على وجه التحريم، وهو لم يقل: وأنا أحرمهما كما نقل هذا الطاعن، بل قال: أنهى عنهما ثم كان نهيه عن متعة الحج على وجه الاختيار للأفضل لا على وجه التحريم.

وقد قيل: إنه نهى عن الفسخ، والفسخ حرام عند كثير من الفقهاء، وهو من مسائل الاجتهاد، فالفسخ يحرمه أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، لكن أحمد وغيره من فقهاء الحديث وغيرهم لا يحرمون الفسخ، بل يستحبونه، بل يوجبه بعضهم، ولا يأخذون بقول عمر في هذه المسألة بل بقول: علي، وعمران بن حصين، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم من الصحابة ﭫ.

وأما ما ذكره من نهي عمر عن متعة النساء فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه حرم متعة النساء بعد الإحلال، هكذا رواه الثقات في الصحيحين وغيرهما عن الزهري عن عبد الله، والحسن ابني محمد بن الحنفية، عن أبيهما محمد بن الحنفية،

---

(١) سنن البيهقي الكبرى برقم (٨٦٥٨).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنه {لما أباح المتعة: إنك امرؤ تائه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّم المتعة ولحوم الحمر الأهلية عام خيبر}[1]، رواه عن الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة وأحفظهم لها، أئمة الإسلام في زمانهم، مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة وغيرهما، ممن اتفق المسلمون على علمهم وعدلهم وحفظهم، ولم يختلف أهل العلم بالحديث في أن هذا حديث صحيح متلقى بالقبول ليس في أهل العلم من طعن فيه.

وكذلك ثبت في الصحيح أنه حرَّمها في غزاة الفتح إلى يوم القيامة[2]، وقد تنازع رواة حديث علي رضي الله عنه هل قوله: (عام خيبر) توقيت لتحريم الحمر فقط، أوله ولتحريم المتعة؟ فالأول قول ابن عيينه وغيره قالوا: إنما حرمت عام الفتح، ومن قال بالآخر قال: إنها حرمت ثم أحلّت ثم حرمت، وادعت طائفة ثالثة أنها أحلت بعد ذلك ثم حرمت في حجة الوداع.

فالروايات المستفيضة المتواترة متواطئة على أنه حرم المتعة بعد إحلالها، والصواب أنها بعد أن حرمت لم تحل وأنها إنما حرمت عام فتح مكة ولم تحل بعد ذلك، ولم تحرم عام خيبر، بل عام خيبر حرمت لحوم الحمر الأهلية وكان ابن عباس يبيح المتعة ولحوم الحمر فأنكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك عليه.

وقد روى ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي عنهما، فأهل السنة اتبعوا علياً وغيره من الخلفاء الراشدين فيما رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم، والشيعة خالفوا علياً فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم واتبعوا قول من خالفه)[3].

---

(١) رواه البخاري بدون: «إنك امرؤ تائه" برقم (٥١١٥)، ومسلم برقم (١٤٠٧).

(٢) رواه مسلم برقم (١٤٠٦).

(٣) منهاج السنة (٤/ ١٨٤-١٩١).

ويقول الدهلوي ضمن ذكره لمطاعن هؤلاء على عمر والرد عليها: (ومنها أن عمر منع الناس من متعة النساء ومتعة الحج مع أن كلتا المتعتين كانتا في زمنه ﷺ، فنسخ حكم الله تعالى وحرّم ما أحله الله سبحانه، بدليل ما ثبت عند أهل السنة من قوله: {متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما}[1].

والجواب: أن أصح الكتب عند أهل السنة الصحاح الست، وأصحها البخاري ومسلم، وقد روى مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع وسبرة بن معبد الجهني أنه ﷺ قد حرم هو المتعة بعدما كان أحلها ورخصها لهم ثلاثة أيام[2]، وجعل تحريمها إذ حرمها مؤبداً إلى يوم القيامة مثل هذه الرواية في الصحاح الأخر، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من كتب أهل السنة رواية الأئمة عن الأمير بتحريمها، فإن ادعت الشيعة أن ذلك كان في غزوة خيبر ثم أُحلت في غزوة الأوطاس فمردود لأن غزوة خيبر كانت مبدأ تحريم لحوم الحمر الأهلية، لا متعة النساء، فقد روى جمع من أهل السنة عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن الأمير رضي الله عنه أنه قال: {أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بتحريم المتعة} فقد علم أن تحريم المتعة كان في عهد رسول الله ﷺ مرة أو مرتين، فالذي بلغه النهي امتنع عنها ومن لا فلا، ولما شاع في عهد عمر ارتكابها أظهر حرمتها وأشاعها وهدد من كان يرتكبها، وآيات الكتاب شاهدة على حرمتها...

والجواب عن متعة الحج: -أعني تأدية أركان العمرة مع الحج في سفر واحد في أشهر الحج قبل الرجوع إلى بيته -أن عمر لم يمنعها قط، ورواية التحريم عنه افتراء صريح- نعم إنه كان يرى إفراد الحج والعمرة أولى من جمعهما في إحرام واحد وهو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم برقم (ص١٤٠٦).

القران أو في سفر واحد وهو التمتع، وعليه الإمام الشافعي، وسفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه وغيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٦] إلى قوله: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٦] الآية. فأوجب سبحانه الهدي على المتمتع لا على المفرد جبراً لما فيه من النقصان، كما أوجبه تعالى في الحج إذا حصل فيه قصور ونقص، ولأنه ﷺ حج في حجة الوداع مفرداً، واعتمر في عمرة القضاء وعمرة جعرّانة كذلك، ولم يحج فيها بل رجع إلى المدينة مع وجود المهلة.

وأما ما رووا من قول عمر: «وأنا أنهى عنهما» فمعناه أن الفسقة وعوام الناس لا يبالون بنهي الكتاب وهو قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون:٧] وقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٦] إلا أن يحكم عليهم الحاكم والسلطان، ويجبرهم على مراعاة ما أمروا به وما نهوا عنه، فلذلك أضاف النهي إلى نفسه، فقد تبين لك ولله تعالى الحمد زيف أقوالهم، وظهر لك مزيد ضلالهم والحق يعلو وكلمة الصدق تسمو(١).

فظهر بهذا بطلان دعوى هؤلاء في طعنهم في عمر لنهيه عن المتعتين. أما متعة الحج فلم ينه عنها نهي تحريم، وإنما كان نهيه على متعة النساء.

وجه الاختيار للأفضل، وذلك خشية منه أن يهجر البيت بترك الناس للاعتمار في غير أشهر الحج، وقيل: إنما كان نهي عمر عن فسخ الحج إلى عمرة وهذا هو قول أكثر أهل العلم، كما نقله ابن قدامة في المغني لأن الحج أحد النسكين فلم يجز فسخه كالعمرة(٢).

---

(١) مختصر التحفة الإثني عشرية (ص:٢٥٦-٢٥٨).

(٢) انظر المغني لابن قدامة (٥/ ٢٥٢).

وأما متعة النساء فالذي حرمها رسول الله ﷺ بعد أن كان أحلها وكان علي رضي الله عنه من أشد الناس إنكاراً على من قال بحلها، وإنما قال بحلها ابن عباس رضي الله عنهما فأنكر عليه علي رضي الله عنه ورجع عن ذلك لما بلغه الحديث الذي رواه علي رضي الله عنه بتحريم رسول الله ﷺ لها، وكذلك روى أحاديث تحريم المتعة غير علي رضي الله عنه بعض الصحابة وهي مخرجة في صحاح أهل السنة كما تقدم، فأي لوم على عمر رضي الله عنه في نهيه عن المتعة بعد أن ثبت تحريم رسول الله ﷺ لها إلى يوم القيامة.

شبهة فرار عمر رضي الله عنه في غزوة حنين:

قال أحدهم: (إن عمر فر وانهزم من معركة حنين وهذا الحديث أدناه يدل على ذلك.

- وقال الليث: حدثني يحيى بن سعيد، عن عمر بن كثير بن أفلح، عن أبي محمد، مولى أبي قتادة قال: {لما كان حنين، نظرت إلى رجل من المسلمين، يقاتل رجلاً من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله، فرفع يده ليضربني، وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضماً شديداً حتى تخوفت، ثم ترك، فتحلل، ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه). فقمت لألتمس بينة على قتيلي، فلم أر أحداً يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ، فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا، لا يعطه أصيبغ من قريش ويدع أسداً من أسد الله، يقاتل عن الله ورسوله ﷺ. قال: فقال رسول الله ﷺ فأداه إلي، فاشتريت منه خرافاً، فكان أول مال تأثلته في الإسلام}. صحيح البخاري).

الرد:

في البداية يجب أن نعرف أن هذه الرواية التي وردت في البخاري قد تناولها الإمام ابن حجر صاحب كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري جاءت من ضمن روايتين سأضعهما ثم أضع تعليق الامام ابن حجر عليهما.

الرواية الأولى:

الحديث: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال: {خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس. قال: أمر الله عز وجل ثم رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه. فقلت: من يشهد لي ثم جلست. قال: ثم قال النبي ﷺ مثله فقمت فقلت: من يشهد لي ثم جلست. قال: ثم قال النبي ﷺ مثله فقمت فقال: ما لك يا أبا قتادة؟ فأخبرته فقال رجل: صدق وسلبه عندي فأرضه مني، فقال أبو بكر: لاها الله إذًا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ فيعطيك سلبه فقال النبي ﷺ: صدق فأعطه فأعطانيه فابتعت به مخرفًا في بني سلمة فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام}(١).

الرواية الثانية التي رواها الليث (التي استشهد بها هذا الطاعن):

وقال الليث: حدثني يحيى بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال: {لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً

(١) رواه البخاري برقم (٣١٤٢).

من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني وأضرب يده فقطعتها ثم أخذني فضمني ضما شديدًا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته وانهزم المسلمون وانهزمت معهم فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له: ما شأن الناس. قال: أمر الله ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه. فقمت لألتمس بينة على قتيلي فلم أر أحدًا يشهد لي فجلست ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجلٌ من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه منه. فقال أبو بكر: كلا لا يعطه أصيبغ من قريش ويدع أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ. قال: فقام رسول الله ﷺ فأداه إلي، فاشتريت منه خرافًا فكان أول مال تأثلته في الإسلام}[1].

فقد كتب الإمام ابن حجر معلقاً على الرواية الثانية (رواية الليث) وأقتبس من رده: (وقد أطلق في رواية الليث الآتية بعدها أنهم انهزموا، لكن بعد القصة التي ذكرها أبو قتادة، وقد تقدم في حديث البراء أن الجميع لم ينهزموا)[2]. انتهى الاقتباس.

وأضيف أنه من الواجب لمن أراد أن يفهم الحديث أن يتتبع طرق الحديث الأخرى والأحاديث المتصلة بموضوع الحديث لكي يسهل فهم ما جاء بالحديث وتجميع أجزاء الصورة من الجوانب المختلفة.

وهنا حديث البراء وشرحه الذي أشار إليه الإمام ابن حجر رحمه الله:

وقد ورد ضمن الشرح أن ممن ثبتوا يوم حنين سيدنا أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم.

الرواية مع شرح الإمام ابن حجر رحمه الله الواردة في فتح الباري:

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٢٢).

(٢) فتح الباري (٨/ ٣٧).

الحديث: حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: {يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين فقال أما أنا فأشهد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب}(١).

الشرح: (حديث البراء، قوله: «عن أبي إسحاق» هو السبيعي، ومدار هذا الحديث عليه، وقد تقدم في الجهاد من وجه آخر عن سفيان وهو الثوري قال: «حدثني أبو إسحاق». قوله: «وجاءه رجل» لم أقف على اسمه، وقد ذكر في الرواية الثالثة أنه من قيس. قوله: «يا أبا عمارة» هي كنية البراء. قوله: «أتوليت يوم حنين» الهمزة للاستفهام، وتوليت أي: انهزمت، وفي الرواية الثانية «أوليتم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين» وفي الثالثة» أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» وكلها بمعنى.

قوله: «أما أنا فأشهد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يول» تضمن جواب البراء إثبات الفرار لهم، لكن لا على طريق التعميم، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لظاهر الرواية الثانية، ويمكن الجمع بين الثانية والثالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه ثم أوضح ذلك، وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد منه صلى الله عليه وآله وسلم. قال النووي: هذا الجواب من بديع الأدب، لأن تقدير الكلام فررتم كلكم. فيدخل فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال البراء: لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن جرى كيت وكيت، فأوضح أن فرار من فر لم يكن على نية الاستمرار في الفرار، وإنما انكشفوا من وقع السهام وكأنه لم يستحضر الرواية الثانية. وقد ظهر من الأحاديث الواردة في هذه القصة أن الجميع لم يفروا كما سيأتي بيانه، ويحتمل أن البراء فهم من السائل أنه اشتبه

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣١٥).

عليه حديث سلمة بن الأكوع الذي أخرجه مسلم بلفظ: {ومررت برسول الله ﷺ منهزماً}[1] فلذلك حلف أن النبي ﷺ لم يول، ودل ذلك على أن منهزماً حال من سلمة، ولهذا وقع في طريق أخرى {ومررت برسول الله ﷺ منهزماً وهو على بغلته فقال: لقد رأى ابن الأكوع فزعاً} ويحتمل أن يكون السائل أخذ التعميم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة:٢٥] فبين له أنه من العموم الذي أريد به الخصوص. قوله: «ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن» فأما سرعان فبفتح المهملة والراء، ويجوز سكون الراء، وقد تقدم ضبطه في سجود السهو في الكلام على حديث ذي اليدين، والرشق بالشين المعجمة والقاف رمي السهام، وأما هوازن فهي قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بمعجمة ثم مهملة ثم فاء مفتوحات ابن قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر، والعذر لمن انهزم من غير المؤلفة أن العدو كانوا ضعفهم في العدد وأكثر من ذلك، وقد بين شعبة في الرواية الثالثة السبب في الإسراع المذكور قال: كانت هوازن رماة، قال: وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا. وللمصنف في الجهاد «انهزموا». قال: «فأكببنا»؛ وفي روايته في الجهاد في باب من قاد دابة غيره في الحرب «فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام»، وللمصنف في الجهاد أيضاً من رواية زهير بن معاوية عن أبي إسحاق تكملة السبب المذكور قال: «خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسراً - بضم المهملة وتشديد السين المهملة - ليس عليهم سلاح، فاستقبلهم جمع هوازن وبني نضر ما يكادون يسقط لهم سهم، فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون»[2] الحديث.

وفيه «فنزل واستنصر، ثم قال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب». ثم

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٧٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٩٣٠).

وصف أصحابه. وفي رواية مسلم من طريق زكريا عن أبي إسحاق: «فرموهم برشق من نبل كأنها رجل جراد فانكشفوا»[(١)] وذكر ابن إسحاق من حديث جابر وغيره في سبب انكشافهم أمراً آخر، وهو أن مالك بن عوف سبق بهم إلى حنين فأعدوا وتهيأوا في مضايق الوادي، وأقبل النبي ﷺ وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح، فثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين.

وفي حديث أنس عند مسلم وغيره من رواية سليمان التيمي عن السميط عن أنس قال: {افتتحنا مكة، ثم إنا غزونا حنينا، قال: فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت: صف الخيل، ثم المقاتلة، ثم النساء من وراء ذلك، ثم الغنم ثم النعم. قال: ونحن بشر كثير، وعلى ميمنة خيلنا خالد بن الوليد، فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا فلم نلبث أن انكشفت خيلنا وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس}[(٢)] وسيأتي للمصنف قريباً من رواية هشام بن زيد عن أنس قال: {أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم ونعمهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف ومعه الطلقاء، قال: فأدبروا عنه حتى بقي وحده}[(٣)] الحديث. ويجمع بين قوله: «حتى بقي وحده» وبين الأخبار الدالة على أنه بقي معه جماعة بأن المراد بقي وحده متقدماً مقبلاً على العدو، والذين ثبتوا معه كانوا وراءه، أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال، وأبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة ونحو ذلك. ووقع في رواية أبي نعيم في «الدلائل» تفصيل المائة: بضعة وثلاثون من المهاجرين والبقية من الأنصار ومن النساء أم سليم وأم حارثة.

قوله: «وأبو سفيان بن الحارث» أي ابن عبد المطلب بن هاشم

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٧٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٥٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٣٣٧).

وهو ابن عم النبي ﷺ، وكان إسلامه قبل فتح مكة لأنه خرج إلى النبي ﷺ فلقيه في الطريق وهو سائر إلى فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه، وخرج إلى غزوة حنين فكان فيمن ثبت.

وعند ابن أبي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة قال: «لما فر الناس يوم حنين جعل النبي ﷺ يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، فلم يبق معه إلا أربعة نفر، ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من الجانب الأيسر». قال: وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل. وروى الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد حسن قال: {لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولين، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل} وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين. وروى أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: {كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس؛ وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فكنا على أقدامنا، ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة} وهذا لا يخالف حديث ابن عمر فإنه نفى أن يكونوا مائة، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين. وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم أنه ثبت معه اثنا عشر رجلاً فكأنه أخذه مما ذكره ابن إسحاق في حديثه أنه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلي وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة وأسامة بن زيد وأخوه من أمه أيمن ابن أم أيمن، ومن المهاجرين أبو بكر وعمر، فهؤلاء تسعة، وقد تقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم فهؤلاء عشرة، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله: نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا وعاشرنا وافى الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع ولعل هذا هو الثبت، ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم، وممن ذكر الزبير

بن بكار وغيره أنه ثبت يوم حنين أيضاً جعفر بن أبي سفيان بن الحارث وقثم بن العباس وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وشيبة بن عثمان الحجبي، فقد ثبت عنه أنه لما رأى الناس قد انهزموا استدبر النبي ﷺ ليقتله، فأقبل عليه فضربه في صدره وقال له: قاتل الكفار، فقاتلهم حتى انهزموا. قال الطبري: الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود، وأما الاستطراد للكثرة فهو كالتحيز إلى فئة.

قوله: «آخذ برأس بغلته «في رواية زهير» فأقبلوا «أي: المشركون» هنالك إلى النبي ﷺ وهو على بغلته البيضاء وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل واستنصر». قال العلماء: في ركوبه ﷺ البغلة يومئذ دلالة على النهاية في الشجاعة والثبات.

وقوله: «فنزل «أي: عن البغلة» فاستنصر أي: قال: اللهم أنزل نصرك. وقع مصرحاً به في رواية مسلم من طريق زكريا عن أبي إسحاق. وفي حديث العباس عند مسلم {شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث فلم نفارقه} الحديث، وفيه: {ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركابه}، ويمكن الجمع بأن أبا سفيان كان آخذاً أولاً بزمامها فلما ركضها النبي ﷺ إلى جهة المشركين خشي العباس فأخذ بلجام البغلة يكفها، وأخذ أبو سفيان بالركاب وترك اللجام للعباس إجلالاً له لأنه كان عمه.

قوله: «بغلته» هذه البغلة هي البيضاء، وعند مسلم من حديث العباس {وكان على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي} وله من حديث سلمة {وكان على بغلته الشهباء} ووقع عند ابن سعد وتبعه جماعة ممن صنف السيرة أنه ﷺ كان

على بغلته دلدل، وفيه نظر لأن دلدل أهداها له المقوقس؛ وقد ذكر القطب الحلبي أنه استشكل عند الدمياطي ما ذكره ابن سعد فقال له: كنت تبعته فذكرت ذلك في السيرة وكنت حينئذ سيرياً محضاً، وكان ينبغي لنا أن نذكر الخلاف. قال القطب الحلبي: يحتمل أن يكون يومئذ ركب كلا من البغلتين إن ثبت أنها كانت صحبته، وإلا فما في الصحيح أصح. ودل قول الدمياطي أنه كان يعتقد الرجوع عن كثير مما وافق فيه أهل السير وخالف الأحاديث الصحيحة، وأن ذلك كان منه قبل أن يتضلع من الأحاديث الصحيحة ولخروج نسخ من كتابه وانتشاره لم يتمكن من تغييره. وقد أغرب النووي فقال: وقع عند مسلم «على بغلته البيضاء» وفي أخرى «الشهباء» وهي واحدة ولا نعرف له بغلة غيرها. وتعقب بدلدل فقد ذكرها غير واحد، لكن قيل: إن الاسمين لواحدة.

قوله: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» قال ابن التين: كان بعض أهل العلم يقوله بفتح الباء من قوله: «لا كذب» ليخرجه عن الوزن، وقد أجيب عن مقالته ﷺ هذا الرجز بأجوبة أحدها: أنه نظم غيره، وأنه كان فيه: أنت النبي لا كذب أنت ابن عبد المطلب، فذكره بلفظ «أنا» في الموضعين. ثانيها: أن هذا رجز وليس من أقسام الشعر، وهذا مردود. ثالثها أنه لا يكون شعراً حتى يتم قطعة، وهذه كلمات يسيرة ولا تسمى شعراً. رابعها أنه خرج موزوناً ولم يقصد به الشعر، وهذا أعدل الأجوبة، وقد تقدم هذا المعنى في غير هذا المكان، ويأتي تاماً في كتاب الأدب. وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب، كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم: {أيكم ابن عبد المطلب} وقيل: لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو

إلى الله ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد اشتهر ذلك بينهم، وذكره سيف بن ذي يزن قديماً لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنة وأراد النبي ﷺ تنبيه أصحابه بأنه لا بد من ظهوره وأن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ثابت غير منهزم.

وأما قوله: «لا كذب «ففيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبي، والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله به من النصر حق، فلا يجوز علي الفرار. وقيل: معنى قوله: «لا كذب» أي أنا النبي حقاً لا كذب في ذلك.

تنبيهان: أحدهما ساق البخاري الحديث عالياً عن أبي الوليد عن شعبة، لكنه مختصر جداً. ثم ساقه من رواية غندر عن شعبة مطولاً بنزول درجة. وقد أخرجه الإسماعيلي عن أبي خليفة الفضل بن الحباب عن أبي الوليد مطولاً، فكأنه لما حدث به البخاري حدثه به مختصراً.

الثاني: اتفقت الطرق التي أخرجها البخاري لهذا الحديث من سياق هذا الحديث إلى قوله: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» إلا رواية زهير بن معاوية فزاد في آخرها «ثم صف أصحابه» وزاد مسلم في حديث البراء من رواية زكريا عن أبي إسحاق قال البراء: {كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذيه} يعني النبي ﷺ. ولمسلم من حديث العباس {أن النبي ﷺ حينئذ صار يركض بغلته إلى جهة الكفار} وزاد فقال: «أي عباس ناد أصحاب الشجرة، وكان العباس صيتاً، قال: فناديت بأعلى صوتي أين أصحاب الشجرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول إلى قتالهم فقال: هذا حين حمي الوطيس. ثم

أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب الكعبة، قال: فما زلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبرا} ولابن إسحاق نحوه وزاد: {فجعل الرجل يعطف بغيره فلا يقدر، فيقذف درعه ثم يأخذ بسيفه ودرقته ثم يؤم الصوت})[1].

وهنا أضع رواية الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك التي ذكر فيها ثبات سيدنا أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يوم حنين: (حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه، قال: {لما استقبلنا وادي حنين، انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحداراً- قال: وفي عماية الصبح، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، قد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا- فو الله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد؛ وانهزم الناس أجمعوا، فانشمروا لا يلوي أحد على أحد؛ وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أين أيها الناس! هلم إلي! أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله! قال: فلا شيء، احتملت الإبل بعضها بعضاً، فانطلق الناس؛ إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وممن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر، عمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد- وهو أيمن بن أم أيمن- وأسامة بن زيد بن حارثة. قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل، أمام الناس وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه؛ فاتبعوه. ولما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٠-٣١).

رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر؛ والأزلام معه في منانته؛ وصرخ كلدة بن الحنبل- وهو مع أخيه صفوان بن أمية بن خلف وكان أخاه لأمه، وصفوان يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ- فقال: ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك! فو الله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن! وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدار: قلت: اليوم أدرك ثأري- وكان أبوه قتل يوم أحد- اليوم أقتل محمداً. قال: فأردت رسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنه قد منع مني})[1].

وهنا تنجلي الحقيقة ليخيب فأل هؤلاء والحمد لله رب العالمين.

شبهة أمر الفاروق رضي الله عنه بقتل بعض أهل الشورى:

الكلام مرة أخرى في شبهة هل أمر الفاروق رضي الله عنه بقتل بعض أهل الشورى؟!

يحسن بنا- في مطلع هذا المقال - التذكير بأمر الشورى الذي يعد من الفضائل الباهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

وابتداء هذا الأمر، أنه لما طعن أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختار الفاروق رضي الله عنه ستة من الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ من أجل أن يختاروا واحداً منهم خليفة للمسلمين.

وهو ما أخرجه البخاري في صحيحه، من طريق عمرو بن ميمون قال: {فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: فسمى علياً، وعثمان، والزبير،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (٢/ ١٦٨).

وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء}(١).

وفي رواية أخرى للبخاري، من طريق عمرو بن ميمون قال: قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: {إني لا أعلم أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة، فاسمعوا له وأطيعوا. فسمى عثمان، وعلياً، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص}(٢).

وعن سبب اختيار عمر رضي الله عنه لأصحاب الشورى - رضوان الله عليهم يقول الطبري رحمه الله: (لم يكن في أهل الإسلام أحد له من المنزلة في الدين، والهجرة، والسابقة، والعقل، والعلم، والمعرفة بالسياسة، ما للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم. فإن قيل: كان بعض هؤلاء الستة أفضل من بعض، وكان رأي عمر أن الأحق بالخلافة أرضاهم ديناً، وأنه لا تصح ولاية المفضول مع وجود الفاضل. فالجواب: أنه لو صرح بالأفضل منهم لكان قد نص على استخلافه، وهو قصد أن لا يتقلد العهدة في ذلك، فجعلها في ستة متقاربين في الفضل، لأنه يتحقق أنهم لا يجتمعون على تولية المفضول ولا يألون المسلمين نصحاً في النظر والشورى، وأن المفضول منهم لا يتقدم على الفاضل، ولا يتكلم في منزلة وغيره أحق بها منه، وعلم رضى الأمة بمن رضي به الستة)(٣).

وبعد أن تبين لنا أمر الشورى من خلال أصح كتاب بعد كتاب الله نعود إلى رواية

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٩٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٩٨).

منكرة ترددها بعض الألسنة والأقلام، وفيما يلي نصها:

(إن عمر بن الخطاب ﷺ أمر بلالاً: إذا اختلف أهل الشورى فاقتل الأقل. يعني إذا اتفق أربعة ضد ثلاثة اقتل الثلاثة. وإذا اتفق خمسة ضد اثنين اقتل الاثنين. وإذا اتفق ستة ضد واحد اقتل الواحد. قال: أقتله يا أمير المؤمنين؟! قال: اقتله، لا أريد خلافاً بين المسلمين!).

قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا الخبر الباطل سنداً ومتناً مخالف لما ثبت في الصحاح عن حقيقة الشورى.

وحقيقة الأمر في هذه الجزئية من قصة الشورى ما أخرجه الإمام أبو بكر الخلال بإسناد صحيح، من طريق عمرو بن ميمون قال: (قال عمر لما حضر: ادعوا لي علياً، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعداً، قال: فلم يكن أحد منهم إلا علي وعثمان.

فقال: يا علي، لعل هؤلاء يعرفون لك قرابتك، وما آتاك الله من العلم والفقه، فاتق الله، وإن وليت هذا الأمر فلا ترفعن بني فلان على رقاب الناس.

وقال: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسنك وشرفك، فإن أنت وليت هذا الأمر فاتق الله ولا ترفعن بني فلان على رقاب الناس.

ثم قال: ادعوا لي صهيباً، فقال: صل بالناس ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء القوم، وليخلوا هؤلاء الرهط، فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأس من خالفهم)[1].

أي أن عمر ﷺ أمر بقتل من يخالف أصحاب الشورى ويرفض من يرشحونه خليفة للمسلمين، ويدعو إلى نفسه، وذلك عملاً بقوله ﷺ: {من أتاكم وأمركم

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ١٩١).

جميعاً على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه}[(١)].

وفي نهاية هذا المقال أختم بكلام جميل لابن كثير رحمه الله تحدث فيه عن الأخبار المنكرة التي هدفها الإساءة إلى صحابة رسول الله ﷺ، حيث قال: (هي مردودة على قائليها وناقليها، والله أعلم. والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من المخالفين، وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، ومبادها وقويمها، والله الموفق للصواب)[(٢)].

شبهة إنكار عمر موت الرسول ﷺ:

ومنها أن عمر أنكر موت الرسول ﷺ وحلف أنه لم يمت، حتى قرأ أبو بكر قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر:٣٠].

والجواب أن ذلك من شدة دهشته بموت الرسول وكمال محبته له ﷺ حتى لم يبق له في ذلك الحين شعور بشيء، وكثيراً ما يحصل الذهول بسبب تفاقم المصائب وتراكم الشدائد، لأن النسيان والذهول من اللوازم البشرية، ألا ترى أن يوشع - مع كونه نبياً معصوماً - نسي أن يخبر موسى بفقد الحوت مع المكتل، بل إن موسى عليه السلام - مع كونه من أولي العزم - قد نسي معاهدته مع الخضر على عدم السؤال ثلاث مرات، وقال تعالى في حق آدم: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥].

وقد روى أبو جعفر الطوسي عن عبد الله الحلبي أن الإمام أبا عبد الله عليه السلام كان يسهو في صلاته ويقول في سجدتي السهو: «بسم الله وبالله، وصلى الله على محمد وآله وسلم»[(٣)] فأي ذنب لابن الخطاب بدهشته من هذا الأمر العظيم، وأي طعن عليه بسبب ما حصل له من فقد محبوبه ﷺ؟

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٥٢).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٩٦).

شبهة درء عمر حد الزنا عن المغيرة بن شعبة:

ومنها أن عمر درأ حد الزنا عن المغيرة بن شعبة مع ثبوته بالبينة وهي أربعة رجال، ولقن الرابع كلمة تدرأ الحد فقد قال له لما جاء للشهادة: أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين.

والجواب أن درء الحد إنما يكون بعد ثبوته، ولم يثبت لعدم شهادة الرابع كما ينبغي، وتلقينه الشاهد كذب وبهتان من أهل العدوان، إذ قد يثبت في التواريخ المعتبرة كتاريخ البخاري وابن الأثير وغيرهما أنه لما جاء الرابع وهو زياد بن أبيه قالوا له: (أتشهد كأصحابك؟ قال: أعلم هذا القدر، إني رأيت مجلساً ونفساً حثيثاً وانتهازاً ورأيته مستبطنها – أي: مخفيها تحت بطنه – ورجلين كأنهما أذنا حمار، فقال عمر: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا). وقد وقع ذلك بمحضر الأمير وغيره من الصحابة.

فأين التلقين يا أرباب الزور المفترين؟ ولفظ (أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين) إنما قاله المغيرة في ذلك الحين كما هو حال الخصم مع الشهود، ولا سيما إذا كان يترتب عليه حكم موجب لهلاكه. على أن عمر لو درأ الحد لكان فعله لفعل المعصوم، فقد روى ابن بابويه في (الفقيه) أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأقر بالسرقة إقراراً موجباً للقطع، فلم يقطع يده[1]، والله تعالى الهادي.

شبهة أن عمر لم يعط أهل البيت سهمهم من الخمس:

ومنها: أن عمر لم يعط أهل البيت سهمهم من الخمس الثابت بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الأنفال:٤١] فقد خالف حكم الله تعالى.

---

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه (٤/ ٦٢).

والجواب: أن فعل عمر موافق لفعل النبي ﷺ. وتحقيقه أن أبا بكر وعمر كانا يخرجان سهم ذوي القربى من الخمس ويعطيانه لفقرائهم ومساكينهم كما كان ذلك في زمن النبي ﷺ وعليه الحنفية وجمع كثير من الإمامية، وذهب الشافعية إلى أن لهم خمس الخمس يستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ويقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، ويكون بين بني هاشم والمطلب دون غيرهم، والأمير أيضاً عمل كعمل عمر، فقد روى الطحاوي والدارقطني عن محمد بن إسحق أنه قال: «سألت أبا جعفر محمد بن الحسين: إن أمير المؤمنين على بن أبي طالب لما ولى أمر الناس كيف كان يصنع في سهم ذوى القربى؟ فقال: سلك به والله مسلك أبي بكر وعمر»(١). إلى غير ذلك من رواياتهم، فإذا كان فعل عمر موافقاً لفعل النبي ﷺ والأمير يكون محلاً للطعن؟ ومن يضلل الله فلا هادي له، نسأله تعالى السلامة من الغباوة والوله.

شبهة صلاة التراويح:

ومنها أن عمر أحدث في الدين ما لم يكن منه كصلاة التراويح وإقامتها بالجماعة، فإنها بدعة كما اعترف هو بذلك، وكل بدعة ضلالة. وقد روي عن النبي ﷺ: {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد عليه}(٢).

والجواب أنه قد ثبت عند أهل السنة بأحاديث مشهورة متواترة أنه ﷺ صلى التراويح بالجماعة مع الصحابة ثلاث ليال من رمضان جماعة ولم يخرج في الليلة الرابعة وقال: {إني خشيت أن تفرض عليكم}(٣) فلما زال هذا المحذور بعد وفاته ﷺ أحيا عمر هذه السنة السنية.

---

(١) شرح معاني الآثار (٣/ ٣٤٣)، سنن البيهقي الكبرى (٦/ ٣٤٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٣) رواه البخاري برقم (٩٢٤)، ومسلم برقم (٧٦١).

وقد ثبت في أصول الفريقين أن (الحكم إذا كان معللاً بعلة نص عليها الشارع يرتفع ذلك الحكم إذا زالت العلة) وأما اعتراف عمر بكونها بدعة حيث قال: «نعمت البدعة هي» فمراده أن المواظبة عليها بالجماعة شيء حديث لم يكن في عهد النبي ﷺ، وما ثبت في زمن الخلفاء الراشدين والأئمة المطهرين مما لم يكن في زمنه ﷺ لا يسمى بدعة، ولو سميت بدعة فهي حسنة، والحديث مخصوص بإحداث ما لم يكن له أصل في الشرع.

أما أن لا يعتقد أهل السنة بدعية ما أحدثه عمر فلقوله ﷺ: {ومن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليك بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ}[1] والله سبحانه الهادي.

مقال آخر في صلاة التراويح:

لقد كثر القول حول قضية (صلاة التراويح)، وقد أكثر البعض من القول بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو شيخ المبتدعة واستندوا على قول سيدنا عمر: «نعم البدعة حسنت»، وذلك عندما وحّد الناس على إمام واحد، والحديث رواه البخاري وإليك نصه:

عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: {خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعم البدعة هذه

(١) سبق تخريجه.

والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله}[1].

ولنا مع هذا الأمر وقفات لا بد منها:

أولاً: ماهو تعريف البدعة؟؟

الجواب: هي كل عمل ديني تعبدي تتقرب به إلى الله لم يكن على هدي النبي ﷺ وسنته، أي: كل عمل تفعله وتظن أنه يقربك إلى الله ولم يفعله النبي ولا أصحابه الكرام.

ثانياً: قبل أن نحكم على فعل عمر رضي الله عنه وأرضاه من التعريف السابق لنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً: هل كانت صلاة التراويح على عهد النبي ﷺ؟

والجواب: نعم فهذا أمر وصل إلينا بالتواتر، وهو أنه عليه الصلاة والسلام قد صلى صلاة التراويح في المسجد، فلما كان اليوم التالي، صلى خلفه بعض الصحابة، فلما كان اليوم الثالث صلى خلفه صحابة أكثر من قبل، فلما كان اليوم الرابع ازدحم المسجد، ولم يعد يتسع للمصلين، فخشي النبي أن يظن الناس أن هذه الصلاة فرض، فأرشدهم إلى أن يصلوا في بيوتهم، وما دام الأمر كان على عهد النبي ﷺ وقد فعله النبي، فلا يعد بدعة.

ثالثاً: لماذا جمع سيدنا عمر رضي الله عنه الناس على إمام واحد وقارئ واحد؟

والجواب: لَمَّا خشي النبي أن يظن الناس بأن صلاة التراويح فرضاً، لم يعد يصليها في المسجد، وأرشدهم إلى أن يصلوا في بيوتهم، خشية هذا الظن، فلما استقر الأمر، واستيقن الناس أن هذه الصلاة سنة لا فرض، وزال الخوف، وعندما رأى سيدنا عمر

---

(١) البخاري برقم (١٨٧١).

مجموعات من الناس يصلون كل مجموعة خلف إمام وبدأ كل قارئ يشوش على الآخر، هنا جمعهم سيدنا عمر على قارئ واحد، حتى لا يشوشوا على بعضهم البعض.

رابعاً: لماذا تفرَّد سيدنا عمر بجمع الناس على قارئ واحد، ولم يسبقه إلى ذلك أحد؟ مع أنه الخليفة الثاني، فلماذا لم يفعل هذا الأمر سيدنا أبو بكر ﷺ؟!

والجواب: أولاً سبب عدم فعل النبي ﷺ فقد بيناه فيما سبق، ولم يبق قبل عمر إلا أبو بكر ﷺ فأقول: إن أبا بكر لم تطل خلافته فقد عاش بعد النبي ﷺ سنتين وبضعة أشهر، وكانت خلافته أول خلافة في الإسلام، وكلنا يعلم ما جرى فيها من إرهاصات وحروب ردة وقتال الروم والفرس، فقد كان ﷺ مشغولاً بمقاتلة المرتدين، وكانوا معظم العرب، كما كان مشغولاً بقتال الروم والفرس وهو أول من فتح جبهات معهما، وبدأ بالفتح الإسلامي في الشام والعراق، وهو كما ذكرت قد حضر رمضانين فقط بعد النبي ﷺ، فلم يكن متفرغاً لهذا الأمر، وهو أمر مندوب وليس فرضاً، بل كان يركز على إحياء الفرائض والمحافظة عليها، كما شاهدنا كيف قاتل مانعي الزكاة، لأن الزكاة فرض.

إذاً فعهد أبي بكر يستوجب التركيز على الفرائض، والمحافظة على كل ما أتى النبي ﷺ وقد فعل ذلك بكل ما أوتي من قوة وعزم. فلم يكن يخطر بباله هذا الأمر لقصر المدة، ولظروفها المليئة بالحروب، والحفاظ على دين الإسلام في شبه الجزيرة، ولأن غاية الأمر أنه مندوب وليس فرضاً.

خامساً: لماذا قال سيدنا عمر: (نعم البدعة هذه)؟

الجواب: أنه قالها من باب التعريض، والتنبيه، إلى من تسول له نفسه، ويظن سوءاً أن فعل عمر هذا بدعة، فأراد بقوله: إن كان هذا الأمر بدعة في ظن من يظن ذلك

فنعم البدعة إذن، ومعنى ذلك أن هذا ليس بدعة، وهذا نظير ما قصده الإمام الشافعي في قوله:

إن كان رفضاً حبُّ آل محمدٍ فليشهد الثقلان بأني رافضي

فهو يقصد أنه ليس بالضرورة أن كل من يحب آل بيت النبي هو رافضي، وهذا هو المعنى المطلوب،

سادساً: لو كان سيدنا عمر مبتدعاً، لما تمنى سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه أن يلقى الله بعمله.

قال عبد الله بن عباس ﷺ: {وضع عمر ﷺ على سريره -أي: نعشه بعد موته- فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحبَّ إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك - يقصد النبي ﷺ وأبا بكر ﷺ - وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر}(١).

سابعاً: لو كان هذا الأمر بدعة لماذا سكت الصحابة عنها، ولماذا وافقوه عليها، وهل يرضى أبي بن كعب ﷺ أن يكون إمام بدعة، ومن المعلوم أن الله أمر نبيه أن يقرأ سورة البينة، فقال له النبي: {إن الله أمرني أن أقرأ عليك، لم يكن الذين كفروا، (يعني سورة البينة)، قال: وسمَّاني؟ قال: نعم، فبكى}(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٨٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٨٠٩).

هذا هو الصحابي الجليل أبي بن كعب، أيعقل أن يكون إمام صلاة ابتدعها عمر؟

ثامناً: ربَّ قائلٍ غير منصف يقول: إن عمر ابتدع الصلاة، والصحابة هابوه وجاملوه وخافوا منه فوافقوه على هذه البدعة وحاشاهم ذلك.

للرد نقول لهم:

إن كان الأمر كما تزعمون لماذا بقيت صلاة التراويح على نفس الصورة بعد موته، هل خاف الصحابة منه حتى بعد موته، ومن المعلوم أن هذه الصلاة بقيت ماضية في عهد سيدنا عثمان وسيدنا علي رضي الله عنهما أنقول: إنهم استمروا على البدعة التي ابتدعها عمر؟

أيقول هذا الكلام عاقل؟ حاشا وألف كلا أن يكون سيدنا عثمان وسيدنا علي وباقي أصحاب رسول الله متفقون على إبقاء بدعة ما.

رد آخر على القول: لماذا تقبلون قيام عمر بن الخطاب بابتداع صلاة التراويح؟

الردّ:

عمر رضي الله عنه لم يَبتدِع صلاة التراويح، فإن النبي صلى الله عليه وسلم صلاّها، فصلّى بالناس في رمضان، يومين أو ثلاثة وصلّى بصلاته أُناس من أصحابه إلا أنه عليه الصلاة والسلام تَرَكها خشية أن تُفرض على أمّته.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها {أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى في المسجد ذات ليلة فصلّى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثُر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تُفْرَض عليكم. قال: وذلك في رمضان}(١).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢٢٦)، صحيح مسلم برقم (٧٦١).

وفي رواية للبخاري ومسلم: {أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطفق رجال منهم يقولون: الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، ثم تشهد، فقال: أما بعد: فإنه لم يخفَ علي شأنكم الليلة، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل، فتعجزوا عنها}(١).

وهذا مِنْ رحمته ﷺ بأمته، فهو ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، كما وَصَفَه ربُّه بذلك.

ولم يَتركها الناس، فقد كانوا يُصلّون التراويح والقيام في رمضان، إلا أنهم كانوا يُصلونها أوزاعاً مُتفرّقين.

روى البخاري عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري: {خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي ابن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله}(٢). قال الإمام الزهري في التراويح: «فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١٢٩)، صحيح مسلم برقم (٧٦١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠١٠).

خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنهما »[(١)].

فكل الذي صَنَعه عمر رضي الله عنه أنه جَمَع ما تفرّق، ولم يُشرِّع ابتداء.

فَعُمَر رضي الله عنه لم يكن منه إلا أنه أحيا الأمر الأول، وجَمَع الناس على إمام واحد بدل الفرقة والاختلاف، فهل فِعل عُمر الذي يُعد عند العقلاء مَدْحاً صار عند هؤلاء قَدْحاً؟!

قال ابن عبد البر: (لم يَسُنّ عمر إلا ما رضيه ﷺ، ولم يمنعه من المواظبة عليه إلا خشية أن يُفرض على أمته، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، فلما عَلِمَ عمر ذلك مِنْ رسول الله ﷺ، وعَلِمَ أن الفرائض لا يُزاد فيها ولا يُنقص منها بعد موته ﷺ أقامها للناس وأحياها، وأَمَرَ بها وذلك سنة أربعة عشرة من الهجرة، وذلك شيءٌ ذخره الله له وفضّله به) اهـ.

وقال ابن رجب – في قول عمر رضي الله عنه: نعم البدعة هذه –: (وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع؛ فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه)[(٢)] اهـ.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، صحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٦).

مقال في مشروعية صلاة التراويح عند أهل السنة والجماعة وعند الاثني عشرية..!!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:

صلاة التراويح من السنن المستحبة عند جميع المسلمين إلا أن الاثني عشرية خالفوا في ذلك، وحكموا ببدعيتها رغم ثبوت ذلك عن أئمتهم المعصومين وللتسلسل في ذلك نبدأ أولاً بتعريف معنى البدعة ثم الأدلة على مشروعيتها عند أهل السنة وعند الإثني عشرية.

أولاً: المعنى اللغوي للبدعة:

قال الخليل: (البدع، إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة... البدع: الشيء الذي يكون أوّلاً في كلّ أمر كما قال الله: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩] أي: لست بأوّل مرسل، والبدعة اسم ما ابتدع من الدين وغيره، والبدعة ما استحدث بعد رسول الله من الأهواء والأعمال)[(١)].

وقال ابن فارس: (البدع له أصلان، ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال)[(٢)].

والمقصود في المقام هو المعنى الأول.

وقال الراغب: (الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء، والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستنّ قائلها وفاعلها بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدّمة وأصولها المتقنة).

---

(١) كتاب العين (٢/ ٥٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للبدعة:

وسأكتفي بذكر تعريف الإمام الشاطبى في كتابه العظيم «الاعتصام». قال: (هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية).

مشروعية صلاة التراويح عند أهل السنة:

روى البخاري عن عروة أن عائشة ﵂ أخبرته {أنّ رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم ولكني خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها. فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك..}[1] البخاري باب صلاة التراويح.

ففي هذا دلالة صريحة على أنّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد صلى التراويح جماعة، لكنه خشي المداومة عليها كي لا تُفرض عليهم.

فكون عمر بن الخطاب ﵁ قد أقامها جماعة من جديد لا يعني أنه ابتدع شيئاً جديداً بعد أن لم يكن.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ﵀: (وأما قيام رمضان فإنّ رسول الله سنه لأمته وصلى بهم جماعة عدة ليال، وكانوا على عهده يصلون جماعة وفرادى، لكن لم يداوموا

(١) سبق تخريجه.

على جماعة واحدة لئلا تفرض عليهم، فلما مات النبى ﷺ استقرت الشريعة، فلما كان عمر رضي الله عنه جمعهم على إمام واحد وهو أبي بن كعب الذي جمع الناس عليها بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه هو من الخلفاء الراشدين حيث يقول: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ} يعني الأضراس لأنها أعظم في القوة، وهذا الذي فعله هو سنة لكنه قال: «نعمت البدعة هذه» فإنها بدعة في اللغة لكونهم فعلوا ما لم يكونوا يفعلونه في حياة رسول الله يعني من الاجتماع على مثل هذه وهي سنة من الشريعة)[1].

ويقول أيضاً: (وهذا الاجتماع العام لما لم يكن قد فعل سمّاه بدعة في اللغة، وليس ذلك بدعة شرعية، فإنّ البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما فُعل بغير دليل شرعي كاستحباب ما لم يحبه الله، وإيجاب ما لم يوجبه الله، وتحريم ما لم يحرمه الله، فلا بد مع الفعل من اعتقاد يخالف الشريعة، وإلا فلو عمل الإنسان فعلاً محرّماً يعتقد تحريمه لم يقل: إنه بدعة)[2].

ويقول أيضاً: (وكان النبي قيامه بالليل هو وتره يصلي بالليل في رمضان وغير رمضان إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يصليها طوالاً، فلما كان ذلك يشق على الناس قام بهم أبي بن كعب في زمن عمر بن الخطاب عشرين ركعة يوتر بعدها ويخفف فيها القيام، فكان تضعيف العدد عوضاً عن طول القيام، وكان بعض السلف يقوم أربعين ركعة فيكون قيامها أخف ويوتر بعدها بثلاث، وكان بعضهم يقوم بست وثلاثين ركعة يوتر بعدها وقيامهم المعروف عنهم بعد العشاء الآخرة)[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٣٤).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٣٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٢٠).

وقد روى الحاكم بإسناده عن أبي طلحة بن زياد الأنصاري قال: سمعت النعمان بن بشير على منبر حمص يقول: {ثم قمنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح وكنا نسميها الفلاح وأنتم تسمون السحور}. وعلّق الحاكم على الحديث قائلاً: (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وفيه الدليل الواضح أنّ صلاة التراويح في مساجد المسلمين سنة مسنونة، وقد كان علي بن أبي طالب يحث عمر رضي الله عنهما على إقامة هذه السنة إلى أن أقامها)[1].

مشروعية صلاة التراويح عند الشيعة الإمامية:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «خطب رسول الله ﷺ الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه قد أظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ إذا جاء شهر رمضان زاد في الصلاة وأنا أزيد فزيدوا»[3].

وهذا نص صريح في جواز الزيادة في رمضان بل وهذا الإمام جعفر الصادق نفسه يدعو إلى الزيادة ويمارسها شخصياً.

وعن محمد بن يحيى قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسُئل: «هل يُزاد في شهر

---

(١) مستدرك الحاكم (١/ ٦٠٧) (١٦٠٨).

(٢) الكافي للكليني (٤/ ٦٦)، تهذيب الأحكام للطوسي (٣/ ٥٧).

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي (٣/ ٦٠)، وسائل الشيعة (٥/ ١٧٤).

رمضان في صلاة النوافل؟ فقال: نعم، قد كان رسول الله ﷺ يصلي بعد العتمة في مصلاه فيُكثر، وكان الناس يجتمعون خلفه ليصلّوا بصلاته، فإذا كثروا خلفه تركهم ودخل منزله، فإذا تفرق الناس عاد إلى مصلاه فصلى كما كان يُصلّي، فإذا كثر الناس خلفه تركهم ودخل منزله، وكان يفعل ذلك مراراً»(١).

وفي هذا دلالة صريحة على جواز الزيادة في صلاة النوافل وأنّ النبي ﷺ صلاها جماعة بالمسلمين لكنه لما رأى حرصهم وتجمعهم عليها خشى أن تفرض عليهم.

فلما توفي صلوات الله وسلامه عليه وانقطع الوحي رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ علة المنع من الجماعة انتفت فدعا لصلاة الجماعة ووافقه على ذلك الصحابة، فأين الابتداع هنا وهذا أمر له أصل في دين الإسلام؟!

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يزيد في صلاته في شهر رمضان إذا صلى العتمة صلى بعدها، يقوم الناس خلفه فيدخل ويدعهم ثم يخرج أيضاً فيجيئون ويقومون خلفه فيدخل ويدعهم مراراً، قال: وقال: لا تصل بعد العتمة في غير شهر رمضان»(٢) المصدر السابق

شبهة ابتداعه للطلاق الثلاث في مجلس واحد:

يقول الطاعن: (لماذا تقبلون ابتداعه للطلاق الثلاث في مجلس واحد؟)

الردّ:

لم يَبْتَدِع عُمر رضي الله عنه ذلك، وما كان عمر رضي الله عنه ليَبْتَدِع، بل لا يُعرف في الصحابة مُبتدِعاً.

---

(١) تهذيب الأحكام (٣/ ٦١).

(٢) المصدر السابق، الاستبصار (١/ ٤٦١).

وما فعله عمر رضي الله عنه يُعتبر من السياسة الشرعية لا من التشريع، وبينهما فَرْق.

ما هو الفرق بين التشريع وبين السياسة الشرعية؟

التشريع: هو سنّ أمر لم يكن في شريعة الإسلام، كأن يأتي أحد فَيَسُنّ ويُشرِّع للناس الحج لغير مكة، كالحج إلى كربلاء أو إلى النجف!

أو فَرْض خُمس في أموال الناس، ونحو ذلك!

والسياسة الشرعية: أن يأخذ الناس بالحزم في أمر مشروع.

وهذا باب واسع عند أهل العلم، بل عند العقلاء.

فللحاكم أن يأخذ الناس بالسياسة الشرعية، ويُلزِمهم بأمر رآهم توسّعوا فيه، ولهذا أصل في السنة النبوية، فإن {النبي صلى الله عليه وسلم نَهَى عن الوصال في الصيام، فقال له رجال من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصَلَ بهم يوماً، ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر لزدتكم، كالمنكل بهم حين أبوا}[(١)] رواه البخاري ومسلم.

ومثل ذلك ما يُفرض على الناس من عقوبات إذا تساهلوا في أمر كان لهم فيه سَعة.

بل للحاكم العفو عن الحدود في سِنيّ المجاعات، وهذا ما عمِل به عُمر، وهؤلاء يعيبون عُمر رضي الله عنه بذلك!

عابوا عُمر بأنه تَرَك إقامة الحدود عام المجاعة!

وتلك شَكَاة ظاهر عنك عارها أبا حفص!

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٢٩٩)، ومسلم برقم (١١٠٣).

فإن الحدود تُدرأ وتُدفع بالشُّبُهات، والمجاعة شُبهة أن الجائع ما دَفَعه على السرقة إلا الجوع.

وهذا موافق لِهَدْيِه عليه الصلاة والسلام، كما أن هذا له أصل في الشريعة، فقد فعله رسول الله ﷺ مع ماعز رضي الله عنه وقد اعترف ماعز بما اقترف.

فكان النبي ﷺ يقول له: {لعلك قبلت، أو غمزت، أو نظرت}(١) رواه البخاري.

فكأن النبي ﷺ يُلقنه، وهو مع ذلك يُردّه.

وكان عُمر رضي الله عنه يقول: «لأن أُعَطِّل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أُقيمها بالشبهات»(٢).

ولم يَنْفَرِد عمر رضي الله عنه بهذا، فقد جاء هذا عن معاذ وعبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر أنهم قالوا: «إذا اشتبه عليك الحدّ فادرأه»(٣). رواه ابن أبي شيبة.

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإذا وجدتم للمسلم مَخْرَجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام إذا أخطأ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»(٤). رواه ابن أبي شيبة.

ومن باب السياسة الشرعية إلزام الناس بالطلاق الثلاث، أي بإيقاعها.

وهذا ليس تشريعاً، فإن التشريع لو أن أحداً قال: يُزاد طلقة رابعة – مثلاً – فإن

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٨٢٤)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٤٩٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٤٩٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٥٠٢).

هذا هو التشريع.

أما إلزام الناس بأمر مشروع فهذا ليس من باب التشريع، وإنما هو من باب السياسة الشرعية، والناس إذا رأوا أنه ضُيِّق عليهم في أمر كان لهم فيه سَعة كان أدعى للزّجر.

وهذا الذي ذَهَب إليه عمر ﵁.

قال ابن عباس: {كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم}(١). رواه مسلم.

وهذا قد وافقه عليه الصحابة وهم مُتوافرون.

كما أن عمر ﵁ لم يزعم نسخ العمل بالثلاث أن تكون واحدة، وإنما أخذ بذلك.

وهذا كالذي يأخذ بأمر واحد من كفارة اليمين، أو يَصرف الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية.

فالذي يُكفِّر عن يمينه بالإطعام، ويلتزم هذا لا يُعتبَر مُشرِّعاً، وإنما أخذ ببعض ما شُرِع، وتركه لبعض ما فيه اختيار.

وكذلك الذي يصرف الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية [أهل الزكاة] لا يُعتبر مُعطّلاً لما شرعه الله، وإنما أخذ ببعض ما له فيه خيار.

وكذلك القول بالنسبة للطلاق الثلاث، وما اختاره عُمر ﵁ فيها.

---

(١) سبق تخريجه.

وقد أذِن لنساء بني إسرائيل الخروج إلى أماكن العبادة، ثم مُنِعن لما توسّعن في الزينة والطِّيب.

قالت عائشة رضي الله عنها: {لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل. قال يحيى بن سعيد: فقلت لعمرة: أنساء بني إسرائيل منعهن المسجد؟ قالت: نعم}[١]. رواه البخاري ومسلم.

(وإنما مُنعت نساء بني إسرائيل من المساجد لما أحدثن وتوسعن في الأمر من الزينة والطيب وحسن الثياب)[٢]. ذكره النووي في شرح مسلم.

قال ابن حجر في موضوع آخر مشابه: (وفائدة نهيهن – أي النساء – عن الأمر المباح خشية أن يَسْتَرْسِلْن فيه فيُفضي بهن إلى الأمر المحرَّم لضعف صبرهن، فيستفاد منه جواز النهي عن المباح عند خشية إفضائه إلى ما يحرم)[٣] اهـ.

وقد غضب النبي ﷺ عندما تلاعب الناس بالطلاق، فقد أُخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضباناً، ثم قال: {أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟ حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله؟}[٤] رواه النسائي.

ثم إن اعتبار الثلاث واحدة له أصل في السنة، ففي قصة الملاعنة {أن الرجل طلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب: فكانت تلك سنة المتلاعنين}[٥]. رواه البخاري.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٨٦٩)، صحيح مسلم برقم (٤٤٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١٦٤).

(٣) فتح الباري (٣/ ١٦٨).

(٤) سنن النسائي برقم (٣٤٠١).

(٥) صحيح البخاري برقم (٥٢٥٩)، ورواه مسلم برقم (١٤٩٢).

شبهة إدخال عمر الصلاة خير من النوم في الأذان:

شبهة القول: لماذا تقبلون بدعته التي أدخلها على الأذان: الصلاة خير من النوم. من الذي أعطاه الحق ليجتهد مقابل النص النبوي والإلهي؟

الـردّ:

هذا يدل على الجهل أو الكذب الرخيص!

فإن قول: «الصلاة خير من النوم» ليست من مُختَرعات عُمر كما زَعَم! بل هي من السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

ففي حديث أبي محذورة رضي الله عنه قال: {قلت: يا رسول الله علمني سنة الأذان. قال: فمسح مقدم رأسي، وقال: تقول: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر - ترفع بها صوتك - ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن محمداً رسول الله - تخفض بها صوتك - ثم ترفع صوتك بالشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن محمداً رسول الله. حي على الصلاة.. حي على الصلاة، حي على الفلاح.. حي على الفلاح، فإن كان صلاة الصبح قلتَ: الصلاة خير من النوم.. الصلاة خير من النوم، الله أكبر.. الله أكبر. لا إله إلا الله}(1). رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي.

قال محذورة رضي الله عنه: «كنت أؤذن للنبي ﷺ فكنت أقول في أذان الفجر الأول: حي على الصلاة.. حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم.. الصلاة خير من النوم، الله أكبر.. الله أكبر لا إله إلا الله»(2).

---

(١) مسند أحمد برقم (١٥٤١٦)، سنن أبي داود برقم (٥٠٠)، سنن النسائي برقم (٦٣٣).

(٢) رواه النسائي برقم (٦٤٧).

فهذا يدل على أن قول المؤذن لصلاة الفجر: «الصلاة خير من النوم» ليس مما ابتدعه عمر رضي الله عنه.

وأُضِيف هنا:

أن علي بن أبي طالب كان ممن يُشير على عُمر بمثل ذلك.

روى عبد الرزاق عن عكرمة «أن عمر بن الخطاب شَاوَرَ الناس في جلد الخمر، وقال: إن الناس قد شربوها واجترؤوا عليها. فقال له عليّ: إن السكران إذا سكر هذى، وإذا هذى افترى فاجعله حَدّ الفرية. فجعله عمر حد الفرية ثمانين»(١).

وروى الحاكم عن وبرة الكلبي قال: «أرسلني خالد بن الوليد إلى عمر رضي الله عنه، فأتيته وهو في المسجد معه عثمان بن عفان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير رضي الله عنهم متكئ معه في المسجد، فقلت: إن خالد بن الوليد أرسلني إليك وهو يقرأ عليك السلام، ويقول: إن الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة. فقال عمر: هم هؤلاء عندك فَسَلْهُم. فقال عليّ رضي الله عنه: نراه إذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعَلَى المفتري ثمانون. فقال عمر: أبلغ صاحبك ما قال. فَجَلَدَ خالد ثمانين، وجَلَدَ عُمر ثمانين»(٢).

فهذا رأي علي بن أبي طالب، وهذه مشورته التي أخذ بها عُمر وأخذ بها الخلفاء من بعدِه، وعليها العَمَل إلى يومنا هذا.

ولم يقتصر الأمر على المشورة فحسب بل كان علي بن أبي طالب يَفعل مثل ذلك من غير نكير، لأن باب السياسة الشرعية واسع، وليس هو من باب البِدع.

---

(١) مصنف عبد الرزاق برقم (١٣٥٤٢).

(٢) مستدرك الحاكم (٤/ ٤١٧) (٨١٣١).

روى البخاري ومسلم من طريق عمير بن سعيد النخعي قال: {سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما كنت لأقيم حَدّاً على أحد فيموت فأجِد في نفسي إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وَدَيتُه، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَسُنَّه}[1] يعني: حدّ الخمر.

فَلَم نَقُل نحن ولا الإمامية: إن علياً يُشرِّع من دون الله أو كان مبتدعاً!

بل نرى هذا من باب السياسة الشرعية التي فيها مُتّسَع للأمة.

وأن الناس إذا توسّعوا في أمر كان لهم فيه سَعة، أنه يُضيّق عليهم من باب السياسة الشرعية، وأخذ الناس بالحَزم.

شبهة عدم شجاعة عمر:

قال الطاعن: (تزعمون أن الصحابة كانوا معروفين بالشجاعة والكرم والعبادة والعلم... فنسأل: كم كافراً قتل عمر بن الخطاب في معارك بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين؟).

الردّ:

لسنا بحاجة إلى معرفة الأعداد، لأننا لو أردنا معرفة ذلك بالنسبة لِكبار الصحابة فلن نتمكّن من معرفة ذلك بِدِقّة، ليس ذلك في حق كبار الصحابة، بل في حق سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، لا يُعلَم كم قَتَل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على وجه التحديد والدقّة.

وذلك راجع إلى أمور، منها:

أولاً: أن دواعي الإخلاص تمنع من التحدّث بمثل هذا.

ثانياً: أن الحروب تدور رحاها حتى يذهل الابن عن أبيه، والأب عن ابنه، فضلاً عن أن يعدّ كم قَتَل.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٧٨)، صحيح مسلم برقم (١٧٠٧).

ثالثاً: أن هذا ليس مما يُتفاخَر به، أي: كثرة من قَتَل، ولم يكن هذا من شأن القوم ولا من دأبهم.

فإننا لو سألنا على وجه التحديد والدِّقّة: كم قَتَل علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ ما استطاعوا الإجابة بِدِقّة.

وقد يُعرف ذلك في حق آحادٍ منهم، كخالد بن الوليد، وذلك ليس على وجه الدقّة، وإنما يكون على التقريب والظنّ.

ثم يُقال لهذا الطاعن: لماذا خصصت عُمر رضي الله عنه، وهو المشهود له بالشجاعة في الجاهلية والإسلام؟

فالجواب: أن عمر رضي الله عنه كما تقدّم هو من أطفأ نيران المجوس!

من أجل هذا يحقد هؤلاء على عمر رضي الله عنه، وتحاك ضدّه الأساطير وتُلفّق الأكاذيب، وتختلق القصص في حق رجل أحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبشّره بالجنة، وتزوّج ابنته، وهي حفصة بنت عمر رضي الله عنها وأرضاها، وهي أم المؤمنين، ومن لم يَرض بها أُمّاً للمؤمنين، فقد طعن في عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذّب القرآن؟

كيف؟

قال الله عز وجل: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦].

فمن لم يعتقد أن زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمهات للمؤمنين فليس هو من المؤمنين بِنصّ الآية.

وحفصة وعائشة رضي الله عنهن من زوجات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ومات عليه الصلاة والسلام وهو في حجر عائشة رضي الله عنها.

أيُعقل أن يموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو راض عنها ثم لا نرضى عنها، وندّعي اتِّباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحبته؟

أيُعقل أن يرضى رسول الله ﷺ عن زوجاته، ويموت وهو عنهن راضٍ، ولا يأتيه الوحي من السماء يُخبره بخبرهن؟

إن نبينا أفضل من نوح ومن لوط، وقد جاء القرآن بالإخبار عما فعلته امرأة نوح وامرأة لوط، فقال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم:١٠].

بل لقد جاء القرآن وتنزّل على رسول الله ﷺ في قضايا عديدة، وفي إخباره عليه الصلاة والسلام بما قيل من قول.

وهؤلاء يزعمون أن أمهات المؤمنين - خاصة عائشة وحفصة - خانتا رسول الله ﷺ، فأين هو الوحي الذي أخبرهم بهذا؟

وهل تَرَكَ الله رسوله ﷺ يعيش مع من لا يُناسِبن مقام النبوة في حياته وبعد مماته؟

سبحانك هذا بهتان عظيم!

شبهة تسمية عمر بالفاروق:

قال الطاعن: (وسمّوا عمر الفاروق، ولم يسموا عليّاً عليه السلام بذلك، مع أن رسول الله ﷺ قال فيه: هذا فاروق أمتي يفرق بين أهل الحق والباطل. وقال ابن عمر: ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ إلا ببغضهم عليّاً عليه السلام).

فيقال: أوّلا: أما هذان الحديثان فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي ﷺ ولم يرو واحدٌ منهما في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا لواحد منهما إسناد معروف.

ويقال: ثانياً: من احتج في مسألة فرعية بحديث فلا بد أن يسنده، فكيف في مسائل أصول الدين؟ وإلا فمجرد قول القائل: (قال رسول الله ﷺ) ليس حجة باتفاق أهل العلم. ولو كان حجة لكان كل حديث قال فيه واحد من أهل السنة: (قال رسول الله ﷺ) حجة، ونحن نقنع في هذا الباب بأن يُرْوى الحديثُ بإسناد أهله معروفون بالصدق من أي طائفة كانوا.

لكن إذا لم يكن الحديث له إسناد، فهذا الناقل له، وإن كان لم يكذبه بل نقله من كتاب غيره، فذلك الناقل لم يعرف عمّن نقله. ومن المعروف كثرة الكذب في هذا الباب وغيره، فكيف يجوز لأحد أن يشهد على رسول الله ﷺ بما لم يعرف إسناده؟

ويقال: ثالثاً: من المعلوم لكل من له خبرة أن أهل الحديث أعظم الناس بحثاً عن أقوال النبي ﷺ، وطلباً لعلمها، وأرغب الناس في اتّباعها، وأبعد الناس عن اتّباع هوىً يخالفها، فلو ثبت عندهم أن النبي ﷺ قال لعليّ هذا، لم يكن أحد من الناس أَوْلى منهم باتّباع قوله، فإنهم يتّبعون قوله إيماناً به، ومحبة لمتابعته، ولا لغرض لهم في الشخص الممدوح.

فلو ثبت عندهم أن النبي ﷺ- قال لعليّ: هذا فاروق أمتي، لقبلوا ذلك، ونقلوه، كما نقلوا قوله لأبي عبيدة: {هذا أمين هذه الأمة}[1] وقوله للزبير: {إن لكل نبي حواريّ وحواريّ الزبير}[2] وكما قبلوا ونقلوا قوله لعليّ: {لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله}[3] وحديث الكساء لما قال لعليّ وفاطمة وحسن وحسين: {اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٨٠)، ومسلم برقم (٢٤١٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

تطهيراً}[1] وأمثال ذلك.

ويقال: رابعاً: كلٌّ من الحديثين يُعلم بالدليل أنه كذب، لا يجوز نسبته إلى النبي ﷺ. فإنه يقال: ما المعنى بكون عليّ أو غيره فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل؟ إن عنى بذلك أنه يميّز بين أهل الحق والباطل، فيميّز بين المؤمنين والمنافقين، فهذا أمر لا يقدر عليه أحدٌ من البشر: لا نبي ولا غيره. وقد قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة:١٠١] كان النبي ﷺ لا يعلَم عينَ كل منافق في مدينته وفيما حولها، فكيف يعلم ذلك غيره؟

ومحبة هؤلاء لعليّ باطلة، فإنهم يحبّون ما لم يوجد، وهو الإمام المعصوم المنصوص على إمامته، الذي لا إمام بعد النبي ﷺ إلا هو، الذي كان يعتقد أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ظالمان معتديان أو كافران، فإذا تبيّن لهم يوم القيامة أن علياً لم يكن أفضل من واحد من هؤلاء، وإنما غايته أن يكون قريباً من أحدهم، وأنه كان مقرّاً بإمامتهم وفضلهم، ولم يكن معصوماً لا هو ولا هم ولا كان منصوصاً على إمامته، تبين لهم أنهم لم يكونوا يحبون علياً، بل هم من أعظم الناس بغضاً لعلي رضي الله عنه في الحقيقة، فإنهم يبغضون من اتصف بالصفات التي كانت في عليّ أكمل منها في غيره: من إثبات إمامة الثلاثة وتفضيلهم، فإن عليًّا رضي الله عنه كان يفضّلهم ويقرُّ بإمامتهم. فتبيَّن أنهم مبغضون لعليّ قطعاً.

الكلام في دعاء فاطمة على عمر بما فعله أبو لؤلؤة به كما يزعم المخالف:

قال الطاعن: (ولما وعظت فاطمة أبا بكر في فَدَك، كتب لها كتاباً بها، وردها عليها، فخرجت من عنده، فلقيها عمر بن الخطاب فحرق الكتاب، فدعت عليه بما

(١) سبق تخريجه.

فعله أبو لؤلؤة به وعطّل حدود الله فلم يحدّ المغيرة بن شعبة، وكان يعطي أزواج النبي ﷺ من بيت المال أكثر مما ينبغي، وكان يعطي عائشة وحفصة في كل سنة عشرة آلاف درهم. وغيَّر حكم الله في المنفيين، وكان قليل المعرفة في الأحكام).

والجواب: أن هذا من الكذب الذي لا يستريب فيه عالم، ولم يذكر هذا أحد من أهل العلم بالحديث، ولا يُعرف له إسناد. وأبو بكر لم يكتب فَدَكاً قط لأحد: لا لفاطمة ولا غيرها، ولا دعت فاطمة على عمر.

وما فعله أبو لؤلؤة كرامة في حق عمر رضي الله عنه، وهو أعظم ممّا فعله ابن ملجم بعلي رضي الله عنه، وما فعله قتلة الحسين رضي الله عنه به. فإن أبا لؤلؤة كافرٌ قتل عمر كما يقتل الكافر المؤمن. وهذه الشهادة أعظم من شهادة من يقتله مسلم؛ فإن قتيل الكافر أعظم درجةً من قتيل المسلمين، وقتل أبي لؤلؤة لعمر كان بعد موت فاطمة، بمدة خلافة أبي بكر وعمر إلا ستة أشهر، فمن أين يُعرف أن قتله كان بسبب دعاء حصل في تلك المدة.

والداعي إذا دعا عَلَى مسلم بأن يقتله كافر، كان ذلك دعاء له لا عليه، كما كان النبي ﷺ يدعو لأصحابه بنحو ذلك، كقوله: {يغفر الله لفلان. فيقولون: لو أمتعتنا به}(١) وكان إذا دعا لأحد بذلك استُشهد.

ولو قال قائل أن عليًّا ظلم أهل صفِّين والخوارج حتى دعوا عليه بما فعله ابن ملجم، لم يكن هذا أبعد عن المعقول من هذا. وكذلك لو قال: إن آل سفيان بن حرب دعوا على الحسين بما فُعل به.

وأما القول: (وعطّل - أي عمر - حدود الله فلم يحدّ المغيرة بن شعبة).

فالجواب: أن جماهير العلماء على ما فعله عمر في قصة المغيرة. وأن البيّنة إذا لم

---

(١) رواه البخاري برقم (٤١٩٦)، ومسلم برقم (١٨٠٢).

تكمل حدّ الشهود.ومن قال بالقول الآخر لم ينازع في أن هذه مسألة اجتهاد. وقد تقدّم أن ما يرد على علي بتعطيل إقامة القصاص والحدود على قتلة عثمان أعظم. فإذا كان القادح في عليّ مبطلاً، فالقادح في عمر أولى بالبطلان.

وقوله: (وكان يعطي أزواج النبي ﷺ من بيت المال أكثر مما ينبغي. وكان يعطي عائشة وحفصة من المال في كل سنة عشرة آلاف درهم).

فالجواب: أما حفصة فكان ينقصها من العطاء لكونها ابنته، كما نقص عبد الله بن عمر. وهذا من كمال احتياطه في العدل، وخوفه مقام ربه، ونهيه نفسه عن الهوى. وهو كان يرى التفضيل في العطاء بالفضل، فيعطي أزواج النبي ﷺ أعظم مما يعطي غيرهن من النساء، كما كان يعطي بني هاشم من آل أبي طالب وآل العباس أكثر مما يعطي من عداهم من سائر القبائل. فإذا فضّل شخصاً كان لأجل اتصاله برسول الله ﷺ، أو لسابقته واستحقاقه. وكان يقول: «ليس أحد أحق بهذا المال من أحد، وإنما هو الرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وسابقته، والرجل وحاجته». فما كان يعطي من يُتهم على إعطائه بمحاباة في صداقة أو قرابة، بل كان ينقص ابنه وابنته ونحوهما عن نظرائهم في العطاء، وإنما كان يفضِّل بالأسباب الدينية المحضة، ويفضِّل أهل بيت النبي ﷺ على جميع البيوتات ويقدِّمهم.

وهذه السيرة لم يسرها بعده مثله لا عثمان ولا عليّ ولا غيرهما. فإن قُدح فيه بتفضيل أزواج النبي ﷺ، فليُقدح فيه بتفضيل رجال أهل بيت رسول الله ﷺ، بل وتقديمهم على غيرهم.

شبهات حول عثمان بن عفان رضي الله عنه

قبل الشروع في رد الشبهات حول عثمان رضي الله عنه، نعرج قليلاً إلى ذكر بعض فضائله:

- الفضيلة الأولى: تزوج ببنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج ببنتي نبي غيره، ولذلك سمي بذي النورين.
- الفضيلة الثانية: أنه من السابقين الأولين، وأول المهاجرين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن.
- الفضيلة الثالثة: روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعين حديثاً.
- الفضيلة الرابعة: أمه أروى بنت كريز بن ربيعة كانت عمة النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك نال فضل القربة إلى رسول الله كما نال فضل الصهر والصحبة.
- الفضيلة الخامسة: قال ابن إسحاق: (أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة)[1].
- الفضيلة السادسة: أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله، ولذا قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط}[2].
- الفضيلة السابعة: شهد له رسول الله أنه كان أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام، كما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٥٠).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٣١١)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٩٠)(١٤٣).

جاء عن عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: {لما زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته أم كلثوم قال لها: إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد}[١] وجاء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: {إنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم}[٢].

- الفضيلة الثامنة: أن رسول الله أشاد بحيائه، فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال: {ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة}[٣].

- الفضيلة التاسعة: أن رسول الله بشره بالجنة في أكثر من مرة، من ذلك ما ذكره البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي {أن عثمان حين حوصر أشرف على الناس فقال: أنشدكم بالله! ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم! ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم؟ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من حفر بئر رومة فله الجنة؟ فحفرتها، فصدقوه بما قال}[٤]. وما ذكره الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب أنه قال: {شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحث على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقال عثمان: يا رسول علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقال عثمان: يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء}[٥].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٣٤)، وأورده السيوطي تاريخ الخلفاء (ص١٢٦)، والهندي في كنز العمال (٣٢٨٢٣).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٣٢)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ١٧٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح البخاري.

(٥) جامع الترمذي برقم (٣٧٠٠).

• الفضيلة العاشرة: أن رسول الله ﷺ خصه بالسفارة إلى قريش يوم الحديبية، ولما حضرت بيعة الرضوان جعل ﷺ نفسه نائباً في البيعة عن عثمان، فقد أخرج الترمذي عن أنس أنه قال: {لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال النبي ﷺ: إن عثمان بن عفان في حاجة الله وحاجة رسوله، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم}[١].

• الفضيلة الحادية عشرة: أن رسول الله ﷺ شهد له أنه يُقتل مظلوما، فقد أخرج الترمذي عن ابن عمر أنه قال: {ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال: يُقتل فيها هذا مظلوماً لعثمان}[٢]. وأخرج الترمذي أيضاً والحاكم وصححه وابن ماجه عن مرة بن كعب قال: {سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة يقربها، فمر رجل مقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت إليه بوجهي فقلت: هذا؟ قال (أي رسول الله): نعم}[٣]. وأكد رسول الله أن من سيخرجون عليه ليسوا مسلمين وإن تظاهروا بالإسلام، فقد أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: {يا عثمان! إنه لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني}[٤].

• الفضيلة الثانية عشرة: أنه قام بتوسعة المسجد بعد أن اشترى المنازل المحيطة به وضمها إليه، كما زاد في مسجد المدينة ووسعه وبناه بالحجارة المنقوشة.

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٧٠٢).

(٢) جامع الترمذي برقم (٣٧٠٨).

(٣) جامع الترمذي برقم (٣٧٠٤)، سنن ابن ماجه برقم (١١١).

(٤) جامع الترمذي برقم (٣٧٠٥)، مسند أحمد برقم (٢٥٢٠٣).

- الفضيلة الثالثة عشرة: أن المسلمين لم يعرفوا الغزو بحراً إلا في عهده، بعد أن أقيم أول أسطول إسلامي للمسلمين في مصر والشام، وفتحت في عهده بعض جزر البحر المتوسط التي كانت تتحكم في تجارة البحر، وقد دعا رسول الله لأول جيش يركب البحر، وبالطبع شمل الدعاء من أرسل هذا الجيش؛ لأنه صاحب الفضل في إرساله.

- الفضيلة الرابعة عشر: أن الأموال قد كثرت في عصره بسبب الفتوحات الإسلامية الشاسعة، مثل قبرص وإصطخر وفسا، وبلاد كثيرة من أرض خراسان وطوس وسرخس ومرو وبيهق، والحبشة حتى اتخذ للمال الخزائن، وأدر الأرزاق، وصار يأمر للرجل بمائة ألف بدرة (صرة) في كل بدرة أربعة آلاف أوقية.

رغم كل هذا لم يَسلم من الطاعنين الذين حاولوا أن يشوّهوا حقيقة التاريخ بالطعن في هذا الصحابي الجليل ونحن نورد شبهاتهم ونرد عليها.

الادّعاء بأن الصحابة أجمعوا على قتل عثمان:

يقول الطاعن: (وإذا ما سألت أحدهم: كيف يقتل خليفة المسلمين سيدنا عثمان ذو النورين فسيجيبك بأن المصريين وهم كفرة جاؤوا وقتلوه وينهي الموضوع كله بجملتين، ولكن عندما وجدت الفرصة للبحث وقراءة التاريخ وجدت أن قتلة عثمان بالدرجة الأولى هم الصحابة أنفسهم وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة التي كانت تنادي بقتله وإباحة دمه على رؤوس الأشهاد فكانت تقول: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر». كذلك نجد طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وغيرهم من مشاهير الصحابة وقد حاصروه ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة، ويحدثنا المؤرخون أن الصحابة هم الذين منعوا دفن جثته في مقابر المسلمين فدفن في «حش كوكب» بدون غسل ولا كفن، سبحان الله، كيف يقال أنه قتل مظلوماً وأن الذين قتلوه ليسوا

مسلمين، وهذه القضية هي الأخرى كقضية فاطمة وأبي بكر، فأمّا أن يكون عثمان مظلوماً وعند ذلك نحكم على الصحابة الذين قتلوه أو شاركوا قتله بأنهم قتلة مجرمون لأنهم قتلوا خليفة المسلمين ظلماً وعدواناً وتتبعوا جنازته يحصبونها بالحجارة وأهانوه حياً وميتاً أو أن هؤلاء الصحابة استباحوا قتل عثمان لما اقترفه من أفعال تتنافى مع الإسلام كما جاء ذلك في كتب التاريخ، وليس هناك احتمال وسط إلا إذا كذّبنا التاريخ وأخذنا بالتمويه «بأن المصريين وهم كفرة هم الذين قتلوه» «!!» وفي كلا الاحتمالين نفيٌ قاطع لمقولة عدالة الصحابة أجمعين دون استثناء، فإمّا أن يكون عثمان غير عادل أو يكون قتلته غير عدول، وكلّهم من الصحابة وبذلك نبطل دعوى عدالتهم. وتبقى دعوى شيعة أهل البيت القائلين بعدالة البعض منهم دون الآخر).

أقول رداً على أكاذيبه:

١ – أمّا قوله: (أن قتلة عثمان بالدرجة الأولى هم الصحابة أنفسهم) فهذا مما لا يشك عاقل في كذبه ورده، فالصحابة رضوان الله عليهم لم يشاركوا في قتل عثمان، ولم يرضوا بذلك أصلاً، بل على العكس من ذلك فإنهم مانعوا عنه ووقفوا بجانبه ولكنه رضي الله عنه خشي الفتنة فمنعهم من الدفاع عنه، ولأنه كان يعلم أنه سيقتل مظلوماً كما أعلمه النبي صلى الله عليه وسلم فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ذكر الفتنة فقال: {يقتل فيها هذا مظلوماً} يعني: عثمان رضي الله عنه.

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري في جزء منه {... ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه، فإذا عثمان بن عفان}[1].

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٩٥).

أقول: لقد شارك خيار الصحابة في الدفاع عن عثمان وأعلنوا غضبهم لقتله، فهذا علي يرفع يديه يدعو على القتلة فعن عبد الرحمن بن ليلى قال: «رأيت علياً رافعاً حضينه يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان».

وعن عميرة بن سعد قال: «كنا مع علي على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها، فقال علي: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمن:٢٤] والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أن علياً أرسل إلى عثمان: إنَّ معي خمسمائة ذراع، فأذن لي فأمنعك من القوم، فإنك تحدث شيئاً يستحلّ به دمك. قال أي عثمان: جزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم في سببي»(٢).

وحتى أولاد علي وأولاد الصحابة شاركوا في الدفاع عن عثمان فعن محمد بن سيرين قال: «انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان كلهم شاكي السلاح حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: اعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم»(٣).

وعن كنانة مولى صفية قال: «شهدت مقتل عثمان، فأخرج من الدار أمامي أربعة من شبان قريش ملطخين بالدم، محمولين، كانوا يدرأون عن عثمان رضي الله عنه: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن حكم»(٤).

وعن سلمة بن عبد الرحمن «أن أبا قتادة الأنصاري ورجلاً آخر معه من الأنصار

---

(١) تاريخ المدينة (٢/ ٢٧٦).

(٢) تاريخ دمشق (ص٤٠٣).

(٣) تاريخ خليفة الخياط (ص١٧٤).

(٤) الاستيعاب (٣/ ١٠٦٤).

دخلا على عثمان وهو محصور فاستأذن في الحج فأذن لهما ثم قالا: مع من تكون إن ظهر هؤلاء القوم؟ قال: عليكم بالجماعة. قالا: أرأيت إن أصابك هؤلاء القوم وكانت الجماعة فيهم. قال: الزموا الجماعة حيث كانت. قال: فخرجنا من عنده فلما بلغنا باب الدار لقينا الحسن بن علي داخلاً، فرجعنا على أثر الحسن لننظر ما يريد، فلما دخل الحسن عليه قال: يا أمير المؤمنين إنا طوع يدك، فمرني بما شئت. فقال له عثمان: يا ابن أخي ارجع فاجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره فلا حاجة لي في هراقة الدماء»[(١)].

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد الله بن الزبير قال: «قلت لعثمان يوم الدار: اخرج فقاتلهم، فإن معك من قد نصر الله بأقل منه، والله قتالهم لحلال، قال: فأبى»[(٢)].

وفي رواية أخرى لابن الزبير: «لقد أحل الله لك قتالهم، فقال عثمان: لا والله لا أقاتلهم أبداً»[(٣)].

(وقد لبس ابن عمر درعه مرتين يوم الدار وتقلد سيفه حتى عزم عليه عثمان أن يخرج مخافة أن يقتل)[(٤)].

وروي الخياط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قلت لعثمان: اليوم طاب الضرب معك، قال: اعزم عليك لتخرجن»[(٥)].

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال: «جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه

(١) الفضائل لأحمد (١/ ٤٦٤-٤٦٥) رقم (٧٥٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٦٨١-٦٨٢).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٧٠).

(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٩٣).

(٥) تاريخ خليفة الخياط (ص٣٨).

الأنصار بالباب، قالوا: إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين، قال: أما قتال فلا»[(١)].

وعن قيس بن أبي حازم -ثقة- قال: سمعت سعيد بن زيد يقول: «والله لو أن أحداً انقضّ فيما فعلتم في ابن عفان كان محقوقاً أن ينقضّ»[(٢)].

وعن خالد بن الربيع العبسي قال: «سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه في نفر أنا فيهم إلى المدائن، قال: ثم ذكر قتل عثمان، فقال: اللهم إني لم أشهد، ولم أقتل، ولم أرض»[(٣)].

وعن جندب بن عبد الله -له صحبة- أنه لقي حذيفة فذكر له أمير المؤمنين عثمان فقال: «أما أنهم سيقتلونه! قال: قلت فأين هو؟ قال: في الجنة، قلت: فأين قاتلوه؟ قال: في النار»[(٤)].

وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي بكرة قال: «لأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحبَّ إليَّ من أن أشرَك في قتل عثمان»[(٥)].

وعن ابن عثمان النهدي -ثقة- قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «إن قتل عثمان رضي الله عنه لو كان هدًى احتلبت به الأمة لبناً، ولكنه كان ضلالاً فاحتلبت به دماً»[(٦)].

وعن كلثوم بن عامر -تابعي ثقة- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما سرّني أني رميت عثمان بسهم أصاب أم أخطأ وأن لي مثل أحد ذهباً»[(٧)].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٠٨٢)، السنة للخلال (٢/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨٦٧).

(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٧٩).

(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٨٢).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ١٩٤).

(٦) تاريخ المدينة (٤/ ١٢٤٥).

(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠٥٨)، معجم الطبراني الكبير (٩/ ١٦٩) (٨٨٣٨)، تاريخ دمشق (٣/ ٣٥٥).

وروى ابن شبة بإسناد إلى ريطة مولاة أسامة بن زيد قالت: «بعثني أسامة إلى عثمان يقول: فإن أحببت نقبنا لك الدار وخرجت حتى تلحق بمأمنك يقاتل من أطاعك من عصاك»(١).

وأخرج البخاري عن حارثة بن النعمان شهد بدراً قال لعثمان وهو محصور: «إن شئت أن نقاتل دونك»(٢).

وأخرج أحمد في فضائل الصحابة عن عبد الله بن سلام ﵁ قال: «لا تقتلوا عثمان فإنكم إن فعلتم لم تصلُّوا جميعاً أبداً»(٣).

وروى ابن عساكر في تاريخه أن سمرة بن الجندب قال: «إن الإسلام كان في حصن حصين، وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان، وأنهم شرطوا شرطة، وإنهم لن يسدّوا ثلمتهم إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم»(٤).

وعن نافع مولى ابن عمر أن ابن عمر قال: «لقيت ابن عباس وكان خليفة عثمان على موسم الحج عام قتل فأخبرته بقتله، فعظّم أمره وقال: والله إنه لمن الذين يأمرون بالقسط، فتمَنّيتُ أن أكون قتلت يومئذ»(٥).

وبعد هذا السرد لموقف الصحابة العظيم من مقتل عثمان بن عفان ﵁ نعلم جيداً أنهم لم يشاركوا ولم يرضوا بقتل هذا الصحابي الجليل، ونعلم أيضاً الأمانة التي

---

(١) تاريخ المدينة (٣/ ١٢١١).
(٢) التاريخ الصغير (١/ ٧٦)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٩٧).
(٣) فضائل الصحابة (١/ ٤٧٤).
(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٨٣).
(٥) المصدر السابق (٣٩/ ٢١٩).

يتمتع بها هذا الطاعن المفتري عندما ادعى أنه درس التاريخ واكتشف أن قتلة عثمان هم الصحابة الكرام في الدرجة الأولى، هكذا! فأقول: ألا لعنة الله على الكاذبين.

وحتى لا يكون لهذا الدعي أي حجة أسوق بعض روايات الشيعة التي تثبت دفاع الصحابة عن عثمان في مقدمتهم علي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما حيث يقول المسعودي الشيعي في كتابه مروج الذهب: (... فلما بلغ علياً أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله، وبعث طلحة ابنه محمداً، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا، فصدّوهم عن الدار)[1].

ويقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: (... وقام بالكوفة نفر يحرضون الناس على نصر عثمان وأعانه أهل المدينة منهم عقبة بن عمر وعبد بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب، وكل هؤلاء من الصحابة، ومن التابعين مسروق والأسود وشريح وغيرهم، وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة، ومن التابعين كعب بن شور وهرم بن حيان وغيرهما، وقام بالشام ومصر جماعة من الصحابة والتابعين، وخرج عثمان يوم الجمعة فصلّى بالناس وقام على المنبر فقال: يا هؤلاء الله الله، فوالله إن أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطأ بالصواب، فقام محمد بن سلمة الأنصاري، فقال: نعم أنا أعلم ذلك. فأقعده حكيم بن جبلة، وقام زيد بن ثابت فأقعده قتيرة بن وهب، وثار القوم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فأدخل داره واستقل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبي وقاص،

(١) مروج الذهب (٢/ ٣٤٤-٣٤٥).

والحسن بن عليّ عليه السلام! وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، فأرسل إليهم عثمان عزمت عليكم أن تنصرفوا فانصرفوا)[١].

٢- أما الذين خرجوا على عثمان وتآلبوا عليه وقتلوه فهم على قسمين، أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي حاول إضلال الناس، فتنقّل في الحجاز والبصرة والكوفة ثم الشام فطرد منها، ثم أتى مصر فأقام بها ووضع لهم الرُجعة، وادعى أن الوصي بعد الرسول ﷺ هو عليّ، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، ثم بث دعاته وكاتب من استُفْسِدَ من الأمصار وكاتبوه واتفقوا بالسر على ما أرادوا، وهم القسم الثاني من الذين تمالئوا على عثمان وهم الأعراب وأوباش العرب وأُصُولُهم من أهل الردة في زمن أبي بكر، وها هو عليّ يقول لطلحة والزبير عندما اشترطا إقامة الحدود في قاتلي عثمان: «يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم! هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم..»[٢].

وهذا ما يقرّه إمام الإمامية الاثني عشرية النوبختي حيث يقول: (وارتد قوم فرجعوا عن الإسلام، ودعت بنو حنيفة إلى نبوّة مسيلمة، وقد كان ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ فبعث أبو بكر إليهم الخيول عليها خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فقاتلهم وقتل مسيلمة وقتل من قتل ورجع من رجع منهم إلى أبي بكر فسموا أهل الردة، ولم يزل هؤلاء جميعاً على أمر واحد حتى نقموا على عثمان أموراً أحدثها وصاروا بين خاذل وقاتل إلا خاصة أهل بيته وقليلاً من غيرهم حتى قتل)[٣].

وكان الذي يتزعم الحملة على عثمان هم الذين جاؤوا من مصر ويترأسهم

---

(١) شرح نهج البلاغة (٢/ ١٤١).

(٢) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٧٠٢).

(٣) فرق الشيعة للنوبختي (ص٤).

الغافقي بن حرب العكبي الذين عُرفوا بالمصريين، ولكن هذا الطاعن ينكر ذلك لأنه كما يدعي قرأ التاريخ! ولكن كتب التاريخ وغيرها تجمع على أن قتلة عثمان هم المصريّون، راجع تاريخ الطبري، وابن الأثير، والتمهيد والبيان، ومروج الذهب، والبداية والنهاية، وطبقات ابن سعد، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، والاستيعاب لابن عبد البر، والتاريخ الإسلامي، والفتوح لابن الأعثم.

وبعد ذلك أتساءل والقرّاء: أي تاريخ قرأ هذا الطاعن؟

٣- ثم يدعي أنّ في مقدمة قتلة عثمان أم المؤمنين عائشة (وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة التي كانت تنادي بقتله وإباحة دمه على رؤوس الأشهاد فكانت تقول: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر» ثم يعزو هذا القول بالهامش: إلى الطبري وابن الأثير والعقد الفريد ولسان العرب وتاج العروس.

فأقول:

أ- هذه الرواية التي تزعم أن عائشة قالت ذلك مدارُها على نصر بن مزاحم قال فيه العقيلي: (كان يذهب إلى التشيع وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير)(١).

وقال الذهبي: (رافضي جلد، تركوه. وقال أبو خيثمة: كان كذاباً، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك، وقال الدارقطني: ضعيف)(٢).

وقال الجوزجاني: (كان نصر زائغاً عن الحق مائلاً، وقال صالح بن محمد: نصر بن مزاحم روى عن الضعفاء أحاديث مناكير، وقال الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين: نصر بن مزاحم غال في مذهبه)(٣).

---

(١) ضعفاء العقيلي (٤/ ٣٠٠).

(٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٨٢).

وعلى ذلك فهذه الرواية لا يعول عليها ولا يلتفت إليها إضافة إلى مخالفتها للروايات الصحيحة الناقضة لها.

ب- الروايات الصحيحة الثابتة تظهر أن عائشة تألمت لمقتل عثمان ودعت على قاتليه، فعن مسروق -تابعي ثقة- قال: قالت عائشة: «تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، قال مسروق: فقلت: هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها»[(١)].

وأخرج أحمد في فضائله عن عائشة أنها كانت تقول أي في مقتل عثمان: «ليتني كنت نسياً منسياً، فأما الذي كان من شأن عثمان فوالله ما أحببت أن ينتهك من عثمان أمر قط إلا انتهك مني مثله حتى لو أحببت قتله قتلت»[(٢)].

وروى ابن شبة عن طلق بن حُشَّان قال: قلت لعائشة: «فيم قتل أمير المؤمنين عثمان؟ قالت: قتل مظلوماً، لعن الله قتلته»[(٣)].

وأخرج أحمد في الفضائل عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنا مع ابن حنيفة في الشِّعب فسمع رجلاً ينتقص وعنده ابن عباس، فقال: يا بن عباس! هل سمعت أمير المؤمنين عشية سمع الضجة من قبل المربد فبعث فلان بن فلان فقال: اذهب فانظر ما هذا الصوت؟ فجاء فقال: هذه عائشة تلعن قتلة عثمان والناس يؤمِّنون. فقال عليّ: وأنا ألعن قتلة عثمان في السهل والجبل، اللهم العن قتلة عثمان، اللهم العن قتلة عثمان

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠٥١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٨٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩٥).

(٢) فضائل الصحابة (١/ ٤٦٢).

(٣) تاريخ المدينة (٢/ ٢٦٥) و (٢/ ٢٧٩).

في السهل والجبل، ثم أقبل ابن الحنيفة عليه وعلينا فقال: أما فيَّ وفي ابن عباس شاهدا عدل؟ قلنا؟ بلى! قال: قد كان هذا»[(١)].

ت- المعلوم عند جميع المؤرخين أن عائشة خرجت تطالب بدم عثمان فكيف يوفق بين موقفها هذا وقولها: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»؟! إلا أن هذا القول كذب صريح عليها.

٤- **وأما قوله**: (كذلك نجد طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وغيرهم من مشاهير الصحابة «!!» وقد حاصروه ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة).

وجواباً على ذلك أقول:

أ- أما أن محمد بن أبي بكر من مشاهير الصحابة فهذا أمر ثابت لا يمكن إنكاره؛ لأنه من أكثر المصاحبين للنبي ﷺ إذ صاحبه ما يقرب الأربعة أشهر!؟ لأن النبي ﷺ توفّي ولم يتم محمد بن أبي بكر من عمره أربعة أشهر!!!؟ فيا له من صحابي مشهور؟!؟

ب أما أن طلحة والزبير قد حاصرا عثمان ومنعوه من شرب الماء!؟ فهذا من المين الفاضح، فأين النقل الثابت؟ وما هو المصدر الذي استقى منه هذا الطاعن كذبهُ هذا؟ وأنا أتحدّاه بأن يأتي بمصدر واحد يذكر مثل هذه الترّهات، ولكن بعداً له!

ت- الروايات الصحيحة الثابتة تبين أن طلحة والزبير تألّما لقتل عثمان غاية الألم بل وحاولا الدفاع عنه فعن أبي حبيبة قال: (بعثني الزبير إلى عثمان وهو محصور، فدخلت عليه في يوم صائف وهو على كرسي، وعنده الحسن بن عليّ، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فقلت: بعثني إليك الزبير بن العوام وهو

---

(١) فضائل الصحابة (١/ ٤٥٥).

يقرئك السلام ويقول لك: إني على طاعتي لم أبدّل ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك وكنت رجلاً من القوم، وإن شئت أقمت، فإنّ بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا على بابي، ثم يمضون على ما آمرهم به. فلما سمع الرسالة قال: الله أكبر، الحمد لله الذي عصم أخي، أقرئه السلام ثم قل له: إن يدخل الدار لا يكن إلا رجلاً من القوم، ومكانك أحبّ إليّ، وعسى الله أن يدفع بك عنّي، فلما سمع الرسالة أبو هريرة قام فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناي من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى، قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: تكون بعدي فتن وأمور، فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟ قال: إلى الأمين وحزبه، وأشار إلى عثمان بن عفان. فقام الناس فقالوا: قد أمكننا البصائر، فأذن لنا في الجهاد؟ فقال عثمان: أعزم على من كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل)[1].

وروى الدارقطني في فضائل الصحابة: (أن عثمان أشرف على المسجد، فإذا طلحة جالس في شرق المسجد، قال: يا طلحة! قال: لبيك قال: نشدتك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ قال: من يشتري قطعة يزيدها في المسجد، فاشتريتها من مالي، قال طلحة: اللهم نعم، فقال: يا طلحة قال: لبيك، قال: نشدتك بالله هل تعلمني حملت في جيش العسرة على مائة؟ قال طلحة: اللهم نعم، ثم قال طلحة: اللهم لا أعلم عثمان إلا مظلوماً)[2].

ج- لا يختلف اثنان في أن طلحة والزبير كانا من أوائل المطالبين بدم عثمان، والاقتصاص من قاتليه، ولم يخرجا، إلا لهذا السبب، فليت شعري إن كانا من المحرضين على قتل عثمان، والمشاركين في حصاره فما معنى موقفهما ممن يريدون قتالهم وهم يشاركونهم في الجريمة؟!

---

(١) فضائل الصحابة (١/ ٥١١)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٧٣).

(٢) سنن الدارقطني (٤/ ١٩٧)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٤٠-٣٤١).

٥- **ثم يقول**: (ويحدثنا المؤرخون أن الصحابة هم الذين منعوا دفن جثّته في مقابر المسلمين، فدفن في «حش كوكب» بدون غسل ولا كفن)!؟ وفي موضع آخر يقول: (وتحقق لدي ما قاله المؤرخون من أنه دفن بحش كوكب وهي أرض يهودية).

والجواب على ذلك:

أ- يريد هذا الطاعن أن يصور الصحابة على أنهم مجموعة من الرعاع والهمج الذين يقتلون بعضهم بعضاً، بل ويمنعون خيرة الصحابة من أن يدفن مثل باقي المسلمين، فيضعونه في قبره دون غسل ولا تكفين!! وأنا لا أستغرب هذا القول لأن صاحبه لم يشعر قلبه يوماً بمحبّة صحابة النبي ﷺ.

ب- أما ادعاؤه بأن الصحابة منعوا دفنه في مقابر المسلمين فدفن في حش كوكب وهي أرض يهودية فلا يدلّ إلا على جهله المطبق لأن حش كوكب ليست أرض يهودية، ولم تكن كذلك إطلاقاً، لأن حش بمعنى البستان، وقد اشتراه عثمان من كوكب -وهو رجل من الأنصار- وعندما توفي دفن في بستانه الذي اشتراه من ماله، فأي شيء في ذلك؟

ثم يضيف قائلاً: (وتحقق لدي ما قاله المؤرخون من أنه دفن بحش كوكب وهي أرض يهودية لأن المسلمين منعوا دفنه في بقيع رسول الله، ولمّا استولى معاوية بن أبي سفيان على الخلافة اشترى تلك الأرض من اليهود (!!!) وأدخلها في البقيع ليدخل بذلك قبر ابن عمه عثمان فيها والذي يزور البقيع حتى اليوم سيرى هذه الحقيقة بأجلى ما تكون).

وأنا أقول:

لو سألت طفلاً في المرحلة الابتدائية: هل كان اليهود موجودين في مدينة رسول الله ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين؟ فسيجيبك باسترخاء بالطبع لا،

لأن النبي ﷺ أجلاهم عن المدينة، ومن ثم أجلاهم عمر من الجزيرة كلها فتاهوا في الأرض، فسبحان الله هذا بهتان عظيم!

ثم يقول: (وبالمناسبة أذكر هنا قصّة طريفة ذكرها بعض المؤرخين ولها علاقة بموضوع الإرث. قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة: جاءت عائشة وحفصة ودخلتا على عثمان أيام خلافته وطلبتا منه أن يقسم لهما إرثهما من رسول الله ﷺ. وكان عثمان متكئاً فاستوى جالساً وقال لعائشة: أنت وهذه الجالسة جئتما بأعرابي يتطهّر ببوله وشهدتما أن رسول الله ﷺ قال: نحن معشر الأنبياء لا نورث. فإذا كان الرسول حقيقة لا يورّث فماذا تطلبان بعد هذا، وإذا كان الرسول يورّث لماذا منعتم فاطمة حقها؟ فخرجت من عنده غاضبة وقالت: اقتلوا نعثلاً فقد كفر).

أقول:

١- فتحت شرح النهج في الجزء السادس عشر (ص:٢٢٠ - ٢٢٣) كما أشار بالهامش فلم أجد لهذه الرواية المكذوبة أثراً! ولكن وجدت هذه الرواية (عن مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة: أن أزواج النبي ﷺ وآله أردن لما توفّي أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأله ميراثهنَّ أو قال: ثمنهنَّ، قالت: فقلْتُ لهنّ: أليس قد قال النبي ﷺ: لا نورث ما تركنا صدقة).

وهذه الرواية أخرج مثلها البخاري ومسلم في الصحيح، وهي كما ترى تناقض القصة التي ذكرها هذا الطاعن في كتابه، فإن لم تستحي فاصنع ما شئت.

٢- مجرّد عزو هذا الطاعن على شرح النهج لابن أبي الحديد ليس فيه أي حجة؛ لأنه ليس من أهل المعرفة بالحديث فيضع في كتابه من الأحاديث غثّها وثمينها، ومع ذلك فإني لم أستطع العثور على هذه القصة في الموضع المشار إليه، وأخشى أن تكون

من عنديّات هذا الطاعن، وعلى العموم فالأحاديث الصحيحة وسيرة كل من عائشة وعثمان رضي الله عنهما تكذّب هذا الخبر وتردّه والحمد لله.

ثم يقول: (ولما جاء عثمان بعده -أي بعد عمر- ذهب شوطاً بعيداً في الاجتهاد فبالغ أكثر ممن سبقوه حتى أثّر اجتهاده في الحياة السياسية والدينية بوجه عام فقامت الثورة ودفع حياته ثمن اجتهاده).

أقول:

هذا من الكذب الظاهر على عثمان، فهؤلاء الأعراب لم يخرجوا عليه إلا لمرض نفوسهم ولم يصيبوا فيما ادعوه عليه، إضافة لدور اليهودي عبد الله بن سبأ في إشعال الفتنة على عثمان، فهؤلاء هم المتسببون بالفتنة وليس عثمان، ويظهر ذلك في وقوف الصحابة جميعاً مع عثمان والدفاع عنه، ولن أنسى ذكر الأدلة التي تبيّن أن الحق مع عثمان وأن الخارجون عليه هم أهل الفتنة والباطل، فقد أخرج الحاكم في المستدرك وأحمد في الفضائل عن موسى بن عقبة قال: {حدثني أبو أمي أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ فقال: عليكم بالأمين وأصحابه، يعني عثمان}[(١)].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في جزء منه عندما جاء عثمان بن عفان، قال: {فجلس النبي ﷺ فقال: افتح له وبشّره بالجنة على بلوى تكون، قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشّرته بالجنة، قال: وقلت الذي

(١) فضائل الصحابة (١/ ٤٥٠)، دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٣٩٣)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٦٧).

قال، فقال: اللهم صبراً، أو الله المستعان}[1].

وعن ابن عمر قال: {ذكر الرسول ﷺ فتنة فقال: يقتل هذا فيها مظلوماً. لعثمان بن عفان}[2].

وروى أحمد في الفضائل عن كعب بن عُجرة قال: {ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقرّبها وعظّمها، ثم مر رجل مقنّع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق، فانطلقت مسرعاً فأخذت بضبعيه فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا، فإذا عثمان بن عفان}[3].

فهل بعد ذلك لا زال يظن هذا الطاعن أن اجتهادات عثمان الباطلة بزعمه! هي السبب في الفتنة عليه؟ فهنيئاً له وقوفه مع أهل الفتنة ضدّ أهل السنة!

وأخيراً: فهذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثالث أصحاب النبي ﷺ من حيث المنزلة، والذي شهد له النبي ﷺ بالجنة، وهو الصحابي الحييّ الذي ضرب به المثل في الكرم والإنفاق، فكان له فضل توسيع مسجد رسول الله ﷺ بماله واشترى بئر رومة، وجعله وقفاً للمسلمين، وجهز جيش العسرة للمسلمين، وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: {جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار. قال الحسن بن واقع: وفي موضع آخر من كتابي: في كمه حين جهّز جيش العسرة فنثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلّبها في حجره ويقول: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم، مرتين}[4].

وهذه حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٣).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٧٠٨).

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٤٥٠)، مسند أحمد برقم (١٨١٤٣)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٧٥).

(٤) سبق تخريجه.

فهذا أبو الفتح الأربلي من علماء الإمامية يورد في كتابه (كشف الغمة) قصة زواج علي بن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنها مثبتاً مساعدة عثمان لعلي في زواجه من فاطمة: (... قال علي: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا الحسن انطلق الآن فبع درعك وأت بثمنه حتى أهيئ لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما، قال علي: فانطلقت وبعته بأربعمائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: بلى، قال: فإن الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطرحت الدرع والدراهم بين يديه وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له بخير..)(1)!

ويثبت أيضاً حب الأئمة الإثني عشر لعثمان وتعظيمهم لشأنه، فيروي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسن أنه (قدم عليه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: ألا تخبروني أنتم ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:٨]؟ قالوا: لا، قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر:٩]؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر:١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم!)(2)؟!

---

(١) كشف الغمة (١/ ٣٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

فهل بعد ذلك الاعتراف بفضائل عثمان من السنة والشيعة يدعي هذا الطاعن أن الله هداه للطعن به وبالصحابة الكرام؟!

رد آخر على قولهم: (إن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان)!!

وجوابه من وجوه:

أحدها: أن يقال: أولاً: هذا من أظهر الكذب وأَبْينه؛ فإن جماهير المسلمين لم يأمروا بقتله، ولا شاركوا في قتله، ولا رضوا بقتله.

أما أولاً: فلأن أكثر الصحابة لم يكونوا بالمدينة، بل كانوا بمكة واليمن والشام والكوفة والبصرة وخراسان، وأهل المدينة بعض المسلمين.

وأما ثانياً: فلأن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان [لا قتل] ولا أمر بقتله، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن، وكان عليّ رضي الله عنه يحلف دائماً: «وإني ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله»(١)، ويقول: «اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل»(٢). وغاية ما يقال: إنهم لم ينصروه حق النصرة، وأنه حصل نوع من الفتور والخذلان، حتى تمكن أولئك المفسدون، ولهم في ذلك تأويلات، وما كانوا يظنون أن الأمر يبلغ إلى ما بلغ، ولو علموا ذلك لسدّوا الذريعة وحسموا مادة الفتنة.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥]، فإن قام الظالم بظلم ابتلي الناس بفتنة تصيب من لم يظلم، فيعجز عن ردها حينئذ، بخلاف ما لو مُنع الظالم ابتداءً، فإنه كان يزول سبب الفتنة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الثاني: أن هؤلاء في غاية التناقض والكذب؛ فإنه من المعلوم أن الناس أجمعوا على بيعة عثمان ما لم يجمعوا على قتله؛ فإنهم كلهم بايعوه في جميع الأرض. فإن جاز الاحتجاج بالإجماع الظاهر، فيجب أن تكون بيعته حقًّا لحصول الإجماع عليها. وإن لم يجز الاحتجاج به، بطلت حجتهم بالإجماع على قتله. ولاسيما ومن المعلوم أنه لم يباشر قتله إلا طائفة قليلة. ثم إنهم ينكرون الإجماع على بيعته، ويقولون: إنما بايع أهل الحق منهم خوفاً وكرهاً. ومعلوم أنهم لو اتفقوا كلهم على قتله، وقال قائل: كان أهل الحق كارهين [لقتله لكان سكتوا خوفاً وتقيَّة على أنفسهم، لكان هذا أقرب إلى الحق،] لأن العادة قد جرت بأن من يريد قتل الأئمة يخيف من ينازعه، بخلاف من يريد مبايعة الأئمة، فإنه لا يخيف المخالف، كما يخيف من يريد قتله، فإن المريدين للقتل أسرع إلى الشر وسفك الدماء وإخافة الناس من المريدين للمبايعة.

فهذا لو قُدِّر أن جميع الناس ظهر منهم الأمر بقتله، فكيف وجمهورهم أنكروا قتله، ودافع عنه من دافع في بيته، كالحسن والحسين ابنا عليّ وعبد الله بن الزبير وغيرهما؟

وأيضاً فإجماع الناس على بيعة أبي بكر أعظم من إجماعهم على بيعة عليّ وعَلَى قتل عثمان وعلى غير ذلك، فإنه لم يتخلف عنها إلا نفر يسير كسعد بن عبادة، وسعد قد عُلم سبب تخلفه، والله يغفر له ويرضى عنه. وكان رجلاً صالحاً من السابقين الأوّلين من الأنصار من أهل الجنة، كما قالت عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك لما أخذ يدافع عن عبد الله بن أُبَيّ رأس المنافقين، [قالت]: «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية»(1).

---

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٢٦٦١)، صحيح مسلم برقم (٢٧٧٠).

وقد تقرر عند أهل السنة: إن الرجل الصالح المشهود له بالجنة قد يكون له سيئات يتوب منها، أو تمحوها حسناته، أو تكفَّر عنه بالمصائب، أو بغير ذلك؛ فإن المؤمن إذا أذنب كان لدفع عقوبة [النار] عنه عشرة أسباب: ثلاثة منه، وثلاثة من الناس، وأربعة يبتديها الله: التوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين له، وإهداؤهم العمل الصالح له، وشفاعة نبينا ﷺ، والمصائب المكفِّرة في الدنيا، وفي البرزخ، وفي عرصات القيامة، ومغفرة الله له بفضل رحمته.

والمقصود هنا أن هذا الإجماع ظاهر معلوم، فكيف يَدَّعي الإجماع على مثل قتل عثمان من ينكر مثل هذا الإجماع؟ بل من المعلوم أن الذين تخلّفوا عن القتال مع عليّ من المسلمين أضعاف الذين أجمعوا على قتل عثمان؛ فإن الناس كانوا في زمن عليّ على ثلاثة أصناف: صنف قاتلوا معه، وصنف لا قاتلوه ولا قاتلوا معه. وأكثر السابقين الأوّلين كانوا من هذا الصنف، ولو لم يكن تخلّف عنه إلا من قاتل مع معاوية رضي الله عنه، فإن معاوية ومن معه لم يبايعوه، وهم أضعاف الذين قتلوا عثمان أضعافاً مضاعفة، والذين أنكروا قتل عثمان أضعاف الذين قاتلوا مع عليّ.

فإن كان قول القائل: إن الناس أجمعوا على قتال عليّ باطلاً، فقوله: إنهم أجمعوا على قتل عثمان أبطل وأبطل.

وإن جاز أن يُقال: إنهم أجمعوا على قتل عثمان، لكون ذلك وقع في العالم ولم يُدفع. فقول القائل: إنهم أجمعوا على قتال عليّ [أيضًا] والتخلف عن بيعته أجوز وأجوز؛ فإن هذا وقع في العالم ولم يدفع [أيضًا].

وإن قيل: إن الذين كانوا مع عليّ لم يمكنهم إلزام الناس بالبيعة له، وجمعهم عليه، ولا دفعهم عن قتاله، فعجزوا عن ذلك.

قيل: والذين كانوا مع عثمان لما حُصِر لم يمكنهم أيضًا دفع القتال عنه.

وإن قيل: بل أصحاب عليّ فرّطوا وتخاذلوا، حتى عجزوا عن دفع القتال، أو قهر الذين قاتلوه، أو جمع الناس عليه.

قيل: والذين كانوا مع عثمان [فرَّطوا وتخاذلوا حتى تمكن منه أولئك. ثم دعوى المدّعي الإجماع على قتل عثمان] مع ظهور الإنكار [من] جماهير الأمة له وقيامهم في الانتصار له والانتقام ممن قتله، أظهر كذبًا من دعوى المدّعي إجماع الأئمة على قتل الحسين رضي الله عنه.

فلو قال قائل: إن الحسين قُتل بإجماع الناس، لأن الذين قاتلوه وقتلوه لم يدفعهم أحد عن ذلك، لم يكن كذبه بأظهر من كذب المدّعي للإجماع على قتل عثمان؛ فإن الحسين رضي الله عنه لم يَعْظُم إنكار الأمة لقتله، كما عظم إنكارهم لقتل عثمان، ولا انتصر له جيوش كالجيوش الذين انتصرت لعثمان، ولا انتقم أعوانه من أعدائه كما انتقم أعوان عثمان من أعدائه، ولا حصل بقتله من الفتنة والشر والفساد ما حصل بقتل عثمان، ولا كان قتله أعظم إنكارًا عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من قتل عثمان؛ فإن عثمان من أعيان السابقين الأوّلين من المهاجرين من طبقة عليّ وطلحة والزبير، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته بل لم يُشهِر في الأمة سيفاً ولا قتل على ولايته أحداً، وكان يغزو بالمسلمين الكفّار بالسيف، وكان السيف في خلافته كما كان في خلافة أبي بكر وعمر مسلولاً على الكفَّار، مكفوفاً عن أهل القبلة، ثم إنه طُلب قتله وهو خليفة فصبر ولم يقاتل دفعاً عن نفسه حتى قتل، ولا ريب أن هذا أعظم أجراً، وقتله أعظم إثمًا، ممن لم يكن متولياً فخرج يطلب الولاية، ولم يتمكن من ذلك حتى قاتله أعوان الذين طلب أخذ الأمر منهم، فقاتل عن نفسه حتى قُتل.

ولا ريب أن قتال الدافع عن نفسه وولايته أقرب من قتال الطالب؛ لأن يأخذ الأمر من غيره، وعثمان ترك القتال دفعًا عن ولايته، فكان حاله أفضل من حال الحسين، وقتله أشنع من قتل الحسين. كما أن الحسن ﷺ لما لم يقاتل على الأمر، بل أصلح بين الأمة بتركه القتال، مدحه النبي ﷺ على ذلك فقال: {إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين}(١).

والمنتصرون لعثمان معاوية وأهل الشام، والمنتصرون من قتلة الحسين المختار بن أبي عبيد [الثقفي] وأعوانه. ولا يشك عاقل أن معاوية ﷺ خير من المختار؛ فإن المختار كذَّاب ادّعى النبوة. وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: {يكون في ثقيف كذَّاب ومبير}(٢). فالكذَّاب هو المختار، والمبير هو الحجاج بن يوسف. وهذا المختار كان أبوه رجلاً صالحاً، وهو أبو عبيد الثقفي الذي قُتل شهيداً في حرب المجوس، وأخته صفيّة بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر امرأة صالحة، وكان المختار رجل سوء(٣).

ومنها: أن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتله ويتبرأون منه(٤) حتى تركوه بعد قتله ثلاثة أيام بلا دفن.

والجواب: أن هذا كله كذب صريح وبهتان فضيح على الصبيان فضلاً عن ذوي العرفان، ألا ترى أن طلحه والزبير وعائشة الصديقة ومعاوية وعمرو بن العاص

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٢٢٠).

(٣) منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٢٢- ٣٢٩).

(٤) نقل البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف) (٥/ ١٠٣) عن المدائني عن سلمة بن عثمان عن علي بن زيد عن الحسن قال: دخل علي بن أبي طالب على بناته وهن يمسحن عيونهن فقال: ما لكن تبكين؟ قلن: نبكي على عثمان. فبكى وقال: أبكين. أبهذا يتبرأون منه؟

رضي الله عنهم قد قاتلوا لأجل طلب القصاص لعثمان، وقد ثبت في التواريخ عند الفريقين أن الصحابة كلهم لم يألوا جهداً في دفع البلوى عنه حتى استأذنوا منه في قتال المحاصرين فلم يجوز لهم[1] وكانوا مهما تمكنوا يوصلون إليه الماء ويفرجون عنه.

وجاء زيد بن ثابت مع الأنصار وقال شبابهم له: إن شئت كنا أنصاراً مرتين[2].

وجاء عبد الله بن عمر مع المهاجرين وقال: إن الذين خرجوا عليك آمنوا سيوفنا، واستأذنه لقتالهم فلم يأذن له[3].

وكان السبطان وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر بن ربيعة وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة معه في دار وكانوا يدافعون عنه كلما هجم عليه أهل البغي والعدوان ولم يأذن لهم ولا لأحد بقتالهم.

---

(١) نقل البلاذري في أنساب الأشراف (٥/ ٧٣) من حديث الإمام محمد بن سيرين أن زيد بن ثابت رضي الله عنه دخل على عثمان وقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: (إن شئت كنا أنصار الله مرتين). فقال عثمان: (لا حاجة لي بذلك كفوا). قال القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (ص:١٣٦): (إن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ولا قعد عنه. ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة. قلت: لأنه اختار بذلك أهون الشرين فآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين. وعثمان افتدى دماء أمته بدمه مختاراً فما أحسن الكثيرون منا جزاءه. وإن أوروبا تعبد بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختاراً). ثم قال القاضي أبو بكر بن العربي (ص:١٣٧): (وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها: هل يلقى بيده، أو يستنصر؟ وأجاز بعضهم أن يستسلم ويلقى بيده اقتداء بفعل عثمان، وبتوصية النبي ﷺ بذلك في الفتنة. والذي أعلمه أن سياسة الإسلام في ذلك أن يختار المسلم في كل حالة أقلها شراً وأخفها ضرراً، فإذا كانت للخير قوة غالبة تقمع الشر وتضيق دائرته، فالإسلام يهدي إلى قمع الشر بقوة الخير بلا تردد. وإن لم يكن للخير قوة غالبة – كما كانت الحال في موقف أمير المؤمنين عثمان من البغاة عليه – فمصلحة الإسلام في مثل ما جنح إليه عثمان. أعلى الله مقامه في دار الخلود).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وقد ثبت في نهج البلاغة من كلام الأمير أنه قال: «والله قد دفعت عنه»[(١)] إلى غير ذلك.

وقد شيع جنازته جماعة من الصحابة والتابعين ودفنوه بثيابه الملطخة بالدم ليلاً ولم يؤخروه، وقد حضرت الملائكة جنازته لما روى الحافظ الدمشقي مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: {يوم موت عثمان تصلي عليه ملائكة السماء. قال الراوي: قلت: يا رسول الله عثمان خاصة أو الناس عامة؟ قال: عثمان خاصة}[(٢)].

ونسبة هجوه وبغضه إلى الصحابة كذب وزور، وذلك في غاية الظهور. فقد روى الديلمي- وهو من المعتبرين عند الشيعة -في (المنتقى) عن الحسن بن علي قال: «ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رايتها: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً يده على العرش، ورأيت أبا بكر واضعاً يده على منكب رسول الله ﷺ، ورأيت عمر واضعاً يده على منكب أبي بكر، ورأيت عثمان واضعاً يده على منكب عمر، ورأيت دماً دونه، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: دم عثمان يطلب الله به»[(٣)].

وروى ابن السمان عن قيس بن عباد قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: «اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاءوني للبيعة فقلت: ألا أستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة، إني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا. فلما دفن رجع الناس يسألون البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه. ثم جاءت عزيمة فبايعت. قال: فقالوا: يا أمير المؤمنين.

---

(١) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٩٣).

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٨٤)، البداية والنهاية (٧/ ١٩٥).

(٣) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٩٣).

فكأنما صدع قلبي»[1].

وروى ابن السمان أيضاً عن محمد بن الحنفية أن علياً قال يوم الجمل: «لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل»[2] وعنه أن علياً بلغه أن عائشة تلعن قتلة عثمان فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: «وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل»[3] مرتين أو ثلاثاً.

إلى غير ذلك من أقوال أهل البيت وسائر الصحابة مما يدل على مزيد حبهم له وتأسفهم على مصيبته. وهذا الكتاب لا يحتمل ذكر ذلك على سبيل التفصيل، وتأخير دفنه إلى ثلاثة أيام زور وبهتان كما يعلم مما ذكرنا من البيان. كيف وقد أجمع المؤرخون على أن شهادته رضي الله عنه بعد العصر يوم الجمعة لعشر خلون من ذي الحجة، ودفن في البقيع ليلة السبت رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الغرف العالية مستقرة ومثواه، ونسأله تعالى أن يحشرنا في زمرتهم، ويميتنا على محبتهم.

شبهة تولية عثمان رضي الله عنه للظالمين:

منها: أن عثمان ولى وأمر من صدر منه الظلم والخيانة وارتكاب الأمور الشنيعة كالوليد بن عقبة[4] الذي شرب الخمر وأم الناس في الصلاة وهو سكران وصلى

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ١٠١) (٤٥٢٧)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٥٠)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص١٤٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبه تخريجه.

(٤) الوليد بن عقبة أخو أمير المؤمنين عثمان لأمه، أمها أروى بنت كريز، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة النبي ﷺ وتوأمة أبيه. أدرك خلافة الصديق الأكبر في أول شبابه وكان محل ثقته، وموضع السر في الرسائل الحربية التي دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد في وقعة المذار مع الفرس سنة (١٢هـ). ثم وجهه مدداً إلى قائده عياض بن غنم الفهري (الطبري ٤: ٢٢). وفي سنة (١٣هـ) كان الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاعة، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده

الصبح أربع ركعات ثم قال: هل أزيدكم؟ وولي معاوية الشام التي هي عبارة عن أربع ممالك فتقوى حتى أنه نازع الأمير وبغى عليه في أيام خلافته.

وولى عبد الله بن سعد مصر فظلم أهلها ظلماً شديداً حتى اضطرهم إلى الهجرة إلى المدينة وخرجوا عليه. وجعل مروان وزيره وكاتبه فمكر في حق محمد بن أبي بكر وكتب مكان اقبلوه اقتلوه[1].

ولم يعزلهم بعد الاطلاع على أحوالهم حتى تضجرت الناس منه فآل أمره إلى أن قتل، ومن كان في هذا حاله فهو غير لائق بالإمامة.

والجواب: أن الإمام لابد له أن يفوض بعض الأمور إلى من يراه لائقاً لما هنالك بحسب الظاهر إذ ليس له علم الغيب، فإنه ليس بشرط في الإمامة عند أهل الحق. وقد كان عماله ظاهراً مطيعين له منقادين لأوامره. وقد ثبت في التاريخ أنهم خدموا الإسلام وشيدوا الدين، فقد فتحوا بلاداً كثيرة حتى وصلوا غرباً إلى الأندلس وشرقاً إلى بلخ وكابل وقاتلوا براً وبحراً، واستأصلوا أرباب الفتن والفساد من عراق العجم

بمنزلة عمرو بن العاص في الحرمة والثقة والكرامة فكتب إليه وإلى عمرو يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد فسار عمرو بلواء الإسلام نحو فلسطين وسار الوليد إلى شرق الأردن (الطبري ٤: ٢٩ – ٣٠). ثم رأينا الوليد سنة (١٥هـ) أميراً لعمر بن الخطاب على بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة يحمي ظهور المجاهدين في شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم. وكان الوليد أول ناشر لدعوة الإسلام بين نصارى تغلب وبقايا إياد بحماسة وغيرة لا مثيل لها. وبهذه الثقة الكبرى التي نالها الوليد من أبي بكر وعمر ولاه عثمان ولاية الكوفة، وكان من خير ولاتها عدلاً ورفقاً وإحساناً، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير في آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة. وانظر في تاريخ الطبري (٥/ ٦٠) شهادة الإمام الشعبي له في إمارته وفي جهاده وجزيل إحسانه إلى الناس.

(١) هذا الكتاب زوره الأشتر وحكيم بن جبلة. انظر: العواصم (ص:١٠٩ – ١١٠).

وخراسان، وقد عزل بعض من تحقق لديه بعد ذلك سوء حاله كما عزل الوليد[١].

ومعاوية لم يبلغ في زمنه حتى يستحق العزل، بل قد أجرى خدمات كثيرة، كما غزا الروم وفتح منها بلاداً متعددة[٢].

وأما الشكايات التي وقعت على عبد الله بن سعد فمن تزوير عبد الله ابن سبأ وتسويلاته [٣].

(١) مما لا ريب فيه أن الوليد بن عقبة كان في ولايته على الكوفة الحاكم العادل الرحيم المحسن إلى الناس جميعاً. وكانت الكوفة منزل جهاد للفيالق التي يسيرها الوليد بن عقبة إلى سواحل بحر الخزر وبلاد روسيا الآن. واتفق ذات ليلة أن سطا بعض الأشرار على منزل رجل في الكوفة اسمه ابن الحيسمان فقتلوه. وكان في جوار المنزل صحابي مجاهد هو أبو شريح الخزاعي حامل راية رسول الله ﷺ على جيش خزاعة يوم فتح مكة، جاء إلى الكوفة هو وابنه ليلحقا بكتائب الجهاد، واتفق نزوله في جوار بيت ابن الحيسمان فلما سطا الأشرار على ابن الحيسمان ليلاً رآهم أبو شريح الخزاعي وابنه وشهدا عليهم أمام الوليد بن عقبة فحكم عليهم الوليد بن عقبة بإقامة الحد الشرعي. إن الشاهدين اللذين شهدا على الوليد بن عقبة بشرب الخمر هما أبوان لاثنين من الأشرار الذين سطوا على ابن الحيسمان، وقد حنقا على الوليد لإقامة الحد الشرعي عليهما، وشهدا عليه عند عثمان زوراً وكذباً، فقال أمير المؤمنين عثمان لواليه الوليد عقبة: (تقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنار). وفي تعليقات كتاب العواصم من القواصم (ص:٩٤ – ٩٩) بيان لحقيقة هذه الشهادة نقلاً عن المصادر الإسلامية المحترمة. فارجع إليها لتعلم أن الوليد بن عقبة رضوان الله عليه من خيرة رجال الدولة الإسلامية الأولى، أنه كان موضع ثقة أبي بكر وعمر فضلاً عن عثمان رضوان الله عليه، وأن أياديه على الإسلام جعلته في طليعة المجاهدين العادلين الناصحين.

(٢) وقد سبق ذكر الكلمة المأثورة في زمن الدولة العباسية عن الإمام سليمان بن مهران الأعمش في تفضيله معاوية على عمر بن عبد العزيز حتى في عدله، وقول قتادة وهو من أعلام الإسلام: (لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم: هذا المهدي).

(٣) في حوادث سنة (٢٧ هـ) من تاريخ الطبري (٥/ ٤٩) أن عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له: (إن فتح الله غداً عليك إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً) فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا في أرض إفريقية وفتحوها سهلها وجبلها، وقسم عبد الله بن سعد على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ الخمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع وثيمة النصري. فشكا وفد ممن كان مع وثيمة ما أخذه عبد الله

وبالجملة لم يكن لعثمان قصور مما هنالك، وحاله مع عماله كحال الأمير مع عماله، إلا أن عمال عثمان كانوا منقادين لأوامره ومطيعين له، بخلاف عمال الأمير، ومن راجع ما سلف منا من خطب الأمير في حق أتباعه وجنده وأشياعه تبين له صدق هذا الكلام، وأن لا عتب على ذي النورين في ذلك ولا ملام.

وقد كتب الأمير رضي الله عنه إلى المنذر الجارود العبدي (أما بعد فصلاح أبيك غرني وظننت أنك تتبع هداه وتسلك سبيله، فإذا أنت - فيما نما إلي عنك - لا تدع لهواك انقياداً، ولا تبقي لآخرتك عتاداً. تغمر دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك)[1] إلى آخر ما قال.

ومثل هذا كثير في ذلك الكتاب. فكما أن الأمير لا يلحقه طعن بسبب ما وقع من عماله، كذلك عثمان. وإلا فما الفرق؟ والله سبحانه الموفق للهداية وبه نستعيذ من الضلالة والغواية.

ومنها: أن عثمان أدخل الحكم (أبا مروان) بن العاص المدينة وقد أخرجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والجواب: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنما أخرجه لحبه المنافقين وتهيجه الفتن بين المسلمين ومعاونته الكفار، ولما زال الكفر والنفاق بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وقوى الإسلام في خلافة الشيخين لم يبق محذور من إرجاعه إليها.

بن سعد، فقال لهم عثمان: أنا أمرت له بذلك، فإن سخطتم فهو رد، قالوا: إنا نسخطه، فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده، فرده ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح وليس في يده شيء مما افتروا عليه.

(١) نهج البلاغة (٣/ ١٣٢)، الغارات للثقفي (/ ٢/ ٨٩٨)، بحار الأنوار (٣٣/ ٥٠٦).

وقد سبق مما هو مقرر عند الفريقين أن (الحكم إذا علل بعلة ثم زالت زال)(١) وعدم إرجاع الشيخين إياه لما حصل عندهما من ظن بقائه على ما كان عليه في زمن الرسول ﷺ، وقد ارتفع ذلك عن عثمان زمن خلافته؛ لأن الحكم كان ابن أخيه، على أن عثمان قال: اعترضوا عليه بذلك: إني كنت أخذت الإذن من رسول الله ﷺ في مرض موته على دخول الحكم المدينة وعدم قبول أبي بكر ذلك مني لطلبه شاهداً آخر على إذنه ﷺ له بالدخول المدينة. وكذلك عمر. ولما أدت النوبة إلي عملت بما علمت.

وأيضاً قد ثبت أن الحكم قد تاب في آخر عمره من النفاق ومما كان يفعله من التزوير والاختلاق، والله تعالى الهادي إلى طريق السداد، ومنه التوفيق والرشاد.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣/ ١٩٦): (قصة نفي النبي ﷺ للحكم ليست في الصحاح، ولا لها في إسناد يعرف به أمرها). ثم قال: (لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة فإن كان ﷺ طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة. وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه وقالوا: هو ذهب باختياره. وإذا كان النبي ﷺ عزر رجلاً بالنفي لم يلزم أن يبقى منفياً طوال الزمان، فإن هذا لا يعرف في شيء من الذنوب، ولم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفياً دائماً) إلى أن قال: (وقصة الحكم فإنما ذكرت مرسلة، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه، فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدح فيمن هو دون عثمان، والمعلوم من فضائل عثمان، ومحبة النبي ﷺ له وثنائه عليه، وتخصيصه بابنتيه وشهادته له بالجنة، وإرساله إلى مكة (أي في حادث الحديبية) ومبايعته له عنه (أي: بيعة الرضوان)، وتقديم الصحابة له في الخلافة، وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض، وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين ﷺ ورضوا عنه. فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع، ويجعل لعثمان ذنب لا تعرف حقيقته ... إلخ). وانظر أيضاً (٣/ ٢٣٥ - ٢٣٦) من منهاج السنة. وتحقيق الإمام ابن حزم في كتاب الفصل (٤/ ١٥٤)، وما نقله مجتهد اليمن محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم) (١/ ١٤١ - ١٤٢) عن الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلي المتشيع أن رسول الله ﷺ أذن لعثمان في رد الحكم. وترى تفصيل ذلك في العواصم من القواصم (ص:٧٧ - ٧٩) للقاضي أبي بكر بن العربي والتعليقات عليه.

شبهة أن عثمان وهب لأهل بيته وأقاربه كثيراً من المال:

ومنها أن عثمان وهب لأهل بيته وأقاربه كثيراً من المال، وصرف من بيت المال مصارف كثيرة في غير محلها مما يدل على إسرافه، كما أعطى الحكم مائة ألف درهم وأعطى مروان خمس إفريقية[(١)] وخالد بن سيد بن العاص ثلاث مائة ألف درهم وذلك لما جاء من مكة، إلى غير ذلك من الإسراف الوافر والبذل المتكاثر، ومن كان بهذه الأحوال كيف يستحق الإمامة من بين الرجال.

والجواب – على فرض التسليم – أن عثمان ﵁ بذل ذلك من كيسه لا من بيت المال، فإنه كان من المتمولين قبل أن يكون خليفة، ومن راجع كتب السير أقر بهذا الأمر، فقد كان ﵁ يعتق في كل جمعة رقبة، ويضيف المهاجرين والأنصار، ويطعمهم في كل يوم، قد روي عن الإمام الحسن البصري أنه قال: «إني شهدت منادي عثمان ينادي: «يا أيها الناس أغدوا على أعطياتكم «فيغدون فيأخذونها وافرة «يا أيها الناس أغدوا على رزقكم» فيغدون فيأخذونها وافية حتى والله لقد سمعته أذناي يقول: «أغدوا على كسوتكم «فيأخذون الحلل»[(٢)].

ومن راجع كتب التواريخ علم درجة عثمان ﵁، ولم ينقل عن أحد أن الإنفاق في سبيل الله تعالى موجب للطعن[(٣)]، والله تعالى الهادي.

---

(١) هو خمس الخمس لا الخمس، وقد أعطاه لعبد الله بن سعد فاتح إفريقية لا لمروان، وقد علمت مما نقلناه آنفاً عن الطبري أنه استرجعه من عبد الله بن سعد.

(٢) معجم الطبراني الكبير (١/ ٨٧) (١٣١)، الاستيعاب (٣/ ١٠٤١).

(٣) قال الطبري في تاريخه (٥/ ١٠٣): (كان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية، وجعل ولده كبعض من يعطي، فبدأ ببني أبي العاص فأعطي آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف، فأخذوا مائة ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص وبني العيص وفي بني حرب. وقد أشار عثمان إلى ذلك في خطبته المشهورة على منبر رسول الله ﷺ رداً على زعماء الفتنة والبغاة عليه فقال: وقالوا: إني

والذي صح في ابن أبي السرح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده المشكور، ثم عاد فاسترده منه.

جاء في حوادث سنة (٢٧هـ) من تاريخ الطبري أن عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن أبي السرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له: (إن فتح الله عليك غداً إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين من الغنيمة نفلاً» فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا في أرض أفريقية وفتحوها سهلها وجبلها، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ الخمس وبعث أربعة أخماسه إلى عثمان مع وثيمة النصري، فشكا وفد ممن معه ما أخذه عبد الله بن سعد، فقال لهم عثمان: أنا أمرت له بذلك، فإن سخطتم فهو رد، قالوا: إنا نسخطه، فامر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده فرده، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية وقد ثبت في السنة تنفيل أهل الغناء والبأس في الجهاد، كما فعل النبي ﷺ في مكافأة سلمة بن الأكوع في إغارة عبد الرحمن الفزاري على سرح النبي ﷺ)[1].

أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي لهم فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم. وأما إعطاؤهم فإني إنما أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس. وقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتت على أسنان أهل بيتي وفنى عمري وودعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا؟). نعم إن عثمان يود ذوي قرابته، ومودته لهم من فضائله، وهم لذلك أهل ورسول الله ﷺ ما استعان برجال من عشيرة ولا ولى عدداً من فريق بقدر ما استعان برجال بني أمية وولى أموره لرجالهم. وحتى بلدة مكة ولاها لفتى من فتيانهم، وكان هو وكان بقية هؤلاء الرجال الأماجد عند حسن ظنه بهم، وكذلك كانوا مدة أبي بكر وعمر وعثمان وفي كل زمان ومكان إلا النادر منهم، وما هم بمعصومين. وهذا الخلق الكريم في مودة عثمان لذوي رحمه أثنى عليه به علي فقال: (إن عثمان أوصل الصحابة للرحم) وعلي أعرف الناس بابن عمه عثمان وكان عثمان وعلي في زمن النبي ﷺ شديدي الصلة والمحبة فيما بينهما، وكان الناس يحملون ذلك على أنهما من بني عبد مناف.

(١) انظر: المنتقى للمجد ابن تيمية (٤٣١٤) وفي غزوات أخرى (٤٣١٩، ٤٣٢١).

شبهة أن عثمان قد وهب لأصحابه ورفقائه كثيراً من أراضي بيت المال وأتلف حقوق المسلمين:

ومنها: أن عثمان قد وهب لأصحابه ورفقائه كثيراً من أراضي بيت المال وأتلف حقوق المسلمين.

والجواب: أنه كان يأذن لهم بإحياء أراضي الموات، ومن يحيى الموات فهي له لقوله ﷺ: {موتان الأرض لله ولرسوله فمن أحيا منها شيئاً فهو له}[1] ولم يهب لأحد أرضاً معمورة مزروعة كما يعلم ذلك من التاريخ[2].

شبهة أن عثمان قد عزل في خلافته جمعاً من الصحابة عن مناصبهم:

ومنها: أن عثمان قد عزل في خلافته جمعاً من الصحابة عن مناصبهم كما عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة[3] ونصب مكانه عبد الله بن عامر، وعزل عمرو بن

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم (١١٥٦٦).

(٢) قال الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في كتاب الخراج (ص:٦١) طبع المطبعة السلفية: (وقد أقطع رسول الله ﷺ وتألف على الإسلام أقواماً وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا أن في إقطاعه صلاحاً) وضرب أبو يوسف الأمثلة على ذلك. وانظر باب القطائع (ص:٧٧ – ٧٨) من كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي طبع السلفية أيضاً.

وذكر الإمام الشعبي بعض الذين أقطعهم عثمان فقال: (وأقطع الزبير، وخباباً، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وابن هبار. فإن يكن عثمان أخطأ، فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأوا، وهم الذين أخذنا عنهم ديننا) انظر تاريخ الطبري (١٤٨/٤).

(وأقطع علي بن أبي طالب كردوس بن هاني (الكردوسية)، وأقطع سويداً بن غفلة أرضاً لدا ذويه. فكيف ينكرون على عثمان ويسكتون عن عمر وعلي؟) وللقاضي أبي يوسف كلام سديد في هذا الموضوع في كتاب الخراج (ص:٦٠ – ٦٢).

(٣) وفي أول مجيء علي العراق في خلافته كان أبو موسى الأشعري والياً على الكوفة وكان على منبر الكوفة يخطب الناس في فضائل البعد عن الفتنة وما أوصى به النبي ﷺ عند وقوعها. فتركه الشتر يتكلم على

العاص عن مصر ونصب مكانه عبد الله بن سعد مع أنه قد ارتد في عهد الرسول ﷺ ولحق بمشركي مكة وأباح ﷺ دمه يوم الفتح حتى تكفله عثمان فأسلم، وعزل عمار بن ياسر عن الكوفة وعبد الله بن مسعود عن قضائها.

والجواب: أن عزل العمال ونصبهم من وظيفة الخلفاء والأئمة، ولا يلزمهم إبقاء العمال السابقين على حالهم. نعم لا ينبغي العزل من غير سبب وعزل هؤلاء كان لسبب، وقد فصل ذلك في كتب التواريخ فراجعها.

شبهة أن عثمان درأ القصاص عن عبيد الله بن عمر وقد قتل الهرمزان:

ومنها: أن عثمان درأ القصاص عن عبيد الله بن عمر وقد قتل الهرمزان ملك الأهواز الذي أسلم في زمن عمر بعد أن اتهمه في مشاركة من قتل عمر[1]، مع أن القاتل كان أبا لؤلؤة فقط وقد قتل ابنته وقتل أيضاً حنيفة النصراني لاتهامه بذلك، وقد اجتمع الصحابة عليه ليقتص من عبيد الله فلم يوافقهم وأدى ديتهم عنه فخالف حكم الله فليس يليق للإمامة.

المنبر بأحاديث رسول الله وذهب إلى دار الإمارة فاحتلها ومنع من دخولها، وبذلك صار أبو موسى معزولاً يومئذ.

(١) قال القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (ص:١٠٧): (كان ذلك والصحابة متوافرون والآمر في أوله وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه). وفي تاريخ الطبري (٥/ ٤٢) شهادة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق على الهرمزان مروية عن سعيد بن المسيب. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣/ ٢٠٠): (وقد قال عبد الله بن عباس لما طعن عمر – وقال له عمر: كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة – فقال ابن عباس: إن شئت نقتلهم. قال ابن تيمية: فهذا ابن عباس وهو أفقه من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير يستأذن عمر في قتل علوج الفرس مطلقاً الذين كانوا في المدينة. لما اتهموهم بالفساد، اعتقدوا جواز مثل هذا. وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين في الأرض المحاربين فيجب أنه يقتل عمر بن الخطاب، فإنهم يعيدون لمقتل عمر ويسمون قاتله وهو أبو لؤلؤة (بابا شجاع الدين).

والجواب: أن القصاص لم يثبت في تلك الصور، لأن ورثة الهرمزان لم يكونوا في المدينة بل كانوا في فارس، ولما أرسل عليهم عثمان لم يحضروا المدينة خوفاً كما ذكر المرتضى في بعض كتبه(١). وشرط حضور جميع ورثة المقتول كما ذهبت إليه الحنفية، فلم يبق إلا الدية، وقد أعطاها من بيت المال لا من القاتل، ولأن بنت أبي لؤلؤة كانت مجوسية، وجفينة كان نصرانياً، وقد قال ﷺ: {لا يقتل مسلم بكافر}(٢) وهذا ثابت عندهم، على أنه لو اقتص عثمان من عبيد الله لوقعت فتنة عظيمة لأن بني تيم وبني عدي كانوا مانعين من القتل، وكانوا يقولون: لو اقتص عثمان من عبيد الله لحاربناه، ونادى عمرو بن العاص وهو رئيس بني سهم فقال: أيقتل أمير المؤمنين أمس ويقتل ابنه اليوم؟ لا والله لا يكون هذا أبداً، وهذا كما ثبت عندهم من أن الأمير لم يقتص من قتلة عثمان خوفاً من الفتنة.

شبهة أن عثمان غيَّر سنة رسول الله ﷺ لأنه صلى أربع ركعات في منى:

ومنها: أن عثمان غير سنة رسول الله ﷺ لأنه صلى أربع ركعات في منى مع أنه ﷺ كان يقصر الصلاة الرباعية في سفره دائماً، وقد أنكر عليه جماعة من الصحابة ذلك الفعل.

والجواب: أن عثمان ما كان إذ ذاك مسافراً لأنه تزوج في مكة وتبوأ منزلاً فيها وأقام في تلك البقعة المباركة، ولما اطلع الأصحاب على حقيقة الحال زال عنهم الإنكار والإشكال.

---

(١) في رواية للطبري في تاريخه (٥/ ٤٣ - ٤٤) عن سيف بن عمر عن أشياخه أن القماذ بن الهرمزان دعاه عثمان وأمكنه من عبيد الله فقال القماذ باذ: (تركته لله ولكم). وانظر تفاصيل ذلك في التعليقات على العواصم من القواصم (ص:١٠٦ – ١٠٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١١١).

شبهة ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه وابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه:

والجواب: وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً.

وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشتغل بها؛ لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا نذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له.

شبهات حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شرَّفها الله سبحانه بأن تكون زوجة لخير خلق الله محمد ﷺ، نالت أشد الطعون من هؤلاء المفترين، وسوف نسرد هذه المطاعن، ونرد عليها ذابين عن خير نساء الأرض التي قال عنها الرسول ﷺ: {فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام}(١)، وقال لها: {إنه لَيُهوَّن عليَّ الموت أنْ أُريتُكِ زوجتي في الجنة، يعني عائشة}(٢).

فأقول وبالله التوفيق:

الادعاء على عائشة في الفتنة:

يقول أحدهم: (ونتساءل عن حرب الجمل التي أشعلت نارها أم المؤمنين عائشة إذ كانت هي التي قادتها بنفسها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي أمرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

ونسأل: بأي حق استباحت أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين علي بن أبي طالب. وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة. وكالعادة وبكل بساطة يجيبنا علماء السنة بأنها لا تحب الإمام علياً؛ لأنه أشار على رسول الله بتطليقها في حادثة الإفك، ويريد هؤلاء إقناعنا بأن هذه الحادثة (إن صحّت) وهي إشارة علي على النبي بتطليقها كافية بأن تعصي أمر

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٧٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٣٩) (٩٨).

ربّها وتهتك ستراً ضربه عليها رسول الله، وتركب جملاً نهاها رسول الله أن تركبه، وحذّرها أن تنبحها كلاب الحوأب، وتقطع المفازات البعيدة من المدينة إلى مكة ومنها إلى البصرة، وتستبيح قتل الأبرياء ومحاربة أمير المؤمنين والصحابة الذين بايعوه، وتسبّب في قتل ألوف المسلمين كما ذكر ذلك المؤرخون كل ذلك لأنها لا تحبّ الإمام علياً الذي أشار بتطليقها ومع ذلك لم يطلقها النبي).

أقول:

١- إن أهل السنة في هذا الباب وغيره قائمون بالقسط شهداء لله، وقولهم حق وعدل لا يتناقض. وأما هؤلاء ففي أقوالهم من التناقضات الشيء الكثير، وقد ذكرنا أمثلة كثيرة منها، وذلك أن أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة، وكذلك أمهات المؤمنين: عائشة وغيرها، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء.

وأهل السنة يقولون: إن أهل الجنة ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ، بل ولا عن الذنب، بل يجوز أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه، وهذا متفق عليه بين المسلمين.وإذا كان هذا أصلهم فيقولون: ما يذكر عن الصحابة من السيئّات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم، وما قدّر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم: إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفّرة، وإما بغير ذلك، فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه: أنهم من أهل الجنة، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحد منهم على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم الجنة. ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة، ولو لم يعلم أن أولئك المعينين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز في آحاد

المؤمنين الذين لم يعلم أنهم يدخلون الجنة، ليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلك، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين، والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد منهم باطناً وظاهراً وحسناته وسيئاته واجتهاداته، أمر يتعذر علينا معرفته؟! فكان كلامنا في ذلك كلاماً فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام.

ولهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال، إذ كان كثير من الخوض في ذلك أو أكثره كلاماً بلا علم، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوىً ومعارضة الحق المعلوم، فكيف إذا كان كلاماً بهوىً يطلب فيه دفع الحق المعلوم؟! فمن تكلّم بهذا الباب بجهل أو بخلاف ما يعلم من الحق كان مستوجباً للوعيد، ولو تكلّم بحق لقصد اتباع الهوى لا لوجه الله تعالى، أو يعارض به حقاً آخر لكان أيضاً مستوجباً للذّم والعقاب، ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم، و رضي الله عنهم واستحقاقهم الجنة وأنهم خير هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، لم يعارض هذا المتيَقَّن المعلوم بأمور مشتبهة: منها ما لا يعلم صحته ومنها ما يتبين كذبه، ومنها ما لا يعلم كيف وقع، ومنها ما يعلم عذر القوم فيه، ومنها ما يعلم توبتهم منه، ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال، وإلا حصل في جهل وكذب وتناقض كحال هؤلاء الضلال).

٢- أما أن عائشة أشعلت حرب الجمل فهذا من أبين الكذب؛ لأن عائشة لم تخرج للقتال، بل خرجت للإصلاح بين المسلمين، واعتقدت في خروجها مصلحة ثم ظهر لها أن عدم خروجها هو الأسلم لذلك ندمت على خروجها، وثبت عنها أنها قالت: «وددت أني كنت غصنا رطباً ولم أسر مسيري هذا»[1]، وعلى فرض أن عائشة قاتلت

---

(١) رواه ابن أبي شيبة برقم (٣٧٨١٨).

عليّا مع طلحة والزبير، فهذا القتال يدخل في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:٩-١٠] فأثبت لهم الإيمان مع أنهم قاتلوا بعضهم بعضاً، وإذا كانت هذه الآية يدخل فيها المؤمنون فالأولى دخول هؤلاء المؤمنين أيضاً، بل خيارهم.

٣- أما قوله: (فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي أمرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾ [الأحزاب:٣٣]

فجواباً على ذلك أقول:

أ- أن عائشة رضي الله عنها بخروجها هذا لم تتبرج تبرّج الجاهلية الأولى!

ب- (والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة أو خرجت مع زوجها في سفرة، فإن هذه الآية نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهنّ رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة رضي الله عنها وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن كما كنّ يحججن معه في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائز فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين، فتأولت في ذلك)[1].

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٣١٧-٣١٨).

٤- أما ادعاؤه أن عائشة استباحت قتال عليّ بن أبي طالب لأنها لا تحب علياً، والسبب أنه أشار على رسول الله ﷺ بتطليقها في الإفك وأن هذا هو جواب علماء أهل السنة! فأقول:

أ- إذا كان هذا هو جواب علماء أهل السنة فهلاّ سقت لنا أيها الطاعن قولاً لواحد منهم أم أن الكذب تجاوز معك أعلى الحدود، بحيث لا تذكر قضية إلا وتُطَعِّمَها بالباطل والبهتان.

ب وأما حديث الإفك الذي برّأ الله فيه أم المؤمنين من فوق سبعة أعظم، ففي جزء منه يطلب النبي ﷺ استشارة بعض أصحابه في فراق عائشة فيكون رأي عليّ بقوله: «لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك»(١) وعليّ بقوله هذا لم يشر عليه بترك عائشة لشيء فيها معاذ الله، ولكنه لما رأى شدّة التأثر والقلق على النبي ﷺ فأحب راحته فأشار عليه بذلك وهو يعلم أنه يمكن مراجعتها بعد التحقق من براءتها، أو بسؤال الجارية لأن في ذلك راحة له أيضاً ولم يجزم عليه بفراقها، وهذا واضح من كلام عليّ رضي الله عنه، لذلك يقول ابن حجر: (وهذا الكلام الذي قاله علي حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى عليّ أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكب أخف الضررين لذهاب أشدهما)(٢).

ويقول النووي رحمه الله: (هذا الذي قاله عليّ رضي الله عنه هو الصواب في حقه؛ لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى

---

(١) رواه البخاري برقم (٤١٤١).

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٦٨).

انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره)[١].

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: (لم يجزم عليّ بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله: «سل الجارية تصدقك» ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع براءتها، لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة)[٢].

٥- أما قوله: (ويريد هؤلاء إقناعنا بأن هذه الحادثة إن صحت وهي إشارة علي على النبي بتطليقها كافية بأن تعصي أمر ربها وتهتك ستراً ضربه عليها رسول الله، وتركب جملاً نهاها رسول الله أن تركبه، وحذّرها أن تنبحها كلاب الحوأب، وتقطع المسافات البعيدة من المدينة إلى مكة ومنها إلى البصرة، وتستبيح قتل الأبرياء ومحاربة أمير المؤمنين والصحابة الذين بايعوه، وتسبب في قتل ألوف المسلمين كما ذكر ذلك المؤرخون) ويشير بالهامش إلى هؤلاء المؤرخين (الطبري وابن الأثير والمدائني وغيرهم من المؤرخين الذين أرّخوا حوادث سنة ست وثلاثين للهجرة).

وجواباً على ذلك أقول:

أ- لو راجعنا تاريخ الطبري الذي أرّخ حوادث سنة ست وثلاثين للهجرة لما وجدناه يروي عن هذه الحادثة مثل ما يقول هذا الطاعن، مع أنه يذكر الكثير من الروايات التي تتحدث عن وقعة الجمل فيروي خلاف ما يقوله هذا الطاعن، ويثبت أن عائشة جاءت مع طلحة والزبير من أجل الإصلاح، فيذكر أن علياً يبعث القعقاع

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٠٨).

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٦٨)

بن عمرو إلى أهل البصرة يستفسرهم عن سبب خروجهم (... فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة ﵂ فسلم عليها، وقال: أي أُمّة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بنيّة إصلاحٌ بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين: ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان)[1].

ويثبت أن المتسببين بقتل الألوف من المسلمين هم قتلة عثمان فيقول: (فلما نزل الناس واطمأنوا خرج عليّ وخرج طلحة والزبير فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصّلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، وأنه لا يُدرك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما، وبعث علي من العشيّ عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثاهما من العشيّ محمد بن طلحة إلى عليّ، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم، فلما أمْسوا وذلك في جمادى الآخرة أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذين هضُّموا عثمان، فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا مثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه، والنُّزوع عما اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة باتوها قطّ، قد أشرفوا على الهَلَكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلّها، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السرّ، واستسرّوا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشرّ، فغدوا مع الغلَس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسلّوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظلمة، فخرج مُضَريُّهم إلى مُضرِيِّهم، ورَبعيَهم إلى رَبعيِّهم، ويمانيُّهم إلى يمانيِّهم،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٢٩).

فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بَهَتوهم...)[(١)].

وقال الطبري أيضاً: (وقالت عائشة: خلّ يا كعب عن البعير، وتقدّم بكتاب الله ﷻ فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً. وأقبل القوم وأمامهم السبئيّة يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعليّ من خلفهم يَزَعُهم ويأْبون إلا إقداماً، فلما دعاهم كعب رشَقوه رِشقاً واحداً، فقتلوه، ورمَوا عائشة في هودجها، فجعلت تنادي: يا بنيَّ، البقيَّة البقيَّة ويعلو صوتها كثرة الله الله، اذكروا الله ﷻ والحساب، فيأْبون إلا إقداماً، فكان أوّل شيء أحدثته حين أبوْا قالت: أيُّها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقْبلت تدعو. وضجّ أهل البصرة بالدعاء، وسمع عليُّ بن أبي طالب الدعاة فقال: ما هذه الضجّة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل يدعو ويقول: اللهم العنْ قتلةَ عثمان وأشياعهم)[(٢)].

وهذا هو ما أرخه أيضاً ابن الأثير في تاريخه[(٣)] ولم أجد كتاب المدائن، ويعضد هذه الحقيقة الروايات الصحيحة التي تثبت أن عائشة والزبير وطلحة وعليّ لم يكونوا يريدون قتال بعضهم بعضاً، ولذلك ندمت عائشة على مسيرها وقالت: «وددت أني غصناً رطباً ولم أسر مسيري هذا»[(٤)].

وقالت أيضاً: «وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام وأني لم أسر مسيري مع ابن الزبير»[(٥)].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٩).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٣).

(٣) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٣٣-٢٤٥).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٨) (٤٦٠٩).

فلو كانت تريد القتال دون الإصلاح فلماذا الندم؟!

ثم يقول: (فلماذا كل هذه الكراهية وقد سجّل المؤرخون لها مواقف عدائية للإمام عليّ لا يمكن تفسيرها، فقد كانت راجعة من مكة عندما أعلموها في الطريق بأن عثمان قتل ففرحت فرحاً شديداً ولكنَّها عندما علمت أن الناس قد بايعوا علياًّ غضبت وقالت: وددت أن السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب وقالت: ردّوني وبدأت تشعل نار الفتنة للثورة على علي الذي لا تريد ذكر اسمه كما سجّله المؤرخون عليها، أفلم تسمع أم المؤمنين قول الرسول ﷺ: {بأن حبّ علي إيمان وبغضه نفاق} حتى قال بعض الصحابة: «كنا لا نعرف المنافقين إلا ببغضهم لعلي» أولم تسمع أم المؤمنين قول النبي: {من كنت مولاه فعلي مولاه}... أنها لا شك سمعت كل ذلك ولكنها لا تحبه ولا تذكر اسمه بل إنها لما سمعت بموته سجدت شكراً لله).

فأقول:

١- قوله بأن عائشة فرحت بقتل عثمان فرحاً شديداً لا يدل إلا على كذبه كذباً أكيداً! فلم يقل أحد من أهل التاريخ ذلك بل أثبتوا جميعاً أن عائشة ما خرجت إلا للقصاص من قتلة عثمان، وأنا أتساءل: إذا كانت عائشة فرحت لمقتل عثمان فلماذا خرجت؟ هل خرجت من أجل منع علي بن أبي طالب من تولي الخلافة؟! هذا الطاعن يقول: نعم! وإذا سئل عن السبب فسيقول بأنها تكرهه؛ لأنه أشار على النبي ﷺ بتطليقها؟! فأقول له: إذا كانت عائشة تكره علياً فكيف نفسّر خروج الآلاف معها؟! فهل هناك سبب منطقي عند هذا الطاعن يبين فيه سبب موافقة هؤلاء الناس لعائشة؟ أم هؤلاء يكرهونه أيضاً؟ فإذا أجاب بنعم، فأسأله: هل من سبب لهذا الكره؟ فإن كان يملك جواباً فحيهلا، وإذا لم يملك لذلك جواباً فأُبَشِّرُهُ أنه من أضل الناس!!

٢- يدعي هذا الطاعن أن المؤرخين سجلوا على عائشة أنها لا تريد ذكر اسم علي، ونحن نسأله من هؤلاء المؤرخون؟ فهل تستطيع أن تحددهم لنا حتى نعرف الصادق من الكاذب؟ وما هي المراجع التي عوَّلت عليها؟

ولكن الصحيح المعلوم أن عائشة ذكرت علياً بملأ فمها، فعن شريح بن هانئ قال: سألت عائشة عن المسح فقالت: {ائت علياً فهو أعلم مني قال: فأتيت علياً فسألته عن المسح على الخفين قال: فقال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نمسح على الخفين يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثاً}.

كما أخرج مسلم بسنده إلى شريح بن هانئ قال: {أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين فقالت: عليك بابن أبي طالب فسله...}[1] إلخ).

٣- ثم يذكر حديثان في فضل علي ويقول: (أولم تسمع أم المؤمنين قول النبي: {من كنت مولاه فعلي مولاه}.. أنها لا شك سمعت كل ذلك ولكنها لا تحبه ولا تذكر اسمه بل أنها لما سمعت بموته سجدت لله شكراً)!!

فأقول:

أ- لقد قلت بأن عائشة لا تبغض علياً ولكنها خالفته لا لشيء إنما للطلب بدم عثمان ولم تذهب لقتاله بل ذهبت من أجل الإصلاح بين الناس لذلك ذهبت تحت رغبة الناس في محاولة للإصلاح، ويذكر ابن العماد في شذرات الذهب: (وحين وصل علي إلى البصرة، جاء إلى عائشة وقال لها: غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح)[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شذرات الذهب (١/ ٤٢).

ويوضح ابن العربي ذلك بقوله: (وأما خروجها إلى حرب الجمل، فما خرجت لحرب ولكن تعلّق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، وتهارج الناس ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق، وظنّت هي ذلك فخرجت عاملة بقول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء:١١٤]... الآية، ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩])[١].

ونقل ابن حبان: (أن عائشة كتبت إلى أبي موسى وهو والي الكوفة من قبل عليّ: إنه قد كان من أمر عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلكم بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبّون من صلاح أمر المسلمين)[٢].

فهذا هو سبب خروج عائشة وليس بسبب بغضها لعلي، فهذا من الكذب المكشوف الذي لا يستند إلى أي دليل صحيح.

ب- أما قوله: (... بل أنها لما سمعت بموته سجدت شكراً لله) ثم يشير بالهامش إلى المراجع التي استقى منها ادعاؤه هذا وهي (الطبري وابن الأثير والفتنة الكبرى وكل المؤرخين الذين أرخوا حوادث سنة أربعين للهجرة).

فرجعت إلى الطبري وابن الأثير في حوادث سنة أربعين فلم أر لهذه الدعوى أثراً فلله أبوه ما أكذبه!

ثم يقول: (ونفس السؤال يعود دائماً ويتكرر: أيهم على الحق وأيهم على الباطل،

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٦٩).

(٢) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).

فإما أن يكون علي ومن معه ظالمين وعلى غير الحق، وإما أن تكون عائشة ومن معها وطلحة والزبير ومن معهم ظالمين وعلى غير الحق، وليس هناك احتمال ثالث، والباحث المنصف لا أراه إلا مائلاً لأحقّية علي الذي يدور الحق معه حيث دار، نابذاً فتنة أم المؤمنين عائشة وأتباعها الذين أوقدوا نارها وما أطفؤوها حتى أكلت الأخضر واليابس وبقيت آثارها إلى اليوم. ولمزيد البحث وليطمئن قلبي أقول: أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر، قال: {لمّا سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر والحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمّار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: أنّ عائشة قد سارت إلى البصرة ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي}(١).

أقول:

أ- بل هناك احتمال ثالث وهو أن الطرفين قد اجتهدا للوصول للحق، ولم يكن أي من الطرفين ظالماً؛ لأن فتنة قتل عثمان فرقت الأمة إلى فرقتين: فرقة ترى وجوب قتل قتلة عثمان على الفور وهم طلحة والزبير وعائشة، وفرقة ترى وجوب قتل قتلة عثمان، ولكن يجب التروي في ذلك حتى تتمكن الوصول لهذا الهدف؛ لأن هؤلاء القتلة كانت لهم قبائل تدفع عنهم وهو رأي علي وأصحابه، وهؤلاء القتلة هم المتسببون في وقعة الجمل، وليس لكلا الفرقتين أي تسبب في إشعال المعركة كما بينت سابقاً.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٠٠).

ب- أما رواية البخاري التي اطمأن بها قلب هذا الطاعن فهي من أعظم الدلائل على فضل عائشة ولكن ماذا نقول عن جاهل يحتج على أهل السنة بروايات هي حجة عليه وعلى شيعته من قبل أن تكون حجة على أهل السنة ففي الحديث يشهد عمار لأم المؤمنين رضي الله عنها بأنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة! أي في الجنة؟! فهل من فضل ومكرمة أعظم من ذلك وهل استحقت هذا الفضل العظيم إلا برضا الله سبحانه عنها ورسوله الكريم ﷺ، أما بالنسبة لقول عمار فإنه من أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأراد حث الناس للخروج مع علي ولكنهم ترددوا؛ لأن أم المؤمنين كانت في الطرف المقابل لعلي، فبين لهم أنّ الحق مع علي لأنه الخليفة، ويجب أن يطاع كما أمركم الله سبحانه وذلك قبل المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان كما ترى أم المؤمنين.

ولا شك أن أم المؤمنين وطلحة والزبير كانوا يرون أن المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان قبل الخضوع لخلافة علي هو أمر الله تعالى أيضاً كما بينت ذلك لعثمان بن حنيف عندما بعث يسألها عن مسيرها فقالت: «والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطّي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزّاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووْا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تِرَة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام وأحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزّقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارّين مضرّين، غير نافعين ولا متقين، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا. وقرأت ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء:١١٤] ننهض في الإصلاح من أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير

والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروفٍ نأمركم به، ومنكر ننهاكم عنه، ونحثّكم على تغييره»(١).

هذا وإذا أضفنا إلى ذلك أن أوّل من رشّح علياً للخلافة هم هؤلاء الغوغاء، وأنهم في جيش عليّ، ومن هنا يتضح أن كل طرف ظن أن الحق معه، وتأوّل خطأ الآخر، وخرج الطرفان للإصلاح كما بينت، ولم يكونا يريدان القتال ولكنه وقع، فلله الأمر من قبل ومن بعد، وإذا أراد الله أمراً أصابه.

شبهة إشارة النبي ﷺ نحو مسكن عائشة وقوله: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان:

ثم يقول: (كما أخرج البخاري أيضاً في كتاب الشروط باب ما جاء في بيوت أزواج النبي، قال: {قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان}).

قلت:

١- فتحت البخاري كتاب الشروط فلم أجد الباب المذكور من ضمن كتاب الشروط، بل الحديث موجود في أبواب الخمس، وليس باب ما جاء في بيوت أزواج النبي المزعوم، وهذا يدل أن هذه الشبهة لقّنت لهؤلاء تلقيناً!

٢- وهذا الطاعن يحتج بهذا الحديث على أن عائشة هي مصدر الفتن!؟ وهذا ادعاء ظاهر البطلان، لأن النبي ﷺ أراد المشرق، ولو أراد بيت عائشة لقال الراوي: (إلى) وليس (نحو).

وفي رواية مسلم عن ابن عمر: {خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ١٤).

رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان، يعني المشرق}[١].

وعن ابن عمر أيضاً {أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان}[٢].

وحتى أقطع الشك باليقين أذكر رواية مسلم أيضاً عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة (وفي رواية عبيد الله بن سعيد: قام رسول الله ﷺ عند باب عائشة) فقال بيده نحو المشرق: {الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان، قالها مرتين أو ثلاثاً}[٣]. وأظن أنه قد ظهر الحق للعيان وافتضح أولياء الشيطان!

شبهة أخرى: روى البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير) ج ٤ ص ١٠٠ باب ما جاء في أزواج الرسول عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: {قام النبي ﷺ خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ها هنا الفتنة ها هنا الفتنة ها هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قرن الشيطان} وجاء في صحيح مسلم (كتاب الفتن باب الفتنة من المشرق) ٢-٥٦٠ و١٨-٣١و٣٣ بشرح النووي {أن رسول الله خرج من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان}.

الرد:

١ - الذي أعرفه أن البيت ينسب للرجل وليس للمرأة... فالبيت هو بيت الرسول ﷺ فنعوذ بالله أن تكون بيوت الرسول منبع الكفر والزندقة والفتن والجهالات، بل الذي يخرج من بيته صلوات الله وسلامه عليه الهدى والنور والرحمة للبشرية جمعاء. والطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٠٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ثم النبي لم يقل: إن عائشة أو بيتها هو الكفر والفتنة... والنبي إذا أراد الخروج لأصحابه خرج من بيته ليحدثهم ويشير إلى أي الاتجاهات... ثم ألم تعلم أن النبي مقبور في بيت عائشة فإلى أي المعاني تريد أن تصل إليها؟!

الرسول ﷺ أراد جهة المشرق ولم يرد مسكن عائشة رضي الله عنها، ومعروف أن مسكن عائشة رضي الله عنها يقع شرق منبر الرسول ﷺ حينذاك، ويؤكد ذلك زيادة تفسير الرسول ﷺ بقوله: {حيث يطلع قرن الشيطان}.

وهاك أحاديث أيضاً تؤكد ذلك في صحيح البخاري الحديث رقم (١٠٣٧): حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا حسين بن الحسن قال: حدثنا ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: قال: {اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان}.

ومعروف أن نجد العراق إلى الشرق من المدينة المنورة.

وفي صحيح البخاري الحديث رقم (٣٢٧٣) حدثنا محمد أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر رضي اللهم عنهما قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: {إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان لا أدري أي ذلك قال هشام}.

وفي النسائي الحديث رقم (٥٥٦): أخبرنا قتيبة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال: {الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها فإذا استوت قارنها، فإذا زالت فارقها، فإذا دنت للغروب قارنها، فإذا غربت فارقها ونهى رسول الله صلى

اللهم عليه وسلم عن الصلاة في تلك الساعات}.

هل رأيت (الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان) هل اتضحت الرؤية عندك.

ونحن لا نؤول الأحاديث على هوانا ونحملها ما لا تحتمل كما ذكرت قد وضحت الأحاديث التي فرحت بها وأردت بها الإساءة للسيدة عائشة رضي الله عنها أقول: قد وضحتها بأحاديث أخرى وردت.

وزيادة في الخير خذ هذه الأحاديث:

- في صحيح البخاري حديث رقم (٣٢٧٩): حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالكٍ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي اللهم عنهما قال: {رأيت رسول الله صلى اللهم عليه وسلم يشير إلى المشرق فقال: إن الفتنة ها هنا.. إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان}.

إذاً هنا زيادة إيضاح يشير إلى المشرق.

- في صحيح مسلم حديث رقم (٢٩٠٥): حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثني محمد بن رمح أخبرنا الليث عن نافع عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى اللهم عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: {ألا إن الفتنة هاهنا.. ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان}.

إذاً هنا زيادة إيضاح (وهو مستقبل المشرق).

- في صحيح مسلم حديث رقم (٢٩٠٥): حدثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال وهو مستقبل المشرق: {ها إن الفتنة ها هنا، ها إن الفتنة ها هنا، ها إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان}.

إذاً هنا زيادة إيضاح أيضاً (وهو مستقبل المشرق).

والمقصود بنجد هي أرض العراق وما جاورها من بلاد فارس أرض الفتن والمحن حيث ظهرت منها الفتن التالية: السبئية، الخوارج، المعتزلة، الخرمية، القرامطة، البابية، البهائية، وغير ذلك كثير.

حقيقة قرن الشيطان:

جاء حديث قرن الشيطان بألفاظ متعددة منها:-

جهة العراق، جهة المشرق، جهة نجد، جهة بيت السيدة عائشة.

وكل هذه الأحاديث بمعنى واحد وهو أرض العراق، فكما نعلم أنه لا يمكن أن يكون هناك حديث صحيح يعارض حديثاً صحيحاً آخر، وأحاديث الرسول ﷺ يفسر بعضها بعضاً، وسوف نثبت إن شاء الله أن «قرن الشيطان» أي أعوان الشيطان يخرج من العراق وليس من غيرها.

جاء في الحديث: {اللهم بارك لنا في مكتنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدنا. فقال رجلٌ: يا رسول الله وفي عراقنا؟! فأعرض عنه، فرددها ثلاثاً، كل ذلك يقول الرجل: وفي عراقنا؟! فيعرض عنه فقال: بها الزلازل والفتن، وفيها يطلع قرن الشيطان} قال الألباني: (أخرجه يعقوب الفسوي في المعرفة (٢/ ٧٤٦-٧٤٨) والمخلّص في الفوائد المنتقاة (٧/ ٢-٣) والجرجاني في الفوائد (٢/ ١٦٤) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٣٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٢٠) من طرق عن توبة العنبري عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي ﷺ دعا، فقال: ذكره. قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين)(١).

(١) السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٠٢) حديث رقم (٢٢٤٦) طبعة مكتبة المعارف ١٩٩٥م. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٢٠٤، ٣٠٨٦)، وقريب منه في صحيح فضائل الشام (٨).

وفي رواية: {اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا ومكتنا ومدينتنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا، فقال رجل: وعراقنا، قال: إن فيها قرن الشيطان وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق} رواه الهندي في كنز العمال (٣٥١١٦) (٣٨١٥٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨١٦، ٥٨١٧، ١٦٦٣٧) وقال: (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات).

قال الألباني: (وقد تابعه زياد بن بيان: ثنا سالم به. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٤٦/ ١/ ٤٢٥٦) وأبو علي القشيري الحراني في تاريخ الرقة (٢/ ٢٠/ ١-٢) والربعي في فضائل الشام ودمشق (١١/ ٢٠) وابن عساكر (١/ ١٢١-١٢٢) وقال الطبراني: (لم يروه عن زياد إلا إسماعيل تفرد به ابنه حماد!) كذا قال! وهو عند ابن عساكر من طريق سليمان بن عمر بن خالد الأقطع: ثنا إسماعيل بن إبراهيم - وهو ابن علية - به. وعند القشيري من طريق العلاء بن إبراهيم: ثنا زياد بن بيان به. قلت - أي الألباني -: وزياد بن بيان - هو الرقي - صدوق عابد، كما قال الحافظ في التقريب ترجمة رقم (٢٠٥٧) طبعة دار الرشيد/ حلب ١٩٩٢ م، فالإسناد جيد.

وتابعه نافع عن ابن عمر به، ولم يذكر مكة. أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٨٤/ ١٣٣٢٢).

وفي الأوسط أيضاً (١/ ٢١٥/ ١/ ٣٨٥١) من طريق إسماعيل بن مسعود: نا عبيد الله بن عبد الله بن عون عن أبيه عنه. قلت: وهذا إسناد جيد أيضاً، عبيد الله هذا قال البخاري في تاريخه (٣/ ١/ ٣٨٨): معروف الحديث. وقال ابن أبي حاتم (٢/ ٢/ ٣٢٢) عن أبيه: (صالح الحديث).

وتابعه أزهر بن سعد أبو بكر السمان: أخبرنا ابن عون به، إلا أنه قال: (نجدنا)

مكـان (عراقنـا) والمعنـى واحـد. أخرجـه البخـاري (١٠٣٧، ٧٠٩٤) والترمـذي (٣٩٤٨) وابـن حبـان (٧٢٥٧) الإحسان والبغـوي في شرح السنة (١٤/ ٢٠٦/ ٤٠٠٦) وصححوه، وأحمد (٢/ ١١٨) وابن عساكر (١/ ١٢٢-١٢٤).

وتابعه عبد الرحمن بن عطاء عن نافع به، إلا أنه قال: (مشرقنا) بدل (عراقنا) وزاد في آخره: (وبها تسعة أعشار الشر). أخرجه أحمد (٢/ ٩٠) والطبراني في الأوسط (١/ ١٠٢/ ٢/ ٢٠٨٧) وابن عساكر (١/ ١٢٥). وقال الطبراني: (لم يروه عن عبد الرحمن بن عطاء إلا سعيد بن أبي أيوب، تفرد به ابن وهب). قلت: ولفظ الزيادة عنده: (وبه تسعة أعشار الكفر، وبه الداء العضال). فلعله يعني بالتفرد هذه الزيادة، وإلا فالحديث مع الزيادة الأولى قد تابعه عليه أبو عبد الرحمن - وهو عبد الله بن يزيد - عند أحمد وابن عساكر، ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبد الرحمن بن عطاء، وهو ثقة على ضعف فيه، كما يشعر به قول الحافظ - ابن حجر العسقلاني - في التقريب ترجمة رقم (٣٩٥٣): (صدوق فيه لين). فعندي وقفة في ثبوت هذه الزيادة، لتفرد عبد الرحمن بها دون سائر الرواة، ولا سيما وقد رواها الفسوي (٧٥٠، ٧٥١) عن ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما موقوفاً، ولا يظهر لي أنها في حكم المرفوع. والله أعلم).

ثم قال الألباني: (وإنما أفضت في تخريج هذا الحديث الصحيح وذكر طرقه وبعض ألفاظه، لأن بعض المبتدعة المحاربين للسنة والمنحرفين عن التوحيد يطعنون في الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد دعوة التوحيد في الجزيرة العربية، ويحملون الحديث عليه باعتباره من بلاد (نجد) المعروفة اليوم بهذا الاسم وجهلوا أو تجاهلوا أنها ليست المقصودة بهذا الحديث، وإنما هي (العراق) كما دل عليه أكثر طرق الحديث، وبذلك قال العلماء قديماً كالإمام الخطابي وابن حجر العسقلاني وغيرهم. وجهلوا أيضاً أن كون الرجل من بعض البلاد المذمومة لا يستلزم أنه هو مذموم أيضاً إذا كان

صالحاً في نفسه، والعكس بالعكس، فكم في مكة والمدينة والشام من فاسق وفاجر، وفي العراق من عالم وصالح، وما أحكم قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء حينما دعاه أن يهاجر من العراق إلى الشام: أما بعد، فإن الأرض المقدسة لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسان بعمله)(١).

قال ابن حجر: (وفي رواية عبد الرزاق: {ها هنا أرض الفتن وأشار إلى المشرق يعني حيث يطلع قرن الشيطان} وفي رواية شعيب {ألا إن الفتنة ها هنا يشير إلى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان} وفي رواية يونس مثل معمر لكن لم يقل: {أو قال: قرن الشمس} بل قال: {يعني المشرق} ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم: سمعت ابن عمر يقول: {سمعت رسول الله ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول: ها إن الفتنة هاهنا ثلاثا حيث يطلع قرن الشيطان} وله من طريق حنظلة عن سالم مثله لكن قال: {إن الفتنة ها هنا ثلاثاً} وله من طريق فضيل بن غزوان: {سمعت سالم بن عبد الله ابن عمر يقول: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة، سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من هاهنا، وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان})(٢).

وقال الخطابي: (نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة انتهى وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي أن نجداً من ناحية العراق فإنه توهم أن نجداً موضع مخصوص،

---

(١) السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٠٢-٣٠٥).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٦).

وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غورا)[١].

ويقول الشيخ العلامة عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن: (إن المراد بالمشرق ونجد في هذا الحديث وأمثاله هو العراق لأنه يحاذي المدينة من جهة المشرق، يوضحه إن في بعض الأحاديث: {وأشار إلى العراق} وقال الداوودي: إن نجداً من ناحية العراق. ذكر هذا الحافظ ابن حجر، ويشهد لهذا ما في مسلم عن ابن عمر قال: {يا أهل العراق سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من ها هنا وأومأ بيده إلى المشرق} فظهر إن هذا الحديث خاص لأهل العراق؛ لأن النبي ﷺ فسر المراد بالإشارة الحسية، وقد جاء صريحاً في المعجم الكبير للطبراني النص على إنها العراق، وقول ابن عمر وأهل اللغة وشهادة الحال كل هذا يعين المراد)[٢] اهـ.

ويقول العلامة الشيخ سليمان بن سحمان: (قد كان بلد الشيخ اليمامة ولم تكن اليمامة مشرق المدينة، بل مشرق العراق، فليست مشرق المدينة، ولا هي وسط المشرق بين المدينة والعراق، بل اليمامة شرق مكة المشرفة)[٣] اهـ.

وقال الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله وغفر له: (إن الروايات الواردة في طلوع قرن الشيطان من المشرق كلها عن عبد الله بن عمر، وقد صرح في بعضها إن المراد بالمشرق أرض العراق، فبطل بذلك كل ما يتعلق به الملاحدة على أهل الجزيرة العربية)[٤] اهـ.

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٧).

(٢) منهاج التأسيس والتقديس كشف شبهات داود بن جرجيس (١/ ٩٢-٩٣).

(٣) الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد (ص ٩٧).

(٤) إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة (ص١٣٢) باختصار.

ومعلوم إن إمام الدعوة المباركة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ولد ونشا وابتدأ الدعوة إلى التوحيد في اليمامة، ولا شك أن اليمامة من نجد وهي أشهر بلدان نجد آنذاك ففيها أشد قبائل العرب – قبيلة بني حنيفة – وكان العرب إذا أرادوها سموها باسمها فقالوا: نريد اليمامة، جئت من اليمامة... وهكذا، ومنها قول الصحابة عن مسيلمة: كذاب اليمامة، ولو أن النبي ﷺ أراد اليمامة بقوله: إن هناك يظهر قرن الشيطان لصرح بها وقال: إن الفتن والبلايا ستظهر من قبل اليمامة فاحذروها!! لأنه كما قلت بلد مشهورة ومورد اقتصادي هام لأهل مكة والمدينة، أضف إلى ذلك أن الأحاديث الواردة في ذلك رواها ابن عمر رضي الله عنهما، وقد فسرها هو رضي الله عنه بأنها العراق، وتفسير الراوي حجة وتفسير ابن عمر جاء صريحاً في بعض الروايات عند مسلم. كما أنه في بعض طرق الحديث أن النبي ﷺ ذكر ذلك وأشار إلى العراق وهذا الطريق رواه الطبراني. وذكر الياقوت الحموي في معجم البُلدان: (سمعت الباهلي يقول: كل ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى وقد ذكر في موضعه فهو نجد، إلى أن تميل إلى الحرّة، فإذا ملت إليها فأنت في الحجاز)[1].

وشهادة الحال: معلوم أن أغلب الفتن إن لم تكن كلها قد خرجت من العراق، فاقتتال الصحابة كان في العراق، والمختار بن أبي عبيد كان في العراق، والذين قتلوا عثمان بعضهم من العراق، وقاتل علي والزبير من العراق، وغدر الشيعة بالحسين وتسببوا في قتله كان في العراق، والشيعة شيعة العراق، وزوال الخلافة العباسية كانت بسبب غدر ابن العلقمي أيضاً في العراق، وظهور الخوارج كان في العراق، وظهور المخالفين كان في العراق، وظهور الشرك وعبادة القبور كان بسبب هؤلاء وأيضاً في العراق، وسب سادات المهاجرين والأنصار أول من سنه هؤلاء في العراق... والكثير

---

(١) معجم البُلدان (٤/ ٣٦٩) طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الكثير، وما زالت الفتن إلى الآن وهي في العراق، وسينحسر الفرات في آخر الزمان عن جبل من ذهب ويقتتل الناس عنده فلا ينجو من الألف إلا واحد وأين يقع الفرات؟؟ أليس في العراق؟؟ وجل هؤلاء ومنبع الشرك في هذا الزمان في العراق، والآلهة التي تعبد من دون الله نصفها ورأسها في العراق، فبهذا يتبين لك أن النبي ﷺ عنى الأراضي التي يقدسها المخالفون ولم يقصد نجداً بلاد التوحيد.

رد آخر: قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان.

الحديث: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله رضي الله عنه قال: {قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان}(١).

الرد:

أولاً: ما المشكلة؟ كان الرسول ﷺ في منبره، وأشار إلى الشرق ويقصد أن من الشرق يخرج الفتنة! ومسكن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق، رضوان الله عليها، يقع في شرق منبر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه! مسكن أم المؤمنين يقع في نفس الاتجاه الذي أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام. فلو أني قلت مثلاً (أن القبلة هناك) وأشرت إلى التلفاز. فهل هذا يعني أني أقصد أن التلفاز هو القبلة!! فقليلٌ من الإنصاف عند الانتقاد.

فلا أحد يدّعي العصمة، ولكن أن تحدث العاقل بما لا يعقل وتطالبنا بأن نصدقه! فلا عقل لنا آن ذاك بتصديق هذه التأويلات!

---

(١) سبق تخريجه.

ثانياً: كيف يُظن برجلٍ يقف ويسب زوجته أمام الناس؟ كيف يظن به وهو ينتقص في زوجته؟ والله إنها ليست من الرجولة ولا الآداب ولا الأخلاق بشيء! والله إن فهمتموها كذلك فأنتم تنتقصون من رسول الله صلوات الله عليه!

ثالثًا: كيف بحبيبنا محمد بن عبد الله يسب زوجته أمام القوم! وفوق هذا كله يتزوجها! لا بل حتى لا يطلقها! قليلاً من العقل!

رابعًا: نسأل.. كل عاقل.. بغيته حقاً الحق.. وليتحرى مع ربه ومع نفسه الصدق. إلى من يعود الضمير في الكلمة التي تحتها خط.. في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦]؟ تأمل معي الإضافة في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦] هؤلاء الأمهات لمن؟ (للمؤمنين)! شرف وأيما شرف لهن رضي الله عنهن، لا سيما وأن الله أخبر ذلك بلفظ (الأزواج) المشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران، ألم تقرؤوا قول الله تعالى في النبي وزوجاته؟ إنهن نساء ولكنهن لسن كالنساء الأخريات، إنّهن نلنَّ شرفًا بالغًا عظيمًا، وشأنًا ومكانةً كبيرة، نعم إنهن تميّزن عن نساء العالمين، اختارهنّ الله واصطفاهن ليكنّ زوجات لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وصرن بذلك أفضل وأكمل من غيرهن، ولسن كسائر النساء بل أحسن وأطيب وأكمل، قال تعالى: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ﴾ [الأحزاب:٣٢] فبزواج النبي منهم نلن تلك الفضيلة، وتبوأن تلك الدرجة السامية الباسقة الرفيعة، التي لم تتحقق لأحد من النساء غيرهن رضي الله عنهن.

وعندما نتأمل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ﴾ [النور:٢٦] نعلم عظيم قدر أزواج النبي الكريم، فهو الطيب المطيب، ونساؤه الطيبات، بل هو عليه الصلاة والسلام خير الطيبين

وأفضلهم، ونساؤه خير الطيبات وأفضلهن، ولم يكن الله ليختار لنبيه عليه الصلاة والسلام إلا خير النساء وأفضلهن.

شبهة سوء خلقها رضي الله عنها مع النبي ﷺ:

ثم يقول: (كما أخرج البخاري في صحيحه عنها أشياء عجيبة وغريبه في سوء أدبها مع النبي حتى ضربها أبوها فأسال دمها وفي تظاهرها على النبي حتى هدّدها الله بالطلاق وأن يبدله ربه خيراً منها وهذه قصص أخرى يطول شرحها).

فأقول:

١ – أما قوله بأن البخاري أخرج في صحيحه ما يفيد سوء أدب عائشة مع النبي ﷺ وأن أبا بكر ضربها حتى أسال دمها فهذا من الكذب الرخيص، وإلا فلْيُرنا موضع هذه الرواية في صحيح البخاري ثم بعد ذلك فليخرج ما في قلبه من أوضار!

٢ – أما قوله: (وفي تظاهرها على النبي ﷺ حتى هددها الله بالطلاق وأن يبدله ربه خيراً منها) فأجيب:

أ– قلت غير مرّة: أن كل إنسان غير معصوم في الواقع من الذنوب، بل معرّض للوقوع في الذنوب الكبيرة والصغيرة، خلا النبي ﷺ فلو وقع أحد في الذنب، عائشة أو غيرها، فليس ذلك بمستغرب؛ لأنه ليس لأحد العصمة من ذلك، فليس من المقبول ولا من المعقول أن يجعل هذا الطاعن من ذنبٍ وقعت فيه عائشة وتابت منه من مساوئها، ويطعن عليها وكأنها جاءت أمراً إدّاً، بالضبط عندما أراد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل مع فاطمة فغضب النبي ﷺ وقال في الحديث: {إن بني هاشم بن مغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد بن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم..}(١).

(١) سبق تخريجه.

وهذا كما ترى تهديد من النبي ﷺ لعليّ بتطليق فاطمة، إن هو أقدم على ذلك، فليس من المعقول أن يجعل هذا الأمر من مطاعن ومساوئ عليّ! إلا من هو من أشد الناس جهلاً؟

ب- أما قوله: (أن الله هددها بالطلاق وأن يبدله أي محمد ﷺ خيرٌ منها) فغير صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه قال: {اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلّقكن أن يبدله أزواجاً خيرا منكن فنزلت هذه الآية}(1).

فالآية كما هو ظاهر ليست تهديداً وإنما تخيير من الله لنبيه ﷺ في التطليق، لذلك سميت آية التخيير، إضافة إلى أنها لا تخص عائشة وحدها بل تشمل أيضاً بقية زوجاته، وعلى فرض أن الآية تخص عائشة وقد هدّدها الله بالطلاق فأقول: هل في تهديد النبي ﷺ لعلي بتطليق فاطمة ما يعتبر ذمّاً؟! فإن كان كذلك فكل ما تُحمِّله لعائشة من الطعن فسيصيب عليّاً، وإن اعتبرت أن علياً أخطأ مجرّد خطأ ورجع عنه وليس فيه ما يطعن عليه، فعائشة مثله تماماً فاختر ما شئت أيها الطاعن!

ثم يتطاول في افتراءاته فيقول: (وبعد كل هذا أتساءل: كيف استحقت عائشة كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، ألأنها زوج النبي، فزوجاته كثيرات وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي نفسه) ويشير بالهامش إلى الترمذي والاستيعاب والإصابة ثم يقول: (... أم لأنها ابنة أبي بكر! أم لأنها هي التي لعبت الدور الكبير في إنكار وصيّة النبي لعليّ حتى قالت عندما ذكروا عندها أن النبي أوصى لعلي: قالت: {من قاله لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانحنت فمات فما شعرتُ فكيف أوصى إلى علي}).

---

(1) صحيح البخاري برقم (٤٩١٦).

فأقول لهذا الشانئ:

١- عائشة استحقّت كل هذا التقدير والاحترام وأكثر، من أهل السنة والجماعة لأنها زوجة النبي ﷺ الطيب الذي اختارها الله لأن تكون زوجة له؛ لأنها طيبة أيضاً والله سبحانه يقول: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور:٢٦].

قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك: نزلت في عائشة وأهل الإفك، واختاره ابن جرير الطبري[(١)].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ [النور:٢٦]: أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان.

وعندما يحاول هذا الطاعن إثبات أن عائشة خبيثة ألا يعتبر هذا من أعظم المطاعن في النبي ﷺ؟! فكيف لا والله يقول: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ﴾ [النور:٢٦]؟!! ونقدرها لأنها أمنا في الإيمان فالله يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦].

٢- أما قوله: (ألأنها زوج النبي، فزوجاته كثيرات وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي نفسه) ثم يشير بالهامش إلى الترمذي والاستيعاب والإصابة.

فأقول: فتحت سنن الترمذي على أبواب الفضائل باب فضل عائشة، فوجدت هذا الحديث عن عائشة قالت: {كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحباتي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة! إن الناس يتحرون بهداياهم يوم

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٤٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٨).

عائشة، وإنا نريد الخير، كما تريد عائشة، فقولي لرسول الله يأمر الناس يهدون إليه أين ما كان. فذكرت ذلك أم سلمة، فأعرض عنها، ثم عاد إليها فأعادت الكلام، فقالت: يا رسول الله إنّ صواحباتي قد ذكرن أن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فأمرِ الناس يهدون أين ما كنت، فلما كانت الثالثة قالت ذلك، قال: يا أم سلمة لا تُؤذيني في عائشة، فإنّهُ أنزل علي الوَحيَ وأنا في لِحافِ امرأَةٍ منْكُنَّ غيرها}(١).

وعن عمرو بن العاص {أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: يا رسول الله! أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها}(٢).

وعن أنس قال: قيل: {يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل: من الرجال؟ قال: أبوها}(٣).

وعن عبد الله بن زياد الأسدي قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: {هي زوجته في الدنيا والآخرة يعني: عائشة}(٤).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: {فضل عائشة على النساء، كَفَضلِ الثَّريدِ على سائِرِ الطَّعام}(٥).

وعن عائشة قالت: {قال لي رسول الله ﷺ: إنَّ جِبْرَائيلَ يَقْرَأ عَلَيْكِ السلام، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله}(٦).

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٨٧٩).

(٢) المصدر السابق برقم (٣٨٨٥).

(٣) المصدر السابق برقم (٣٨٩٠).

(٤) المصدر السابق برقم (٣٨٨٩).

(٥) جامع الترمذي برقم (٣٨٨٢).

(٦)جامع الترمذي برقم (٣٨٨٧).

عن أبي موسى قال: {ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً}(١).

عن موسى بن طلحة قال: {ما رأيت أحداً أفصح من عائشة}(٢).

ثم فتحت باب فضل أزواج النبي ﷺ فوجدت هذا الحديث عن صفية بنت حيي قالت: {دخل علي رسول الله ﷺ، وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام، فذكرت ذلك له، فقال: ألا قلتِ: وكيف تكونان خيراً منِّي، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى}(٣) وكأن الذي بلغها أنهم قالوا: نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها، وقالوا: نحن أزواج النبي ﷺ وبنات عمه.

هذه هي الأحاديث الواردة في فضل عائشة وصفية، فأقول:

أ- لا شك أن عائشة أفضل نساء النبي ﷺ لتضافر الأدلة الصريحة في ذلك والصحيحة من أصح كتب الحديث أمثال البخاري ومسلم.

ب- بالنسبة لحديث صفية فليس فيه ما يظهر أنها أفضل من عائشة أو حفصة لأن النبي ﷺ حينما قال لها ما قال أراد استرضائها في مقابل ما ذكرته عائشة وحفصة في حقها بخلاف الأحاديث الصريحة التي يؤكد فيها النبي ﷺ فضل عائشة على جميع نسائه.

ت- أقول ذلك على فرض صحة حديث صفية، ولكن الحديث ضعيف الإسناد، فـ (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك) كما قال الترمذي.

---

(١) المصدر السابق برقم (٣٨٨٣).

(٢) المصدر السابق برقم (٣٨٨٤).

(٣) المصدر السابق برقم (٣٨٩٢).

وأما الاستيعاب فقد ذكر في ترجمتها نفس الحديث المذكور ولم يذكر غير ذلك.

وأما في ترجمة عائشة فقد ذكر في فضائلها الكثير، فأثبت أنها من أعلم أزواج النبي ﷺ فيروى عن الزهري قوله: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[(١)].

ثم ساق في إثبات أنها أحب النساء وأفضلهن عند النبي ﷺ حديث عمرو بن العاص، وحديث أنس اللذان سبقا قبل قليل.

وأما الإصابة فكل الروايات التي ذكرها بالتغاضي عن صحتها لا يوجد بها حديث واحد فيه التصريح بتفضيل حفصة على عائشة إلا الحديث السابق.

٣- أما قوله: (أم لأنها لعبت الدور الكبير في إنكار وصية النبي ﷺ لعلي حتى قالت) ثم ذكر الحديث إلخ، **فأقول:**

أ- لم تلعب عائشة رضي الله عنها الدور الكبير في إنكار وصية النبي ﷺ كما يدعي هذا الطاعن، فلو كان النبي ﷺ أوصى لعلي حقاً لما كانت عائشة تستطيع الإنكار أمام الأمة، ولكنها قالت ما تعرفه هي حسب علمها، وهو أن النبي مرض وتوفّي عندها ولم تسمع في هذه القضية منه أي شيء.

ب- إذا أراد النبي ﷺ أن يوصي، لا بد أن يذكر ذلك أمام الناس ولا يكتفي بذكره عند امرأته، وهذا الطاعن يدعي أن الأدلة على أن النبي ﷺ أوصى لعلي بالخلافة مستفيضة ومعلومة وقد ذكر بعضها في كتابه، وادعى أنها صريحة في استخلاف عليّ، فكيف يتهوّك فيقول: إن عائشة لعبت الدور الكبير في إنكار الوصية لعلي؟! فإذا كانت كل هذه الأدلة الظاهرة على إمامة عليّ كما تزعم ليست حجة في نظر

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٨٣).

أهل السنة فقول عائشة أحْرى أن يكون هو الحق.

ت- عائشة رضي الله عنها الصدّيقة بنت الصديق لا يمكن أن تنكر وصية النبي ﷺ لعليّ إن كان هذا حقاً، فهي الطيّبة زوجة الطيّب في الدنيا والآخرة، وهي خير زوجاته وأفضلهنّ وأحبهنّ للنبي ﷺ وما استحقت هذه المنزلة إلا لأنها من خير نساء الأرض، فكيف نصدق هذا الطاعن الذي يأتي إلى الرواية الصادقة فيكّذبها، ويأتي إلى الرواية الكاذبة فيصدقها، ويتهم خير الناس بأنهم أشر الناس، ويدعي على أضلّ الناس بأنهم أصحاب هداية، فكيف برجل هذا حاله، هل نصدقه ونكذّب خير نساء أمهات المؤمنين؟!

شبهة منع عائشة لدفن الحسن رضي الله عنه قرب قبر النبي ﷺ:

ثم يقول: (أم لأنها حاربته حرباً لا هوادة فيها وأولاده من بعده حتى اعترضت جنازة الحسن سيد شباب أهل الجنة ومنعت أن يدفن بجانب جده رسول الله قائلة: لا تدخلوا بيتي من لا أحب ونسيت أو تجاهلت قول الرسول فيه وفي أخيه: {الحسن والحسين سيدّا شباب أهل الجنة} أو قوله: {أحب الله من أحبهما وأبغض الله من أبغضهما}، أو قوله: {أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم}، وغير ذلك كثير لست في معرض الكلام عنه... كيف لا وهما ريحانتاه من هذه الأمة).

ويقول في موضع آخر: (وإذا كانت فاطمة الزهراء التي أوصت بدفنها سراً فلم تدفن بالقرب من قبر أبيها كما ذكرت فما بال ما حصل مع جثمان ولدها الحسن لم يدفن قرب قبر جده؟! حيث منعت هذا «أم المؤمنين» عائشة وقد فعلت ذلك عندما جاء الحسين بأخيه الحسن ليدفنه إلى جانب جدّه رسول الله، فركبت عائشة بغلة وخرجت تنادي وتقول: لا تدفنوا في بيتي من لا أحب. واصطف بنو أمية وبنو هاشم للحرب، ولكنّ الإمام الحسين قال لها: بأنه سيطوف بأخيه على قبر جدّه ثم يدفنه في البقيع لأن

الإمام الحسن أوصاه أن لا يهرقوا من أجله ولو محجمة من دم. وقال لها ابن عباس أبياتاً مشهورة:

تجمّلت تبغلت ولو عشت تفيّلت لك التسع من الثمن وبالكل تصرفت)

فأقول:

١ - أين مصدر هذه الأكاذيب وما مدى صحتها؟ فإن كانت عند هذا الطاعن الجرأة فلْيُرِنا من أين استقى هذه السخافة، وإلا فباستطاعة أي أحمق أن يتقول على خير الناس ما يشاء من الهذيان!

٢ - لا شك في كذب هذه الروايات على أم المؤمنين بل وكل ما يروى عنها في هذا الباب فهو كذب، فلم أجد لها أثر في أي من كتب أهل السنة، بل وجدت العكس، فقد أورد ابن الأثير في خبر وفاة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما أن (الحسين استأذن عائشة أي في دفن أخيه فأذنت له)[1].

وفي الاستيعاب (فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة فطلب ذلك إليها فقالت: نعم وكرامة)[2]! وفي البداية (أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك فأذنت له)[3].

فانظر أخي القارئ إلى الحق الواضح وكيف يحيف هذا الطاعن عن ذلك ثم يدعي الإنصاف والعقلانية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤ - أما ادعاؤه على ابن عباس أنه قال عن أم المؤمنين بيتين من الشعر، فمع ركاكة هذين البيتين فينقضها ما قاله في حقها عند وفاتها، فقد أخرج أحمد في الفضائل عن ذكوان مولى عائشة (أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت وعندها ابن أخيها

---

(١) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٦٠).

(٢) الاستيعاب (١/ ٣٩٢).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٤٤).

عبد الله بن عبد الرحمن فقال: هذا ابن عباس يستأذن عليك وهو من خير بنيك، فقالت: دعني من ابن عباس، ومن تزكيته، فقال لها عبد الله بن عبد الرحمن: أنه قارئ لكتاب الله فقيه في دين الله فأذني له ليسلم عليك وليودعك. قالت: فأذن له إن شئت. قال: فأذن له. فدخل ابن عباس ثم سلم وجلس فقال: أبشري يا أم المؤمنين؛ فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذى ونصب أو قال: وصب وتلقي الأحبة محمد وحزبه أو قال: أصحابه إلا أن يفارق روحك جسدك، فقالت: وأيضاً، فقال ابن عباس: كنت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه ولم يكن ليحب إلا طيباً، وأنزل الله ﻷ براءتك من فوق سبع سماوات فليس في الأرض مسجد إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فاحتبس النبي ﷺ في المنزل والناس معه في ابتغائها أو قال: في طلبها حتى أصبح القوم على غير ماء فأنزل الله ﻷ ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣] الآية، فكان في ذلك رخصة للناس عامة في سبيلك، فوالله إنك لمباركة، فقالت: دعني يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت لو أني كنت نسياً منسيّاً)(١).

وفي مناقشته للخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه احتج عليهم بقوله: (قلت -أي ابن عباس-: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم. أفتسبون أمكم عائشة، وتستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها، وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحلّ من غيرها، فقد كفرتم «!!»، ولأن قلتم: ليست بأمنا، فقد كفرتم«!!!»، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦].

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧٣)، حلية الأولياء (٢/ ٤٥).

فأنتم تدورون بين ضلالتين، فأتوا منهما بمخرج. قلت: فخرجت من هذه؟ قالوا: نعم..)[1].

فهذه الروايات الصحيحة ترد هذه الرواية المجهولة المصدر.

شبهة دعم عائشة لأبيها رضي الله عنهما ولو بأحاديث موضوعة:

ثم يقول: (... أما عن ابنته عائشة وقد عرفنا موقفها من الإمام عليّ فهي تحاول بكل جهدها دعم أبيها ولو بأحاديث موضوعة).

١ - أقول: هل تعرف ما هو الحديث الموضوع؟

الحديث الموضوع هو من كان راويه متهماً بالكذب، وبما أن الراوي عن النبي ﷺ هو عائشة رضي الله عنها، فهل هي ممن اتهم بالكذب؟! فإن زعمت ذلك فيعزوك الدليل؛ لأن كل الدلائل القرآنية والحديثية، إضافة إلى سيرتها تشير إلى صدقها، وأنها لا يمكن أن تكذب على زوجها رسول الله ﷺ بوضعها أحاديث في فضائل أبيها!

٢ - إذا كانت عائشة تروي الأحاديث الموضوعة فكيف تستشهد بالأحاديث التي ترويها مسلّم بها، مثل شهادة عائشة في أن آية التطهير نزلت في عليّ وفاطمة وابنيها.

وروايتها لحديث القوم الذين يتنزّهون عما رخص فيه الرسول ﷺ.

وتستشهد بحديث مطالبة فاطمة بحقها من ميراث أبيها والذي ترويه عائشة.

وبحديث إنكارها أنّ النبي ﷺ أوصى لعليّ.

أكل هذه الأحاديث تستشهد بها وتعترف بها، وهي التي ترويها عائشة، ثم تدعي أنها تروي الأحاديث الموضوعة؟!

وكيف يستشهد برواياتها شيخ الإمامية ابن بابويه القمي في كتابه (الخصال).

(١) خصائص أمير المؤمنين برقم (١٨٥).

ثم يختم الطاعن كذبه فيقول: (مع أن الباحث في هذه المسألة يجد رائحة الوصية لعلي تفوح رغم كتمانها وعدم ذكرها، فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا كما أخرج مسلم أيضاً في صحيحه في كتاب الوصية أنه ذكر عند عائشة أن النبي أوصى إلى علي. انظر كيف يظهر الله نوره ولو ستره الظالمون...) ثم يقول: (وإذا كانت عائشة أم المؤمنين لا تطيق ذكر اسم عليّ ولا تطيب له نفساً كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته والبخاري في صحيحه «باب مرض النبي ووفاته» وإذا كانت تسجد شكراً عندما سمعت بموته، فكيف يرجى منها ذكر الوصية لعلي وهي من عرفت لدى الخاص والعام بعدائها وبغضها لعليّ وأولاده ولأهل بيت المصطفى).

فأقول:

أما الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والذي يدعي فيه هذا الطاعن أن النبي ﷺ أوصى لعليّ هو حديث عائشة عندما ذكروا عندها أن النبي ﷺ قد أوصى لعلي فأنكرت ذلك، مستدلّة على أن النبي ﷺ مات عندها ولم يوص، وهي الصادقة في ذلك، والغريب أن يجعل هذا الطاعن هذا الحديث حجة له لا عليه، ولست أدري والله ما نوع الحجة في هذا الحديث فهل قول من قال أن النبي ﷺ أوصى لعلي دون دليل صريح مرفوع منه ﷺ يعتبر حجة؟! كيف ذلك والحجة أوضح من الشمس متمثّلة في إجابة عائشة الأدرى بوصية النبي ﷺ، سبحان الله، انظر كيف يظهر الله نوره ولو ستره الظالمون!؟

أما ادعاؤه على عائشة أنها لا تطيق ذكر اسم عليّ فقد أجبت عنه في موضع سابق والحمد لله، ولا يوجد في طبقات ابن سعد مما يدّعيه هذا الطاعن من أن عائشة لا تطيق ذكر اسم عليّ، وأما في البخاري فهو يشير إلى حديث عائشة الذي يدّعي فيه أن النبي ﷺ أوصى فيه لعليّ تصريحاً بذكر اسم عليّ، راجع كتاب هذا الطاعن نفسه

الذي يذكر فيه هذا الحديث. والحمد لله أولاً وأخيراً.

شبهة مقاتلة عائشة لعلي ﭬ وهي ظالمة:

شبهة الحديث: (تقاتلين عليًّا وأنت ظالمة له) فهذا لا يُعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أَوْلى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها.

وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ ﭫ أجمعين، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم، فإنه لما تراسل عليّ وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكّنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان عليّ غير راض بقتل عثمان ولا مُعِيناً عليه، كما كان يحلف فيقول: «والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله»، وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة أن يتفق عليٌّ معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن عليًّا حمل عليهم، فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظن عليّ أنهم حملوا عليه، فحمل دفعاً عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة ﭬ راكبة: لا قاتلت، ولا أمرت بالقتال. هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار.

وأيضاً فلو قال قائل: إن النبي ﷺ قال: {إن المدينة تنفي خَبَثَها وينصع طِيبُها}[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٨٨٣)، ومسلم برقم (١٣٨٣).

وقال: {لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه}[1] أخرجه في الموطأ. و[كما في الصحيحين عن زيد بن ثابت عن النبي ص قال: {إنها طَيْبة (يعني المدينة) وإنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد}[2]، وفي لفظ: {تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الحديد}[3]، وفي لفظ: {تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة}[4]]. وقال: إن عليًّا خرج عنها ولم يقم بها كما أقام الخلفاء قبله، ولهذا لم تجتمع عليه الكلمة. لكان الجواب: أن المجتهد إذا كان دون عليّ لم يتناوله الوعيد، فعليّ إلى أن لا يتناوله الوعيد لاجتهاده، وبهذا يجاب عن خروج عائشة رضي الله عنها. وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة.

شبهة أنها خرجت في ملأ من الناس تقاتل عليًّا على غير ذنب:

وأما قوله: (إنها خرجت في ملأ من الناس تقاتل عليًّا على غير ذنب).

فهذا أولاً: كذب عليها. فإنها لم تخرج لقصد القتال، ولا كان أيضاً طلحة والزبير قصدهما قتال عليّ، ولو قدر أنهم قصدوا القتال، فهذا هو القتال المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات:٩-١٠] فجعلهم مؤمنين إخوة مع الاقتتال، وإذا كان هذا ثابتًا لمن هو دون أولئك المؤمنين فهم به أَوْلى وأحرى.

وأما قوله: (إن عائشة كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان، وتقول في كل وقت:

---

(١) رواه مالك في الموطأ برقم (١٣٧٩)، وهو في مسلم برقم (١٣٦٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٨٨٤)، صحيح مسلم برقم (١٣٨٤).

(٣) رواه البخاري برقم (١٨٨٤).

(٤) رواه البخاري برقم (٤٠٥٠)، ومسلم برقم (١٣٨٤).

اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً، ولما بلغها قتله فرحت بذلك).

فيقال له: أولاً: أين النقل الثابت عن عائشة بذلك؟

ويقال: ثانياً: المنقول الثابت عنها يكذّب ذلك، ويبين أنها أنكرت قتله، وذمّت من قتله، ودعت على أخيها محمد وغيره لمشاركتهم في ذلك.

ويقال: ثالثاً: هب أن واحداً من الصحابة: عائشة أو غيرها قال ذلك على وجه الغضب، لإنكاره بعض ما ينكر، فليس قوله حجة، ولا يقدح ذلك لا في إيمان القائل ولا المقول له، بل قد يكون كلاهما وليّاً لله تعالى من أهل الجنة، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر، بل يظن كفره، وهو مخطئ في هذا الظن.

كما [ثبت] في الصحيحين عن عليّ وغيره في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وكان من أهل بدر والحديبية. وقد ثبت في الصحيح أن غلامه قال: {يا رسول الله، والله! ليدخلن حاطب النار. فقال له النبي ﷺ: كذبت، إنه قد شهد بدراً والحديبية}[1]. وفي حديث عليّ أن حاطباً كتب إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ لما أراد غزوة الفتح، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال لعليّ والزبير: {اذهبا حتى تأتيا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب. فلما أتيا بالكتاب، قال: ما هذا يا حاطب؟ فقال: والله يا رسول الله ما فعلت هذا ارتداداً ولا رضاً بالكفر، ولكن كنت امرئ ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم بمكة قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي. فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه شهد بدراً، وما يدريك أن الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم}[2]. وأنزل الله تعالى أوّل سورة الممتحنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٩٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٠٠٧)، ومسلم برقم (٢٤٩٤).

وهذه القصة مما اتفق أهل العلم على صحتها، وهي متواترة عندهم، معروفة عند علماء التفسير، وعلماء الحديث، وعلماء المغازي والسير والتواريخ، وعلماء الفقه، وغير هؤلاء. وكان عليّ رضي الله عنه يحدّث بهذا الحديث في خلافته بعد الفتنة، وروى ذلك عنه كاتبه عبد الله بن أبي رافع ليبيّن [لهم] أن السابقين مغفور لهم، ولو جرى منهم ما جرى.

فإن عثمان وعليًّا وطلحة والزبير أفضل باتفاق المسلمين من حاطب بن أبي بلتعة، وكان حاطب مسيئاً إلى مماليكه، وكان ذنبه في مكاتبة المشركين وإعانتهم على النبي ﷺ وأصحابه أعظم من الذنوب التي تضاف إلى هؤلاء، ومع هذا فالنبي ﷺ نهى عن قتله، وكذَّب من قال: إنه يدخل النار، لأنه شهد بدراً والحديبية، وأخبر بمغفرة الله لأهل بدر. ومع هذا فقد قال عمر رضي الله عنه: «دعني أضرب عنق هذا المنافق». فسمَّاه منافقاً، واستحلَّ قتله، ولم يقدح ذلك في إيمان واحدٍ منهما، ولا في كونه من أهل الجنة.

وكذلك في الصحيحين [وغيرهما] في حديث الإفك لما قام النبي ﷺ خطيباً على المنبر يعتذر من رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ فقال: {من يعذرني من رجل [قد] بلغني أذاه في أهلي، والله! ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً}. فقام سعد بن معاذ سيد الأوس، وهو الذي اهتز لموته عرش الرحمن، وهو الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم، بل حكم في حلفائه من بني قريظة بأن يقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم، حتى قال النبي ﷺ: {لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. فقال: يا رسول الله! نحن نعذرك منه. إن كان من إخواننا من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد بن عبادة فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أُسَيْد بن حضير، فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

وكادت تثور فتنة بين الأوس والخزرج، حتى نزل النبي ﷺ وخفَّضهم}(١).

وهؤلاء الثلاثة من خيار السابقين الأوَّلين، وقد قال أُسيد بن حضير لسعد بن عبادة: «إنك منافق تجادل عن المنافقين» وهذا مؤمن وليٌّ لله من أهل الجنة، وذلك مؤمن وليٌّ لله من أهل الجنة؛ فدل على أن الرجل قد يكفِّر آخر بالتأويل، ولا يكون واحداً منهما كافر.

وكذلك في الصحيحين حديث عتبان بن مالك لما أتى النبي ﷺ منزله في نفر من أصحابه، فقام يصلِّي وأصحابه يتحدثون بينهم، ثم أسندوا عظم ذلك إلى مالك ابن الدُّخْشُم، وودوا أن النبي ﷺ دعا عليه فيهلك، فقضى رسول الله ﷺ صلاته وقال: {أليس يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالوا: [بلى] وإنه يقول ذلك، وما هو في قلبه. فقال: لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله فيدخل النار أو تَطْعَمَهُ}(٢).

وإذا كان ذلك فإذا ثبت أن شخصاً من الصحابة: إمّا عائشة، وإمّا عمار بن ياسر، وإما غيرهما: كفّر آخر من الصحابة: عثمان أو غيره، أو أباح قتله على وجه التأويل - كان هذا من باب التأويل المذكور، ولم يقدح ذلك في إيمان واحد منهما، ولا في كونه من أهل الجنة؛ فإن عثمان وغيره أفضل من حاطب بن أبي بلتعة، وعمر أفضل من عمَّار وعائشة وغيرهما، وذنب حاطب أعظم، فإذا غُفر لحاطب ذنبه، فالمغفرة لعثمان أَوْلى، وإذا جاز أن يجتهد مثل عمر وأُسيد بن حضير في التكفير أو استحلال القتل، ولا يكون ذلك مطابقاً، فصدور مثل ذلك من عائشة وعمّار أَوْلى.

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٦١)، ومسلم برقم (٢٧٧٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٣٣).

ويقال: رابعاً: [إن] هذا المنقول عن عائشة من القدح في عثمان: إن كان صحيحاً فإما أن يكون صواباً أو خطأً، فإن كان صواباً لم يُذكر في مساوئ عائشة، وإن كان خطأً لم يذكر في مساوئ عثمان، والجمع بين نقص عائشة وعثمان باطل قطعاً. وأيضاً فعائشة ظهر منها من التألم لقتل عثمان، والذم لقتلته، وطلب الانتقام منهم ما يقتضي الندم على ما ينافي ذلك، كما ظهر منها الندم على مسيرها إلى الجمل؛ فإن كان ندمها على ذلك يدل على فضيلة عليّ واعترافها له بالحق، فكذلك هذا يدل على فضيلة عثمان واعترافها له بالحق، وإلا فلا.

وأيضاً فما ظهر من عائشة وجمهور الصحابة وجمهور المسلمين من الملام لعليّ أعظم مما ظهر منهم من الملام لعثمان؛ فإن كان هذا حجة في لوم عثمان فهو حجة في لوم عليّ، وإن لم يكن حجة في لوم عليّ، فليس حجة في لوم عثمان. وإن كان المقصود بذلك القدح في عائشة لَّما لامت عثمان وعليًّا، فعائشة في ذلك مع جمهور الصحابة، لكن تختلف درجات الملام.

وإن كان المقصود القدح في الجميع: في عثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وعائشة، واللائم والملوم.

قيل: نحن لسنا ندّعي لواحد من هؤلاء العصمة من كل ذنب، بل ندَّعي أنهم من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين، وأنهم من سادات أهل الجنة، ونقول: [إن] الذنوب جائزة على من هو أفضل منهم من الصدِّيقين، ومن هو أكبر من الصدِّيقين، ولكن الذنوب يُرفع عقابها بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفِّرة، وغير ذلك، وهؤلاء لهم من التوبة والاستغفار والحسنات ما ليس لمن هو دونهم، وابتلوا بمصائب يكفِّر الله بها خطاياهم، لم يبتل بها من دونهم، فلهم من السعي المشكور والعمل المبرور ما ليس لمن بعدهم، وهم بمغفرة الذنوب أحق من غيرهم ممن بعدهم.

والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم كحال أهل البدع؛ الـذين عمـدوا إلى أقـوام متقـاربين في الفـضيلة، تريـد أن تجعـل أحـدهم معـصوماً مـن الـذنوب والخطايـا، والآخـر مأثومـاً فاسـقاً أو كـافراً، فيظهـر جهلهـم وتناقـضهم، كاليهودي والنصراني إذا أراد أن يثبت نبوّة موسى أو عيسى، مع قدحه في نبـوة محمـد ﷺ، فإنه يظهـر عجـزه وجهلـه وتناقـضه، فإنـه مـا مـن طريـق يثبـت بهـا نبـوّة موسـى وعيسى إلا وتثبت نبوة محمد ﷺ بمثلها أو بما هو أقوى منها، وما مـن شـبهة تعـرض في نبوة محمد ﷺ إلا وتعـرض في نبـوة موسـى وعيـسى عليهما السلام بـما هـو مثلهـا أو أقـوى منها، وكل من عمد إلى التفريق بين المتماثلين، أو مدح الشيء وذم ما هو مـن جنـسه، أو أولى بالمدح منه أو بالعكس، أصابه مثل هذا التناقض والعجز والجهـل. وهكـذا أتبـاع العلماء والمشايخ إذا أراد أحدهم أن يمدح متبوعه ويذم نظيره، أو يفضّل أحـدهم عـلى الآخر بمثل هذا الطريق[1].

شبهة موقف أم المؤمنين عائشة من مقتل عثمان بن عفان:

في تاريخ خليفة بن خياط: (أبو عاصم قال: نا عمر بـن أبي زائـدة، عـن أبيـه، عـن أبي خالـد الـوالبي قـال: قالـت عائـشة: «اسـتتابوه حتـى تركـوه كـالثوب الـرحيض ثـم قتلوه»).

التخـريج: أخرجـه خليفـة بـن خيـاط في تاريخـه (١٧٥)، ورواه مـن طريقـه ابـن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩٥).

رجال الإسناد:

الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني أبو عاصم النبيل، ثقة ثبت، مـن التاسعة، مات سنة ٢١٢هـ، أو بعدها ع. (التقريب ٢٩٧٧).

(١) منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٩٠- ٣٢٢)، (٤/ ٣٢٩- ٣٣٧).

عمر بن زائدة الهمداني؛ بالسكون، الوادعي، الكوفي، أخو زكريا، صدوق، رمي بالقدر، من السادسة، مات بعد الخمسين خ م س (التقريب ٤٨٩٧).

والد عمر وزكريا واسمه خالد أو هبيرة بن ميمون بن فيروز الهمداني، الوادعي، الكوفي، أفاد بذلك الحافظ ابن حجر في ترجمة ابنه زكريا (التقريب ٢٠٢٢)، ولم أجد ترجمته.

أبو خالد الوالبي الكوفي، اسمه هرمز، ويقال: هرم، مقبول، من الثانية، وفد على عمر، وقيل: حديثه مرسل، فيكون من الثالثة، د ت ق (التقريب ٨٠٧٣).

درجة الأثر: إسناده حسن لغيره، ويشهد له ما رواه خليفة قال: حدثنا أبو قتيبة قال: نا يونس بن أبي إسحاق، عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: قالت عائشة: «غضبت لكم من السوط، ولا أغضب لعثمان من السيف؟ استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالقلب المصفى قتلتموه».

التخريج: أخرجه خليفة بن خياط في تاريخه (١٧٥-١٧٦)، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩٥).

رجال الإسناد:

أبو قتيبة مسلم بن قتيبة الشعيري، الخرساني، نزيل البصرة، صدوق، من التاسعة، توفي سنة ٢٠٠هـ أو بعدها خ ٤ (التقريب ٢٤٧١).

يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو إسرائيل الكوفي، صدوق يهم قليلاً، من الخامسة، توفي سنة ١٥٢هـ على الصحيح، ر م ٤ (التقريب ٧٨٩٩).

عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، الكوفي، ثقة، عابد من الرابعة، توفي قبل سنة ١٢٠ه، م ٤ (التقريب ٥٢٢٣).

درجة الأثر: إسناده حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف؛ لما فيه من إرسال، حيث إن عونا هذا وصفه غير واحد بأنه يرسل، ولم يصرح هنا بالسماع.

قال المزي في تهذيب الكمال (١٠٦٦): (يقال: إن روايته عن الصحابة مرسلة)، وقال ابن سعد في الطبقات (٦/ ٣١٣): (ثقة كثير الإرسال)، وقال الترمذي في السنن (٢/ ٤٧): (عون بن عبد الله لم يلق ابن مسعود).

والصحيح أنه سمع من بعضهم أخرج له مسلم عن ابن عمر (انظر: رجال مسلم لابن منجويه (٢/ ١٢١) ونصَّ البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٤) على أنه سمع من أبي هريرة وابن عمرو، وذكره العلائي في جامع التحصيل (٣٠٥).

وعجيب من الحافظ إهماله ذكر ذلك في التقريب مع أنه ذكره في تهذيب التهذيب (٨/ ١٧١-١٧٣).

والحديث يتقوى بما قبله ويقويه، ويقويهما أيضاً ما رواه: ابن سعد قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: أخبرنا جرير بن حازم قال: سمعت محمد بن سيرين يقول: قالت عائشة حين قتل عثمان: «مصتم الرجل موص الإناء ثم قتلتموه».

التخريج: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٨٢-٨٣)، ورواه خليفة بن خياط في تاريخه (١٧٦) قال: حدثنا روح بن عبادة قال: نا سعيد بن عبد الرحمن، عن ابن سيرين قال: قال عائشة: «مصتموه موص الإناء ثم قتلتموه» ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٤٩٥).

وبمثل رواية ابن سعد رواه ابن عساكر في تاريخه (٤٩٥): من طريق موسى بن إسماعيل، نا جرير بن حازم به.

وأيضاً بمثل رواية خليفة من طريق هشام عن محمد بن سيرين به.

رجال الإسناد:

عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي، أبو عثمان الصفار، البصري، ثقة ثبت، قال ابن المديني: «كان إذا شك في حرف من الحديث تركه» وربما وهم وقال ابن المديني: (أنكرناه في صفر سنة ٢١٩ه، ومات بعدها بيسير)، من كبار العاشرة، (التقريب ٤٦٢٥)، ع.

جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي، أبو النضر البصري، والد وهب: ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذ حدث من حفظه، وهو من السادسة، مات سنة ١٧٠ه بعدما اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه، (التقريب ٩١١)، ع.

محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، توفي سنة ١١٠ه، (التقريب ٥٩٤٧)، ع.

درجة الأثر: إسناد ابن سعد حسن لغيره، فهو صحيح إلى ابن سيرين؛ رجاله ثقات رجال الشيخين، ومثله إسناد خليفة، إلا سعيداً فلم أجد له ترجمة، ويتقوى بالذي قبله.

وابن سيرين عن عائشة ﵂ منقطع، قال أبو حاتم: (لم يسمع ابن سيرين من عائشة شيئاً) (العلائي في جامع التحصيل ٣٢٤) لكنه يتقوى بالشواهد التي تقدمت، والتي ستأتي.

قال ابن سعد: أخبرنا عارم بن الفضل قال: أخبرنا حماد بن زيد، عن الزبير، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة قالت: «مصتموه موص الإناء ثم قتلتموه» تعني عثمان.

التخريج: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٨٢).

رجال الإسناد:

عارم بن الفضل السدوسي، أبو النعمان البصري، لقبه عارم، ثقة ثبت، تغير في آخر عمره، من صغار التاسعة، مات سنة ٢٢٣هـ أو سنة ٢٢٤هـ، ع (التقريب ٦٢٢٦)، وانظر (الكواكب النيرات لابن الكيال ٣٨٢) - وفيه أنه تغير سنة ٢٢٠هـ.

حماد بن زيد بن درهم البصري، الجهضمي أبو إسماعيل، البصري، ثقة ثبت فقيه. قيل إنه كان ضريراً ولعله طرأ عليه؛ لأنه صح أنه كان يكتب، من كبار الثامنة توفي سنة ١٧٩هـ، وله ٨١ سنة، ع، (التقريب ١٤٩٨).

الزبير بن الخريت، البصري، ثقة، من الخامسة، خ م د ت ق، (التقريب ١٩٩٣).

عبد الله بن شقيق العقلي، البصري، ثقة فيه نصب، من الثالثة توفي سنة ١٠٨هـ، بخ م ع، (التقريب ٣٣٨٥).

درجة الأثر: إسناده صحيح أو حسن لغيره.

وفيه اختلاط عارم، وقد يكون ابن سعد ممن سمع منه قبل الاختلاط، يقوي هذا الاحتمال أن العلماء ذكروا أنه اختلط سنة ٢٢٠هـ، وابن سعد توفي سنة ٢٣٠هـ ومن سمع منه قبل الاختلاط فحديثه صحيح.

ومن خلال استقراء شيوخ ابن سعد ووفياتهم يظهر أنه كان قبل هذه السنة في بغداد حيث بقي فيها حتى توفي سنة ٢٣٠هـ وعارم توفي سنة ٢٢٤هـ في البصرة (الطبقات ٧/ ٣٠٥).

فقد يكون ابن سعد سمع منه في البصرة، ثم رحل قبل وفاته إلى بغداد، واختلط عارم وهو في بغداد وبذلك يكون سماعه منه قبل اختلاط، والله أعلم.

إذا ثبت ذلك فالإسناد صحيح، لأن من سمع من عارم قبل الاختلاط فحديثه

صحيح (انظر تهذيب الكمال ١٢٥٨، والكواكب النيرات ٣٨٢) وإلا فالخبر حسن لغيره، بما تقدم وسيأتي من شواهد.

قال خليفة: محمد بن عمرو، نا أبو معاوية، عن الأعمش، عن خثيمة، عن مسروق، عن عائشة قالت حين قتل عثمان: «تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش».

فقال لها مسروق: «هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه».

قال: فقالت عائشة: «لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا».

قال الأعمش: «فكانوا يرون أنه كُتِبَ على لسانها».

التخريج: رواه خليفة في تاريخه (١٧٦)، ورواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٨٢) عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش به، ورواه ابن شبة في تاريخ المدينة (١٢٢٥) عن حبان بن بشر، عن يحيى بن آدم، عن الأعمش به نحوه، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩٦) من طريقي سعدان بن نصر وعلي بن حرب، كلاهما عن أبي معاوية به نحوه وزاد في رواية علي في آخره «وهي لا تعلم».

رجال الإسناد:

أبو معاوية الضرير، محمد بن خازم، بمعجمتين، الكوفي، عمي وهو صغير: ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش وقد يهم في حديث غيره، من كبار التاسعة، وله اثنتان وثمانون سنة، وقد رمي بالإرجاء، ع، (التقريب ٥٨٤١).

الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي، الكاهلي، أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ، ورع ولكنه يدلس من الخامسة، توفي سنة ١٤٧هـ، وكان مولده سنة ٦١هـ، ع (التقريب ٢٦١٥).

خثيمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، الكوفي، ثقة وكان يرسل من الثالثة، توفي سنة ٨٠هـ، ع (التقريب ١٧٧٣).

مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، الكوفي، ثقة فقيه عابد مخضرم، من الثانية، توفي سنة ٦٣هـ، ع (التقريب ٦٦٠١).

درجة الأثر: ذكره ابن كثير من طريق أبي معاوية به وقال: (وهذا إسناد صحيح إليها) وهو كما قال، ورجاله ثقات، كوفيون، رجال الشيخين، وفيه عنعنة الأعمش، وقد تقدمت عدة شواهد له.

مقال آخر:

قال الطاعن: (أن عائشة زوج النبي خلال حياتها وخلال خلافة عثمان كان لها موقف حاد ضد الخليفة لدرجة التحريض على قتله وتشبيهه باليهودي نعثل. فما هو سبب خروجها على إمام زمانها الذي يستوجب الخروج عليه الموت على غير دين الإسلام وشق عصا المسلمين؟ هل هو حبها ومودتها لعثمان الخليفة المقتول بلسانها وسيوف الصحابة أم عداوتها لعلي بن أبي طالب الخليفة الشرعي المختار من قبل الصحابة؟).

الردّ:

لم تُحرِّض عائشة رضي الله عنها الناس ضد عثمان رضي الله عنه.

ولم يصحّ في ذلك نَقْل يُعتمَد عليه.

وقد كُذب على عائشة رضي الله عنها، والذين كذَبُوا عليها هم الذين أوقدوا الفتنة تحت رئاسة اليهودي ابن سبأ!

وسبب كذبهم عليها معرفتهم بقدر أم المؤمنين عند الناس، إذ هي زوجة رسول الله ﷺ، بل هي أحب زوجاته إليه، وعلِموا أن الباطل لا يَروج إلا بأن يُلصَق بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وعائشة رضي الله عنها نَفَتْ ذلك، بل أقسَمْت أنها ما كتبت في ذلك شيئاً، فقالت رضي الله عنها: «والذي آمن به المؤمنون، وكَفَر به الكافرون ما كَتَبتُ سواداً في بياض».

قال الأعمش - وهو من رواة الحديث وفيه تشيّع -: فكانوا يَرون أنه كُتِب على لسانها.

كما عِلم أهل الفتنة مكانة عليّ رضي الله عنه فَكَتَبُوا على لسانهم كُتُباً يَدعون فيها بالخروج على عثمان رضي الله عنه.

فنحن نعتقد أن عائشة كُذِب عليها كما كُذِب على عليّ رضي الله عنه.

فإن أثبت هؤلاء مكاتبات عائشة وثورتها على عثمان فليُثبِتوا ذلك عن علي رضي الله عنه.

وحاشا عليّ رضي الله عنه وحاشا عائشة رضي الله عنها أن يكونا من دُعاة الفتنة.

ثم إن قول هذا الطاعن: (لدرجة التحريض على قتله وتشبيهه باليهودي نعثل).

أقول: هذا كذب صريح، وهذا لو صحّ عن عائشة رضي الله عنها لما نَطَق به هؤلاء، لأمور:

الأول: شدّة عداوتهم لعائشة رضي الله عنها، فكيف يأخذوا بقولها؟

وهؤلاء لا يزالون إلى اليوم يسمون عثمان رضي الله عنه (نعثلاً).

فهل بلغ حب هؤلاء لعائشة رضي الله عنها أن يتشبّهوا بها حتى في اللفظ!!!

وأما قوله: (فما هو سبب خروجها على إمام زمانها الذي يستوجب الخروج عليه الموت على غير دين الإسلام وشق عصا المسلمين؟)

أقول: هي لم تَخرَج عليه، بل خَرَجتْ رجاء أن يُصلح الله بها بين فئتين.

فقد أرسلت عائشة إلى عليّ تُعْلِمه أنها إنما جاءت للصلح. كما في كُتب التواريخ.

وقد تقدّم أنها أَثنَتْ على عليّ رضي الله عنه، وأثنى عليها.

كما أنها ندِمت في خروجها ذلك لما كان فيه، مع أنها لم تخرج أصلاً إلا للإصلاح.

قالت عائشة لابن عمر: «ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد استولى على أمرك، وظننت أنك لن تخالفيه. يعني: ابن الزبير، قالت: أما أنك لو نهيتني ما خرجتُ».

ثم إن الذي أنشب الحرب هم أهل الفتنة ودعاتها والذين تستّروا بحبّ عليّ رضي الله عنه.

وهم الذين كانوا يُخالِفون علياً، إن أمرهم لم يأتمروا، وإن نهاهم لم ينتهوا.

وهذا هو شأن أدعياء المحبة في كل زمان ومكان.

وأنتم تدعون أن الذي قتل الخليفة الثالث هو عمار بن ياسر، فهل ستجرون عليه الحكم السابق؟!

فأجيبوا عما أثبتموه في ضوء ما قررتموه من قولكم: (الذي يستوجب الخروج عليه الموت على غير دين الإسلام وشق عصا المسلمين؟).

شبهة إذاعتها لسر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول أحدهم: (وأذاعت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لها النبي ﷺ: إنك تقاتلين عليًّا وأنت ظالمة له، ثم إنها خالفت أمر الله في قوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وخرجت في ملأ من الناس لتقاتل عليًّا على غير ذنب، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان، وكانت هي في كل وقت تأمر بقتله، وتقول: اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا، ولما بلغها قتله فرحت بذلك، ثم سألت: من تولى الخلافة؟ فقالوا: عليّا. فخرجت لقتاله على دم عثمان، فأي ذنب كان لعليّ على ذلك؟ وكيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك؟ وبأي وجه يلقون

رسول الله ﷺ؟ مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره وأخرجها من منزلها وسافر بها كان أشد الناس عداوة له، وكيف أطاعها على ذلك عشرات ألوف من المسلمين، وساعدوها على حرب أمير المؤمنين، ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله ﷺ لما طلبت حقها من أبي بكر، ولا شخص واحد كلَّمه بكلمة واحدة).

والجواب: أن يقال: أما أهل السنة فإنهم في هذا الباب وغيره قائمون بالقسط شهداء لله، وقولهم حق وعدل لا يتناقض.

وأما هؤلاء وغيرهم من أهل البدع ففي أقوالهم من الباطل والتناقض ما ننبِّه إن شاء الله تعالى على بعضه، وذلك أن أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة، وكذلك أمّهات المؤمنين: عائشة وغيرها، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء، وأهل السنة يقولون: إن أهل الجنة ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ، بل ولا عن الذنب، بل يجوز أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه. وهذا متفق عليه بين المسلمين، ولو لم يتب منه فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر عند جماهيرهم، بل وعند الأكثرين منهم أن الكبائر قد تمحى بالحسنات التي هي أعظم منها، وبالمصائب المكفِّرة وغير ذلك.

وإذا كان هذا أصلهم فيقولون: ما يذكر عن الصحابة من السيّئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم، وما قُدِّر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم: إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفِّرة، وإما بغير ذلك؛ فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه: إنهم من أهل الجنة فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحد منهم على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم للجنة. ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة، ولو لم يُعلم أن أولئك المعيَّنين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في

استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يُعلم أنهم يدخلون الجنة، ليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلك، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين، والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد واحد منهم باطناً وظاهراً، وحسناته وسيئاته واجتهاداته، أمر يتعذر علينا معرفته؟! فكان كلامنا في ذلك كلاماً فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام، فلهذا كان الإمساك عمّا شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال، إذ كان كثير من الخوض في ذلك - أو أكثره - كلاماً بلا علم، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوىً ومعارضة الحق المعلوم، فكيف إذا كان كلاماً بهوىً يطلب فيه دفع الحق المعلوم؟

وأما قوله: (وأذاعت سرَّ رسول الله ﷺ) فلا ريب أن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم:٣].

وقد ثبت في الصحيح عن عمر أنها عائشة وحفصة.

فيقال: أولاً: هؤلاء يعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوبٍ ومعاصٍ بيّنة لمن نصّت عنه من المتقدمين يتأوّلون النصوص بأنواع التأويلات، وأهل السنة يقولون: بل أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاتهم بالتوبة.

وهذه الآية ليست أوْلى في دلالتها على الذنوب من تلك الآيات، فإن كان تأويل تلك سائغاً كان تأويل هذه كذلك، وإن كان تأويل هذه باطلاً فتأويل تلك أبطل.

ويقال: ثانياً: بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة، فيكونان قد تابتا منه. وهذا ظاهر لقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤]، فدعاهما الله

تعالى إلى التوبة، فلا يظن بهما أنهما لم يتوبا، مع ما ثبت من علو درجتهما، وأنهما زوجتا نبيّنا في الجنة، وأن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ولذلك حرّم الله عليه أن يتبَدّل بهن غيرهن، وحرم عليه أن يتزوج عليهن، واختُلف في إباحة ذلك له بعد ذلك، ومات عنهن وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن. ثم قد تقدَّم أن الذنب يُغفر ويُعفى عنه بالتوبة وبالحسنات الماحية وبالمصائب المكفرة.

ويقال: ثالثاً: المذكور عن أزواجه كالمذكور عمّن شُهد له بالجنة من أهل بيته وغيرهم من الصحابة، فإن عليًّا لما خطب ابنة أبي جهل على فاطمة، وقام النبي ﷺ خطيباً فقال: {إن بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا عليًّا ابنتهم، وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم، إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها}(١) فلا يُظن بعلي رضي الله عنه أنه ترك الخطبة في الظاهر فقط، بل تركها بقلبه وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى فيه.

وأما الحديث الذي رواه وهو قوله لها: (تقاتلين عليًّا وأنت ظالمة له) فهذا لا يُعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أوْلى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها.

وأما قوله: (إنها خرجت في ملأ من الناس تقاتل عليًّا من غير ذنب).

---

(١) سبق تخريجه.

فهذا أولاً: كذب عليها. فإنها لم تخرج لقصد القتال، ولا كان أيضاً طلحة والزبير قصدهما قتال عليّ، ولو قدر أنهم قصدوا القتال، فهذا هو القتال المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات:٩-١٠] فجعلهم مؤمنين إخوة مع الاقتتال. وإذا كان هذا ثابتاً لمن هو دون أولئك المؤمنين فهم به أوْلى وأحرى.

شبهة: إذا كان قولكم أن عدم محبة عائشة ومودتها موجب للكفر، فما هو قولكم في من حاربها وأراد قتلها؟

الردّ: ألا يعلم هذا الطاعن أنه بقوله هذا يُسيء إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟

عليّ رضي الله عنه لم يُرِد قَتْل عائشة رضي الله عنها .

بل قال لها: يا أمّه.

ففي التاريخ أنه لما كان نهاية وقعة الجَمَل، وحُمِل هودج عائشة، وأنه كان كالقنفذ من السهام، ونادى منادي عليّ في الناس: إنه لا يتبع مُدبر ولا يُذَفَّف على جريح، ولا يَدخُلوا الدُّور، وأمَرَ عليّ نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعماراً أن يضربا عليها قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألها: هل وصل إليك شيء من الجراح؟ فقالت: لا، وما أنت ذاك يا ابن الخثعمية؟ وسلّم عليها عمار، فقال: كيف أنت يا أم؟ فقالت: لست لك بأم؟ قال: بلى وإن كرهتِ! وجاء إليها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين مُسَلِّماً، فقال: كيف أنت يا أمّه؟ قالت: بخير، فقال: يغفر الله لك. وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يُسَلِّمُون على أم المؤمنين رضي الله عنها (١).

(١) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٤٥).

فهل كان عليّ رضي الله عنه يُريد قَتْل عائشة رضي الله عنها ؟

أما لو كان يُريد ذلك لما أمر بالهودج أن يُحمَل، بل يأمر أن يُجهز عليها، وحاشاه ذلك.

وفي كُتُب التاريخ: ثم جاء عليّ إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن ودخل فَسَلَّم عليها وَرَحَّبَتْ به.

بل أَمَرَ عليّ رضي الله عنه بِجَلْدِ من نال من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ففي كُتب التاريخ أن علياً رضي الله عنه لما سلّم على عائشة ورحّبت به، ثم خَرَج من الدار، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة! فأَمَرَ عليٌّ القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة، وأن يُخرجهما من ثيابهما[(١)].

وفي دواوين التاريخ: أن أم المؤمنين عائشة لما أرادت الخروج من البصرة بَعَثَ إليها عليّ رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يَرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسَيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليٌّ فوقف على الباب وحضر الناس معه، وخَرَجَتْ من الدار في الهودج فَوَدَّعَتِ الناس، وَدَعَتْ لهم، وقالت: يا بَنِيَّ لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القِدَم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على مَعتبتي لمن الأخيار. فقال عليٌّ: صَدَقْتِ، والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة. وسار علي معها مُوَدِّعا ومُشيِّعاً أميالا، وسَرَّحَ بَنِيهِ معها بقية ذلك اليوم[(٢)].

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٤٦).

(٢) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٦١).

وهذا يدل على أن علياً ﵁ لم يُرِد أن يَقتُل أم المؤمنين عائشة ﵂، وأنه سار معها وودّعها، ولم يُنقل عنه كلمة واحدة في الطّعن في عائشة ﵂.

ولذلك لما سأل بعض أصحاب عليّ علياً أن يَقْسِم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير، فأَبَى عليه، فطعن فيه السبئية! وقالوا: كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟ فبلغ ذلك علياً، فقال: «أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟» فسكت القوم[1].

وهذا إقرار من عليّ ﵁ بأن عائشة أم المؤمنين، وهو إقرار عمّار أيضاً – كما سيأتي – ولكن هؤلاء لا يرضون بما رضيه عليّ ﵁ ولا بما رضيه أصحابه ﵃.

وهذا ما فهمه أصحابه ﵃، فقد قام عمار ﵁ على منبر الكوفة فذكر عائشة، ذكر مسيرها، وقال: «إنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم»[2]. رواه البخاري.

وروى البخاري من طريق عبد الله بن زياد الأسدي قال: «لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن عليّ فقدِما علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن عليّ فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعنا إليه فسمعت عمارا يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي؟»[3].

وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة من طريق عريب بن حميد قال: «رأى عمار

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٨٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٤٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١٠١).

(٣) سبق تخريجه.

يوم الجمل جماعة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يسب عائشة، ويقع فيها. قال: فمشى إليه عمار فقال: اسكت مقبوحاً منبوحا! أتقع في حبيبة رسول الله؟ إنها لزوجته في الجنة»[١].

وذَكَرَ ابن كثير أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: «اسكت مقبوحاً منبوحاً! والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها»[٢].

وفي رواية أنه قال له بعدما لَكَزَهَ لَكَزَات.

فإذا كان هذا قول أحد المقرّبين إلى عليّ رضي الله عنه، وهو أنه كان ينهى عن سبّ عائشة رضي الله عنها، ويُشدِّد في النهي، فهل يُظنّ أنهم كانوا يُريدون قَتلها رضي الله عنها؟

ونحن نرضى لأنفسنا ما رضيه عمار بن ياسر رضي الله عنه.

ونحفظ ألسنتنا عن فتنة طهّر الله منها أسيافنا.

هذا هو شأن الأخيار في معرفة الفضل لأهله، ولا يَعرف الفضل إلا أهل الفضل.

ولما نَقَل ابن كثير ما جرى من أحداث في وقعة الجمل قال: (هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن، وليس فيما ذكره أهل الأهواء وغيرهم من الأحاديث المختلفة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه، وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم! فنحن حينئذ نقول لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص:٥٥].

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧٦).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٧).

شبهة أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب:

عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما نزلت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت: {ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب؟ فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله أن يصلح بك بين الناس}(١). وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: {ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فينبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعد ما كادت}(٢).

الحديث صحيح كما بين الألباني، ولكنه نبه على رواية (فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوأب.. فكانت أول شهادة زور في الإسلام)(٣).

وقد عاتب الشيخ الألباني القاضي ابن العربي نكارته للحديث غير أنه وافقه في كذب شهادة الزور المزعومة.

وأوضح خروج عائشة كان خطأ ولكن ليس فيه معصية للحديث. فإن الحديث يشير إلى أنها سوف تكون في مكان تقع فيه فتن ويموت فيه كثير من الناس، فلما قفلت عائدة ذكرها طلحة والزبير بأهمية موقفها لتحقيق الصلح الذي كان يطمع الناس في حصوله ببركتها وتقدير الناس لها. وهي مع ذلك مخطئة رضي الله عنها. وإذا كنا نرى مواقف عاتب الله عليها أنبياءه فتوقع الخطأ ممن هو دون النبي أولى، فموسى قتل نفساً ونسي ما عاهد به الخضر. وذا النون ذهب مغاضباً. ثم هذا لا ينقص شيئاً من فضائلها بل هو في ذاته فتنة للمحرومين من الإنصاف والعقل والدين. ولذلك قال عمار بن ياسر:

---

(١)رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) رواه البزار ورجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٤).

(٣)سلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٧) عند حديث رقم (٤٧٥).

«والله إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي»[١] رواه البخاري.

ثم روى الألباني روايات تؤكد أن عبد الله بن الزبير كان معها وهو محرم لها. روى إسماعيل بن علية عن أبي سفيان بن العلاء المازني عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة: «إذا مر ابن عمر فأرونيه: فلما مر بها قيل لها: هذا ابن عمر. فقالت: يا أبا عبد الرحمن! ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك يعني ابن الزبير»[٢].

الرد على شبهة رواية عائشة شوفت جارية وطافت بها:

حدثنا أبو بكر قال: نا وكيع عن العلاء بن عبد الكريم اليامي عن عمار بن عمران رجل من زيد الله عن امرأة منهم عن عائشة أنها شوفت جارية وطافت بها وقالت: «لعلنا نصطاد بها شباب قريش».

فيه مجهول وهو المرأة وغيرها ضعيف وهو عمار بن عمران.

وعمار بن عمران هو الزيدي الجعفي، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٣٩٢)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في موضعين الأول برقم (١٧٦٦٤)، والثاني برقم (٢٢٣٥١) بنفس السند لكن بلفظ: (نصيب).

قال ابن حجر: (عمار بن عمران عن سويد بن غفلة: «كان بلال يسوي مناكبنا في الصلاة» الصلاة، وعنه الأعمش وبعضهم يرويه عن الأعمش فقال: عن عمار عن عمران بن مسلم لا يصح حديثه ذكره في الضعفاء)[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٣) و(٣/ ٢١١)، نصب الراية للزيلعي (٤/ ٦٩).

(٣) لسان الميزان (٤/ ٢٧٢). وانظر: ميزان الاعتدال (٣/ ١٦٦).

وهذه الرواية وردت عن وكيع بن الجراح عن عمار بن عمران عن امرأة من زيد عن عائشة رضي الله عنها، وعمار بن عمران والمرأة مجهولان فلا تقبل هذه الرواية.

إذاً فهذه الرواية لا تقبل. بالرغم من أن الباب الذي رويت به هذه الرواية هو باب تزيين السلعة للبيع أي أرادت بيعها.

وحاشا الطيبة الشريفة الصديقة بنت الصديق زوجة خير من وطأت قدماه الأرض أن يصدر منها ما اعتقده الأفاكون الظالمون.

الكلام في تعظيم منزلة عائشة على سائر نساء النبي ﷺ:

قال الطاعن: (وأعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه، مع أنه عليه السلام كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد، وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها، وقد أبدلك الله خيراً منها. فقال: والله ما بُدِّلت بها ما هو خير منها؛ صدَّقتني إذ كذبني الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله الولد منها، ولم أرزق من غيرها).

والجواب أولاً: أن يقال: إن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة، واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: {فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام}[1].

والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم، كما قال الشعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

وذلك أن البُرّ أفضل الأقوات، واللحم أفضل الآدام، كما في الحديث الذي رواه

---

(١) سبق تخريجه.

ابن قتيبة وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: {سيد إدام أهل الدنيا والآخرة اللحم}[(١)].

فإذا كان اللحم سيد الآدام، والبُرُّ سيد الأقوات، ومجموعها الثريد، لكان الثريد أفضل الطعام. وقد صح من غير وجه عن الصادق المصدوق أنه قال: {فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام}.

وفي الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قلت: {يا رسول الله! أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر. وسمّى رجالاً}[(٢)].

وهؤلاء يقولون: قوله لخديجة: (ما أبدلني الله بخير منها) إن صح معناه: ما أبدلني بخير لي منها؛ لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه، لكونها نفعته وقت الحاجة، لكن عائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة، فكانت أفضل بهذه الزيادة، فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي ﷺ، لم تبلِّغ عنه شيئاً، ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة، ولا كان الدين قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمال الإيمان به ما حصل لمن علمه وآمن به بعد كماله.

شبهة تسمية عائشة بأم المؤمنين دون غيرها:

قال الطاعن: (وسمّوها أم المؤمنين ولم يسمّوا غيرها بذلك، ولم يسمّوا أخاها محمد بن أبي بكر– مع عظم شأنه وقربه من منزلة أبيه وأخته عائشة أم المؤمنين – فلم

---

(١) تاويل مختلف الحديث (ص٢٤٤).

(٢) سبق تخريجه.

يسموه خال المؤمنين، وسموا معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى زوجات النبي ﷺ، وأخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم من أخت معاوية ومن أبيها).

والجواب أن يقال: أما قوله: (إنهم سموا عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين ولم يسموا غيرها بذلك). فهذا من البهتان الواضح الظاهر لكل أحد، وما أدري هل هذا الرجل وأمثاله يتعمّدون الكذب، أم أعمى الله أبصارهم لفرط هواهم، حتى خفي عليهم أن هذا كذب؟ وهم ينكرون على بعض النواصب أن الحسن لما قال لهم: «أما تعلمون أني ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله ما نعلم ذلك». وهذا لا يقوله ولا يجحد نسب الحسين إلا متعمداً للكذب والافتراء، ومن أعمى الله بصيرته باتّباع هواه حتى يخفى عليه مثل هذا؟ فإن عين الهوى عمياء. وهؤلاء أعظم جحداً للحق تعمداً، وأعمى من هؤلاء؛ فإن منهم من المنتسبين إليهم من يقول: إن الحسن والحسين ما كانا أولاد عليّ، بل أولاد سلمان الفارسي. ومنهم من يقول: إن عليًّا لم يمت، وكذلك يقولون عن غيره.

ومنهم من يقول: إن أبا بكر وعمر ليسا مدفونين عند النبي ﷺ، ومنهم من يقول: إن رقية وأم كلثوم زوجتي عثمان ليستا بنتي النبي ﷺ، ولكن هما بنتا خديجة من غيره.

ولهم في المكابرات وجحد المعلومات بالضرورة أعظم مما لأولئك النواصب الذين قتلوا الحسين.وهذا مما يبين أنهم أكذب وأظلم وأجهل من قتلة الحسين.

وذلك أنه من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي ﷺ يقال لها: (أم المؤمنين) عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب

الهارونيـة، رضي الله عـنهن. وقـد قـال الله تعـالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦]. وهذا أمر معلوم للأمة علماً عاماً، وقـد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موتـه عـلى غـيره، وعـلى وجـوب احـترامهن؛ فهـن أمهـات المـؤمنين في الحرمـة والتحـريم، ولـسن أمهـات المـؤمنين في المحرميـة، فـلا يجـوز لغـير أقاربهن الخلوة بهن، ولا السفر بهن، كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارمه.

وأما قوله: (وعظم شأنه) أي محمد بن أبي بكر.

فإن أراد عظم نسبه، فالنسب لا حرمة لـه عنـدهم، لقـدحهم في أبيـه وأختـه.وأمـا أهل السنة فإنما يعظّمون بالتقوى، لا بمجرد النسب، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] وإن أراد عظـم شـأنه لـسابقته وهجرتـه ونـصرته وجهـاده، فهـو ليس من الصحابة: لا من المهاجرين ولا من الأنصار. وإن أراد بعظم شأنه أنه كان من أعلم الناس وأَدْيَنهم، فليس الأمر كذلك.

وأما قوله: (وأخت محمد وأبوه أعظم من أخت معاوية وأبيها).

فيقال: هذه الحجة باطلة على الأصلين. وذلك أن أهل الـسنة لا يفـضلون الرجـل إلا بنفسه، فلا ينفع محمداً قربه من أبي بكر وعائشة، ولا يـضر معاويـة أن يكـون ذلـك أفضل نسباً منه، وهذا أصل معروف لأهـل الـسنة، كـما لم يـضر الـسابقين الأوّلـين مـن المهاجرين والأنصار الذين أنفقـوا مـن قبـل الفـتح وقـاتلوا، كـبلال وصـهيب وخبّـاب وأمثالهم، أن يكون من تأخر عنهم من الطلقاء وغيرهم، كأبي سفيان بـن حـرب وابنيـه معاوية ويزيد وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالـب ونحـوهم، أعظم نسباً منهم.

شبهات حول طلحة والزبير رضي الله عنهما والــــرد عليهـــا

عن المعتمر (وهو ابن سليمان) قال: سمعت أبي عن أبي عثمان قال: {لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ، غير طلحة وسعد}(١). عن حديثهما.

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعته يقول: {ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق. فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم. فانتدب الزبير. فقال النبي ﷺ» لكل نبي حواري وحواريي الزبير}(٢).

وعن عبد الله بن الزبير قال: {كنت أنا وعمر بن أبي سلمة، يوم الخندق، مع النسوة. في أطم حسان. فكان يطأطئ لي مرة فأنظر. وأطأطئ له مرة فينظر. فكنت أعرف أبي إذا مر على فرسه في السلاح، إلى بني قريظة. قال: وأخبرني عبد الله بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال: فذكرت ذلك لأبي. فقال: ورأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: أما والله! لقد جمع لي رسول الله ﷺ، يومئذ أبويه. فقال: فداك أبي وأمي}(٣).

وعن أبي هريرة {أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير. فتحركت الصخرة. فقال رسول الله ﷺ: اهدأ. فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد}(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٢٣)، ومسلم برقم (٢٤١٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧٢٠)، ومسلم برقم (٢٤١٦).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٤١٧).

وعن هشام عن أبيه قال: قالت لي عائشة: «أبواك، والله! من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح»(١).

فهذان الصحابيان الجليلان طلحة والزبير اللذان شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة لا بد أن تنالهما يد الطعن تارة، والتحريف لسيرتهما تارة أخرى وسبب ذلك أنهما ممن شاركا في المطالبة بالقصاص من عثمان رضي الله عنه، وسوف أسوق مطاعن هؤلاء في حقهما وأذود عنهما بالبنان والقلم.

الادعاء على طلحة والزبير أنهما يشهدان الزور:

يقول أحدهم: (ودعني من كل هذا فأنا لا أريد البحث عن تاريخ أم المؤمنين عائشة، ولكن أريد الاستدلال على مخالفة كثير من الصحابة لمبادئ الإسلام وتخلّفهم عن أوامر رسول الله ﷺ، ويكفيني من فتنة أم المؤمنين دليلاً واحداً أجمع عليه المؤرخون، قالوا: لما جازت عائشة ماء الحوأب ونبحتها كلابها تذكرت تحذير زوجها رسول الله ونهيه إياها أن تكون هي صاحبة الجمل، فبكت وقالت: ردّوني ردّوني. ولكن طلحة والزبير جاؤوها بخمسين رجلاً جعلوا لهم جعلاً، فأقسموا الله أن هذا ليس بماء الحوأب فواصلت مسيرها حتى البصرة، ويذكر المؤرخون أنها أوّل شهادة زور في الإسلام) ثم يعزو هذا الخبر إلى الطبري وابن الأثير والمدائني وغيرهم من المؤرخين الذين أرخوا السنة ست وثلاثين.

ثم يقول: (... دلّونا أيها المسلمون يا أصحاب العقول النيّرة على حل لهذا الإشكال، أهؤلاء هم الصحابة الأجلاّء الذين نحكم نحن بعدالتهم ونجعلهم أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ! فيشهدون شهادة الزور التي عدّها رسول الله ﷺ من الكبائر الموبقة التي تقود إلى النار).

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٤١٨).

أقول:

١- حل هذا الإشكال بسيط جداً؛ لأننا لو فتحنا كتاب الطبري وابن الأثير لما وجدنا لهذا الخبر أثراً اللهم إلا هذه الرواية (فعن الزهري، قال: بلغني أنه لما بلغ طلحة والزبير منزل عليّ بذي قار انصرفوا إلى البصرة، فأخذوا على المُنْكَدِر، فسمعت عائشة رضي الله عنها نُباح الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوأب، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهي، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيَّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب. فأرادت الرجوع، فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال: إنّ هذا الحوأب. ولم يزل حتى مضت)[1]، والحمد لله أن الكتابين يملآن الأسواق، وليطّلع عليهما القارئ الذي يبحث عن الحق ليعلم إلى أي درجة وصلت بهذا الطاعن جرأة الكذب! ورواية الطبري وابن الأثير كما هو واضح لا تأتي على ذكر طلحة والزبير، وإنما عبد الله بن الزبير، وليس فيها شهادة زور، وحتى مقولة أنّ ابن الزبير: كذّب من قال: إن هذا الحوأب، فجاءت بصيغة تمريضية، لأن الزهري قال (فزعم أنه قال).

٢- هذا الخبر الذي ينسبه هذا الطاعن لطلحة والزبير خبرٌ باطل لسببين:

أ- مما لا شك فيه أن طلحة والزبير رضي الله عنهما المشهود لهما بالجنة من أصدق الناس وأعلاهما أخلاقاً، وأجلّ من أن يشهدا شهادة زور في أمرٍ كهذا!

ب- هذا الخبر المكذوب تعارضه رواية صحيحة في خبر الحوأب، فعن قيس بن أبي حازم البجلي -ثقة- قال: (لما بلغت عائشة رضي الله عنها بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوأب. قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال

(١) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ١٨)، الكامل في التاريخ (٣/ ٢١٠).

الزبير: لا بعد تقدمي ويراك الناس ويصلح الله ذات بينهم. قالت: ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب)[1].

ومع ذلك لا يستحي هذا الطاعن أن يقول: (يكفيني من فتنة أم المؤمنين دليلاً واحداً أجمع عليه المؤرخون!؟).

لا أريد منك إثبات هذا الإجماع الخيالي!؟، ولكن أريد منك مصدراً واحداً يذكر فيه هذا الخبر المكذوب؟

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٤٦٩٨).

شبهات حول عبد الله بن عمر رضي الله عنه

عن نافع، عن ابن عمر قال: {رأيت في المنام كأن في يدي قطعة إستبرق. وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه. قال: فقصصته على حفصة. فقصته حفصة على النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: أرى عبد الله رجلا صالحا}(١).

وعن سالم، عن ابن عمر قال: {كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ، إذا رأى رؤيا، قصها على رسول الله ﷺ. فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ. قال: وكنت غلاماً شاباً عزباً. وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ. فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار. فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار. أعوذ بالله من النار. أعوذ بالله من النار. قال: فلقيهما ملك فقال لي: لم ترع. فقصصتها على حفصة. فقصتها على رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: نعم الرجل عبد الله! لو كان يصلي من الليل}(٢).

قال سالم: فكان عبد الله، بعد ذلك، لا ينام من الليل إلا قليلاً.

شبهة: أن ابن عمر رفض مبايعة علي رضي الله عنهما:

وأما قول الطاعن عن ابن عمر أنه رفض مبايعة علي بعدما أجمع الناس على ذلك، فدعوى مجردة عن الدليل، وهو مطالب بصحة النقل لإثبات ذلك، فكيف به ولم يوثق

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٧٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١١٢٢)، ومسلم برقم (٢٤٧٩).

كلامه بنقل، ولم يحل على مصدر، فكان حق مثل هذه الدعوى أن لا يُعبأ بها، ولا يتكلف الرد عليها.

غير أني أذكر هنا بعض ما يدل على كذبه، ويقطع الشك الذي قد يثيره في النفوس.

فأقول: إن بيعة علي رضي الله عنه كانت باتفاق أصحاب النبي ﷺ لا يعرف بينهم تنازع في ذلك، وأنهم كانوا يرون أنه أولى الناس بذلك، وقد كان ابن عمر من أعيان الصحابة وكبارهم، وممن لا يغفل له رأي لو كان مخالفاً، ولا نتشر ذلك بين الناس، ونقلته المصادر.

وإنما الذي حصل: أن بيعة علي رضي الله عنه كانت في وقت فتنة وتفرق بين الناس، بسبب مقتل عثمان فتريث بعض الصحابة -ومنهم ابن عمر- في البيعة وقالوا: لا نبايع حتى يبايع الناس على ما روى ذلك الطبري في تأريخه من طريق أبي مليح في خبر البيعة لعلي وفيه: (... وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خزّ، ونعلاه في يده، متوكئاً على قوس فبايعه الناس، وجاءوا بسعد فقال علي: بايع، قال لا أبايع حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس، قال: خلوا سبيله، وجاءوا بابن عمر فقال: بايع، قال: لا أبايع حتى يبايع الناس، قال: ائتني بحميل، قال: لا أرى حميلاً، قال: الأشتر؛ خلِّ عني أضرب عنقه، قال عليّ: دعوه أنا حميله)[(١)].

وقد كان هذا التوقف من سعد وابن عمر في البيعة لعلي في بداية الأمر. ثم إنهما بايعا بعد ذلك، بعدما اجتمع الناس على عليّ، فقد كان هذا شرطهما، وهذا من تمام فقههما رضي الله عنهما فإنهما لو بايعا علياً وبايع الناس غيره لتبعهما في بيعتهما خلق كثير، ولتفرق الناس افتراقاً عظيماً.

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٧).

ومما يدل على بيعتهما بعد ذلك ما نقله ابن كثير في سياق أحداث البيعة لعلي رضي الله عنه حيث قال: (فرجعوا إلى علي فألحوا عليه، وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس... وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس..)[(١)].

فتبين أن بيعة علي كانت في يومين يوم الخميس ويوم الجمعة، فلعل من نقل تخلف ابن عمر، وسعد، وبعض الصحابة، كان في اليوم الأول من البيعة، ثم إنهم بايعوا في اليوم الثاني، فلم يتخلف منهم أحد، وهذا الذي قرره المؤرخون الذين نقلوا خبر البيعة.

يقول ابن حبان في كتاب الثقات: (إن الناس حين هرعوا إلى علي بعد مقتل عثمان لمبايعته قال: ليس ذلك إليكم، وإنما لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة، فلم يبق أحد من أولئك إلا أتى إليه، فطلب أن تكون على ملإٍ من الناس، فخرج إلى المسجد فبايعوه)[(٢)].

ويقول ابن عبد ربه: (لما قتل عثمان أقبل الناس يهرعون إلى علي بن أبي طالب، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة، فقال: ليس ذلكم إليكم إنما ذلك لأهل بدر ليبايعوا فقال: أين طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص؟ فأقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والأنصار، وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية)[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٨).

(٢) انظر الثقات لابن حبان (٢/ ٢٦٧- ٢٦٨).

(٣) العقد الفريد (٤/ ٣١٠).

ثم إن الروايات الصحيحة جاءت مؤكدة دخول ابن عمر في البيعة[(١)].

فقد روى الذهبي من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع، عن أبيه عن ابن عمر قال: (بعث إليّ علي فقال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: أذكرك الله وقرابتي من رسول الله ﷺ وصحبتي إياه، إلا ما أعفيتني فأبى عليّ، فاستعنت عليه بحفصة فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة..)[(٢)].

وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله في الطاعة، إذ كيف يوليه عليّ وهو لم يبايع.

وفي الاستيعاب لابن عبد البر: من طريق أبي بكر بن أبي الجهم عن ابن عمر أنه قال حين احتضر: (ما آسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه).[(٣)]

وهذا مما يدل أيضاً على مبايعته لعلي، وأنه إنما ندم على عدم خروجه مع علي للقتال فإنه كان ممن اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحد، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به. فإن لزوم البيعة والدخول فيما دخل الناس فيه واجب، والتخلف عنه متوعد عليه برواية ابن عمر نفسه أن النبي ﷺ قال: {من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية}[(٤)].

وهذا بخلاف الخروج للقتال مع علي، فإنه مختلف فيه بين الصحابة وقد اعتزله عامة الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال، ولا يندم على

---

(١) قد عنيت بعض الدراسات الحديثة بجمع هذه الروايات، انظر: على سبيل المثال، كتاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون (٢/ ٥٩– ٧٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٤)، وقال محققو الكتاب: (رجاله ثقات).

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر المطبوع بحاشية كتاب الإصابة لابن حجر (٦/ ٣٢٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٥١).

ترك البيعة لو كان تاركاً لها، مع ما فيه من الوعيد الشديد.

وبهذا كله يظهر كذب هذا الطاعن فيما ادعاه، من ترك ابن عمر البيعة لعلي رضي الله عنهما حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل المقربين منه، الذين كان يحرص على توليتهم، والاستعانة بهم، لما رأى فيه من صدق الولاء والنصح له، فرضي الله عنهما وسائر الصحابة والقرابة، وقاتل الله المفرقين بينهم الطاعنين عليهم بما ليس فيهم من المارقين والملحدين.

الكلام في قول ابن عمر: إن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم:

وأما قول الطاعن ضمن طعنه في ابن عمر: (وكان يحدث أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم لا تفاضل والناس بعد ذلك سواسية)، ثم قال: (ويعني هذا أن ابن عمر جعل الإمام علياً من سوقة الناس، كأي شخص ليس له فضل).

فجوابه: أن هذا الأثر صحيح مشهور عن ابن عمر، وقد تقدم ذكره عند ذكر فضائل أبي بكر، لكن هذا الطاعن زاد فيه ما ليس منه، وهو قوله: (والناس بعد ذلك سواسية) ثم طعن بذلك على ابن عمر رضي الله عنهما وزعم أنه يرى مساواة علي وعامة الناس في الفضل، وهذه الزيادة لم يقلها ابن عمر، ولم تثبت عنه في شيء من طرق هذا الأثر.

فإن هذا الأثر رواه البخاري عن ابن عمر من طريقين:

الأولى: من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عنه أنه قال: {كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم }[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٥).

والثانية: من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عنه أنه قال: {كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم}، وقد أخرجه من هذه الطريق أبو داود في سننه(١).

كما أخرج أبو داود هذا الأثر من طريق ثالثة عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر قال: {كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم }(٢).

فهذه طرق الأثر الصحيحة المشهورة، لم ترد فيها تلك الزيادة التي زعم هذا الطاعن، وحيث إنه لم يعز هذه الزيادة لمصدر، فلا عبرة لها ولا بما علقه عليها من مطاعن لا أصل لها.

وأما إن زعم هذا الطاعن أن ما ذكره هو مفهوم ما جاء في الأثر: {ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم} رُدّ بأن هذا الفهم غير مسلم، فترك المفاضلة شيء، واعتقاد المساواة شيء آخر، والثابت عن ابن عمر هو ترك المفاضلة بين الصحابة بعد أولئك الثلاثة، لا أنه كان يعتقد تساوي الباقين في الفضل، فإن هذا لم يقله ولا يحتمله لفظه بوجه، ناهيك عن دعوى هذا الطاعن أنه يعتقد تساوي علي في الفضل مع أي شخص عامي، لا فضل له ولا صحبة، فإن هذا من أبطل الباطل الذي لا يقول به أقل الناس علماً وفهماً، فكيف بالصحابي الجليل ابن عمر الذي كان يعرف لعلي فضله وقدره بين أصحاب النبي ﷺ.

وقد نص على هذا العلماء في شرح الحديث: قطعاً لهذه الشبهة.

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٦٢٧).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٦٢٨).

قال الخطابي: (وجه ذلك والله أعلم أنه أراد الشيوخ وذوي الأسنان منهم، الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم فيه، وكان علي رضوان الله عليه في زمان رسول الله ﷺ حديث السن، ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلي رضي الله عنه، ولا تأخيره ودفعه عن الفضيلة بعد عثمان، وفضله مشهور، لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة)(١).

ونقل ابن حجر: عن بعض العلماء أن قول ابن عمر هذا كان قبل أن ينعقد الإجماع على أفضلية علي بعد الخلفاء الثلاثة(٢).

قلت: وعلى كل حال فابن عمر إنما يحكي ما كان سائداً بين الصحابة في عهد النبي ﷺ من المفاضلة بين الصحابة على نحو ما ذكر، وما كان يعبر عن رأيه الخاص، وهو صادق في خبره، والطعن في صحة هذا القول لا يرد عليه وحده، وإنما يرد على عامة الصحابة. وعندئذ يظهر لك أيها القارئ مقدار ضلال الطاعن في هذا الأثر، ومدى بعده عن الحق. وأما بعد هذا العهد الذي يصفه ابن عمر فإن الذي استقر عليه أمر أهل السنة هو تفضيل علي بعد الخلفاء الثلاثة، وعلى ذلك نص العلماء المحققون من أهل السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اتفق أهل السنة من العلماء، والعباد، والأمراء، والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم)(٣).

ويقول أيضاً: (ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار)(٤).

---

(١) معالم السنن (٤/ ٢٧٩).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).

ويقول ابن أبي العز: (وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل كترتيبهم في الخلافة)(١).

وبهذا يظهر الحق في هذه المسألة وبراءة ابن عمر رضي الله عنهما من مطاعن هذا الطاعن وكشف كذبه وتزويره في كلام هذا الصحابي الجليل لمّا لم يجد في كلامه ما يطعن به عليه.

شبهة القول أن عبد الله بن عمر من البعيدين عن الإمام علي وقد رفض مبايعته:

شبهة القول: (أن عبد الله بن عمر من البعيدين عن الإمام علي وقد رفض مبايعته بعدما أجمع الناس على ذلك وكان يحدث أن أفضل الناس بعد النبي أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم لا تفاضل والناس بعد ذلك سواسية يعني هذا الحديث أن عبد الله بن عمر جعل الإمام علي من سوقة الناس كأي شخص عادي ليس له فضل ولا فضيلة. فأين عبد الله بن عمر من الحقائق التي ذكرها أعلام الأمة وأئمتها بأنه لم يرد في أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي بن أبي طالب، وهل أن عبد الله بن عمر لم يسمع بفضيلة واحدة لعلي؟ بلى والله لقد سمع ووعى ولكنّ السياسة وما أدراك ما السياسة فهي تقلب الحقائق وتصنع الأعاجيب).

فأقول:

١- صاحبنا يشنّع على الصحابي ابن عمر لمجرد روايته هذه الرواية التي اعتبرها طعناً في عليّ، ولم ينتبه لنفسه وهو يحرّف أحاديث ويحلل أخرى! لمجرد أنها تمدح بعض الصحابة، ولا شك أنّ هدفه نبيل وقصده شريف، أما الصحابي ابن عمر فقصده الطعن في عليّ ووضع أحاديث مكذوبة في فضائل أبي بكر فمرحى بالضلالة!

---

(١) شرح الطحاوية (ص:٧٢٧).

٢- لم يقصد ابن عمر أبداً الطعن في عليّ أو جعله بدون فضيلة ولكنه في الحديث المذكور قيّد الخيرية المذكورة والأفضلية بما يتعلق بالخلافة وذلك فيما أخرجه ابن عساكر عن عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر قال: {إنكم لتعلمون أنّا كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان، يعني في الخلافة}(١) وكذا في أصل الحديث.

ومن طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: {كنا نقول في عهد رسول الله ﷺ: من يكون أولى الناس بهذا الأمر؟ فنقول: أبو بكر ثم عمر}(٢).

وإلا إذا كان لا يرى له فضيلة فكيف يروي عن النبي ﷺ أنه قال: {الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما}(٣).

إضافة إلى ما أخرجه البخاري عن سعد بن عبيدة قال: {جاء رجل إلى ابن عمر، فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسن عمله، قال: لعلّ ذاك يسوؤُك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله أنفك، ثم سأله عن عليّ فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك بيته، أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤُك؟ قال: نعم، فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجْهَد عَلَيَّ جّهْدك}(٤).

ووقع في رواية عطاء المذكورة قال: «فقال الرجل: فإني أبغضه، فقال له ابن عمر: أبغضك الله تعالى»(٥)!

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ١٦٣).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٧٥) (١٣٣٩١).

(٣) سبق تخريجها.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة برقم (٣٢٠٦٧)، والنسائي في الكبرى برقم (٨٤٩٢).

وقول عمر أن بيته أوسط بيوت النبي ﷺ: أي أحسنها بناء.

فهل مثل هذه الروايات تدل على أن ابن عمر لا يرى الفضائل لعلي؟! ولكن صاحبنا لا ينظر إلا بعين واحدة فلا يرى إلا المطاعن!

٣- وللتدليل على فضل ابن عمر ومكانته وتقواه فقد ذكره محدث الإمامية عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب معرّفاً به فقال: (عبد الله بن عمر صحابي معروف. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: كان (رض) أي رضي الله عنه! من أهل الورع والعلم وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما يأخذ به نفسه، وكان بعد موته مولعاً بالحج وقال رسول الله ﷺ لزوجه حفصة بنت عمر: {إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل فما ترك ابن عمر قيام الليل}..)[1].

وهذا الإمام ابن بابويه القمي يحتج بروايات ابن عمر في كتابه (الخصال) مسلماً به وكذلك المحقق، فهذا هو ابن عمر في نظر الإمامية الإثني عشرية!؟

---

(١) الكنى والألقاب (١/ ٣٦٣).

شبهات حول خالد بن الوليد رضي الله عنه

شبهة تسمية خالد بسف الله:

فقد قال أحدهم: (وسمّوا خالد بن الوليد سيف الله عناداً لأمير المؤمنين، الذي هو أحق بهذا الاسم، حيث قتل بسيفه الكفّار).

فيقال: أما تسمية خالد بن الوليد بسيف الله فليس هو مختصاً به، بل هو {سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين}[1] هكذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ.

والنبي ﷺ هو أول من سمّاه بهذا الاسم، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث أيوب السختياني، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك رضي الله عنه {أن النبي ﷺ نَعَى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيه خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأُصيب وعيناه تذرفان، حتى أخذها سيف من سيوف الله خالد حتى فتح الله عليهم}[2].

وأما قوله: (عليّ أحق بهذا الاسم).

فيقال: أولاً: من الذي نازع في ذلك؟ ومن قال: إن عليًّا لم يكن سيفاً من سيوف الله وقول النبي ﷺ الذي ثبت في الصحيح يدل على أن لله سيوفاً متعددة، ولا ريب أن عليًّا من أعظمها. وما في المسلمين من يفضِّل خالداً على عليّ، حتى يقال: إنهم جعلوا هذا مختصًّا بخالد. والتسمية بذلك وقعت من النبي ﷺ في الحديث الصحيح، فهو ﷺ الذي قال: {إن خالداً سيف من سيوف الله}.

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٤٣).

(٢) سبق تخريجه.

ثم يقال: ثانياً: عليّ أجلّ قدراً من خالد، وأجلّ من أن تجعل فضيلته أنه سيف من سيوف الله؛ فإن عليًّا له من العلم والبيان والدين والإيمان والسابقة ما هو به أعظم من أن تُجعل فضيلته أنه سيف من سيوف الله؛ فإن السيف خاصته القتال، وعليّ كان القتال أحد فضائله؛ بخلاف خالد فإنه كان هو فضيلته التي تميّز بها على غيره، لم يتقدم بسابقة ولا كثرة علم ولا عظيم زهد، وإنما تقدم بالقتال؛ فلهذا عبّر عن خالد بأنه سيف من سيوف الله.

وقوله: (إن عليًا قتل بسيفه الكفار).

فلا ريب أنه لم يقتل إلا بعض الكفّار. وكذلك سائر المشهورين بالقتال من الصحابة كعمر والزبير وحمزة والمقداد وأبي طلحة والبراء بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم، ما منهم من أحد إلا قتل بسيفه طائفة من الكفّار. والبراء بن مالك قتل مائة رجل مبارزة، غير من شَرَكَ في دمه.

وأما قوله: (وقال فيه رسول الله ﷺ: عليّ سيف الله وسهم الله).

فهذا الحديث لا يُعرف في شيء من كتب الحديث، ولا له إسناد معروف، ومعناه باطل؛ فإن عليًّا ليس هو وحده سيف الله وسهمه. وهذه العبارة يقتضي ظاهرها الحصر.

وكذلك ما نقل عن عليّ رضي الله عنه أنه قال على المنبر: (أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه).

فهذا لا إسناد له، ولا يُعرف له صحة. لكن إن كان قاله فمعناه صحيح، وهو قدر مشترك بينه وبين أمثاله.

وأما قوله: (وخالد لم يزل عدواً لرسول الله ﷺ مكذّبا له).

فهذا كان قبل إسلامه، كما كان الصحابة كلهم مكذِّبين له قبل الإسلام، من بني هاشم وغير بني هاشم، مثل أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخيه ربيعة، وحمزة عمه، وعقيل، وغيره.

وقوله: (وبعثة النبي ﷺ إلى بني جَذِيمة ليأخذ منهم الصدقات، فخانه وخالفه على أمره وقتل المسلمين، فقام النبي ﷺ خطيباً بالإنكار عليه رافعاً يديه إلى السماء حتى شوهد بياض إبطيه، وهو يقول: {اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد}[1] ثم أنفذ إليه بأمير المؤمنين لتلافى فارطه، وأمره أن يسترضى القوم من فعله).

فيقال: هذا النقل فيه من الجهل والتحريف ما لا يخفى على من يعلم السيرة؛ فإن النبي ﷺ أرسله إليهم بعد فتح مكة ليسلموا، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فلم يقبل ذلك منهم، وقال: إن هذا ليس بإسلام، فقتلهم، فأنكر ذلك عليه من معه من أعيان الصحابة، كسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وغيرهما. ولما بلغ ذلك النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال: {اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد}؛ لأنه خاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان. وقد قال تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٦]، ثم أرسل عليًّا، وأرسل معه مالاً، فأعطاهم نصف الديات، وضمن لهم ما تلف حتى مِيلَغَة الكلب، ودفع إليهم ما بقي احتياطاً لئلا يكون بقي شيء لم يعلم به.

ومع هذا فالنبي صلى الله لم يعزل خالداً عن الإمارة، بل ما زال يؤمّره ويقدّمه، لأن الأمير إذا جرى منه خطأ أو ذنب أُمر بالرجوع عن ذلك، وأُقرّ على ولايته، ولم يكن خالداً معانداً للنبي ﷺ، بل كان مطيعاً له، ولكن لم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره، فخفى عليه حكم هذه القضية.

---

(١) سبق تخريجه.

وأما قوله: (إنه أمره أن يسترضي القوم من فعله).

فكلامُ جاهل؛ فإنما أرسله لإنصافهم وضمان ما تلف لهم، لا لمجرد الاسترضاء.

وكذلك قوله عن خالد: (إنه خانه وخالف أمره وقتل المسلمين).

كذب على خالد؛ فإن خالداً لم يتعمد خيانة النبي ﷺ، ولا مخالفة أمره، ولا قتل من هو مسلم معصوم عنده، ولكنه أخطأ كما أخطأ أسامة بن زيد في الذي قتله بعد أن قال: لا إله إلا الله، وقتل السرية لصاحب الغنَيْمَةَ الذي قال: أنا مسلم، فقتلوه وأخذوا غنمه.

وقال الطاعن: (ولما قُبض النبي ﷺ وأنفذه أبو بكر لقتال أهل اليمامة قتل منهم ألفاً ومائتي نفر مع تظاهرهم بالإسلام، وقتل مالك بن نويرة صبراً وهو مسلم، وعرَّس بامرأته، وسمّوا بني حنيفة أهل الردة لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبي بكر لأنهم لم يعتقدوا إمامته، واستحلّ دماءهم وأموالهم ونساءهم حتى أنكر عمر عليه، فسمّوا مانع الزكاة مرتداً، ولم يسمّوا من استحلّ دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين مرتداً، مع أنهم سمعوا قول النبي ﷺ: {يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي}، ومحارب رسول الله ﷺ كافر بالإجماع).

والجواب: أن أهل اليمامة هم بنو حنيفة الذين كانوا قد آمنوا بمسيلمة الكذاب، الذي ادّعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وكان قد قدم المدينة وأظهر الإسلام، وقال: إن جعل محمد لي الأمر من بعده آمنت به. ثم لما صار إلى اليمامة ادّعى أنه شريك النبي ﷺ في النبوّة، وأن النبي ﷺ صدّقه على ذلك، وشهد له الرَجَّال بن عُنْفُوة. وكان قد صنّف قرآناً يقول فيه: (والطاحنات طحناً، فالعاجنات عجناً، فالخابزات خبزاً، إهالة وسمناً، إن الأرض بيننا وبين قريش نصفين ولكن قريش قوم لا يعدلون).

ومنه قوله لعنه الله: (يا ضفدع بنت ضفدعين، نقّي كم تنقّين، لا الماء تكدّرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء وذنبك في الطين).

ومنه قوله لعنه الله: (الفيل وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، إن ذلك من خلق ربنا الجليل)

ونحو ذلك من الهذيان السمج الذي قال فيه الصديق رضي الله عنه لقومه لما قرؤوه عليه: «ويلكم أين يذهب بعقولكم، إن هذا كلام لم يخرج من إله».

وكان هذا الكذّاب قد كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. أما بعد فإني قد أُشركت في الأمر معك). فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب}.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقاتله بمن معه من المسلمين، بعد أن قاتل خالد بن الوليد طليحة الأسديّ، الذي كان أيضاً قد ادّعى النبوة، واتبعه طوائف من أهل نجد، فلما نصر الله المؤمنين على هؤلاء وهزموهم، وقُتل ذلك اليوم عُكاشة بن محصن الأسدي، وأسلم بعد ذلك طليحة الأسدي هذا، ذهبوا بعد ذلك إلى مسيلمة الكذّاب باليمامة، ولقى المؤمنون في حربه شدة عظيمة، وقتل في حربه طائفة من خيار الصحابة مثل زيد بن الخطاب، وثابت بن قيس بن الشمّاس، وأُسيد بن حضير وغيرهم.

وفي الجملة فأمر مسيلمة الكذّاب وادعاؤه النبوة واتّباع بني حنيفة له باليمامة، وقتال الصدّيق لهم على ذلك، أمر متواتر مشهور، قد علمه الخاص والعام، كتواتر أمثاله. وليس هذا من العلم الذي تفرّد به الخاصّة، بل علم الناس بذلك أظهر من علمهم بقتال الجمل وصفّين، فقد ذُكر عن بعض أهل الكلام أنه أنكر الجمل وصفّين،

وهذا الإنكار - وإن كان باطلاً - فلم نعلم أحداً أنكر قتال أهل اليمامة، وأن مسيلمة الكذاب ادّعى النبوة، وأنهم قاتلوه على ذلك.

وأما ما ادعاه هذا الأفاك بأن خالد بن الوليد رضي الله عنه قتل مالك بن النويرة وتزوجها في ليلتها ودخل بها في نفس الليلة فقد بينًّا بطلانه فيما سبق عند رد الشبهات في أبي بكر فأنصح الرجوع إليه.

شبهات حول معاوية رضي الله عنه

من المسلم به أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان من أبرز من قاتل علياً رضي الله عنه بشأن مقتل عثمان والذي مثل زعامة الجانب المقابل لعلي في معركة صفين، فما كان من الطاعنين إلا أن صبوا جام غضبهم عليه واتهموه بالظلم والضلال، وسوف أسوق ادعاءات هؤلاء على هذا الصحابي مفنداً لها ومدافعاً عن كاتب الوحي الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: {اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به}[(١)].

شبهة عدم محاسبة عمر لمعاوية:

يقول أحدهم: (أن عمر بن الخطاب الذي اشتهر بمحاسبة ولاته وعزلهم لمجرّد الشبهة نراه يلين مع معاوية بن أبي سفيان ولا يحاسبه أبداً وقد ولاّه أبو بكر وأقرّه عمر طيلة حياته ولم يعترض عليه حتى بالعتاب واللّوم، رغم كثرة الساعين الذين يشتكون من معاوية ويقولون له بأنّ معاوية يلبس الذهب والحرير اللذين حرمهما رسول الله على الرّجال، فكان عمر يجيبهم: دعوه فإنه كسرى العرب، واستمر معاوية في الولاية أكثر من عشرين عاماً لم يتعرّض له أحد بالنقد ولا بالعزل، ولمّا ولي عثمان خلافة المسلمين أضاف إليه ولايات أخرى مكّنته من الاستيلاء على الثروة الإسلامية وتعبئة الجيوش وأوباش العرب للقيام بالثورة على إمام الأمة والاستيلاء على الحكم بالقوة والغصب والتحكّم في رقاب المسلمين وإرغامهم بالقوّة والقهر على بيعة ابنه الفاسق شارب الخمر يزيد، وهذه قصّة أخرى طويلة بصدد تفصيلها في هذا الكتاب).

---

(١) سبق تخريجه.

فأقول:

١- يبدو أن صاحبنا في كل ما يسوقه لا يستطيع أن يتخلى عن بعض الخصال التي يتمتع بها ومن ضمنها الجهل! فهو يدعي أن أبا بكر قد ولى معاوية فأقره عمر طيلة حياته! ولكن المعروف عند كل من درس سيرة الخلفاء أن أبا بكر قد ولى يزيد بن أبي سفيان الشام، وبقي والياً عليها في خلافة عمر وأقره عمر فلما توفي يزيد ولى أخاه معاوية بن أبي سفيان.

٢- أما أن عمر كان يلين مع معاوية ولا يحاسبه أبداً فما هو الدليل على ذلك؟ ومن أين يستقي هذا الطاعن هذه الادعاءات؟ فهل من مصدر يرشدنا إليه وإلا فأقول له كما يقول الشاعر:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها ... بينات أصحابها أدعياء

ولكن الثابت يشهد بخلاف ذلك فقد أورد ابن كثير في البداية: (أن معاوية دخل على عمر وعليه حلة خضراء فنظر إليها الصحابة، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدرة فجعل يضربه بها، وجعل معاوية يقول: يا أمير المؤمنين الله الله في، فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم: لم ضربته يا أمير المؤمنين؟ وما في قومك مثله؟ فقال: والله ما رأيت إلا خيراً، وما بلغني إلا خيراً، ولو بلغني غير ذلك لكان مني إليك غير ما رأيتم، ولكن رأيته وأشار بيده فأحببت أن أضع منه ما شمخ)[(١)].

٣- **أما قوله**: (... رغم كثرة الساعين الذين يشتكون من معاوية ويقولون له بأن معاوية يلبس الذهب والحرير «!» اللذين حرمهما رسول الله على الرجال، فكان عمر يجيبهم: دعوه فإنه كسرى العرب).

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٥).

فأقول:

أ- أما قوله: (رغم كثرة الساعين الذين يشتكون من معاوية) يكذبه الواقع والتاريخ فقد مكث معاوية أربعين عاماً يحكم أهل الشام وكانت علاقته بهم علاقة حب وولاية لدرجة أنهم أجابوه بقوة للأخذ بدم عثمان.

ب- أما أنّ عمر قد قال في معاوية بأنه كسرى العرب عندما علم بأنه يلبس الذهب والحرير! فأرجو من المؤلف أن يرشدنا إلى المصدر الذي استقى منه هذا الكذب، والغريب أن يضرب عمر معاوية للبسه حلّة خضراء مباحة، ويسكت عليه عندما يلبس الذهب والحرير المحرّم؟!

ت- أما الرواية عن عمر هو ما رواه ابن أبي الدنيا عن أبي عبد الرحمن المدني قال: «كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب»[1].

٤- **ثم يقول:** (واستمر معاوية في الولاية أكثر من عشرين عاماً لم يتعرض له أحد بالنقد ولا بالعزل، ولما ولي عثمان خلافة المسلمين أضاف إليه ولايات أخرى مكنته من الاستيلاء على الثروة الإسلامية..).

فأقول:

أ- ليس في تولية معاوية للشام أي مطعن في عمر أو عثمان فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ قد ولى أباه أبا سفيان على نجران حتى توفي، بل كان الكثير من أمراء النبي ﷺ من بني أمية (فإنه استعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على صدقات مَذْحج وصنعاء اليمن، ولم يزل عليها حتى مات النبي ﷺ، واستعمل عمرو على تيماء وخيبر وقرى عرينة، وأبان بن سعيد

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ١١٤).

بن العاص استعمله على البحرين برها وبحرها حين عزل العلاء بن الحضرمي، فلم يزل عليها حتى مات النبي ﷺ وأرسله قبل ذلك أميراً على سرايا منها سرية إلى نجد)[١].

ب- وعندما ولي معاوية الشام كانت سياسته مع رعيته من أفضل السياسات وكانت رعيته تحبه ويحبُّهم (قال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سؤدداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية. وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً، فقيل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لاستحي من الله أن يضيقَ حلمي عن ذنب أحد رعيتي. وفي رواية قال له رجل: يا أمير المؤمنين ما أحلمك؟ فقال: إني لأستحي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي)[٢]، لذلك استجابوا له عندما أراد المطالبة بدم عثمان وبايعوه على ذلك ووثقوا له أن يبذلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم، أو يدركوا بثأره أو ينفي الله أرواحهم قبل ذلك.

ت- أما ادعاؤه على معاوية أنه استولى على الثروة الإسلامية وتعبئة الجيوش وأوباش العرب للقيام بالثورة على إمام الأمة والاستيلاء على الحكم بالقوة والغصب والتحكم في رقاب المسلمين فهذا من أكبر الكذب على معاوية فإنه ما أراد الحكم ولا اعترض على إمامة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بل طالب بتسليمه قتلة عثمان ثم يدخل في طاعته بعد ذلك، فقد أورد الذهبي في (السير) عن يعلى بن عبيد عن أبيه قال: (جاء أبو مسلم الخولاني وناس معه إلى معاوية فقالوا له: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن علياً أفضل مني، وإنه لأحق بالأمر مني، ولكن ألستم

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٦٠).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).

تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، وإنما أطلب بدم عثمان، فأتوه فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان وأسلّم لهُ. فأتوْا علياً فكلّموه بذلك فلم يدفعهم إليه)(١)، طالما أكّد معاوية ذلك بقوله: «ما قاتلت علياً إلا في أمر عثمان».

وهذا هو ما يؤكده عليّ ومن مصادر الشيعة الاثني عشرية أنفسهم، فقد أورد الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة في خطبة لعليّ قوله: (وبدأ أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء)(٢).

فهذا عليّ يؤكد أن الخلاف بينه وبين معاوية هو مقتل عثمان وليس من أجل الخلافة أو التحكم في رقاب المسلمين كما يدعي هذا الطاعن.

٥- أما قوله بأن معاوية أرغم المسلمين بالقوة والقهر على بيعة ابنه الفاسق شارب الخمر يزيد، فهذا من الكذب الظاهر فإن معاوية لم يرغم الناس على بيعة ابنه يزيد، ولكنه عزم على الأخذ بعقد ولاية عهده ليزيد وتم له ذلك، فقد بايع الناس ليزيد بولاية العهد ولم يتخلّف إلا الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وتوفيّ معاوية ولم يرغمهم على البيعة.

أما أن يزيد فاسق شارب للخمر فهذا كذب أيضاً، وندع محمد بن عليّ بن أبي طالب ﵁ يجيب على هذا الادعاء لأنه أقام عند يزيد وهو أدرى به.

قال ابن كثير في البداية: (لما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠).

(٢) نهج البلاغة (٣/ ١١٤).

إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدّى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواضباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة، قالوا: فإن ذلك كان منه تصنّعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه. فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة، فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف:٨٦] ولست من أمركم في شيء، قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نولّيك أمرنا. قال: ما استحل القتال على ما تريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً، فقالوا: فقد قاتلت مع أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه، فقالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقاماً نحض الناس فيه على القتال، قال: سبحان الله!! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذاً ما نصحت لله في عباده. قالوا: إذاً نكرهك. قال: إذا آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق، وخرج إلى مكة)(١).

الادعاء على معاوية بأنه أمر بسبّ عليّ، وأنه ليس من كتبة الوحي:

يقول أحدهم: (وقد بحثت كثيراً عن الدوافع التي جعلت هؤلاء الصحابة يغيرون سنة رسول الله ﷺ، واكتشفت أن الأمويين وأغلبهم من صحابة النبي وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان «كاتب الوحي» كما يسمّونه كان يحمل الناس ويجبرهم على سبّ علي بن أبي طالب ولعنه من فوق منابر المساجد، كما ذكر ذلك المؤرخون، وقد أخرج مسلم في صحيحه في باب «فضائل علي بن أبي طالب» مثل ذلك، وأمر

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٣٣).

عمّاله يعني معاوية في كل الأمصار باتخاذ ذلك اللعن سنّة يقولها الخطباء على المنابر).

ويقول في موضع آخر: (كيف يحكمون باجتهاده ويعطوه أجراً وقد حمل الناس على لعن علي وأهل البيت ذرية المصطفى من فوق المنابر).

وفي موضع آخر يقول: (حمل الناس على لعن علي وأهل البيت ذرية المصطفى من فوق المنابر وأصبحت سنة متبعة لستين عاماً).

ويقول: (وكيف يسمّونه «كاتب الوحي»... وقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، كان معاوية لأحد عشر عاماً منها مشركاً بالله... ولمّا أسلم بعد الفتح لم نعثر على رواية تقول بأنه سكن المدينة في حين أن الرسول ﷺ لم يسكن مكة بعد الفتح..... فكيف تسنى لمعاوية كتابة الوحي يا ترى؟!).

فأقول:

١ - أما أن معاوية أمر بسبّ عليّ من على المنابر فكذب، ولا يوجد دليل صحيح ثابت بذلك، وسيرة معاوية وأخلاقه تستبعد هذه الشبهة، أما ما يذكره بعض المؤرخين من ذلك فلا يلتفت إليه لأنهم بإيرادهم لهذا التقول لا يفرقون بين صحيحها وسقيمها، إضافة إلى أن أغلبهم من المخالفين، ولكن بعض المؤرخين رووا في كتبهم روايات فيها الصحيح والباطل، ولكنهم أُعْذروا عندما أسندوا هذه المرويات إلى رواتها لنستطيع الحكم عليها من حيث قبولها أو ردها، ومن هؤلاء الطبري الذي عاش تحت سطوة وتعاظم قوة المخالفين، الذي يقول في مقدمة تاريخه: (ولْيعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما اشترطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويتُ من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى

من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكَر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحة، ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلنا، وإنما أُتي من قِبَل بعض ناقليه إلينا، وأناّ إنما أدينا ذلك على نحو ما أدِّيَ إلينا)(١).

لذلك يجب على الطاعن عندما يحتج بالمؤرخين أن يذكر الرواية التي تبين أن معاوية أمر بلعن عليّ من على المنابر، ثم يرغي ويزبد بعد ذلك كما يشاء.

٢- أما قوله أن مسلم أخرج في صحيحه باب فضائل علي مثل ذلك فكذب أيضاً، فالرواية التي يقصدها هي ما رواه عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: {أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسُبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ، فلن أسُبّهُ لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلّفه في مغازيه فقال له عليٌّ: يا رسول الله، خلَّفْتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوّة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعْطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً، فأُتي به أرْمَد فبصق في عَيْنه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحُسيناً فقال: اللهم، هؤلاء أهلي}(٢).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (١/ ١٣).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٤٠٤).

وهذا الحديث لا يفيد أن معاوية أمر سعداً بسبِّ عليّ، ولكنه كما هو ظاهر فإن معاوية أراد أن يستفسر عن المانع من سب عليّ، فأجابه سعداً عن السبب، ولم نعلم أن معاوية عندما سمع رد سعد غضب منه ولا عاقبه، وسكوت معاوية هو تصويب لرأي سعد، ولو كان معاوية ظالماً يجبر الناس على سب عليّ كما يدّعي هذا الطاعن، لما سكت على سعد ولأجبره على سبّه، ولكن لم يحدث من ذلك شيءٌ فعلم أنه لم يؤمر بسبّه ولا رضي بذلك.

ويقول النووي ﵀: (قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك. فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب، فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك، فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبّون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال. قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده، وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ)(١).

٣- من الغرائب أنّ هذا الطاعن ينكر على من سبَّ عليّ ولم يتورّع هو وحزبه عن سب خيرة الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان!

٤- أما أن معاوية من كتبة الوحي فأمر ثابت، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس {أن أبا سفيان طلب من النبي ﷺ ثلاثة مطالب، فقال للنبي: يا نبي الله ثلاثٌ أعطينهن قال: نعم منها قال: معاوية، تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم..}(٢)، وروى أحمد في المسند ومسلم عن ابن عباس قال: {كنت غلاماً أسعى مع الصبيان، قال: فالتفتُّ فإذا نبي الله ﷺ خلفي مقبلاً، فقلت: ما جاء النبي ﷺ إلاّ إليّ، قال:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٧٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٠١).

فسعيت حتى أختبيء وراء باب دارٍ قال: فلم أشعر حتى تناولني، قال: فأخذ بقفاي، فحطأني حطأةً، قال: اذهب فادع لي معاوية، وكان كاتبهُ، قال: فسعيتُ فقلت: أجِب نبي الله ﷺ فإنه على حاجة}[1]، فهذان الحديثان يثبتان أن معاوية كان من كتبة الوحي.

٥- أما قوله: (أن الوحي نزل على رسول الله ﷺ طيلة ثلاثة وعشرين عاماً كان معاوية لأحد عشر عاماً منها مشركاً بالله)؟!

لقد قلت: أن أبا سفيان طلب من النبي ﷺ أن يجعل معاوية كاتباً له فقبل النبي ﷺ بذلك وأصبح يكتب للنبي ﷺ مدة أربع سنوات كاملة فهل هذا أمر يصعب تصديقه؟!

ثم يقول: (ولما أسلم بعد الفتح لم نعثر على رواية تقول بأنه سكن المدينة في حين أن الرسول ﷺ لم يسكن مكة بعد الفتح)

أقول:

وهل الرواية السابقة لا تثبت أن معاوية سكن المدينة؟ وهل الرواية التي أخرجها الترمذي عن أبي مجلز قال: {خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير، وابن صفوان حين رأوه فقال: اجلسا سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سره أن يتمثّل له الرجال قياماً، فليتبوّأ من النار}[2]، لا تثبت ذلك؟ ولكن يبدو أن النبي ﷺ أمر ابن عباس أن ينادي معاوية من مكة؟! وأنا لا أعتب على هذا الطاعن بقوله: (لم نعثر على رواية) لأنه لو بحث لوجدها، ولكن نسأل الله له الشفاء من عقدة الإنصاف!

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٦٥١)، صحيح مسلم برقم (٢٦٠٤).

(٢) جامع الترمذي برقم (٢٧٥٥).

رد آخر على القول: (وسمّوه كاتب الوحي ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي):

فهذا قول بلا حجة ولا علم، فما الدليل على أنه لم يكتب كلمة واحدة من الوحي، وإنما كان يكتب له رسائل؟

وقوله: (إن كتاب الوحي كانوا بضعة عشر أخصّهم وأقربهم إليه عليّ).

فلا ريب أن عليًّا كان ممن يكتب له أيضاً، كما كتب الصلح بينه وبين المشركين عام الحديبية. ولكن كان يكتب له أبو بكر وعمر أيضاً، ويكتب له زيد بن ثابت بلا ريب.

ففي الصحيحين أن زيد بن ثابت لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٩٥] كتبها له وكتب له أبو بكر وعمر، وعثمان، وعليّ، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبيّ بن كعب، وثابت بن قيس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن الربيع الأسدي، وزيد بن ثابت ومعاوية، وشُرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم.

وأما قوله: (إن معاوية لم يزل مشركاً مدة كون النبي ﷺ مبعوثاً).

فيقال: لا ريب أن معاوية وأباه وأخاه وغيرهم أسلموا عام فتح مكة، قبل موت النبي ﷺ بنحو من ثلاث سنين، فكيف يكون مشركاً مدة المبعث، ومعاوية رضي الله عنه كان حين بُعث النبي ﷺ صغيراً، كانت هند ترقِّصه. ومعاوية رضي الله عنه أسلم مع مسلمة الفتح، مثل أخيه يزيد، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي سفيان بن حرب، وهؤلاء كانوا قبل إسلامهم أعظم كفراً ومحاربة للنبي ﷺ من معاوية.

القول بأن سبب قتل معاوية لحجر بن عدي على يد معاوية استنكاره لسبّ عليّ:

يقول أحدهم: (ولمّا استاء لذلك بعض الصحابة واستنكر هذا الفعل أمر معاوية

بقتلهم وحرقهم، وقد قتل من مشاهير الصحابة حجر بن عدي الكندي وأصحابه، ودفن بعضهم أحياءً لأنهم امتنعوا عن لعن علي واستنكروه).

ويقول في موضع آخر: (كيف يحكمون باجتهاده وقد قتل حجر بن عدي وأصحابه صبراً ودفنهم في مرج عذراء ببادية الشام؛ لأنهم امتنعوا عن سب علي بن أبي طالب).

أقول:

١ - اختلف الناس في صحبة حجر بن عدي (المشهور)! فعدّه البخاري وآخرون من التابعين، وعده البعض الآخر من الصحابة.

٢ - لم يقتل معاوية حجراً لأنه امتنع عن سب عليّ، فهذا تخرّص واضح والذي ذكره المؤرخون في سبب مقتل حجر بن عدي هو أن زياد أمير الكوفة من قبل معاوية قد خطب خطبة أطال فيها، فنادى حجر بن عدي: الصلاة، فمضى زياد في الخطبة فما كان من حجر إلا أن حصبه هو وأصحابه، فكتب زياد إلى معاوية ما كان من حجر وعدّ ذلك من الفساد في الأرض، وقد كان حجر يفعل مثل ذلك مع من تولّى الكوفة قبل زياد، فأمر أن يسرح إليه فلما جيء به إليه أمر بقتله، وسبب تشدد معاوية في قتل حجر هو محاولة حجر البغي على الجماعة وشق عصا المسلمين واعتبره من السعي بالفساد في الأرض، وخصوصاً في الكوفة التي خرج منها جزء من أصحاب الفتنة على عثمان، فإن كان عثمان سمح بشيء من التسامح في مثل هذا القبيل الذي انتهى بمقتله، وجرّ على الأمة عظائم الفتن حتى كلّفها ذلك من الدماء أنهاراً، فإن معاوية أراد قطع دابر الفتنة من منبتها بقتل حجر، والغريب أن هذا الطاعن يصيح من أجل قتل حجر ولا يعترض على عليٍّ عندما قاتل الخارجين على خلافته في الجمل وصفين، والتي

تسببت في مقتل خيار الصحابة إضافة إلى الآلاف من المسلمين، مع أنّ السبب واحد وهو الخروج على سلطة الخليفة!!

قتله حِجْر بن عدي وأصحابه:

والجواب: تحدثت معظم المصادر التاريخية عن مقتل حجر بن عدي ﷺ بين مختصر في هذا الأمر ومطول كل بحسب ميله، وكان للروايات الشيعية النصيب الأوفر في تضخيم هذا الحدث ووضع الروايات في ذلك؛ وكأنه ليس في أحداث التاريخ الإسلامي حدث غير قصة مقتل حجر بن عدي.. هذا ونظراً لقلة الروايات الصحيحة عن حركة حجر بن عدي، ولكون هذه الروايات لا تقدم صورة متكاملة عن هذه القضية.. لذا فلن أتطرق للحديث عنها بقدر ما سيكون الحديث منصباً على السبب الذي جعل معاوية ﷺ يقدم على قتل حجر بن عدي والدوافع التي حملته على ذلك.

كان حجر بن عدي من أصحاب علي بن أبي طالب ﷺ، وممن شهد الجمل وصفين معه. وحجر هذا مختلف في صحبته، وأكثر العلماء على أنه تابعي، وإلى هذا ذهب كل من البخاري وابن أبي حاتم عن أبيه وخليفة بن خياط وابن حبان وغيرهم، ذكروه في التابعين، وكذا ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة[1].

ذكر ابن العربي في العواصم بأن الأصل في قتل الإمام، أنه قَتْلٌ بالحق فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل، ولكن حجراً فيما يقال: رأى من زياد أموراً منكرة، حيث أن زياد بن أبيه كان في خلافة علي والياً من ولاته، وكان حجر بن عدي من أولياء زياد وأنصاره، ولم يكن ينكر عليه شيئاً، فلما صار من ولاة معاوية صار ينكر عليه مدفوعاً

---

(١) انظر ترجمته في الإصابة (٢/ ٣١- ٣٤).

بعاطفة التحزب والتشيع، وكان حجر يفعل مثل ذلك مع من تولى الكوفة لمعاوية قبل زياد، فقام حجر وحصب زياد وهو يخطب على المنبر، حيث أن زياد قد أطال في الخطبة فقام حجر ونادى: الصلاة! فمضى زياد في خطبته فحصبه حجر وحصبه آخرون معه وأراد أن يقيم الخلق للفتنة، فكتب زياد إلى معاوية يشكو بغي حجر على أميره في بيت الله، وعدّ ذلك من الفساد في الأرض، فلمعاوية العذر، وقد كلمته عائشة في أمره حين حج، فقال لها: دعيني وحجراً حتى نلتقي عند الله، وأنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوهما حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين[1].

وأما قضاء معاوية رضي الله عنه في حجر رضي الله عنه وأصحابه، فإنه لم يقتلهم على الفور، ولم يطلب منهم البراءة من علي رضي الله عنه كما تزعم بعض الروايات الشيعية[2]، بل استخار الله تعالى فيهم، واستشار أهل مشورته، ثم كان حكمه فيهم.

والحجة في ذلك ما يرويه صالح بن أحمد بن حنبل بإسناد حسن، قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو المغيرة - ثقة - قال: حدثنا ابن عياش - صدوق - قال: حدثني شرحبيل بن مسلم - صدوق - قال: لما بُعِث بحجر بن عدي بن الأدبر وأصحابه من العراق إلى معاوية بن أبي سفيان، استشار الناس في قتلهم، فمنهم المشير، ومنهم الساكت، فدخل معاوية منزله، فلما صلى الظهر قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم جلس على منبره، فقام المنادي فنادى: أين عمرو بن الأسود العنسي، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا إنا بحصن من الله حصين لم نؤمر بتركه، وقولك يا أمير المؤمنين في أهل العراق ألا وأنت الراعي ونحن الرعية، ألا وأنت أعلمنا بدائهم،

---

(١)انظر هذا الخبر بالتفصيل في العواصم من القواصم لابن العربي (ص ٢١٩-٢٢٠) بتحقيق محب الدين الخطيب وتخريج محمود الإستانبولي مع توثيق مركز السنة.

(٢)انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٦- ٢٥٧ و٢٧٥).

وأقدرنا على دوائهم، وإنما علينا أن نقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

فقال معاوية: أما عمرو بن الأسود فقد تبرأ إلينا من دمائهم، ورمى بها ما بين عيني معاوية. ثم قام المنادي فنادى: أين أبو مسلم الخولاني؟ فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فلا والله ما أبغضناك منذ أحببناك، ولا عصيناك منذ أطعناك، ولا فارقناك منذ جامعناك، ولا نكثنا بيعتنا منذ بايعناك، سيوفنا على عواتقنا، إن أمرتنا أطعناك، وإن دعوتنا أجبناك وإن سبقناك نظرناك، ثم جلس.

ثم قام المنادي فقال: أين عبد الله بن مِخْمَر الشرعبي؟ فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: وقولك يا أمير المؤمنين في هذه العصابة من أهل العراق، إن تعاقبهم فقد أصبت، وإن تعفو فقد أحسنت.

فقام المنادي فنادى: أين عبد الله بن أسد القسري؟ فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين، رعيتك وولايتك وأهل طاعتك، إن تعاقبهم فقد جنوا أنفسهم العقوبة، وإن تعفو فإن العفو أقرب للتقوى، يا أمير المؤمنين لا تطع فينا من كان غشوماً ظلوماً بالليل نؤوماً، عن عمل الآخرة سؤوماً. يا أمير المؤمنين إن الدنيا قد انخشعت أوتارها، ومالت بها عمادها وأحبها أصحابها، واقترب منها ميعادها ثم جلس. فقلت - القائل هو: إسماعيل بن عياش - لشرحبيل: فكيف صنع؟ قال: قتل بعضاً واستحيا بعضاً، وكان فيمن قتل حجر بن عدي بن الأدبر(١).

ومما يجدر التذكير به في هذا المقام أن معاوية ﷺ لم يكن ليقضي بقتل حجر بن عدي ﷺ لو أن حجراً اقتصر في معارضته على الأقوال فقط ولم ينتقل إلى الأفعال..

(١)انظر الرواية في مسائل الإمام أحمد رواية ابنه صالح (٢/ ٣٢٨ - ٣٣١).

حيث أنه ألّب على عامله بالعراق، وحصبه وهو على المنبر، وخلع البيعة لمعاوية وهو آنذاك أمير المؤمنين.. ولكن حجراً زين له شيعة الكوفة هذه المعارضة، فأوردوه حياض الموت بخذلانهم إياه.. ولا ننسى موقف شيعة الكوفة مع الحسين رضي الله عنه، حين زينوا له الخروج ثم خذلوه كما خذلوا حجراً من قبله، فإنا لله وآنا إليه راجعون.

وقد اعتمد معاوية رضي الله عنه في قضائه هذا بقتل حجر بن عدي، على قوله صلى الله عليه وسلم: {من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه}(١).

وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم: {إنه ستكون هنات – أي فتن – وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان}(٢).

ولو سلمنا أن معاوية أخطأ في قتل حجر؛ فإن هذا لا مطعن فيه عليه، كيف وقد سبق هذا الخطأ في القتل من اثنين من خيار الصحابة؛ هما: خالد بن الوليد وأسامة بن زيد رضي الله عنهما.

أما قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع بني جذيمة، وقولهم: صبأنا بدلاً من أسلمنا، فرواها البخاري من حديث عبد الله بن عمر.. وقول النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: {اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد}(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقال الخطابي: الحكمة من تَبرُّئه صلى الله عليه وسلم من فعل خالد مع كونه لم يعاقبه على ذلك لكونه مجتهداً، أن يعرف أنه لم يأذن له في ذلك خشية أن يعتقد أحد أنه كان بإذنه، ولينزجر غير خالد بعد ذلك عن مثل فعله). ثم قال:

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم برقم (١٨٥٢).

(٣) سبق تخريجه.

(والذي يظهر أن التبرأ من الفعل لا يستلزم إثم فاعله ولا إلزامه الغرامة، فإن إثم المخطئ مرفوع وإن كان فعله ليس بمحمود)[١].

وقصة أسامة بن زيد ﵁ مع الرجل الذي نطق بالشهادتين، وقتل أسامة له بعد نطقها، في الصحيحين وقول النبي ﷺ: {يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟}[٢] الحديث.

وكل ما جرى من أسامة وخالد ناتج عن اجتهاد لا عن هوى وعصبية وظلم.

شبهة أن الحسن البصري ﵀ طعن في معاوية ﵁ !!

ذكر الطبري في تاريخه (٣/ ٢٣٢) ضمن حوادث سنة (٥١هـ) وابن الأثير في الكامل (٣/ ٤٨٧) نقلاً عن الحسن البصري أنه قال: «أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحد لكانت موبقة له:

(١) أخذه الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة ونور الفضيلة.

(٢) استخلافه بعد ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير.

(٣) ادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: {الولد للفراش وللعاهر الحجر}[٣].

(٤) قتله حِجْراً وأصحاب حِجْر، فيا ويلاً له من حِجْر، ويا ويلاً له من حِجْر وأصحاب حِجْر».

---

(١) فتح الباري (١٣ / ١٩٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري برقم (٢٠٥٣)، ومسلم برقم (١٤٥٧).

وأما الجواب عن هذه الشبهة فهو كالتالي:

أولاً: من ناحية السند:

هذه الرواية مدارها على أبي مخنف، وأبو مخنف هذا هو لوط بن يحيى الأزدي الكوفي، قال عنه الذهبي كما في الميزان (٣/ ٤١٩) وابن حجر كما في اللسان (٤/ ٤٩٢): (أخباري تالف لا يوثق به). كما تركه أبو حاتم وغيره، وقال عنه الدارقطني: (ضعيف)، وقال ابن معين: (ليس بثقة)، وقال مرة ليس بشيء، وقال ابن عدي: (شيعي محترق). وعده العقيلي من الضعفاء[1].

وعلى ذلك فالخبر ساقط ولا حجة فيه بسبب ضعف سنده، هذا بالنسبة لرواية الطبري.

أما رواية ابن الأثير فقد أوردها ابن الأثير بغير إسناد. إذ كيف نسلم بصحة خبر مثل هذا في ذم صحابي لمجرد وروده في كتاب لم يذكر فيه صاحبه إسناداً صحيحاً، والمعروف أن المغازي والسير والفضائل من الأبواب التي لم تسلم من الأخبار الضعيفة والموضوعة.

٥-وقولهم على لسان الحسن البصري في ما روي عنه: أن معاوية أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة يُعد شبهة خامسة.

وجوابها: هذا الادعاء باطل من أساسه؛ لأن الحسن بن علي رضي الله عنهما قد تنازل لمعاوية رضي بالخلافة، وقد بايعه جميع الناس ولم نعلم أن أحداً من الصحابة امتنع عن مبايعته.. ولست هنا بصدد الحديث عن صلح الحسن مع معاوية أو أسباب ذلك،

---

(١)انظر الضعفاء للعقيلي (٤ / ١٨ - ١٩). وللمزيد من حال هذا الرجل راجع رسالة مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري للدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى (ص ٤٣ - ٤٥) ففيها مزيد بيان وتفصيل عن حال هذا الرجل.

وإنما الحديث ينصب في رد الشبهة التي أثيرت حول معاوية من كونه أخذ الأمر من غير مشورة.

وتفصيل ذلك:

ذكر ابن سعد في الطبقات في القسم المفقود الذي حققه الدكتور محمد السلمي (١/ ٣١٦ - ٣١٧) رواية من طريق ميمون بن مهران قال: «إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين، بايعهم على الإمارة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضي به». قال المحقق إسناده حسن.

ورواية أخرى أخرجها ابن سعد أيضاً وهي من طريق خالد بن مُضرّب قال: سمعت الحسن بن علي يقول: «والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت»[(١)].

هذا ويستفاد من هاتين الروايتين ابتداء الحسن رضي الله عنه في التمهيد للصلح فور استخلافه، وذلك تحقيقاً منه لنبوة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

أخرج البخاري في صحيحه من طريق أبي بكرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: {إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين}[(٢)].

وقد علق ابن حجر الهيتمي على هذا الحديث بقوله: (وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه، وسمي ذلك العام عام الجماعة، ثم لم ينازعه أحد من أنه الخليفة الحق يومئذ)[(٣)].

---

(١)طبقات ابن سعد (١/ ٢٨٦، ٢٨٧). وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

(٣)انظر: تطهير الجنان (ص ١٩، ٢١ - ٢٢، ٤٩).

وأخرج الطبراني رواية عن الشعبي قال: شهدت الحسن بن علي رضي الله عنه بالنخيلة حين صالح معاوية رضي الله عنه، فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فتكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي، وربما قال سفيان – وهو سفيان بن عيينة أحد رجال السند –: أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي، فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه – قال الشعبي: وأنا أسمع – ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس – أي الأعقل – التقي، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرئ أحق به مني ففعلت ذلك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ [الأنبياء/ ١١١][(١)].

وهذا الفعل من الحسن رضي الله عنه – وهو الصلح مع معاوية وحقنه لدماء المسلمين – ، كان كعثمان بن عفان رضي الله عنه في نسخه للقرآن وكموقف أبي بكر في الردة.

وبعد أن تم الصلح بينه وبين الحسن جاء معاوية إلى الكوفة فاستقبله الحسن والحسين على رؤوس الناس، فدخل معاوية المسجد وبايعه الحسن رضي الله عنه وأخذ الناس يبايعون معاوية فتمت له البيعة في خمس وعشرين من ربيع الأول من سنة واحد وأربعين من الهجرة، وسمي ذلك العام بعام الجماعة.

أخرج يعقوب بن سفيان ومن طريقه أيضاً البيهقي في الدلائل من طريق الزهري، فذكر قصة الصلح، وفيها: فخطب معاوية ثم قال: قم يا حسن فكلم الناس، فتشهد ثم قال: «أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول»[(٢)].

---

(١) المعجم الكبير (٣/ ٢٦) بإسناد حسن. وقد أخرج هذه الرواية كل من ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ١٧٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٧) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٤) وابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٣٨٨ – ٣٨٩).

(٢)المعرفة والتاريخ (٣/ ٤١٢) ودلائل النبوة (٦/ ٤٤٤–٤٤٥) وذكر بقية الحديث.

أخرج البخاري عن أبي موسى قال: سمعت الحسن - أي البصري - يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها. فقال له معاوية - وكان خير الرجلين -: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الله بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز - فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه. فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه. فقال لهما الحسن بن علي: إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا نحن لك به فصالحه، فقال الحسن - أي البصري -: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول -: {إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين}(١).

وفي هذه القصة فوائد كثيرة أفادها الحافظ في الفتح منها:

١- عَلَمٌ من أعلام النبوة.

٢- فيها منقبة للحسن بن علي رضي الله عنهما، فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله، ولما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

٣- فيها ردّ على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه ومعاوية ومن معه، بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين.

---

(١) سبق تخريجه.

٤- فيها دلالة على فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين.

٥- فيها دلاله على رأفة معاوية بالرعية وشفقته على المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك ونظره في العواقب.

٦- فيها جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين.

٧- وفيه جواز ولاية المفضول مع وجود الأفضل، لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة وسعد بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ) وسعيد بن زيد (ت٥١هـ) في الحياة وهما بدريان[1].

وبهذا التنازل، انتهت مرحلة من الصراع وعادت الأمة إلى الجماعة بعد أن مرت بتجارب جديدة قاسية تركت آثارها عميقة في المخيلة لأجيالها المتلاحقة حتى الوقت الحاضر[2].

الرد على فهم البعض السقيم لأحداث الفتنة بين معاوية وعلي:

يقول أحدهم: (وعندما نسأل بعض علماء أهل السنة عن حرب معاوية لعلي وقد بايعه المهاجرون والأنصار، تلك الحرب الطاحنة التي سبّبت انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة وانصدع الإسلام ولم يلتئم حتى اليوم، فإنهم يجيبون كالعادة وبكل سهولة قائلين: أن علياً ومعاوية صحابيان جليلان اجتهدا، فعلي اجتهد وأصاب فله أجران أما معاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد. وليس من حقّنا نحن أن نحكم لهم أو عليهم وقد قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧١-٧٢).

(٢) وللمزيد حول تفاصيل الصلح وخطوات ذلك، راجع كتاب: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري للدكتور خالد الغيث (ص ١٢٦ – ١٦٧)، وكتاب: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية للدكتور محمد بن عبد الهادي الشيباني (ص ١١٠ – ١٢٠) فقد أجاد كل منهما في طرح الموضوع ومناقشته.

﴿يَعْمَلُونَ ۝١٣٤﴾ [البقرة:١٣٤]، هكذا وللأسف تكون إجاباتهم وهي كما ترى سفسطة لا يقول بها عقل ولا دين، ولا يقرّ بها شرع، اللهم أبرأ إليك من خطل الآراء وزلل الأهواء، وأعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربّ أن يحضرون، كيف يحكم العقل السليم باجتهاد معاوية ويعطيه أجراً على حربه إمام المسلمين وقتله المؤمنين الأبرياء وارتكابه الجرائم والآثام التي لا يحصي عددها إلا الله، وقد اشتهر عند المؤرخين بقتله معارضيه وتصفيتهم بطريقته المشهورة وهو إطعامهم عسلاً مسموماً وكان يقول: «إن لله جنوداً من عسل»، كيف يحكم هؤلاء باجتهاده ويعطوه أجراً وقد كان إمام الفئة الباغية ففي الحديث المشهور الذي أخرجه كل المحدثين والذي جاء فيه (ويح عمّار تقتله الفئة الباغية) وقد قتله معاوية وأصحابه.... والسؤال يعود دائماً ويتكرر ويلح: ترى أي الفريقين على الحق وأيهما على الباطل؟ فإما أن يكون علي وشيعته ظالمين وعلى غير الحق. وإمّا أن يكون معاوية وأتباعه ظالمين وعلى غير الحق، وقد أوضح رسول الله ﷺ كل شيء، وفي كلا الحالين فإن عدالة الصحابة كلهم من غير استثناء أمر مستحيل، لا ينسجم مع المنطق السليم).

فأقول:

١ - لقد قلت: إن معاوية لم يقاتل علياً إلا في أمر عثمان وقد رأى أنه ولي دم عثمان وهو أحد أقربائه، واستند إلى النصوص النبوية التي تبين وتظهر أن عثمان يقتل مظلوماً ويصف الخارجين عليه بالمنافقين إشارة إلى ما رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: {يا عثمان! إن ولاّك الله هذا الأمر يوماً، فأَرادكَ المنافقون أن تخْلع قميصك الذي قمَّصَكَ الله، فلا تخلعه. يقول ذلك ثلاث مرات}[1].

---

(١) سبق تخريجه.

وقد شهد كعب بن مرة أمام جيش معاوية بذلك فقال: {لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت -أي ما قمت بالقتال بجانب معاوية للقصاص من قتلة عثمان- وذكر الفتن فقرّ بها، فمر رجل مقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم}(١).

وأيضاً عن عبد الله بن شقيق بن مرة قال: قال رسول الله ﷺ: {تهيج على الأرض فتن كصياصي البقر فمر رجل متقنع فقال رسول الله ﷺ: هذا وأصحابه يومئذ على الحق. فقمت إليه فكشفت قناعه وأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هو هذا؟ قال: هو هذا، قال: فإذا بعثمان بن عفان}(٢).

وقد رأى معاوية وأنصاره أنهم على الحق بناء على ذلك، وأنهم على الهدى، وخصوصاً عندما نعلم أن المنافقين الثائرين على عثمان كانوا في جيش علي فاعتبروهم على ضلال فاستحلّوا قتالهم متأولين.

٢- إضافة إلى أن أنصار معاوية يقولون: لا يمكننا أن نبايع إلا من يعدل علينا ولا يظلمنا، ونحن إذا بايعنا علياً ظلمنا عسكره كما ظلم عثمان، وعلي عاجز عن العدل علينا، وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علينا ويقولون أيضاً: إن جيش علي فيه قتلة عثمان وهم ظلمة يريدون الاعتداء علينا كما اعتدوا على عثمان، فنحن نقاتلهم دفعاً لصيالهم علينا وعلى ذلك فقتالهم جائز ولم نبدأهم بالقتال ولكنهم بدأونا بالقتال.

٣- وعلى ذلك فالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ تفيد أن ترك القتال كان خيراً للطائفتين فلم يكن واجباً ولا مستحباً، وأن علياً مع أنه أولى بالحق وأقرب إليه من

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٩) (٨٣٣٤).

معاوية ولو ترك القتال لكان فيه خيراً عظيماً وكفاً للدماء التي أسيلت، ولهذا كان عمران بن حصين رضي الله عنه ينهى عن بيع السلاح فيه ويقول: «لا يباع السلاح في الفتنة» وهذا قول سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وابن عمر وأسامة بن زيد وأكثر من كان بقي من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اعتزلوا الفتنة ولم يشاركوا في القتال لذلك قال الكثير من أئمة أهل السنة: (لا يشترط قتال الطائفة الباغية فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما ثم إن بغت إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغي) فادعاء هذا الطاعن أن معاوية هو الذي أمر بقتال علي كذب فاضح.

٤- ولو فرضنا أن الذين قاتلوا علياً عصاة وليسوا مجتهدين متأولين فلا يكون ذلك قادحاً في إيمانهم واستحقاقهم لدخول الجنان فالله ﷻ يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات:٩-١٠]، فوصفهم بالإيمان وجعلهم إخوة رغم قتالهم وبغي بعضهم على بعض، فكيف إذا بغى بعضهم على بعض متأولاً أنه على الحق فهل يمنع أن يكون مجتهداً سواءٌ أخطأ أو أصاب؟! لهذا فأهل السنة يترحمون على الفريقين كما يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠].

٥- الأحاديث الثابتة تبين أن كِلا الطائفتين دعوتها واحدة وتسعيان للحق الذي تعتقدان وتبرئهما من قصد الهوى واتباع البطلان، فقد أخرج البخاري في صحيحه أن

أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة}[(١)]، وهذا الحديث كما ترى يثبت أنهما أصحاب دعوة واحدة ودين واحد، وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: {تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق}[(٢)].

فهذا الحديث يبين أن كلا الطائفتين يطالبان بالحق ويتنازعان عليه، أي: أنهما يقصدان الحق ويطلبانه ويبين أن الحق هو مع علي؛ لأنه قاتل هذه الطائفة وهي طائفة الخوارج التي قاتلها في النهروان، وقال النووي: (فيه التصريح بأن الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون)[(٣)].

٦- بالنسبة لبغي معاوية فإما أن يكون فيه متأولاً أن الحق معه، أو يكون متعمداً في بغيه، وفي كلا الحالتين فإن معاوية ليس معصوماً من الوقوع في ذلك أو غيره من الذنوب، فأهل السنة لا ينزهونه من الوقوع في الذنوب بل يقولون: إن الذنوب لها أسباب ترفعها بالاستغفار والتوبة منها أو في غير ذلك، وقد ذكر ابن كثير في البداية عن المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية قال: (فلما دخلت عليه حسبت أنه قال: سلمت عليه فقال: ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور؟ قال: قلت: ارفضنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له، فقال: لتكلمني بذات نفسك، قال: فلم أدع شيئاً أعيبه عليه إلا أخبرته به، فقال: لا تبرأ من الذنوب، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهالك إن لم يغفرها الله لك؟ قال: قلت: نعم، إن لي ذنوباً إن لم يغفرها هلكت بسببها، قال: فما الذي يجعلك أحق بأن ترجو أنت المغفرة مني، فوالله لما إلي من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٠٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٦٨).

والإصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والأمور العظام التي لا يحصيها إلا الله ولا نحصيها أكثر من العيوب والذنوب، وإني لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات، والله على ذلك ما كنت لأخيَّر بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه، قال: ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد خصمني. قال: فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير)[1]، فكيف إذا كان متأولاً؟

٧- بالنسبة لحديث {ويح عمار تقتله الفئة الباغية}، فإنه من أعظم الدلائل أن الحق مع عليّ، لكن معاوية تأوّل الحديث فعندما هزَّ مقتل عمار، عمرو بن العاص وابنه تملّكتهما الرهبة، ففي الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: {لمّا قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قُتل عمار وقد قال رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية. فقام عمرو بن عاص فزعاً يُرجِّع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار. فقال معاوية: قتل معاوية فماذا؟ قال عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال له معاوية: دحضْتَ في بولك أو نحن قتلناه؟ إنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال: سيوفنا}[2]، فخرج الناس يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فأرجع الثقة لجيشه، والذي جعل معاوية يأول الحديث هذا التأويل أنه لم يكن يتصور أن قتلة عثمان أهل حق في ضوء الأحاديث التي تثبت أن عثمان يقتل مظلوماً، وأن قتلته هم الظالمون، فلا شك أن الفئة الباغية هي التي في جيش عليّ، ولكن الحق الذي يقال أن هذه التأويلات باطلة قطعاً وأن الحق مع عليّ، ولكن فئة معاوية معذورون في اجتهادهم؛ لأنهم أرادوا الحق ولكنهم لم يصيبوه،

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٤).

(٢) مسند أحمد برقم (١٧٨١٣).

وهذا هو الذي جعل عمرو بن العاص يقترح رفع المصاحف لإيقاف الحرب؛ لأنه كان في قلبه شيء من هذا الحديث.

٨- وإذا أصرَّ صاحبنا على جعل معاوية ظالماً فسيجيبه الناصبة بأن علياً ظالم أيضاً؛ لأنه قاتل المسلمين لا لشيء بل لإمارته، وهو الذي بدأهم بالقتال وسفك الدماء دون فائدة تجنى للمسلمين، ثم تراجع وصالح معاوية، فلن يستطيع هذا الطاعن وشيعته الإجابة على ذلك، ولو احتج بحديث عمار فسيردّ عليه بأن الله لم يشترط البدء في قتال الطائفة الباغية إلا إذا ابتدأت هي بالقتال ولكن علياً هو الذي بدأهم بالقتال فما هو جواب هذا الطاعن؟ وقد ضربت صفحاً عن حجج الخوارج والمعتزلة التي تقدح في علي، المهم أن نعلم أن كل حجة يأتي بها هذا الطاعن على معاوية سيقابل بمثلها من جانب الطوائف الأخرى، ولكن أهل السنة يترضون عن الطائفتين ولا يفسقون أحدهما ويقولون: إن الحق مع علي رضي الله عنه ويردون على جميع حجج الطوائف التي تقدح في علي أو معاوية؛ لأن مذهبهم مستقيم بخلاف مذهب غيرهم والحمد لله.

٩- من المسلم عند كل من اطلع على مذهب الإمامية يعلم أنهم يكفرون معاوية لقتاله علياً، ولكن الثابت أن الحسن بن علي وهو من الأئمة المعصومين عندهم، فكل ما يصدر عنه فهو حق، والحسن قد صالح معاوية وبايعه على الخلافة فهل صالح الحسن (المعصوم) كافراً وسلّم له بالخلافة؟! أم أصلح بين فئتين مسلمتين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: {ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين}(1)، أرجو من هذا الطاعن الإجابة؟!

---

(١) سبق تخريجه.

١٠- أما ادعاؤه أن معاوية ارتكب جرائم لا تحصى وقد اشتهر عند المؤرخين بقتله معارضيه وتصفيتهم بطريقته المشهورة وهو إطعامهم عسلاً مسموماً وكان يقول: «إن لله جنوداً من عسل»!! فهذا القول فيه من الجهل والكذب ما لا يخفى على عاقل، وأنا أريد من هذا الطاعن إرشادنا إلى هؤلاء المؤرخين حتى يتسنى لنا التثبت من هذا الادعاء المكشوف وإلا فالكلام سهل جداً.

١١ الغريب أن يعترض صاحبنا على أبي بكر قتاله لمانعي الزكاة مع أن ذلك باتفاق الأمة، بينما تراه يقف مع عليّ في قتاله لمعاوية والذي اختلف فيه مع الصحابة، ولم يأت بنتائجه المرجوة وتسبب بقتل الألوف من المسلمين، ولعل السبب هو إنصافه المزعوم وعقلانيته المذؤومة!

١٢- أستطيع الإجابة على سؤال صاحبنا هذا الذي يتكرر ويلح بالقول أن فريق عليّ على الحق، وأما معاوية فليس بظالم ولا داع إلى باطل، ولكنه طالب للحق ولم يصبْهُ وهو مأجور على اجتهاده فليس أحدهما ظالم أو فاسق، والوقع بالذنب لا يقدح بعدالة المذنب، وفي كل الأحوال فإن عدالة الصحابة كلهم من غير استثناء أمر مسلّم بالكتاب والسنة والإجماع، وينسجم مع المنطق السليم ولكنه لا ينسجم بالطبع مع المنطق السقيم الذي يتمتع به هذا الطاعن!

وأخيراً إذا لم يقتنع صاحبنا بذلك فسأضطر لكي أستقي من مصادر الإمامية ما يثبت أن علياً ومعاوية على حق ومأجورين على اجتهادهما، فقد ذكر الكليني في كتابه(الروضة من الكافي) الذي يمثل أصول وفروع مذهب الاثني عشرية عن محمد بن يحيى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اختلاف بني العباس من المحتوم والنداء من المحتوم وخروج القائم من المحتوم، قلت: وكيف النداء؟ قال: ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون، وقال: وينادي مناد في آخر

النهار: ألا إن معاوية وشيعته هم الفائزون»[1].

وهذا علي بن أبي طالب يقرر أن معاوية وشيعته هم أهل إسلام وإيمان، ولكن القضية اجتهادية كل يرى نفسه على الحق في مسألة عثمان فيذكر الشريف الرضي في كتابكم (نهج البلاغة) عن علي أنه قال: «وكان بدء أمرنا أن التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»[2].

ادعاء البعض أن معاوية سم الحسن:

يقول أحدهم: (كيف يريدونه صحابياً عادلاً وقد دسّ السم للحسن بن علي سيد شباب أهل الجنّة وقتله).

ويقول: (كيف يحكمون باجتهاده وقد دسّ السم للحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة فقتله، ولعلهم يقولون: هذا أيضاً من اجتهاده فقد اجتهد وأخطأ!).

فأقول: هذا الادعاء باطل وذلك لأسباب وهي:

أ- أنه لم يثبت ولا دليل صحيح عليه، وإن كان عند صاحبنا نقل ثابت عن عدل فليرشدنا إليه لا أن يتهم صحابياً دون أن يأتي ببينة على ادعائه.

ب- كان الناس في تلك المرحلة في حالة فتنة تتصارعهم الأهواء، وكل فرقة تنسب للأخرى ما يذمها، وإذا نقل لنا ذلك فيجب ألا نقبله إلا إذا نقل بعدل ثقة ضابط.

---

(١) الكافي (٨/ ٣١٠).

(٢) سبق.

ج- لقد نقل أن الذي سمّ الحسن غير معاوية فقيل: هي زوجته، وقيل: أن أباها الأشعث بن قيس هو الذي أمرها بذلك، وقيل: معاوية، وقيل: ابنه يزيد، وهذا التضارب بالذي سمّ الحسن يضعف هذه النقول لأنه ينقصها النقل الثابت بذلك، وصاحبنا، لم يعجبه من هؤلاء إلا الصحابي معاوية مع أنه أبعد هؤلاء عن هذه التهمة.

ث- حجة صاحبنا هذه تستسيغها العقول في حالة رفض الحسن الصلح مع معاوية ومقاتلته على الخلافة، ولكن الحق أنّ الحسن صالح معاوية وسلّم له بالخلافة وبايعه، فعلى أي شيء يسمّ معاوية الحسن؟! ولهذه الأسباب أقول: إن حجة هذا الطاعن هذه خاوية على عروشها!

رد آخر على زعمهم أنه سمّ الحسن بن علي رضي الله عنه !!:

كانت وفاة الحسن بن علي رضي الله عنه سنة (٥١هـ)، وصلى عليه سعيد بن العاص رضي الله عنه والي المدينة من قبل معاوية من سنة (٤٩ - ٥٤هـ)[(١)].

ولم يرد في خبر وفاة الحسن بن علي رضي الله عنه بالسم خبر صحيح أو رواية ذات أسانيد صحيحة.

وفي ما يلي أقوال أهل العلم في هذه المسألة:-

- قال ابن العربي رحمه الله: (فإن قيل: دس - أي معاوية - على الحسن من سمه، قلنا: هذا محال من وجهين:-

أحدهما: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأساً وقد سلّم الأمر.

الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه، في زمن متباعد، لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة

---

(١)انظر: طبقات ابن سعد (القسم المفقود) تحقيق محمد بن صامل (١/ ٣٤١ - ٣٤٤).

وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم)(١).

- قال ابن تيمية رحمه الله: (وأما قوله: إن معاوية سم الحسن، فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم)(٢).

- قال الذهبي رحمه الله: (قلت: هذا شيء لا يصح فمن الذي اطلع عليه)(٣).

- قال ابن كثير رحمه الله: (وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سُمّي الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟ وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى)(٤).

- قال ابن خلدون: (وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك)(٥).

وقد علق الدكتور جميل المصري على هذه القضية في كتابه: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري (ص ٤٨٢) بقوله: (ثم حدث افتعال قضية سم الحسن من قبل معاوية أو يزيد.. ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعاً آنذاك؛ لأننا لا نلمس لها أثراً في قضية قيام الحسين، أو حتى عتاباً من الحسين لمعاوية.

---

(١) العواصم (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٦٩).

(٣) تاريخ الإسلام (عهد معاوية) (ص:٤٠).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٤٣).

(٥) تاريخ ابن خلدون (٢/ ٦٤٩).

قلت: ثم إن الناس في تلك المرحلة في حالة فتنة تتصارعهم الأهواء، وكل فرقة تنسب للأخرى ما يذمها، وإذا نقل لنا خبر كهذا فإنه يجب علينا ألا نقبله إلا إذا نقل عن عدل ثقة ضابط.. وقد حاول البعض من الإخباريين والرواة أن يوجدوا علاقة بين البيعة ليزيد وبين وفاة الحسن بالسم.

ثم إن الذي نُقِلَ لنا عن حادثة سم الحسن بن علي رضي الله عنه روايات متضاربة ضعيفة، بعضها يقول: إن الذي دس السم له هي زوجته، وبعضها يقول: إن أباها الأشعث بن قيس هو الذي أمرها بذلك، وبعضها يتهم معاوية رضي الله عنه بأن أوعز إلى بعض خدمه فسمه، وبعضها يتهم ابنه يزيد.. وهذا التضارب في حادثة كهذه يضعف هذه النقول؛ لأنه يعزوها النقل الثابت بذلك، وهؤلاء لم يعجبهم من هؤلاء إلا الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه يلصقون به التهمة، مع أنه أبعد هؤلاء عنها..

وقلت أيضاً: إن هذه الحادثة - قصة دس السم من قبل معاوية للحسن - تستسيغها العقول في حالة واحدة فقط؛ وهي كون الحسن بن علي رضي الله عنه رفض الصلح مع معاوية وأصر على القتال، ولكن الذي حدث أن الحسن رضي الله عنه صالح معاوية وسلم له بالخلافة طواعية وبايعه عليها، فعلى أي شيء يقدم معاوية رضي الله عنه على سم الحسن؟!

وإن من الدلالة على ضعف تلك الاتهامات وعدم استنادها إلى معقول أو محسوس، ما ذكر حول علاقة جعدة بنت قيس بمعاوية ويزيد، حيث زعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس أن سمي حسناً فإني سأتزوجك، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء، فقال: إنا والله لم نرضك له أفنرضاك لأنفسنا.

ولعل الناقد لمتن هذه الرواية يتجلى له عدة أمور:-

١- هل معاوية رضي الله عنه أو ولده يزيد بهذه السذاجة ليأمرا امرأة الحسن بهذا الأمر الخطير، الذي فيه وضع حد لحياة الحسن بن علي غيلة، وما هو موقف معاوية أو ولده أمام المسلمين لو أن جعدة كشفت أمرهما؟!

٢- هل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد، وبالتالي تكون زوجة له، أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة كافة وهو الأشعث بن قيس، ثم أليس زوجها وهو الحسن بن علي أفضل الناس شرفاً ورفعة بلا منازعة، إن أمه فاطمة وجده الرسول ﷺ وكفى به فخراً، وأبوه علي بن أبي طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، إذاً ما هو الشيء الذي تسعى إليه جعدة وستحصل عليه حتى تنفذ هذا العمل الخطير؟!

٣- لقد وردت الروايات التي تفيد أن الحسن قال: «لقد سقيت السم مرتين»، وفي رواية ثلاث مرات، وفي رواية: «سقيت السم مراراً»، هل بإمكان الحسن أن يفلت من السم مراراً إذا كان مدبر العملية هو معاوية أو يزيد؟! نعم إن عناية الله وقدرته فوق كل شيء، ولكن كان باستطاعة معاوية أن يركز السم في المرة الأولى ولا داعي لهذا التسامح مع الحسن المرة تلو المرة!!

٤- وإذا كان معاوية رضي الله عنه يريد أن يصفي الساحة من المعارضين حتى يتمكن من مبايعة يزيد بدون معارضة، فإنه سيضطر إلى تصفية الكثير من أبناء الصحابة، ولن تقتصر التصفية على الحسن فقط.

٥- وإن بقاء الحسن من صالح معاوية في بيعة يزيد، فإن الحسن كان كارهاً للنزاع وفرقة المسلمين، فربما ضمن معاوية رضاه، وبالتالي يكون له الأثر الأكبر في موافقة بقية أبناء الصحابة.

٦- ثم إن هناك الكثير من أعداء الحسن بن علي رضي الله عنه، قبل أن يكون معاوية هو المتهم الأول، فهناك السبئية الذين وجه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية وجعل حداً لصراع المسلمين، وهناك الخوارج الذين قاتلهم أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان وهم الذين طعنوه في فخذه، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم في النهروان وغيرها[(١)].

ويكفي أن نخبركم أن أحد مؤرخيهم وهو ابن رستم في كتابه: دلائل الإمامة (ص ٦١) قد بالغ في اتهام معاوية رضي الله عنه، وادعى أنه سم الحسن سبعين مرة فلم يفعل فيه السم، ثم ساق خبراً طويلاً ضمنه ما بذله معاوية لجعدة من الأموال والضياع لتسم الحسن، وغير ذلك من الأمور الباطلة.

مناقشة الجانب الطبي في روايات السم:

بعدما تبينت براءة معاوية رضي الله عنه وابنه يزيد من تهمة سم الحسن بن علي رضي الله عنهما، فيما سبق من أقوال العلماء، وما سردناه من تحليلات، فإنه مما يناسب المقام مناقشة الجانب الطبي في المرويات التي تحدثت عن وفاة الحسن رضي الله عنه بالسم[(٢)].

وفيما يلي النصوص الخاصة بالجانب الطبي في هذه المسألة:

١- أخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن رضي الله عنه دخل كنيفاً له، ثم خرج فقال:«..والله لقد لفظت الساعة طائفة من كبدي قبل، قلبتها بعود كان معي، وإني

(١) ولمزيد فائدة راجع كتاب: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري للدكتور محمد نور ولي (ص ٣٦٧ - ٣٦٨) لتقف على الكم الهائل من الروايات المكذوبة على معاوية رضي الله عنه في قضية سم الحسن.. وكتاب: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية للدكتور محمد بن عبد الهادي الشيباني (ص ١٢٠- ١٢٥).

(٢)ويمكنك مراجعة هذه المرويات الضعيفة في طبقات ابن سعد القسم المفقود بتحقيق الدكتور محمد بن صامل (١/ ٣٣٤ - ٣٣٩).

سقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذا»[١].

٢- أخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن رضي الله عنه قال: «إني قد سقيت السم غير مرة، وإني لم أسق مثل هذه، إني لأضع كبدي»[٢].

٣- أخرج ابن سعد بإسناده، قال: «كان الحسن بن علي سقي السم مراراً، كل ذلك يفلت منه، حتى كان المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه كان يختلف كبده»[٣].

هذا؛ وبعرض النصوص المتعلقة بالجانب الطبي في هذه المسألة على أ.د. كمال الدين حسين الطاهر أستاذ علم الأدوية، كلية الصيدلة جامعة الملك سعود بالرياض، أجاب بقوله: (لم يشتك المريض - أي الحسن بن علي رضي الله عنه - من أي نزف دموي سائل، مما يرجح عدم إعطائه أي مادة كيميائية أو سم ذات قدرة على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم، فمن المعروف أن بعض الكيميائيات والسموم تؤدي إلى النزف الدموي؛ وذلك لقدرتها على تثبيط التصنيع الكبدي لبعض العوامل المساعدة على تخثر الدم، أو لمضادات تأثيراتها في عملية التخثر؛ ولذلك فإن تعاطي هذه المواد سيؤدي إلى ظهور نزف دموي في مناطق متعددة من أعضاء الجسم مثل العين والأنف والفم والجهاز المعدي - المعوي - وعند حدوث النزف الدموي في الجهاز المعدي - المعوي - يخرج الدم بشكل نزف دبري سائل، منفرداً أو مخلوطاً مع البراز، ولا يظهر في شكل جمادات أو قطع دموية صلبة كانت أو إسفنجية، أو في شكل «قطع من الكبد»، ولذلك يستبعد إعطاء ذلك المريض أحد المواد الكيميائية، أو السموم ذات القدرة على إحداث نزف دموي).

---

(١)طبقات ابن سعد (١/ ٣٣٦).

(٢)المصدر السابق (١/ ٣٣٨).

(٣)المصدر السابق (١/ ٣٣٩).

وعن طبيعة قطع الدم المتجمدة التي أشارت الروايات إلى أنها قطع من الكبد، يقول أ.د. كمال الدين حسين الطاهر: (هناك بعض أنواع سرطانات أو أورام الجهاز المعدي – المعوي – الثابتة أو المتنقلة عبر الأمعاء، أو بعض السرطانات المخاطية التي تؤدي إلى النزف الدموي المتجمد، المخلوط مع الخلايا، وبطانات الجهاز المعدي – المعوي – وقد تخرج بشكل جمادات «قطع من الكبد كما في الروايات»، ولذلك فإني أرجح أن ذلك المريض قد يكون مصاباً بأحد سرطانات، أو أورام الأمعاء)[1].

وإن ثبت موت الحسن رضي الله عنه بالسم، فهذه شهادة له وكرامة في حقه كما قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٤/ ٤٢).

مقال آخر في شبهة اتهام معاوية بدس السم للحسن وقتله:

ولكن هذه الشبهة لم تأت من فراغ خاصة أن هناك رواية يتمسك بها المبتدعة تتحدث عن معاهدة الصلح والتي اشترط فيها الحسن على معاوية بأن تكون الخلافة له من بعده.. فكان أمام معاوية هذه العقبة، لذا فإنه لما بدأ يفكر في البيعة ليزيد لم يجد من أن يدس السم إليه، ليتخلص من الشرط!!!

ولمعرفة أبعاد هذه القضية وهذه الشبهة، ثم الخروج بحكم صحيح كان لابد من معرفة كيفية الصلح وما هي الشروط التي اقتضاها ذلك الصلح.

كان الحسن رضي الله عنه معارضاً لخروج أبيه لقتال أهل الجمل وأهل الشام، كما جاء ذلك بإسناد حسن عند ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٩٩-١٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٥٦-٤٥٧).. ثم لما رأى تلك المعارك التي لاشك أنها تركت في نفسه جرحاً بليغاً، خاصة بعد أن رأى تحول المسلمين من فاتحين ومجاهدين إلى

(١) راجع كتاب: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري للدكتور خالد الغيث (ص ٣٩٥ – ٣٩٧).

جماعات متناحرة شاهرين الرماح في وجوه بعضهم البعض.. ورأى كيف سقط الآلاف من المسلمين، بسبب تلك الحروب التي لا تخدم إلا أعداء الإسلام.. ثم إنه بالتأكيد قد أحس بتلك الأصابع الخفية، التي ساعدت على تأجيج وتوسيع الخلاف بين المسلمين.

بعد استشهاد علي رضي الله عنه، اجتمع أنصار علي واختاروا الحسن خليفة لهم من بعد أبيه، وبايع الحسن أهل العراق على بيعتين: بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما يدخل فيه، ويرضوا بما رضي به[1].

وبعد أن أخذ البيعة منهم قال لهم: «الحقوا بطينتكم وإني والله ما أحب أن ألي من إمرة أمة محمد ﷺ ما يزيد على ذرة خردل يهراق منهم محجم دم»[2].

هنا ارتاب أهل العراق من شرط الحسن عندما بايعهم، ووقع في حسّهم أن الحسن ليس بصاحب قتال، وقد تعرض الحسن رضي الله عنه لمحاولة اغتيال من قبل أحد الخوارج حينما طعنه في وركه طعنة خطيرة، مرض منها الحسن طويلاً وكادت أن تودي بحياته[3].

وهذا التصرف جعل الحسن يزداد بغضاً لأهل الكوفة، فراسل معاوية في الصلح. وفي المقابل راسل معاوية الحسن ووافق على الصلح، هنا استشار الحسن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في هذا التصرف فأيده[4].

هذا وقد مرت قضية الصلح بمراحل عدة، أشار إليها الدكتور خالد الغيث في

---

(١)انظر: طبقات ابن سعد الطبقة الخامسة (٥/ ٢٥٧) بإسناد حسن.

(٢)انظر: طبقات ابن سعد الطبقة الخامسة (٥/ ٢٥٧) بإسناد صحيح.

(٣)انظر: المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٦١) بإسناد حسن.

(٤)طبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة (٢٦٩) بسند صحيح.

كتابه القيم مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري (ص ١٢٦ - ١٣٥) وهذا مختصرها:

المرحلة الأولى: دعوة الرسول ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فتلك الدعوة المباركة هي التي دفعت الحسن رضي الله عنه إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم.

المرحلة الثانية: الشرط الذي وضعه الحسن أساساً لقبوله مبايعة أهل العراق له، بأن يسالموا من يسالم ويحاربوا من يحارب.

المرحلة الثالثة: محاولة الاغتيال التي تعرض لها الحسن رضي الله عنه على يد الخوارج، كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢٣) بسند حسن.

المرحلة الرابعة: إجبار الحسن رضي الله عنه على الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر أشار إليه ابن كثير رحمه الله في البداية (٨/ ١٤) بقوله: (ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله).

المرحلة الخامسة: خروج معاوية رضي الله عنه من الشام وتوجهه إلى العراق، بعد أن وصل إليه خبر خروج الحسن من الكوفة.

المرحلة السادسة: تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما.

المرحلة السابعة: المحاولة الثانية لاغتيال الحسن رضي الله عنه، حيث أنه بعد أن نجحت المفاوضات بين الحسن ومعاوية، شرع الحسن في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذي تم، فقام فيهم خطيباً، وبينما هو يخطب إذ هجم عليه بعض معسكره محاولين

قتله، ولكن الله أنجاه منهم[(١)].

المرحلة الثامنة: تنازل الحسن بن علي عن الخلافة وتسليمه الأمر إلى معاوية رضوان الله عليهم أجمعين[(٢)].

قال أبو سلمة التبوذكي رحمه الله في معرض الإشادة بجمع عثمان بن عفان رضي الله عنه القرآن: وكان في جمعه القرآن كأبي بكر في الردة[(٣)].

قلت: وكذلك كان الحسن رضوان الله عليه في صلحه مع معاوية رضي الله عنه في حقنه لدماء المسلمين، كعثمان في جمعه القرآن وكأبي بكر في الردة.

قال ابن بطال معلقاً على رواية البخاري: (هذا يدل على أن معاوية كان هو الراغب في الصلح، وأنه عرض على الحسن المال ورغبه فيه، وحثه على رفع السيف، وذكره ما موعده جده صلى الله عليه وسلم من سيادته في الإصلاح به)[(٤)].

وهناك رواية أخرى أخرجها ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٣٠ - ٣٣١) بسند صحيح وهي لا تقل أهمية عن رواية البخاري في الصلح، وتعد مكملة لها، وهي من طريق عمرو بن دينار: إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره للفتنة، فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سراً، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي لَيُسَمِّيَنَّهُ - أي يرشحه للخلافة من بعده -، وليجعلن هذا الأمر إليه، فلما وثق منه الحسن، قال ابن جعفر: والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم

---

(١)انظر هذا الخبر في الأخبار الطوال للدينوري (ص ٢١٦ - ٢١٧).

(٢) انظر خبر هذه المرحلة عند الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦) بسند حسن وفضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/ ٧٦٩) بسند صحيح.

(٣)السنة للخلال (٣٢٢).

(٤)انظر: فتح الباري (١٣/ ٦٩).

فجذب بثوبي وقال: اقعد يا هَناهُ – أي يا رجل – اجلس، فجلست، قال: إني قد رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه، قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقت فيها الدماء وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعطلت الفروج – يعني الثغور –، فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد فأنا معك على هذا الحديث، فقال الحسن: ادع لي الحسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخي أني قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه، قال: ما هو؟ قال: فقص عليه الذي قال لابن جعفر، قال الحسين: أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية، قال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري، قال: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك فافعل ما بدا لك.

والحقيقة أن الرغبة في الصلح كانت موجودة لدى الطرفين الحسن ومعاوية، فقد سعى الحسن ﷺ إلى الصلح، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن، فكان عمل كل واحد منهما مكملاً للآخر رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن خلال النصين السابقين، وبالتدقيق في الروايات التي تنص على طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع قوة وكرم الحسن؛ فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء الأمة وابتغاء مرضاة الله، ثم يوافق على أن يكون تابعاً، يتطلب أسباب الدنيا وتشرأب عنقه للخلافة مرة أخرى؟!

والدليل على هذا ما ذكره جبير بن نفير قال: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت

ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أبتزها بأتياس أهل الحجاز[(١)].

وفي اعتقادي أن هذه القصة عبارة عن إشاعة سارت بين الناس وبالذات بين أتباع الحسن، ثم إنه من الملاحظ أن أحداً من أبناء الصحابة أو الصحابة أنفسهم، لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئاً من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية العهد، لاتخذها الحسين رضي الله عنه حجة، وقال: أنا أحق بالخلافة، ولكن لم نسمع شيئاً من ذلك على الإطلاق.

ومما يؤيد هذا الاعتقاد، ما قرره الأستاذ محمد ضيف الله بطاينة في مقال له منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٨٣ - ٨٤) سنة ١٤٠٩ه، حيث قال: (وربما أن هذه الإشاعة - قضية ولاية عهد الحسن بعد معاوية - أطلقت في ظروف متأخرة، أرادت التعريض بالبيعة ليزيد، واتهام معاوية بالخروج على الشورى في استخلافه ولده يزيد، وهي قضية جرت في فترة تالية من الصلح بين الحسن ومعاوية.

ادعاء البعض على معاوية أنه حوّل الخلافة من الشورى إلى ملكية قيصرية:

بقوله: (كيف ينزّهونه وقد أخذ البيعة من الأمة بالقوة والقهر لنفسه أولاً ثم لابنه الفاسق يزيد من بعده وبدّل نظام الشورى بالملكية القيصرية).

ويقول: (وبعد علي استولى معاوية على الخلافة فأبدلها قيصرية ملكية يتداولها بنو أمية ومن بعدهم بنو العباس أباً عن جد، ولم يكن هناك خليفة إلاّ بنص السابق عن اللاّحق أو بقوة السيف والسلاح والاستيلاء، فلم تكن هناك بيعة صحيحة في التاريخ الإسلامي من عهد الخلفاء وحتى عهد كمال أتاتورك الذي قضى على الخلافة الإسلامية إلا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

---

(١) البلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٤٩) وطبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة (ص ٢٥٨) بسند جيد.

ويقول: (كيف يحكمون باجتهاده وقد أخذ البيعة من الأمة بـالقوة والقهـر لنفسه ثم لابنه يزيد من بعده وحوّل نظام الشورى إلى الملكية القيصرية).

فأقول:

١- لم يأخذ معاوية الخلافة بالقوة والقهر، وإنما سلمت له من قبل الحسن بن علي وذلك بعدما تم الصلح بينهما وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: {ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين}.

فقد أخرج البخاري في صحيحه أن الحسن البصري قال: {استقبل والله الحسن بن عليّ معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تُولّي حتى تَقْتُل أقرنها، فقال له معاوية: وكان والله خير الرجلين أي عمرو، إن قتلَ هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور النّاس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم، فبعث إليه رجلين من قريش، من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمُرة وعبد الله بن عامر بن كُريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه. فأَتياهُ فدخلا عليه، فتكلَّما وقالا له فطلبا إليه، فقال الحسن بن عليّ: إنَّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنَّ هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألُكُ، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه. فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن عليّ إلى جنبه، وهو يُقبل على النّاس مرَّة وعليه أخرى، ويقول: إنَّ ابني هذا سيدٌ، ولعلّ الله أن يُصلح به بين فِئتين من المسلمين}[1].

٢- أما بالنسبة لمبايعة ابنه يزيد فقد حرص معاوية على موافقة الناس، فعزم على

---

(١) سبق تخريجه.

أخذ البيعة لولاية العهد ليزيد، فشاور كبار الصحابة وسادات القوم وولاة الأمصار فجاءت الموافقة منهم، وجاءته الوفود بالموافقة على بيعة يزيد وبايعه الكثير من الصحابة حتى قال الحافظ عبد الغني المقدسي: (خلافته صحيحة، بايعه ستون من أصحاب رسول الله ﷺ منهم ابن عمر)(١).

وقد ثبت في صحيح البخاري أن ابن عمر بايع يزيد وعندما قامت عليه الفتنة من المدينة جمع أهله وحذّرهم من الخروج على يزيد، فعن نافع قال: {لمّا خلع أهل المدينة ابن معاوية، جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إني سمعت النبيَّ ﷺ يقول: يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة. وإنَّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يُبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم يَنصُبُ له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خَلَعَهُ، ولا تابع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه}(٢).

وقد خالف ابن الزبير والحسين هذه الموافقة، ولا يقدح ذلك في البيعة إذ لا بد من مخالف لذلك، ومن هنا نعلم أن معاوية حرص على موافقة الأمة على بيعة يزيد، ولو أراد معاوية الاستبداد وأخْذ البيعة ليزيد بالقوة والقهر كما يدعي هذا الطاعن لاكتفى ببيعة واحدة، وفرضها على الناس فرضاً، وهذا ما لم يفعله معاوية بل قد خالف من خالف ولم يتخذ معاوية سبيل القوة لارغامهم على البيعة.

٣- ولعل السبب الذي دفع معاوية لأخذ البيعة ليزيد، حتى يُبعد الخلاف ويجمع الكلمة في هذه المرحلة المتوتِّرة التي تعيشها الأمة، وكثرة المطالبين بالخلافة فرأى أنه بتوليته ليزيد صلاح للأمة وقطعاً لدابر الفتنة باتفاق أهل الحل والعقد عليه.

---

(١) قيد الشريد من أخبار يزيد لابن خلدون (ص٧٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١١١).

٤- لم يبتدع معاوية نظاماً جديداً للخلافة بتوريث ابنه يزيد، فقد سبقه إلى ذلك أبو بكر عندما عهد بالأمر لعمر بن الخطاب وقد عمد عمر إلى نفس الأمر فعهد بالولاية وحصرها بستة من الصحابة، أما إذا احتج المحتج بأن الاستخلاف في عهد الشيخين لم يكن للأبناء أي ملكاً وراثياً فأقول له: إن أول من فعل ذلك هو علي عندما عهد بالخلافة من بعده لابنه الحسن فقد ذكر الكليني في (أصول الكافي) عن سليم بن قيس قال: (شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحُسين ومحمداً -أي: ابن الحنفية- عليهم السلام وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح..)(1).

٥- الإمامية يعارضون في الأصل مبدأ الشورى، ويدعون أن الولاية يجب أن ينص عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنص صريح، وصاحبنا نفسه عارض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، فلماذا يتباكا هنا على نظام الشورى الذي يعارضه هو نفسه، ويعترض على معاوية بولاية العهد لابنه يزيد فهل لو جعلها شورى سيقبلها صاحبنا الطاعن! أم أن الأمر عندهم سيان!

الجواب أنهم لن يقبلوها ولو كانت شورى من جميع المسلمين، فلماذا هذه الإثارة الممجوجة والورع المكذوب من هذا الطاعن على مبدأ الشورى، وأغرب ما في الأمر اعتراض الطاعن أن يورث معاوية ابنه يزيد وراثة قيصرية ملكية! وما درى أن أعظم اعتقاد للإمامية هو اعتقاد الإمامية وراثية قيصرية ملكية في ولد علي بن أبي طالب باستخلاف الأب للابن وهكذا فهل هي حلال لهم حرام على غيرهم؟!

وأخيراً: أما ادعاءه أنه لم تكن هناك بيعة صحيحة في التاريخ الإسلامي من عهد

---

(١) الكافي (١/ ٢٩٧).

الخلفاء وحتى عهد كمال أتاتورك (!!) الذي قضى على الخلافة الإسلامية إلا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

فأقول: هذا الكلام لا يقوله إلا من هو أقل الناس فهماً وأكثرهم جهلاً وأعماهم بصراً، فأقول له: على أي شيء استندت على قولك السقيم هذا وما هي شروط البيعة الصحيحة؟ إذا ادعيت أنه لا بد من إجماع الناس على البيعة، قلت: علي بن أبي طالب أبعد الخلفاء الثلاثة عن الإجماع فقد خالفه أضعاف من خالف الثلاثة وقامت الحروب بينه وبين معارضيه، وتوفي قبل توحيد المسلمين على البيعة.

أما إذا قلت: إن خلافة الثلاثة كانت بالقوة، قلت: هذا من أكبر الكذب، والتاريخ يشهد بذلك وأنت بنفسك قلت: إن الخلافة كانت شورى حتى استبدلها معاوية بالقيصرية ولو قال معارضو علي بأنه أراد الخلافة بالقوة لكانت حجتهم أقوى من حجتك، فإن علياً قاتل على خلافته حتى سقطت دماء الآلاف من المسلمين، وإن ادعيت أن خلافة علي صحيحة لأنها ثابتة بالنص من الرسول ﷺ فأقول: فهذا كذب أيضاً، فكل الأدلة التي سقتها لا تفيد النص على علي ولو كان ذلك صحيحاً لما بايع علي الخلفاء الثلاثة إضافة إلى أن النصوص التي تبين أن الخليفة هو أبو بكر أقوى صحة وأظهر دليلاً على نصية الخلافة له، فكل حجج هذا الطاعن ظاهرة البطلان والعوار، والغريب حقاً أن صاحبنا الذي ينفي وجود خلافة صحيحة إلا لعلي، يقر بالحق من حيث لا يدري، فيقول: حتى عهد أتاتورك الذي قضى على الخلافة الإسلامية؟! فسبحان الله كيف يجري الحق على ألسنتهم في حق معاوية.

رد آخر على شبهة توليته يزيد من بعده:

عمل معاوية رضي الله عنه جهده من البداية في سبيل إعداد ولده يزيد، وتنشئته التنشئة الصحيحة، ليشب عليها عندما يكبر، فسمح لمطلقته ميسون بنت بحدل الكلبية،

وكانت من الأعراب، وكانت من نسب حسيب، ومنها رزق بابنه يزيد[(١)]، من أن تتولى تربيته في فترة طفولته، وكان رحمه الله وحيد أبيه، فأحب معاوية رضي الله عنه أن يشب يزيد على حياة الشدة والفصاحة فألحقه بأهل أمه ليتربى على فنون الفروسية، ويتحلى بشمائل النخوة والشهامة والكرم والمروءة، إذ كان البدو أشد تعلقاً بهذه التقاليد.

كما أجبر معاوية ولده يزيد على الإقامة في البادية، وذلك لكي يكتسب قدراً من الفصاحة في اللغة، كما هو حال العرب في ذلك الوقت.

وعندما رجع يزيد من البادية، نشأ وتربى تحت إشراف والده، ونحن نعلم أن معاوية رضي الله عنه كان من رواة الحديث[(٢)]، فروى يزيد بعد ذلك عن والده هذه الأحاديث وبعض أخبار أهل العلم. مثل حديث: {من يرد الله به خيراً يفقه في الدين}[(٣)]، وحديث آخر في الوضوء، وروى عنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان، وقد عده أبوزرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة، وهي الطبقة العليا[(٤)].

وقد اختار معاوية دَغْفَل بن حنظلة السدوسي الشيباني (ت٦٥هـ)[(٥)] مؤدباً لولده يزيد، وكان دغفل علامة بأنساب العرب، وخاصة نسب قريش، وكذلك عارفاً بآداب اللغة العربية.

هذا مختصر لسيرة يزيد بن معاوية قبل توليه الخلافة.. أما عن فكرة ولاية العهد.. فقد بدأ معاوية رضي الله عنه يفكر فيمن يكون الخليفة من بعده، ففكر معاوية في هذا الأمر ورأى أنه إن لم يستخلف ومات ترجع الفتنة مرة أخرى.

---

(١) انظر ترجمتها في: تاريخ دمشق لابن عساكر - تراجم النساء - (ص٣٩٧ - ٤٠١).

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ٢٠٧).

(٣) رواه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٥)انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٢١٠).

فقام معاوية رضي الله عنه باستشارة أهل الشام في الأمر، فاقترحوا أن يكون الخليفة من بعده من بني أمية، فرشح ابنه يزيد، فجاءت الموافقة من مصر وباقي البلاد، وأرسل إلى المدينة يستشيرها وإذ به يجد المعارضة من الحسين وابن الزبير، وابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عباس(١)، إلا أن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قد بايعا فيما بعد طوعاً ليزيد.

وكان اعتراض هؤلاء النفر حول تطبيق الفكرة نفسها، لا على يزيد بعينه.

ثم كانت سنة واحد وخمسين هجرية فحج معاوية في الناس وقرأ كتاب الاستخلاف ليزيد على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لقد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وصفحي عنكم وحلمي لما يكون منكم، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأياً، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم الذين تنزعون وتؤمرون، وتجيبون وتقسمون لا يدخل عليكم في شيء من ذلك(٢).

واعتبر معاوية أن معارضة هؤلاء ليست لها أثر، وأن البيعة قد تمت، حيث أجمعت الأمة على هذه البيعة(٣).

وكانت لتولية معاوية ابنه يزيد ولاية العهد من بعده أسباب كثيرة، فهناك سبب سياسي؛ وهو الحفاظ على وحدة الأمة، خاصة بعد الفتن التي تلاحقت يتلوا بعضها

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي - عهد الخلفاء الراشدين - (ص١٤٧-١٥٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٦) والطبري (٥/ ٣٠٣) وتاريخ خليفة (ص٢١٣).

(٢) راجع: العواصم من القواصم (ص٢٢٦-٢٢٨)، والكامل في التاريخ (٢/ ٥١٢).

(٣) راجع: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/ ١٤٩-١٥١) وقد ذكر كيفية انعقاد البيعة وشروطها فعرضها عرضاً دقيقاً.

بعضاً، وكان من الصعوبة أن يلتقي المسلمون على خليفة واحد، خاصة والقيادات المتكافئة في الإمكانيات قد تضرب بعضها بعضاً فتقع الفتن والملاحم بين المسلمين مرة ثانية، ولا يعلم مدى ذلك إلا الله تعالى.

وهناك سبب اجتماعي؛ وهو قوة العصبية القبلية خاصة في بلاد الشام الذين كانوا أشد طاعة لمعاوية ومحبة لبني أمية، وليس أدل على ذلك من مبايعتهم ليزيد بولاية العهد من بعد أبيه دون أن يتخلف منهم أحد.

وهناك أسباب شخصية في يزيد نفسه، وليس معاوية بذلك الرجل الذي يجهل صفات الرجال ومكانتهم، وهو ابن سلالة الإمارة والزعامة في مكة، ثم هو الذي قضى أربعين سنة من عمره وهو يسوس الناس ويعرف مزايا القادة والأمراء والعقلاء، ويعرف لكل واحد منهم فضيلته، وقد توفرت في يزيد بعض الصفات الحسنة من الكرم والمروءة والشجاعة والإقدام والقدرة على القيادة، وكل هذه المزايا جعلت معاوية ينظر ليزيد نظرة إعجاب وإكبار وتقدير..

وقد سأل معاوية رضي الله عنه ولده يزيد يوماً حينما أنس منه الحرص على العدل وتأسياً بالخلفاء الراشدين، فقد كان يسأله عن الكيفية التي سيسير بها في الأمة بعد توليه الخلافة، فيرد عليه يزيد بقوله: (كنت والله يا أبةِ عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب)[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخين والمفكرين المسلمين قد وقفوا حيال هذه الفكرة مواقف شتى، ففيهم المعارض، ومنهم المؤيد، وكانت حجة الفريق المعارض

---

(١) ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٣٧٥) بسند حسن. لمزيد من التفصيل والأسباب التي أدت بمعاوية لأخذ البيعة ليزيد، راجع كتاب: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية للأستاذ: محمد بن عبد الهادي الشيباني (ص ١٢٦- ١٣٦). فقد أجاد الباحث في طرح الموضوع وأفاد.

تعتمد على ما أوردته بعض الروايات التاريخية من أن يزيد بن معاوية كان شاباً لاهياً عابثاً، مغرماً بالصيد وشرب الخمر، وتربية الفهود والقرود، والكلاب ... إلخ[(١)].

ولكننا نرى أن مثل هذه الأوصاف لا تمثل الواقع الحقيقي لما كانت عليه حياة يزيد بن معاوية، فإضافة إلى ما سبق أن أوردناه عن الجهود التي بذلها معاوية في تنشئة وتأديب يزيد، نجد رواية في مصادرنا التاريخية قد تساعدنا في دحض مثل تلك الآراء.

فيروي البلاذري (أن محمد بن علي بن أبي طالب - المعروف بابن الحنفية - دخل يوماً على يزيد بن معاوية بدمشق ليودعه بعد أن قضى عنده فترة من الوقت، فقال له يزيد، وكان له مكرماً: يا أبا القاسم، إن كنت رأيت مني خُلُقاً تنكره نَزَعت عنه، وأتيت الذي تُشير به علي؟ فقال: والله لو رأيت منكراً ما وسعني إلاّ أن أنهاك عنه، وأخبرك بالحق لله فيه، لما أخذ الله على أهل العلم عن أن يبينوه للناس ولا يكتموه، وما رأيت منك إلاّ خيراً)[(٢)].

كما أنه شهد له بحسن السيرة والسلوك حينما أراده بعض أهل المدينة على خلعه والخروج معهم ضده، فيروي ابن كثير (أن عبد الله بن مطيع - كان داعية لابن الزبير - مشى من المدينة هو وأصحابه إلى محمد ابن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب، فقال محمد: ما رأيت منه ما تذكرون، قد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على

---

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري (ص١٢٧) وكتاب الإمامة والسياسة المنحول لابن قتيبة (١/ ١٦٣) وتاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٢٠) وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (٥/ ١٧) ومروج الذهب للمسعودي (٣/ ٧٧). وانظر حول هذه الافتراءات كتاب: صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية فريال بنت عبد الله (ص٨٦-١٢٢).

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ١٧).

الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة، قالوا: ذلك كان منه تصنعاً لك، قال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ ثم أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر، فلئن كان أطلعكم على ذلك فإنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا، قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه، فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة، ولست من أمركم في شيء.. إلخ)[1].

وقد شهد له ابن عباس رضي الله عنهما بالفضيلة وبايعه، كما في أنساب الأشراف (٤/ ٢٨٩ - ٢٩٠) بسند حسن.

كما أن مجرد موافقة عدد من كبار الشخصيات الإسلامية، من أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وأبو أيوب الأنصاري، على مصاحبة جيش يزيد في سيره نحو القسطنطينية، فيها خير دليل على أن يزيد كان يتميز بالاستقامة، وتتوفر فيه كثير من الصفات الحميدة، ويتمتع بالكفاءة والمقدرة لتأدية ما يوكل إليه من مهمات.

أخرج البخاري عن خالد بن معدان {أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، فقالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم قال: لا}[2].

وأخرج البخاري عن محمود بن الربيع في قصة عتبان بن مالك قال محمود:

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٣٣) وتاريخ الإسلام - حوادث سنة ٦١-٨٠هـ - (ص٢٧٤)، وحسَّن محمد الشيباني إسناده، انظر: مواقف المعارضة من خلافة يزيد بن معاوية (ص٣٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٩٢٤).

{فحدثتها قوماً فيهم أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ في غزوته التي توفي فيها، ويزيد بن معاوية عليهم بأرض الروم}(١).

وفي هذا الحديث منقبة ليزيد ﵀ حيث كان في أول جيش يغزو أرض الروم.

ولنستمع إلى وجهة النظر التي أبداها الأستاذ محب الدين الخطيب - حول مسألة ولاية العهد ليزيد - وهي جديرة بالأخذ بها للرد على ما سبق، فهو يقول: (إن كان مقياس الأهلية لذلك أن يبلغ مبلغ أبي بكر وعمر في مجموع سجاياهما، فهذا ما لم يبلغه في تاريخ الإسلام، ولا عمر بن عبد العزيز، وإن طمعنا بالمستحيل وقدرنا إمكان ظهور أبي بكر آخر وعمر آخر، فلن تتاح له بيئة كالبيئة التي أتاحها الله لأبي بكر وعمر، وإن كان مقياس الأهلية، الاستقامة في السيرة، والقيام بحرمة الشريعة، والعمل بأحكامها، والعدل في الناس، والنظر في مصالحهم، والجهاد في عدوهم، وتوسيع الآفاق لدعوتهم، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم، فإن يزيد يوم تُمحّص أخباره، ويقف الناس على حقيقة حاله كما كان في حياته، يتبين من ذلك أنه لم يكن دون كثيرين ممن تغنى التاريخ بمحامدهم، وأجزل الثناء عليهم)(٢).

ونجد أيضاً في كلمات معاوية نفسه ما يدل على أن دافعه في اتخاذ مثل هذه الخطوة هو النفع للصالح العام وليس الخاص، فقد ورد على لسانه قوله: «اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله، فبلغه ما أملت وأعنه، وإن كانت إنما حملني حبّ الوالد لولده، وأنه ليس لما صنعت به أهلاً، فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك»(٣).

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١٨٦).

(٢)العواصم من القواصم لابن العربي (ص٢٢١).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي - عهد معاوية بن أبي سفيان - (ص١٦٩) وخطط الشام لمحمد كرد علي (١/ ١٣٧).

ويتبين من خلال دراسة هذه الفكرة - وهي ولاية العهد من بعده لابنه يزيد - أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كان محقاً فيما ذهب إليه، إذ أنه باختياره لابنه يزيد لولاية العهد من بعده، قد ضمن للأمة الإسلامية وحدتها، وحفظ لها استقرارها، وجنبها حدوث أية صراعات على مثل هذا المنصب.

قلت: وقد رأى معاوية رضي الله عنه في ابنه صلاحاً لولاية خلافة الإسلام من بعده وهو أعلم الناس بخفاياه ولو لم يكن عنده مرضياً لما اختاره(١).

والغريب في الأمر أن أكثر من رمى معاوية وعابه في تولية يزيد وأنه ورّثه توريثاً هم من يعتقد بهذا الاعتقاد لغيره.

نعم إنا نستطيع أن نقول بأن يزيد بن معاوية هو أول من عهد إليه أبوه بالخلافة؛ ولكن لنتصور أن معاوية رضي الله عنه سلك إحدى الأمور الثلاث الآتية:-

١- ترك الناس بدون خليفة من بعده، مثلما فعل حفيده معاوية بن يزيد.

٢- نادى في كل مصر من الأمصار بأن يرشحوا لهم نائباً ثم يختاروا من هؤلاء المرشحين خليفة.

٣-جعل يزيد هو المرشح، وبايعه الناس كما فعل.

ولنأخذ الأمر الأول:-

كيف ستكون حالة المسلمين لو أن معاوية تناسى هذا الموضوع، وتركه ولم يرشح

---

(١) وحول مبايعة يزيد بن معاوية رحمه الله بولاية العهد، وحول نشوء هذه الفكرة، وحول كون يزيد أهلاً وكفىء لتوليه الخلافة بعد والده، انظر: مقال بعنوان: مبايعة يزيد بن معاوية بولاية العهد، دراسة تاريخية، للدكتور: عمر سليمان العقيلي، في مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود المجلد (١٢) ج (٢).

أحداً لخلافة المسلمين حتى توفي.

أعتقد أن الوضع سيكون أسوأ من ذلك الوضع الذي أعقب تصريح معاوية بن يزيد بتنازله عن الخلافة، وترك الناس في هرج ومرج، حتى استقرت الخلافة أخيراً لعبد الملك بن مروان بعد حروب طاحنة استمرت قرابة عشر سنوات.

ثم لنتصور الأمر الثاني:-

نادى مناد في كل مصر بأن يرشحوا نائباً عنهم، حتى تكون مسابقة أخيرة ليتم فرز الأصوات فيها، ثم الخروج من هذه الأصوات بفوز مرشح من المرشحين ليكون خليفة للمسلمين بعد وفاة معاوية.

سيختار أهل الشام، رجل من بني أمية بلا شك، بل وربما أنه يزيد، وربما غيره.

وسيختار أهل العراق في الغالب الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وسيختار أهل الحجاز: إما ابن عمر أو عبد الرحمن بن أبي بكر، أو ابن الزبير رضي الله عن الجميع.

وسيختار أهل مصر: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

والسؤال الآن: هل سيرضى كل مصر بولاية واحد من هؤلاء، ويسلموا له، أم ستكون المعارضة واردة؟!

الجواب: أعتقد أن المعارضة ستظهر.

ولنسأل سؤالاً آخر: في حالة أنه تم اختيار كل مرشح من قبل الأمصار، هل يستطيع معاوية أن يلزم كل مصر بما اختاره أهل المصر الآخر؟!

الجواب: ستجد الدولة نفسها في النهاية أمام تنظيمات انفصالية، وسيعمد أدعياء الشر الذي قهرتهم الدولة بسلطتها إلى استغلال هذه الفوضى السياسية، ومن ثم

الإفادة منها في إحداث شرخ جديد في كيان الدولة الإسلامية.

ونحن حينما نورد هذه الاعتراضات، وربما حصل ما أشرنا إليه، وربما حدث العكس من ذلك، ولكنا أوردنا ذلك حتى نتصور مدى عدم صحة الآراء التي أحياناً يطلقها ويتحمس لها البعض دون الرجوع إلى الواقع التاريخي المحتم آنذاك.

لقد تعرض المجتمع المسلم إلى هزة عنيفة بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ، وترك كيانات وتيارات سياسية وعقائدية خطيرة، استوجبت من معاوية أن يدرك خطورة الأمر والفرقة التي سوف تحصل للمسلمين إذا لم يسارع بتعيين ولي عهد له..

ويبقى الأمر الثالث: وهو ما فعله معاوية ﷺ بتولية يزيد ولياً للعهد من بعده..

وقد اعترف بمزايا خطوة معاوية هذه، كل من ابن العربي في العواصم من القواصم (ص٢٢٨-٢٢٩)، وابن خلدون الذي كان أقواهما حجة، إذ يقول: (والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه، إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه - وحينئذ من بني أمية-) ثم يضيف قائلاً: (وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا، فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة لذلك، وسكوتهم عنه، دليل على انتفاء الريب منه، فليسوا ممن تأخذهم في الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق، فإنهم - كلهم - أجلّ من ذلك، وعدالتهم مانعة منه)(١). المقدمة لابن خلدون (ص٢١٠-٢١١).

ويقول في موضع آخر: (عهد معاوية إلى يزيد، خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم، فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه، مع

---

(١)المقدمة لابن خلدون (ص٢١٠-٢١١).

أن ظنهم كان به صالحاً، ولا يرتاب أحد في ذلك، ولا يظن بمعاوية غيره، فلم يكن ليعهد إليه، وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق، حاشا لله لمعاوية من ذلك)(١).

وليس أفضل - قبل أن ننتقل إلى شبهة أخرى - من أن نشير إلى ما أورده ابن العربي من رأي لأحد أفاضل الصحابة في هذا الموضوع، إذ يقول: (دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية، فقال: أتقولون: إن يزيد ليس بخير أمة محمد، لا أفقه فيها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً؟ قلنا: نعم، قال: وأنا أقول ذلك، ولكن والله لئن تجتمع أمة محمد أحب إليّ من أن تفترق)(٢).

شبهة: هل كان معاوية يتدين بسب علي رضي الله عنهما؟

من المسائل التى يتخذها البعض سُلماً وذريعة للطعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ما جاء عنه أنه كان يرى «سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه» وسنحاول بعون الله توضيح هذه الشبهة وتعريتها سائلين المولى السداد والرشاد.

١ - يستدل هؤلاء بالخبر الذى جاء في صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: {أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسُبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ، فلن أسُبّهُ لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلّفه في مغازيه فقال له عليُّ: يا رسول الله، خلَّفْتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما

(١) المقدمة (ص٢٠٦). وانظر أقوالاً أخرى لمؤرخين وباحثين يثنون على هذه الخطوة، من أمثال: محمد علي كرد في كتابه: الإسلام والحضارة الغربية (٢/ ٣٩٥)، وإبراهيم شعوط في: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ (ص ٣٣٤)، ويوسف العش في: الدولة الأموية (ص ١٦٤)، ومقال للدكتور: عمارة نجيب في مجلة الجندي المسلم (ص ٥٨). لمزيد تفصيل في هذا الموضوع، راجع كتاب: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية (ص ١٤١ - ١٥٣).

(٢) العواصم من القواصم (ص ٢٣١).

ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوّة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعْطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً، فأُتي به أرْمَد فبصق في عَيْنه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحُسيناً فقال: اللهم، هؤلاء أهلي}(١).

يقول الشيخ خالد العسقلاني في كتابه (بل ضللت – كشف أباطيل التيجاني في كتابه ثم اهتديت):

(وهذا الحديث لا يفيد أن معاوية أمر سعداً بسبِّ عليّ، ولكنه كما هو ظاهر فإن معاوية أراد أن يستفسر عن المانع من سب عليّ، فأجابه سعداً عن السبب ولم نعلم أن معاوية عندما سمع رد سعد غضب منه ولا عاقبه، وسكوت معاوية هو تصويب لرأي سعد، ولو كان معاوية ظالماً يجبر الناس على سب عليّ كما يدّعي هذا الطاعن، لما سكت على سعد ولأجبره على سبّه، ولكن لم يحدث من ذلك شيءٌ فعلم أنه لم يأمر بسبّه ولا رضي بذلك)(٢).

ويقول النووي: «قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك. فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب، فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك، فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبّون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال. قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه ما منعك

---

(١) سبق تخريجه.

(٢)بل ضللت – كشف أباطيل التيجاني في كتابه ثم اهتديت (ص٣٩٦).

أن تخطئه في رأيه واجتهاده، وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ)[(١)].

والذي يدل على أن معاوية لم يتخذ سب علي بن أبي طالب ﷺ ديناً يتقرب به إلى الله ما وضحه الشيخ خالد العسقلاني وسنذكره على هيئة نقاط حتى تتضح الأمور أكثر للجميع:

أ - عدم غضب معاوية من رد سعد، فلو كان رد سعد أغضب معاوية لرد عليه معاوية رداً انفعالياً.

ب - كذلك لم يعاقب معاوية سعد على عدم سبه لعلي رضي الله عن الجميع، ولاشك فيه أنه من أنصار علي ﷺ، وهذا يدل على عدم تدين معاوية بسب علي وعدم إلزامه للناس بسب علي ﷺ.

ج - سكوت معاوية على رد سعد دليل على تقواه وانصياعه للحق وقبول الحق الذي تفوه به سعد.

٢- جاء في كتب الإمامية ما يدل على توقير معاوية ﷺ لآل البيت وحبه لهم ﷺ:

أ- فقد روى الصدوق في الأمالي عن بهجة بنت الحارث بن عبد الله التغلبي، عن خالها عبد الله بن منصور وكان رضيعاً لبعض ولد زيد بن علي عليه السلام قال: (سألت جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فقلت: حدثني عن مقتل ابن رسول الله ﷺ فقال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: لما حضرت معاوية الوفاة دعا ابنه يزيد»...». فأجلسه بين يديه، فقال له: يا بني، إني قد ذللت لك الرقاب الصعاب، ووطدت لك البلاد، وجعلت الملك وما فيه لك طعمة، وأني أخشى عليك من ثلاثة نفر يخالفون

---

(١) سبق.

عليك بجهدهم، وهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، فأما عبد الله بن عمر فهو معك فالزمه ولا تدعه، وأما عبد الله بن الزبير فقطعه إن ظفرت به إرباً إرباً، فإنه يجثو لك كما يجثو الأسد لفريسته، ويواربك مواربة الثعلب للكلب، وأما الحسين فقد عرفت حظه من رسول اللهّ، وهو من لحم رسول اللهّ ودمه، وقد علمت لا محالة أن أهل العراق سيخرجونه إليهم ثم يخذلونه ويضيعونه، فإن ظفرت به فاعرف حقه ومنزلته من رسول اللهّ، ولا تؤاخذه بفعله، ومع ذلك فإن لنا به خلطة ورحماً، وإياك أن تناله بسوء، أو يرى منك مكروها)[1].

والشاهد قول معاوية: «وأما الحسين فقد عرفت حظه من رسول اللهّ، وهو من لحم رسول اللهّ ودمه، وقد علمت لا محالة أن أهل العراق سيخرجونه إليهم ثم يخذلونه ويضيعونه، فإن ظفرت به فاعرف حقه ومنزلته من رسول اللهّ، ولا تؤاخذه بفعله، ومع ذلك فإن لنا به خلطة ورحماً، وإياك أن تناله بسوء، أو يرى منك مكروهاً» وهذا دليل على حبه لآل البيت ﭭ ووصيته بهم لابنه يزيد مع ملاحظة أن هذه الوصية كانت آخر ما تكلم به معاوية ﭬ وهو على فراش الموت.

ب- وروى الصدوق أيضاً في أماليه: (فعن الأصبغ بن نباتة قال: دخل ضرار بن ضمرة النهشلي على معاوية بن أبي سفيان قال له: صف لي علياً ؈ قال: أو تعفيني؟ فقال: لا بل صفه لي. فقال له ضرار: رحم الله علياً، كان والله فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، ويقربنا إذا زرناه، لا يغلق له دوننا باب، ولا يحجبنا عنه حاجب ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نبتديه لعظمته فإذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، فقال معاوية: زدني من صفته. فقال ضرار: رحم الله علياً كان والله طويل السهاد قليل الرقاد، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار،

(١)الأمالي للصدوق المجلس (ص٢١٦).

ويجود لله بمهجته ويبوء إليه بعبرته، لا تغلق له الستور ولا يدخر عنا البدور، ولا يستلين الاتكاء ولا يستخشن الجفاء، ولو رأيته إذ مثل في محرابه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين وهو يقول: يا دنيا إلي تعرضت أم إلي تشوقت، هيهات هيهات لا حاجة لي فيك، أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك، ثم واه واه لبعد السفر وقلة الزاد وخشونة الطريق. قال: فبكى معاوية وقال: حسبك يا ضرار كذلك كان والله علي رحم الله أبا الحسن)[1].

والشاهد من الخبر دعوة معاوية لأبي الحسن رضي الله عنهما بالرحمة كما في آخر الخبر، فكيف يصح تدينه بسب علي ويترحم عليه في نفس الوقت؟

وكذلك تصديق وعدم إنكار معاوية للأوصاف التى وصف بها ضرار النهشلى أبا الحسن رضي الله عنه، بل لم يتعرض معاوية لضرار بأى أذى أو ينهره ويزجره على ثنائه على أبي الحسن رضي الله عنه، بل معاوية هو من ألزم ضرار بالكلام عن أبي الحسن كما في قوله في بداية الحوار إذ قال له: «صف لي علياً عليه السلام قال: أو تعفيني؟ فقال: لا بل صفه لي»، وبل طلب منه الزيادة عندما قال له: «زدني من صفته» وفي نهاية الحوار «بكى معاوية» فهل يدل ذلك على حبه وتوقيره لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم على بغضه له؟ والإنسان بطبعه يحب سماع قصص وأخبار من يحب.

فرضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغفر الله لنا ولهم ولجميع من أحبهم.

ماذا قدم معاوية بن أبي سفيان للإسلام؟

---

(١) الأمالي للصدوق (ص٧٢٤).

هل تطرق هذا السؤال إلى ذهنك ولو مرة واحدة؟

ففي خلال إمرته على الشام في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما فتح قيسارية على يد معاوية رضي الله عنه سنة (١٥) من الهجرة.

كتب عمر إلى معاوية فقال له: «أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير»[1].

فسار إليها فحاصرها وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرهم وقعة أن قاتلوا قتالاً عظيماً، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه، فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً، وكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

فتح قبرص سنة (٢٨) من الهجرة:

فُتحت على يد معاوية خلال خلافة عثمان رضي الله عنه، فقد ركب معاوية في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان وقد بشرها رسول الله ﷺ بتلك الغزوة {فقد نام عندها ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة، يشك أيهما. قال: قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله. كما قال في الأولى، قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٥٣).

أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأولين. فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت}[1] متفق عليه.

ففتح الله عليهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار كل سنة، وقد ماتت أم حرام رضي الله عنها بقبرص شهيدة فقد وقصتها دابتها.

غزو الروم سنة (٣٢) من الهجرة:

غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - وكانت معه زوجته عاتكة ويقال فاطمة.

وهل تعلم عدد الغزوات التى خرجت للجهاد في عهد معاوية رضي الله عنه وكم مدينة فتحت؟

إليك البيان:

سنة (٤٢) من الهجرة غزا المسلمون اللان والروم فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً، وغنموا وسلموا.

سنة (٤٣) من الهجرة غزا بسر بن أرطاة بلاد الروم فتوغل فيها حتى بلغ مدينة القسطنطينية.

سنة (٤٤) من الهجرة غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون وشتوا هنالك، وفيها غزا بسر بن أرطاة من البحر.

سنة (٤٧) من الهجرة وفي هذه السنة وجه زياد الحكم بن عمرو الغفاري إلى خراسان أميراً، فغزا جبال الغور فقهرهم بالسيف عنوة ففتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وسبايا.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٨٩)، صحيح برقم (١٩١٢).

سنة (٤٩) غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: {أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم}(١) فكان هذا الجيش أول من غزاها، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد.

سنة (٥٠) من الهجرة افتتح عقبة بن نافع الفهري عن أمر معاوية بلاد أفريقية «تونس الآن»، واختط القيروان... وأسلم خلق كثير من البربر.

سنة (٥٣) من الهجرة غزا عبد الرحمن بن أم الحكم بلاد الروم وشتى هنالك، وفيها افتتح المسلمون وعليهم جنادة بن أبي أمية جزيرة رودس فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شيء على الكفار، يعترضون لهم في البحر ويقطعون سبيلهم، وكان معاوية يدر عليهم الأرزاق والأعطيات الجزيلة.

سنة (٥٤) من الهجرة غزا الصائفة معن بن يزيد السلمي.

سنة (٥٦) من الهجرة شتى جنادة بن أبى أمية بأرض الروم، وقيل: عبد الرحمن بن مسعود، ويقال: فيها غزا في البحر يزيد بن سمرة وفي البر عياض بن الحارث.

سنة (٥٨) فيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمى أرض الروم، قال الواقدي: وفيها شتى يزيد بن شجرة في البحر، وقيل بل غزا البحر وبلاد الروم جنادة بن أبي أمية، وقيل: إنما شتى بأرض الروم عمرو بن يزيد الجهنى.

هذا ما قدمه معاوية رضي الله عنه للإسلام وكل ما قدمه معاوية للإسلام بعد توليه الخلافة يؤجر عليه الحسن لأنه هو من تصالح معه لله وللإسلام» والحسين رضي الله عنهما.

وأضيف إليك أن من الآيات التى يندرج تحتها معاوية قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى

---

(١) سبق تخريجه.

مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ١٠].

ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وقد وعد الله من قاتل وأنفق من قبل وبعد الفتح بالحسنى التي هي الجنة.

شبهة لعن علي على المنابر بأمر من معاوية رضي الله عنهما:

والجواب: إن هذه الفرية من الأشياء المكذوبة في حق معاوية رضي الله عنه بل من الأباطيل التي روج لها البغض ودخلت على كتب أهل السنة كأنها حقيقة لا شك فيها.. بل وظلم العهد الأموي بها.. ولقد تبين لي بعد النظر في الأسباب الداعية لذلك أن أبرز تلك الأسباب التي دعت بعض الناس، أو الطوائف لتشويه هذا العهد هو التعصب للمذهب والآراء ومحاولة التشهير بالآخرين..

وهذه دعوى تحتاج إلى دليل، وهي مفتقرة إلى صحة النقل، وأغلب هؤلاء الطاعنين ومن أشرب قلبه بغض معاوية رضي الله عنه، لا يتثبتون فيما ينقلون، وإنما يكتفون بقولهم: (كما ذكر ذلك المؤرخون) أو (وكتب التواريخ طافحة بذلك) إلى غيرها من الترهات.. ولا يحيلون إلى أي مصدر موثوق، وكما هو معلوم مدى أهمية الإحالة والتوثيق لمثل هذه الدعاوى عند المحققين والباحثين..

ومعاوية رضي الله عنه منزه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، كما أن معاوية رضي الله عنه كان محمود السيرة في الأمة، أثنى عليه الصحابة وامتدحه خيار التابعين، وشهدوا له بالدين والعلم والفقه والعدل والحلم وسائر خصال الخير.. وقد تقدم معنا في حلقات مضت الكثير من فضائل هذا الصحابي الجليل العامة والخاصة فلتراجع للأهمية..

ونقول بعد مراجعة تلك الفضائل وأقوال أهل العلم في معاوية رضي الله عنه: إذا ثبت

هذا في حق معاوية، فإنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته أن يحمل الناس على لعن علي رضي الله عنه على المنابر وهو من هو في الفضل، وهذا يعني أن أولئك السلف وأهل العلم من بعدهم الذين أثنوا عليه ذلك الثناء البالغ، قد مالؤوه على الظلم والبغي واتفقوا على الضلال!! وهذا مما نزهت الأمة عنه بنص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: {إن أمتي لا تجتمع على ضلالة}[1].

ومن علم سيرة معاوية رضي الله عنه في الملك وما اشتهر به من الحلم والصفح وحسن السياسة للرعية، ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه.

ولا شك أن هذه الحكاية لا تتفق أبداً مع منطق الحوادث، ولا طبيعة المتخاصمين، وأن الكتب التاريخية المعاصرة لبني أمية لم تذكر شيئاً من ذلك أبداً، وإنما هي من كتب المتأخرين، مثل:

١- كتاب تاريخ الطبري (٥/ ٧١) عن أبي مخنف.

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢٨٥).

٣- الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٩٧). وغيرهم ممن كتبوا تاريخهم في عصر بني العباس.

وهذا العمل إنما كان بقصد - من بعضهم - أن يسيئوا إلى سمعة بني أمية، ويعلنوا للعلويين أن اضطهاد العباسيين للعلويين لم يبلغ القدر الذي ارتكبه الأمويون من قبل.

ثم كيف يسمح معاوية رضي الله عنه بذلك؟! وهو الذي لم يصح عنه أبداً أنه سبّ علياً أو لعنه مرة واحدة، فضلاً عن التشهير به على المنابر!!..

---

(١) السنة لابن أبي عاصم برقم (٨٢ - ٨٤).

وقد علق ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٧/ ٢٨٤) على قصة لعن علي رضي الله عنه على المنابر بعد القنوت، بقوله: (ولا يصح هذا).

ثم لنا أن نتساءل أيضاً: لماذا يُعنى بنو أمية بسب علي رضي الله عنه وهم الغالبون المنتصرون؟

وما يمكن أن يقال في إجماع المسلمين على أنه لا يجوز لعن المسلم على التعيين؟

وهل يكون هذا الحكم غائباً عن معاوية رضي الله عنه ومن أتى بعده من بني أمية؟

وكيف نفسر ما نقله صاحب العقد الفريد من أن معاوية أخذ بيد الحسن بن علي في مجلس له، ثم قال لجلسائه: (من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم. فأخذ بيد الحسن وقال: هذا أبوه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجدته خديجة رضي الله عنها)[1].

وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيّد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: {من لعن مؤمناً فهو كقتله}[2].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: {لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة}[3].

ثم إن هذا الأثر - قصة لعن علي على منابر بني أمية - مروي من طريق علي بن

---

(١) العقد الفريد (٣/ ٣٣)، تاريخ دمشق (١٣/ ٢٤٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٦١٠٥)، ومسلم برقم (١١٠).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٩٨).

محمد وهو شيخ ابن سعد وهو المدائني فيه ضعف. وشيخه لوط بن يحيى (أبو مخنف) ليس بثقة متروك الحديث وإخباري تالف لا يوثق به وعامة روايته عن الضعفاء والهلكى والمجاهيل[(١)]. وفي سندها أيضاً أبو جناب الكلبي، ضعيف[(٢)].

ثم إن هذا الأثر، وهو الوحيد الذي ورد فيه التصريح المباشر بقصة اللعن وهو المشهور، وهو الذي يتمسك به عامة أهل البدع والجهل.. يشير إلى أن علياً رضي الله عنه كان يلعن معاوية وعمرو بن العاص وغيرهم!! فلماذا لم يتحدثوا عن هذه؟!!

وأما ما سوى هذه الرواية، فهي شبهات واهية، ليس فيها أي دليل على ما يتشدق به أهل البدع والأهواء، وسيتم الرد عليها بعد قليل إن شاء الله..

الشبهة الأولى: ما جاء في صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: {أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ، فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: خلفه في مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً، فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي}[(٣)].

---

(١) انظر: السير (٧/ ٣٠٢) والميزان (٣/ ٤١٩).

(٢) راجع هذه الرواية الطويلة الملفقة في تاريخ الطبري (٥/ ٧١).

(٣) سبق تخريجه.

الجواب: هذا الحديث لا يفيد أن معاوية أمر سعداً بسب علي، ولكنه كما هو ظاهر فإن معاوية أراد أن يستفسر عن المانع من سب علي، فأجابه سعد عن السبب، ولم نعلم أن معاوية عندما سمع رد سعد غضب منه ولا عاقبه.

كما أن سكوت معاوية هنا، تصويب لرأي سعد، ولو كان معاوية ظالماً يجبر الناس على سب علي كما يدعون، لما سكت عن سعد ولأجبره على سبه، ولكن لم يحدث من ذلك شيء، فعُلم أنه لم يأمر بسبه ولا رضي بذلك..

يقول النووي رحمه الله في ذلك: (قول معاوية هذا، ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك. فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب، فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار، أو أنكر عليهم، فسأله هذا السؤال، قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده، وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ)[(١)].

وقال القرطبي رحمه الله: (وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية سكت وأذعن، وعرف الحق لمستحقه)[(٢)].

والذي يظهر لي في هذا والله أعلم: أن معاوية رضي الله عنه إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل علي رضي الله عنه، فإن معاوية رضي الله عنه

---

(١) سبق.

(٢) المفهم (٦/ ٢٧٨).

كان رجلاً فطناً ذكياً يحب مطارحة الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد في علي رضي الله عنهما، فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المثير.

وهذا مثل قوله رضي الله عنه لابن عباس: «أنت على ملة علي؟ فقال له ابن عباس: ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم»(١).

وظاهر قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادعى هؤلاء من الأمر بالسب، فحاشا معاوية رضي الله عنه أن يصدر منه مثل ذلك، والمانع من هذا عدة أمور:-

الأول: أن معاوية نفسه ما كان يسب علياً رضي الله عنه، فكيف يأمر غيره بسبه؟ بل كان معظماً له معترفاً له بالفضل والسبق إلى الإسلام، كما دلت على ذلك أقواله الثابتة عنه.

قال ابن كثير: (وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني)(٢).

ونقل ابن كثير أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة قال: (لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم)(٣).

الثاني: أنه لا يعرف بنقل صحيح أن معاوية رضي الله عنه تعرض لعلي رضي الله عنه بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته، فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

---

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٥٥).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٣٢).

(٣) نفس المصدر (٨/ ١٣٣).

الثالث: أن معاوية ﷺ كان رجلاً ذكياً، مشهور بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي وحاشاه من ذلك، أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص، وهو من هو في الفضل والورع، مع عدم دخوله في الفتنة أصلاً!! فهذا لا يفعله أقل الناس عقلاً وتدبيراً، فكيف بمعاوية؟!!

الرابع: أن معاوية ﷺ انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي ﷺ له واجتمعت عليه الكلمة والقلوب، ودانت له الأمصار بالملك، فأي نفع له في سب علي؟! بل الحكمة وحسن السياسة تقتضي عدم ذلك، لما فيه من تهدئة النفوس وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية ﷺ الذي شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

الخامس: أنه كان بين معاوية ﷺ بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي من الألفة والتقارب ما هو مشهور وفي كتب السير والتاريخ.

ومن ذلك أن الحسن والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال له الحسن: ولم تعط أحداً أفضل منا[1].

ودخل مرة الحسن على معاوية فقال له: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلى الله ﷺ، وأمر له بثلاثمائة ألف[2].

وهذا مما يقطع بكذب ما ادعي في حق معاوية ﷺ من حمله الناس على سب علي ﷺ، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة والاحتفاء والتكريم..

الشبهة الثانية: ما جاء في صحيح مسلم (برقم ٢٤٠٩) عن سهل بن سعد ﷺ

---

(١) نفس المصدر (٨/ ١٣٩).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ١٤٠).

قال: {استُعمل على المدينة رجل من آل مروان قال: فدعا سهل بن سعد فأمر أن يشتم علياً رضي الله عنه، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب}(١). ثم ذكر الحديث وسبب تسميته بذلك.

الجواب: هذا الادعاء لا أساس له من الصحة، بل إن استشهاد هؤلاء وأمثالهم بهذا الحديث لا حجة فيه، فأين التصريح باسم معاوية فيه؟؟ ثم إن الرجل من آل مروان، ومن المعروف لدى الجاهل قبل العالم أن معاوية رضي الله عنه سفياني وليس مرواني.

ومن الغرائب أن هؤلاء المبتدعة ينكرون سب علي، ولم يتورعوا عن سب خير البرية بعد الأنبياء أبي بكر وعمر وعثمان!! وكتبهم طافحة بذلك..

ولنستمع إلى ما رواه أبو نعيم عن أبي صالح قال: (دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية فقال له معاوية: صف لي علياً، فقال ضرار: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال معاوية: لا أعفيك، قال ضرار: أما إذ لابدّ، فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، ويتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب – غليظ، أو بلا إدام –، كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم – اللديغ –،

---

(١) صحيح مسلم (برقم ٢٤٠٩).

ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: إليّ تغررت؟ إليّ تشوفت؟ هيهات، هيهات، غري غيري، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك كبير، آهٍ آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق. فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال – أي معاوية –: كذا كان أبو الحسن ﷺ، كيف وَجْدُكَ عليه يا ضرار؟ قال ضرار: وَجْدُ من ذبح واحِدُها في حِجْرِها، لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج)(١).

قال القرطبي معلقاً على وصف ضرار لعلي ﷺ وثنائه عليه بحضور معاوية، وبكاء معاوية من ذلك، وتصديقه لضرار فيما قال: (وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل علي ﷺ ومنزلته، وعظم حقه ومكانته، وعند ذلك يبعد على معاوية أن يصرح بلعنه وسبه، لما كان معاوية موصوفاً به من العقل والدين والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح)(٢).

وبعد هذا الموقف، هل يتصور من معاوية ﷺ، أن يصرح بلعن علي ﷺ على المنابر؟!

وهل يعقل أن يسع حلم معاوية ﷺ الذي بلغ مضرب الأمثال، سفهاء الناس وعامتهم وهو أمير المؤمنين، ثم يأمر بعد ذلك بلعن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب على المنابر، ويأمر ولاته بذلك في سائر الأمصار والبلدان؟؟!! والحكم في هذا لكل صاحب عقل وفهم ودين..

---

(١) الحلية (١/ ٨٤ – ٨٥)

(٢)المفهم للقرطبي (٦/ ٢٧٨).

وأما ما قيل من أن بني أمية كانوا يسبون علي بن أبي طالب في الخطب، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله وكتب إلى نوابه بإبطاله(١).

قلت: إن من أحب شخصاً لا ينبغي أن ينسب كل عمل خير له؛ صحيح أن عمر بن عبد العزيز من أئمة الهدى ومن المجددين، واعتبر خامس الخلفاء الراشدين، لأنه سار على نهجهم في سيرتهم مع الرعية والخلافة وطريقة العيش وغيرها من الأمور، لكن لا يعني أن نفضل عمر بن عبد العزيز على معاوية رضي الله عنه، فمعاوية صحابي جليل القدر والمنزلة، وهو خال المؤمنين، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصافحت يده يد النبي صلى الله عليه وسلم، ولاشك أن مثل هذه الفضيلة والمكانة لا تجعل من معاوية رضي الله عنه يصرح بلعن علي رضي الله عنه على المنابر.

سئل عبد الله بن المبارك: أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان، أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد. فما بعد هذا؟(٢).

وأخرج الآجري بسنده إلى الجراح الموصلي قال: سمعت رجلاً يسأل المعافى بن عمران فقال: يا أبا مسعود؛ أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان؟! فرأيته غضب غضباً شديداً وقال: لا يقاس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد، معاوية رضي الله عنه كاتبه وصاحبه وصهره وأمينه على وحيه عز وجل(٣).

---

(١)انظر خبر أمر عمر بن عبد العزيز بترك سب علي على المنابر في الكامل لابن الأثير (٣/ ٢٥٥-٢٥٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ١٤٧).

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣ / ٣٣)، وبلفظ قريب منه عند الآجري في كتابه الشريعة (٥/ ٢٤٦٦).

(٣)كتاب الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٦٦-٢٤٦٧) شرح السنة للالكائي، برقم (٢٧٨٥). بسند صحيح.

وسئل المعافى بن عمران، معاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمر بن عبد العزيز[١].

وكذلك أخرج الآجري بسنده إلى أبي أسامة، قيل له: أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟

فقال: أصحاب رسول الله ﷺ لا يقاس بهم أحد[٢].

وروى الخلال في السنة بسند صحيح (٦٦٠) أخبرنا أبو بكر المروذي قال: قلت لأبي عبد الله أيهما أفضل: معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله ﷺ أحداً، قال النبي ﷺ: {خير الناس قرني الذي بعثت فيهم}.

وعن الأعمش أنه ذكر عنده عمر بن عبد العزيز وعدله، فقال: فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: يا أبا محمد يعني في حلمه؟ قال: لا والله بل في عدله[٣].

وإن الجمع الذي بايع معاوية رضي الله عنه بالخلافة خير من الجمع الذي بايع عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقد بايع لمعاوية جم غفير من صحابة رسول الله ﷺ.

وفي ذلك يقول ابن حزم رحمه الله كما في الفصل (٥/ ٦): (فبويع الحسن، ثم سلم الأمر إلى معاوية، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بخلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، فكلهم أولهم عن آخرهم بايع معاوية ورأى إمامته).

ولاشك أن الصحابة رضوان الله عليهم يتورعون عن مثل هذه الأعمال

---

(١) السنة للخلال (٢/ ٤٣٥).

(٢) كتاب الشريعة (٥/ ٢٤٦٥-٢٤٦٦) بسند صحيح، وكذلك أخرج نحوه الخلال في السنة، برقم (٦٦٦).

(٣) السنة للخلال (١/ ٤٣٧).

والأقوال، وهم يعلمون أحاديث رسول الله ﷺ في النهي عن سب المسلم أو لعنه بعينه، وهو يعلم حديث رسول الله ﷺ: {ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان}(١).

إلى غيرها من الأحاديث التي تزجر عن هذه الفعلة القبيحة، والتي يتورع منها عوام الناس لعلمهم بحرمة دم وعرض المسلم، فما بالك بالصحابة الكرام ومن شهد بدراً وبيعة الرضوان، وهو يعلم علم يقين أن الله رضي عنهم.

الرد على شبهة (يا عمار تقتلك الفئة الباغية):

سئل الشيخ حامد العلي عن هذه الشبهة فكان جوابه:

كيف نرد على هذه الشبهات؟

الأولى: قول رسول الله ﷺ: {ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)، وقولهم: إن معاوية رضي الله عنه هو المقصود بيدعونه إلى النار، وهل يمكن أن يجتمع البغي مع الإيمان؟

الثانية: قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨] ويقول الإمامية: المقصود بقوله تعالى هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] ولهذا لم يمكن أن يكون هناك تعارض في القرآن.

وجزاك الله كل الخير.

جواب الشيخ:

البغي يكون نوعين: نوع عن عمد، ونوع عن تأويل، والبغي الذي حصل من فئة معاوية كان عن تأويل، بمعنى أنهم يظنون أنهم على الحق، ولكن هذا لا يخرجه عن

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٩٧٧). وانظر تخريجه في: كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٧) والصحيحة (١/ ٦٣٤) ومشكاة المصابيح (٤٨٤٧).

وصف البغي في الظاهر، وليس في الحديث دليل على أن معاوية رضي الله عنه هو الذي يدعوه إلى النار، وإنما يدل على أن البغي في الحقيقة دعوة إلى النار، وإن كان فاعله قد لا يشعر بذلك، كما أنك عندما تقول لمن يقول بجواز القتال في عصبية، لمن ينصر عصبة: إنه يدعو إلى النار بهذه الفتوى، ولكن هو قد يكون متأولاً يظن أنه على صواب وحق، ولهذا لم يقل علماء أهل السنة: إن الصحابة معصومون، ولم يقع منهم الخطأ قط، بل قالوا: جائز أن يكون الخطأ والذنب قد وقع بتأويل، وبغير تأويل فهم بشر، غير أن حسناتهم الراجحة وجهادهم مع الرسول ﷺ وفضل الصحبة تجعل فضلهم على الأمة سابقاً، لا يقاربهم فيه أحد، حتى ورد في الحديث {أن مثل جبل أحد ذهباً من غيرهم ينفقه، لا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه}، ولا يطعن فيهم إلا جاهل أو منافق أو مريض القلب.

والمقصود بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] أي: من البشر كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء:٣٤] وأما قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] أي: يحذركم من ذاته سبحانه، والنفس يراد بها في اللغة التاكيد، كما تقول: جاء فلان نفسه أي: لا غيره، والله تعالى عندما يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، لا ريب لا تدخل ذاته في الخطاب، كما لا تدخل عندما يقول: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢] مع أنه سبحانه قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩] لأن الشيء هو الموجود، والعجب من هؤلاء، كيف لا يعقلون ما يقولون، فهم يقولون هنا أن الله تعالى يحذر الصحابة من علي رضي الله عنه، ثم مع ذلك يزعمون أن الصحابة لم يبالوا بهذا التحذير، بل جحدوا حق علي رضي الله عنه، ومضى على ذلك كل فترة الخلافة إلى أن تولاها، وكان طيلة هذا الزمن، مهضوم الحق،

مظلوماً، ولم يقدر أن يسترجع حقه، فما فائدة التحذير إذاً لو كانوا يعقلون. غير أن الحق الذي لا ريب فيه أن علياً رضي الله عنه تولى الخلافة لما جاء حقه فيها، إذ فضله في الأمة كترتيبه في الخلافة، ولهذا لم يظلم ولم يقهر، وحاشا أصحاب النبي ﷺ أن يجحدوا وصيته، ويخونوا عهده، والله أعلم.

شبهة طلبه رضي الله عنه للخلافة:-

قد شاع بين الناس قديماً وحديثاً أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج معاوية على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام.

وقد جاء في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري رواية تذكر أن معاوية ادّعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (اعلم أن معاوية طليق الإسلام وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه)(١).

لكن الصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل إيقاع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء. فقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله من أهل الشام أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلوا بعد ذلك في البيعة.

يقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلة: (إن معاوية وإن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً)(٢).

---

(١) الإمامة والسياسة (١/ ١١٣).

(٢) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة للجويني (ص ١١٥).

أما شيخ الإسلام فيقول: (بأن معاوية لم يدّع الخلافة ولم يبايع له بها حتى قتل علي، فلم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحقها، وكان يقر بذلك لمن يسأله)[(١)].

ويورد ابن كثير عن ابن ديزيل[(٢)] بإسناد إلى أبي الدرداء وأبي أمامة رضي الله عنهما، أنهما دخلا على معاوية فقالا له: (يا معاوية! علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك. فقال: أقاتله على دم عثمان، وأنه آوى قتلة عثمان، فاذهبا إليه فقولا: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام)[(٣)].

ويقول ابن حجر الهيتمي: (ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحرب، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي.. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه، فامتنع علي)[(٤)].

وهكذا تتضافر الروايات وتشير إلى أن معاوية رضي الله عنه خرج للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضي الله عنه إذا أقيم الحد على قتلة عثمان. ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطة، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان؟

حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).

(٢) هو إبراهيم بن الحسين بن علي الهمداني المعروف بابن ديزيل الإمام الحافظ (ت ٢٨١ هـ) انظر: تاريخ دمشق (٦/ ٣٨٧) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٤-١٩٢) ولسان الميزان لابن حجر (١/ ٤٨).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٦٠).

(٤) الصواعق المحرقة (ص ٣٢٥).

قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليه إذا كان ذا أطماع.

إن معاوية رضي الله عنه كان من كتاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم حلماً فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويريق دماء المسلمين من أجل ملك زائل، وهو القائل: «والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه»[1].

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان رضي الله عنه فيظهر في رفضه أن يبايع لعلي رضي الله عنه قبل مبادرته إلى القصاص من قتلة عثمان، بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة ويرفع دعواه إلى الحاكم ويطلب الحق عنده.

ويمكن أن نقول: إن معاوية رضي الله عنه كان مجتهداً متأولاً يغلب على ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان -ابن عمه- وقد قتل مظلوماً وقرأ عليهم الآية الكريمة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء:٣٣].

ثم قال: «أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٥٠-١٥٢).

شبهة ادعائه زياد بن أبيه أخًا له:

وقد قال رسول الله ﷺ: {الولد للفراش وللعاهر الحجر}[(١)].

والجواب: المراد بزياد هنا؛ هو زياد بن سمية، وهي أمه كانت أمة للحارث بن كلدة، زوجها لمولاه عبيد، فأتت بزياد على فراشه وهم بالطائف قبل أن يسلم أهل الطائف[(٢)].

إن قضية نسب زياد بن أبيه تعد من القضايا الشائكة في التاريخ الإسلامي؛ لأنها تثير عدداً من الأسئلة يصعب الإجابة عليها، مثل:-

- لماذا لم تثر هذه القضية في عهد الرسول ﷺ، مثلما أثيرت قضايا مشابهة لها عند فتح مكة؟

مثل قضية: نسب ابن أمة زمعة بن قيس الذي ادعاه عتبة بن أبي وقاص[(٣)].

- لماذا لم تثر هذه القضية في حياة أبي سفيان رضي الله عنه؟

- لماذا لم تثر هذه القضية في أثناء خلافة علي رضي الله عنه، خاصة عندما كان زياد من ولاة علي؛ لأن في إثارتها في تلك الفترة مكسباً سياسياً لمعاوية رضي الله عنه؛ إذ قد يترتب على ذلك انتقال زياد من معسكر علي إلى معسكر معاوية؟

- لماذا أثيرت هذه القضية في سنة (٤٤ هـ) وبعد أن آلت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه؟

---

(١) سبق تخريجه.

(٢)انظر ترجمته في: الإصابة (٢/ ٥٢٧ - ٥٢٨)، والاستيعاب ترجمة رقم (٨٢٩) وطبقات ابن سعد (٧/ ٩٩) وغيرها.

(٣)انظر: فتح الباري لابن حجر(١٢/ ٣٢ - ٣٣).

ومهما يكن من أمر فإن قضية نسب زياد تعد من متعلقات أنكحة الجاهلية، ومن أنواع تلك الأنكحة ما أخرجه البخاري في صحيحه من طريق عائشة ﵂ : {إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء - بمعنى: أنواع -: فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها - أي يعين صداقها - ثم ينكحها.

ونكاح آخر، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها - حيضها -: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه – أي: اطلبي منه الجماع - ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد - النجيب: الكريم الحسب -، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، فتسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا لها القافة - جمع قائف، وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية - ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطه به - أي استلحقه به - ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك.

فلما بعث محمد ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم}[(١)].

وقد أقر الإسلام ما نتج عن تلك الأنكحة من أنساب، وفي ذلك يقول ابن الأثير: (فلما جاء الإسلام.. أقر كل ولد ينسب إلى أب من أي نكاح من أنكحتهم على نسبه، ولم يفرق بين شيء منها)[(٢)].

وأما الذراري الذين جاء الإسلام وهم غير منسوبين إلى آبائهم - كأولاد الزنى - فقد قال فيهم رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود بإسناده قال: {قام رجل فقال: يا رسول الله إن فلاناً ابني، عاهرت – أي: زنيت - بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: لا دعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش، وللعاهر الحجر}[(٣)].

أما القول: إن سبب سكوت أبي سفيان رضي الله عنه من ادعاء زياد هو خوفه من شماتة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٤)]. فهذا القول مردود بما يلي:

١ - إن قضية نسب ولد الزنا قد ورد فيها نص شرعي ولم تترك لاجتهادات البشر.

٢ - إن الإسلام يجب ما قبله.

٣- إن عمر رضي الله عنه توفي قبل أبي سفيان رضي الله عنه، فلماذا لم يدّع أبو سفيان زياداً بعد وفاة عمر؟

٤ - إن في إسناد هذا الخبر محمد بن السائب الكلبي، وقد قال عنه ابن حجر:

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٢٧).

(٢) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٤٥).

(٣) رواه أبو داود برقم (٢٢٧٤).

(٤)انظر القصة في الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٥٢٥).

(متهم بالكذب ورمي بالرفض)[١].

وأما اتهام معاوية رضي الله عنه باستلحاق نسب زياد فإني لم أقف على رواية صحيحة صريحة العبارة تؤكد ذلك، هذا فضلاً عن أن صحبة معاوية رضي الله عنه وعدالته ودينه وفقهه تمنعه من أن يرد قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاسيما وأن معاوية أحد رواة حديث {الولد للفراش وللعاهر الحجر}[٢].

وبعد أن اتضحت براءة معاوية رضي الله عنه من هذا البهتان فإن التهمة تتجه إلى زياد بن أبيه بأنه هو الذي ألحق نسبه بنسب أبي سفيان، وهذا ما ترجح لدي من خلال الرواية التي أخرجها مسلم في صحيحه من طريق أبي عثمان قال: {لما ادعى زياد، لقيت أبا بكرة فقلت: ما هذا الذي صنعتم؟ إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام. فقال أبو بكرة: وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم}[٣].

قال النووي رحمه الله معلقاً على هذا الخبر: (.. فمعنى هذا الكلام الإنكار على أبي بكرة، وذلك أن زياداً هذا المذكور هو المعروف بزياد بن أبي سفيان، ويقال فيه: زياد بن أبيه، ويقال: زياد بن أمه، وهو أخو أبي بكرة لأمه.. فلهذا قال أبو عثمان لأبي بكرة: ما هذا الذي صنعتم؟ وكان أبو بكرة رضي الله عنه ممن أنكر ذلك وهجر بسببه زياداً وحلف أن لا يكلمه أبداً، ولعل أبا عثمان لم يبلغه إنكار أبي بكرة حين قال له هذا الكلام، أو يكون مراده بقوله: ما هذا الذي صنعتم؟ أي ما هذا الذي جرى من أخيك ما أقبحه

---

(١) التقريب (٤٧٩).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٦٣). وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥١ - ٥٢)، فتح الباري (١٢/ ٥٤).

وأعظم عقوبته، فإن النبي ﷺ حرم على فاعله الجنة)[١].

وقال أيضاً: قوله: («ادُّعِي» ضبطناه بضم الدال وكسر العين مبني لما لم يسم فاعله، أي: ادعاه معاوية، ووجد بخط الحافظ أبي عامر العبدري[٢] (ادَّعَى) بفتح الدال والعين، على أن زياداً هو الفاعل، وهذا له وجه من حيث إن معاوية ادعاه، وصدقه زياد فصار زياد مدعياً أنه ابن أبي سفيان، والله أعلم)[٣].

وقد تبينت براءة معاوية رضي الله عنه من هذه التهمة فيما تقدم من القول، وبذلك ينتفي الوجه الذي ذهب إليه النووي في كلامه عن ضبط الحافظ أبي عامر العبدري لكلمة (ادَّعَى).

ويزيد هذا الأمر تأكيداً ما أورده الحافظ أبو نعيم في ترجمة زياد بن أبيه حيث قال: (زياد بن سمية: ادَّعَى أبا سفيان فنسب إليه)[٤].

وبذلك يكون زياد هو المدعي، ولذلك هجره أخوه أبو بكرة رضي الله عنه . والله تعالى أعلم[٥].

وقد أجاب الإمام ابن العربي رحمه الله عن هذه الشبهة بجواب آخر له وجه من الصحة أيضاً، فقال فيما معناه: (أما ادعاؤه زياداً فهو بخلاف حديث النبي ﷺ عندما قال لعبد بن زمعة: {هو لك، الولد للفراش وللعاهر الحجر} باعتبار أنه قضى بكونه للفراش وبإثبات النسب فباطل لأن النبي ﷺ لم يثبت النسب، لأن عبداً ادعى

---

(١)شرح صحيح مسلم (٢/ ٥٢).

(٢) وهو إمام من أعيان الحفاظ من فقهاء الظاهرية (ت ٥٢٤هـ)، انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٢٧٢).

(٣)شرح مسلم (٢/ ٥٢ – ٥٣).

(٤) معرفة الصحابة (٣/ ١٢١٧).

(٥) مقتبس من كتاب: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري للدكتور خالد الغيث (ص ٣٧٢ – ٣٧٩).

سببين، أحدهما: الأخوة، والثاني: ولادة الفراش، فلو قال النبي ﷺ: هو أخوك، الولد للفراش لكان إثباتاً للحكم وذكراً للعلة، بيد أن النبي ﷺ عدل عن الأخوة ولم يتعرض لها وأعرض عن النسب ولم يصرح به، وإنما هو في الصحيح في لفظ: «هو أخوك» وفي آخر «هو لك» معناه أنت أعلم به بخلاف زياد، فإن الحارث بن كلدة الذي ولد زياد على فراشه، لم يدعيه لنفسه ولا كان ينسب إليه، فكل من ادعاه فهو له، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه، فلم يكن على معاوية في ذلك مغمز بل فعل فيه الحق على مذهب الإمام مالك)[1].

القول بأن رسول الله ﷺ لعن معاوية وأمر بقتله إذا وجدوه على منبره:

قال الطاعن: (مع أن رسول الله ﷺ لعن معاوية الطليق بن الطليق اللعين بن اللعين-والعياذ بالله-، وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. وكان من المؤلفة قلوبهم، وقاتل عليًّا وهو عندهم رابع الخلفاء، إمام حق، وكل من حارب إمام حق فهو باغ ظالم).

قال: (وسبب ذلك محبة محمد بن أبي بكر لعليّ عليه السلام، ومفارقته لأبيه، وبغض معاوية لعليّ ومحاربته له. وسموه كاتب الوحي ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي، بل كان يكتب له رسائل. وقد كان بين يدي النبي ﷺ أربعة عشر نفساً يكتبون الوحي، أولهم وأخصهم وأقربهم إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مع أن معاوية لم يزل مشركاً بالله تعالى في مدة كون النبي ﷺ مبعوثاً يكذّب بالوحي ويهزأ بالشرع).

والجواب: أن يقال: أما ما ذكره من أن النبي ﷺ لعن معاوية وأمر بقتله إذا رئي على المنبر، فهذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم

---

(١)انظر تفصيل ذلك في كتاب العواصم من القواصم (ص ٢٤٨ - ٢٥٥) بتخريج محمود مهدي الاستانبولي وتعليق الشيخ محب الدين الخطيب وهو من منشورات مكتبة السنة بالقاهرة.

النقل، وهو عند أهل المعرفة بالحديث كذب موضوع مختلق على النبي ﷺ، وهذا الراوي له لم يذكر له إسناداً حتى ينظر فيه، وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات(١).

ومما يبيّن كذبه أن منبر النبي ﷺ قد صعد عليه بعد معاوية من كان معاوية خيراً منه باتفاق المسلمين، فإن كان يجب قتل من صعد عليه لمجرد الصعود على المنبر، وجب قتل هؤلاء كلهم. ثم هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن مجرد صعود المنبر لا يبيح قتل مسلم.وإن أمر بقتله لكونه تولّى الأمر وهو لا يصلح، فيجب قتل كل من تولّى الأمر بعد معاوية ممن معاوية أفضل منه. وهذا خلاف ما تواترت به السنن عن النبي ﷺ من نهيه عن قتل ولاة الأمور وقتالهم، كما تقدم بيانه.

ثم الأمة متفقة على خلاف هذا؛ فإنها لم تقتل كل من تولّى أمرها ولا استحلّت ذلك.ثم هذا يوجب من الفساد والهرج ما هو أعظم من ولاية كل ظالم، فكيف يأمر النبي ﷺ بشيء يكون فعله أعظم فساداً من تركه؟!

وأما قوله: (إنه الطليق ابن الطليق).

فهذا ليس نعت ذم، فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح، الذين أسلموا عام فتح مكة، وأطلقهم النبي ﷺ، وكانوا نحواً من ألفَيْ رجل، وفيهم من صار من خيار المسلمين، كالحارث بن هشام، وسهل بن عمرو، وصفوان بن أميّة، وعكرمة بن أبي جهل، ويزيد بن أبي سفيان، وحكيم بن حزام، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ الذي كان يهجوه ثم حسن إسلامه، وعتّاب بن أسيد الذي ولاّه النبي ﷺ مكة لما فتحها، وغير هؤلاء ممن حَسُنَ إسلامه.

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٥).

ومعاوية ممن حَسُن إسلامه باتفاق أهل العلم. ولهذا ولاّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات أخوه يزيد بالشام، وكان يزيد بن أبي سفيان من خيار الناس، وكان أحد الأمراء الذين بعثهم أبو بكر وعمر لفتح الشام: يزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، مع أبي عُبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، فلما توفي يزيد بن أبي سفيان ولّى عمر مكانه أخاه معاوية، وعمر لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، وليس هو ممن يحابي في الولاية، ولا كان ممن يحب أبا سفيان أباه، بل كان من أعظم الناس عداوة لأبيه أبا سفيان قبل الإسلام، حتى أنه لما جاء به العباس يوم فتح مكة كان عمر حريصاً على قتله، حتى جرى بينه وبين العباس نوع من المخاشنة بسبب بغض عمر لأبي سفيان. فتولية عمر لابنه معاوية ليس لها سبب دنيوي، ولولا استحقاقه للإمارة لما أمّره.

وأما قوله: (كان معاوية من المؤَلَّفة قلوبهم).

نعم وأكثر الطلقاء كلهم من المؤلفة قلوبهم، كالحارث بن هشام، وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وحكيم بن حزام، وهؤلاء من خيار المسلمين. والمؤَلَّفة قلوبهم غالبهم حسُن إسلامه، وكان الرجل منهم يُسلم أول النهار رغبة منه في الدنيا، فلا يجيء آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس.

وأما قوله: (وقاتل عليًّا وهو عندهم رابع لخلفاء إمام حق، وكل من قاتل إمام حقٍ فهو باغ ظالم).

فيقال له: أولاً: الباغي قد يكون متأوّلا معتقداً أنه على حق، وقد يكون متعمداً يعلم أنه باغٍ، وقد يكون بَغْيُهُ مركّباً من شبهة وشهوة، وهو الغالب. وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة؛ فإنهم لا ينزّهون معاوية ولا من هو أفضل منه من

الذنوب، فضلاً عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد، بل يقولون: إن الذنوب لها أسباب تُدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة، وغير ذلك، وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم.

ويقال لهم: ثانياً: أما أهل السنة فأصلهم مستقيم مطّرد في هذا الباب. وأما أنتم فمتناقضون. وذلك أن النواصب - من الخوارج وغيرهم - الذين يكفّرون عليًّا أو يفسِّقونه أو يشكّون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم، لو قالوا لكم: ما الدليل على إيمان عليّ وإمامته وعدله؟ لم يكن لكم حجة؛ فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته، قالوا لكم: وهذا متواتر عن الصحابة، والتابعين والخلفاء الثلاثة، وخلفاء بني أمية كمعاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم، وأنتم تقدحون في إيمانهم، فليس قدحنا في إيمان عليّ وغيره إلا وقدحكم في إيمان هؤلاء أعظم، والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم. وإن احتججتم بما في القرآن من الثناء والمدح. قالوا: آيات القرآن عامة تتناول أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم مثل ما تتناول عليًّا وأعظم من ذلك. وأنتم قد أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فإخراجنا عليًّا أيسر. وإن قلتم بما جاء عن النبي ﷺ في فضائله، قالوا: هذه الفضائل روتها الصحابة الذين رووا فضائل أولئك، فإن كانوا عدولاً فاقبلوا الجميع، وإن كانوا فسَّاقاً فإن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيَّنوا، وليس لأحد أن يقول في الشهود: إنهم إن شهدوا لي كانوا عدولاً، وإن شهدوا عليّ كانوا فسّاقاً، أو إن شهدوا بمدح من أحببته كانوا عدولاً، وإن شهدوا بمدح من أبغضته كانوا فسَّاقاً.

وأما قوله: (إن سبب ذلك محبة محمد بن أبي بكر لعليّ، ومفارقته لأبيه).

فكذب بيّن. وذلك أن محمد بن أبي بكر في حياة أبيه لم يكن إلا طفلاً له أقل من ثلاث سنين، وبعد موت أبيه كان من أشد الناس تعظيماً لأبيه، وبه كان يتشرف،

وكانت له بذلك حرمة عند الناس.

وأما قوله: (إن سبب قولهم لمعاوية: إنه خال المؤمنين دون محمد، إن محمداً هذا كان يحب عليًّا، ومعاوية كان يبغضه).

فيقال: هذا كذب أيضاً؛ فإن عبد الله بن عمر كان أحق بهذا المعنى من هذا وهذا، وهو لم يقاتل لا مع هذا ولا مع هذا، وكان معظِّماً لعليّ، محباً له، يذكر فضائله ومناقبه، وكان مبايعاً لمعاوية لما اجتمع عليه الناس غير خارج عليه، وأخته أفضل من أخت معاوية، وأبوه أفضل من أبي معاوية، والناس أكثر محبة وتعظيماً له من معاوية ومحمد، ومع هذا فلم يشتهر عنه أنه خال المؤمنين. فعُلم أنه ليس سبب ذلك ما ذكره.

قال الطاعن: (وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله ﷺ، وكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه، ويقول: أَصَبَوْتَ إلى دين محمد؟).

والجواب: أما قوله: (كان باليمن يطعن على النبي ﷺ وكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه).

فهذا من الكذب المعلوم؛ فإن معاوية إنما كان بمكة، لم يكن باليمن، وأبوه أسلم قبل دخول النبي ﷺ مكة بمر الظهران ليلة نزل بها، وقال له العباس: إن أبا سفيان يحب الشرف. فقال النبي ﷺ: {من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن}(١).

وأما قوله: (إن الفتح كان في رمضان لثمان من مقدم النبي ﷺ المدينة) فهذا صحيح.

وأما قوله: (إن معاوية كان مقيماً على شِرْكِهِ هارباً من النبي ﷺ، لأنه كان قدر

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٨٠).

أهدر دمه، فهرب إلى مكة، فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي ﷺ مضطراً، فأظهر الإسلام، وكان إسلامه قبل موت النبي ﷺ بخمسة أشهر).

فهذا من أظهر الكذب؛ فإن معاوية أسلم عام الفتح باتفاق الناس، وقد تقدّم قوله: (إنه من المؤلفة قلوبهم) والمؤلفة قلوبهم أعطاهم النبي ﷺ عام حنين من غنائم هَوَازن، وكان معاوية ممن أعطاه منها، والنبي ﷺ كان يتألّف السادة المطاعين في عشائرهم، فإن كان معاوية هارباً لم يكن من المؤلفة قلوبهم، ولو لم يسلم إلا قبل موت النبي ﷺ بخمسة أشهر لم يُعط شيئاً من غنائم حنين.

ومن كانت غايته أن يؤمن لم يحتج إلى تأليف.

ومما يبين كذب ما ذكره أنه لم يتأخر إسلام أحد من قريش إلى هذه الغاية، وأهل السير والمغازى متفقون على أنه لم يكن معاوية ممن أُهدر دمه عام الفتح.

وأما قوله: (إنه استحق أن يُوصف بذلك دون غيره).

ففرية على أهل السنة؛ فإنه ليس فيهم من يقول: إن هذا من خصائص معاوية، بل هو واحد من كتاب الوحي. وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فارتد عن الإسلام، وافترى على النبي ﷺ، ثم إنه عاد إلى الإسلام.

وأما قوله:(إنه نزل فيه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل:١٠٦] الآية).

فهو باطل؛ فإن هذه الآية نزلت بمكة، لما أُكره عمّار وبلال على الكفر. وردة هذا كانت بالمدينة بعد الهجرة، ولو قُدِّر أنه نزلت فيه هذه الآية؛ فالنبي ﷺ قَبِل إسلامه وبايعه.

وأما قوله: (وقد روى عبد الله بن عمر قال: {أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول: يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي. فطلع معاوية}. وقام النبي ﷺ خطيبا،

فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فقال النبي ﷺ: {لعن الله القائد والمقود}، أي: يوم يكون للأمة مع معاوية ذي الإساءة).

فالجواب أن يقال: أولاً: نحن نطالب بصحة الحديث؛ فإن الاحتجاج بالحديث لا يجوز إلا بعد ثبوته. ونحن نقول هذا في مقام المناظرة، وإلا فنحن نعلم قطعاً أنه كذب.

ويقال ثانياً: هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولا يوجد في شيء من دواوين الحديث التي يُرجع إليها في معرفة الحديث، ولا له إسناد معروف.

وهذا المحتج به لم يذكر له إسناد. ثم من جهله أن يروي مثل هذا عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمر كان من أبعد الناس عن ثلب الصحابة، وأروى الناس لمناقبهم، وقوله في مدح معاوية معروف ثابت عنه، حيث يقول: «ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أَسْوَد من معاوية. قيل له: ولا أبو بكر وعمر؟ فقال: كان أبو بكر وعمر خيراً منه، وما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود -أي من السيادة- من معاوية».

قال أحمد بن حنبل: «السيد الحليم يعني معاوية، وكان معاوية كريماً حليماً»[1].

ثم إن خطب النبي ﷺ لم تكن واحدة، بل كان يخطب في الجمع والأعياد والحج وغير ذلك. ومعاوية وأبوه يشهدان الخطب، كما يشهدها المسلمون كلهم. أفتراهما في كل خطبة كانا يقومان ويُمَكَّنان من ذلك؟ هذا قدح في النبي ﷺ وفي سائر المسلمين، إذ يمكِّنون اثنين دائماً يقومان ولا يحضران الخطبة ولا الجمعة. وإن كانا يشهدان كل خطبة، فما بالهما يمتنعان من سماع خطبة واحدة قبل أن يتكلم بها؟!

---

(١)السنة للخلال (٢/ ٤٤١-٤٤٢).

وأما قوله:(إنه بالغ في محاربة علي).

فلا ريب أنه اقتتل العسكران: عسكر علي ومعاوية بصفين، ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء، بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال، وكان غيره أحرص على القتال منه.

إذا تبين هذا فيقال: قول هؤلاء من أفسد الأقوال وأشدها تناقضاً؛ فإنهم يعظّمون الأمر على من قاتل عليًّا، ويمدحون من قتل عثمان، مع أن الذم والإثم لمن قتل عثمان أعظم من الذم والإثم لمن قتل عليًّا، فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه، ولم يقتل مسلماً، وقد قتلوه لينخلع من الأمر، فكان عذره في أن يستمر على ولايته أعظم من عذر عليّ في طلبه لطاعتهم له، وصَبَرَ عثمان حتى قُتل مظلوماً شهيداً من غير أن يدفع عن نفسه، وعليّ بدأ بالقتال أصحاب معاوية، ولم يكونوا يقاتلونه، ولكن امتنع من بيعته.

وإن قيل: إن عثمان فعل أشياء أنكروها.

قيل: تلك الأشياء لم تبح خلعه ولا قتله، وإن أباحت خلعه وقتله كان ما نقموه على عليّ أَوْلى أن يبيح ترك مبايعته.

وأما قوله: (الخلافة ثلاثون سنة) ونحو ذلك. فهذه الأحاديث لم تكن مشهورة شهرة يعلمها مثل أولئك؛ إنما هي من نقل الخاصة لا سيما وليست من أحاديث الصحيحين وغيرهما. وإذا كان عبد الملك بن مروان خَفِيَ عليه قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: {لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لنقضت الكعبة، ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها بابين}(١) ونحو ذلك حتى هدم ما فعله ابن الزبير، ثم لما بلغه ذلك قال:

---

(١) رواه البخاري برقم (١٥٨٥)، ومسلم برقم (١٣٣٣).

وددت أنّي وليته من ذلك ما تولاه. مع أن حديث عائشة ﵂ ثابت صحيح متفق على صحته عند أهل العلم، فلأن يخفى على معاوية وأصحابه قوله: {الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً}[1] بطريق الأوْلى، مع أن هذا في أول خلافة علي ﵁ لا يدل على عليّ عيناً، وإنما عُلمت دلالته على ذلك لما مات ﵁، مع أنه ليس نصّاً في إثبات خليفة معيّن. وهم يقولون: إذا كان لا ينصفنا إما تأويلاً منه وإما عجزاً منه عن نصرتنا، فليس علينا أن نبايع من نُظلم بولايته.

ثم من العجب أن هؤلاء ينكرون سب عليّ، وهم يسبّون أبا بكر وعمر وعثمان ويكفِّرونهم ومن والاهم. ومعاوية ﵁ وأصحابه ما كانوا يكفِّرون عليًّا، وإنما يكفِّره الخوارج المارقون، وهؤلاء شر منهم.

ولا ريب أنه لا يجوز سب أحد من الصحابة: لا عليّ ولا عثمان ولا غيرهما، ومن سب أبا بكر وعمر وعثمان فهو أعظم إثماً ممن سب عليًّا، وإن كان متأولاً فتأويله أفسد من تأويل من سب عليًّا.

وأما قوله: (إن معاوية سمّ الحسن).

فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببيِّنة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا بنقل يُجزم به. وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم.

وأما قوله: (وقتل ابنه يزيد مولانا الحسين ونهب نساءه).

فيقال: إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق. والحسين ﵁ كان يظن أن أهل العراق ينصرونه ويفون له بما كتبوا إليه، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل، فلما قتلوا مسلماً وغدروا به

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٦٤٦)، والترمذي برقم (٢٢٢٦).

وبايعوا ابن زياد، أراد الرجوع فأدركته السرية الظالمة، فطلب أن يذهب إلى يزيد، أو يذهب إلى الثغر، أو يرجع إلى بلده، فلم يمكّنوه من شيء من ذلك حتى يستأسر لهم، فامتنع، فقاتلوه حتى قُتل مظلوماً رضي الله عنه، ولما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجّع على ذلك، وظهر البكاء في داره، ولم يسب له حريماً أصلاً، بل أكرم أهل بيته، وأجازهم حتى ردّهم إلى بلدهم.

وأما قوله: (وكسر أبوه ثنيّة النبي ﷺ، وأكلت أمّه كبد حمزة عم النبي ﷺ).

فلا ريب أن أبا سفيان بن حرب كان قائد المشركين يوم أُحُد، وكُسرت ذلك اليوم ثنيّة النبي ﷺ، كسرها بعض المشركين. لكن لم يقل أحد: إن أبا سفيان باشر ذلك، وإنما كسرها عُتبة بن أبي وقاص، وأخذت هند كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تبلعها فلفظتها.

وكان هذا قبل إسلامهم، ثم بعد ذلك أسلموا وحسن إسلامهم وإسلام هند، وكان النبي ﷺ يكرمها، والإسلام يَجُبُّ ما قبله، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨]

شبهات حول أبي هريرة رضي الله عنه

أبوهريرة هو عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم ابن دوس اليماني، فهو دوسي نسبة إلى دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر وهو سنوءة ابن الأزد، والأزد من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنسب إلى الأزد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من العرب القحطانية.

الراجح عند العلماء أن اسمه في الجاهلية: عبد شمس. فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ «عبد الرحمن»، لأنه لا يجوز تسمية إنسان بأنه عبد فلان أو عبد شيء من الأشياء، وإنما هو عبد الله فقط، فيسمى باسم عبد الله أو عبد الرحمن وهكذا، وعبد الرحمن هو الذي يسكن إليه القلب.

اشتهر أبو هريرة بكنيته، وبها عرف حتى غلبت على اسمه فكاد ينسى.

أخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إنما كنّوني بأبي هريرة لأني كنت أرعى غنماً لأهلي، فوجدت أولاد هرة وحشية، فجعلتها في كمي، فلما رجعت إليهم سمعوا أصوات الهر من حجري، فقالوا: ما هذا يا عبد شمس؟ فقلت: أولاد هرة وجدتها، قالوا: فأنت أبو هريرة، فلزمني بعد»(١).

وأخرج الترمذي عنه قال: «كنت أرعى غنم أهلي، فكانت لي هريرة صغيرة،

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٩) (٦١٤١).

فكنت أضعها بالليل في الشجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها فكنوني بأبي هريرة»[١].

لكن يقول أبو هريرة ﵁: {كان رسول الله ﷺ يدعوني: أبا هرٍ، ويدعوني الناس: أبا هريرة}[٢].

ولذلك يقول: «لأن تكنونني بالذكر أحب إلي من أن تكنونني بالأنثى»[٣].

إسلامه وصحبته:

المشهور أنه أسلم سنة سبع من الهجرة بين الحديبية وخيبر، وكان عمره حينذاك نحواً من ثلاثين سنة، ثم قدم المدينة مع النبي ﷺ، حين رجوعه من خيبر وسكن (الصّفة) ولازم الرسول ملازمة تامة، يدور معه حيثما دار، ويأكل عنده في غالب الأحيان إلى أن توفي عليه الصلاة والسلام.

حفظه وقوة ذاكرته:

كان من أثر ملازمة أبي هريرة ﵁ للرسول ﷺ ملازمة تامة، أن اطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أقوال الرسول وأعماله، ولقد كان سيء الحفظ حين أسلم، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال له: {افتح كساءك فبسطه، ثم قال له: ضمه إلى صدرك فضمه، فما نسي حديثاً بعده قط}[٤]. هذه القصة - قصة بسط الثوب - أخرجها أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد، والنسائي، وأبي يعلى، وأبي نعيم.

ثناء الله تعالى والرسول ﷺ والصحابة والتابعين ﵃ وأهل العلم عليه:

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٨٤٠).

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٩) (٦١٤٢).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٥٧٩) (٦١٤٤).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٩)، صحيح مسلم برقم (٢٤٩٢)، جامع الترمذي برقم (٣٨٣٥).

أكرم الله تعالى الصحابة ﭫ بآيات كثيرة تثبت لهم الفضل والعدالة، منها ما نزل في صحابي واحد أو في أصحاب مشهد معين مع الرسول ﷺ، كرضوانه عن الذين بايعوا تحت الشجرة في الحديبية، ومنها ما نزل فيهم عامة ودخل تحت ظلها كل صحابي، وكذلك أكرم الرسول ﷺ أصحابه ﭫ بمثل ذلك من الاستغفار وإعلان الفضل والعدالة لبعضهم أو لطبقة منهم أو لهم عامة.

فمن الآيات العامة الشاملة قوله ﻷ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح:٢٩]، ومن آخر الآيات نزولاً قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧].

فأبو هريرة واحد من الصحابة ﭫ ينال أجر الصحبة المطلقة، ويكسب العدالة التي لحقت بهم جميعاً وأثبتتها آيات القرآن الكريم السابقة. وهو ينال شرف دعوة النبي ﷺ وينال أجر الهجرة إلى الله ورسوله، إذ كانت هجرته قبل الفتح وشرف دعوة النبي ﷺ له، وأجر الجهاد تحت راية رسول الله ﷺ، وأجر حفظ حديث رسول الله ﷺ وتبليغه.

وقال رسول الله ﷺ: {والذي نفس محمد بيده، لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي، لما رأيت من حرصك على العلم}(١).

وفي رواية قال: {لقد ظننت لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث}(٢).

---

(١) رواه أحمد برقم (٨٠٥٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٩٩).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أبو هريرة وعاء من العلم. قال زيد بن ثابت: فقلنا: يا رسول الله، ونحن نسأل الله علماً لا ينسى فقال: سبقكم بها الغلام الدوسي}[١].

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه في مسألة، فقال ابن عباس لأبي هريرة رضي الله عنه: «أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة»[٢].

قال الشافعي: «أبو هريرة رضي الله عنه أحفظ من روى الحديث في دهره»[٣].

وقال البخاري: «روى عنه نحو ثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره»[٤].

وقال الذهبي: (الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو هريرة رضي الله عنه الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات)[٥].

وقال في موضع آخر: (أبو هريرة رضي الله عنه إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم وأدائه بحروفه)[٦].

وقال أيضاً: (كان أبو هريرة رضي الله عنه وثيق الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث)[٧].

وقال أيضاً: (هو رأس في القرآن، وفي السنة، وفي الفقه)[٨].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٢)، حلية الأولياء (١/ ٣٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٣٢).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٠٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٧).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٤٤٥).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٤٤٦).

(٨) المصدر السابق (٢/ ٤٤٩).

وقال: (أين مثل أبي هريرة رضي الله عنه في حفظه وسعة علمه)[1].

الصحابة الذين رووا عنه:

روى عن كثير من الصحابة منهم: أبو بكر، وعمر، والفضل بن العباس، وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وعائشة رضي الله عنهم .

وأما الصحابة الذين رووا عنه: منهم ابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم .

التابعون الذين رووا عنه:

ومن التابعين سعيد بن المسيب وكان زوج ابنته، وعبد الله بن ثعلبة، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وسلمان الأغر، وسليمان بن يسار، وعراك بن مالك، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبو سلمة وحميد ابنا عبد الرحمن بن عوف، ومحمد بن سيرين، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن يسار رحمهم الله وكثيرون جداً بلغوا كما قال البخاري: ثمانمائة من أهل العلم والفقه.

عدة ما روي عنه من الحديث:

أخرج أحاديثه جمع من الحفاظ من أصحاب المسانيد، والصحاح، والسنن، والمعاجم، والمصنفات، وما من كتاب معتمد في الحديث، إلا فيه أحاديث عن الصحابي الجليل أبى هريرة رضي الله عنه .

وتتناول أحاديثه معظم أبواب الفقه: في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والجهاد، والسير، والمناقب، والتفسير، والطلاق، والنكاح، والأدب، والدعوات، والرقاق، والذكر والتسبيح.. وغير ذلك.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٣٨).

روى له الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٣٨٤٨) حديثاً وفيها مكرّر كثير باللفظ والمعنى، ويصفو له بعد حذف المكرّر خير كثير.

وروى له الإمام بقي بن مخلد (٢٠١ - ٢٧٦ هـ) في مسنده (٥٣٧٤) خمسة آلاف حديث، وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً.

وروى له أصحاب الكتب الستة والإمام مالك في موطئه (٢٢١٨) ألفي حديث، ومائتين وثمانية عشر حديثاً مما اتفقوا عليه وانفردوا به (٣)، له في الصحيحين منها (٦٠٩) ستمائة وتسعة أحاديث، اتفق الشيخان: الإمام البخاري، والإمام مسلم عن (٣٢٦) ثلاثمائة وستة وعشرين حديثاً منها، وانفرد الإمام البخاري بـ(٩٣) بثلاثة وتسعين حديثاً، ومسلم بـ(١٩٠) بتسعين ومائة حديث.

أصح الطرق عن أبي هريرة:

أصح أسانيد أبي هريرة في رأي البخاري ما روي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

وأصح حديث أبي هريرة في رأي الإمام أحمد ما رواه محمد بن سيرين ثم ما رواه سعيد بن المسيب.

أما عند الإمام علي بن المديني فهم ستة: ابن المسيب، وأبو سلمة، والأعرج، وأبو صالح، وابن سيرين، وطاوس.

وهم ستة أيضاً عند ابن معين: قال أبو داود: (سألت ابن معين: من كان الثبت في أبي هريرة؟ فقال: ابن المسيب وأبو صالح، وابن سيرين، والمقبري، والأعرج، وأبو رافع)[1]. وأربعة منهم وافق ابن المديني عليهم، واستثنى أبا سلمة وطاوس، وأبدلهما بالمقبري وأبي رافع.

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٩).

وقد أحصى أحمد محمد شاكر، وذكر أصح أسانيد أبي هريرة ومجموع من ذكرهم ستة: مالك وابن عيينة ومعمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عنه، ومالك عن أبي الزناد عن الأعرج عنه، وحماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عنه، ومعمر عن همام بن منبه عنه، ويحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عنه وإسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عنه.

كثرة حديثه وأسبابها:

كان أبو هريرة ﷺ يبين أسباب كثرة حديثه فيقول: «إنكم لتقولون أكثر أبو هريرة عن النبي ﷺ، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين لا يحدثون عن رسول الله ﷺ هذه الأحاديث، وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها، وإني كنت امرءاً مسكيناً: ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكنت أكثر مجالسة رسول الله، أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي ﷺ حدثنا يوماً فقال: {من يبسط ثوبه حتى أفرغ فيه من حديثي، ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئاً سمعه مني أبداً} فبسطت ثوبي - أو قال: نمرتي - فحدثني ثم قبضته إليّ، فوالله ما كنت نسيت شيئاً سمعته منه»[1].

وكان يقول: «وأيم الله.. لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبداً، ثم يتلو: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة:١٥٩]»[2].

وكان يدعو الناس إلى نشر العلم، وعدم الكذب على رسول الله ﷺ، من ذلك ما يرويه عن النبي ﷺ، أنه قال: {من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٩٢).

(٢) رواه أحمد برقم (٧٦٩١).

القيامة}[١] وعنه أيضاً: {ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار}[٢] متفق عليه.

وقد شهد له إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ بكثرة سماعه وأخذه عن رسول الله ﷺ، وهذه الشهادات تدفع كل ريب أو ظن حول كثرة حديثه، حتى إن بعض الصحابة رضي الله عنهم رووا عنه لأنه سمع من النبي الكريم ولم يسمعوا، ومن هذا أن رجلاً جاء إلى طلحة بن عبيد الله، فقال: «يا أبا محمد، أرأيت هذا اليماني- يعني أبا هريرة - أهو أعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم؟ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، أم هو يقول عن رسول الله ﷺ ما لم يقل؟ قال: أما أن يكون سمع ما لم نسمع، فلا أشك، سأحدثك عن ذلك: إنا كنا أهل بيوتات وغنم وعمل، كنا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار، وكان مسكيناً ضيفاً على باب رسول الله ﷺ يده مع يده، فلا نشك أنه سمع ما لم نسمع، ولا تجد أحداً فيه خير يقول عن رسول الله ﷺ ما لم يقل»[٣] وقال في رواية: «قد سمعنا كما سمع، ولكنه حفظ ونسينا»[٤].

وروى أشعث بن سليم عن أبيه قال: «سمعت أبا أيوب الأنصاري يحدّث عن أبي هريرة فقيل له: أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحدّث عن أبي هريرة رضي الله عنه؟ فقال: إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع، وإني أن أحدث عنه أحبّ إليّ من أن أحدث عن رسول الله ﷺ - يعني ما لم أسمعه منه»[٥].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٦٥٨)، والترمذي برقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه برقم (٢٦٤).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٩١)، ومسلم برقم (٣).

(٣) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٥٧).

(٤) الإصابة (٧/ ٤٤١)، تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٥٦).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٠٩).

ثم إن جرأة أبي هريرة رضي الله عنه في سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم أتاحت له أن يعرف كثيراً مما لم يعرفه أصحابه، فكان لا يتأخر عن أن يسأله عن كل ما يعرض له، حيث كان غيره لا يفعل ذلك، قال أُبي بن كعب: «كان أبو هريرة رضي الله عنه جريئاً على النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن أشياء لا نسأله عنها»[(١)].

كما كان يسأل الصحابة الذين سبقوه إلى الإسلام، فكان لا يتأخر عن طلب العلم، بل كان يسعى إليه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته.

وهو الذي يروى عنه: {من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين}[(٢)].

وقد رأينا أبا هريرة رضي الله عنه يحب الخير ويعمل من أجله، فما أظنه يتأخر عن خير من هذا النوع، وهو الذي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكلمة يعلمه إياها، ولحكمة يعظه بها.

مرضه ووفاته:

لما حضرته المنية رضي الله عنه قال: «لا تضربوا علي فسطاطاً، ولا تتبعوني بنار وأسرعوا بي إسراعاً، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إذا وضع الرجل الصالح - أو المؤمن - على سريره قال: قدموني، وإذا وضع الرجل الكافر - أو الفاجر - على سريره، قال: يا ويلي أين تذهبون بي؟}[(٣)]»[(٤)]. وكانت وفاته في السنة التي توفيت فيها عائشة أم المؤمنين عام (٥٨ هـ).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٢٩).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (٢٢٠).

(٣) رواه البخاري برقم (١٣٨٠).

(٤) الطبقات الكبرى (٤/ ٣٣٨).

الرد على الشبهات التي أثارها أهل البدع والمخالفين حول أبي هريرة ورواياته:

ذلكم أبو هريرة رضي الله عنه الذي عرفناه قبل إسلامه وبعد إسلامه، عرفناه في هجرته وصحبته للرسول الكريم، فكان الصاحب الأمين والطالب المجد، يدور مع الرسول الكريم ﷺ في حلّه وترحاله، ويشاركه أفراحه وأحزانه، وعرفنا التزامه للسنة المطهرة، وتقواه وورعه، في شبابه وهرمه...وعرفنا مكانته العلمية، وكثرة حديثه، وقوة حافظته، ورأينا منزلته بين أصحابه، وثناء العلماء عليه.

ذلكم أبو هريرة رضي الله عنه الذي صوّره لنا التاريخ من خلال البحث الدقيق، إلا أن بعض الحاقدين الموتورين لم يسرهم أن يروا أبا هريرة رضي الله عنه في هذه المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة، فدفعتهم ميولهم وأهواؤهم إلى أن يصوّروه صورة تخالف الحقيقة التي عرفناها، فرأوا في صحبته للرسول الكريم ﷺ، غايات خاصة ليشبع بطنه ويروي نهمه، وصوروا أمانته خيانة، وكرمه رياء، وحفظه تدجيل، وحديثه الطيب الكثير كذباً على رسول الله ﷺ وبهتاناً، ورأوا في فقره مطعناً وعاراً، وفي تواضعه ذلاً، وفي مرحه هذراً، وصوروا أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لونًا من المؤامرات لخداع العامة، ورأوا في اعتزاله الفتن تحزباً، وفي قوله الحق انحيازاً، فهو صنيعة الأمويين وأداتهم الداعية لمآربهم السياسية، فكان لذلك من الكذابين الواضاعين للأحاديث على رسول الله ﷺ افتراء وزورا!!.

شبهة إكثار أبي هريرة من الرواية عن النبي ﷺ:

الرد:

يقول البعض: إن أبا هريرة أفرط، فهذا كذب، فأي إفراط كان من أبي هريرة وهو الحافظ الذي عرفناه، والمفتي الذي احتاجت إليه الأمة بعد وفاة رؤوس الصحابة، وبقي أبو هريرة مع من بقي في المدينة مرجعاً للمسلمين في دينهم وشريعتهم، بعد أن

انطلق الصحابة إلى الأقطار الإسلامية يعلمون أهلها ويفقهونهم.

لا بد من الإشارة إلى أن أبا هريرة لم يكن مفرطاً، بل كان كغيره من علماء الصحابة، يستفتى فيفتي، ويسأل فيجيب، فلم يكن مفرطاً، في عهد الخلفاء الراشدين ولا بعدهم، إنما وثق به القوم، وعرفوا مكانته، فوضعوه حيث يستحق، فكم من راحل يقطع المسافات ليرى أبا هريرة، وكم من مقيم يترك كبار الصحابة ويأتيه في مسألة أو حديث عن رسول الله ﷺ.

فأبو هريرة لم يكثر من عنده، إنما وثق الناس بحفظه فحرصوا على أن ينهلوا منه، فما جريرته في ذلك، وقد شهد بعلمه وحفظه ابن عمر وطلحة بن عبيد الله والزبير وغيرهم، حتى إنه قال – عندما استكثروا حديثه –: «ما ذنبي إذا حفظت ونسوا».

جاء في مصادر الإمامية أن أبا هريرة قال لرسول الله ﷺ: {إني أسمع منك الحديث الكثير أنساه، قال: أبسط رداك قال: فبسطته فوضع يده فيه ثم قال: ضمّه فضممته، فما نسيت كثيراً بعده}[1].

فما ذنب أبي هريرة رضي الله عنه إذا دعا له رسول الله ﷺ أن يعطيه الله الحفظ؟!، بل هذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ذكروا أن رسول الله ﷺ دعا له أن يعطيه فهماً وحفظاً، فما نسي آية من كتاب الله!!.

ففي البحار (٤٠/ ١٣٩) «باب ٩٣ أن النبي ﷺ علّمه ألف باب»!! عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أجابني، وإن فنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلا أقرأنيها وأملاها

(١) بحار الأنوار (١٨/ ١٣) باب معجزات النبي في استجابة دعائه" نقلاً عن الخرائج.

عليّ، وكتبت بيدي وعلّمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، وكيف نزلت وأين نزلت وفيمن أنزلت إلى يوم القيامة، دعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا على من أنزلت أملاه عليّ».

فما ذنب علي رضي الله عنه إذا دعا له رسول الله ﷺ أن يعطيه الله الحفظ؟!

بل، ما ذنبه إذا علمه رسول الله ﷺ - حسب الرواية - ألف باب أو كلمة؟!

وعن الثمالي عن أبي جعفر قال: قال علي عليه السلام: «لقد علّمني رسول الله ألف باب كل باب يفتح ألف باب!!». وفي رواية: «علّم رسول الله علياً ألف كلمة كل كلمة تفتح ألف كلمة»(١).

ونقل محمد مهدي قول أمير المؤمنين عليه السلام: «اقتربوا اقتربوا وسلوا وسلوا فإن العلم يفيض فيضاً، وجعل يمسح بطنه!! ويقول: ما ملئ طعام ولكن ملأه علم!!...»(٢).

ونقل النجاشي في رجاله (٢/ ٣٩٩-٤٠٠) تحت ترجمة هشام بن محمد بن السائب....، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا وله الحديث المشهور، قال: (اعتللت علّة عظيمة، نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام، فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي).

أليس غريباً بعد ذلك أن يُستنكر كثرة أحاديث أبي هريرة وعلمه؟!!

ثم من العجيب أن يثير هذا في القرن العشرين!!، فهل يعجب من قوة ذاكرة الإنسان ولاسيما العرب؟ فقد كان العرب يحفظون أضعاف أضعاف ما حفظه أبو هريرة؟!!

---

(١) بحار الأنوار (٤٠/ ١٣١)، الفصول المهمة (١/ ٥٦٦).

(٢) الجامع لرواة وأصحاب الإمام الرضا (١/ ٢٤٤).

لقد حفظوا القرآن الكريم والحديث والأشعار، فماذا يقول هؤلاء في هؤلاء؟ ماذا يقول في حفظ أبي بكر أنساب العرب؟ وعائشة رضي الله عنها شعرهم؟

وماذا يقولون في حماد الراوية الذي كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها؟ وماذا يقول فيه إذا علم أنه روى على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات، من شعر الجاهلية دون الإسلام؟

ماذا يقول في حفظ الإمام البخاري في الحديث، فقد كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وقد صنّف كتابه في ستمائة ألف حديث.

وماذا يقول في حفظ ابن عقدة، فقد كان يحفظ مائة وعشرين ألف حديث!!

نقل آية الله الكلبايكاني في كتابه (أنوار الولاية ص ٤١٥) «في تحقيق سند الحديث الشريف»: (قال الشيخ الطوسي: سمعت جماعة يحكون عنه أنه قال: أحفظ مائة وعشرين ألف حديثاً بأسانيدها!!، وأذاكر بثلاثة مائة ألف حديث)!!.

إن مشكلة هؤلاء أنهم يدلسون ويزعمون أن أبا هريرة أفرط، وينسون رواياتهم عن الأئمة رحمهم الله أضعاف ما رواه أبو هريرة، حتى أفرطوا وأفرطت كتبهم الأربعة أو أصولهم الأربعمائة!.

يقول عالم الشيعة في الجرح والتعديل أبو العباس النجاشي يروي في رجاله المعروف برجال النجاشي أن الراوي أبان بن تغلب روى عن الإمام جعفر الصادق (٣٠) ألف حديث!!.

قال صاحبنا وهو ينكر على أبي هريرة كثرة أحاديثه: (فمنهم أبو سعيد أبان بن تغلب رباح الجريري القارئ الفقيه المحدث المفسر الأصولي اللغوي المشهور، كان من أوثق الناس، لقي الأئمة الثلاثة فروى عنهم علوماً جمة وأحاديث كثيرة، وحسبك أنه

روى عن الصادق خاصة ثلاثين ألف حديث!! كما أخرجه الميرزا محمد في ترجمة أبان من كتاب منتهى المقال بالإسناد إلى أبان بن عثمان عن الصادق عليه السلام..).

وقال: (قال الصادق لأبان بن عثمان: إن أبان بن تغلب روى عني ثلاثين ألف حديث!! فاروها عني).

بل أكثر رواة الإمامية يروون أضعاف أضعاف هذا العدد.

فهذا مثلاً محمد بن مسلم بن رباح سأل الباقر عن ثلاثين ألف حديث!! وسأل الصادق عن ستة عشر ألف حديث!!.

جابر بن يزيد الجعفي: ومن المكثرين المفرطين جابر بن يزيد الجعفي، كان يجيش في صدره كثرة أحاديث المعصومين حتى يأخذه الجنون، فكان يذهب إلى المقبرة ويدفن أحاديثهم!!

روى الطوسي عن جابر الجعفي قال: (حدثني أبو جعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث!! لم أحدث بها أحداً قط ولا أحدث بها أحداً أبداً، قال جابر: فقلت لأبي جعفر: عليه السلام جعلت فداك أنك قد حملتني وقراً عظيماً بما حدثتني به من سرّكم!! الذي لا أحدث به أحداً!!، فربما جاش في صدري حتى يأخذني منه الجنون!! قال: يا جابر فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبانة فاحفر حفيرة ودل رأسك ثم قل: حدثني محمد بن علي بكذا وكذا)[(١)].

وأخرج الطوسي بإسناده عن جابر الجعفي قال: (رويت خمسين ألف حديث ما سمعه أحد مني)[(٢)].

---

(١) اختيار معرفة الرجال للطوسي (٢/ ٤٤٢).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٤٠).

قال الحر العاملي في خاتمة الوسائل ما نصه: (أنه روى سبعين ألف حديث!! عن الباقر وروى مائة وأربعين ألف حديث!!، والظاهر أنه ما روى أحد بطريق المشافهة عن الأئمة أكثر مما روى جابر)(١).

وهؤلاء المكثرون المفرطون من الحديث ذكرهم صاحبنا الطاعن بنفسه في مصنفات أخرى دافع عنهم وأثنى عليهم. فمن الذي أكثر وأفرط؟! إي إفراط كان من أبي هريرة رضي الله عنه؟

وأما أن الصحاح وسائر مسانيد الجمهور قد أفرطت فيما روته عنه، فهذا ظلم وجور، لا نوافقه عليه، ولا يقبله إنسان منصف، ولا يقره عليه عقل راجح، بل هذا الادعاء كذب مكشوف، لأن صلح مذهبه هي التي أفرطت باعترافه!. قال في أحد كتبه (... وأحسن ما جمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة، ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها، وفيه ستة عشر ألف ومائة وتسعة وتسعون حديثاً، وهي أكثر مما اشتملت عليه الصحاح الستة بأجمعها، كما صرح به الشهيد في الذكرى وغير واحد من الأعلام).

فانظروا إلى قوله: (وهي أكثر مما اشتملت عليه الصحاح الستة بأجمعها)!

إن كتب السنة لم تضم بين دفاتها أي حديث إلا بعد بحث وتنقيب وتمحيص، ومقارنة وتحقيق، يتناول حياة الراوي وسلوكه وحفظه، ولا يؤخذ عن إنسان إلا بعد التحقق من عدالته، فكان النقد يتناول الرجال والمتن، ولم يكن النقد خارجياً فقط، بل

---

(١) وسائل الشيعة (٢٠/ ١٥١).

كانوا يعرضون الرواية على القرآن والسنة، حتى يتأكدوا من صحة الخبر، وكان منهم من يجمع الأخبار المتعارضة فيسلك طريق الدراسة والموازنة والتوفيق والترجيح حتى يتبين له وجه الحق والصواب، فلم تكتب الصحاح إلا على أسس علمية دقيقة، تتناول السند والمتن على السواء، وهذا بخلاف كتب غيرهم القوم.

شبهة: هل يجوز إخفاء الحديث حرصاً على بلعوم أبي هريرة:

جاء في سير أعلام النبلاء – للإمام الذهبي المجلد الثاني – فصل في بقية كبراء الصحابة – ١٢٦ – (أبو هريرة الدوسي، عبد الرحمن بن صخر ﵁.

قال: (ابن أبي ذئب: عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: {حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته في الناس، وأما الآخر فلو بثثته، لقطع هذا البلعوم}[1].

محمد بن راشد: عن مكحول، قال: كان أبو هريرة يقول: «رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه -يعني: من العلم-»[2].

قلت: هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنةً في الأصول أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديث يتعلق بحل أو حرام فلا يحل كتمانه بوجه، فإنه من البينات والهدى.

وفي صحيح البخاري: قول الإمام علي ﵁: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[3]. وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٦).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٩٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٢٧).

لأوذي، بل لقتل، ولكن العالم قد يؤديه اجتهاده إلى أن ينشر الحديث الفلاني إحياءً للسنة، فله ما نوى، وله أجر، وإن غلط في اجتهاده)[(١)].

ما رأيك يا أخي المسلم؟

إن أبا هريرة عين نفسه وصياً على الإسلام والسنة فهو يروي ما يراه مناسباً، ويخفي ما يراه مناسباً حفظاً للبلعوم وليس للإسلام، أمثل هذا يجوز أن نأخذ منه ديننا.

فلنتابع ما جاء في سير أعلام النبلاء:

(سعيد بن عبد العزيز: عن إسماعيل بن عبيد الله، عن السائب بن يزيد، سمع عمر يقول لأبي هريرة: «لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس». وقال لكعب: «لتتركن الحديث، أو لألحقنك بأرض القردة».

يحيى بن أيوب: عن ابن عجلان: أن أبا هريرة كان يقول: «إني لأحدث أحاديث، لو تكلمت بها في زمن عمر، لشج رأسي».

قلت: هكذا هو كان عمر رضي الله عنه يقول: «أقلوا الحديث عن رسول الله ﷺ». وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث، وهذا مذهبٌ لعمر ولغيره.

فبالله عليك إذا كان الإكثار من الحديث في دولة عمر كانوا يمنعون منه مع صدقهم، وعدالتهم، وعدم الأسانيد، بل هو غض لم يشب، فما ظنك بالإكثار من رواية الغرائب والمناكير في زماننا، مع طول الأسانيد، وكثرة الوهم والغلط، فبالحري أن نزجر القوم عنه، فيا ليتهم يقتصرون على رواية الغريب والضعيف، بل يروون - والله- الموضوعات، والأباطيل، والمستحيل في الأصول والفروع والملاحم والزهد - نسأل الله العافية -)[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٠١-٦٠٢).

استدراك: مرة أخرى أخي المسلم انظر إلى حرص القوم على إخفاء الحديث، هل رسول الله أمرهم أن يخفوا سنته وأن لا يبينوها؟ مم كانوا يخافون؟ هل من مثل هؤلاء نأخذ ديننا؟

نتابع ما جاء في سير أعلام النبلاء:

(قال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا محمد بن عيسى، أخبرنا يزيد بن يوسف، عن صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: «ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله ﷺ حتى قبض عمر رضي الله عنه كنا نخاف السياط»)[(1)].

وأما في جزء آخر من سير أعلام النبلاء، المجلد العاشر، الطبقة الثانية عشرة:

قال: (وقد صح: أن أبا هريرة كتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: «لو بثثته فيكم، لقطع هذا البلعوم». وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره، ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه، ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء)[(2)].

استدراك: كتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم: ما معنى ذلك؟ هل كان رسول الله يقول أحاديث لا يحتاجها المسلم؟ هل أبو هريرة يحدد للرسول ما يحتاجه المسلم من أحاديثه وما لا يحتاجه؟

أمن هؤلاء نأخذ ديننا.

لا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٠٣).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٦٠٣-٦٠٤).

الرد: إن أبا هريرة لا يكتم العلم النافع الضروري، وما كتمه أبو هريرة لم يكن من هذا، بل كان بعض أخبار الفتن والملاحم وما سيقع للناس مما لا يتوقف عليه شيء من أصول الدين أو فروعه.

وأما قول أبي هريرة: «لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر أو الأحجار.».

استمع في حفظ علوم أهل البيت!!

نقل آية الله ملا زين الكلبايكاني: (وعن أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً إلى صدره: أن هاهنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة. وقال عليه السلام أيضاً ما معناه: إنّ في صدري علماً لو أبرزته لكم لاضطربتم كاضطراب الحبل الطويل في بئر الماء العميق. وعنه عليه السلام أيضاً: لو فسّرت لكم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] لرجمتموني)(١).

وقال سيد الساجدين عليه السلام:

إني لأكتم من علمي جواهره	كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به	لقيل فيّ أنت ممن يعبد الوثنا
ولا استحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فيمكن أن نجيبه بنفس العقلية فهذا أحد رواة الإمامية الذين أثنى عليهم الموسوي في مراجعاته يحلف دون حياء أنه لو حدث بكل ما سمعه من جعفر الصادق لانتفخت ذكور!! الرجال على الخشب!.

(١) أنوار الولاية (ص٣٧٢).

فقد روى الكشي في رجاله بإسناده عن محمد بن زياد أبي عمير عن علي بن عطية عن زرارة قال: (والله لو حدثت بكل ما سمعته من أبي عبد الله عليه السلام لانتفخت ذكور الرجال على الخشب)[(١)].

أما سعة حفظ أبي هريرة فلدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له..

فقد مر ما أورده صاحب البحار أن أبا هريرة قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {إني أسمع منك الحديث الكثير أنساه، قال: ابسط رداك. قال: فبسطته، فوضع يده فيه ثم قال: ضمّه فضممته، فما نسيت كثيراً بعده}[(٢)].

لم يكتم أبو هريرة الحديث وحدث به، بل إن أحد رواة الإمامية وأعظمهم يدفن الأحاديث؟

روى الكشي عن جابر الجعفي قال: (حدثني أبو جعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث!! لم أحدث بها أحداً قط ولا أحدث بها أحد أبداً، قال جابر: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك أنك قد حملتني وقراً عظيماً بما حدثتني به من سرّكم!! الذي لا أحدث به أحداً!!، فربما جاش في صدري حتى يأخذني منه الجنون!! قال: يا جابر فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبانة فاحفر حفيرة ودل رأسك ثم قل حدثني محمد بن علي بكذا وكذا)[(٣)].

وأخرج الكشي بإسناده عن جابر الجعفي قال: (رويت خمسين ألف حديث ما سمعه أحد مني)[(٤)].

---

(١) رجال الكشي (ص١٣٤) ترجمة زرارة بن أعين.

(٢) البحار (١٨/ ١٣) " باب معجزات النبي في استجابة دعائه" نقلاً عن الخرائج.

(٣) رجال الكشي (ص١٩٤).

(٤) رجال الكشي (ص١٩٤).

قال الحر العاملي في خاتمة الوسائل ما نصه: (أنه روى سبعين ألف حديث!! عن الباقر وروى مائة وأربعين ألف حديث!!، والظاهر أنه ما روى أحد بطريق المشافهة عن الأئمة أكثر مما روى جابر)[1].

شبهة حديث سهو النبي ﷺ:

خرج الشيخان فيما جاء في السهو من صحيحيهما عن أبي هريرة قال: {صلى النبي إحدى صلاتي العشي وأكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام إلى خشبةٍ في مقدم المسجد فوضع يده عليها وفيهم أبو بكرٍ وعمر فهابا أن يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا: أقصرت الصلاة؟ ورجل يدعوه النبي ذو اليدين فقال: أنسيت أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولم تقصر! قال: بلى قد نسيت! فصلى ركعتين! ثم سلم ثم كبر! فسجد}[2] الحديث.

فقال هذا الطاعن: (أحدها أن مثل هذا السهو الفاحش لا يكون ممن فرّغ للصلاة شيئاً من قلبه أو أقبل عليها بشيء من لبه، وإنما يكون من الساهين عن صلاتهم، اللاّهين عن مناجاتهم، وحاشا أنبياء الله من أحوال الغافلين، وتقدّسوا عن أقوال الجاهلين، فإن أنبياء الله عليهم السلام ولا سيما سيدهم وخاتمهم أفضل مما يظنون، على أنه لم يبلغنا مثل هذا السهو عن أحد ولا أظن وقوعه إلا ممن بمثل حال القائل: أصلّي فما أدري إذا ما ذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثمانياً؟

وأما سيد النبيين وتقلبه في الساجدين، إن مثل هذا السهو لو صدر منّي لاستولى عليّ الحياء وأخذني الخجل واستخف المؤتمون بي وبعبادتي، ومثل هذا لا يجوز على أنبياء الله أبداً..) إلخ.

---

(١) خاتمة الوسائل (٢٠/ ١٥١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٢٩)، صحيح مسلم برقم (٥٧٣).

الرد:

أولاً: أن القرآن دلّ على نسيان الأنبياء في مواضع كثيرة في القرآن الكريم.

يقول الله تعالى لنبيه الكريم: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى:٦].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ﴾ [الكهف:٦٠-٦٣].

ومثل هذا كثير في القرآن الكريم.

ثانياً: أن الحديث رواه غير أبي هريرة كابن مسعود وعمران رضي الله عنهم.

وأما إنكار صاحبنا سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا من مذهب الغلاة الذين ينفون السهو.

فعن أبي صلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: «إن في سواد الكوفة قوماً يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو»(١).

(١) بحار الأنوار (٤٤/ ٢٧١).

وقال الشيخ الصدوق وهو من كبار علماء الإمامية: (ليس سهو النبي ﷺ كسهونا لأن سهوه من الله ﷻ أسهاه ليعلم أنه بشر فلا يتخذ معبوداً دونه، وسهونا من الشيطان..)(١).

والحقيقة أن الشيعة اختلفت عقائدها في «مسألة سهو النبي ﷺ»، فكانت عقيدتهم في أول الأمر في عصر القمي الملقب عندهم بالصدوق - كما مرّ قوله - وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد كان عقيدتها وعقيدة جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هو نفي السهو عن النبي ﷺ، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي ﷺ من الشيعة الغلاة!!وأظن أن عبد الحسين وشيعته من الغلاة كما هو واضح.

بل اعتبر القمي أن الذين ينفون السهو عن الأئمة من المفوضة لعنهم الله على حد تعبيره، وأنهم ليسوا من الشيعة في نظرهم.

يقول الصدوق: (أن الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي ﷺ)(٢).

وذكر أن شيخه بن الوليد يقول: (أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ، ولو جاز أن ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى لجاز أن نرد جميع الأخبار وفي ردها إبطال الدين والشريعة، وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب منفرد في إثبات سهو النبي ﷺ والرد على منكريه)(٣).

قلت: ولكن تبدّلت الأحوال بعد ذلك وأصبح نفي السهو عن الأئمة وليس عن النبي ﷺ من ضرورات المذهب!

---

(١) من لا يحضره الفقيه (ص١/ ٣٦٠).

(٢) من لا يحضرة الفقيه (١/ ٢٣٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٦٠).

يقول المامقاني وهو من كبار علماء الإمامية: (أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي)[(١)].

ونقول: إن الإمامية نقلوا في دواوينهم الحديثية أخباراً كثيرة تنفي عن الأئمة رحمهم الله السهو والنسيان. ومن يتتبع أخبارهم وأحاديثهم يجد مجموعة كبيرة منها تناقض دعواهم في عدم سهو أئمتهم وقد احتار المجلسي بوجود كثير من الأخبار في كتبهم تناقض دعوى نفي السهو عن الأئمة، ولذا اعترف فقال في ما نصه: (المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز)[(٢)].

ثالثاً: حديث السهو لم ينفرد به أبو هريرة رضي الله عنه، بل وافقه وشاركه عظماء وسادات من علماء أهل البيت رضي الله عنهم، وأثبته علماء القوم في مصادرهم.

ففي «البحار»(١٧/ ١٠١): عن علي عليه السلام قال: «صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر خمس ركعات، ثم انفتل، فقال له بعض القوم: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ فقال: وما ذاك؟ قال: صلّيت بنا خمس ركعات، قال: فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس، ثم سجد سجدتين ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلّم، وكان يقول: هما المرغمتان».

وعن الباقر عليه السلام قال: «صلّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة وجهر فيها بالقراءة فلما انصرف قال لأصحابه: هل أسقطت شيئاً في القرآن؟ قال: فسكت القوم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أفيكم أبي بن كعب؟ فقالوا: نعم، فقال: هل أسقطت فيها شيء؟ قال: نعم يا رسول الله أنه كان كذا وكذا» الحديث.

---

(١) تنقيح المقال (٣/ ٢٤٠).

(٢) البحار (٢٥/ ٣٥١).

وفي الوسائل (٥/ ٣٠٧): عن الحارث بن المغيرة النضري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنما صلّينا المغرب فسها الإمام فسلّم في الركعتين فأعدنا الصلاة، فقال: ولم أعدتم، أليس قد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركعتين فأتم بركعتين؟ ألا أتممتم».

فأين قول صاحبنا عندما قال: (... إن مثل هذا السهو لو صدر منّي لاستولى عليّ الحياء وأخذني الخجل واستخف المؤتمون بي وبعبادتي ومثل هذا لا يجوز على أنبياء الله أبداً).

.. (أصلّي فما أدري إذا ما ذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثمانياً)؟

شبهة حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلد ويغضب:

قال صاحبنا: (كان النبي يؤذي ويجلد ويسب ويلعن من لا يستحق: أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً: {اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارةً وقربةً تقربه بها إليك}[1] الحديث.

فقال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء لا يجوز عليهم أن يؤذوا أو يجلدوا أو يسبوا أو يلعنوا من لا يستحق، سواء أكان ذلك في حال الرضا أم في حال الغضب، بلى لا يمكن أن يغضبوا بغير حق..).

قلت: إن هذا الحديث قد رواه غير أبي هريرة.. فقد رواه جابر بن عبد الله وعائشة وأنس رضي الله عنهم.

ومن طرق الإمامية ما رواه محمد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا بشر أغضب وأرضى، وأيما مؤمن حرمته وأقصيته أو دعوت عليه فاجعله

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٠١).

كفّارة وطهوراً، وأيما كافر قربته أو حبوته أو أعطيته أو دعوت له ولا يكون لها أهلاً فاجعل ذلك عليه عذاباً ووبالاً»(١).

وروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتى رسول الله ﷺ وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاما وأشدهم استقصاء في محاجة النبي فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ربك يقرئك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي ﷺ الغضب ورفع رأسه وقال له: لولا أن جبريل أخبرني عن الله عز وجل إنك سخي تطعم الطعام لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك. فقال له الرجل: وإن ربك يحب السخاء؟ فقال: نعم. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله والذي بعثك بالحق لا رددت من مالي أحداً»(٢).

شبهة حديث عروض الشيطان لرسول الله وهو في الصلاة:

قال أحدهم: (أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة قال: {صلى رسول الله صلاة فقال ﷺ: إن الشيطان عرض لي فشد علي يقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فذعته – أي فخنقته – ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص:٣٥](٣).

فقال:(وفيه أن أنبياء الله وخيرته من خلقه يجب أن يكونوا في نجوة من هذا وفي منتزح فإنه ينافي عصمتهم ويضع من قدرهم، ومعاذ الله أن يشد الشيطان عليهم أو يعرض لهم أو تسوّل له نفسه الطمع فيهم..). إلى أن قال: (فليسمح لي الشيخان

---

(١) بحار الأنوار (١٠١/ ٢٩٠).

(٢) الكافي (٤/ ٤٠).

(٣) رواه البخاري برقم (١٢١٠)، ومسلم برقم (٥٤١).

وغيرهما ممن يعتبرون حديث أبي هريرة لأسألهم: هل للشيطان جسم يشد وثاقه ويربط بالسارية حتى يصبح وتراه الناس بأعينها أسيراً مكبلا...؟ إلخ).

قلت: لقد ذكر المجلسي في بحاره (٦٣/ ٢٩٧) في كتاب السماء والعالم باباً سماه «ذكر إبليس وقصصه» وأورد هذا الحديث الذي أنكرته من طريق أبي هريرة.

كما عقد أيضاً في بحاره في كتاب النبوة باباً سماه «في معنى قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص:٣٥]» وأورد فيه هذا الحديث من رواية الشيخين.

كما عقد في بحاره (١٨/ ٨٢) في كتاب تاريخ النبي ﷺ باباً سماه «معجزاته في استيلائه على الجن والشياطين» وأورد فيه هذا الحديث وهو من طريق ابن مسعود قال المجلسي: (وقال القاضي في الشفا: رأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع لامهم وشبههم برجال الزطّ وقال النبي ﷺ: إن شيطاناً تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد...

وأما من طريق المعصوم، فقد روى الحميري في قرب الإسناد عن أبي جميلة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص:٣٥] قلت: فأعطيه الذي دعا به؟ قال: نعم، ولم يعط بعده إنسان ما أعطي نبي الله عليه السلام من غلبة الشيطان، فخنقه إلى أسطوانة حتى أصاب بلسانه يد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لولا ما دعا به سليمان عليه السلام لأريتكموه».

فدل هذا الحديث الذي رواه جعفر الصادق على جهل صاحبنا بأحاديث أهل البيت رضي الله عنهم.

وأما قوله: (فليسمح لي الشيخان وغيرهما ممن يعتبرون حديث أبي هريرة لأسألهم

هل للشيطان جسم يشد وثاقه ويربط بالسارية حتى يصبح وتراه الناس بأعينها أسيراً مكبلاً؟).

أقول: روى صاحب الأنوار النعمانية (٢/ ١٦٨) عن الصدوق بإسناده إلى علي عليه السلام قال: قد كنت جالساً عند الكعبة فإذا شيخ محدودب، فقال: يا رسول الله ادع لي بالمغفرة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: خاب سعيك يا شيخ وضل عملك، فلما ولّى الشيخ سألته عنه، فقال ذلك اللعين إبليس قال علي: عدوت خلفه حتى لحقته وصرعته إلى الأرض وجلست على صدره!! ووضعت يدي على حلقه لأخنقه!!، فقال: لا تفعل يا أبا الحسن فإني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، والله يا علي أني لأحبك جداً وما أبغضك أحد إلاّ شركت أباه في أمه فصار ولد زنا فضحكت!! وخلّيت سبيله».

علي رضي الله عنه يقتل ثمانين ألفاً من الجن!!

أورد هاشم البحراني في كتابه «مدينة معاجز» باب معاجز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١/ ١٤٧-١٥١ حديث ٨٨) باب «التاسع والعشرون خبر عطرفة الجنّي».

السيد المرتضى «في عيون المعجزات» قال: (ومن دلائل أمير المؤمنين ومعجزاته وخبره مع عطرفة الجنّي وهو خبر معروف عند علماء الشيعة، وقد وجدت هنا الخبر في كتاب الأنوار، وفي حديث طويل عن زاذان، عن سلمان، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يومٍ جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت، فأثارت الغبار، وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله إني وافد قومي، وقد استجرنا بك فأجرنا، وابعث معي من قبلك من يشرف على قومنا، فإن بعضهم قد بغى علينا، ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه وخذ عليّ العهود والمواثيق....فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أنت ومن قومك؟ قال: أنا عطرفة ابن شمراخ، أحد بن نجاح وأنا

وجماعة من أهلي كنّا نسترق السمع، فلما منعنا من ذلك آمنّا، ولما بعثك الله نبياً آمنّا بك.... وقد خالفنا بعض القوم...فوقع بيننا وبينهم الخلاف، وهم أكثر منّا عدداً وقوة... فابعث معي من يحكم بيننا وبينهم بالحق.... ثم استدعى - أي النبي ﷺ - بعلي عليه السلام وقال له: يا علي سِر مع أخينا عطرفة، وتشرف على قومه، وتنظر إلى ما هم عليه، وتحكم بينهم بالحق - فقام أمير المؤمنين عليه السلام مع عطرفة وقد تقلّد سيفه، قال سلمان رضي الله عنه: فتبعتهما إلى أن صار إلى الوادي فوقفت انظر إليهما، فانشقّت الأرض ودخلا فيها!! - إلى أن قال - وقد انشق الصفا!! وطلع أمير المؤمنين عليه السلام وسيفه يقطر دماً!!! ومعه عطرفة.... قال له - أي النبي ﷺ -: ما الذي حبسك عنّي إلى هذا الوقت؟ فقال عليه السلام: صِرتُ إلى جنٍ كثيرٍ قد بغوا على عطرفة وقومه من المنافقين فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عليّ... فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم زهاء ثمانين ألفاً!!!...)(١) إلخ.

وفي (٢/ ٢٨٤ رواية ٥٥٣) «الذي تخبّطه الشيطان لمّا ادّعى ما قاله عليه السلام».

فعن أبي يحيى قال: شهدت علياً عليه السلام يقول على منبر الكوفة: «أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ - إلى أن قال- فلم يبرح مكانه حتى تخبّطه الشيطان، فجرّ برجله إلى باب المسجد».

ففي (ص٣٠٩ رواية ٥٧٣) «أنّه عليه السلام هرب عنه إبليس يوم بدر».

وخلاصة الحديث: قال ابن مسعود: «والله ما هرب إبليس إلا حين رأى أمير المؤمنين عليه السلام فخاف أن يأخذه ويستأسره ويعرفه الناس فهرب».

وسوف أحيلك أيها القارئ إلى أبواب وعنواين معاجز أئمتهم باختصار.

---

(١) عيون المعجزات (ص٣٨).

ففي (ص٢١ رواية ٣٦٥) «أنّه عليه السلام كان معه جبرائيل وميكائيل عليه السلام حين تعرض له إبليس، وأنّه عليه السلام قتل ياغوث».

وفي (ص٤٤٦ رواية ٦٧٢) «أنّه عليه السلام ولّى أربعين ألف ملك وقتل أربعين ألف عفريت».

وفي (ص ٤٤٥ رواية ٦٧١) «مخافة الجنّي منه عليه السلام».

فليسمح لي القمي والمجلسي وغيرهما ممن يعتبرون حديث أهل البيت كما يزعمون لأسألهما: هل للشيطان والجن جسم لكي يصرعه ويجلس على صدره ويضع يديه في حلقه ليخنقه أو يقتلهم؟!

والعجيب أن صاحبنا أنكر على النبي ﷺ هذه المعجزة، ولم ينكر على إمامه فاعتبروا يا أولي الألباب!!

حديث نوم النبي ﷺ عن صلاة الصبح:

قال صاحبنا: (أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة واللفظ لمسلم قال: {عرسنا مع نبي الله فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبي ﷺ: ليأخذ كل رجلٍ برأس راحلته فإن هذا منزل حضره الشيطان، قال: أبو هريرة: ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة}[1].

ثم قال: (وهذا مما يبرأ منه هدى رسول الله ﷺ...أتراه ﷺ يحض الناس على الصلاة هذا الحض، ويهتم بصلاة الفجر هذا الاهتمام ويهدد بالتحريق!! على من لا يخرج إليها ثم ينام عنها؟ حاشا لله ومعاذ الله أن يكون كذلك... وأن النبي ﷺ كان يومئذ في جيش مؤلف من ألف وستمائة رجل.. فالعادة تأبى أن يناموا بأجمعهم..

---

(١) رواه مسلم برقم (٦٨٠).

ولعل هذا من خوارق أبي هريرة!... كلمة تقضّ مضاجع المؤمنين وتقلقهم فلا ينامون بعدها عن نافلة الليل لو أنصفوا أنفسهم... وما كان وهو سيد الحكماء ليندد بمن نام عن صلاة الليل هذا التنديد ثم ينام هو بمنظر من أصحابه عن صلاة الصبح، سبحانك هذا بهتان عظيم...وقد عقد البخاري في صحيحه باباً لتهجده في الليل وباباً لطول سجوده في صلاة الليل.... هذا دأبه في قيام الليل، فما ظنك به في إقامة الفرائض الخمس وهي أحد الأركان التي بني الإسلام عليها أيجوز عليه أن ينام عنها؟! معاذ الله وحاشا لله..).

ثم قال: (وهذا الحديث ممّا انفرد به أبو هريرة فلم يثبت عن غيره، ولكن الجمهور أخذوا به اعتماداً على أبي هريرة كما هي طريقتهم...).

الرد:

إليك روايات أهل البيت في الباب:

فعن سماعة بن مهران قال: سألته عن رجل نسي أن يصلّي الصبح حتى طلعت الشمس، قال: «يصليها حين يذكرها، فإن رسول الله ﷺ رقد عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ثم صلاها حين استيقظ ولكنه تنحى عن مكانه ذلك ثم صلّى»[(١)].

وعن حمزة بن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله أمر بالصلاة والصوم فنام رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأنا أوقظك فإذا قمت فصل ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون: إذا نام عنها هلك...»[(٢)].

وفي الفقيه عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله تبارك

---

(١) بحار الأنوار (١٧/ ١٠٣).

(٢) الكافي (١/ ١٦٤).

وتعالى أنام رسول الله عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس، ثم قام فبدأ فصلّى الركعتين اللتين قبل الفجر، ثم صلّى الفجر وأسهاه في صلاته، فسلّم في الركعتين، ثم وصف ما قاله ذو الشمالين، وإنما فعل ذلك به رحمة لهذه الأمة لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فقال: قد أصاب ذلك رسول الله»(١).

فلماذا لا تكذّب ولا تستغرب ما يروي الكليني والقمي والطوسي وغيرهم وأثبت لهم نوم النبي ﷺ من طريق الأئمة عليهم السلام؟ لم تجاهلت هذه الروايات؟! لم أعرضت عنها في بحثك العلمي! وذوقك الفني! أنسيت أنك تقول: (بأنك بالغت في الفحص وأغرقت في التنقيب) فبالله عليك متى كان التضليل بحثاً علمياً؟ ومتى كان الإعراض عن الحق ذوقاً فنياً؟!

ومن هنا ترى أيها القارئ الكريم الفرق بين العلماء وأصحاب الأهواء والبدع!!

وفي الكافي عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نام رسول الله ﷺ عن الصبح والله عز وجل أنامه حتى طلعت الشمس عليه، وكان ذلك رحمة من ربك للناس، ألا ترى لو أن رجلاً نام حتى طلعت الشمس لعيره الناس وقالوا: لا تتورع لصلاتك، فصارت أسوة وسنة فإن قال رجل لرجل: نمت عن الصلاة، قال: قد نام رسول فصارت أسوة ورحمة، رحم الله سبحانه بها هذه الأمة»(٢).

فهل علمت لماذا نام رسول الله ﷺ عن الصلاة؟! ومن الحكمة من ذلك؟! فإن لم تعلم فسيأتي شرح ذلك من كلام الشهيد أيضاً.

وهذا المجلسي يثبت هذه الرواية في بحاره عن الكازروني في حوادث سنة سبع:

---

(١) من لا يحضره الفقيه (١/ ٣٥٨)، بحار الأنوار (١٧/ ١٠٧).

(٢) الكافي (٣/ ٢٩٤)، بحار الأنوار (١٧/ ١٠٤)، تفسير نور الثقلين (٤/ ٢٥٦).

(وفيها نام رسول الله ﷺ عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس بالإسناد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حتى قفل من غزوة خيبر صار حتى إذا أدركه الكرى عرس وقال لبلال: اكلأ لنا الليل، فصلّى بلال ما قدر له ونام رسول الله ﷺ فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالاً عينه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من الصحابة حتى ضربتهم الشمس وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظا ففزع رسول الله ﷺ فقال: أي بلال، فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، بأبي أنت يا رسول الله ﷺ قال: اقتادوا، فاقتادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة وصلّى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال: من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه:١٤]).

ثم قال المجلسي: (أقول: قد مضى الكلام فيه في باب سهوه)[1].

ونقل المجلسي عن الشهيد في الذكرى بسنده الصحيح!! عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: إذا دخل وقت صلاة مكتوبة فلا صلاة نافلة حتى يبدأ بالمكتوبة. قال: فقدمت الكوفة فأخبرت الحكم بن عتيبة وأصحابه فقبلوا ذلك مني فلما كان في القابل لقيت أبا جعفر عليه السلام فحدثني أن رسول الله ﷺ عرس في بعض أسفاره فقال: من يكلؤنا؟ فقال بلال: أنا، فنام بلال وناموا حتى طلعت الشمس فقال: يا بلال ما أرقدك؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بأنفاسكم. فقال رسول الله ﷺ: أذن فأذن فصلّى النبي ﷺ ركعتي الفجر وأمر أصحابه فصلوا ركعتي الفجر ثم قام فصلّى بهم الصبح، ثم قال: من نسي شيئاً من

---

(١) بحار الأنوار (٢١/ ٤٢).

الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه:١٤]. قال زرارة: فحملت الحديث إلى الحكم وأصحابه فقال: نقضت حديثك الأول. فقدمت على أبي جعفر عليه السلام فأخبرته بما قال القوم، فقال: يا زرارة ألا أخبرتهم أنه قد فات الوقتان جميعاً، وأن ذلك كان قضاء من رسول الله ﷺ).

قال المجلسي في تعليقه على هذا الخبر: (قال الشهيد: في هذا الخبر فوائد: منها استحباب أن يكون للقوم حافظ إذا ناموا)[1].

ومنها أن الله تعالى أنام نبيه لتعليم أمته، ولئلا يعّير بعض الأمة بذلك، ولم أقف على راد لهذا الخبر، لتوهم القدح في العصمة.

وذكر المجلسي عن أبي جحيفة قال: {كان رسول الله ﷺ في سفره الذي ناموا فيه حتى طلعت الشمس، ثم قال: إنكم كنتم أمواتاً فرد الله إليكم أرواحكم}[2].

فلماذا لا تسأل أئمتك هذه الأسئلة: هل نام الحرس أيضاً كما نام المؤذنون؟

ولماذا لا تسألهم: أن النبي ﷺ كان يومئذ في جيش مؤلف من ألف وستمائة رجل..فالعادة تأبى أن يناموا بأجمعهم. ولماذا لا تسألهم هذه الأسئلة!؟

شبهة حديث أن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: {صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث! فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم، قال ﷺ: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم، وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب

---

(١) بحار الأنوار (٨٤/ ٢٥).

(٢) المصدر السابق (٥٨/ ٦٣).

منها بشاة فطلب حتى استنقذها منه فقال له الذئب: استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم! قال ﷺ: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم})[1].

ثم قال: (أن أبا هريرة نزوع إلى الغرائب تواق إلى العجائب، قد استخفته إلى خوارق العادات نزية من الشوق والهيام فتراه طروباً إلى التحدث بما هو فوق النواميس الطبيعية، كفرار الحجر بثياب موسى، وكضرب موسى ملك الموت حتى فقأ عينه، ونزول جراد الذهب على أيوب وأمثال ذلك من المستحيلات عادة.

وها هو الآن يحدث بأن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين، فيفصحان عن عقل وعلم وحكمة الأمر الذي لم يقع أصلاً ولا هو واقع قطعاً ولن يقع أبداً، وسنة الله في خلقه تحيل وقوعه إلا في مقام التحدي والتعجيز حيث يكون آية للنبوة وبرهاناً على الاتصال بالله عز سلطانه، ومقام الرجل حيث ساق بقرته إلى الحقل وركبها في الطريق لم يكن مقام تحدي وإعجاز لتصدر فيه الآيات وخوارق العادات، وكذلك مقام راعي الغنم حين عدا الذئب عليه فلا سبيل إلى القول بإمكان صحة هذا الحديث عقلاً فإن المعجزات وخوارق العادات لا تقع عبثاً بإجماع العقلاء).

قلت: لقد عقد المجلسي في بحاره (٦٥/ ٧٩) كتاب السماء والعالم باباً سماه «باب الثعلب والأرنب والذئب والأسد» أثبت هذا الحديث الذي أنكرته من طريق أبي هريرة رضي الله عنه من الصحيحين.

كما عقد أيضاً في (١٩/ ١٢٩) كتاب تاريخ نبينا في باب «نزوله المدينة وبناؤه المسجد والبيوت» وأورد فيه حديث أبي هريرة.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧١).

قال المجلسي: (وفي هذه السنة تكلم الذئب خارج المدينة ينذر برسول الله ﷺ كما روي عن أبي هريرة).

نقل أيضاً في (١٧/ ٣٩٤) كتاب تاريخ نبينا باب «ما ظهر من إعجازه في الحيوانات» عن فخرك «المفيد» في أماليه بإسناده عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد الخدري.

وقال المجلسي في البحار(٦٥/ ٧٨) نقلاً عن ابن عبد البر وغيره: (كلّم الذئب من الصحابة ثلاثة: رافع بن عميرة، وسلمة بن الأكوع، واهبان بن أوس الأسلمي، قال: ولذلك تقول العرب: هو كذئب اهبان، يتعجبون منه).

فهذا الحديث ليس من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، فماذا تقول؟ هل هو جهله بأحاديث أهل البيت رضي الله عنهم !!

وإليك أبواب أخرى.

ففي (مدينة معاجز) (١/ ١٥١-١٥٩ رواية ٩٨) «حديث الجام».

و(ص٢٥٥ رواية ١٦١) «إحياء الإسرائيليين الحوتين».

و(ص٢٦٦ رواية ١٦٩) «كلام الذئب» كلام الذئبين وسلامهما عليه عليه السلام.

و(ص ٢٧٣ رواية ١٧٠) «كلام الجمال والثياب».

و(ص ٢٧٥ رواية ١٧١) «تسليم الأسد عليه عليه السلام».

و(ص ٢٨١ رواية ١٧٧) «كلام البقرة باسمه عليه السلام».

و(ص٢٨٢ رواية ١٧٨) «كلام الفيلة».

و(ص ٢٨٤ رواية ١٧٩) «كلام الوزّ».

و(ص٢٨٥ رواية ١٨٠) «كلام الدّراج».

و(ص ٢٨٨ رواية ١٨٢) «كلام الفرس».

و(ص٢٩٧ رواية ١٨٤) «إنطاق الجبال والأحجار والأشجار باسمه عليه السلام».

و(ص٢٩٩ رواية ١٨٥) «كلام الحية».

و(ص٣٩٨ رواية ٢٦٢) «كلام النخيل باسم النبي والوصي».

و(ص ٤٠٩ رواية ٢٧٢) «إنطاق الأسد بالنبي وأمير المؤمنين عليه السلام».

و(ص ٤١٢ رواية ٢٧٣) «كلام الجمل بالثناء عليه عليه السلام».

و(ص٤١٥ رواية ٢٧٥) «كلام البساط، وكلام السوط، وكلام الحمار».

و(ص٤١٨ رواية ٢٧٨) «شهادة الباذنجان له عليه السلام بالولاية».

و(ص٤١٩ رواية ٢٧٩) «إقرار الأرز له عليه السلام بالوصية».

و(ص ٤٤٢ رواية ٢٩٧) «إنطاق الثياب والخفاف».

وفي (٢/ ٢٠ رواية ٢٠٣٦٣) «إنطاق الناقة بأنّه عليه السلام أمير المؤمنين».

و(ص ٢٨ رواية ٣٧١) «إنطاق حوت يونس بولايته وولاية أهل البيت عليهم السلام

وفي (٥/ ٥٠٥ رواية ١٠٢١) «كلامه عليه السلام مع فرسه».

و(ص٥٢٨ رواية ١٠٣٧) «كلام الظبية بفضله عليه السلام».

فأين هذا وقول هذا الطاعن: (الأمر الذي لم يقع أصلاً ولا هو واقع قطعاً، ولن يقع أبداً، وسنة الله في خلقه تحيل وقوعه..).

أقول: إن كنت تجهل بأن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين، وتنكر أن مثل هذا الأمر بأنه»(الأمر الذي لم يقع أصلاً ولا هو واقع قطعاً ولن يقع أبداً وسنة الله في خلقه تحيل وقوعه..). كما تزعم، فما عليك إلا الإصغاء إلى هذه الأحاديث من طرق أهل البيت رضي الله عنهم.

فعن علي عليه السلام قال: «كلّم الذئب أبا الاشعث ابن قيس الخزاعي، فأتاه فطرده مرّة بعد أخرى، ثم قال له في المرّة الرابعة: ما رأيت ذئباً أصفق وجهاً منك. فقال له الذئب: بل أصفق وجهاً مني من تولى عن رجل ليس على وجه الأرض أفضل منه، ولا أنور نوراً، ولا أتم بصيرة ولا أتم أمراً، يملك شرقها وغربها، يقول: لا إله إلاّ الله، فيتركونه، ومن أصفق وجهاً: أنا أم أنت الذي تتولى عن هذا الرجل الكريم، رسول رب العالمين»(١).

وفي الخرائج: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن ثلاثة من البهائم أنطقها الله على عهد النبي ﷺ: الجمل وكلامه شكوى أربابه وغير ذلك. والذئب فقد جاء إلى النبي فشكا إليه الجوع، فدعا رسول الله ﷺ أرباب الغنم، فقال: افرضوا للذئب شيئاً فشحوا. فذهب.... وأما البقرة فإنها أذنت بالنبي ﷺ ودلت عليه وكانت في نخل لبني سالم من الأنصار، وقالت: يا ذريح أعمل نجيح صائح يصيح بلسان عربي فصيح، بأن لا إله إلاّ الله رب العالمين، ومحمد رسول الله سيد النبيين، وعلي وصيه سيد الوصيين»(٢)!!.

شبهة حديث تركة النبي ﷺ صدقة:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {لا يقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومئونة عاملي فهو صدقة})(٣).

ثم أخذ يفند هذا الحديث بقوله: (هذا مضمون الحديث الذي انفرد أبو بكر

---

(١) الثاقب في المناقب (ص٧٢).

(٢) الخرائج والجرائح (٢/ ٤٩٦).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٧٧٦)، ومسلم برقم (١٧٦٠).

بروايته عن رسول الله محتجاً به على عدم توريث الزهراء... وقد انفرد الخليفة به ولم يروه على عهده أحد سواه، وربما قيل بأنه قد رواه معه مالك بن أوس الحدثان).

قلت: تصحيحاً لمعلومات هذا المؤلف، فإن هذا الحديث لم ينفرد به أبو بكر، بل رواه كل من عمر وعلي وسعد بن أبي وقاص والعباس وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وأبي هريرة وعائشة وطلحة وحذيفة وابن عباس رضي الله عنهم.

ثم إن هذا الحديث ورد من طرق أهل البيت!!

فقد روى الكليني في «الكافي»(١/ ٣٤)- باب ثواب العالم والمتعلم- عن حماد بن عيسى عن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر}.

شبهة حديث كون أبي طالب مات مشركاً:

قال صاحبنا: (قال أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه: {قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينيك فأنزل الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص:٥٦]})(١).

ثم أخذ يفند هذا الحديث:(أين كان أبو هريرة عن النبي وعمه عليه السلام؟!! وهما يتبادلان الكلام الذي أرسله عنهما كأنه رآهما بعينيه وسمع كلامهما بأذنيه؟....أن هذا الحديث مما ارتجله المبطلون تزلفاً لأعداء آل أبي طالب، وعملت الدولة الأموية في

(١) رواه مسلم برقم (٢٥).

نشره أعمالها، وقد كفانا السلف الصالح!! من أعلامنا مؤنة الاهتمام بتزييفه...).

قلت: إن هذا الطعن مردود؛ فإن موت أبي طالب مشركاً ورفضه بنطق الشهادتين لم يكن من رواية أبي هريرة وحده، فقد رواه غيره من الصحابة كالعباس وأبي سعيد الخدري وجابر رضي الله عنهم.

كما أن هذا الحديث قد رواه الإمامية.

ففي تفسير القمي علي بن إبراهيم في تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[القصص:٥٦]، قال: (نزلت في أبي طالب فإن رسول الله ﷺ كان يقول: يا عم قل: لا إله إلا الله أنفعك بها يوم القيامة، فيقول: يا بن أخي أنا أعلم بنفسي. فلما مات شهد العباس بن عبد المطلب عند رسول الله ﷺ أنه تكلم بها عند الموت، فقال رسول الله ﷺ: أما أنا فلم أسمعها منه وأرجو نفعه يوم القيامة)[1].

وقال فضل الله الراوندي (الشيعي) في كتابه «نوادر الراوندي»(ص١٠): (قال رسول الله ﷺ أهون أهل النار عذاباً عمي أخرجه من أصل الجحيم حتى أبلغ به الضحضاح عليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه).

وقال المجلسي نقلاً عن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: (اختلف الناس في إسلام أبي طالب فقال الإمامية والزيدية: ما مات إلا مسلماً. وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم: الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما، وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامة ومن شيوخنا البصريين وغيرهم: مات على دين قومه، ويرون في ذلك حديثاً مشهوراً: إن رسول الله ﷺ قال عند موته: قل يا عم كلمة أشهد لك بها غداً عند الله تعالى، فقال: لولا أن تقول العرب أن أبا طالب جزع

---

(١) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٧٧).

عند الموت لأقررت بها عينك، وروي إنه قال: أنا على دين الأشياخ! وقيل: إنه قال: أنا على دين عبد المطلب وقيل غير ذلك. وروى كثير من المحدثين أن قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:١١٣-١١٤]، أنزلت في أبي طالب لأن رسول الله ﷺ استغفر له بعد موته.

ورووا أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب.

ورووا أن علياً عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ! بعد موت أبي طالب فقال له: إن عمك الضال قد قضى فما الذي تأمرني فيه؟ واحتجوا به لم ينقل أحد عنه أنه رآه يصلي، والصلاة هي المفرقة بين المسلم والكافر، وأن علياً وجعفراً لم يأخذا من تركته شيئاً.

ورروا عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله قد وعدني بتخفيف عذابه لما صنع في حقي وإنه في ضحضاح من نار. ورووا عنه أيضاً إنه قيل له: لو استغفرت لأبيك وأمك فقال: لو استغفرت لهما لاستغفرت لأبي طالب فإنه صنع إليّ مالم يصنعا، وأن عبد الله وآمنة وأبا طالب في حجرة من حجرات جهنم)(١).

قلت: والأدهى والأمر إنهم لم يفعلوا ذلك في آباء الأنبياء كآزر الذي ذكره القرآن بأنه كافر، بينما عقيدة القوم زعمت بأنه ليس كافر وأن الآية نزلت في عمه!!

شبهة حديث أمة مسخت فأراً:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً قال: {فقدت أمة من بني

---

(١) بحار الأنوار (٣٥/ ١٥٥-١٥٦).

إسرائيل لا تدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفار إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت}[(١)].

ثم علق قائلاً: (هذا من السخافة بمثابة ترباً عنها الأمة الوكعاء إلا أن تكون مدخولة العقل، ولكن الشيخين بمثابة يلبسان هذا المخرّف على غيثة- أي فساد عقله- ويحتجان به على سخافته، ولو أن هذا لا يعود على الإسلام بوصمة لقلدناه حبله، لكنها السنة المعصومة يجب الذود عن حياضها بكل ما أوتي المسلم من قوة... فإن هذه الخرافات من أعظم ما مني به الإسلام من الآفات).

قلت: لنُخرج لهذا المؤلف بعض ما جاء في الباب من طرق علماء مذهبه.

ففي «مدينة معاجز»(٢/ ٤٢ رواية ٣٨٧): (عن زيد الشحّام، عن الأصبغ بن نباته أن أمير المؤمنين عليه السلام جاءه نفر من المنافقين، فقالوا: أنت الذي تقول أن هذا الجريّ: مسخ حرام؟ فقال: نعم، فقالوا: أرنا برهانه، فجاء بهم إلى الفرات، ونادى هناس هناس، فاجابه الجريّ لبيك. فقال له أمير المؤمنين: من أنت؟ فقال: ممّن عرضت ولايتك! عليه فأبى فمسخ!، وإنّ في من معك من يمسخ كما مسخنا!!، ويصير كما صرنا، فقال أمير المؤمنين: بيّن قصّتك ليسمع من حضر فيعلم، فقال: نعم كنّا أربع وعشرين قبيلة!! من بني إسرائيل!!، وكنّا قد تمّردنا وعصينا!، وعرضت علينا ولايتك! فأبينا!!، وفارقنا البلاد واستعملنا الفساد، فجاءنا آتٍ أنت أعلم به والله منّا فصرخ فينا صرخة فجمعنا جمعاً واحداً... ثم صاح صيحة أخرى وقال: كونوا مسوخاً بقدرة الله تعالى، فمسخنا أجناساً مختلفة... وصرنا مسوخاً كما ترى.

وعن الكاظم عليه السلام أنه قال عن المسوخ: بأنها اثنا عشر صنفاً ولها علل، فأما الفيل

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٠٥)، صحيح مسلم برقم (٢٩٩٧).

فإنه مسخ كان ملكاً زناء لوطياً، ومسخ الدب لأنه كان أعرابياً ديوثاً، ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها ولا تغتسل من حيض ولا جنابة، ومسخ الوطواط لأنه كان يسرق تمور الناس، ومسخ سهيل لأنه كان عشاراً باليمن، ومسخت الزهرة لأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت، وأما القردة والخنازير فإنهم قوم من بني إسرائيل اعتدوا في السبت، وأما الجري والضب ففرقة من بني إسرئيل حين نزلت المائدة على عيسى عليه السلام لم يؤمنوا به فتاهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البر، وأما العقرب فانه كان رجلاً نماماً، وأما الزنبور فكان لحاماً يسرق في الميزان).

واختصاراً للروايات سوف أحيلك أيها القارئ إلى تلك العناوين والأبواب، التي بوّبها هاشم البحراني في كتابه (مدينة معاجز) والتي اعتبرها ذلك من معجزات! الأئمة!

ففي (١/ ٣٠٨ رواية ١٩٣) «الرّجل الذي مسخ كلباً بدعائه عليه السلام».

و(١/ ٣١٠ رواية ١٩٤) «رجل مسخ كلباً».

و(١/ ٣١١ رواية ١٩٥) «رجل مسخ رأسه رأس خنزير» و «الرجل الذي صار رأسه رأس خنزير ووجهه وجه خنزير».

و (١/ ٣١٣ رواية ١٩٧) «الرجل الذي صار غراباً بدعائه عليه السلام».

و(١/ ٣١٣ رواية ١٩٧) «الرجل الذي صار غُراباً بدعائه عليه السلام».

وفي (٢/ ٦٦) باب السابع والسبعون ومائتان «مسخ رجل سلحفاة».

و(٢/ ٢٨٨ رواية ٥٥٨) «مسخ الرجل الذي يشتمه عليه السلام كلباً».

و(٢/ ٢٩٧ رواية ٥٦٠) «الرجل الذي قال له عليه السلام: اخسأ فصار رأسه رأس كلب».

وفي(٣/ ٢٦٠ رواية ٨٨٠) «انقلاب الرّجل أنثى وبالعكس وردّهما إلى حالها».

شبهة حديث من أدركه الفجر جنباً فلا يصُم:

قال الطاعن: (أخرج المسلم من طريق عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر قال: سمعت أبا هريرة يقص من قصصه: من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم. قال: فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث لأبيه فأنكر ذلك فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة فسألها عبد الرحمن عن ذلك قال فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان وهو والي المدينة من قبل معاوية فذكر ذلك له عبد الرحمن، فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول قال: فجئنا أبا هريرة فذكر عبد الرحمن له ذلك، فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم. قال: هما أعلم، ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي ﷺ قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول الحديث).

ثم أخذ يصول قائلاً: (لو كان الفضل حياً ما اجترأ عليه).

وقال: (أن رسول الله ﷺ أجل وأفضل وأكمل مما يظنون، وحاشاه أن يصبح جنباً ولاسيما في أيام الصوم، والأنبياء لا يجوز عليهم الاحتلام لأنه من تلاعب الشيطان وهم منزهون عنه).

قلت: العجيب أن صاحبنا ينكر على أبي هريرة رضي الله عنه هذا، ومذهبه يرى إفطار الذي يصبح جنباً، أفليس هذا من العجب العجاب؟

وإليك أقوال أئمه أهل البيت في الباب:

فعن حبيب الخثعمي في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ

يصلّي الليل في شهر رمضان ثم يجنب!! ثم يؤخر الغسل!! متعمداً!! حتى يطلع الفجر»[١].

وفي «التهذيب»(٦/ ١٥): (عن محمد بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الجنب يجلس في المسجد؟ قال: لا، ولكن يمر فيه الاّ المسجد الحرام ومسجد المدينة. قال: وروى أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا ينام في مسجدي أحد ولا يجنب فيه أحد ولا يجنب فيه أحد. وقال: إن الله أوحى إليّ أن اتخذ مسجداً طهورا لا يحل لأحد أن يجنب فيه إلاّ أنا وعلي والحسن والحسين).

وعن محمد بن عيسى قال: حدثني سليمان بن جعفر المروزي عن الفقيه عليه السلام قال: «إذا أجنب الرجل في شهر رمضان بليل ولا يغتسل حتى يصبح فعليه صوم شهرين متتابعين مع الصوم ذلك اليوم ولا يدرك فضل يومه»[٢].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل أجنب في شهر رمضان بالليل ثم ترك الغسل متعمداً حتى أصبح قال: «يعتق رقبة أو يصوم شهرين متتابعين أو يطعم ستين مسكيناً قال: وقال إنه لخليق ألا أراه يدركه أبداً»[٣].

وفي «مسند الرضا»(٢/ ١٩٤ باب من أصبح جنباً): عن أحمد بن محمد عن أبي الحسن عليه السلام قال: «سألته عن رجل أصاب من أهله في شهر رمضان أو أصابته جنابة، ثم ينام حتى يصبح متعمداً قال: يتم ذلك اليوم عليه قضاؤه».

وفي «مرآة العقول»(١٦/ ٢٧٨ ح ١ باب فيمن أجنب بالليل في شهر رمضان): (عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في رجل احتلم أول الليل أو أصاب من

(١) تهذيب الأحكام (٤/ ٢١٤).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢١٢).

(٣) الاستبصار للطوسي (٢/ ٨٧).

أهل ثم نام متعمداً في شهر رمضان حتى أصبح، قال: يتم صومه ذلك ثم يقضيه إذا أفطر من شهر رمضان ويستغفر ربه».

قال المحقق الحلي في «شرائع الإسلام»(١/ ١٩٢): (من أجنب ونام ناوياً للغسل، ثم انتبه ثم نام كذلك، ثم انتبه ونام ثالثه ناوياً حتى طلع الفجر، لزمته الكفّارة على قول مشهور وفيه تردد).

وقال المجلسي في «مرآة العقول»(١٦/ ٢٧٨): (المشهور بين الأصحاب بل ادعى عليه الإجماع أنه يحرم البقاء على الجنابة متعمداً حتى يطلع الفجر ويجب به القضاء والكفّارة. ونسب إلى الصدوق: القول بعدم التحريم. وذهب ابن أبي عقيل والسيد إلى وجوب القضاء خاصة، وكذا المشهور وجوب القضاء لو نام غير ناوٍ للغسل أو كان ناوياً وكان غير معتاد).

فلم تنكر على أبي هريرة رضي الله عنه ما هو أصل مذهبك وعليه الفتيا من أئمتك وعلماء مذهبك المعتبرين.

فأين علم صاحبنا روايات أهل البيت عليهم السلام، فهل لنا القول أنه بهذا الأسلوب التي اتخذه في طعن روايات أبي هريرة رضي الله عنه يعود الطعن على أئمته المعصومين من أهل البيت!!

ومن المعلوم أن حكم الجنابة لا ينافي الصوم بدلالة أن الرجل قد يحتلم نهاراً ويؤخر الغسل ولا يفسد بذلك صومه.

وقد اعترف المرتضى بذلك وسلّمْ، قال في «الانتصار»(ص٦٤) ما نصه: (إنا لا نوجب على المتعمد البقاء على الجنابة إلى الصباح الغسل لا لأجل المنافاة بين الجنابة والصوم، بل لأنه اعتمد لأن يكون جنباً في نهار الصوم).

شبهة حديث لا عدوى ولا صفر ولا هامة:

قال الطاعن: (أخرج البخاري من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً: {لا عدوى ولا صفر ولا هامة. قال: فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله ﷺ: فمن أعدى الأول}[1].

ثم أخذ كعادته يشكك ويدلس في الحديث قائلاً: (أورد البخاري هذا الحديث ثم روى بعده بلا فصل: وعن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة فيما بعد يحدث فيقول: قال النبي ﷺ: {لا يوردن ممرض على مصح، فقال أبو سلمة: يا أبا هريرة ألم تحدث أنه لا عدوى، قال: فأنكر حديثه الأول ورطن بالحبشية قال أبو سلمة: فما رأيته نسي حديثًا غيره}[2].

قلت: هذا شأن من لا تتساير خيلاه وكفى بهذا بلاغاً).

أقول: أن هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة وعن ابن عمر وعن أنس بن مالك رضي الله عنهم، وثبت أيضاً عن عائشة رضي الله عنها عند الطبري وعن سعد بن أبي وقاص، ورواه مسلم عن أبي هريرة وعن السائب بن يزيد وعن جابر وعن أنس وعن ابن عمر رضي الله عنهم، فالحديث لم ينفرد به أبو هريرة، بل وافقه عليه بضعة من الصحابة رضي الله عنهم.

إن هذا الحديث قد أثبته شيخك النوري في مستدركه (٨/ ٢٧٨-٢٧٩): فقد عقد باباً سماه «كراهة الحذر من العدوى وكراهة الصفر للدابة وغيرها» من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٧١٧)، ورواه مسلم برقم (٢٢٢٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٧٧١).

فعن النظر بن قرواش الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سألته عن الجمال يكون بها الجرب أعزلها من إبلي مخافة أن يعديها جربها، والدابة ربما صفرت لها حتى تشرب الماء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أني أصيب الشاة والبقرة بالثمن اليسير وبها جرب، فأكره شراءها مخافة أن يعدي ذلك الجرب إبلي وغنمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أعرابي فمن أعدى الأول؟ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا عدوى ولا طيرة ولا شؤم ولا صفر ولا رضاع بعد فصال)[(١)].

وفي «الفقيه»(٤/ ٢٥٨) عن الصادق عليه السلام قال: «فر من المجذوم فرارك من الأسد».

وقال الجزائري في «الأنوار النعمانية»(٢/ ١٤٥): وروى عنه إنه قال: «لا يورد ممرض على مصح وقال: فر من المجذوم فرارك من الأسد».

حديث توكيل أبي هريرة بحفظ زكاة الفطرة ومجيء الشيطان ليسرق منها:

قال صاحبنا: (أخرج البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال: {وكلني رسول الله صلى الله عليه وآله بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله. قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ فقلت: يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمته فخليت سبيله. قال صلى الله عليه وآله: أما إنه قد كذبك وسيعود. قال: فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود. فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجةً

---

(١) وسائل الشيعة (٨/ ٣٧١).

شديدةً وعيالاً فرحمته! فخليت سبيله! قال ﷺ: أما إنه قد كذبك وسيعود، قال: فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح! فخليت سبيله فلما أصبحت قال لي رسول الله: ما فعل أسيرك البارحة؟ فحكيت له القصة، قال: أتعلم من تخاطب منذ ثلاثة أيام يا أبا هريرة؟ قلت: لا. قال ﷺ: ذاك شيطان}). [أخرجه البخاري في الوكالة].

ثم أخذ ينكر متعجباً من هذا الحديث قائلاً: (هذه خرافة لا يصغي إلا من رك عقله، وطفئت شعلة ذهنه..) -إلى أن قال-: (وما أغرب ما يحدثنا به أبو هريرة عن شياطينه، وكل ما انفرد به أبو هريرة غريب تارة يزعم انهم يسرقون الطعام لعيالهم وأخرى أن لهم ضراطاً إذا سمعوا الأذان... إلى غير ذلك من القصص التي يربأ أولو العقول الوافرة والأذهان النيرة عن سماعها، نعوذ بالله من سبات العقل وضعف التمييز).

قلت: إليك ما جاء في ذلك من طرقكم.

عقد المجلسي في «البحار»(٦٣/ ٢٩٧) في كتاب السماء والعالم باب «ذكر إبليس وقصصه» وأورد هذا الحديث الذي أنكرته أيها الحاقد من طريق أبي هريرة من صحيح البخاري.

كما أورد المجلسي في «البحار»(٦٣/ ٣١٦ -٣١٧ باب ذكر إبليس وقصصه) و(٦٣/ ١١٢- ١١٣ كتاب السماء وباب حقيقة الجن وأحوالهم)، عدة روايات في هذا الباب.

فعن أيوب الأنصاري أنه قال: (كانت لي سهوة فيها تمر فكانت تجيئ الغول كهيئة النور فتأخذ منه، فشكونا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: اذهب فإذا رأيتها فقل: بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ؟ فأخذتها فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إني ذاكرة لك شيئاً: آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟ فأخبره بما قال، قال: صدقك وهو كذوب)(١).

وأما قوله: (وما أغرب ما يحدثنا به أبو هريرة عن شياطينه، وكل ما انفرد به أبو هريرة غريب تارة يزعم أنهم يسرقون الطعام لعيالهم وأخرى أن لهم ضراطاً إذا سمعوا الأذان..).

قلت: هذا الحديث لا إشكال فيه فقد ذكر المجلسي في «بحاره»(٦٣/ ٣١٥) في كتاب السماء والعالم باباً سماه «باب ذكر إبليس وقصصه».

قال المجلسي: (روى مسلم عن سهل بن أبي صالح أنه قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام لنا، أو صاحب لنا، فناداه مناد من حائط باسمه فأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئاً فذكرت ذلك لأبي فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: {إن الشيطان إذا نودي بالصلاة أدبر})(٢).

وفي رواية: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: {إذا تغوّلت لكم الغيلان فنادوا بالأذان فإن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله حصاص أي ضراط}(٣).

---

(١) بحار الأنوار (٦٠/ ٣١٦).

(٢) المصدر السابق (٦٠/ ٣١٥).

(٣) بحار الأنوار (٨١/ ١٤٩).

كما أخرجه أيضاً المحقق الأحسائي في كتابه العوالي (١/ ٤٠٩) قال: روي في الخبر عنه أنه: «إذا أذن المؤذن، أدبر الشيطان وله ضراط».

وأورده النوري في كتابه «المستدرك»(٤/ ٧٣) في أبواب الأذان والإقامة».

حديث امرأة دخلت النار في هرّة:

قال: (أخرج الشيخان بسندهما إلى أَبِي هريرة مرفوعاً: قال: {دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً}).

ثم أخذ يصول ويجول قائلاً: (وهذا من رواياته الخيالية يرمي فيه إلى سوء عواقب الظلم والعدوان).

قلت: إن هذا الحديث رواه غير أبي هريرة من الصحابة كابن عمر رضي الله عنهم.

ثم أن هذا الحديث رواه أئمة أهل البيت رضي الله عنهم.

فعن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن امرأة عذبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشاً»(١).

ونقل المجلسي عن نوادر الراوندي عن موسى بن جعفر عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {رأيت في النار صاحب العباء التي قد غلها، ورأيت في النار صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج بمحجنه، ورأيت في النار صاحبة الهرة تنهشها مقبلة ومدبرة كانت أوثقتها لم تكن تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشائش الأرض}(٢).

---

(١) المصدر السابق (٦١/ ٢٦٧).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٣١٧).

فهل رواية موسى بن جعفر من رواياته الخيالية يرمي فيه إلى سوء عواقب الظلم والعدوان؟!!

حديث غفرت لامرأة سقت لكلب:

قال: (أخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال: {غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال: كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك}(١).

واستنكاره حديث «سقى رجل الماء لكلب فغفر له»:

قال: (وأخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال: {بينما رجل يمشي في طريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش! قال: فنزل الرجل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له بذلك} (٢).

ثم أخذ يصول ويجول قائلاً: (وقد تعلم أن هذا الحديث والذي قبله إنما هما من مخيلة أبي هريرة يمثل بهما حسن عواقب العطف والحنان ويحظ بهما على البر والإحسان).

أقول: لِنُخرج لهذا المؤلف وأمثاله بعض الروايات التي وردت من طريق أهل البيت رضي الله عنهم الموافقة لروايات أبي هريرة رضي الله عنه.

فعن موسى بن إسماعيل بن موسى عن أبيه عن جدّه موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {رأيت في النار صاحب العباء التي قد غلّها...

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٢١).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٣٦٣)، ومسلم برقم (٢٢٤٤).

ورأيت في النار صاحبة الهرة تنهشها مقبلة ومدبرة، وكانت أوثقتها لم تكن تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشائش الأرض ودخلت الجنة فرأيت صاحب الكلب الذي أرواه من الماء}[1].

فهل هذا الحديث من مخيلة إمامك المعصوم ويمثل به حسن عواقب العطف والحنان ويحظ بهما على البر والإحسان؟!!.

كما نقل نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية (٤/ ٦٦) قال: (من الأخبار المروّحة للبال ما روي من أنه كان رجل في بني إسرائيل منهمكاً في المعاصي فأتى في بعض أسفاره على بئر، فإذا كلب قد لهث من العطش فرقّ له فأخذ عمامته وشدّ بخفّه واستقى الماء وأروى الكلب، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن قد شكرت له سعيه وغفرت له ذنبه لشفقته على خلق من خلقي، فسمع ذلك فتاب من المعاصي وصار ذلك سبباً لتوبته وخلاصه من العقاب).

فهل هذا الحديث أيضاً من مخيلة إمامك المعصوم ويمثل به حسن عواقب العطف والحنان ويحظ بهما على البر والإحسان؟!.

شبهة أنه يروي عن النبي ﷺ أحاديث موضوعة:

يقول أحدهم: (ولعل نصف الدين الثاني خصّوا به أبا هريرة الذي روى لهم ما يشتهون فقرّبوه وولّوه إمارة المدينة وبنوا له قصر العقيق بعدما كان معدماً، ولقّبوه براوية الإسلام. وبذلك سهل على بني أميّة أن يكون لهم دين كامل جديد ليس فيه من كتاب الله وسنّة رسوله إلا ما تهواه أنفسهم).

ويقول: (... كذلك يروي فضائل أبي بكر كل من عمرو بن العاص وأبو هريرة).

---

(١) بحار الأنوار (٦٢/ ٦٥).

ويقول أيضاً: (ثم قرأت كتاب أبي هريرة لشرف الدين، وشيخ المضيرة «للشيخ!» محمود أبو رية وعرفت بأن الصحابة الذين غيروا بعد رسول الله قسمان: قسم غير الأحكام بما له من السلطة والقوة الحاكمة، وقسم غير الأحكام بوضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ).

أقول رداً على كذبه:

١ - أما قوله أن أبا هريرة روى لبني أمية ما يشتهون فقربوه وولوه إمارة المدينة وبنو له قصر العقيق بعدما كان معدماً ولقبوه براوية الإسلام فكذب صريح لهذه الأسباب:

أ- لم يكن أبو هريرة مع أحد الجانبين في الفتنة بل كان من المعتزلين عنها ولم يقاتل مع أحد، وروى في الاعتزال أحاديث عن النبي ﷺ مثل حديث النبي ﷺ: {ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، ومن تشرّف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به}(١)، وكان هذا أيضاً رأي كبار الصحابة.

ب- لم يكن أبو هريرة معدماً ولم تكن ولايته على المدينة بالأولى، ولكن ماذا نقول عن جاهل يعبث في التاريخ؟! فقد ولاهُ عمر في خلافته على البحرين وكان يملك المال فعن محمد بن سيرين (أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف. فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدوّ الله وعدوَّ كتابه؟ فقال أبو هريرة: فقلت: لست بعدو الله وعدو كتابه، ولكني عدوّ من عاداهما. قال: فمن أين هي لك؟ قلت: خيلٌ نُتجتْ، وغلّةُ رقيق لي وأُعطيةٌ تتابعت. فنظروا، فوجده كما قال، فلما كان بعد ذلك، دعاه عمر ليوليه، فأبى. فقال: تكرهُ العمل وقد طلب العمل من كان خيراً منك: يوسف عليه السلام، فقال: يوسف نبي ابن نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة بن أميمة.

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٠٢)، ومسلم برقم (٢٢٨٦).

وأخشى ثلاثاً واثنتين، قال: فهلا قلت: خمساً؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم، وأن يُضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي)(١).

ت- سبب تولية الأمويين لأبي هريرة المدينة أنه كان من كبار الصحابة المتبقين في المدينة وغيرها ومن أعلامها الظاهرين خصوصاً إذا عرفنا أنه كان يقدَّم في الصلاة في أيام عليّ ومعاوية ولو جاء غير الأمويين لكان من المؤكد أن يولوه المدينة، فكان المرشّح لذلك، وكيف لا وقد رشحه من هو خير منهم وهو عمر.

ث- يحاول هذا الآبق أن يظهر أبا هريرة بمظهر الحريص على الدنيا وشهواتها، وفي صورة المداهن للأمراء الذي يكذب في سبيل الحصول على مصالحه الغريزية، فتباً له! فهل يقال عن أبي هريرة ذلك، وهو الذي يروي عن النبي ﷺ قوله: {ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، أحدهم رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط}(٢)! وكيف يطلب وهو الذي يروي عن النبي ﷺ قوله: {لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه}(٣)، ولا شك أن الذي هذه حاله لو رأى من الحاكم شيئاً منكراً أن يسكت عليه، هذا إن لم يحسّن منكره، فهل كان أبو هريرة كذلك؟ أخرج مسلم في صحيحه عن أبي زرعة قال: {دخلت مع أبي هريرة في دار مروان، فرأى فيها تصاوير فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي؟ فليخلقوا ذرّة أو ليخلقوا حبّة او ليخلقوا شعيرة}(٤).

---

(١) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٧٠)، البداية والنهاية (٨/ ١١٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٢).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٥٩٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٠٧٤)، ومسلم برقم (١٠٤٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢١١).

وأخرج الحاكم في مستدركه عن أبي مريم مولى أبي هريرة قال: «مر أبو هريرة بمروان وهو يبني داره التي وسط المدينة قال: فجلست إليه والعمال يعملون، قال: ابنوا شديداً وآملوا بعيداً وموتوا قريباً، فقال مروان: إن أبا هريرة يحدث العمال فماذا تقول لهم يا أبا هريرة؟ قال: قلت: ابنوا شديداً وآملوا بعيداً وموتوا قريباً. يا معشر قريش، ثلاث مرات اذكروا كيف كنتم أمس وكيف أصبحتم اليوم، تخدمون أرقاءكم فارس والروم، كلوا الخبز السميد واللحم السمين، لا يأكل بعضكم بعضاً، ولا تكادموا تكادم البراذين، كونوا اليوم صغاراً تكونوا غداً كباراً، والله لا يرتفع منكم رجل درجة إلا وضعه الله يوم القيامة»(١).

فانظر أخي القارئ للحق الواضح ولا تلتفت إلى صاحب الكذب الفاضح والهوى القادح.

٢- أما ادعاء صاحبنا بأن أبا هريرة يروي ما يشتهي الناس، ويروي في فضائل الصحابة خصوصاً أبو بكر أحاديث موضوعة، وازداد صاحبنا تيقناً من ذلك، عندما قرأ كتاب أبي هريرة لشرف الدين ومحمود أبو رية، فأقول داحضاً حجته المتهافتة ب:

أ- لقد اتفق الصحابة على فضل أبي هريرة وثقته وحفظه، وأنه من أكثرهم علماً بأحاديث النبي ﷺ فعن ابن عمر أنه قال لأبي هريرة: «يا أبا هريرة، أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه»(٢).

وقيل لابن عمر: «هل تنكر مما يحدث به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنه اجترأ وجبنًا»(٣).

---

(١) مستدرك الحاكم (٤/ ٥١٠) (٧٤٣١).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٨٣٦).

(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٨٣) (٦١٦٥).

وعن أشعث بن سليم عن أبيه قال: «أتيت المدينة، فإذا أبو أيوب يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فقلت: وأنت صاحب رسول الله، قال: إنه قد سمع وأن أحدث عنه، عن رسول الله ﷺ، أحبُّ إليّ من أن أُحدّث عن النبي ﷺ»[١].

وعن معاوية بن أبي عياش الأنصاري (أنه كان جالساً مع ابن الزبير، فجاء محمد بن إياس بن البكير، فسأل عن رجل طلّق ثلاثاً قبل الدخول. فبعثه إلى أبي هريرة وابن عباس وكانا عند عائشة فذْهب، فسألهما، فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة. فقال: الواحدة تُبينها، والثلاث تُحرِّمها، وقال ابن عباس مثله)[٢].

فهل يُتَّهَمَ بالكذب من يوثّقه ابن عباس صاحب عليّ ويتأدب معه ويقول له: أفتِ يا أبا هريرة؟!

ب- والسبب في كثرة روايته عن الرسول ﷺ أنه كان مرافقاً له في حلّه وترحاله، ولم يشغله عنه عمل ولا زوجة، إذ لم يكن يعمل ولم يتزوج، فكان يحرص على مرافقة النبي ﷺ إلى أي مكان يذهب إليه سواءٌ إلى حج أو جهاد، فعن أبي أنس مالك بن أبي عامر قال: (جاء رجل إلى طلحة بن عبيد الله، فقال: يا أبا محمد، أرأيت هذا اليماني يعني أبا هريرة أهو أعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم؟ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، أم هو يقول على رسول الله ما لم يقل؟ قال: أمّا أن يكون سمع ما لم نسمع، فلا أشُكُّ، سأحدثك عن ذلك: إنا كنا أهل بيوتات وغنم وعمل، كنّا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار وكان مسكيناً، ضيْفاً على باب رسول الله، يدُه مع يدِه، فلا

---

(١) تقدم.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٧).

نشك أنه سمع ما لم نسمع، ولا تجد أحداً فيه خيرٌ يقول على رسول الله ما لم يقل)[١].

ت- إضافة إلى كثرة مرافقته للنبي ﷺ التي جعلته أكثر الصحابة رواية للحديث فقد كان يمتاز بقوة حفظه وإتقانه وذلك بفضل تعليم النبي ﷺ له، فقد روى البخاري عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: {إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدِّثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفْقٌ بالأسواق، وكنت ألزمُ رسول الله ﷺ على ملءِ بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكُنتُ امرأً مسكيناً من مساكين الصفُّة، أعي حين ينسون وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدِّثُه: إنه لن يبسطَ أحدٌ حتى أقْضي مقالتي هذه ثم يجمعَ إليه ثوبه إلا وعى ما أقول. فبسطْتُ نمِرةً عليّ حتى إذا قضى رسول الله مقالته جمعتُها إلى صدري، فما نسيتُ من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء}[٢].

ث- لا بد لي من أن أسوق رأي أحد الأئمة الاثني عشر في أبي هريرة ومدى ثقته عنده وهو الإمام الرابع زين العابدين علي بن الحسين فقد أورد شيخهم أبو الحسن الأربلي من كبار علماء الاثني عشرية في كتابه (كشف الغمة) عن سعيد بن مرجانة أنه قال: (كنت يوماً عند علي بن الحسين فقلت: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله تعالى بكل إرب منها إرباً منه من النار، حتى أنه ليعتق باليد اليد، والرجلِ الرجل وبالفرج الفرج، فقال علي عليه السلام: أنت سمعت هذا

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٠٤٧).

من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم، فقال لغلام له: أفره غلمانه وكان عبد الله بن جعفر قد أعطاه بهذا الغلام ألف دينار فلم يبعه أنت حر لوجه الله)(١)!

هل رأيت أخي القارئ مدى صدق وأمانة أبي هريرة في نظر الإمام علي بن الحسين بحيث بادر إلى تنفيذ ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ دون أي تردد! لذلك ليس بالمستغرب أن يوثّقه أحد كبار علماء الإمامية في الرجال، ويضعه من جملة الرجال الممدوحين فيقول ابن داود الحلي: (عبد الله أبو هريرة معروف، من أصحاب رسول الله ﷺ)(٢).

وهذا أيضاً ابن بابويه القمي يستشهد به في كتابه (الخصال) في أكثر من موضع ولا يتعرض له محقق الكتاب علي أكبر غفاري بالقدح مع تعليقه على الكثير من الرجال في الكتاب، إضافة إلى أن الذي يروي عن أبي هريرة الكثير من الأحاديث هو زوج ابنته سعيد بن المسيب، أشهر تلاميذه، والذي روى عن أبي هريرة حديث تعليم النبي ﷺ له حفظ الأحاديث، يقول عنه الكشي من كبار أئمتهم في الرجال: (... سعيد بن المسيب رباه أمير المؤمنين عليه السلام)(٣).

وروى أن أبا جعفر قال: (سمعت علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفهمهم في زمانه)(٤).

فأقول لهذا الطاعن: إذا كان علي رباه (أفلم يسمع رأيه بأبي هريرة وهو في حجره يربيه؟ وكيف يأذن له بأن يتزوج بابنة أكذب الناس وهو ولي أمره وحاضنه؟).

---

(١) كشف الغمة (٢/ ٢٤١).

(٢) رجال ابن داود الحلي (ص١١٦).

(٣) رجال الكشي (ص١٠٧).

(٤) اختيار معرفة الرجال للطوسي (١/ ٣٣٥).

وكيف يوثق علمه زين العابدين وهو من أخص تلاميذ أكذب الناس ووارثه؟!

٣- أما قوله: (كذلك يروي فضائل أبي بكر، كل من عمرو بن العاص وأبو هريرة وعروة وعكرمة، وهؤلاء كلهم يكشفهم التاريخ بأنهم كانوا متحاملين على الإمام علي وحاربوه إما بالسلاح أو بالدس واختلاق الفضائل لأعدائه وخصومه..).

فأقول:

أ- أما بالنسبة لعمرو بن العاص وقتاله لعليّ فهذا صحيح، ولكنه قاتله عندما بدأهم عليّ وجنده، ولم تكن مشاركته بسبب عداوته لعلي كلا، وإنما لاعتقاده أنه يقاتل دفاعاً عن الحق وإبطالاً لباطل، وقد ذكرت الأسباب التي دعته ومعاوية وأصحابهما لقتال عليّ في مبحث معاوية بما يغني عن الإعادة هنا، أما أنه كان يختلق الفضائل لأعدائه فهذا غير صحيح فهو أحد رواة حديث {عمار تقتله الفئة الباغية}(١)! بل روى أيضاً أن النبي ﷺ قال: {إن قاتله وسالبه في النار} وعندما اعتُرِضَ عليه بأنه يقاتله فقيل لعمرو: فإنك هو ذا تُقاتله؟ قال: إنما قال: قاتله وسالبه)(٢).

ب- أما بالنسبة لأبي هريرة فإنه كان معتزلاً للفتنة بين علي ومعاوية، فليس هو في هذه الناحية متحاملاً، ولكن التحامل يظهر بالدس واختلاق الفضائل لأعدائه من مثل ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال يوم خيبر: {لأعطينّ هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه... فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياه}(٣).

وليس هذا فقط فقد روى أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: {من أحبهما فقد أحبني،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد برقم (١٧٨١١).

(٣) سبق تخريجه.

ومن أبغضهما فقد أبغضني يعني الحسن والحسين}[1]؟

وروى أيضاً أن النبي ﷺ قال: {اللهم إني أحبهما فأحبهما}[2].

ت- أما بالنسبة لعروة فلست أدري من يقصده هذا الطاعن، ولعل أقرب احتمال إلى أنه عروة بن الزبير لأنه لم يعرف رجل باسم عروة أشهر منه، خصوصاً وأنه روى عن عائشة وابن عمر أحاديث في فضائل أبي بكر، ولم يشارك عروة في الفتنة بين علي ومعاوية، إذ كان صغيراً لم يتجاوز العشر سنين لذلك يقول أحمد بن عبد الله العجلي: (عروة بن الزبير تابعي ثقة، رجل صالح، لم يدخل في شيء من الفتن)[3].

ث- أما قوله: (وعكرمة) فلا شك أنه يقصد عكرمة بن أبي جهل فلا يوجد أحد اسمه عكرمة غيره، وقد استشهد رضي الله عنه سنة (١٣هـ) واختلفوا في المعركة التي استشهد فيها فقيل: قتل في اليرموك، وقيل: يوم أجنادين؛ لأنهما وقعتا في نفس العام. وعلى ذلك فعكرمة توفي قبل دخول الفتن إلى الأمة بسنوات طويلة، فلست أدري ما دخله فيما نحن فيه، ويبدو أن هذا الطاعن يتمتع بمعلومات جديدة عن التاريخ الإسلامي ورجاله!

ج- أما قوله: (ولكن الله يقول: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق:١٥-١٧]

أقول:

الغريب أن صاحبنا يشن حملة ضارية ضد أبي هريرة متهماً إياه في أكثر من موضع في كتابه بأنه يروي الأحاديث المكذوبة والموضوعة ثم يحتج بما يرويه! فيستدل بحديث

---

(١) رواه ابن ماجه برقم (١٤٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٤٧).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ١٥-١٦).

الحوض الذي يطعن به على الصحابة، ولم يدر أن راويه هو أبو هريرة! ثـم يـستدل عـلى أفضلية عـلي بحـديث الرايـة يـوم خيبر مع أن راوي الحـديث هـو أبـو هريـرة، ويحتج بحديث الرجل الذي بال في المسجد وقد رواه أبو هريرة أيضاً[1]! ثم يـدعي بعـد ذلـك أن أبا هريرة يختلق الفضائل لأعداء علي؟

شبهة حديث خلق الله آدم على صورته:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان البخاري ومسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسـول الله ﷺ قـال: {خلـق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا}، وزاد أحمد من طريـق سـعيد بـن المـسيب عـن أبي هريرة مرفوعاً: {في سبعة أذرع عرضـاً}[2]. قـال: فلـما خلقـه قـال: اذهـب فـسلم عـلى أولئك النفر من الملائكة جلوسٌ فاستمع ما يحيونـك فإنهـا تحيتـك وتحيـة ذريتـك قـال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فـزادوه ورحمـة الله، فكـل مـن يـدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن}[3].

وأخذ المؤلف يـصول ويجـول ويـشكك في هـذا الحـديث النبـوي الـشريف قـائلاً: (وهذا مما لا يجوز على رسول الله ﷺ ولا عـلى غـيره مـن الأنبيـاء ولا عـلى أوصـيائهم عليهم السلام. ولعل أبا هريرة إنما أخذه عن اليهـود بواسـطة صـديقه كعـب الأحبـار أو غـيره، فإن مضمون هذا الحديث إنما هو عين الفقرة السابعة والعشرين مـن الإصـحاح الأول من إصحاحات التكوين من كتاب اليهود - العهد القديم - وإليك نـصها بعـين لفظـه قال: فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم.

تقدس الله عـن الـصورة والكيفيـة والـشبيه، وتعـالى الله عـما يقـول الظـالمون علـواً

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٦١٢٨).

(٢) مسند أحمد برقم (١٠٩٢٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣٢٦)، صحيح مسلم برقم (٢٨٣٤).

كبيراً... ومرة رواه بلفظ: {إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته}[(١)].

قلت: إن هذا الحديث رواه قومك بطرقهم الخاصة.

لقد أثبت صحة هذا الحديث الخميني في كتابه «زبدة الأربعين حديثاً»(ص٢٦٤) الحديث الثامن والثلاثون بعنوان «أن الله خلق آدم على صورته» والذي أورد من طريق أهل البيت حجج الله على خلقه حسب اعتقادهم، وإليك نص الحديث:

فعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروون أن الله عز وجل خلق آدم على صورته فقال: هي صورة محدثة مخلوقة، اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه فقال تعالى: ﴿بَيْتِيَ﴾ وقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، ثم قال الخميني: (وهذا الحديث من الأحاديث المشهورة بين السنة والشيعة، ويستشهد به دائماً، وقد أيّد الإمام الباقر عليه السلام صدروه وتولّى بيان المقصود منه).

وقد علق شيخهم محمد الكراجكي في كنز الفوائد تحت عنوان «تأويل الخبر» ما نصه: (إن سأل سائل فقال: ما معنى الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن الله تعالى خلق آدم على صورته، أو ليس ظاهر هذا الخبر يقتضي التشبيه له تعالى بخلقه، فإن لم يكن على ظاهره، فما تأويله؟ الجواب: قلنا: أحد الأجوبة عن هذا أن تكون الهاء عائدة إلى الله تعالى، والمعنى أنه خلق على الصورة التي اختارها، وقد يضاف الشيء إلى مختاره. ومنها أن تكون الهاء عائدة إلى آدم، ويكون المراد أن الله تعالى خلقه على صورته التي شوهد عليها، لم ينتقل إليها عن غيرها كتنقل أولاده الذي يكون أحدهم نطفة ثم

(١) رواه مسلم برقم (٢٦١٢).

علقة ثم مضغة، ويخلق خلقاً من بعد خلق، ويولد طفلاً صغيراً ثم يصير غلاماً ثم شاباً كهلاً، ولم يكن آدم عليه السلام كذلك، بل خلق على صورته التي مات عليها.

ومنها ما رواه الزهري عن الحسن قال: مرّ النبي برجل من الأنصار وهو يضرب وجه الغلام له ويقول: قبح الله وجهك ووجه من تشبهه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: بئسما قلت، إن الله خلق آدم على صورته، يعني صورة المضروب. وهذه أجوبة صحيحة والحمد لله)[1].

وقال المحقق السيد هاشم الحسيني معلق كتاب التوحيد عند شرحه لهذا الحديث ما نصه: (هذا الكلام وجوه محتملة: فإن الضمير إما يرجع إلى الله تعالى، فالمعنى ما ذكره الإمام عليه السلام هنا على أن يكون الإضافة تشريفية كما في نظائرها، أو المعنى أنه تعالى خلق آدم على صفته في مرتبة الإمكان وجملة قابلاً للتخلق بأخلاقه ومكرماً بالخلافة الإلهية، وإما يرجع إلى آدم عليه السلام فالمعنى أنه تعالى خلق جوهر ذات آدم على صورته من دون دخل الملك المصور للأجنة في الأرحام كما لا دخل لغيره في تجهيز ذاته وذات غيره، أو المعنى أنه تعالى خلق آدم على صورته هذه من ابتداء أمره ولم يكن لجوهر جسمه انتقال من صورة إلى صورة كالصورة المنوية إلى العلقة إلى غيرهما، أو المعنى أنه تعالى خلق آدم على صورته التي قبض عليها ولم يتغير وجهه وجسمه من بدئه إلى آخر عمره، وإما يرجع إلى رجل يسبه رجل آخر كما فسر به في الحديث العاشر والحادي عشر من الباب الثاني عشر فراجع)[2].

وأخرج الصدوق بإسناده عن أبي الورد بن ثمامة عن علي عليه السلام قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يقول لرجل: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال: مه، لا تقل هذا،

---

(١) كنز الفوائد (ص٢٧٤).

(٢) حاشية كتاب التوحيد للصدوق (ص١٠٣).

فإن الله خلق آدم على صورته.

قال الصدوق في شرح الحديث ما نصه: (تركت المشبهة من هذا الحديث أوّله وقالوا: إن الله خلق آدم على صورته، فضلوا في معناه وأضلوا)[١].

وأخرج الصدوق بإسناده عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله! إن الناس يروون أن رسول الله قال: «إن الله خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله، لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله مرّ برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته»[٢].

وأما قوله تحت عنوان: تنبيهان: (أنه إذا كان طول آدم ستين ذراعاً يجب مع تناسب أعضائه أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعاً وسبع الذراع، وإذا كان عرضه سبعة أذرع يجب أن يكون طوله أربعة وعشرين ذراعاً ونصف الذراع لأن عرض الإنسان مع استواء خلقه بقدر سبعي طوله فما بال أبي هريرة يقول طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً؟ فهل كان آدم غير متناسب في خلقته مشوهاً في تركيبه؟ كلا!

بل قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤].

قلت: إن هذا الحديث قد رواه الكليني ففي روضة الكافي (ص ١٩٥ ح ٣٠٨) بإسناده عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن مقاتل بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: كم كان طول آدم عليه السلام حين هبط به إلى الأرض وكم

(١) التوحيد للصدوق (ص١٥٢).

(٢) عيون أخبار الرضا (٢/ ١١٠).

كان طول حواء؟ قال: (وجدنا في كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام إن الله عز وجل لما أهبط آدم وزوجته حواء عليهما السلام إلى الأرض كانت رجلاه بثنية الصفا ورأسه دون أفق وإنه شكا إلى الله ما يصيبه من حر الشمس فأوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام إن آدم قد شكا ما يصيبه من حر الشمس فأغمزه وصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه، وأغمز حواء غمزة فيصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها).

إن علماءك عدّوا هذا الحديث من مشكلات الأخبار!!.

قال نعمة الله الجزائري في قصص الأنبياء (ص٣٥) ما نصه: (أقول: هذا الحديث عده المتأخرون من مشكلات الأخبار من وجهين...).

ثم بين الجزائري هذين الوجهين، فراجعهما.

كما أن السيد عبد الله شبر قد شرح هذا الحديث الشريف في كتابه «مصابيح الأنوار (١/ ٤٠٥) في حل مشكلات الأخبار» من عشرة وجوه، فراجعها إن شئت.

كما أن المجلسي في مرآته (٢٦/ ١٧١- ١٧٧) شرح هذا الحديث من عدة وجوه، قال: اعلم إن هذا الخبر من المعضلات التي حيرت أفهام الناظرين والعويصات التي رجعت عنها بالخيبة أحلام الكاملين والقاصرين).

شبهة حديث رؤية الله يوم القيامة:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان الإسناد إلى أبي هريرة قال: قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا:لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك. يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع

من كان يعبد الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله: فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ. اللهم سلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له: ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ويبقى رجل منهم مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعو الله فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره. فيصرف وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره، ويلك ابن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعو فيقول: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: رب أدخلني الجنة ثم يقول: أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك «الله»!؟ فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها قيل له: تمن من كذا فيتمنى ثم يقال له: تمن من كذا

فيتمنى حتى تنقطع به الأماني فيقول له: هذا لك ومثله معه}[(١)].

ثم أخذ المؤلف يصول ويجول مفنداً هذا الحديث النبوي الشريف قائلاً: (وهذا حديث مهول ألفت إليه أرباب العقول فهل يجوز عندهم أن تكون لله صورة مختلفة ينكرون بعضها ويعرفون البعض الآخر؟ وهل يرون أن لله ساقاً تكون آية له وعلامة عليه؟ وبأي شيء كانت ساقه علامة دون غيرها من الأعضاء؟ وهل تجوز عليه الحركة والانتقال فيأتيهم أولاً وثانياً وهل يجوز عليه الضحك؟ وأي وزن لهذا الكلام)؟

قلت: روى الكليني عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار؟ فقال:يا أبا هاشم أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون»[(٢)].

وروى الكليني والصدوق بإسنادهما عن يعقوب بن اسحاق قال: كتبت إلى أبي محمد أسأله: كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام: «يا أبا يوسف جلّ سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يرى، قال: وسألته: هل رأى رسول الله ربه؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ»[(٣)].

وروى الكليني والصدوق عن عبد الله بن سنان، عن أبيه قال: «حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس، موصوف

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٧٤)، ومسلم برقم (١٨٢).

(٢) الكافي (١/ ٩٩).

(٣) الكافي (١/ ٩٥)، التوحيد للصدوق (ص١٠٨).

بالآيات، معروف بالعلامات لا يجوز في حكمه ذلك الله، لا إله إلا هو، قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته»(١).

وروى الكليني والصدوق عن أبي الحسن الموصلي، عن أبي عبد الله قال: «جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان»(٢).

وروى الصدوق في «التوحيد»(ص ١١٢ ح ١١) عن أبي هاشم الجعفر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «سالته عن الله عز وجل هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟! قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:١٠٣] قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: وما هي؟ قلت: أبصار العيون فقال: إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام.

جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة من طريق آل البيت:

وإليك بعض هذه الأحاديث باختصار.

فقد جاء في «لئالى الأخبار»(٤/ ٤١٠-٤١١) لعمدة العلماء والمحققين محمد التوسيركاني في «باب في أن أهل الجنة يسمعون صوته» هذا الحديث - وهو حديث طويل - ونصه: (في أن أهل الجنة يسمعون صوته تعالى ويخاطبهم وينظرون إليه وهما ألذ الأشياء عندهم قال عليه السلام في حديث يذكر فيه اشتغال المؤمنين بنعم الجنة: (فبينما

(١) الكافي (١/ ٩٨)، التوحيد للصدوق (ص١٠٩).

(٢) الكافي (١/ ٩٨)، التوحيد للصدوق (ص١٠٩).

هم كذلك إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش: يا أهل الجنة كيف ترون منقلبكم؟ فيقولون: خير المنقلب منقلبنا وخير الثواب ثوابنا، قد سمعنا الصوت واشتهينا النظر وهو أعظم ثوابنا وقد وعدته ولا تخلف الميعاد، فيأمر الله الحجاب فيقوم سبعون ألف حاجب فيركبون على النوق والبرازين وعليهم الحلى والحلل فيسبرون في ظل العرش حتى ينتهوا إلى دار السلام وهي دار الله دار البهاء والنور والسرور والكرامة فيسمعون الصوت فيقولون: يا سيدنا سمعنا لذاذة منطقك وأرنا وجهك فيتجلى لهم ﷻ، حتى ينظرون إلى وجهه تبارك وتعالى المكنون من كل عين ناظر فلا يتمالكون حتى يخروا على وجوههم سجدا فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا عظيم، قال: فيقول: يا عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا بدار عمل... فإذا رفعوا رفعوها وقد أشرقت وجوههم من نور وجهه سبعين ضعفاً ثم يقول: يا ملائكتي أطعموهم واسقوهم..يا ملائكتي طيبوهم فيأتيهم ريح من تحت العرش يمسك أشد بياضاً من الثلج ويعبر وجوههم وجباههم وجنوبهم تسمى المثيرة، فيستمكنون من النظر إلى وجهه فيقولون: يا سيدنا! حسبنا لذاذة منطقك والنظر إلى وجهك لا نريد به بدلاً ولا نبتغي به حولاً، فيقول الرب: إني أعلم أنكم إلى أزواجكم مشتاقون وإن أزواجكم إليكم مشتاقات، ارجعوا إلى أزواجكم قال: فيقولون: يا سيدنا اجعل لنا شرطاً، قال: فإن لكم كل جمعة زورة ما بين الجمعة سبعة آلاف سنة مما تعدّون. قال: فينصرفون فيعطى كل رجل منهم رمانة خضر في كل رمانة سبعون حلة.... حتى يبشروا أزواجهم وهن قيام على أبواب الجنان، قال: فلما دنا منها نظرت إلى وجهه فأنكرته من غير سوء، وقالت: حبيبي لقد خرجت من عندي وما أنت هكذا قال: فيقول: حبيبتي تلومني أن أكون هكذا وقد نظرت إلى وجه ربي تبارك وتعالى فأشرق وجهي من نور وجهه، ثم يعرض عنها فينظر إليها نظرة فيقول: حبيبتي لقد خرجت من عندك وما كنت هكذا، فتقول:

حبيبي تلومني أن أكون هكذا، وقد نظرت إلى وجه الناظر إلى وجهه ربي فأشرق وجهي من وجه الناظر إلى وجه ربي سبعين ضعفاً، فتعانقه من باب الخيمة والرب يضحك إليهم).

وفي «البحار»(٨/ ١٢٦ح ٢٧ باب الجنة ونعيمها) عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من عمل حسن يعمله العبد إلا وله ثواب في القرآن إلا صلاة الليل، فإن الله لم يبين ثوابها لعظيم خطرها عنده فقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[السجدة:١٦] إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ثم قال: إن لله كرامة في عباده المؤمنين في كل يوم جمعة، فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلة فينتهي إلى باب الجنة فيقول: استأذنوا لي على فلان فيقال له: هذا رسول ربك على الباب، فيقول: لأزواجه أي شيء ترين عليّ أحسن؟ فيقلن: يا سيدنا والذي أباحك الجنة ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا بعث إليك ربك، فيتزر بواحدة ويتعطف بالأخرى فلا يمرّ بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى الموعد، فإذا اجتمعوا تجلى لهم الرب تبارك وتعالى، فإذا نظروا إليه خرّوا سجداً فيقول: عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا يوم عبادة قد رفعت عنكم المؤونة، فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل مما أعطيتنا، أعطيتنا الجنة، فيقول: لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضعفاً، فيرجع المؤمن في كل جمعة بسبعين ضعفاً مثل ما في يديه وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[ق:٣٥] وهو يوم الجمعة)».

قال الإمام السجاد رحمه الله ما نصه: «وأقدر أعيينا يوم لقائك برؤيتك».

بل لا يحتاج تخصيص المؤمنين في الآخرة ببصر غير أبصارهم في الدنيا، كما يدعي المؤلف، لأن إمامه المعصوم يقول أنهم رأوه قبل يوم القيامة، حين قال الله لهم: ﴿أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فقد أخرج الصدوق في «التوحيد»(ص١١٧ح٢٠) بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت: له جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال: لا، فإنك إذا حدثت به أنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدر أن ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون».

وجاء إثبات الرؤية من كلام الإمام السجاد رحمه الله الذي أعرض «المؤلف الأمين» عن ذكره هنا واقتصر على بعض الأذكار بقوله: (وإليك ما يحضرني من نصوصها في الموضوع)، فحاول طمسها في مهدها، ولو كانت هذه النصوص في صالحه لما طمسها ومرّ عليها هكذا مرور الكرام، وهكذا يفعلون، ولكن شاء الله أن يفضح أمره، وإليك هذه الأدعية.

قال في دعاء المتوسلين: (وأقررت أعينهم بالنظر إليك يوم لقائك). وقال في دعاء آخر وهو دعاء المحبين: (ولا تصرف عني وجهك). وفي دعاء آخر وهو: (وشوقته إلى لقائك ورضيته بقضائك ومنحته بالنظر إلى وجهك). وفي دعاء آخر وهو مناجاة الزاهدين: (ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك). وفي دعاء آخر وهو مناجاة المفتقرين: (واقدر أعيننا يوم لقائك برؤيتك). وفي دعاء آخر وهو في استكشاف الهموم: (رغبتي شوقاً إلى لقائك.).

حديث لا تملأ النار حتى يضع الله رجله فيها:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: {تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض}[1]. الحديث).

ثم أخذ هذا المؤلف يصول ويجول مفنداً هذا الحديث النبوي الشريف قائلاً: (إن هذا الحديث محال ممتنع بحكم العقل والشرع، وهل يؤمن مسلم ينزه الله تعالى بأن لله رجلاً؟ وهل يصدق عاقل بأنه يضعها في جهنم لتمتلئ بها؟ وما الحكمة من ذلك؟ وأي وزن لهذا الكلام البارد - إلى أن قال- وبأي لسان تتحاج النار والجنة؟! وبأي حواسهما أدركتا ما أدركتاه وعرفتا من دخلها وأي فضل للمتجبرين والمتكبرين لتفخر بهم النار وهم يومئذ في أسفل سافلين؟ وكيف تظن الجنة أن الفائزين بها من سقطة الناس وهم من الذين أنعم الله عليهم بين نبي وصديق وشهيد وصالح، ما أظن الجنة والنار قد بلغ بها الجهل والحمق والخرف إلى هذه الغاية؟).

قلت: إن حمل ألفاظ هذا الحديث على حقيقته تعنت ومكابرة بلا دليل، والأصل أنه إذا امتنع حمل الألفاظ اللغة على الحقيقة صرفت إلى المجاز، وهذا كثير في اللغة، فكما تقول: خرجت المدينة تستقبل الحجاج، وتقصد بذلك أكثر أهل المدينة، كذلك يجب أن تقول في مثل هذا الحديث وفي الآيات التي استدل بها (المشبهة) على رأيهم كآية (الاستواء) وغيرها.

ويلزم من إنكار هذه الأحاديث لما فيها من التجسيم والتشبيه - على رأي المؤلف

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٥٠)، مسلم برقم (٢٨٤٦).

- إنكار جميع الآيات التي بهذا المعنى، ولا يقول بهذا مسلم، فكما صرفت ألفاظ تلك الآيات إلى المجاز تصرف ألفاظ بعض الأحاديث أيضاً إلى ذلك، لأن بعض الأحاديث جاءت على سنن ونهج القرآن الكريم. وإذا أبى أن تصرف هذه الألفاظ إلى المجاز قلنا له: يلزم من هذا أن تسير المدينة - في مثالنا- بأبنيتها ومساجدها وبيوتها وأشجارها، وهذا لا يعقل ولا يتصور، وهو خلاف العادة والعرف، لذلك وجب صرفه إلى المجاز، من غير أن نرد ذلك الأصل اللغوي، الذي عليه العرب، أدباؤهم وفصحاؤهم وعامتهم منذ عرفهم التاريخ، وعلى هذا الأصل نحمل بعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث الرسول الأمين ﷺ.

فيا ترى: ما الذي يدعو إلى المحالة والاستغراب والامتناع؟

إن كان وجه الإنكار هو أن الله يضع رجله، ففي القرآن جاء إثبات اليد، والوجه، والعين، والمجيء، وغير ذلك لله، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧] وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤] وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩].

وبالجملة، فإن تحكيم العقل في مسألة الألوهية، وصفاتها من سخافة العقل نفسه، ولا تؤدي عند هؤلاء المغترين بعقولهم، إلا إلى الإلحاد غالباً، فخير للعقل، «وهذا العقل المريض» أن يفكر فيما يستطيع التفكير به، وإن كان عقله عاجزاً عن معرفة سر الحياة في الإنسان نفسه، وعن الإحاطة بجزء كحبة الرمل من صحراء هذا الكون العجيب، فكيف يستطيع أن يعلم حقيقة خالق هذا الكون كله؟

لنفرض أن تحكيم العقل في الأحاديث هو الصواب، فنحن نسأل: أي عقل هذا الذي تريد أن تحكمه؟! أعقل الفلاسفة؟ إنهم مختلفون، وما من متأخر منهم إلا وهو ينقض قول من سبقه. أعقل الأدباء؟ إنه ليس من شأنهم، فإن عنايتهم بالنوادر والحكايات.

أعقل علماء الطب، أم الهندسة، أم الرياضيات؟ ما لهم ولهذا؟

أعقل المحدثين؟ إنه لم يعجبكم، بل إنكم تتهمونهم بالغباوة والبساطة؟

أعقل الفقهاء؟ إنهم مذاهب متعددة، وعقليتهم في رأيكم كعقلية المحدثين.

أعقل الملحدين؟ إنهم يريدون أن إيمانكم بوجود الله، جهل منكم وخرافة.

أعقل المؤمنين بوجود الله؟ تعالوا نرى طوائفهم:

إن منهم: من يرى أن الله يحل في إنسان فيصبح إلهاً؟

ومنهم: من يرى أن روح الله تتقمص في جسد، فيكون إلهاً!

ومنهم: من يرى أن الله ومخلوقاته في وحدة متكاملة!

ومنهم: من يرى أن الله ذو ثلاثة أقانيم في ذات واحدة!

ومنهم: من يرى البقر والفأر والقرد يجب أن يتوجه إليها بالعبادة!

ستقولون: إننا نريد تحكيم عقل المؤمنين بإله واحد في دين الإسلام.

فنحن نسألكم: عقل أي مذهب من مذاهبهم ترضون؟

أعقل أهل السنة والجماعة؟ هذا لا يرضي الشيعة، ولا المعتزلة.

أم عقل الشيعة؟ هذا لا يرضى أهل السنة، ولا الخوارج.

أم عقل المعتزلة؟

إنه لا يرضى جمهور طوائف المسلمين! فأي عقل ترتضون.

إن حكاية عرض الحديث على «العقل» حكاية قديمة نادى بها بعض المعتزلة،

ونادى المستشرقون حديثاً، وتابعهم فيها أحمد أمين، وضرب لذلك أمثلة من الأحاديث الصحيحة وهي في رأيه غير مقبولة للعقل. لئن كان يريد من العقل الصريح ما يقبله العقل من بدهيات الأمور، فهذا أمر واقع في تاريخ السنة النبوية، فقد وضع أئمة النقد من علماء الحديث علامات لمعرفة الحديث الموضوع منها: أن يكون متنه مخالفاً لبدائة العقول وللمقطوع به من الدين أو التاريخ أو الطب أو غير ذلك، وعلى هذا نفوا آلافاً من الأحاديث وحكموا عليها بالوضع.

ولئن كان يريد غير هذا مما يستغربه «العقل» فإن «استغراب» العقل شيئاً أمر نسبي يتبع الثقافة والبيئة وغير ذلك مما لا يضبطه ولا يحدده مقياس. وكثيراً ما يكون الشيء مستغرباً عند إنسان، طبيعياً عند إنسان آخر، ولا يزال الذين سمعوا بالسيارة في بلادنا، أو استغربوها قبل أن يروها، لأنها تسير من غير خيول تقودها، في حين كانت عند الغربيين أمراً مألوفا عادياً. والبدوي في الصحراء كان «يستغرب» ما يقولونه عن المذياع «الراديو» في المدن، ويعدّه كذبة من أكاذيب الحضريين، فلما سمع الراديو لأول مرّة ظن أن «الشيطان» هو الذي يتكلم فيه، كما يظن الطفل أن الذي يتكلم إنسان ثاو فيه.

قال الطباطبائي(الشيعي) في تفسيره «الميزان»(١٨/ ٣٦٢) بعد أن أورد حديث أنس الذي أخرجه السيوطي في الدرر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: {لا تزال جنهم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وكرمك، ولا يزال في الجنة حتى ينشيء الله لها خلقاً آخر فيسكنهم في قصور الجنة}.

قال ما نصه: (أقول: وضع القدم على النار وقولها: قط قط مروي في روايات كثيرة من طرق أهل السنة).

كما احتج بهذا الحديث «فيلسوف الشيعة الملقب» بصدر المتألهين «محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي في تفسيره «القرآن الكريم»(١/ ٥٨ وص١٥٦) فقال ما نصه: (ألا ترى صدق ما قلناه: النار لا تزال متألّمة لما فيها من النقيص وعدم الامتلاء حتى يضع الجبّار قدمه فيها كما ورد في الحديث وهي إحدى تينك القدمين المذكورتين في الكرسي).

كما احتج بهذا الحديث السيد محمدي الري شهري (الشيعي) في موسوعته الكبيرة «ميزان الحكمة»(٢/ ١٧٨-١٧٩) في باب «هل من مزيد».

وهذا هو الميزان حقاً الذي يوزن به أحاديث رسول الله ﷺ، إمرار هذه الأحاديث من دون التعرض لها وإسناد علمها إلى الله تعالى.

وأما قول صاحبنا: (بأي لسان تتحاج النار والجنة؟ وبأي حواسهما أدركتا ما أدركتاه وعرفتاه من دخلهما).

قلت: إن هذا استفهام يدل على جهل تام للقرآن الكريم، فإن كان وجه الإنكار أو الاستغراب لتكلم الجنة والنار، فقد جاء في القرآن أن الله تعالى خاطب وقال للسموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت:١١] وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:٣٠]، فقد نطقت جهنم بكلمة ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

ففي «البحار»(٨/ ٢٨٥) باب الجنة ونعيمها، عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال: {تكلم النار يوم القيامة ثلاثة: أميراً وقارئاً، وذا ثروة من المال، فتقول للأمير: يا من وهب الله له سلطاناً فلم يعدل فتزدرده كما يزدرد الطير حب السمسم، وتقول للقارئ: يا من تزين للناس وبارز الله

بالمعاصي فتزدرده، وتقول للغني: يا من وهب الله له دنيا كثيرة واسعة فيضاً وسأله الحقير اليسير قرضاً فأبى إلا بخلاً فتزدرده}.

وأيضاً في «البحار»(٨/ ١٩٨) باب الجنة ونعيمها، عن أبي بصير عن أبي جعفر قال: «إذا كان يوم القيامة نادت الجنة ربها فقالت: يا رب أنت العدل قد ملأت النار من أهلها كما وعدتها، ولم تملأني كما وعدتني، قال: فيخلق الله خلقاً لم يروا الدنيا فيملأ بهم الجنة طوبى لهم».

والقمي في تفسيره ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠)﴾ قال: (هو استفهام لأنه وعد الله النار أن يملأها فتمتلئ النار، ثم يقول لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ على حد الاستفهام، أي ليس فيّ مزيد، قال: فتقول الجنة: يا رب وعدت النار أن تملأها، ووعدتني أن تملأني فلم لا تملأني وقد ملأت النار؟ قال: فيخلق الله يومئذ خلقاً يملأ بهم الجنة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: طوبى لهم إنهم لم يروا غموم الدنيا وهمومها».

وعن محمد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «كان كل شيء ماء وكان عرشه على الماء، فأمر الله الماء فاضطر ناراً، فأمر الله النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السموات من ذلك الدخان وخلق الله الأرض من الماء، ثم اختصم الماء والنار والريح، فقال الماء: جند الله الأكبر، وقالت النار: أنا جند الله الأكبر وقالت الريح: أنا جند الله الأكبر، فأوحى الله الى الريح أنت جند الله الأكبر».

وفي «البحار»(٨/ ١٥٥-١٥٦) باب الجنة ونعيمها، عن داود العجلي مولى أبي المعزا قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ثلاث أعطين سمع الخلائق: الجنة، والنار، والحور العين، فإذا صلّى العبد وقال: اللهم أعتقني من النار وأدخلني الجنة وزوجني من الحور العين، قالت النار: يا رب إن عبدك قد سألك أن تعتقه مني فأعتقه

وقالت الجنة: يا رب إن عبدك قد سألك إياي فأسكنه، وقالت الحور العين: يا رب إن عبدك قد خطبنا إليك فزوجه منّا، فإن هو انصرف من صلاته ولم يسأل من الله شيئاً من هذا قلن الحور العين: إن هذا العبد فينا لزاهد، وقالت الجنة: إن هذا العبد فيّ لزاهد، وقالت النار: إن هذا العبد فيّ لجاهل».

حديث نزول الربّ كل ليلة إلى سماء الدنيا:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان من طريق ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة مرفوعاً قال: {ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجيب له...}[1] الحديث).

وأخذ المؤلف يصول ويجول كعادته يدلس ويشكك قائلاً:(تعالى الله عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث)، ثم قال: (إن هذا الحديث والثلاثة التي قبله كان مصدراً للتجسيم في الإسلام، كما ظهر في عصر التعقيد الفكري وكان من الحنابلة بسببها أنواع من البدع والأضاليل ولاسيما ابن تيمية الذي قام على منبر الجامع الأموي في دمشق يوم الجمعة خطيباً، فقال أثناء أضاليله: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر يريهم نزول الله تعالى نزولاً حقيقياً..).

قلت: أن حديث النزول متفق عليه بين الفريقين.

اثبات حديث النزول من طريق أهل البيت:

أخرج الصدوق في توحيده في حديث احتجاج الصادق على الثنوية والزناقة بإسناده عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام – قال:

---

(١) رواه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).

«سأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أن يكون العرش حاوياً له، ولا أن العرش محتاز له، ولكنّا نقول: هو حامل العرش، وممسك العرش، ونقول من ذلك ما قال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة:٢٥٥] فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته، ونفينا أن يكون العرش أو الكرسي حاوياً له وأن يكون عز وجل إلى مكان أو إلى شيء مما خلق بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عز وجل أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش؛ لأنه جعله معدن الرزق فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل، وهذا يجمع عليه فرق الأمة كله.

قال السائل: فتقول: أنه ينزل إلى السماء الدنيا؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: نقول ذلك؛ لأن الروايات قد صحت به والأخبار، قال السائل: فاذا نزل أليس قد حال عن العرش وحووله عن العرش صفة حدثت، قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس ذلك منه ما على يوجد من المخلوقين الذي تنتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة وناقلة ينقله ويحوله من حال إلى حال بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال ولا يجري عليه الحدوث، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحى عن مكان إلى مكان خلا منه المكان الأول، ولكنه ينزل إلى السماء الدنيا بغير معاناة وحركة، فيكون كما هو في السماء السابعة على العرش كذلك هو في السماء الدنيا، إنما يكشف عن عظمته ويرى أولياءه نفسه حيث شاء ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد

سواء»[١].

وأخرج الكليني في كافيه من كتاب التوحيد بإسناده عن محمد بن عيسى قال: «كتبت الى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام: يا سيدي قد روي لنا أن الله في موضع دون موضع على العرش استوى، وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، وروي أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعه، فقال بعض مواليك في ذلك: إذا كان في موضع دون موضع، فقد يلاقيه الهواء، ويتكيف عليه والهواء جسم رقيق يتكيف على كل شيء بقدره، فكيف يتكيف عليه جل ثناؤه على هذا المثال؟ فوقع عليه السلام: علم ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديراً، واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش الأشياء كلها له سواء علماً وقدرة وملكاً وإحاطه»[٢].

قال مصحح ومعلق الكافي السيد علي أكبر الغفاري في تعليقه على هذا الحديث ما نصه: (قوله عليه السلام: علم ذلك عنده أي علم كيفية نزوله عنده سبحانه وليس عليكم معرفة ذلك).

وهذا جيد يدل أن مذهب الإمام هو عدم التأويل وهو مذهب السلف رحمهم الله تعالى.

نعم هذا هو مذهب أهل البيت في صفات الله إثبات دون تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل، قال أبو عبد الله (ض): «نقول ذلك لأن الروايات قد صحت به والأخبار كما سبق ذكره».

نعود يا أخي القارئ في ذكر الروايات من طريق أهل البيت رضي الله عنهم الموافقة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) التوحيد (ص٢٤٨).

(٢) الكافي (١/ ١٢٦).

فعن جابر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا، فينادي هل من تائب يتوب عليه؟ وهل من مستغفر يستغفر فأغفر له؟ وهل من داع يدعوني فأفك عنه؟ وهل من مقتور يدعوني فأبسط له؟ وهل من مظلوم ينصرني فأنصره»[(١)].

وأثبت حديث النزول المتواتر شيخهم المحقق المتتبّع محمد بن علي الإحسائي المعروف بابن أبي جمهور في كتابه «عوالي اللآلي» الفصل السابع (١/ ١١٩ رواية ٤٤): حديث: {إن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وينزل عشية عرفة إلى أهل عرفة، وينزل ليلة النصف من شعبان}.

وقال محسن الكاشاني ما نصه: (الأول: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، وشهر رمضان من الشهور، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات:١٨] ولقوله: ({ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له})[(٢)].

وقال أيضاً في موضع آخر: (وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {أي الليل أفضل؟ فقال: نصف الليل الغابر} يعني الباقي، ومن آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرّياح من جنات عدن ونزول الجبّار إلى السماء الدنيا وغيرها من الأخبار)[(٣)].

ذكر أيضاً في حديث آخر بقوله: (ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا

---

(١) بحار الأنوار (٨٤/ ١٦٨).

(٢) المحجة البيضاء (٢/ ٢٨٥).

(٣) المحجة البيضاء (٢/ ٣٧٣).

فيقول: هل من داع فأستجيب له)[1].

وإليك هذه الرواية من طرق الشيعة أن الله تعالى ينزل إلى الأرض على جمل..

وما رواه زيد النرسي في كتابه، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول: «إن الله ينزل في يوم عرفة في أول الزوال إلى الأرض على جمل أفرق يصال بفخذيه أهل عرفات يميناً وشمالاً، فلا يزال كذلك حتى إذا كان عند المغرب ويقر الناس وكل الله ملكين بحيال المازمين يناديان عند المضيق الذي رأيت: يا رب سلّم سلّم، والرّب يصعد إلى السماء ويقول جل جلاله: آمين آمين رب العالمين، فلذلك لا تكاد ترى صريعاً ولا كبيراً»[2].

وعن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: «إن الأعمال تعرض كل خميس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان يوم عرفة هبط الرب تبارك وتعالى»[3].

عن عطاء عن أبي جعفر عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل قال فيه: قال: {ثم أن الله أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك أن أهبط إلى آدم وحواء فنحهما عن مواضع قواعد بيتي لأني أريد أن أهبط في ظلال من ملائكتي إلى أرضي فارفع أركان بيتي لملائكتي ولخلقي من ولد آدم... قال: ثم أن جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة وأخبرهما أن الجبار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سينا وحجر من جبل السلام...}[4].

---

(١) المصدر السابق (٥/ ١٥).

(٢) رياض العلماء (٢/ ٤٠٤).

(٣) بصائر الدرجات للصفار (ص٤٢٦).

(٤) تفسير العياشي (١/ ٣٧)، بحار الأنوار (٥/ ٤٩-٥٠).

عـن جـابر قـال: قـال أبـو جعفـر عليه السلام في قولـه تعـالى: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠] قال: «ينزل في سبع قباب من نـور ولا يعلـم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل»[١].

وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبـو جعفـر محمـد بـن عـلي البـاقر عليه السلام: «يـا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول، فأول مـا ابتـدأ مـن خلـق خلقـه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمتـه - إلى أن قـال - ثـم أن الله هـبط إلى الأرض في ظلل من الغمام والملائكة وهبط أنوارنا أهل البيت معه وأوقفنا نوراً صـفوفاً بين يديه نسبحه في أرضه كما سبحنا في سمائه»[٢].

وجـاء في تفـسير «البرهـان»(٣/ ١٤٦) عـن يـونس بـن ظبيـان، عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قال: «إذا كان ليلة الجمعة هبط الرب تبـارك وتعـالى إلى سـماء الـدنيا، فـإذا طلـع الفجر كان على العرش فوق البيت المعمور».

وعن سليمان بن خالـد، عـن أبي عبـد الله عليه السلام قـال: سـمعته يقـول: «أن الأعـمال تعرض كل خميس على رسول الله، فإذا كان يوم عرفـة هـبط الـرب تبـارك وتعـالى وهـو قــول الله تبــارك وتعــالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]»[٣].

وعن أبي حمـزة الـثمالي، عـن أبي جعفـر عليه السلام قـال: «أن الله تبـارك وتعـالى هـبط إلى الأرض في ظـل مـن الملائكـة عـلى آدم بـواد يقـال لـه: الروحـاء وهـو واد بـين الطـائف

---

(١) تفسير الصافي (١/ ٨٣)، بحار الأنوار (١٩/ ٢٥).

(٢) صحيفة الأبرار (١/ ١٦٠-١٦١).

(٣) بحار الأنوار (٢٣/ ٣٥٤).

ومكة»[١].

وعن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن للجمعة حقاً وحرمة فإياك أن تضيع أو تقصر شيء من عبادة الله والتقرب إليه بالعمل الصالح وترك المحارم كلها، فإن الله يضاعف فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات ويرفع فيها الدرجات. قال: وذكر أن يومه مثل ليلته، فإن استطعت أن تحييها بالصلاة والدعاء فافعل فإن ربك ينزل من أول ليلة الجمعة إلى سماء الدنيا فيضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات فإن الله واسع كريم»[٢].

وفي تفسير «البرهان» أيضاً عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن إبليس قال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأعراف:١٤] فأبى الله ذلك عليه، فقال: ﴿يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر:٣٨] وهو آخر كرة يكرها أمير المؤمنين عليه السلام - إلى أن قال - فكأني انظر إلى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم، وكأني انظر إليهم قد وقعت بعض أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار عز وجل في ظل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ورسول الله أمامه بيده حربة من نور...»[٣].

وعن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «أما علمت أنه إذا كان عشيّة عرفة برز الله في ملائكته إلى سماء الدنيا، ثم يقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً أرسلت إليهم رسولاً من وراء وراء فسألوني ودعوني»[٤].

---

(١) البرهان (٢/ ٣٠٠).

(٢) فروع الكافي (٣/ ٤١٤).

(٣) تفسير البرهان (٢/ ٣٤٣).

(٤) مستدرك الوسائل (١٠/ ٤٧).

نزول الربّ وزيارته تعالى لقبور الأئمة!! وغير ذلك:

فعن أبي وهب القصري قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «بئس ما صنعت لولا إنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة ويزوره الأنبياء عليهم السلام ويزوره المؤمنون!!، قلت: جعلت فداك ما علمت ذلك...»(١).

وعن منيع بن الحجاج عن صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لّما أتى الحيرة قال: هل لك في قبر الحسين؟ قلت: أتزوره جعلت فداك؟ قال: «وكيف لا أزوره والله يزوره في كل ليلة جمعة يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأصياء ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء فقال صفوان:جعلت فداك أفأزوره في كل جمعة حتى أدرك زيارة الرب؟ قال: نعم يا صفوان الزم زيارة قبر الحسين وتكسب وذلك الفضيل، هي»(٢).

فقد روى شيخهم العالم العلاّم ميرزا محمد تقي الملّقب بحجة الإسلام هذه الرواية نقلاً من مدينة المعاجز عن دلائل الطبري: قال: أخبرني أبو الحسين محمد بن هارون عن أبيه عن أبي علي محمد بن همام عن أحمد بن الحسين المعروف بابن أبي القاسم عن أبيه عن الحسين بن علي عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما منع الحسين عليه السلام وأصحابه الماء نادى فيهم من كان ظمآن فليجئ، فأتاه رجل رجل فيجعل أبهامه في راحة واحدهم فلم يزل يشرب الرجل حتى ارتووا فقال بعضهم: والله لقد شربت شراباً ما شربه أحد من العالمين في دار الدنيا، فلما قاتلوا الحسين عليه السلام فكان في اليوم الثالث عند المغرب أعقد الحسين رجلاً رجلاً

---

(١) تهذيب الأحكام (٦/ ٢٠).

(٢) بحار الأنوار (٦٠/ ١٠١).

منهم يسميهم بأسماء آبائهم فيجيبه الرجل بعد الرجل فيقعد من حوله ثم يدعو بالمائدة فيطعمهم ويأكل معهم من طعام الجنة ويسقيهم من شرابها. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: والله لقد رآهم عدة من الكوفيين ولقد كرّر عليهم لو عقلوا. قال: ثم خرجوا لرسلهم فعاد كل واحد منهم إلى بلادهم ثم أتى لجبال رضوي فلا يبقى أحد من المؤمنين إلاّ أتاه وهو على سرير من نور قد حفّ به إبراهيم وموسى وعيسى! وجميع الأنبياء! ومن ورائهم المؤمنون ومن ورائهم الملائكة ينظرون ما يقول الحسين عليه السلام قل: فهم بهذه الحال إلى أن يقوم القائم، وإذا قام القائم عليه السلام وافوا فيها بينهم الحسين عليه السلام حتى يأتي كربلاء فلا يبقى أحد سماوي ولا أرضي من المؤمنين إلاّ حفّوا بالحسين عليه السلام حتى أن الله تعالى يزور!! الحسين عليه السلام ويصافحه!! ويقعد معه!! على سرير!! يا مفضل هذه والله الرفعة التي ليس فوقها شيئ لا لورائها مطلب».

ثم قال في تعليقه على الرواية ما نصه: (يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: هذا الحديث من الأحاديث المستصعبة!! التي لا يحتملها إلاّ ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)(١)!!!.

قال هذا الحجة في موضع آخر: (وأما المعصوم عليه السلام فهذا المقام حاصل له مساوقاً لبدء خلقه، فليس بين الله وبين حجته حجاب في حال من الأحوال كما مرّ صريح الحديث في ذلك في القسم الأول من الكتاب نعم أنهم عليهم السلام يلبسوا بعض العوارض بالعرض في هذه الدار الفانية ليطيق الخلق رؤيتهم فيتمكنوا من تكميلهم وهو أحد الأسرار!! في بكائهم واستغفارهم إلى الله تعالى من غير ذنب لحق ذواتهم فافهم، فإذا خلعوا هذا اللباس العرضي وانتقلوا إلى الدار الباقية خلص لهم ذلك المقام

---

(١) صحيفة الأبرار (٢/ ١٤٠).

يزورهم الرب تعالى!! ويصافحهم!! ويقعدون معه!! على سرير واحد!! لاتحاد حكم العبودية مع حكم الربوبية)[١].

وأما قول صاحبنا: (أن الشيخ ابن تيمية مثّل لنزول الله إلى سماء الدنيا بنزوله درجة من درج المنبر الذي كان يخطب عليه يوم الجمعة، وأن هذه الواقعة حضرها ابن بطوطة بنفسه ورآها وسجلها.)..

قلت: إن هذا كذب، وللرد على هذه الفرية انظر ما كتبه العلامة بهجة البيطار في حياة ابن تيمية رداً على ابن بطوطة. فابن تيمية لم يمثّل لنزول الله إلى سماء الدنيا بنزوله درجة من درج المنبر.

ولكن اقرأ: عن أبي حمزة الثمالي قال: رأيت علي بن الحسين قاعداً واضعاً إحدى رجليه على فخذه فقلت: «إن الناس يكرهون هذه الجلسة ويقولون: إنها جلسة الرب، فقال: إني إنما جلست هذه الجلسة للملالة، والرب لا يمل ولا تأخذه سنة ولا نوم»[٢].

فمن الذي شبه الله تعالى كما تزعم ابن تيمية رحمه الله أم المعصوم؟!

حديث طواف نبي الله سليمان بمائة امرأة في ليلة:

قال: (أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة بمائة امرأة! تلد كل امرأة غلامًا؟ يقاتل في سبيل الله! فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل!! فأطاف بهن! ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان! (قال أبو

(١) المصدر السابق (٢/ ١٤١).

(٢) أصول الكافي (٢/ ٦٦١).

هريرة): قال النبي: لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته})[1].

ثم أخذ المؤلف يصول ويجول ويشكك كعادته في الحديث قائلاً: (وفي هذا أيضاً نظر من وجوه: أحدها: أن القوة البشرية لتضعف عن الطواف بهن في ليلة واحدة مهما كان الإنسان قوياً، فما ذكره أبو هريرة من طواف سليمان عليه السلام بهن مخالف لنواميس الطبيعة لا يمكن عادة وقوعه أبداً.

ثانيها: أنه لا يجوز على نبي الله تعالى سليمان عليه السلام أن يترك التعليق على المشيئة، ولا سيما بعد تنبيه الملك إياه إلى ذلك، وما يمنعه من قول إن شاء الله؟ وهو من الدعاء الى الله والأدلاء عليه، وإنما يتركها الغافلون عن الله عز وجل، الجاهلون بأن الأمور كلها بيده. فما شاء منها كان، وما لم يشأ لم يكن، وحاشا أنبياء الله عن غفلة الجاهلين أنهم عليهم السلام لفوق ما يظن المخرفون.

ثالثها: أن أبا هريرة قد اضطرب في عدة نساء سليمان، فتارة روى إنهن مائة كما سمعت، وتارة روى إنهن تسعون، وتارة روى إنهن سبعون وتارة روى إنهن ستون..).

قلت: إن أمثال هذه الأحاديث قد رواها أئمة وعلماء آل البيت رحمهم الله.

فهذا الطبرسي في تفسيره مجمع البيان (٨/ ٤٧٥) أثبت هذا الحديث من طريق أبي هريرة رضي الله عنه الذي أنكره صاحبنا!!

وأما من طريق أهل البيت رضي الله عنهم ففي تفسير «البرهان»(٤/ ٤٣) عن هشام، عن الصادق عليه السلام قال: «إن داود لمّا جعله الله خليفة في الأرض أنزل عليه الزبور- إلى أن قال- ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية».

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢٤٢).

وعن الحسن بن جهم قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب فقلت: جعلت فداك اختضبت فقال: نعم إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء – إلى أن قال:– «كان لسليمان بن داود ألف امرأة في قصر واحد ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرّية وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بضع أربعين رجلاً وكان عنده تسع نسوة وكان يطوف عليهن في كل يوم وليلة»[(١)].

ونقل نعمة الله الجزائري في كتابه «قصص الأنبياء»(ص٤٠٧): عن أبي الحسن عليه السلام قال: «كان لسليمان بن داود ألف امرأة في قصر واحد، ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرّية، ويطيف بهن في كل يوم وليلة».

وعلق الجزائري على الرواية ما نصه: (أقول: يحتمل طواف الزيارة، الأظهر أنه طواف الجماع).

وفي المصدر نفسه (ص ٤٠٨): عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان لسليمان حصن بناه الشياطين له، فيه ألف بيت في كل بيت منكوحة، منهن سبعمائة أمة قطبية وثلاثمائة حرة مهيرة، فأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلاً في مباضعة النساء، وكان يطوف بهن جميعاً ويسعفهن».

وقال محمد نبي التوسيركاني في كتابه اللآلي (١/ ١٠٠ في سلوك سليمان عليه السلام) ما نصه: (وفي بعض الكتب المعتبرة!كان معسكره مائة فرسخ مفروشة بلبنة الذهب يقوم عليها عسكره خمسة وعشرون إنس،.... وكانت له ألف امرأة في ألف بيت من القوارير موضوعة على الخشب، وعن أبي الحسن: كان لسليمان عليه السلام ألف امرأة في قصر واحد).

وفي «الأنوار النعمانية»(٣/ ١٨٢ باب نور الحب ودرجاته): (أن سليمان عليه السلام

(١) فروع الكافي (٥/ ٥٦٧).

كان يسحب معه على البساط ألف امرأة منكوحة وسبعمائة من الإماء وثلاثمائة من الحرائر، وقيل: إنه كان يوقف عليهن في ليلته..).

وقال: (أقول: ما نسبه إلى القليل نقله في المكارم من الكتاب من لا يحضر من مزيد قال بعض نقل العدد المزبور: «وكان يطوف بهن في كل يوم وليلة).

وقال الكاشاني في كتابه «المحجة البيضاء»(٦/ ٢٨٢ باب «بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه) ما نصه: (كما روي عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً الحديث ولم يقل: إن شاء الله فحرم ما أراد من الولد).

ثم لماذا الإنكار على نبي الله سليمان عليه السلام، وقد رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطي هذه القوة!

وفي «الوسائل»(١٤/ ١٨٠ كتاب النكاح) عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام.... قال: «لما كان في السحر هبط جبرئيل بصحفة من الجنة كان فيها هريسة، فقال: يا محمد هذه عملها لك الحور العين فكلها أنت وعلي وذريتكما فإنه لا يصلح أن يأكلها غيركم، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فأكلوا منها فأعطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المباضعة من تلك الأكلة قوة أربعين رجلاً، فكان إذا شاء غشي نساءه كلهن في ليلة واحدة».

بل إن هذه القوة قد أعطيت لإمامك المهدي أيضاً!

ففي الخصال بإسناده عن الحسن بن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا أذهب الله عز وجل عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم

كزبر الحديد وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً»[1].

قلت: ثم النسيان يجوز على الأنبياء، وقد أثبت القرآن الكريم ذلك في آيات متعددة نذكر منها على سبيل المثال:

ففي سورة الأعلى يقول الله لنبيه الكريم: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلى:٦]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]. وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ﴾ [الكهف:٦٠-٦٣].

ومثل هذا كثير في القرآن الكريم.

وإليك روايات أهل البيت المؤيدة في ذلك، فعن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام - إلى أن قال - وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيه في الكتاب: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا أفعله فتسبق مشيئة الله في أن لا أفعله فلا أقدر على أن أفعله، قال: فلذلك قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، أي استثن مشيئة الله في فعلك[2].

---

(١) الخصال (٢/ ٥٤١).

(٢) فروع الكافي (٧/ ٤٤٨).

وفي حديث طويل – قال القمي: فحدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان سبب نزولها يعني سورة الكهف أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط والعاص بن وائل السهمي لتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله ﷺ – إلى أن قال – فرجعوا إلى مكة واجتمعوا إلى أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يزعم أن خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل فإن أجابنا عنها فعلمنا أنه صادق وإن لم يجبنا علمنا أنه كاذب، فقال أبو طالب: سلوه عما بدا لكم. فسألوه عن الثلاث مسائل، فقال رسول الله ﷺ: غداً أخبرك ولم يستثن فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتى اغتم النبي ﷺ..)[(١)].

حديث لطم نبي الله موسى عين ملك الموت:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: {جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك. قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ففقأ عيني قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له: الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت بيدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة}[(٢)] الحديث).

ثم أخذ يصول ويجول كعادته في إلقاء الشبه على هذا الحديث ويشكك فيه، نذكر ما قاله باختصار قائلاً: (وأنت ترى ما فيه مما لا يجوز على الله تعالى ولا على أنبيائه ولا على ملائكته، أيليق بالحق تبارك وتعالى أن يصطفي من عباده من يبطش عند الغضب بطش الجبارين؟؟.....ويكره الموت كراهة الجاهلين..).

---

(١) تفسير القمي (٢/ ٣١-٣٢و٣٤).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٧٢).

قلت: إن هذا الحديث قد أجاب عنه أهل العلم من قبل.

قال ابن حجر ﷺ: (أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختياراً، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت،....وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه)(١).

وقال بعض أهل العلم: ثبت بالكتاب والسنة أن الملائكة يتمثلون في صور الرجال، وقد يراهم كذلك بعض الأنبياء فيظنهم من بني آدم كما في قصتهم مع إبراهيم ومع لوط عليه السلام، اقرأ من سورة هود الآيات ٦٩-٨٠، وقال عز وجل في مريم عليها السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم:١٧].

وفي السنة أشياء من ذلك وأشهرها ما في حديث السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان، فمن كان جاحداً لهذا كله أو مرتاباً فيه فليس كلامنا معه، ومن كان مصدقاً علم أنه لا مانع أن يتمثل ملك الموت رجلا ويأتي إلى موسى فلا يعرفه موسى.

وإليك بعض روايات أهل البيت التي تدل بأن ملك الموت، بل سائر الملائكة كانوا يأتون الأنبياء على صورة بشر، وليست على صورة الحقيقية، لأن البشر بما فيهم الأنبياء لا يطيقون رؤية الملائكة على الصورة الحقيقية.

ففي «اللآلي»(١/ ٩١ في سلوك موسى): عن الصادق عليه السلام، قال: «إن ملك الموت أتى موسى بن عمران، فسلّم عليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال:

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥١٠).

ما حاجتك؟ قال له: جئت أقبض روحك من لسانك، قال: كيف وقد تكلمت به ربي؟ قال: فمن يدك فقال له موسى: كيف وقد حملت بهما التورية؟ فقال: من رجليك، فقال له: وكيف وقد وطأت بهما طور سيناء! قال: وعدّ أشياء غير هذا، قال: فقال له ملك الموت: فإني أمرت أن أتركك حتى تكون أنت الذي تريد ذلك، فمكث موسى ما شاء الله، ثم مرّ برجل وهو يحفر قبراً فقال له موسى: ألا أعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى. قال: فأعانه حتى حفر القبر ولحد اللحد وأراد الرجل أن يضطجع في اللحد لينظر كيف هو؟ فقال موسى عليه السلام: أنا أضطجع فيه، فاضطجع موسى فرأى مكانه من الجنة، فقال: يا رب اقبضني إليك فقبض ملك الموت روحه ودفنه في القبر واستوى عليه التراب قال: وكان الذي يحفر القبر ملك بصورة آدمي، فلذلك لا يعرف قبر موسى».

وفي «اللآلي»(١/ ٩٦ باب في سلوك إبراهيم عليه السلام): (وقد روى أنه سئل الله أن لا يميته إلاّ إذا سأل، فلما استكمل أيامه التي قدرت له خرج فرأى ملكاً على صورة شيخ فان كبير قد أعجزه الضعف، وظهر عليه الخوف لعابه يجري على لحيته، وطعامه وشرابه يجران من سبيله على غير اختياره، فقال له: يا شيخ كم عمرك؟ فأخبره بعمر يزيد على عمر إبراهيم عليه السلام بسنة فاسترجع فقال: أنا أصير بعد سنة إلى هذا الحال، فسأل الموت).

وعن الرضا عليه السلام عن أبيه إن سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: «إن الله تعالى وهب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي سخر لي الريح والإنس والجن والطير والوحوش وعلمني منطق الطير،.. إذا نظر إلى الشاب حسن والوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلما بصر به سليمان قال له: من أدخل إلى هذا القصر؟ وقد أردت أن أخلو فيه اليوم فبإذن من دخلت؟ قال الشاب: أدخلني هذا

القصر ربه وبإذنه دخلت فقال: ربه أحق به مني فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك قال: امض لما أمرت به فهذا يوم سروري»(١).

وعن الصادق عليه السلام أن الخاتم الذي تصدق به أمير المؤمنين عليه السلام وزن حلقته أربعة مثاقيل فضة ووزن فصه خمسة مثاقيل وهي ياقوتة حمراء قيمته خراج الشام ستمائة حمل فضة وأربعة أحمال من الذهب وهو لطوق بن حبران قتله أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الخاتم من إصبعه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جملة الغنائم فأعطاه النبي فجعله في إصبعه.

وفي «اللآلي» أيضاً (٣/ ٢٦): (وروى في بعض الأخبار أن ذلك السائل كان ملكاً أرسله الله في صورة رجل سائل إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم...).

وعن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل جبريل أن يتراى له في صورته، فقال جبريل: إنك لم تطق ذلك، قال: إني أحب أن تفعل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المصلّى في ليلة مقمرة فأتاه جبرائيل في صورته، فغشى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين رآه ثم أفاق وجبرائيل سنده واضع احدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما كنت أرى شيئاً ممن خلق الله هكذا، فقال جبريل: لو رأيت إسرافيل الحديث وقال بعض ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد مرة في السماء ومرة في الأرض(٢).

وبإسناده عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب

---

(١) اللآلي (١/ ١٠٥).

(٢) اللآلي (٥/ ٣٠٢).

الأضياف وإنه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار؟ قال: دخلتها بإذن ربها - يردد ذلك ثلاث مرات - فعرف إبراهيم عليه السلام إنه جبريل فحمد الله ثم قال: أرسلني ربك..»(١) الحديث.

ومن ذلك ما أورده محدثهم محسن الكاشاني في كتابه «المحجة»(٧/ ٣٠٥) هذه الرواية: «.. ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صورة جبريل بالأبطح فصعق».

وفي كتاب «نفس الرحمن» للنوري (٤٥٤): «أن ملكاً من الملائكة كان على صورة ثعبان».

حديث لطم نبي الله موسى عليه السلام لملك الموت في كتب الشيعة:

ثم إن حديث لطم موسى عليه السلام لملك الموت، قد رواه علاّمتكم في مصادرهم، فهذا نعمة الله الجزائري أثبت في كتابه، ومحمد نبي التويسيركاني أثبته في كتابه باب في سلوك موسى عليه السلام قال ما نصه: (في سلوك موسى عليه السلام في دار الدنيا وزهدها فيها، وفي قصة لطمه ملك الموت حين أراد قبض روحه، واحتياله له في قبضها... وقد كان موسى عليه السلام أشدّ الأنبياء كراهة للموت، قد روى إنه لما جاء ملك الموت، ليقبض روحه، فلطمه فأعور، فقال: يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يحب الموت، فأوحى الله إليه أن ضع يدك على متن ثور ولك بكل شعرة دارتها يدك سنة، فقال: ثم ماذا؟ فقال: الموت، فقال: الموتة، فقال: أنته إلى أمر ربك)(٢).

وقال محدثهم الكبير محسن الكاشاني نقلاً من كلام علي بن عيسى الأربلي ما نصه: (أن الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت مطبوعة عن النفور منه، محبة للحياة ومائلة إليها حتّى أن الأنبياء عليهم السلام على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم

(١) الأنوار النعمانية (٤/ ٢١٤).

(٢) لئالي الأخبار (١/ ٩١)، الأنوار النعمانية (٤/ ٢٠٥).

من الله ومنازلهم من محال قدسه وعلمهم بما تؤول إليه أحوالهم وتنتهي إليه أمورهم أحبّوا الحياة ومالوا إليها وكرهوا الموت ونفروا منه، وقصة آدم عليه السلام مع طول عمره وامداد أيام حياته مع داود مشهورة، وكذلك حكاية موسى عليه السلام مع ملك الموت!! وكذلك إبراهيم عليه السلام)[1].

فأين أنت يا أشباه العلماء من هؤلاء العلماء؟! بل قد جاء في خبر مشهور على ما رواه المجلسي في بحاره عن محمد بن سنان عن مفضل بن عمر عن جعفر الصادق في خبر طويل قال المجلسي في شرحه: (أقول: لعله إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرخين أن ملكاً من الملائكة بخت نصر لطمه ومسخه وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان ثم رده الله تعالى صورة الإنس...)[2].

لطم جبريل البراق!!

وقبل أن أختتم هذا الفصل لسائل أن يسأل قد علمنا ما في قصة لطمه ملك الموت حين أراد قبض روحه، واحتياله له في قبضها وقد كان موسى عليه السلام أشدّ الأنبياء كراهة للموت، ولكن لم نفهم حكمة ضرب البراق، وإليك روايات القوم!!.

فعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء جيريل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ واحداً باللجام وواحداً بالركاب وسوي الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها قال لها: اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله، قال: فرقت به ورفعته ارتفاعاً ليس الكثير ومعه جبريل يريه الآيات..)[3].

---

(١) المحجة البيضاء (٤/ ٢٠٩).

(٢) بحار الأنوار (٣/ ١٤٥).

(٣) تفسير البرهان (٢/ ٣٩٠-٤٠٠).

وعن عبد الرحمن بن غنم قال: (جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بدابة دون البغل وفوق الحمار رجلاها أطول من يديها خطوها مد البصر، فلما أراد أن يركب امتنعت، فقال جبريل: إنه محمد فتواضعت حتى لصقت بالأرض قال: فركب...)(١).

حديث فرار الحجر بثياب موسى عليه السلام:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: {كانوا بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: واللهّ ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر -أي ذو فتق- قال: فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه! فجمع موسى في إثره يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى نظر بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد حتى نظر إليه، فأخذ موسى فطفق ثوبه بالحجر ضرباً؟ فوالله إنّ بالحجر ندباً ستّة أو سبعة}(٢).

ثم أخذ كعادته يصول ويجول ويشكك في هذا الحديث بقوله: (... وأنت ترى ما في الحديث من المحال الممتنع عقلاً، فإنه لا يجوز تشهير كليم الله عليه السلام بإبداء سوأته على رؤوس الأشهاد من قومه؛ لأن ذلك ينقصه ويسقط من مقامه، ولا سيما إذا رأوه يتشد عارياً ينادي الحجر وهو لا يسمع ولا يبصر: ثوبي حجر.. ثم يقف عليه وهو عار أمام الناس فيضربه والناس تنظر إليه مكشوف العورة كالمجنون...!

على أن القول بأن بني إسرائيل كانوا يظنون أن موسى أدرة لم ينقل إلا عن أبي هريرة..) إلخ.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٠٤)، صحيح مسلم برقم (٣٣٩).

قلت: هذا الحديث الذي أنكره على أبي هريرة رضي الله عنه وادعى إنه لم ينقل إلا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قد رواه الإمام السادس، وقد أخرج مفسرو الشيعة ذلك في تفاسيرهم.

ففي تفسير القمي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أن بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من الناس، فكان يوماً يغتسل على شط نهر وقد وضع ثيابه على صخرة، فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتى نظر بنو إسرائيل إليه فعلموا أنه ليس كما قالوا أنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٩](١).

ثم أن الطبرسي في مجمع البيان أثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه هذا الحديث الذي أنكره عبد الحسين: «أن موسى عليه السلام كان حيياً ستيراً يغتسل وحده فقال: ما يتستر منّا إلا لعيب بجلده أما برص وأما أدرة، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى عليه السلام فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً فبرأه الله مما قالوا»(٢).

قال رئيس علمائهم نعمة الله الجزائري في قصصه (ص:٢٥٠): (قال جماعة من أهل الحديث: لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح وإن رؤيتهم له على ذلك الوضع لم يتعمده موسى عليه السلام ولم يعلم إن أحد ينظر إليه أم لا، وأن مشيه عرياناً لتحصيل ثيابه مضافاً إلى تبعيده عما نسبوه إليه، ليس من المنفرات).

حديث طلب الشفاعة من الأنبياء يوم القيامة:

---

(١) تفسير القمي (٢/ ١٧٩).

(٢) مجمع البيان (٨/ ٣٧٢).

قال الطاعن: (أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة حديثاً من أحاديث الطويلة مرفوعاً جاء فيه ما هذا نصه: {يجمع الله الناس الأولين منهم والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم. فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا. فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله! وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح عليه السلام قال: فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح! إنك أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله! وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي! نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى قال: فيأتون إبراهيم عليه السلام فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى عليه السلام فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت

رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى ابن مريم فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبًا نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى محمد، قال: فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ﷻ ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب! أمتي يا رب! أمتي يا رب! فيقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب...}[(١)] الحديث).

قال: (وفيه من التسور على مقام أولي العزم من أنبياء الله وأصفيائه ما تبرأ منه السنن وتتنزه عن خطله، فإن للسنن المقدسة سنة نبينا في تعظيم الأنبياء غاية تملأ الصدور هيبة وإجلالاً...- إلى أن قال- فحديث أبي هريرة هذا بهرائه وهذره أجنبي عن كلام رسول الله ﷺ مباين لسننه كل المباينة. ومعاذ الله أن ينسب إلى أنبياء الله ما اشتمل عليه هذا الحديث الغث التفه، وحاشا آدم من المعصية بارتكاب المحرم الذي يوجب غضب الله، وإنما كان منهياً عن الشجرة نهي تنزيه وإرشاد، وتقدس نوح من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧١٢).

الدعاء إلا على أعداء الله.. لنا أن نسأل أبا هريرة عن هؤلاء المساكين أمن أمة محمد هم؟ أم من أمة غيره؟ فمن الطبيعي له أن لا يحبط مساعيهم، ولا يخيب آمالهم فكيف اختص أمته بالشفاعة دونهم؟ مع ما فطر عليه من الرحمة الواسعة ومع ما آتاه الله يومئذ من الشفاعة والوسيلة معاذ الله أن يخيبهم وهو أمل الراغب الراجي وأمن الخائف اللاجي.... إلخ).

قلت: إن هذا الحديث رواه أنس بن مالك وأبو سعيد وأبو بكر وابن عباس رضي الله عنهم.

ثم إن هذا الحديث الذي أنكره وصفه (بالهراء والهذر والتفاهة..). هو بعينه رواه أئمة أهل البيت رضي الله عنهم، وإليك بعض هذه الأحاديث.

عن خثيمة الجعفي قال: «كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام أنا ومفضل ابن عمر ليلاً ليس عنده أحد غيرنا، فقال له مفضل الجعفي: جعلت فداك حدثنا حديثاً نسر به، قال: نعم إذا كان يوم القيامة حشر الله الخلائق في صعيد واحد -إلى أن قال - فيقفون حتى يلجمهم العرق فيقولون: ليت الله يحكم بيننا ولو إلى النار- إلى أن قال- ثم يأتون آدم فيقولون: أنت أبونا وأنت نبي فاسأل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار، فيقول آدم: لست بصاحبكم. خلقني ربي بيده وحملني على عرشه، اسجد لي ملائكته. ثم أمرني فعصيته، ولكني أدلكم على ابني الصديق الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، كلما كذبوا اشتد تصديقه نوح قال: فيأتون نوحاً فيقولون: سل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار، قال: فيقول: لست بصاحبكم، إني قلت: إن ابني من أهلي، ولكني أدلكم على من اتخذه الله خليلاً في دار الدنيا، أيتوا إبراهيم، قال: فيأتون إبراهيم فيقول: لست بصاحبكم، إني قلت: إني سقيم ولكني أدلكم على من كلم الله تكليماً موسى قال: فيأتون موسى فيقولون له، فيقول: لست بصاحبكم إني قتلت نفساً،

ولكني أدلكم على من كان يخلق بأذن الله ويبرئ الأكمة والأبرص بإذن الله عيسى فيأتون فيقول: لست بصاحبكم، ولكني أدلكم على من بشرتكم به في دار الدنيا أحمد، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: - إلى أن قال - فيأتونه، ثم قال: فيقولون: يا محمد سل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار، قال: فيقول: نعم أنا صاحبكم- إلى أن قال- فاذا نظرت إلى ربي مجدته تمجيداً... ثم أخر ساجداً فيقول: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط»(١).

فهل أئمتك أيضاً يهذرون؟نسأل الله السلامة في العقل والدين!

حديث تساقط جراد الذهب على نبي الله أيوب:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان بطرق متعددة عن أبي هريرة مرفوعاً قال: {بينما أيوب يغتسل عريانًا خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه: ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك} (٢).

قال: (لا يركن إلى هذا الحديث إلاّ أعشى البصيرة، مظلم الحس فإن خلق الجراد من ذهب آية من الآيات، وخوارق العادات، وسنة الله عز وجل في خلقه أن لا يخلق مثلها إلاّ عند الضرورة كما لو توقف ثبوت النبوة عليها فتأتي حينئذ برهان على النبوة ودليلاً على الرسالة...).

قلت: هذا الحديث قد رواه أئمة أهل البيت.

فعن عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص:٤٣] قال: فرد الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلية ورد

(١) بحار الأنوار (٨/ ٣٥)، تفسير العياشي (٢/ ٣١٠-٣١١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٩).

عليه أهله الذين ماتوا بعدما أصابهم البلاء كلهم أحياهم الله تعالى له فعاشوا معه. وسئل أيوب بعدما عافاه الله: أي شيء كان أشد عليك مما مر عليك؟ قال: شماتة الأعداء. قال: فأمطر الله عليه في داره فراش من الذهب، وكان يجمعه فإذا ذهب الريح منه بشيء عدا خلفه فرده، فقال له جبرئيل: ما تشبع يا أيوب؟ قال: ومن يشبع من رزق ربه»(١).

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أمطر الله على أيوب من السماء فراشاً من ذهب، فجعل أيوب يأخذ ما كان خارجاً من داره فيدخله داره، فقال جبرئيل عليه السلام: أما تشبع يا أيوب عليه السلام؟ قال: ومن يشبع من فضل ربه»(٢).

وعن مفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام في علائم ظهور الحجة خبراً طويلاً وفيه: قال الصادق عليه السلام: «ثم يعود المهدي إلى الكوفة وتمطر السماء بها جراداً من ذهب كما أمطره الله في بني إسرائيل على أيوب..»(٣).

حديث التنديد بموسى إذ قرصته نملة فأحرق قريتها:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً قال: {قرصت نملة نبياً من الأنبياء -وهو موسى بن عمران فيما نص عليه الترمذي- فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملةٌ أحرقت أمةً من الأمم تسبح الله}(٤).

قال: (إن أبا هريرة مولع بالأنبياء عليهم السلام هائم بكل مصيبة غريبة تقذى بها الأبصار وتصتك منها المسامع، وأن أنبياء الله لأعظم صبراً وأوسع صدراً وأعلى قدراً، مما

---

(١) بحار الأنوار (١٢/ ٣٤٤).

(٢) المصدر السابق (١٢/ ٣٥٢).

(٣) إلزام الناصب (٢/ ٢٥٢-٢٧٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٠١٩)، صحيح مسلم برقم (٢٢٤١).

يحدث عنهم المخرفون - إلى أن قال- وما أدري والله ماذا يقول مصححو هذا الحديث فيما فعله هذا النبي من تعذيب النمل بالنار؟ من قول رسول الله: {لا يعذب بالنار إلا الله} وقد أجمعوا على أنه لا يجوز الإحراق بالنار للحيوان مطلقاً إلا إذا أحرق إنسان إنساناً فمات بالإحراق فلوليه الاقتصاص بإحراق الجاني وسواء في منع الإحراق بالنار النمل وغيره من سائر الحيوانات للحديث المشهور: {لا يعذب بالنار إلا الله}).

قلت: لقد ذكر المجلسي في بحاره (٦٤/ ٢٤٢) «كتاب السماء والعالم «باب النحل والنمل وسائر ما نهي عن قتله» وأورد هذا الحديث الذي أنكرته من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى الصدوق عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: (قال عزير: يا رب إني نظرت في جميع أمورك وإحكامها فعرفت عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه: إنك تسخط على أهل البلية فتعمهم بعذابك وفيهم الأطفال. فأمره الله تعالى أن يخرج إلى البرية وكان الحر شديداً، فرأى شجرة فاستظل بها ونام، فجاءت نملة فقرصته فدلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً، فعرف أنه مثل ضرب، فقيل له: يا عزير! إن القوم إذا استحقوا عذابي قدرت نزوله عند انقضاء آجال الأطفال فماتوا أولئك بآجالهم وهلك هؤلاء بعذابي»[1].

وفي «لئالى الأخبار»(٥/ ٣٢٦ باب «في أوصاف النمل») قال ما نصه: (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلذعته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله تعالى إليه هلا نملة واحدة).

فلم هذا الإنكار على أبي هريرة؟

(١) بحار الأنوار (٥/ ٢٨٦).

وعن علي بن جعفر عن أخيه عليه السلام قال: «سألته عن قتل النملة قال: لا تقتلها إلا أن تؤذيك!!»(١).

وعن مسعدة بن زياد قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «وسئل عن قتل الحيات والنمل في الدور إذا آذين، قال: لا بأس بقتلهن وإحراقهن إذا آذين!!»(٢).

وعن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله: «لا بأس بقتل النمل آذتك أولم تؤذك!!»(٣).

قلت: إن كان لا يجوز الإحراق بالنار وسائر الحيوانات للحديث المشهور، فلماذا هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإحراق قوم كانوا يصلّون في بيوتهم وذلك حسب ما رواه أئمة من أهل البيت؟!

فعن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: «إن أناس كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبطئوا عن الصلاة في المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن نأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليه ناراً فتحرق عليهم بيوتهم»(٤).

وفي «التهذيب»(٣/ ٢٦٦): عن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «همَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإحراق قوم في منازلهم كانوا يصلون في منازلهم ولا يصلون الجماعة...».

وقال المجلسي في «بحاره»(١٩/ ٣٥٢) من كتاب تاريخ نبينا باب غزوة بدر

---

(١) المصدر السابق (٦٤/ ٢٦٤).

(٢) المصدر السابق (٦٤/ ٢٧١).

(٣) المصدر السابق (٦٤/ ٢٦٨).

(٤) تهذيب الأحكام (٣/ ٢٥)، الأنوار النعمانية (١/ ٣٥٨).

الكبرى: (قال البلاذري: روي أن هبار بن الأسود كان ممن عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين حملت من مكة إلى المدينة، فكان رسول الله ﷺ يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرقوه بالنار، ثم قال: {لا يعذب بالنار إلا رب النار} وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه...

وأيضاً أحرق علي قوماً من السبئية؟ وقال:

لما رأيت الأمر أمر منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً).

حديث مولودان يتكلّمان بالغيبيّات:

قال الطاعن: (أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً من حديث قال فيه: {وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت أمه: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات قال: وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقالت: من جريج. فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال الغلام: إن أبي لهو الراعي! قالوا: نبني صومعتك من ذهب قال: لا إلا من طين. قال أبو هريرة: وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله! ثم أقبل على ثديها يمصه. قال أبو هريرة: كأني انظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه! ثم مرت أم الغلام فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك الغلام ثدي أمه فقال: اللهم اجعلني مثلها! فقالت: لم ذاك؟ فقال لها: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون: سرقت زنيت ولم تفعل!}[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٨٢)، ومسلم برقم (٢٥٥٠).

قال: (قلت: لم يكن جريج من الأنبياء وكذلك هذان الطفلان، فلا يمكن أن تصدر على أيديهم خوارق العادات، فإن الخوارق إنما تكون من النبيين في مقام تعجيز البشر إثباتاً لنبوتهم كما هو مقرر في محله، وكلام هذين المولودين وأخبارهما بالمغيبات مما تأباه فطرة الله التي فطر الناس عليها..).

قلت: هذا الحديث قد رواه الأئمة أيضاً!!

ففي قصص الراوندي بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: «كان في بني إسرائيل عابد يقال له: جريج وكان يتعبد في صومعته، فجاءته أمه وهو يصلّي فدعته فلم يجيبها فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يجيبها ولم يكلمها، فانصرفت وهي تقول: أسأل له بني إسرائيل أن يخذلك، فلما كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته فأخذها الطلق فادعت أن الولد من جريج، ففشا في بني إسرائيل أن من كان يلوم الناس على الزنا، فقد زنا، وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أمه إليه تلطم وجهها، فقال لها: اسكني، إنما هذا لدعوتك، فقال الناس لما سمعوا بذلك منه: وكيف لنا بذلك؟ قال: هاتوا الصبي فجاؤا به فأخذه، فقال: من أبوك؟ فقال: فلان الراعي لبني فلان»[1].

حديث مسرف كافر غُفِر له:

قال الطاعن: (أخرج مسلم عن معمر قال: قال لي الزهري: ألا أحدثك بحديثين عجيبين، قال الزهري: أخبرني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: {أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه به أحدً ففعلوا ذلك به فقال الله للأرض: أدي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له: ما

(١) قصص الأنبياء للجزائري (ص٥١٧).

حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب أو قال: مخافتك فغفر له بذلك}[1].

الرواية من طرق الإمامية:

في «الأنـوار النعمانيـة» لنعمـة الله الجزائـري (٤/ ٢٧٦) قـال: (روى الـصدوق بإسناده إلى مولانا الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل ينبش القبور فاعتل جار له فخاف الموت فبعث إلى النباش فقال: كيف جواري لك؟ قال: أحسن جوار. قال: فإن لي إليك حاجة. قال: قضيت حاجتك، قال: فأخرج إليه كفنين فقال: أحبّ أن تأخذ أحبهما إليك وإذا دفنت فلا تنبشني، فامتنع النباش من ذلك وأبى أن يأخذه، فقال له الرجل: أحب أن تأخذه فلم يزل به حتى أخذ أحبهما إليه ومات الرجل، فلما دفن قال النباش: هذا قد دفن فما علمه بأني تركت كفنه أو أخذته لأخذنه، فأتى قبره فنبشه فسمع صايحاً يقول ويصيح به: لا تفعل ففزع النباش من ذلك فتركه وترك ما كان عليه، وقال لولده: أي أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا، قال: فإن لي إليكم حاجة قالوا: قل ما شئت فإنا سنصير إليه إن شاء الله تعالى، قال: فأحب إذا أنا مت أن تأخذوني فتحرقوني بالنار، فإذا صرت رماداً فدقوني ثم تعمدوا بي ريحاً عاصفاً فذروا نصفي في البر ونصفي في البحر، قالوا: فلما مات فعل به ولده ما أوصاهم به فلما ذرّوه قال الله جل جلاله للبر: اجمع ما فيك، وقال للبحر: اجمع ما فيك، فإذا الرجل قائم بين يدي الله تعالى فقال له عز وجل: ما حملك على ما أوصيت به ولدك أن يفعلوه بك؟ قال: حملني على ذلك وعزتك خوفك، فقال الله جل جلاله: فأني سأرضى خصومك وقد أمنت خوفك وغفرت لك).

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٥٦).

حديث بأن النبي ﷺ كان جنباً:

قال الطاعن: (ومن سخافات هذا الرجل قوله: {أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما فخرج إِلَيْنَا رسول الله ﷺ فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب}(١).

ثم قال: (نبرأ إلى الله منه وممن يجيز على رسول الله ﷺ الذي كان في جميع أوقاته على طهور، وكان الوضوء على الوضوء عنده نوراً على نور، وأنبياء الله كافة منزهون عن مضمونه معصومون عما هو دون مما لا يليق بالصديقين وصالحي المؤمنين).

قلت: أولاً: في الحديث فوائد منها: جواز النسيان على الأنبياء في أمر العبادة لأجل التشريع.

ثانياً: جاء من طرق الإمامية أن رسول الله ﷺ وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم لهم أن يجنبوا في المسجد!

ففي التهذيب عن محمد بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن الجنب يجلس في المسجد؟ قال: لا، ولكن يمر فيه إلا المسجد الحرام ومسجد المدينة. قال: وروى أصحابنا أن رسول الله ﷺ قال: لا ينام في مسجدي أحد ولا يجنب فيه أحد. وقال: إن الله أوحى إليّ أن اتخذ مسجداً طهوراً، لا يحل لأحد أن يجنب فيه إلاّ أنا وعلي الحسن والحسين»(٢).

بل ذكروا أن علياً رضي الله عنه صلّى بالناس وهو على جنابة!!

فعن عبد الرحمن بن العرزمي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صلّى علي عليه السلام بالناس على غير طهر وكانت الظهر ثم دخل فخرج مناديه أن أمير المؤمنين عليه السلام صلّى بالناس على غير طهر فأعيدوا وليبلغ الشاهد الغائب»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٥).

(٢) تهذيب الأحكام (٦/ ١٥).

(٣) الاستبصار (١/ ٤٣٣).

حديث تفضيل النبي ﷺ على نبي الله موسى عليه السلام:

قال الطاعن: (ومنها في النهي عَنِ تفضيل النبي ﷺ على موسى وحديثه في أن من قال: {أنا خير من يونس بن متى فقد كذب}[1].

ثم قال: (قد أجمعت الأمة على تفضيله، وثبت ذلك بالنصوص الصريحة الصحيحة وقامت عليه الضرورة من دين الاسلام).

قلت: الحديث من طرق الإمامية:

في «قصص الأنبياء»(ص ٤٩٥): عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي ﷺ يقول: {ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى}.

قال الجزائري في شرحه لهذا الحديث: (أقول: لعل المعنى على تقدير صحة الخبر: أنه لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس، من حيث المعراج، بأن يظن إني صرت من حيث العروج إلى السماء أقرب إلى الله تعالى منه، فإن نسبته تعالى إلى السماء والأرض والبحار نسبة واحدة، وإنما أراني الله تعالى عجائب صنعه في السماوات، وأرى يونس عجائب خلقه في البحار، وإني عبدت الله في السماء ويونس عبده في بطن الحوت، ولكن التفضيل من جهات أخر لا تحصى).

حديث لن يدخل أحداً عمله الجنة إلا برحمته الله:

قال الطاعن: (وحديثه: {لن يدخل أحدًا عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:لا ولا أنا}[2].

ثم قال: (يضرب بهذا الحديث عرض الحائط لمخالفته كتاب الله عز وجل في كثير من

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٩٦)، ومسلم برقم (٢٣٧٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦).

آياته، وحسبك منها: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان:٢٢]).

قلت: قد أثبت جمع من مفسري الشيعة ومنهم الطبرسي في تفسيره، والفيض الكاشاني في تفسيره، وعبد علي الحويزي في تفسيره، والميرزا محمد المشهدي في تفسيره، وعبد الله شبر في تفسيره وغيرهم نقلاً عن مجمع البيان: في قوله الله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام:١٦].

قال المجلسي في شرح تفسير هذه الآية ما نصه: (ويحتمل أن يكون معنى الآية أنه لا يصرف العذاب عند أحد إلا برحمة الله كما روي أن النبي ﷺ: والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل..)(١).

حديث أن النبي ﷺ كان راعي الغنم:

قال الطاعن: (وحديثه: في أنه {ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم}(٢).

ثم قال: (وهذا في البعد إلى حد السقوط).

قلت: جاء في «البحار»(٦/ ٢٢٦رواية ٢٨) نقلاً عن الكافي: بإسناده عن جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: قال النبي ﷺ: {إني كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها، وليس من نبي إلا وقد رعى الغنم..} الحديث.

وقال الباقر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: {إني كنت انظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعها، وليس من نبي إلاّ وقد رعى الغنم وكنت انظر إليها قبل النبوة..}(٣).

---

(١) مجمع البيان (٣/ ٢٣)، تفسير الصافي (٢/ ١١١)، نور الثقلين (١/ ٧٠٦)، بحار الأنوار (٧/ ١١).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٢٦٢).

(٣) المحجة البيضاء (٤/ ١٢٨)، اللئالي (٥/ ٢٤).

فلـم كـل هـذا الهجـوم والطعـن في أحاديـث أبي هريـرة رضي الله عنه، وقـد رواهـا أهـل البيت؟!

حديث ختن نبي إبراهيم عليه السلام بالقدوم بعد الثمانين:

قال الطاعن: (ومثله حديثه: في {أن إبراهيم عليه السلام قد اختتن بالقـدوم بعـد ثمانـين سنة من عمره}(١).

قلت: الجواب من وجهين:

أولاً: قال المهلب: (ليس اختنان إبراهيم عليه السلام بعد ثمانين مما يوجب عليها مثل فعله، إذ عامة من يموت من الناس لا يبلغ الثمانين، وإنما اختتن وقت أوحى الله إليه بذلك وأمره به)(٢).

والثاني: وهذا الحديث رواه أئمة أهل البيت.

ففي «قصص الأنبياء» لنعمة الله الجزائري (ص ١١٣): بإسناد عن الكاظم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {أول مـن قاتـل في سـبيل الله إبـراهيم الخليـل عليه السلام حيـث أسرت الروم لوطاً عليه السلام فنفر إبـراهيم عليه السلام واسـتنقذه مـن أيـدهم، وأول مـن اختـتن إبراهيم بالقدوم على رأس ثمانين سنة}.

حديث عُمْر آدم عليه السلام:

قال الطاعن: (وحديثه: {إذ خلق الله آدم فمسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين عيني كل إنسان مـنهم وبيـصاً – أي بريقاً – من نور ثم عرضهم على آدم فقال آدم: من هؤلاء يـا رب؟ قـال: ذريتـك فـرأى

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٥٦)، ومسلم برقم (٢٣٧٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ٩٢).

آدم رجلاً أعجبه وبيص ما بي عينيه فقال: يا رب! من هذا؟ قال: هذا ابنك داود، قال آدم: كم جعلت له من العمر؟ قال: ستين سنة، قال: يا رب زده من عمري أربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة، فقال الله عز وجل: إذن يكتب ويختم فلا يبدل. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت لقبض روحه قال آدم: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال له ملك الموت: أولم تجعلها لابنك داود؟ قال: فجحد فجحدت ذريته}[(١)]! الحديث).

قلت: هذا الحديث قد رواه أئمة أهل البيت.

ففي تفسير العياشي في حديث طويل - عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى: فمسح على ظهر آدم ثم صرخ بذريته وهم ذر قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها فاجتمعوا فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق -إلى أن قال - قال أبو جعفر عليه السلام: ثم عرض الله على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم. قال: فمر آدم باسم داود النبي عليه السلام فإذا عمره أربعون سنة فقال: يا رب ما أقل عمر داود وأكثر عمري؟! يا رب إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة فانفذ ذلك له وأثبتها له عندك وأطرحها من عمري، قال: ثبت الله لداود من عمره ثلاثين سنة ولم يكن له عند الله مثبتاً ومحا من عمر آدم ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتاً فقال أبوجعفر عليه السلام: فذلك قولى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ [الرعد:٣٩] قال: يمحو الله ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبته لداود ما لم يكن عنده مثبتاً قال: فلما دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت ليقبض روحه، فقال له آدم: يا ملك الموت قد بقي من عمري ثلاثون سنة، وقال له ملك الموت: ألم تجعلها لابنك داود النبي واطرحتها من عمرك حيث عرض الله عليك أسماء الأنبياء من

(١) رواه الترمذي برقم (٣٣٦٨).

ذريتك وعرض عليك أعمارهم وأنت يومئذ بوادي الروحاء؟ فقال آدم: يا ملك الموت ما أذكر هذا، فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجهل ألم تسأل الله أن أثبتها لداود ويمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك من الذكر؟ قال: فقال آدم: فاحذر الكتاب حتى أعلم ذلك. قال أبو جعفر عليه السلام: وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم يجهل جود الألفاظ. قال أبو جعفر عليه السلام: فمن ذلك اليوم أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمى لنسيان آدم وجحود ما جعل على نفسه»[(١)].

قال المجلسي في «البحار»(١٤/ ١٠): (أقول: قد مضت الأخبار في ذلك في أبواب قصص آدم عليه السلام وفي بعضها أنه زاد في عمر داود عليه ستين سنة تمام المائة، وهو أوفق بسائر الأخبار، والله أعلم).

حديث احتجاج آدم وموسى:

قال الطاعن: (ومثله حديثه: «عن آدم وموسى مثلهما يتحاجان»). ثم قال: (على كيفية تدل أنهما كانا من القدرية، وقدى ظهر فيها آدم على موسى فحجه إلى كثير مما لا يليق بالأنبياء، ويجب تنزيههم عنه).

وإليك أيها القارئ تمام هذا الحديث الذي أخرجه البخاري عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول الله: فحج آدم موسى مرتين}[(٢)].

---

(١) تفسير البرهان (٢/ ٣٠١).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٠٩)، ومسلم برقم (٢٦٥٢).

قلت: روى هذا الحديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ففي تفسير القمي بإسناده عن ابن عمير عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع، فقال له موسى: يا أبت ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة؟ فلم عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة، قال: فهو ذلك، قال الإمام الصادق عليه السلام: فحج آدم موسى عليه السلام»(1).

وقال المجلسي في بيان الحديث ما لفظه: (وجدان الخطيئة قبل الخلق إما في عالم الأرواح بأن يكون روح موسى عليه السلام اطلع على ذلك في اللوح، أو أنه وجد في التوراة أن تقدير خطيئة آدم عليه السلام كان قبل خلقه بثلاثين سنة، ويدل على الأخير ما سيأتي في خبر مسعدة، وقوله عليه السلام: (فحجّ) أي غلب عليه في الحجة وهذا يرجع الى القضاء والقدر)(2).

وقال عبد الصاحب في كتابه الأنبياء (ص ٢٨-٢٩) في تعليقه على هذه الرواية ما نصه: (والذي يفهم من جواب موسى لآدم عليه السلام من أن الخطيئة كائنة مقدرة من قبل خلق آدم ومن عالم الذر، قلت: خلق الأرواح قبل وجوده بألفي عام وهي المسألة التي هي معركة الآراء وقد هلك فيها ناس كثير لسوء فهمهم وتأملهم وعدم تعقلهم الحقيقة فيها، وهي مسألة قضاء الله وقدره لمخلوقه قبل وجوده).

---

(١) تفسير القمي (١/ ٤٤).

(٢) بحار الأنوار (١١/ ١٦٣).

حديث مشي العلاء الحضرمي على البحر مع جنوده:

قال الطاعن: (وما أكثر حديثه في خوارق النواميس الطبيعية، وحسبك منها - مضافاً إلى ما سمعته آنفاً- حديثان نجعلها خاتمة هذا الفصل).

أحدهما: حديثه إذ كان - فيما زعم- مع العلاء بن الحضرمي لما بعث في أربعة آلاف إلى البحرين فانطلقوا حتى أتوا على خليج من البحر ما خاضه قبلهم أحد ولا يخوضه بعدهم أحد!).

قال أبو هريرة: أخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء وسار الجيش وراءه قال: فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر؟؟ الحديث).

قال: (وهذا الحديث موضوع باتفاق أهل العلم، ولا يحتج به عند المحدّثين).

قلت: ذكر هاشم البحراني في كتابه المذكور (١/ ٤٣٠ رواية ٢٩٠): الباب السبعون ومائة اليهودي الذي عبر الماء على مرطة باسم أمير المؤمنين عليه السلام ونظر عليه السلام إلى الماء فجمد!!

البرسي: قال: (روى صاحب عيون أخبار الرضا عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ في طريق فسايره خيبريٌّ فمرّ بوادٍ قد سال، فركب الخيبري مربطة، وعبر على الماء!! ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام: يا هذا لو عرفت ما عرفت لجزت كما جزت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مكانك، ثم أومأ بيده إلى الماء فجمد!! ومرّ عليه فلما رأى الخيبري ذلك أكب على قدميه وقال له: يا فتى ما قلت حتى حوّلت الماء حجراً؟!! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟!! فقال الخيبري: أنا دعوت الله باسم العظيم...).

وفي (٢/ ١١ رواية ٣٥٦): «ارتفاعه عليه السلام - أي الإمام - في الهواء»!!

البرسي: قال: (روى صاحب المنتخب أن علياً عليه السلام مرّ إلى حصن ذات السلاسل، فدعا بسيفه ودرقته، وترك الترس تحت قدميه والسيف تحت ركبته، ثم ارتفع في الهواء! ثم نزل على الحائط وضرب السلاسل ضربة...).

وفي (ص ١١-١٢ رواية ٣٥٧) «اتباعه عليه السلام الطير الذي أخذ خفّه»!!

فعن أبي جميلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (نزع علي عليه السلام خفّه بليلٍ ليتوضأ، فبعث الله طائراً فأخذ أحد الخفّين فجعل علي عليه السلام يتبع الطير وهو يطير!! حتى أضاء له الصبح ثم ألقى الخفّ).

وفي (٥/ ١٠ رواية ١٤٢٢): «صنع فيلاً من طين فركبه عليه السلام فطار به إلى مكّة».

قال: حدثنا شاذان بن عمر قال: حدثنا مرة بن قبيصة بن عبد الحميد قال: قال لي جابر بن يزيد الجعفي: (رأيت مولاي الباقر عليه السلام وقد صنع فيلاً من طين فركبه وطار في الهواء حتى ذهب إلى مكة ورجع عليه، فلم أصدق ذلك منه حتى رأيت الباقر عليه السلام فقلت له: أخبرني جابر عنك بكذا وكذا؟ فصنع فركب وحملني معه إلى مكة وردّني).

وفي(٦/ ١٥٨ رواية ١٩١٦): «إخراج الفارسين من حافّة بحرٍ من تحت الأرض».

فعن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من أهل خراسان، وهو يكلّمه بكلام لم أفهمه، ثم رجعا إلى شيء فهمته، فسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، وركض أبو عبد الله عليه السلام رجله الأرض، فإذا بحر تحت الأرض، على حافته فارسان قد وضعا أذقانها على قرابيس سروجها. فقال أبو عبد الله عليه السلام هؤلاء من أنصار القائم.

(ص ١٥٩-١٦٠ رواية ١٩١٧) «خبر انفلاق البحر».

فعن داود الرقّي، قال: جاء إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له: «ما بلغ من علمكم؟ قال: ما بلغ من سؤالكم - إلى أن قال- فأخذ بيد الرجل، ثم انطلق حتى أتى شاطئ البحر، فقال: أيها العبد المطيع لربّه أظهر ما فيك فانفلق البحرعن آخر ما فيه وظهر ماء أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك...قال: ثم رفع رأسه فرأى في الهواء خيلاً مسرّجة ملجمة ولها أجنحة، فقلت: يا أبا عبد الله، ما هذه الخيل؟ فقال: هذه خيل القائم!!».

و(ص٢٠١ رواية ١٩٤٥): «صعوده عليه السلام إلى السماء، ونزوله بالحربة».

فعن إبراهيم بن الأسود، قال: «رأيت موسى بن جعفر عليه السلام صعد إلى السماء ونزل ومعه حربة من نور...».

وفي (٣/ ٢٣٢ رواية ٨٥١) «علوّه عليه السلام في الهواء وغيبوبته في السماء».

وعن جابر قال: «رأيت الحسن بن علي وقد علا في الهواء وغاب في السماء فأقام بها ثلاثاً ثم نزل بعد الثلاث وعليه السكينة والوقار...».

وفي (٥/ ٥١٣ رواية ١٠٢٩): «أنه عليه السلام أُعطي ما أُعطي النبيّون من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص والمشي على الماء»!!!

«ارتفع الإمام إلى السماء حتى سدّ الأفق»

وفي كتاب «حياة الإمام العسكري»(ص٣٦١): (- قال الراوي- حدّث نفسه أن يرى برهاناً من الإمام العسكري، فإذا الإمام ارتفع نحو السماء حتى سدّ الأفق!!).

حديث النهي عن المشي بالخف الواحد:

قال الطاعن: (ومنها: أنه روى حديثاً في النهي عن المشي بالمخف الواحد فبلغ

عائشة ذلك فمشت بخف واحد وقالت: لأخالفنّ أبا هريرة).

قلت: فإن هذا الحديث أيضاً احتج به النظام ليطعن في أبي هريرة، وردّ ابن قتيبة عليه افتراءه. وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها: أنها دخلت في خفها حسكة فمشت في خف واحدة وقالت: لأحنّثن أبا هريرة.. إنه يقول: لا يمشي في نعل واحدة ولا خف واحدة(1).

ثم إن أبا هريرة لم ينفرد بالحديث. فقد روى هذا الحديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ففي «البحار»(٧٦/ ٣٢٨ - ٣٢٩ باب جوامع مناهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومتفرقاتها): بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأكل عن الجنابة - إلى أن قال - ونهى أن يمشي الرجل في فرد نعل أو يتنعّل وهو قائم».

وفي(٨٠/ ١٩١ كتاب الطهارة باب آداب الخلاء) عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال: «لا تشرب وأنت قائم.... ولا تمش في نعل واحدة فإن الشيطان أسرع ما يكون إلى الإنسان إلى بعض هذه الأحوال...».

حديث إنما الطيرة في المرأة والدابّة:

قال الطاعن: (ومنها أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: {إنما الطيرة في المرأة والدابة فطارت عائشة شغفاً ثم قال:كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟} الحديث).

قلت: عن خالد بن نجيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تذاكروا الشؤم عنده،

---

(١) قبول الأخبار (ص٥٧ وص٥٩).

فقال: الشؤم في ثلاثة: في المرأة والدابة الدار، فأما شؤم المرأة فكثرة مهرها وعقوق زوجها، أما الدابة فسوء خلقها ومنعها ظهرها، وأما الدار فضيق ساحتها وشر جيرانها وكثرة عيوبها»[١].

حديث إذا استيقظ أحد من النوم فليغسل يده:

قال الطاعن: (ومنها: أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: {متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الإناء فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده؟}[٢] فأنكرت عائشة عليه فلم تأخذ به وقالت: كيف نصنع بالمهراس).

قلت: وهذا الحديث رواه أئمة آل البيت، فقد أخرج فخرك المجلسي في «بحاره»(٨٠/ ٣٣٣): فقد عقد في كتاب الطهارة باباً سماه «سنن الوضوء وآدابه» أثبت فيه هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه الذي أنكرته يا مفتري!!

وأيضاً لم ينفرد أبو هريرة بهذا الحديث، بل رواه ووافقه أئمة أهل البيت رضي الله عنهم!

وفي «البحار»(٨٠/ ٣٣٣- كتاب الطهارة باب سنن الوضوء وآدابه):

عن أبي بصير عن عبد الكريم بن عتبة قال: «سألته عن رجل يستيقظ من نومه ولم يبل يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها قال: لا، لأنه لا يدري أين باتت يده فيغسلها».

حديث من صاحب الكلب انتقص أجره كل يوم قيراط:

قال الطاعن: (ومنها: ومثله ما في صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط}[٣]،

---

(١) الكافي (٥/ ٥٦٨)، بحار الأنوار (٧٣/ ١٤٩).

(٢) رواه البخاري برقم (١٦٢)، ومسلم برقم (٢٧٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٥٧٥).

فذكر لابن عمر قول أبي هريرة هذا فقال: يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع - يتهمه بزيادة كلب الزرع إيثاراً لمصلحته - وقد اتهمه بهذا أيضاً سالم بن عبد الله بن عمر في حديث أخرجه مسلم أيضاً).

قلت: روى الكليني في الكافي»(٦/ ٥٥٢- باب الكلاب): فعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من أحد يتخذ كلباً إلا نقص في كل يوم من عمل صاحبه قيراط».

وفي «عوالي اللآلي»(١/ ١٤٣- ١٤٤): قال: «من اقتنى كلباً إلا ضارباً، أو كلب زرع نقص من أجره كل يوم قيراطان».

حديث من اتبع جنازة فله من الأجر قيراط:

قال الطاعن: (ومنها: أن ابن عمر سمعه يحدث: «بأن من اتبع جنازة فله قيراط من الأجر» فقال: أكثر علينا أبو هريرة ولم يصدقه حتى بعث إلى عائشة يسألها عن ذلك فروت له فصدّق حينئذ والحديث في هذا ثابت).

قلت: في فروع الكافي»(٣/ ١٧٣): عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من مشى مع جنازة حتى يصلّى عليها ثم رجع كان له قيراط من الأجر، فإذا مشى معها حتى تدفن كان له قيراطان، والقيراط مثل جبل أحد».

وفي (٣/ ١٧٣) عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من تبع جنازة كتب الله من الأجر له أربع قراريط: قيراط باتباعه، وقيراط للصلاة عليها، وقيرط بالانتظار حتى يفرغ من دفنها، وقيراط للتعزية».

حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه:

قال الطاعن: (وكذلك فعل عامر بن شريح بن هاني إذ سمع أبا هريرة يحدث:

{بأن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه}[1] فلم يصدق أبا هريرة بذلك حتى سأل عائشة فروته له وفهمته المراد منه والحديث في ذلك ثابت أيضاً).

قال صاحبنا في تعليقه ما نصه:(ولو أردنا استقصاء الموارد التي ردّ فيها السلف حديث أبي هريرة وأنكروا فيها عليه لطال بنا الكلام، وهذا القدر كاف لما أردناه والحمد لله).

قلت: هذه الاتهامات الصادرة من هذا الطاعن لأبي هريرة رضي الله عنه كلّها باطلة لا أساس لها من الصحة من أولها إلى آخرها، لأن الروايات التي أسردناها كلّها موافقة لروايات أهل البيت رضي الله عنهم، وكما أن علماءكم استشهدوا واستدلوا بها وأثبتوها في مصادرهم.

أقول: وقد ورد هذا الحديث في أصح وأحسن كتاب وهو «الكافي» كما ادعيت في مراجعاتك (ص٣٩٠): (وأحسن ما جمع منها - أي من الأصول الأربعمائة - الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان وهي: الكافي.... وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها..).

فعن عبد الصمد بن بشير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت: أصلحك الله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه؟ قال: نعم. قلت: فوالله إنا لنكره الموت، فقال: ليس ذلك حيث تذهب إنما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحب فليس شيء أحب إليه من أن يتقدم والله تعالى يحب لقاءه

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٠٧)، ومسلم برقم (٢٦٨٣).

وهو يحب لقاء الله حينئذ وإذا رأى ما يكره فليس شيئ أبغض إليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه»[1].

وكذلك روي عن الإمام السجاد عليه السلام هذا الحديث: (هذا ما ورد من قوله عز وجل من أحب لقاء الله أحب الله لقائه، ومن كره لقاء الله كره الله لقائه، لأن هذا كما جاء في الروايات إنما هو حال الموت..).

وما بعد الحق إلا الضلال.

وقال آخر في كتاب له تحت عنوان النبي! يتنازل في أحكام الله حسبما يريد:

قال: (عن أبي هريرة قال: {بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت. قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا. قال: فمكث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبينا نحن على ذلك أتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعرق فيها تمر والعرق المكتل قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتيها -يريد الحرتين- أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك}.

فعلق قائلاً: (انظر كيف تصبح أحكام الله وحدود الله التي رسمها لعباده من تحرير رقبة على الموسرين والذين لا يقدرون على تحرير رقبة فما عليهم إلا إطعام ستين مسكيناً وإذا تعذر وكان فقيراً فما عليه إلا بالصوم وهو كفّارة الفقراء الذين لا يجدون أموالاً كافية لتحرير أو لإطعام المساكين، ولكن هذه الرواية تتعدى حدود الله التي

---

(١) فروع الكافي (٣/ ١٣٤).

رسمها لعباده ويكفي أن يقول هذا الجاني كلمة يضحك لها الرسول حتى تبدو أنيابه فيتساهل في حكم الله ويبيح له أن يأخذ الصدقة لأهل بيته، وهل هناك أكبر من هذه الفرية على الله ورسوله ﷺ فيصبح الجاني مجازاً على ذنبه الذي تعمده بدلاً من العقوبة، وهل هناك تشجيعاً أكبر من هذا لأهل المعاصي والفسقة الذين سيتشبثون بمثل هذه الروايات المكذوبة ويرقصون لها، وبمثل هذه الروايات أصبح دين الله وأحكامه لعباً وهزؤا، وأصبح الزاني يفتخر بارتكابه الفاحشة ويتغنى باسم الزاني في الأعراس والمحافل كما أصبح المفطر في شهر الصيام يتحدى الصائمين).

قلت: هذا الحديث يرويه أئمة آل البيت رحمهم الله.

ففي «البحار»(٩٦/ ٢٨٢ رواية ١٣ -كتاب الصوم باب ما يوجب الكفارة وأحكامها -): روينا عن علي عليه السلام أنه قال: «أتى رجل إلى رسول الله ﷺ في شهر رمضان فقال: يا رسول الله إني قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: باشرت أهلي فغلبتني شهوتي حتى وصلت. قال: هل تجد عتقاً؟ قال: لا والله، وما ملكت مملوكاً قط. قال: فصم شهرين. قال: والله ما أطيق عليّ الصوم. قال: فانطلق فاطعم ستين مسكيناً. قال: والله ما أقوى عليه. قال: فأمر له رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً وقال: اذهب فأطعم ستين مسكيناً لكل مسكين مدّ، قال: يا رسول الله والذي بعثك ما بين لابتيها من بيت أحوج منّا، قال: فانطلق فكله أنت وأهلك».

وفي (ص٩٦/ ٢٧٩رواية ٢): عن عبد المؤمن الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: هلكت هلكت، فقال: وما أهلكك؟ قال: أتيت امرأتي في شهر رمضان وأنا صائم فقال له النبي ﷺ: أعتق رقبة، فقال: لا أجد. قال: فصم شهرين متتابعين فقال: لا أطيق. فقال: تصدق على ستين مسكيناً قال: لا أجد. قال: فأتى النبي ﷺ بعرق أو مكتل فيه خمسة عشر صاعاً من تمر، فقال النبي ﷺ:

خذها وتصدق بها، فقال: والذي بعثك بالحق بينا ما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، فقال: خذه وكله أنت وأهلك فإنه كفّارة لك».

وفي (ص٢٨١ رواية ٩):عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن رجل أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً فقال: «إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هلكت يا رسول الله! فقال: ومالك؟ فقال: النار يا رسول الله فقال: وما لك؟ فقال: إني وقعت بأهلي في رمضان قال: تصدق واستغفر الله فقال الرجل: فوالذي عظم حقك....

وقال ابن أبي عمير: فوالذي بعثك بالحق - ما تركت في البيت شيئاً قليلاً ولا كثيراً:

قال: فدخل رجل من الناس بمكتل تمر فيه عشرون صاعاً يكون عشرة أصوع بصاعنا هذا هنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خذ هذا التمر فتصدق فقال: يا رسول الله! على من أتصدق به وقد أخبرتك أنه ليس في بيتي قليل ولا كثير فقال: خذه وأطعمه عيالك واستغفر الله».

حديث تخفيف خمسين صلاة إلى خمس صلوات:

قال صاحبنا: (وأخرج البخاري في صحيحه قصة عجيبة وغريبة تحكي معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقاءه مع ربه، وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: {ثم فرضت عليّ خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت عليّ خمسون صلاة. قال: أنا أعلم بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله. فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشراً، فأتيت موسى فقال: مثله فجعلها خمساً، فأتيت موسى

فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمساً فقال مثله، قلت: فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشراً}(١).

وفي رواية أخرى نقلها البخاري أيضاً، وبعد مراجعة محمد ربه عديد المرات وبعد فرض الخمس صلوات، طلب موسى من محمد أن يراجع ربه للتخفيف لأن أمته لا تطيق حتى الخمس صلوات، ولكن محمداً أجابه: قد استحييت من ربي.

نعم اقرأ واعجب من هذه العقائد التي يقول بها علماء السنة والجماعة، ومع ذلك فهم يشنعون على الشيعة أتباع أئمة أهل البيت في القول بالبداء.

وهم في هذه القصة يعتقدون بأن الله سبحانه فرض على محمد ﷺ وأمته خمسين صلاة، ثم بدا له بعد مراجعة محمد إياه أن يجعلها أربعين، ثم بدا له بعد مراجعة ثانية أن جعلها ثلاثين، ثم بدا له بعد مراجعة ثالثة أن جعلها عشرين ثم بدا له بعد مراجعة رابعة أن جعلها عشراً، ثم بدا له بعد مراجعة خامسة أن جعلها خمساً.

ومن يدري لولا استحياء محمد من ربه لجعلها واحدة، أو لأسقطها تماماً.

استغفر الله العلي العظيم من هذا القول الشنيع! ولست أشنع عليهم من أجل القول بالبداء..).

ويواصل صاحبنا قائلاً: (ولكن تشنيعي أنا لهذه القصة بالذات وهي - مساومة محمد ﷺ ربه في فرض الصلوات - لما فيها من نسبة الجهل إلى الله ﷻ ومن انتقاص لشخصية أعظم إنسان عرفه تاريخ البشرية، وهو نبينا محمد ﷺ إذ تقول الرواية بأن موسى قال لمحمد: أنا أعلم بالناس منك. وتجعل هذه الرواية الفضل والمزية لموسى الذي لولاه لما خفف الله عن أمة محمد.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧).

ولست أدري كيف يعلم موسى بأن أمة محمد لا تطيق حتى خمس صلوات في حين أن الله لا يعلم ذلك ويكلف عباده بما لا يطيقون فيفرض عليهم خمسين صلاة؟!

وهل تتصوّر معي أخي القارئ كيف تكون خمسين صلاة في اليوم الواحد فلا شغل ولا عمل، ولا دراسة ولا طلب الرزق ولا سعي ولا مسئولية، فيصبح الإنسان كالملائكة مكلف بالصلاة والعبادة، وما عليك إلا بعملية حسابية بسيطة لتعرف عدم صحة هذه الرواية، فإذا ضربت عشر دقائق - وهو الوقت المعقول لأداء فريضة واحدة للصلاة الجماعة- في الخمسين فسيكون الوقت المفروض بمقدار عشر ساعات، وما عليك إلا بالصبر، أو أنك ترفض هذا الدين الذي يكلف أتباعه فوق ما يتحملون ويفرض عليهم ما لا يطيقون، ولعل أهل الكتاب من يهود ونصارى عذرهم مقبول في التمرد على موسى وعيسى ولكن أي عذر يبقى لهم في اتباع محمد الذي وضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فإذا كان أهل السنة والجماعة يشنعون على الشيعة قولهم بالبداء، وأن الله سبحانه يبدو له فيغير ويبدل كيف يشاء فلماذا لا يشنعون على أنفسهم في قولهم بأن الله سبحانه يبدو له فيغير ويبدل الحكم خمس مرّات في فريضة واحدة وفي ليلة واحدة وهي ليلة المعراج..).

قلت: سبحان الله ما مدى جهل هذا الدكتور!! يحتج على فرض خمسين صلاة في اليوم والليلة، ولا يحتج على الذين كانوا يصلّون في اليوم والليلة ألف صلاة!!

فهذا الحر العاملي بوّب في كتابه «الوسائل»(٣/ ٧١) كتاب الصلاة «باب استحباب صلاة ألف ركعة في كل يوم وليلة بل كل يوم وكل ليلة إن أمكن» وفيه تسعة أحاديث عن أئمة أهل البيت فراجع.

وأيضاً (٥/ ١٧٦) «باب استحباب صلاة ألف ركعة في كل يوم وليلة بل في كل يوم وفي كل ليلة من شهر رمضان وغيره مع القدرة» وفيه حديث.

وإليك أيها القارئ حديثاً من هذه الأحاديث:

ففي «البحار»(٨٢/ ٣١٠ح١٦): عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «والله إن كان علي عليه السلام ليأكل أكلة العبد -إلى أن قال- وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة».

وفي (٤١/ ١٥ح٦ و٨٢/ ٣٠٩ ح١٠): وعنه أنه قال: «كان علي بن الحسين يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين».

ثم أن الزمان لا يتسع لألف ركعة لمن ولي أمر المسلمين مع سياسة الناس وأهله، إلا أن تكون صلاته نقراً كنقر الغراب، وهي صلاة المنافقين التي نزّه الله عنها علياً رضي الله عنه.

ثم لماذا هذا الاستنكار من خمسين صلاة، مع أن هذا من صفات الشيعة!!

فقد روى الصدوق عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع -إلى أن قال- وأهل الزهد والعبادة أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة!!!».

بل أن مجموع النوافل مع الفرائض عند الشيعة هو (٥١) ركعة!!

قال ميرزا حسن الحائري في كتابه «أحكام الشيعة»(١/ ١٧٢) في باب «النوافل اليومية»: (وأما النوافل اليومية فمجموعها ضعف مجموعة فرائضها، فهي ٣٤ ركعة).

لقد مَلئت مصادر الشيعة الفقهية والحديثية والتفاسير أمثال هذه الروايات.

وعدّ علماء الشيعة هذا معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد أخرج هذا الحديث ابن بابويه القمي (الصدوق) في كتابه «العلل»(ص١٣٢ح١) باب ١١٢- العلة التي من أجلها لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل التخفيف عن أمته من خمسين صلاة حتى سأله موسى والعلة التي من أجلها لم يسأل

التخفيف عنهم من خمس صلوات.

عن الحسين بن علوان بن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عليه السلام قال: سألت أبي سيد العابدين عليه السلام فقلت له: يا أبه أخبرني عن جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله لما عرج به إلى السماء أمره ربه عز وجل بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقال: يا بني أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يقترح على ربه عز وجل ولا يراجعه في شيء يأمره به، فلما سأله موسى عليه السلام ذلك فكان شفيعاً لأمته إليه لم يجز له رد شفاعة أخيه موسى، فرجع إلى ربه فسأله التخفيف إلى أن ردّها إلى خمس صلوات، قال: قلت له: يا أبه فلم لا يرجع إلى ربه عز وجل ويسأله التخفيف عن خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف؟ فقال له: يا بني أراد صلى الله عليه وآله أن يحصل لأمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة يقول الله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

فهذا إقرار من الإمام بأن هذا التخفيف رحمة من الله تعالى ولطفه بعبادة المؤمنين.

فلماذا هذا الجهل؟

قال التويسركاني في تعليقه على الرواية في كتابه «اللآلي»(٤/ ٢٢ -٢٣ باب في سبب صيرورة الصلاة خمساً والخمس تكتب خمسين) ما نصه: (أقول: والوجه أن من جاء من هذه الأمة المرحومة بالحسنة فله عشر أمثالها، وقد مرّ حديث مبسوط... وما يدل على سهولة أمر التوبة لهذه الأمة وصعوبتها على الأمم الماضية مضافاً إلى ما مرّ فيه... ومما يشعر بفضل التوبة أن الله جعل صاحب اليمين أميراً على صاحب الشمال مما دلّ أن مطلق الحسنة من هذه الأمة يكتب لعامله عشراً).

ونكتفي بعد بهذه الفتوى لسماحة فقيههم آية الله العظمى الميرزا الشيخ جواد

التبريزي في كتاب «صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات»(٣/ ٤٢٣ سؤال ١٢٣٣): (قال السائل: ما رأيكم في الرواية التي يذكرها القمي في تفسيره، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام التي يذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في انحداره ليلة المعراج مرّ على الكليم عليه السلام فسأله عما فرض الله تعالى على أمته، فأجابه خمسون صلاة فقال: إن أمتك لا تقدر عليها فارجع إلى ربك... فرجع إلى ربه حتى بلغ سدرة المنتهى.... الرواية. هل هي معتبرة من جهة الدلالة أم لا؟

قال سماحتهم التبريزي: (الرواية بحسب السند لا بأس بها، فقد رواها الصدوق في «الفقيه» أيضاً وقد ورد في بعض الروايات، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلب من ربّه تخفيف الصلاة عن الأمة، فخففها الله سبحانه إلى عشر ركعات، ثم أضاف إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع ركعات، وطلبه هذا الأمر من ربّه فهو لإشفاقه على الأمة، وأجاب ربّه إليه صلى الله عليه وآله وسلم فهو كرامة له).

وختاماً هذه بعض روايات أبي هريرة رضي الله عنه من طرق الإمامية:

فمن هؤلاء: شيخهم المفيد المتوفى سنة (٤١٣ هـ).

محمد بن- علي بن الحسين بن بابوبه القمي الملقب بالصدوق المتوفى سنة(٣٨١ه).

محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة المتوفى سنة (٤٦٠ هـ).

محمد بن علي بن عثمان الكراجكي المتوفى سنة (٤٤٩ هـ).

قطب الدين الراوندي المتوفى سنة (٥٧٣ هـ).

محمد بن محمد بن الأشعث في الجعفريات.

جعفر بن أحمد القمي.

الشريف الزاهد محمد بن علي الحسيني.

محيي الدين أبي حامد بن علي بن زهرة الحسيني وغيرهم.

وإليك بعض هذه الروايات التي رووها بأسانيدهم الخاصة:

أولاً: أسانيد الشيخ المفيد:

١- المفيد ففي «أمالي»(ص١١١): عن الحسين بن محمد التمار، عن محمد بن القاسم، عن موسى بن محمد الخياط، عن إسحاق بن إبراهيم الخراساني، عن شريك عن عبد الله بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:...الحديث (والبحار ١٨/ ٥).

٢- المفيد في «أمالي»(ص ٣١٧):حدثنا أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال:حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح القاضي قال:حدثنا مسروق ابن المرزبان قال: حدثنا حفص عن عاصم بن أبي بعثمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

٣- المفيد في «أمالي»(ص ١١١-١١٢): حدثنا أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال:حدثنا محمد ين يحيى بن سليمان بن زياد المروزي قال: حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

ثانياً: أسانيد الشيخ الصدوق:

١ - الصدوق: عن عبد الله بن حامد، عن الحسن بن محمد بن إسحاق عن الحسين بن إسحاق الدقاق عن عمر بن خالد عن عمر بن راشد عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال:..... الحديث. [البحار ١٨/ ١٠٦-١٠٧]

٢ - الصدوق في «معاني الأخبار»(ص ٨٠و ٩٨): القاسم بن محمد بن أحمد الهمداني عن أحمد بن حسين عن إبراهيم ابن أحمد البغدادي عن أبيه عن عبد السلام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة

قال.... الحديث (بحار الأنوار ٢٢/ ٢٣٨).

٣- الصدوق في «إكمال الدين»(ص١٣٦): محمد بن عمر البغدادي عن محمد بن الحسن بن حفص عن محمد بن عبيد عن صالح بن موسى عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:... الحديث. (والبحار ٢٣/ ١٣٢).

٤- الصدوق: إبراهيم بن هارون عن أبي بكر احمد بن محمد عن محمد بن يزيد القاضي عن قتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد وإسماعيل بن جعفر عن أبيه عن أبي هريرة قال:... الحديث (البحار ٢٧/ ٥).

٥- الصدوق في الخصال: الخليل بن أحمد عن ابن منيع عن مصعب عن مالك عن أبي عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد الخدري أو عن أبي هريرة قال... الحديث.

٦ الصدوق في الخصال: الخليل عن أبي العباس السراج عن قتيبة عن رشيد بن سعد البصري عن شراحيل بن يزيد عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة... الحديث.

٧- الصدوق في الخصال: الخليل بن احمد عن معاذ عن الحسين المروزي عن محمد بن عبيد عن داود الأودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.... الحديث.

٨ الصدوق في الخصال: عن الخليل عن ابن صاعد عن اسحاق بن شاهين عن خالد ابن عبد الله عن يوسف بن موسى عن حريز بن سهيل عن صفوان عن أبي يزيد عن القعقاع بن اللجلاج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ.... الحديث.

٩ - الصدوق في الخصال: عن الخليل بن أحمد عن أبي العباس السراج عن قتيبة عن بكر بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.... الحديث.

١٠ - الصدوق في الخصال: ابن بندار عن جعفر بن محمد بن نوح عن عبد الله بن

أحمد بن حماد عن الحسن بن علي الحلواني عن بشير بن عمر عن مالك بن أنس عن سعيد بن أبي المقبري عن أبي هريرة قال.... الحديث (البحار ٧٦/ ٦٨).

١١- الصدوق في الخصال: عن الخليل عن محمد بن معاذ عن علي بن خشرم عن عيسى بن يونس عن أبي معمر عن سعيد الغنوي عن أبي هريرة... الحديث.

١٢- الصدوق في الخصال: عن محمد بن عبد الله الشافعي عن محمد بن جعفر بن الأشعث عن محمد بن إدريس عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن عمربن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال.... الحديث (البحار ٧٦/ ٩٨).

١٣- الصدوق في الخصال: الخليل عن ابن معاذ عن الحسين المروزي عن عبد الله عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال.... الحديث.

١٤ - الصدوق في الخصال: الخليل عن ابن منيع عن أبي بكر بن أبي شيبة عن معوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال....الحديث.

١٥- الصدوق في الخصال: الخليل عن ابن صاعد عن حمزة بن العباس عن يحيى بن نصر عن ورقاء بن عمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة... الحديث.

١٦- الصدوق في الخصال: محمد بن أبي عبد الله الفرغاني عن محمد بن جعفر بن الأشعث عن أبي حاتم عن محمد بن عبد الله عن ابن جريج عن أبي الزبير عن عمر بن تيهان عن أبي هريرة..... الحديث (البحار ١٠٤/ ١٠٢).

١٧- الصدوق في الخصال: القاسم بن محمد بن أحمد عن الحسن بن علي بن نصر عن محمد ابن عثمان عن عبيد الله بن موسى عن شبيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال... الحديث (البحار ١٠٤/ ٢٥٣).

١٨- الصدوق في ثواب الأعمال: ابن المتوكل عن محمد بن جعفر عن موسى بن

عمران عن عمه الحسين بن يزيد عن حماد بن عمرو النصيبي عن أبي الحسن الخراساني عن ميسرة بن عبد الله عن أبي عائشة السعدي عن يزيد بن عمر بن عبد العزيز عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس قال.... الحديث.

١٩- الصدوق في ثواب الأعمال: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن محمد بن جعفر عن موسى بن عمران بإسناده عن أبي هريرة وابن عباس قالا... الحديث.

٢٠- الصدوق في ثواب الأعمال: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن محمد بن جعفر عن موسى بن عمران عن الحسين بن يزيد عن حماد عن عمرو عن أبي الحسن الخراساني عن ميسر عن عبد الله عن أبي عائشة السعدي عن يزيد عن عمر بن عبد العزيز عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس... الحديث.

٢١- الصدوق في ثواب الأعمال: ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن أبي الجوزاء عن ابن علوان عن عمرو بن خالد عن أبي هاشم عن أبي جبير عن أبي هريرة... الحديث (البحار ٩٦/ ٢٥٣).

٢٢ - الصدوق في اماليه: عن الحسن بن عبد الله بن سعيد عن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم عن محمد بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي بسلمة عن أبي عمر الصنعاني عن العلا بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة...(البحار ٧٢/ ٣٦ و٧٥/ ١٤٣).

٢٣ - الصدوق في العلل: عن أبي الهيثم عبد الله بن محمد عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور عن سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال..... الحديث (البحار ٨٣/ ١٥).

٢٤- الصدوق في العلل: ابن إدريس عن أبيه عن الأشعري عن الجاموراني عن

الحسن بن علي عن أبي عثمان عن حفص بن غياث عن ليث عن سعد عن عمر بن أبي سلمة عن أبي هريرة... الحديث (البحار ١٠٣/ ١٤٢).

٢٥- الصدوق في «التوحيد»(التوحيد ص٢٦ ح ٢٥): حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الأنماطي قال: أخبرنا أبو عمرو أحمد بن الحسن بن غزوان، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد قال: حدثنا داود بن عمرو، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، عن زيد بن أسلم، عن عطار بن يسار عن أبي هريرة قال.... الحديث.

ثالثاً: أسانيد الكراجكي في كنز الفوائد:

١- ففي:(١/ ١٤٨): حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان عن محمد بن أحمد الشاشي عن أحمد بن زياد القطان عن يحيى بن أبي طالب عن عمرو بن عبد الغفار عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال.. الحديث

.٢- وفي (١/ ٢٠٧):حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد الأزدي قال: حدثنا أبو زيد عمرو بن أحمد العسكري بالبصرة قال: حدثنا أبو أيوب قال: حدثنا أحمد بن الحجاج قال: حدثنا ثوبان ابن إبراهيم عن مالك بن مسلم عن أبي مريم عن أبي صالح عن أبي هريرة..... الحديث.

رابعاً: أسانيد الشيخ الطوسي:

١- الطوسي في أماليه: أبو عمرو، عن ابن عقدة، عن أحمد بن يحيى، عن عبد الرحمن عن أبيه، عن أبي معشر، عن سعيد، عن أبي هريرة... الحديث.

٢- الطوسي: المفيد، عن محمد بن الحسن المقري، عن محمد بن سهل العطار، عن أحمد بن عمر الدهقان، عن محمد بن كثير، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة قال.... الحديث (البحار ٤١/ ٣٤).

٣- الطوسي في أماليه: أبا عمرو، عن ابن عقدة، عن يحيى بن زكريا بن شيبان، عن أرطأة بن حيدر، عن أبوب بن واقد، عن يونس بن حباب، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال..... الحديث (البحار ٤٣/ ٢٦٤).

٤- الطوسي في أماليه: جماعة، عن أبي المفضل، عن محمد بن جرير الطبري، عن عمرو بن علي عن عمرو بن خليفة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة: قال..

٥- الطوسي في أماليه: ابن مخلد عن محمد بن عمرو بن البختري عن محمد بن أحمد بن أبي العوام عن عبد الوهاب بن عطا عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة... الحديث (البحار ٧١/ ٣٨٩-٣٩٠).

٦- الطوسي في أماليه: المفيد عن محمد بن المظفر عن محمد بن عبد ربه عن عصام بن يوسف عن أبي بكر بن عياش عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال... الحديث (البحار ٧٢/ ٦٤).

٧- الطوسي في أماليه: جماعة عن أبي المفضل عن الحسين بن موسى عن عبد الرحمن بن خالد عن زيد بن حباب عن حماد عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة.... الحديث (البحار ٧٤/ ٣٦٨)

٨- الطوسي في أماليه: المفيد عن الجعابي عن محمد بن صالح القاضي عن مسروق ابن المرزبان عن حفص عن عاصم بن أبي عثمان عن أبي هريرة قال... الحديث.

٩- الطوسي في أماليه: ابن الشيخ عن أبيه عن محمد بن محمد بن مخلد عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي عن يحيى بن أبي طالب عن عبد الرحمن ابن علقمة عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن زياد عن أبي هريرة.... الحديث (البحار ٨٠/ ٢٦٧).

١٠- الطوسي في أماليه: ابن الشيخ عن أبيه عن محمد بن محمد بن مخلد عن عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك عن أحمد بن علي بن الخزاز عن يحيى بن عمران عن سليمان بن أرقم عن الحسن عن أبي هريرة.... الحديث (البحار ٨١/ ٣١٣).

١١- الطوسي في أماليه: المفيد عن التمار عن علي بن ماهان عن الحارث بن محمد بن داهر عن داود بن المخبر عن عباد بن كثير عن سهيل بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال..... الحديث (البحار ٧٥/ ١٠٠).

١٢- الطوسي في أماليه: المفيد عن محمد بن الحسين البزوفري عن أبيه عن الحسين بن إبراهيم عن علي بن داود عن آدم العقلاني عن أبي عمر الصنعاني عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي هريرة...الحديث (البحار ٧٥/ ١٠٠).

١٣- الطوسي في أماليه: ابن مخلد عن الرزاز عن العباس بن حاتم عن يعلي بن عبيد عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال.... الحديث (البحار ٧٥/ ١٨٩).

١٤- الطوسي في أماليه: محمد بن عبد الغني بن سعيد بن عثمان بن محمد السمرقندي عن محمد بن حماد الطهراني عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.... الحديث (البحار ٧٥/ ٣١٠)

١٥- الطوسي في أماليه: عن المفيد عن الحسين بن علي التمار عن أحمد بن محمد عن لعنزي عن علي بن الصباح عن أبي المنذر عن أبي صالح عن أبي هريرة....

١٦- الطوسي في أماليه: عن المفيد عن ا لحسين بن علي التمار عن محمد بن يحيى بن سليمان عن داود عن جعفر بن إسماعيل عن عمرو بن أبي عمرو عن المقيري عن أبي هريرة قال... الحديث (البحار ٨٧/ ٢٠٧).

١٧- الطوسي في أماليه: عن محمد بن محمد بن مخلد عن عثمان بن أحمد الدقاق عن عبيد بن عبد الواحد عن ابن أبي مريم عن نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي سليمان المدني عن يريد بن أبي القتاة وابن المقبري عن أبي هريرة قال....الحديث.

١٨- الطوسي في أماليه: بالإسناد إلى الرقاشي عن أبيه عن محمد بن مروان عن المعارك أن عباد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة.... الحديث.

١٩- الطوسي في أماليه: ابن بشران عن إسماعيل بن محمد الصفار عن الحسن بن عرفة عن حريز بن عبد الحميد عن عمارة ابن القعاقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال... الحديث (البحار ٩٦/ ١٧٨).

٢٠- الطوسي في أماليه: المفيد عن الجعابي عن محمد ين يحيى بن سليمان المروزي عن عبيد الله بن محمد العبسي عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة قال.... الحديث (البحار ٩٦/ ٣٦٦ و٩٧/ ١٧).

٢١- الطوسي في أماليه: بالإسناد المتقدم إلى حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال..... الحديث (البحار ٩٦/ ٣٦٦).

٢٢- الطوسي في أماليه: الحفار عن أبي القاسم الدعبلي عن محمد بن غالب عن أبي عمير الحوصي عن الحسن بن أبي جعفر عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال..... الحديث (البحار ١٠٤/ ٢٥٣- ٢٥٤).

٢٣- الطوسي في أماليه: عن محمد بن محمد بن مخلد عن محمد بن يونس القرشي عن سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال...الحديث (البحار ٦٦/ ٢٣١، المستدرك ١٦/ ٤٢١ - ٤٢٤).

خامساً: أسانيد الشيخ ابن الراوندي:

١- ابن الرواندي في كتاب النوادر: عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي بكر محمد عن محمد بن عمرو بن مذعورة عن أبي هريرة.... الحديث (البحار٩٦/ ٣٤٦، المستدرك ٧/ ٤٨١-٤٨٢).

٢- ابن الراوندي في كتاب النوادر: عن عبد الجبار بن أحمد عن الحاكم أبي الفضل الترمذي عن عبد الله بن صالح عن محمد بن أحمد عن إسماعيل بن إسحاق عن إبراهيم بن حمزة عن عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة قال..الحديث (البحار ٩٦/ ٣٤٨، المستدرك ٧/ ٤٢٦).

٣- ابن الراوندي في كتاب النوادر: عن الوراق عن أبي محمد عن عماد بن أحمد عن الحسين ابن علي عن محمد بن العلاء عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة..... الحديث (البحار ٩٦/ ٣٥٠، المستدرك٧/ ٤٢٩).

٤- ابن الراوندي في كتاب النوادر: عن أحمد بن عمران بن موسى عن أحمد بن هشام عن أحمد بن عبد الله بن أبي نصر عن يزيد بن هارون عن هشام بن أبي هشام عن محمد بن محمد عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال....الحديث(المستدرك ٧/ ٤٢٨).

سادساً: أسانيد إسماعيل بن موسى:

١- إسماعيل بن موسى بن جعفر في الجعفريات: أخبرنا الشريف أبو الحسن علي بن عبد الصمد الهاشمي صاحب الصلاة بواسط حدثنا الأبهري حدثنا عبد الله بن محمد الحافظ قال: حدثنا محمد بن آدم المصيصي قال: حدثنا عبد الواحد بن سليمان قال: حدثنا عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة... الحديث.

٢- الجعفريات: عن محمد بن بريد المقرئ حدثنا أيوب بن النجار حدثنا الطيب

بن محمد عن عطا عن أبي هريرة قال.... الحديث (المستدرك ٨/ ٢١٠).

٣- الجعفريات: قال محمد بن الأشعث: أخبرنا الشريف أبو الحسن علي بن عبد الصمد الهاشمي صاحب الصلاة بواسط قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الأبهري الفقيه المالكي حدثنا أبو عبد الله بكر بن محمد بن إبراهيم الضرير بن المصيص الزاهد، وكان ثقة، قال: حدثنا إبراهيم بن ربيعة عن أبي هريرة.... الحديث.

٤- الجعفريات: أخبرنا عبد الله أخبرنا محمد بن الأشعث قال: وحدثني الزبير محمد بن خلف بن عمر بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان قال: حدثني علي بن عبد الله بن الجبار قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن المزني عن محمد بن عجلان عن عجلان عن أبي هريرة قال.... الحديث (المستدرك ١٢/ ٣٣٩ - ٣٤٠).

٥- الجعفريات: أخبرنا عبد الله أخبرنا محمد بن الأشعث حدثنا محمد بن بريد المقرئ حدثنا أيوب بن النجار حدثنا الطيب بن محمد عن عطا عن أبي هريرة.... الحديث.

٦- الجعفريات: عن الشريف أبي الحسن علي بن عبد الصمد بن عبيد الله الهاشمي عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الأبهري الفقيه المالكي عن أحمد بن عمير عن ادريس عن أسباط عن العلاء بن هارون ع موسى بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال.... الحديث (المستدرك ١٣/ ٢٨١- ٢٨٢).

٧- الجعفريات: أخبرنا عبد الله أخبرنا محمد بن الأشعث حدثنا محمد بن بريد المقرئ حدثنا أيوب بن النجار حدثنا الطيب بن محمد عن عطا عن أبي هريرة.... الحديث.

٨- الجعفريات: عن الشريف أبي الحسن علي بن عبد الصمد بن عبيد الله الهاشمي عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الأبهري عن عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري الحافظ قال: حدثنا محمد بن آدم بن سليمان المصيصي قال: حدثنا عبد الواحد بن سليمان العبدي قال: حدثنا عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال.. الحديث (المستدرك ١٦/ ٢٣٧).

سابعاً: أسانيد جعفر بن أحمد القمي:

١- جعفر بن أحمد القمي في الأخبار المسلسلات:حدثنا محمد بن علي الحسين وشبك بيدي قال:شبك بيدي عتاب بن محمد بن عتاب أبو القاسم قال: شبك بيبدي أحمد بن محمد بن عمار ببغداد وقال لنا: شبك بيدي محمد بن همام العراقي قال: شبك بيدي إسماعيل بن إبراهيم قال:شبك بيدي عبد الكريم بن هشام قال شبك بيدي إبراهيم بن أبي يحيى قال: شبك بيبدي صفوان بن سليمان قال: شبك بيدي أيوب بن خالد قال: شبك بيدي عبيد الله بن رافع قال: شبك بيدي أبو هريرة قال: شبك بيدي رسول الله ﷺ وقال:.... الحديث (البحار ٥٧/ ١٠٤).

ثامناً: أسانيد الشيخ محمد بن علي الحسيني:

١ - الشيخ محمد بن علي الحسيني في كتاب التعازي بإسناده: عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال.... الحديث (المستدرك ٢/ ٢٤٦).

تاسعاً: أسانيد الشيخ محيي الدين ابن أخي ابن أبي زهرة:

١ - ابن زهرة في أربعينه: عن أبي المحاسن يوسف بن رافع، عن القاشي أبي الرضا سعيد بن عبد الله الشهرزوري، عن أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن الخطيب، عن أبي القاسم هبة الله بن عبد الوارث، عن أبي زرعة أحمد بن يحيى، عن أبي محمد الحسن بن إبراهيم، عن جعفر بن درستويه، عن محمد بن عبد الله بن عمار عن المعافي

عن محمد بن أبي حميد الأنصاري، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة..... الحديث.

٢ - ابن زهرة في أربعينه: أخبرنا القاضي الإمام شيخ الإسلام أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، بقراءتي عليه في الرابع عشر من جمادي الآخرة من سنة ثماني عشرة وستمائة، قال: أخبرنا القاضي الإمام فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، سماعاً عليه في جمادي الآخرة سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن الخطيب الكشمهيني، بقراءتي عليه يوم السبت سابع عشر شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد الشيرازي، كتبه لي بخطه في شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وأربعمائة، قال: أخبرنا أبو القاسم الحسين بن أحمد بن الحسين التميمي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن يعقوب الطابشي قال: حدثنا: أبو محمد المنتصر بن نصر بن المنتصر بن تميم قال: حدثنا أبو حفص عمر بن مدرك القاضي قال: حدثنا أبو عبد الرحمن العيشي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان، عن عثمان بن أبي سودة، عن أبي هريرة قال... الحديث (المستدرك ١٠/ ٣٧٥).

٣- ابن زهرة في أربعينه: أخبرني القاضي الإمام بهاء الدين شيخ الإسلام أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم - بقرائتي عليه - قال: أخبرنا الإمام أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن محمد الأسدي قال: أخبرنا الشيخ الإمام الأديب الثقة أبو محمد كامكار بن عبد الرزاق قال: أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي المؤذن قال: أخبرنا الشيخ أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد المزكي قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن يحيى الطلحي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدثنا محمد بن الحسن الحضرمي قال: حدثنا إسحاق بن نجيح، عن

أبي جريح، عن عطاء، عن أبي هريرة قال.... الحديث (المستدرك ١٧/ ٢٩٠).

وإلى غير ذلك من الأسانيد التي رووها، وقد اختصرنا كثيراً أمثال هذه الأسانيد، بل وهناك أسانيد كثيرة رواها الحر العاملي في كتابه «وسائل الشيعة» ولكن خوفاً من الإطالة لم نذكرها حتى لا يطول المقام.

وأمثال هذه الأسانيد والأحاديث التي رواها الشيعة في كتبهم الحديثية وغيرها، بل ولا يخلو كتاب من كتبهم إلا استشهدوا واستدلّوا من روايات أبي هريرة رضي الله عنه، وقد شملت مروياته معظم أبواب الفقه: في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والجهاد، والسير، والمناقب، والتفسير، والطلاق، والنكاح، والأدب، والدعوات، والرقاق، والذكر والتسبيح.. وغير ذلك.

فإذا عرفنا هذا وأضفنا إلى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم الذين رووا عنه وقد بلغوا كما قال البخاري: ثمانمائة من أهل العلم والفقه.فما معنى هذا؟ معناه أن الحضارة الإسلامية بعلمائها وفقهائها ودعاتها وأئمتها أخذوا عن أبي هريرة رضي الله عنه كثيراً مما أسسوا علمهم وفقههم ودعوتهم! وهذه الأحاديث أساس في كل علم وفقه ومن حيث أن هذه الأمة غنية بعلمائها وفقهائها وأن هؤلاء جميعاً أخذوا من الأحاديث التي رويت عن أبي هريرة واجتهدوا على أساسها...يعتمدون في كل ذلك على ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ..أينما ذهبت من التوحيد أو المعاملات أو الأخلاق أو الفضائل أو الغيبيات أو غير ذلك من أمور هذا الدين وجدت شيئاً من أحاديث رواها أبو هريرة رضي الله عنه.

هذا من الناحية العلمية النظرية، فماذا من الناحية التطبيقية السلوكية؟!

اعجب واعجب «يا الطاعن المفتري»!! ما من مسلم.. ما من مسلمة منذ أن لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلى يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة.. ما من مسلم أو

مسلمة عبد الله أو تخلق بخلق يحبه الله أو اعتقد عقيدة دعا إليها الإسلام إلا تجد عبادة هذا العابد وخلق هذا الفاضل وعقيدة هذا المعتقد تقوم على شيء مما رواه أبو هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ.

فأبو هريرة أعظم القنوات الموصلة لأحاديث رسول الله ﷺ إلى المسلمين والمسلمات، فهو أعظم الرواة أثراً في سلوك الناس إلى يوم القيامة ليس ذاك لشيء ذاتي فيه كلا وإنما لأن الله شرفه بشرف عظيم شرف تبليغ حديث رسول الله ﷺ إلى الناس...وإنما دعا له النبي ﷺ بذلك لما في ذلك الحب من قوة دافعة تدفع المؤمنين إلى استيعاب أحاديث رسول الله ﷺ التي رواها أبو هريرة ﵁، لأن السامع أنصت ما يكون إلى المتحدث إذا كانت هناك عاطفة حب بين المتحدث والمستمع فإنك إذا كرهت خطيباً كرهت أن تسمع إليه ولو كان يتحدث في خير، وإذا أحببته أحببت أن تستمع إليه بكل حواسك، ويكفي أن علماء الشيعة رووا روايات كثيرة عن أبي هريرة ﵁.

مرويّات أبي هريرة في كتب الشيعة:

وإليك أيها القارئ نماذج بعض كتب الشيعة التي استدل واستشهد بها القوم في مصادرهم ولا يخلو كتاب من كتبهم إلا وذكروا مرويات أبي هريرة ﵁ واستشهدوا بها سواء كانت تلك الأحاديث صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة... عليه ﵁.

وسوف أذكر بعض من تلك المصادر التي استدلوا بها، سواء كانت تلك الكتب فقهية أو حديثية أو تفاسير أو تاريخ أو موعظة أو فضائل إلى آخر.

وسوف أختصر على بعض مصادرهم على سبيل مثال ومنها:

(فروع الكافي، موسوعة بحار الأنوار،، مستدرك الوسائل، وسائل الشيعة، ملاذ

الأخيار، كنز الدقائق، الأنوار النعمانية، إثبات الهدى، ميزان الحكمة، دار السلام، مدينة معاجز، حياة القلوب، الخرائج والجرائح، كشف الغمة، أمالي الطوسي، أمالي الشيخ المفيد، حلية الأبرار، كتاب السرائر، كتاب الخلاف، عوالي اللآلي، مناقب آل أبي طالب، ميكال المكارم، سلوني قبل أن تفقدوني، الروضة البهية، معالي السبطين، صحيفة الأبرار، علم اليقين في أصول الدين، الفرحة الأنسية، قلائد الدرر، إحقاق الحق، تفسير البرهان، وتفسير التبيان، تفسير المجمع، تفسير الكنز، تأويل الآيات، تفسير الميزان، تفسير نور الثقلين، تفسير مرآة الأنوار، جامع الأخبار، الإمام المهدي، ثواب الأعمال، التوحيد، مشارق أنوار اليقين، كمال الدين، الفصول المهمة، مصباح الهداية، الثاقب في المناقب، الجواهر السنية، أمالي الصدوق، قرب الإسناد، الإيقاظ من الهجعة، معاني الأخبار، إعلام الورى، سعد السعود، كتاب الخصال، أمالي للطوسي، عصر الظهور، علي في القرآن، اللوامع النورانية، بغية الطالب، نوادر المعجزات، روضة الواعظين، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، تأويل الآيات الطاهرة، شواهد التنزيل، سيد المرسلين، تفسير نور الثقلين، القطرة من بحار مناقب النبي والعترة، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، المبسوط في فقه الإمامية، الغدير في الكتاب والسنة، الحدائق الناضرة، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، علي في القرآن والسنة، جواهر الكلام، مرآة العقول، حياة الإمام العسكري).

تلك كانت قلّة قليلة من المراجع التي كانت بين أيدينا، وعند اطلاعي على مصادرهم المختلفة وأصولهم الأربعة عندهم كالكافي، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وتهذيب الأحكام، رأيت العجب إذ أن كُلّ رواية أوردوها على لسان إمامهم جعفر الصادق رضي الله عنه حسب زعمهم هي بعينها التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه .

معلومة هامة عن مرويات أبي هريرة رضي الله عنه:

المتتبع لروايات أبي هريرة رضي الله عنه في الكتب التسعة (الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد والدارمي) يجد أن أغلب الصحابة اشتركوا مع أبي هريرة في كل رواياته ما عدا ثمانية أحاديث فقط!!! هل تصدقون هذا؟

والثمانية هي:

١- (بينما رجل راكب بقرة) إلى آخر الحديث، سنن الترمذي المناقب حديث رقم ٣٦١٠

٢- (قرأ رسول الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة:٤] سنن الترمذي صفة القيامة حديث رقم ٢٣٥٣

٣- (أتدرون من المفلس..)، صحيح مسلم، البر والصلة، حديث رقم ٤٦٧٨

٤- (أول من يُدعى يوم القيامة.)، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين حديث رقم ٨٥٥٨

٥- (أظلكم شهركم..)، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين حديث رقم ١٠٣٦٥

٦- (أعذر الله إلى امرئ)، صحيح البخاري، الرقاق، حديث رقم ٥٩٤٠

٧- (أقرب ما يكون العبد)، صحيح مسلم، الصلاة، حديث رقم ٧٤٤

٨- (بينا أيوب يغتسل)، صحيح البخاري، الغسل، حديث رقم ٢٧٠

وختاماً هذه بعض مرويات أبي هريرة ﷺ في آل البيت، نهديها لمن اتهمه بعداوة أهل البيت ﷺ وإخفائه لفضائلهم:

أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: {لأعطين هذه الراية رجلًا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال عمر بن الخطاب ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. قال: فسار علي شيئًا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله}(١).

عن النبي ﷺ أنه قال لحسن: {اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه. وقال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي بعد ما قال رسول الله ﷺ ما قال}(٢).

لا أزال أحب هذا الرجل بعدما رأيت رسول الله ﷺ يصنع ما يصنع رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ والنبي ﷺ يدخل لسانه في فمه ثم قال: {اللهم إني أحبه فأحبه}(٣).

{كنت مع علي بن أبي طالب حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة، فقال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنا ننادي: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر، فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج هذا البيت بعد

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٨٨٤)، ومسلم برقم (٢٤٢١).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٥) (٤٧٩١).

العام مشرك، قال: فكنت أنادي حتى صحل صوتي}(١). وفي رواية: {كنت مع علي بن أبي طالب أنادي بالمشركين، فكان علي إذا صحل صوته، أو اشتكى حلقه، أو عيي مما ينادي، ناديت مكانه،..كنا نقول: لا يحج بعد العام مشرك، فما حج بعد ذلك العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة، فمدته إلى أربعة أشهر، فإذا قضي أربعة أشهر، فإن الله بريء من المشركين ورسوله، قال: فكان المشركون يقولون: لا، بل شهر، يضحكون بذلك}(٢).

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: قلت لأبي هريرة: {إن علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، إذ كان بالعراق، يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة، و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾، فقال أبو هريرة: كذلك كان رسول الله ﷺ قرأ}(٣).

عن أبي هريرة {عانق النبي ﷺ الحسن} رواه البخاري.

عن عمير بن إسحاق، قال: {كنت أمشي مع الحسن بن علي في طرق المدينة، فلقينا أبا هريرة، فقال للحسن: اكشف لي عن بطنك، جعلت فداك، حتى أقبل حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبله، قال: فكشف عن بطنه، فقبل سرته، ولو كانت من العورة ما كشفها}(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: {خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما، فقال: نعم من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد

---

(١) رواه النسائي برقم (٢٩٥٨).

(٢) رواه ابن حبان برقم (٣٨٢٠).

(٣) المصدر السابق برقم (٢٨٠٦).

(٤) رواه أحمد برقم (١٠٤٠٣)، وابن حبان برقم (٦٩٦٥).

أبغضني}[١].

عن أبي هريرة ﷺ قال: {ما رأيت الحسين بن علي إلا فاضت عيني دموعاً، وذاك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي، واتكأ علي فانطلقت معه، حتى جاء سوق بني قينقاع، قال: وما كلمني، فطاف ونظر، ثم رجع ورجعت معه، فجلس في المسجد واحتبى، وقال: ادع لي لكاع فأتى حسين يشتد حتى وقع في حجره، ثم أدخل يده في لحية رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فم الحسين فيدخل فاه في فيه ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه}[٢].

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: {نزل ملك من السماء، فبشرني؛ أن فاطمة سيدة نساء أمتي، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة}[٣].

عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: {كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا، فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا له: يا أبا هريرة، هذا الحسن بن علي قد سلم علينا فلحقه وقال: وعليك السلام يا سيدي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيد}[٤].

عن مساور السعدي قال: {لما مات الحسن بن علي رضي الله عنهما رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن، يبكي، وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس! مات اليوم حب رسول الله ﷺ، فابكوا}[٥].

---

(١) رواه أحمد برقم (٩٦٧١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٢) (٤٧٧٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٥) (٤٧٩١).

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٧٨١).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٥) (٤٧٩٢).

(٥) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٩٥)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٧)، البداية والنهاية (٨/ ٤٤).

عن أبي هريرة، قال: {كنا مع النبي ﷺ في صلاة العشاء، فكان إذا سجد، ركب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه، رفعهما رفعا رفيقا،، ثم إذا سجد، عادا، فلما صلى، قلت: ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: فبرقت برقة، فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا على أمهما}[1].

وبهذا تم القسم الأول من كتاب شبهات طال حولها الجدل، ويتبعه القسم الثاني وسنتناول فيه سائر المسائل إن شاء الله تعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٦).

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة
(يَابَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ ...)	[الأعراف:٢٧]	٤٠٤، ٥٢٦
(فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ ...)	[الأعراف:٣٠]	٤٠٤
(سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى)	[الأعلى:٦]	٩٥٠، ١٠٢٠
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ ...)	[آل عمران:١٠٢]	١٤٠
(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهَّ ...)	[آل عمران:١٠٧]	١٥٠
(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهَّ ...)	[آل عمران:١٠٧]	١٥٠
(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ...)	[آل عمران:١٠٥]	١٥٠، ١٥٢، ١٥٣
(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ ...)	[آل عمران:١٠٦]	٧٤، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣
(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ...)	[آل عمران:١١٠]	١٧، ٣٣
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ ...)	[آل عمران:١١٨]	١٤٠

الآية	السورة	الصفحة
(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...)	[آل عمران:١٣٥]	٤٤٥
(وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ ...)	[آل عمران:١٤٣]	١٣٧
(وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ ...)	[آل عمران:١٤٣]	١٣٧
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ ...)	[آل عمران:١٤٤]	١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ٥١٤
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ...)	[آل عمران:١٤٩]	١٣٧، ١٤٠
(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ...)	[آل عمران:١٥٥]	١٣٧، ١٦٣
(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ ...)	[آل عمران:١٥٩]	٢٩، ١٢٠، ٤١٩، ٥٧٥
(هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا ...)	[آل عمران:١٦٣]	٢١
(فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ ...)	[آل عمران:١٧٤]	٢٣، ١٣٧

الآية	السورة	الصفحة
(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ...)	[الأنفال:٣٨]	٣٨٧، ٩٢٨
(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ ...)	[الأنفال:٣٩]	١٧٠
(وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ مَوْلاكُمْ نِعْمَ ...)	[الأنفال:٤٠]	٤٠٤
(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهَِّ ...)	[الأنفال:٤١]	٦٨٦
(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ...)	[الأنفال:٦٧]	٦٢٨
(لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهَّ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا ...)	[الأنفال:٦٨]	٥٨٨
(فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَّ ...)	[الأنفال:٦٩]	٦٢٨
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ...)	[الأنفال:٧٢]	٤٠٤
(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ...)	[الأنفال:٧٣]	٤٠٤
(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ...)	[البقرة:٢٨٥]	٨٤٩
(وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ...)	[البقرة:١١٠]	٢٢
(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ ...)	[البقرة:١١١]	٤٩٥
(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا ...)	[البقرة:١٢٥]	٦٢٧
(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ...)	[البقرة:١٣٤]	٨٥٧
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ...)	[البقرة:١٤٣]	١٧، ٣٣
(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ...)	[البقرة:١٤٥]	١٢٧
(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ...)	[البقرة:١٤٦]	٣٠
(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ...)	[البقرة:١٥٩]	٩٣٥

الآية	السورة	الصفحة
(إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا ...)	[التوبة:٣٩]	١٤١
(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ...)	[التوبة:٤٠]	٦٥، ١٤١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٣٨٠
(عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى ...)	[التوبة:٤٣]	٥٨٨
(فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ ...)	[التوبة:٥]	٤٦٢، ٤٩٨
(وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا ...)	[التوبة:٥٨]	٢٩٣
(وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ ...)	[التوبة:٥٩]	٢٩٣
(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ...)	[التوبة:٧١]	٤٠٣
(يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ...)	[التوبة:٧٤]	٤٧٠
(فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا ...)	[التوبة:٧٦]	٤٦٧
(وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ ...)	[التوبة:٧٥]	٤٦٧

الآية	السورة	الصفحة
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ ...)	[الحجرات:٢]	٤٤١، ٥٨٨
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ...)	[الحجرات:٦]	٣
(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ...)	[الحجرات:٩]	١٦٩، ٥٤٤، ٧٦١
(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا ...)	[الحجرات:١٠]	١٦٣، ٧٥٤، ٧٨٨، ٨٠٥، ٨٥٩
(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ...)	[الحجرات:٩]	١٦٣، ٧٥٤، ٧٨٨، ٨٠٥، ٨٥٩
(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...)	[الحديد:١٠]	٢١، ٢٢، ٢٥، ١٣٠، ٥٩٢، ٨٩٨
(فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ ...)	[الحديد:١٥]	٤٠٤

الآية	السورة	الصفحة
(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ...)	[فاطر:٣٢]	٢٦٣، ٢٦٨
(وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ ...)	[الفتح:٢٠]	٣٠
(وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)	[الفتح:١٩]	٣٠
(لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ...)	[الفتح:١٨]	٣٠
(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ...)	[الفتح:٢٩]	٢٨
(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)	[الفتح:١]	٢٥٥
(لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ...)	[الفتح:١٨]	٥٤، ١٢٥، ١٢٩، ١٤٩، ٢٥٥، ٢٩٥، ٥٩٣
(لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ...)	[الفتح:١٨]	١٢٣
(وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)	[الفتح:١٩]	١٢٣
(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ...)	[الفتح:٢٦]	٢٥٥

الآية	السورة	الصفحة
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ...)	[المائدة:١٠١]	٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٩، ٦٤٣
(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا ...)	[المائدة:٣]	٢٠٣، ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٨٢، ٥٨٧، ٥٨٩
(يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ...)	[المائدة:٤١]	٤٩٧
(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ ...)	[المائدة:٤٤]	٥٨٦
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ...)	[المائدة:٥١]	٤٠٤
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ ...)	[المائدة:٥٤]	١٢٦، ١٤٨، ١٤٩
(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ ...)	[المائدة:٥٥]	٣٩٤، ٤٠١، ٤٠٣
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ ...)	[المائدة:٦]	٦٣٢، ٦٦٦
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ...)	[المائدة:٦٤]	١٠٠٢

الآية	السورة	الصفحة
(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ...)	[مريم:١٧]	١٠٢٢
(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي ...)	[مريم:٢٣]	٤٥١، ٥٤٧
(وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي ...)	[مريم:٥]	٢٦٨، ٢٦٩
(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)	[مريم:٥٦]	٢٦٢، ٢٦٨
(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ...)	[مريم:٥٨]	٤٥٣
(يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)	[مريم:٦]	٢٦٩
(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا)	[مريم:٧١]	٥٥١
(فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ)	[المعارج:٣٦]	٢٥٦
(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ)	[المعارج:٣٧]	٢٥٦
(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا ...)	[الملك:١٠]	٦٦٤
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ...)	[الممتحنة:١]	١٢٧، ٣٩٤، ٤٠٤، ٧٨٩
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ...)	[الممتحنة:١٠]	٢٤٩
(إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ...)	[الممتحنة:٩]	٢٤٨
(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ ...)	[النازعات:٤٠]	٤٥٠
(فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)	[النازعات:٤١]	٤٥٠
(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)	[النجم:١]	٤٠٢

الآية	السورة	الصفحة
(لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ...)	[النساء:٩٥]	٢١، ١٨٠، ٨٤٥
(دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا ...)	[النساء:٩٦]	٢١
(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا ...)	[النمل:١٦]	٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩
(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...)	[النور:٥٥]	٥١
(إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ ...)	[النور:١٥]	٣٩
(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي ...)	[النور:١٩]	٦١٣
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ...)	[النور:٢١]	١٤٠
(الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ ...)	[النور:٢٦]	٧٧٥، ٧٧٨
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ ...)	[النور:٢٧]	١٤٠
(الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ...)	[النور:٣]	٦٠٧
(رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ...)	[النور:٣٧]	٤٥٠، ٤٥١
(وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ ...)	[هود:٣]	٢١
(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)	[الواقعة:١٠]	٢١
(أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)	[الواقعة:١١]	٢١
(قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهَّ ...)	[يوسف:٨٦]	٢٩٢
(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ...)	[يونس:٥٤]	٣٧٣

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الموضوعات